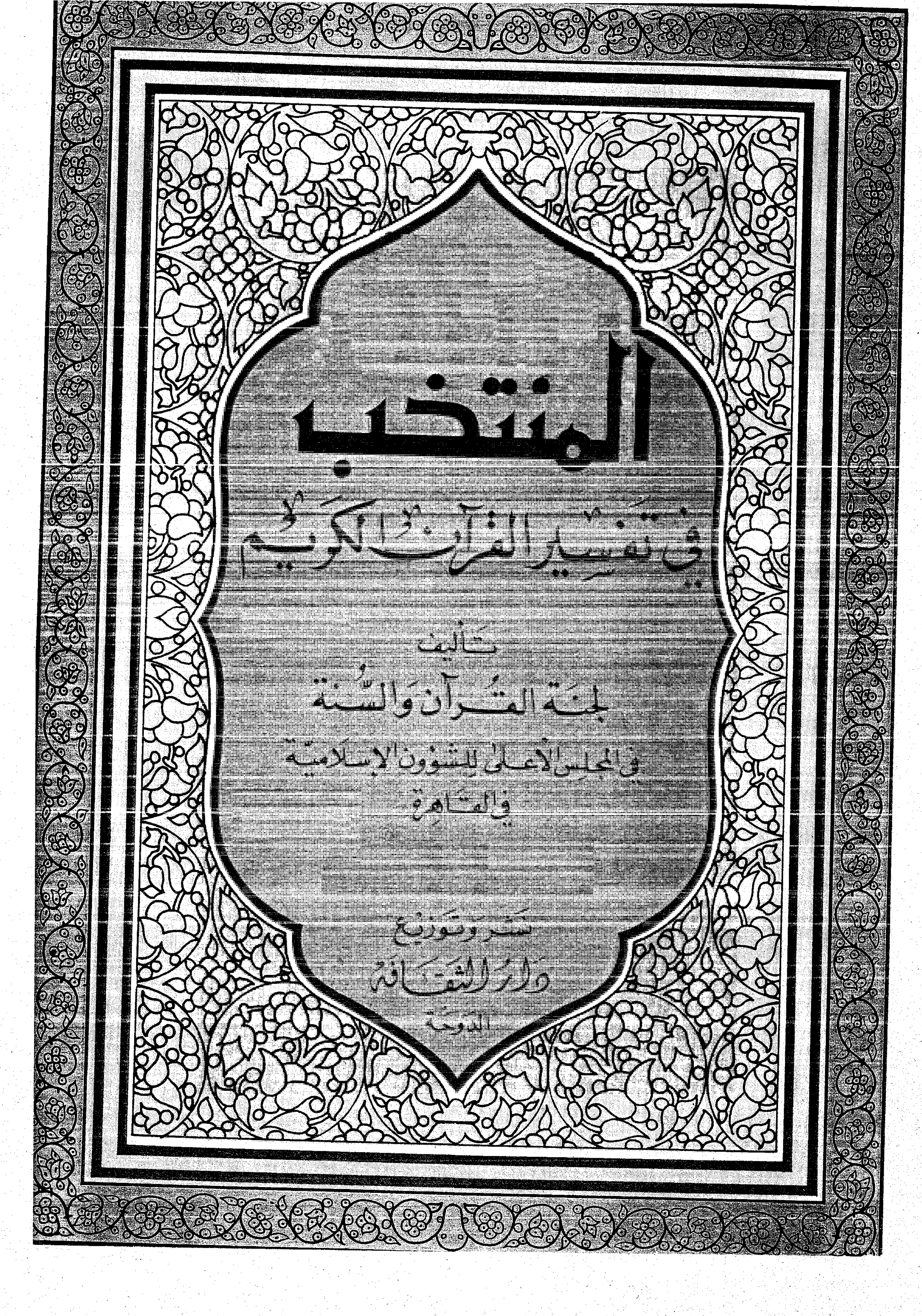
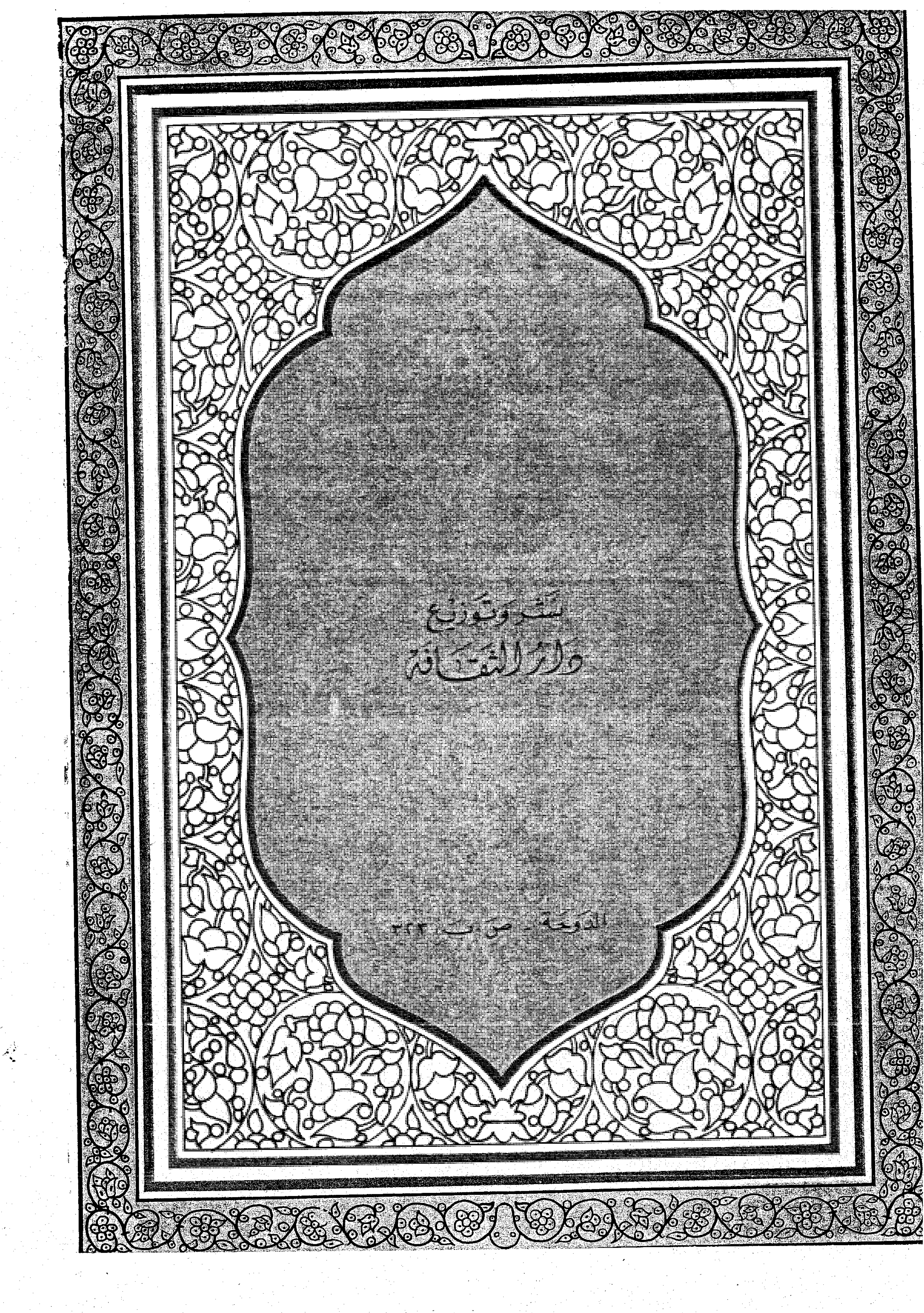
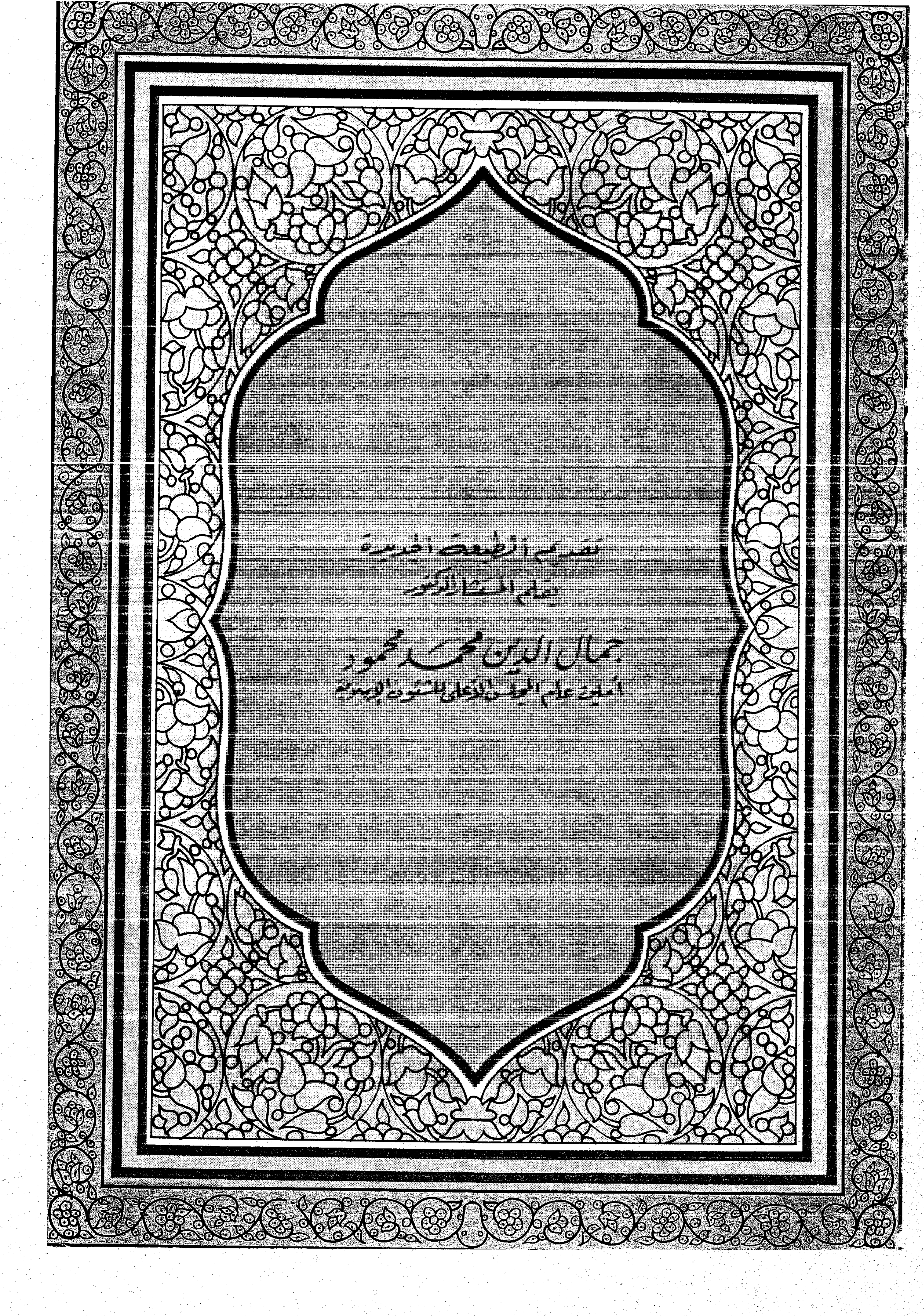


المنتخب
في تفسير القرآن الكريم
تأليف
لجنة القرآن والسنة
في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
في القاهرة
نشر وتوزيع
دار الثقافة
الدوحة



نشر وتوزيع
دار الثقافة

الدوحة - ص . ب . ٣٢٣

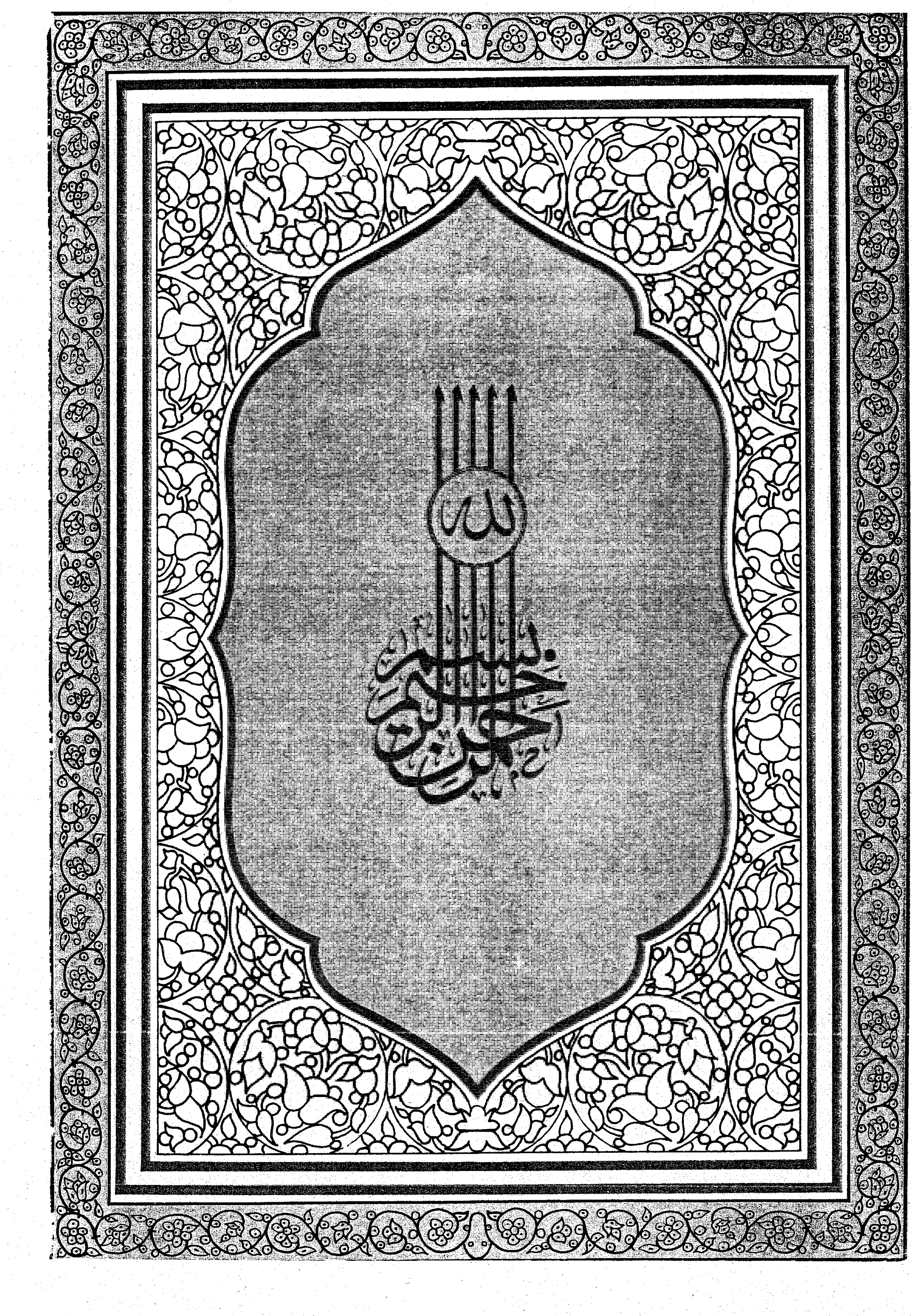


تقديم الطبعة الجديدة

بقلم المستشار الدكتور

جمال الدين محمد محمود

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فى ظل الذكرى المجيدة لميلاد الرسول والنبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، أن يقدم إلى المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثامنة ، من المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، والذى أعدته لجنة القرآن والسنة بالمجلس .

وقد جاء محققاً لآمال القراء والدارسين وتميز بملاءمة حجمه وعظم فائدته وشموله لما يهم المسلم العابد أو الدارس لتفسير كتاب الله العظيم ، والذى هو الآية الكبرى على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فى أصدق صورة ، وأبلغ عبارة ، وأقدس معنى .

وهذا التفسير يقدم المعانى القرآنية للقارىء والدارس ويوضح إعجاز القرآن الكريم من جميع وجوهه ، من خلال العبارة التى أحسن اختيارها ، وتحقق من خلال صياغتها تقديم المعنى القرآنى المراد دون ما تفصيل لوجوه البلاغة أو مواقع الإعراب ومواضع الإعجاز كما أشير فى هامش التفسير إلى وجوه من الإعجاز تتصل بما حقق العلم من تقدم يهدف إلى لفت الأنظار وكشف الصلة بين هذا الوجه من وجوه الإعجاز ، وبين الواقع الذى يحياه الناس ، وقد تحقق ذلك من خلال هامش فى الصفحة يتزود بقراءته من يشاء دون تداخل بينه وبين المعنى القرآنى فى التفسير والبيان .

وبهذا الأسلوب استطاع المجلس أن يضع هذا التفسير القرآنى العظيم بين يدى كل راغب فى التعرف على ما تضمنه القرآن الكريم من معان ، وما جاء به من أوامر ونواه من أجل خير الإنسان ، وما رسمه لنا من خلق وآداب وما أشار إليه من

علوم ، وما تضمنته أخباره من مواعظ وعبر ، توضح لنا سبيل الصالحين وتبعد الناس عن أهواء الطالحين ، حتى يكونوا من المفلحين مصداقاً لقول المولى جل وعلا فى محكم كتابه العزيز :

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾

"صدق الله العظيم"

ولعلنا بذلك قد أسهمنا فى خدمة كتاب الله ، ومهما كان الجهد فى تقديم المعانى القرآنية فى هذا التفسير ، فإنه يقصر عن إدراكها جميعاً . فالقرآن معجزة دائمة حاضرة ، ومنهج حياة يجمع بين التكامل والكمال ، وهيهات أن يحصر المفسرون فى عصر من العصور أوجه الإعجاز أو يصلوا إلى أطراف هذا الكمال ، وسوف يظل القرآن الكريم مدداً لا ينفد من المعارف ، وزاداً لا ينتهى من الخير ، ينهل منه المسلمون فى كل عصر ومصر ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة .

والله نسأل أن ينفع بهذا التفسير ، ـ الذى يقدمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ كل قارىء ، ودارس ، وعابد .

والله المستعان

جمال الدين محمد محمود

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تقديم الطبعة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فالقرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ للتحدى والإعجاز المتعبد بتلاوته المنقول إلينا تواترا ، المجموع بين الدفتين من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، أنزله الله تعالى على خاتم رسله ليكون آخر الكتب المنزلة إلى الناس كافة ، مشتملاً على ما فيه اسعاد البشرية وإصلاح حالها فى عاجلها وآجلها ودنياها وآخرتها ، تنزل منجماً مفرقاً آيات وسوراً على حسب الوقائع والحوادث ، فى مدى ثلاث وعشرين سنة من حياة الرسول ﷺ ، فنزل بعضه قبل هجرته من مكة إلى المدينة ، ونزل بعضه الآخر بعد هذه الهجرة ، وقد تنزلت الآيات والسور المكية وهى تشتمل غالباً على أُصول العقائد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثم تنزلت الآيات والسور المدنية وهى تشتمل على العبادات والفروع والأحكام الشرعية .

فيه نبأُ من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا .

فيه نبأُ من قبلنا من الأُمم السابقة والقرون الماضية ، فيه من قصص الأنبياءِ والمرسلين ، والأُمم والجماعات والأشخاص والحوادث والكائنات والمسيرة التاريخية للجماعة البشرية ما فيه عبرة لمن اعتبر ، وذكرى لمن كان له قلب أو ألق السمع وهو شهيد ، وينطق بسنة الله التى لا تتخلف فى إهلاك الضالين

الظالمين ، ونجاة المهتدين الراشدين ، وأن دنيا الناس على طول العصور والدهور لا تصلح بغير دين الله ، وأن الإنسانية أينما كانت لا تتحقق سعادتها المنشودة إلا إذا استضاءت بهدى الله ورسالاته .

وفيه خبر ما بعدنا من أحوال اليوم الآخر ، وحياة الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » الأمر الذى تضافرت على بيانه أدلة النقل وبراهين العقل .

وفيه حكم ما بيننا من المشاكل والمسائل التى نحتاج فيها إلى بيان وإرشاد من المسائل الاعتقادية والفكرية ، والمسائل الأخلاقية والسلوكية والمعاملات المالية ، وفروع العبادات والأحكام الشرعية شخصية وغير شخصية « يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا »[١] « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَٰانًا لِكُلِّ شئٍ وَهُدى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ »[٢] ما من حكم شرعى دينى ، أو قضية أو مشكلة تلامس دنيا الناس وحياتهم ، أو تَتَعَمَّقُهَا إلا وله فى كل ذلك عرق ينبض ، أو معين لا ينضب ، وله هدى وبيان وإرشاد إما بالنص أو الاستنباط « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »[٣] .

نعم ، لقد كان هذا القرآن العظيم مشعل هداية على طريق الإنسانية أضاء لها ، فأخرجها من الظلمات إلى النور ، وأخذ بأيديها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وكان نقطة تحول فى تاريخها الطويل ، وانتقل بها من حياة الإثم والفساد والضلال إلى حياة الخير والحق والرشاد ، وأحدث فى العالم كله من القيم

---

(١) سورة النساء الآية ١٧٤

(٢) سورة النحل الآية ٨٩

(٣) سورة المائدة الآية ١٥

والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإنسانية من دركها الأسفل إلى أبهج صورها وأسمى كمالاتها .

الهدايات والمعانى التى تضمنها القرآن . وسبقت الإشارة إليها لا يمكن معرفتها إلا بواسطة التفسير لنصوص القرآن وآياته ، والتفسير هو الكشف عن مراد الله تعالى ، ومعرفة هذا المراد من خلال كلماته فى هذا القرآن على قدر الطاقة البشرية ، وقد نشأ علم التفسير شيئًا فشيئًا ، ونما رويداً رويدا حتى اكتمل عقده وبلغ تمام نموه ، فصار على الصورة الرائعة التى نعرفها اليوم ، ففى عصر نزول القرآن ، وحياة الرسول لم تكن الحاجة ماسة إلى وضع تفسير ، ولا تدوين علم تفسير ، لأن القرآن فى مجمل أمره كان واضحا مفهوما للرسول ولأصحابه ، وبرغم ذلك كان للنبى ﷺ تفسيرات لبعض الآيات والألفاظ التى قد يخفى المراد منها ، وكان للصحابة والتابعين وتابعيهم كذلك تفسيرات لكثير من الآيات التى تختلف فى فهمها الأنظار ، ويدور حولها جدال لأى سبب من الأسباب التى لابدَّ من حدوثها فى فجر أمة ناهضة فتية اتسعت أمامها الفتوحات ، واعتورت حياتها الأحداث التاريخية ، والجدالات المذهبية ، والخلافات الفقهية والسياسية .

كان القرآن ولا يزال محوراً للثقافة الاسلامية ، والحركات الفكرية وسائر النشاطات العقلية ، وقد حرضت آياته على النظر فيه والتأمل فقال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »[١] وقال « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[٢] وقال « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها[٣] وما تفسيره إلا نتيجة للتأمل والتدبر ، وقد اختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومشاربهم فى تفسيره ، فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية الجدلية فتوسع توسعاً كبيراً فى شرح الآيات

---

(١) سورة ص الآية ٢٩ (٢) سورة النساء الآية ٨٢ (٣) سورة محمد الآية ٢٤

المتصلة بهذه المعانى ، وغلبت على تفسيره هذه الظاهرة ، ومنهم من غلبت عليه النزعة اللغوية والبلاغية والأسلوبية الأدبية ، فتوسع توسعاً كبيراً فى هذه النواحى ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية ، فتوسع فيها وهكذا كان من توسع فى القصص والأخبار ومن توسع فى الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله فى الأنفس والآفاق ونحو ذلك ، كذلك كان من المفسرين من أطال حتى أمل ، وكان منهم من اختصر حتى أخل ، ومنهم من توسط بين هذا وذاك ، وكان منهم من يميل إلى التفسير بالمأثور ، ومن يميل إلى التفسير بالرأى ، ومن يمزج التفسير بعلوم أخرى كثيرة وكان منهم من كتب تفسيره بأسلوب غامض ، ومن كتب بأسلوب واضح وكان من جميع هؤلاء وهؤلاء ومما تركوه وألفوه من الكتب ثروة علمية ضخمة ، وحركة فكرية تنتزع الإعجاب والتقدير وتستوجب الثناء على أمة خدمت كتاب ربها بما لم يخدم به أى كتاب عرفه وجه الأرض حفظاً وضبطاً ، وشرحاً واستنباطاً ، واستهداء وإعزازاً وتقديساً على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن ، تتلوها قرون أخرى كثيرة من الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1] « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[2].

الأفكار فى تجدد والثقافات تتلاقح ، والحياة فى تطور ، والحصيلة الفكرية لبنى البشر يعتريها كل يوم جديد ، والبشر كلما تقدم بهم الزمن تقاربوا وامتزج بعضهم ببعض ، ووسائل الاتصال والعمران البشرى ساعدت على ذلك ، كأنما تريد أن تفسر عملياً قول هذا القرآن « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

---

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) سورة فصلت الآية ٤١

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »[1].

والعكوف على ما قاله الأولون دون تجديد وابتكار جمود وتخلف، والاقتدار على الحركة والتصرف، وتمييز الغث من السمين، وتنازع البقاء، وبقاء الأصلح، علامة الحياة، ومنطق الوجود وسنة الله فى خلقه، وكتاب الله بحر لا ساحل له لا يدرك عمقه ولا يسبر غوره.

لا يسأمه البحث والتأمل ولا ينتهى فيه الفكر والتطور:

يزيدك وجهه حسناً   إذا ما زدته نظرا

هذا هو الذى فتح ولا يزال يفتح المجال لكل ما يجد من التفسير والمفسرين.

وهذا هو الذى حدا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى أن يشكل هذه اللجان العلمية من جهابذة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين، ليتوفروا على تأليف هذا التفسير بأسلوب عصرى سهل مبسط واضح العبارة، وجيز لا يخل ولا يمل، بعيد عن الخلافات المذهبية، والمصطلحات الفنية والحشو والتعقيدات اللفظية، حتى يكون على حالة مرضية من الصلاحية لترجمته إلى اللغات الأجنبية التى يرجى للمتكلمين بها أن يطلعوا على ما فى هذا القرآن من العقائد والمبادئ والتعاليم التى يهتدون بهديها، إنجازاً للواجب الملقى على عاتقنا نحن المتكلمين باللغة العربية، من وجوب ترجمة معانى القرآن إلى غير العربية، فيتسنى للرسالة المحمدية أن تكون كافة للناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فإن الله تعالى يقول: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »[2] ويقول المفسرون: إذا كانت رسالة الرسول عامة إلى الناس، وهو عربى بلسان قومه العرب فإن رسالته

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣   (٢) سورة إبراهيم الآية ٤

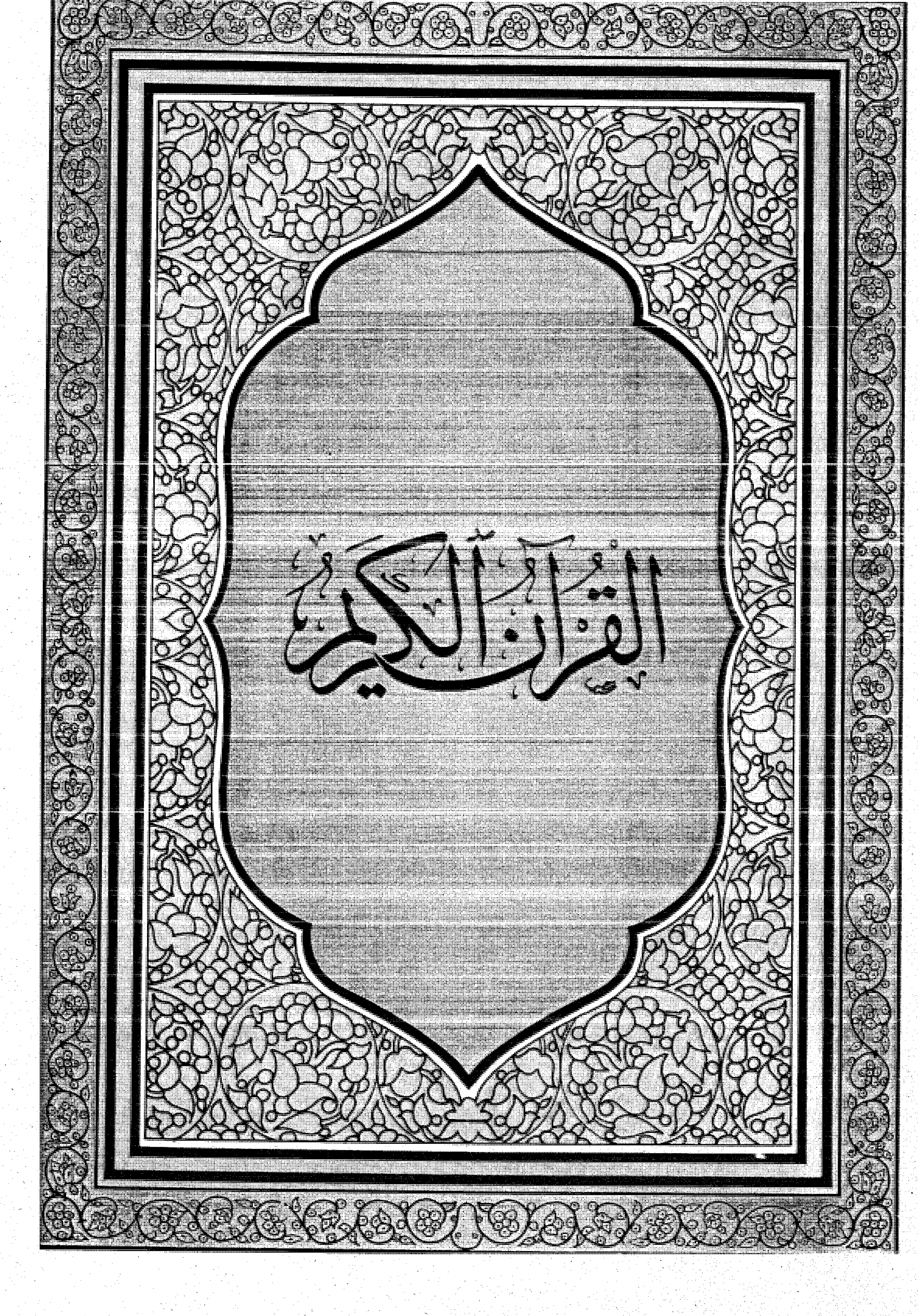
تبلغ إلى غير العرب عن طريق الترجمة التى تقوم مقام الأصل ، وبهذه الترجمة الدقيقة الصحيحة التى تراعى فيها الأمانة ، وتقوم على إدراك ووعى بالمترجم عنه ، والمترجم إليه نسد الطريق أمام كثير من الترجمات الزائفة المغرضة المحشوة بالتخريف والأباطيل .

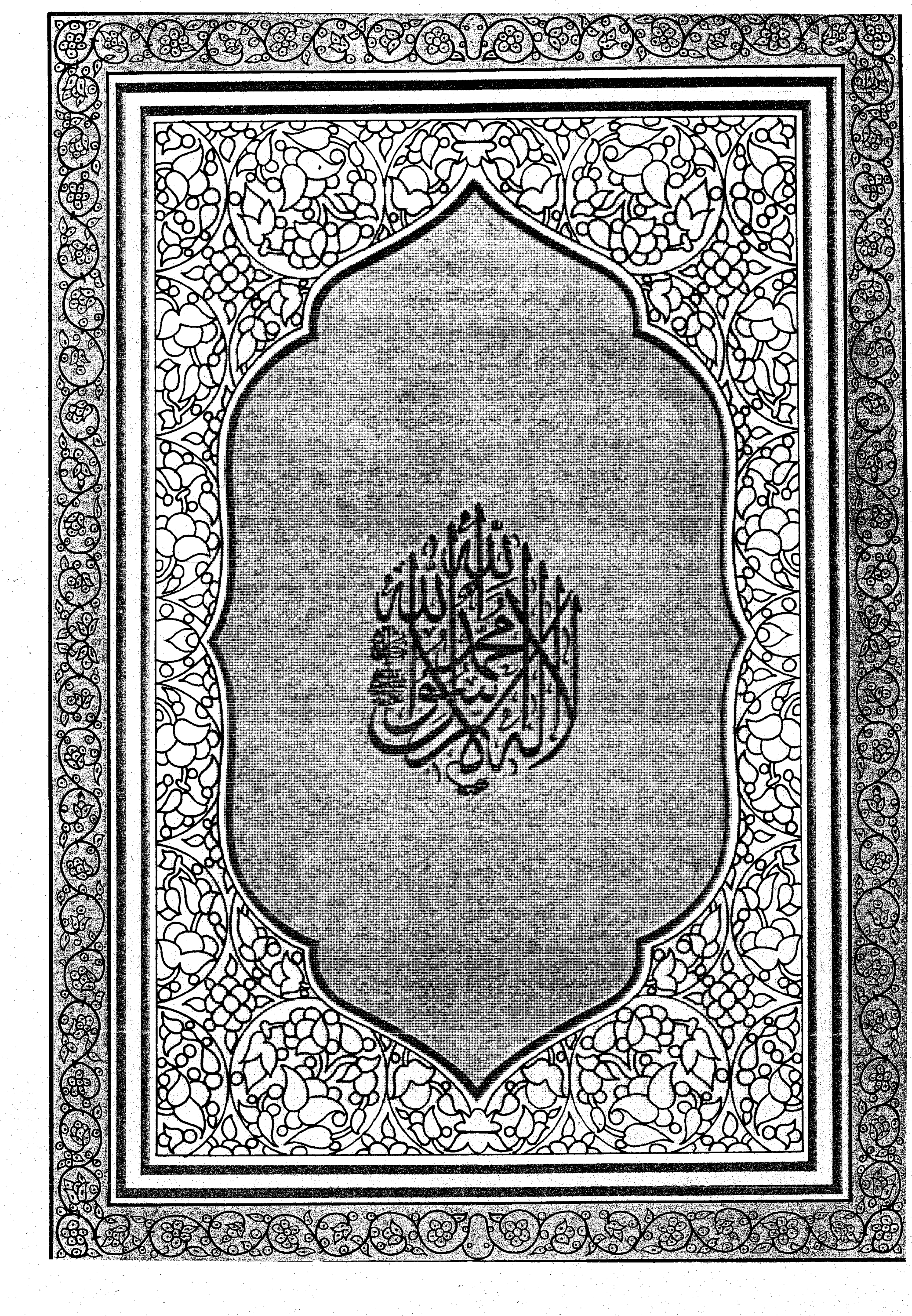
وسوف يتلو هذا التفسير الوجيز تفسير آخر وسيط فى شئ من البسط ، يعنى فيه بمزيد من البحث والنظر ، واستخلاص العبر والآداب والتعاليم ، والتوجيهات التى تأخذ بيد المسلمين لينهضوا ويكيفوا حياتهم على ما تقتضيه آيات هذا الذكر الحكيم من الأخذ بأسباب القوة والعزة والكرامة ، ويشار فيه إلى ما ترشد إليه الآيات من نواميس الحياة وأسرار الكون ووقائعه العلمية التى لم تعرف إلا فى العصور الأخيرة عصور الكشف العلمى ، ولا يمكن أن يكون القرآن قد أشار إليها لأنه ليس من كلام بشر ، ولكنه من كلام خلاق القوى والقدر ، الذى وعد بذلك فى محكم هذا الكتاب فقال « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد »[1] والله ولى التوفيق .

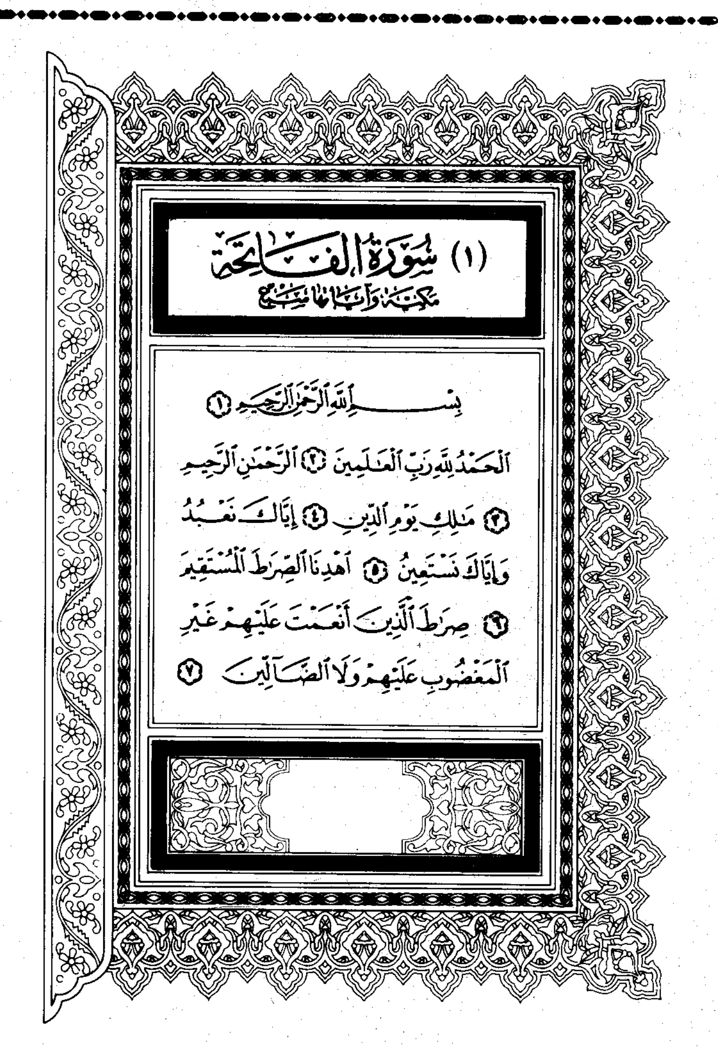
لجنة القرآن والسنة

---

(1) سورة فصلت الآية ٥٣


القرآن الكريم


لا إله إلا الله محمد رسول الله



بسم الله الرحمن الرحيم

سـورة الفاتحـة

هذه السورة مكية ، نزلت فى مكة قبل الهجرة ، وسميت الفاتحة لأنها أولى السور فى ترتيب المصحف الشريف . وهى أول سـورة نزلت بتمامهـا ، وهى تشـتمل على مجمل مافى القـرآن ، وكأنها اجمال يجلو بعده التفصيل .

ومقـاصد القـرآن هى : بيان التوحيد ، وبيان الوعد والبشرى للمؤمن المحسـن ، وبيان الوعيد والانذار للكافر والمسىء ، وبيان العبادة ، وبيان طـريق السـعادة فى الدنيا والآخـرة ، وقصص الذين أطـاعوا الله ففـازوا ، وقصص الذين عصوه فخابوا .

والفاتحة تشتمل ، بطريق الايجاز والاشارة ، على هذه المقاصد ، ولذلك سميت « أم الكتاب » .

١ ـ تبتدىء باسم الله الذى لامعبود بحق سـواه ، والمتصـف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، وهو صـاحب الرحمة الذى يفيض بالنعم جليلها ودقيقها ، عامها وخاصها ، وهو المتصف بصفة الرحمة الدائمة .

٢ ـ الثناء الجميل بكل أنواعه وعلى كل حال لله وحـده ، ونثنى عليه الثناء كله لأنه منشىء المخلوقات والقـائم عليها .

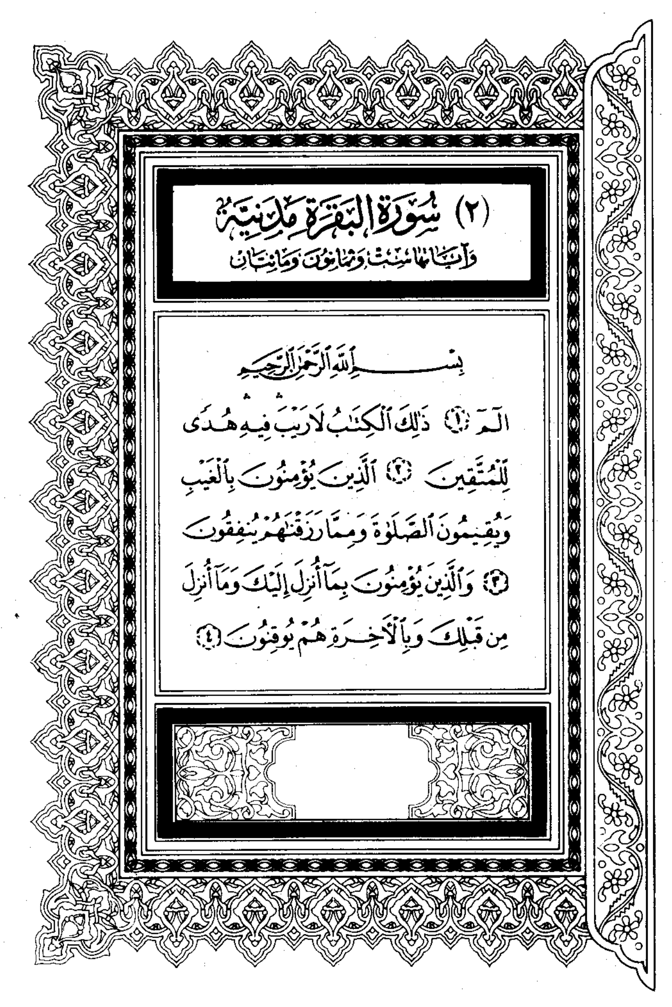
٣ ـ وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها ، ينعم بكل النعم صغيرها وكبيرها .

٤ ـ وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ، يتصرف فيه لا يشاركه أحد فى التصرف ولو فى الظاهر .

٥ ـ لانعبد الا اياك ، ولانطلب المعونة الا منك .

٦ ـ نسألك أن توفقنا إلى طريق الحق والخير والسعادة .

٧ ـ وهو طريق عبادك الذين وفقتهم إلى الايمان بك ، ووهبت لهـم نعمتى الهـداية والرضـا ، لاطـريق الذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الايمان بك والاذعان لهديك .



سورة البقرة

هذه السورة مدنية نزلت بالمدينة بعد الهجرة وهى أطول سورة فى القرآن الكريم، حسب ترتيب المصحف، وقد ابتدأت هذه السورة بتفصيل ما انتهت اليه سورة الفاتحة فقد ذكرت أن القرآن هو مصدر الهدى، وذكرت الذين أنعم الله عليهم بالرضا، والذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين.

وقد تحدثت السورة عن صدق القرآن، وأن دعوته حق لاريب فيها، ثم تحدثت عن أصناف الناس الثلاثة: المؤمنين والكافرين والمنافقين، وعن الدعوة إلى عبادة الله وحده. وعن انذار الكافرين وتبشير المؤمنين، ثم خصت بنى اسرائيل بالدعوة والمراجعة، وجاء فيها تذكيرهم بأيام الله وبحوادثهم مع موسى عليه السلام، وتذكيرهم كذلك بابراهيم واسماعيل وبنائهما الكعبة، واستغرق ذلك نحو نصف السورة، وتخلله حديث موجه الى المؤمنين للاعتبار بما حدث لليهود والنصارى.

وانتقل الحديث الى خطاب أهل القرآن بذكر ماهو مشترك بين قوم موسى وقوم محمد من فضل ابراهيم وهدايته ونسبه، وبذكر مسألة القبلة ونحوها.

ثم جاء الحديث عن التوحيد والتذكير بآيات الله الدالة عليه، وجاء الحديث عن الشرك، وعن المحرمات من الطعام، وأن التحريم والتحليل من حق الله وحده.

وتعرضت السورة لبيان أصول البر. وذكر بعض احكام الصيام والوصية وأكل أموال الناس بالباطل، والقصاص والقتال والحج والخمر والميسر والنكاح والطلاق والرضاع والعدة وغيرها، كما تعرضت للحديث عن العقائد العامة كالرسالة والتوحيد والبعث، وتحدثت عن الانفاق والربا والتجارة وكتابة الدين، ثم ختمت السورة بدعاء من المؤمنين لربهم أن ينصرهم ويؤيدهم.

وقد تضمنت هذه السورة عدة قواعد منها:

ان اتباع سبيل الله واقامة دينه هما الموجبان للسعادة فى الدنيا والآخرة، وأنه لايليق بعاقل أن يدعو الى البر والفضيلة وينسى نفسه، وأنه يجب ايثار الخير على الشر، وترجيح الأعلى على الأدنى.

وأن أصول الدين ثلاثة ، وهى : الايمان بالله ، والايمان بالبعث ، والعمل الصالح .

وأن الجزاء على الايمان والعمل معا ، وأن شرط الايمان هو الاذعان النفسى والتسليم القلبى لكل ماجاء به الرسول ، وأن غير المسلمين لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبع المسلمون دين هؤلاء . .

ان الولاية العامة الشرعية يجب أن تكون لأهل الايمان والعدل ، لا لأهل الكفر والظلم . وأن الايمان بدين الله كما انزله يستلزم الوحدة والاتفاق وأن ترك الاهتداء بذلك يورث الاختلاف والشقاق ، وأن تحقيق الأمور الجليلة يستعان عليه بالصبر والصلاة ، وأن التقليد الأعمى باطل يؤدى الى الجهالة والعصبية .

وأن الله أحل لعباده الطيبات من المطعم . وحرم أشياء خبيثة محدودة ، ولايجوز لغير الله أن يحل أو يحرم ، وأن المحرمات تباح للمضطر لأن الضرورات تبيح المحظورات وتقدر الضرورة بقدرها ، وأن الدين مبنى على اليسر ورفع الحرج فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يأمر عباده الا بما يطيقون . وأن القاء النفس الى التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية إليها ، وأن الاكراه فى الدين ممنوع ، وأن القتال مشروع فى الاسلام للدفاع ، ولتأمين حرية الدين ، وتأمين سيادة الاسلام فى مجتمعه .

وأن للمسلم أن يطلب حظه من الدنيا ، كما يؤدى واجبه نحو الآخرة ، وأن سد الذرائع وتقرير المصالح من مقاصد الشريعة .

وأن الايمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة على الكثرة الباغية ، وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام ، وأن الإنسان مجزى بعمله لا بعمل غيره ، وأن حكمة التشريع يدركها العقل السليم لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد .

* * *

١ ـ ألف لام ميم : هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التى يؤلف منها العرب كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن ، وهى مع ذلك تنطوى على تنبيه للاستماع لتميز جرسها .

٢ ـ هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذى نتزله لايرتاب عاقل منصف فى كونه من عند الله ، ولا فى صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام ، وفيه الهداية الكاملة للذين يستعدون لطلب الحق ، ويتوقون الضرر وأسباب العقاب .

٣ ـ وهؤلاء هم الذين يصدقون ـ فى حزم واذعان ـ بما غاب عنهم ، ويعتقدون فيما وراء المحسوس كالملائكة واليوم الآخر ، لأن أساس التدين هو الإيمان بالغيب ، ويؤدون الصلاة مستقيمة ، بتوجه الى الله وخشوع حقيق له ، والذين ينفقون جانبا مما يرزقهم الله به فى وجوه الخير والبر .

٤ ـ والذين يصدقون بالقرآن المنزل عليك من الله ، وبما فيه من أحكام وأخبار ويعملون بمقتضاه ويصدقون بالكتب الإلهية التى نزلت على من سبقك من الأنبياء والرسل كالتوراة والإنجيل وغيرهما ، لأن رسالات الله واحدة فى أصولها ـ يتميزون بأنهم يعتقدون اعتقادا جازما بمجىء يوم القيامة وبما فيه من حساب وثواب وعقاب .

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

---

٥ ـ هؤلاء الموصوفون بما سبق من صفات ، متمكنون من أسباب الهداية الالهية ، مستقرون عليها ، أولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ثوابا لسعيهم واجتهادهم وامتثالهم الأوامر واجتنابهم النواهى .

٦ ـ هذا شأن المهتدين ، أما الجاهلون الذين فقدوا الاستعداد للايمان اعراضا منهم وعنادا فلن يستجيبوا لله ، فيستوى عندهم تخويفك لهم وعدم تخويفك .

٧ ـ هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كأن قلوبهم مختوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها ، وكأن أسماعهم مختوم عليها كذلك ، فلاتسمع وعده الحق ، وكأن أبصارهم قد غشيها غطاء فهى لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان ، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد .

٨ ـ ومن الكافرين قوم آخرون من الناس يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ، يظهرون الايمان فيقولون : اننا آمنا بالله وبيوم القيامة ، وليسوا بصادقين فى قولهم ، فلايدخلون فى جماعة المؤمنين .

٩ ـ انهم يخدعون المؤمنين بمايصنعون ويظنون انهم يخادعون الله ، إذ يتوهمون أنه غير مطلع على خفاياهم ، مع أنه يعلم السر والنجوى ، وهم فى الواقع يخدعون أنفسهم لأن ضرر عملهم لاحق بهم ، عاجلا وآجلا ، ولأن من يخدع غيره ، ويحسبه جاهلا ـ وهو ليس كذلك ـ إنما يخدع نفسه .

١٠ ـ هؤلاء فى قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة ، وزادهم الله على مرضهم مرضا بنصره للحق ، اذ كان ذلك مؤذيا لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم . ولهؤلاء عذاب أليم فى الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

---

١١ ـ واذا قال أحد من المهتدين لهؤلاء المنافقين : لا تفسدوا فى الأرض بالصد عن سبيل الله ، ونشر الفتنة وإيقاد نار الحرب برءوا أنفسهم من الفساد ، وقالوا مانحن الا مصلحون وذلك لفرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد خبيث مغرور يزعم فساده اصلاحا .

١٢ ـ ألا فتنبهوا أيها المؤمنون الى أنهم هم أهل الفساد حقا ، ولكنهم لايشعرون بفسادهم لغرورهم ولابسوء العاقبة التى ستصيبهم بسبب هذا النفاق .

١٣ ـ واذا قال قائل لهم ينصحهم ويرشدهم : أقبلوا على ما يجب ، وهو أن تؤمنوا إيمانا مخلصا مثل إيمان الناس الكاملين المستجيبين لصوت العقل سخروا وتهكموا وقالوا : لا يليق بنا أن نتبع هؤلاء الجهلاء ضعاف العقول ، فرد الله عليهم تطاولهم وحكم عليهم بأنهم ـ وحدهم ـ الجهلاء الحمق . ولكنهم لايعلمون علما يقينا أن الجهل ونقص الادراك محصور فيهم ومقصور عليهم .

١٤ ـ واذا لقى هؤلاء المنافقون المؤمنين المخلصين ، قالوا : آمنا بما أنتم به مؤمنون من صدق الرسول ودعوته ، ونحن معكم فى الاعتقاد ، واذا انصرفوا عنهم واجتمعوا بأصحابهم الذين يشبهون الشياطين فى الفتنة والفساد ، قالوا لهم : انا معكم على طريقتكم وعملكم ، وإنما كان قولنا للمؤمنين ماقلنا استخفافا بهم واستهزاء .

١٥ ـ والله سبحانه يجازيهم على استهزائهم ، ويكتب عليهم الهوان الموجب للسخرية والاحتقار ، فيعاملهم بذلك معاملة المستهزىء ، ويمهلهم فى ظلمهم الفاحش الذى يجعلهم فى عمى عن الحق ثم يأخذهم بعذابه .

١٦ ـ وهؤلاء اذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذى يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح فى تجارته ، ويضيع رأس ماله ، وهم فى عملهم غير مهتدين .

لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

---

١٧ ـ حال هؤلاء فى نفاقهم كحال من أوقد نارا لينتفع بها مع قومه، فلما أنارت ماحوله من الأشياء ذهب الله بنورهم وترك موقديها فى ظلمات كثيفة لايبصرون معها شيئا، لأن الله قدم إليهم أسباب الهداية فلم يتمسكوا بها فصارت بصائرهم مطموسة، فاستحقوا أن يبقوا فى الحيرة والضلال.

١٨ ـ هؤلاء كالصم، لأنهم قد فقدوا منفعة السمع، اذ لايسمعون الحق سماع قبول واستجابة وهم كالبكم الخرس. لأنهم لاينطقون بالهدى أو الحق وهم كالذين فقدوا أبصارهم لأنهم لاينتفعون بها فى اعتبار أو انزجار، فهم لايرجعون عن ضلالتهم.

١٩ ـ أو حالهم فى حيرتهم وشدة الأمر عليهم وعدم ادراكهم لماينفعهم ويضرهم، كحال قوم نزل عليهم مطر من السماء ورعد وصواعق، يضعون أطراف أصابعهم فى آذانهم كى لايسمعوا أصوات الصواعق، خائفين من الموت، زاعمين أن وضع الأصابع يمنعهم منه.

وهؤلاء اذا نزل القرآن ـ وفيه بيان لظلمات الكفر والوعيد عليه، وبيان الايمان ونوره المتألق، وبيان النذر وألوان العذاب ـ أعرضوا عنه وحاولوا الخلاص منه زاعمين أن اعراضهم عنه سيعفيهم من العقاب.. ولكن الله عليم بالكافرين مسيطر عليهم من كل جهة بعلمه وقدرته.

٢٠ ـ ان هذا البرق الشديد النذر يكاد يخطف منهم أبصارهم لشدته، وهو يضىء لهم الطريق حينا فيسيرون خطوات مستعينين بضوئه وحين ينقطع البرق ويشتد الظلام يقفون متحيرين ضالين، وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهرهم أضواؤها فيهمون أن يهتدوا، ولكنهم بعد قليل يعودون الى الكفر والنفاق.

واسع القدرة إذا أراد شيئا فعله، لايعجزه شىء فى الأرض ولافى السماء.

٢١ ـ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى أنشأكم وخلقكم ونماكم كما خلق الذين سبقوكم، فهو خالق كل شىء، لعلكم بذلك تعدون انفسكم وتهيئونها لتعظيم الله ومراقبته، فتتطهر بذلك نفوسكم وتذعن للحق، وتخاف سوء العاقبة.

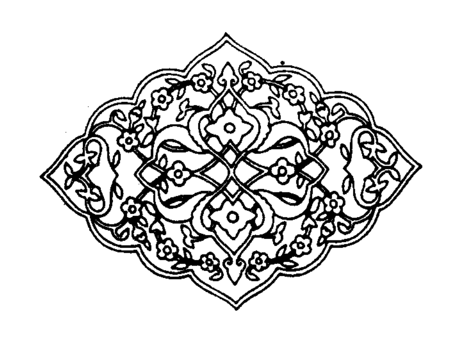
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

---

٢٢ - انه وحده هو الذى مهد لكم الارض بقدرته، وبسط رقعتها ليسهل عليكم الاقامة فيها والانتفاع بها، وجعل مافوقكم من السماء وأجرامها وكواكبها كالبنيان المشيد، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فجعله سببا لاخراج النباتات والأشجار المثمرة التى رزقكم بفوائدها، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا أن لله نظراء تعبدونهم كعبادته لأنه ليس له مثيل ولاشريك، وأنتم بفطرتكم الاصلية تعلمون أنه لا مثيل له ولاشريك. فلاتحرفوا هذه الطبيعة.

٢٣ - وان كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع أنزالنا له على عبدنا محمد. فلديكم الحجة الظاهرة التى تبين الحق لكم فحاولوا أن تأتوا بسورة مماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها وسائر هدايتها، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة مماثلة له فاستعينوا بهم ولن تجدوهم، وهؤلاء الشهداء هم غير الله لأن الله يؤيد عبده بكتابه ويشهد له بأفعاله هذا إن كنتم صادقين فى ارتيابكم فى هذا القرآن.

٢٤ - فإن لم تستطيعوا الاتيان بسورة مماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال لأنه ليس من طاقة المخلوقين، إذ القرآن كلام الخالق - فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التى تؤدى بكم الى عذاب الآخرة، وهو النار التى سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام، وقد هيئت هذه النار لتعذيب الجاحدين المعاندين.



وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ

---

٢٥ ـ واذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين فالجنة مثوى المؤمنين . فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه ، وأذعنوا للحق دون شك أو ارتياب وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة أخبرهم بخبر يسرهم ويشرح صدورهم ، وهو أن الله أعد لهم عنده جنات مثمرة تتخللها الانهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم فى هذه الجنات رزقا من بعض ثمارها قالوا : ان هذا يشبه مارزقنا من قبل ، لان هذه الثمرات التى ينالونها تشابه أفرادها فى الصورة والجنس ولكنها تمايز فى الطعم واللذة ، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب . وسيبقون فى هذه الجنة فى حياة أبدية لايخرجون منها .

٢٦ ـ يضرب الله الأمثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصغائر الاحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لايؤمنون ضرب المثل بصغائر الأحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه أنه لايعتريه مايعترى الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده مايشاء من أمور بأى مثل مهما كان صغيرا ، فيصح أن يجعل المثل بعوضة أو مافوقها والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله ، والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار ويقولون : ما الذى أراده الله بهذا المثل ؟ وأن هذا المثل يكون سببا لاضلال الذين لايطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سببا لهداية المؤمنين بالحق الذين يطلبونه ، فلايضل به الا المنحرفون المتمردون .

٢٧ ـ الذين ينقضون عهد الله ، وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوى الذى أنشأه فى نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقا بالعقل المدرك ومؤيدا بالرسالة ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولا كوصل ذوى الأرحام ، والتواد والتعارف والتراحم بين بنى الانسان ، ويفسدون فى الأرض بسوء المعاملات وباثارة الفتن وايقاد الحروب وافساد العمران ، أولئك هم الذين يخسرون بافسادهم فطرتهم وقطعهم مابينهم وبين الناس مايجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلك لهم الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

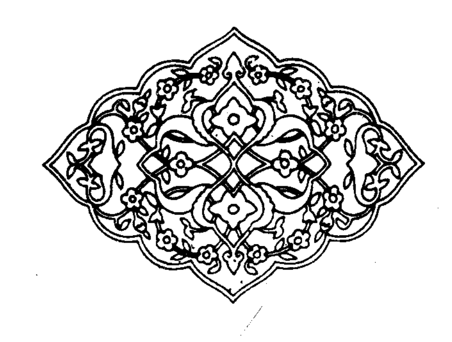
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ

---

٢٨ ـ ان حالكم تثير العجب ! كيف تكفرون ولاتوجد شبهة تعتمدون عليها فى كفركم ؟ ونظرة إلى حالكم تأبى هذا الكفر ولاتدع لكم عذرا فيه ، فقد كنتم أمواتا ، فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التقويم ، ثم هو الذى يعيدكم أمواتا عند انتهاء أجلكم ، ثم يبعثكم أحياء مرة اخرى للحساب والعقاب ثم اليه ، لا إلى غيره ، تعودون فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم .

٢٩ ـ وان الله الذى تجب عبادته واطاعته هو الذى تفضل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كل النعم الموجودة فى الأرض ، ثم قد توجهت ارادته مع خلقه الأرض بمنافعها الى السماء فجعل منها سبع سموات منتظمات فيها ماترون وما لا ترون ، والله محيط بكل شيء عالم به .

٣٠ ـ بين سبحانه أنه هو الذى أحيا الانسان ومكن له فى الأرض ، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الانسان وما أودع فيه من علم الأشياء وذكره به ، فاذكر يامحمد نعمة أخرى من ربك على الانسان ، وهى أنه قال للملائكه : انى جاعل فى الأرض من أمكنه منها وأجعله صاحب سلطان فيها وهو آدم وذريته ، استخلفهم الله فى عمارة الأرض وأذكر قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصى ومن يسفك الدماء بالعدوان والقتل لما فى طبيعته من شهوات . بينما نحن ننزهك عما لايليق بعظمتك ، ونظهر ذكرك ونمجدك ، فأجابهم ربهم : انى أعلم مالم تعلموا من المصلحة فى ذلك .



إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ

---

٣١ - وبعد أن خلق الله آدم وعلمه أسماء الاشياء وخواصها ليتمكن فى الارض وينتفع بها ، عرض الله هذه الاشياء على الملائكة وقال لهم : اخبرونى بأسماء هذه الأشياء وخواصها ان كنتم صدقتم فى ظنكم أنكم أحق بخلافة الأرض ولايوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم .

٣٢ - وقد ظهر للملائكة عجزهم فقالوا : اننا ننزهك يا ربنا التنزيه اللائق بك ، ونقر بعجزنا وعدم اعتراضنا ، فلا علم عندنا الا ما وهبتنا إياه ، وأنت العالم بكل شىء الحكيم فى كل أمر تفعله .

٣٣ - قال الله لآدم : أخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء ، فأجاب وأظهر فضله عليهم ، وهنا قال الله لهم مذكرا لهم باحاطة علمه : ألم أقل لكم إنى أعلم كل ما غاب فى السموات والأرض ولا يعلمه غيرى ، وأعلم ما تظهرون فى قولكم وماتخفون فى نفوسكم .

٣٤ - واذكر أيها النبى حين قلنا للملائكة : اخضعوا لآدم تحية له واقرارا بفضله ، فأطاع الملائكة كلهم إلا إبليس ، امتنع عن السجود وصار من العاصين له ، والكافرين بنعم الله وحكمته وعلمه .

٣٥ - ثم خلق الله آدم وزوجته وأمرهما أن يعيشا فى جنة النعيم فقال له : اسكن أنت وامرأتك الجنة وكلا منها ماتشاءان أكلا هنيئا وافرا بلا تعب من أى مكان أو ثمر تريدان ، ولكن الله ذكر لهما شجرة معينة وحذرهما الأكل منها وقال لهما : لاتدنوا من هذه الشجرة ولاتأكلا منها ، والا كنتما من الظالمين العاصين .

٣٦ - ولكن ابليس الحاسد لآدم ، الحاقد ، أخذ يحتال عليهما ويغريهما بالأكل من الشجرة حتى زلا فأكلا منها فأخرجهما الله مما كانا فيه من النعيم والتكريم ، وأمرهما الله تعالى بالنزول الى الأرض ليعيشا هما وذريتهما فيها ، ويكون بعضهم لبعض عدوا بسبب المنافسة واغواء الشيطان ، ولكم فى الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة ، وتمتع ينتهى بانتهاء الأجل .

٣٧ - وأحس آدم هو وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما ، فألهم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار ، فقالها ، فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة ، وهو الرحيم بعباده الضعفاء .

مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

---

٣٨ ـ وقلنا لآدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وابليس : اهبطوا الى الأرض وستكلفون تكليفات فيها ، فان جاءكم ذلك من عندى ـ وسيأتيكم حتما ـ فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداى لايشعرون بخوف ، ولايصيبهم حزن لفوات ثواب ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

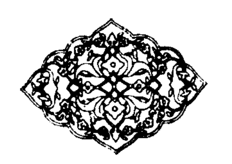
٣٩ ـ والذين جحدوا وكذبوا برسل الله وكتبه ، أولئك أهل النار ، يظلون فيها أبدا لا يخرجون ولا يفنون .

٤٠ ـ يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى تفضلت بها عليكم أنتم وآباؤكم بالتفكير فيها والقيام بواجب شكرها وأوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم وأقررتموه على أنفسكم ، وهو الايمان ، والعمل الصالح ، والتصديق بمن يجىء بعد موسى من الأنبياء ، حتى أوفى بوعدى لكم وهو حسن الثواب والنعيم المقيم ، ولاتخافوا أحدا غيرى ، واحذروا من أسباب غضبى لكم .

٤١ ـ وصدقوا بالقرآن الذى أنزلت مصدقا لماعندكم من كتب ، وعلم من التوحيد وعبادة الله ، والعدل بين الناس ، ولا تسارعوا الى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغى أن تكونوا أول المؤمنين به ، ولاتتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضا قليلا زائلا من متاع الحياة الدنيا ، وخصونى بالخوف فاتبعوا طريق ، وأعرضوا عن الباطل .

٤٢ ـ لاتخلطوا الحق المنزل من عندى بالباطل المفترى من عندكم ، حتى لا يشتبه هذا بذاك ، ولاتكتموا الحق ومنه صدق محمد ، وأنتم تعلمون أنه حق وصدق .

٤٣ ـ واستجيبوا للايمان ، فأدوا الصلاة مستقيمة الأركان ، وأعطوا الزكاة لمستحقيها ، وصلوا مع جماعة المسلمين لتنالوا ثواب الصلاة وثواب الجماعة وهذا يستلزم أن تكونوا مسلمين .



أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

---

٤٤ - أتطلبون من الناس أن يتوسعوا فى الخير، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المعصية، ثم لا تعملون بما تقولون، ولا تلتزمون ماتطلبون وفى ذلك تضييع لأنفسكم كأنكم تنسونها، مع أنكم تقرءون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للعمل، أليس لديكم عقل يردعكم على هذا التصرف الذميم؟

٤٥ - واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ماتكره، ومن ذلك الصوم، وبالصلاة العظيمة الشأن التى تنق القلب وتنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذلك كانت ثقيلة شاقة الا على الخاضعين المحبين للطاعة، الذين أطمأنت قلوبهم لذكر الله.

٤٦ - أولئك الخاضعون المطمئنة قلوبهم، الذين يؤمنون باليوم الآخر ويوقنون بأنهم سيلاقون ربهم عند البعث، واليه وحده يعودون ليحاسبهم على ماقدمت أيديهم ويثيبهم عليه.

٤٧ - يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت بها عليكم، من اخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتمكينكم فى الأرض بعد أن كنتم مستضعفين فيها، واشكروا واهبها بطاعتكم له، واذكروا أننى أعطيت آباءكم الذين انحدرتم منهم مالم أعطه أحدا من معاصريكم. والخطاب لجنس اليهود ويمثلهم المعاصرون للرسول.

٤٨ - وخافوا يوم الحساب الشديد: يوم القيامة الذى لاتدفع فيه نفس عن نفس شيئا، ولا تغنى فيه نفس عن نفس أخرى شيئا، ولا يقبل من أى نفس تقديم أى شفيع، كما لايقبل عرض تفدى به الذنوب، ولايستطيع أحد أن يدفع العذاب عن مستحقيه.

٤٩ - واذكروا من نعمنا عليكم أن نجيناكم من ظلم فرعون وأعوانه.الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب، فهم يذبحون الذكور من أولادكم لتوهم أن يكون منهم من يذهب بملك فرعون ويستبقون الاناث، ليستخدموهن، وفى هذا العذاب والتعرض للفناء ابتلاء شديد من ربكم واختبار عظيم لكم.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن

---

٥٠ ـ واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر ـ وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه ـ فتتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده ، وبفضلنا نجوتم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فأغرقناهم أمام أبصاركم ـ فأنتم ترونهم وهم يغرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه .

٥١ ـ واذكروا حين وعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته ، فلما ذهب الى ميعاده ، وعاد وجدكم قد انحرفتم واتخذتم العجل الذى صنعه السامرى معبودا لكم ، وكنتم ظالمين باتخاذكم شريكا لله الذى خلقكم ونجاكم .

٥٢ ـ ثم عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتم واستغفرتم من اثمكم ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

٥٣ ـ واذكروا حين أنعمنا عليكم فأنزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة وهو الذى يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحرام ، لكى تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبر مافيها .

٥٤ ـ واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى ياقومى ، لقد ظلمتم أنفسكم باتخاذكم عجل السامرى معبودا ، فتوبوا الى ربكم خالقكم من العدم ، بأن تغضبوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها ، لتتجدد بنفوس مطهرة فأعانكم الله على ذلك ووفقكم له وكان ذلك خيرا لكم عند خالقكم ، ولهذا قبل توبتكم وعفا عنكم ، فهو كثير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

٥٥ ـ واذكروا قولكم لموسى : اننا لن نقر لك بالايمان حتى نرى الله جهارا عيانا بحاسة البصر لايحجبه عنا شىء ، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم مايستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون حالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب فى الصاعقة .

٥٦ ـ ثم أيقظناكم من غشيتكم وهمودكم ، وعلمناكم لكى تشكروا نعمتنا فى ذلك ، وتؤدوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ

---

٥٧ - ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد، وأنزلنا عليكم المن، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس، كما انزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسمان، فهو يأتيكم بأسرابه بكرة وعشيا لتأكلوا وتتمتعوا، وقلنا لكم كلوا من طيبات رزقنا - فكفر هؤلاء بالنعمة، ولم يكن ذلك بضائرنا، ولكنهم يظلمون أنفسهم لأن ضرر العصيان واقع عليهم [1].

٥٨ - واذكروا يابنى اسرائيل حين قلنا لكم ادخلوا المدينة الكبيرة التى ذكرها لكم موسى نبيكم، فكلوا مما فيها كما تشاءون، كثيرا واسعا، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع من الباب الذى سماه لكم نبيكم، واسألوا الله عند ذلك أن يغفر لكم خطاياكم، فمن يفعل ذلك باخلاص نغفر له خطاياه، ومن كان محسنا مطيعا زدناه ثوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة.

٥٩ - ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم، فقالوا غير ما أمرهم بقوله، استهزاء وتمردا، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم.

٦٠ - واذكروا يابنى اسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش فى التيه، رحمناكم وقلنا لموسى: اضرب بعصاك الحجر فانفجر الماء من اثنتى عشرة عينا فصار لكل جماعة عين وكانوا اثنتى عشرة جماعة فعرفت كل قبيلة مكان شربها، وقلنا لكم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه، ولاتسرفوا فى الافساد فى الأرض بل امتنعوا عن المعاصى.

---

(١) فى قوله تعالى «وأنزلنا عليكم المن والسلوى» ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهي ان المواد البروتينية التى تكون من أصل حيوانى كلحوم الحيوانات والطيور، ومنها السمان (السلوى) أفضل فى تغذية الإنسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوى واستفادة الجسم كما أن المن أساسه مواد سكرية تعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان.

بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ

---

٦١ - واذكروا أيها اليهود أيضا يوم سيطر البطر على اسلافكم. ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى: اننا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كى يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقولها وقثائها وعدسها وثومها وبصلها، فتعجب موسى من ذلك، وانكره عليهم فقال لهم: أتفضلون هذه الاصناف على ما هو أفضل وأحسن، وهو المن والسلوى.. فانزلوا اذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فانكم ستجدون فيها ماتريدون وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقر والخنوع واستحقوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان، وماجروا عليه من الكفر بآيات الله وبقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر وقد جرأهم على ذلك الكفر وهذا القتل، ماركب فى نفوسهم من التمرد والعدوان ومجاوزة الحد فى المعاصى.

٦٢ - ان الذين آمنو بالأنبياء من قبل، واليهود والنصارى، ومن يقدسون الكواكب والملائكة. ومن آمن برسالة محمد بعد بعثته، ووحد الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة، وعمل الأعمال الصالحة فى دنياه فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم، ولايلحقهم خوف من عقاب. ولاينالهم حزن على فوات ثواب، والله لايضيع أجر من أحسن عملا.

٦٣ - اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطور، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من هدى وارشاد بجد واجتهاد، واذكروا مافيه ذكر من يستجيب له ويعمل به كى تصونوا بذلك أنفسكم من العقاب.

٦٤ - ثم انكم أعرضتم بعد ذلك كله، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخيره العذاب عنكم لكنتم من الضالين الهالكين.

كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

---

٦٥ ـ وأنتم بلاريب قدعرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم فى يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه مع أنه يوم راحة وعيد ، والعمل محرم فيه ، فسخ الله قلوب المخالفين ، وصاروا كالقردة فى نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبعدين من رحمة الله ، مطرودين كالكلاب ينفر الناس من مجالستهم ويشمئزون من مخالطتهم .

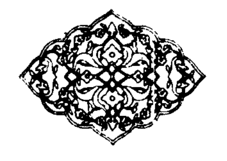
٦٦ ـ وقد جعل الله هذه الحال التى آلوا اليها عبرة وتحذيرا لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم جعلها عبرة لمعاصريهم ومن يأتى بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

٦٧ ـ واذكر حين قال موسى لقومه وقد قتل فيهم قتيل لم يعرفوا قاتله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحا لمعرفة القاتل ، ولكنهم استغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين : أتسخر منا ياموسى ، فرد عليهم قائلا : انى أعتصم بتأديب الله لى أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده .

٦٨ ـ هنا قالوا لموسى مترددين فى أمر البقرة ، اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة فقال لهم : ان الله أخبرنى بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة ، بل هى وسط بين الكبر والصغر ، فنفذوا ما أمركم الله به .

٦٩ ـ ولكنهم استمروا فى ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة ، فأجابهم موسى : بأن الله يقول : انها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تعجب الناظر اليها لصفاء لونها ووضوحه .

٧٠ ـ ثم لجوا فى أسئلتهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة ، لأن البقر تشابه علينا ، وسنهتدى اليها بمشيئة الله .



لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ

---

٧١ - فقال لهم : ان الله يقول انها بقرة لم تذلل بالعمل فى حرث الأرض وقلبها للزراعة ، ولا فى سقى الأرض المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبات وهى بريئة من العيوب سالمة من الآفات لا لون فيها يخالف سائر جسدها فقالوا له الآن جئت بالبيان الواضح ، وبحثوا عن البقرة المتصفة بهذه الأوصاف فذبحوها وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لكثرة أسئلتهم وطول لجاجهم .

٧٢ - اذكروا يوم قتلتم نفساً وتخاصمتم وتدافعتم الجريمة ، فاتهم بعضكم بعضاً بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو كاشفها ومظهرها مع كتمانكم لها .

٧٣ - فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة ، ففعلتم فأحيا الله القتيل وذكر اسم قاتله ، ثم سقط ميتاً وكانت معجزة من الله لموسى[1] .

لأن الله قادر على كل شىء ، وبقدرته هذه يحيى الموتى يوم القيامة . ويريكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها وتعتبرون بها .

٧٤ - ثم انكم بعد هذه الآيات كلها لم تستجيبوا ولم تستقيموا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع ، بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها ، بل انها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثيرة فتجرى أنهاراً ، وهناك أحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيوناً فوارة ومنها ما يتأثر بقدرة الله وينقاد لمشيئته فيتردى من أعلى الجبال انقياداً لما أراده الله تعالى به ، أما قلوبكم أيها اليهود فإنها لا تتأثر ولا تلين ولكم الويل على ذلك ، فالله ليس بغافل عن أعمالكم وهو سيؤدبكم بألوان النقم ، اذا لم تشكروا أنواع النعم . .

---

(١) ذكر بعض الكتاب فى عصرنا الحاضر ، وهو المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ان قوله تعالى : « اضربوه ببعضها » المراد به بعض أجزاء القتيل ، والمراد باحيائها القصاص له ، لأن الضرب ببعض أجزاء المقتول يحمل القاتل على الاعتراف ، وكثيرا ماتكون رؤية القتيل باعثة على الاعتراف ، وتكون هذه القصة منفصلة عن الامر بالذبح وأمر الله تعالى بالذبح ، وأن أمر الله تعالى لهم بأن يذبحوا بقرة كان ليأكلوها ، وفى ذلك تربية نفسية لهم ، لانهم كانوا مع المصريين الذين يقدسون البقر ، وكانت فيهم بقية من هذا التقديس بدليل أنهم عبدوا تمثال العجل من بعد ذلك . فكان لابد لاقتلاع هذه البقية من نفوسهم بتكليفهم ذبح البقرة ، فكان لذلك الأمر بالذبح ، وكان لذلك المجادلة والتلكؤ منهم فذبحوها وماكادوا يقومون بالذبح .

مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ

---

٧٥ - ما كان ينبغى لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا فى أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقد اجتمعت فى مختلف فرقهم أشتات الرذائل التى تباعد بينهم وبين الايمان بالحق . فقد كان فريق منهم (وهم الأحبار) يسمعون كلام الله فى التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون أنه الحق ، وأن كتب الله المنزلة لا يجوز تغييرها .

٧٦ - وكان فريق من منافقيهم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمداً هو النبى الذى جاء وصفه فى التوراة ، واذا خلا بعضهم الى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم ، اذ تنزلق ألسنتهم فى أثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولا يستدعيها الخداع فيذكرون لهم ما ورد فى التوراة من أوصاف محمد ويعطونهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة .

٧٧ - وهل غاب عن هؤلاء وأولئك ان الله ليس فى حاجة الى مثل هذه الحجة لأنه يعلم ما يخفون وما يبدون .

٧٨ - ومن اليهود فريق جهلة أميون لا يعرفون عن التوراة إلا أكاذيب تتفق مع أمانيهم ، لفقها لهم أحبارهم وألقوا فى ظنهم أنها حقائق من الكتاب .

٧٩ - فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأحبار الذين يكتبون كتباً بأيديهم ثم يقولون للأميين هذه هى التوراة التى جاءت من عند الله ، ليصلوا من وراء ذلك الى غرض تافه من أغراض الدنيا فيشتروا هذا التافه بثمن هو الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما تقولوه على الله ، وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .



عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ

---

٨٠ - ومن اختلاقاتهم هذه ما يتلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهودياً مهما ارتكب من المعاصى الا أياماً معدودة . فقل لهم يا محمد ، هل تعاهدتم مع الله على ذلك ، فاطمأننتم لأن الله لا يخلف عهده ، أم أنكم تفترون الكذب عليه ؟

٨١ - الحق أنكم تفترون الكذب على الله . فحكم الله العام نافذ فى خلقه جميعاً لا فرق بين يهودى وغير يهودى ، لأن من ارتكب سيئة وأحاطت به آثامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

٨٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة لأنهم آمنوا وأدوا ما يفرضه عليهم ايمانهم من صالح الأعمال ، فهم فيها خالدون .

٨٣ - وأن لكم معشر اليهود بجانب هذا كله ماضياً حافلاً بالاثم ونقض المواثيق ، وتعدى ما وضعه الله لكم من حدود ، فلتذكروا اذ أخذنا عليكم فى التوراة ميثاقاً ألا تعبدوا الا الله ، وأن تحسنوا الى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ، وتستخدموا فى حديثكم مع الناس القول الطيب الذى يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفرهم منكم ، وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة ، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق اذ نقضتموه وأعرضتم عنه الا قليلا منكم ممن أذعن للحق .

٨٤ ـ واذ أخذنا ميثاقاً عليكم فى التوراة الا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ، وهو ميثاق تقرون أنه فى كتابكم وتشهدون على صحته .

ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ

٨٥ - وهأنتم أولاء يقتل بعضكم بعضاً ، ويخرج فريق منكم آخر من ديارهم متعاونين فى ذلك عليهم مع غيركم بالاثم والعدوان ، ثم ان وقع فريق منكم أسرى لدى من يتعاونون معهم تعملون على انقاذهم من الأسر بافتدائهم ، وان سئلتم عما حملكم على افتدائهم قلتم لأن أسفارنا أمرتنا أن نفدى أسرانا من اليهود أولم تأمركم أسفاركم كذلك ألا تسفكوا دماء اخوانكم ، وألا تخرجوهم من ديارهم ؟ افتذعنون لبعض ما جاء فى الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردهم الله المطلع على أعمالهم وسرائرهم الى أشد العذاب [١] .

٨٦ - وذلك لأنهم قد آثروا أعراض الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم ، وكانوا بهذا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فلن يخفف عنهم عذاب جهنم ، ولن يجدوا من ينقذهم منه .

٨٧ - ولتذكروا كذلك معشر اليهود مواقفكم الضالة الآثمة حيال موسى ومن بعثناه من بعده اليكم من المرسلين . فلقد ارسلنا اليكم موسى وآتيناه التوراة وبعثنا اليكم على آثاره عدة رسل ، منهم ، عيسى ابن مريم الذى امددناه بالمعجزات وايدناه بروح القدس وهو جبريل رسول الوحى الأمين ، فكنتم كلما جاءكم رسول من هؤلاء بما لا تهوى أنفسكم تستكبرون عن اتباعه ، ففريق كذبتموه وفريق آخر قتلتموه .

٨٨ - وكذلك كان موقفكم حيال رسولنا محمد خاتم النبيين . فلقد قلتم له حينما دعاكم إلى الاسلام : ان قلوبنا مغطاة بأغشية لا تنفذ اليها دعوتك فلا نكاد نفقه شيئاً مما تقول ولم تكن قلوبهم كما يزعمون ، ولكنهم استكبروا وآثروا الضلالة على الهدى ، فلعنهم الله بكفرهم وأوهن يقينهم وأضعف إيمانهم .

---

(١) كان بالمدينة قبل الاسلام قبيلتان عربيتان متعاديتان : هما الاوس والخزرج ، وطائفتان من اليهود هما : بنو قريظة وبنو النضير ، وكان بنو قريظة حلفاء للاوس وكان بنو النضير حلفاء للخزرج ، وكان اذا اقتتلت القبيلتان العربيتان انضم الى كل قبيلة حلفاؤها من اليهود واشتركوا معها فى قتال القبيلة الاخرى وقتال من انضم اليها من اخوانهم فى الدين ولم يدخروا جهدا فى سفك دمائهم والعمل على اخراجهم من ديارهم ، ولكن كلا من الطائفتين من اليهود كانت تعمل على افتداء من كان يقع فى أيدى حليفتها من أسرى الطائفة الأخرى فاذا سئلوا : كيف تفدونهم وقد كانوا يقاتلون مع اعدائكم ؟ قالوا : لأن الله أمرنا فى التوراة أن نفدى أسرى اليهود ، ويتجاهلون ان الله أمرهم كذلك فى التوراة الا يسفك بعضهم دماء بعض ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ * وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

---

٨٩ - ولما جاءهم رسولنا بالقرآن وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة ، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما فى هذا الكتاب ، كفروا به عناداً وحسداً لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبهم بنى اسرائيل مع أنهم كانوا من قبل إذا اشتبكوا مع المشركين فى صراع حربى أو جدلى ذكروا أن الله سينصرهم بارسال خاتم النبيين الذى بشر به كتابهم ، والذى تتفق صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد . . ألا لعنة الله على أمثالهم من المعاندين الجاحدين .

٩٠ - ولبئس ما باعوا به أنفسهم بغياً وعدواناً ، اذ مالوا مع أهوائهم وتعصبهم لشعبهم فكفروا بما أنزلنا ، ناقين على غيرهم أن خصهم الله دونهم بارسال رسول منهم منكرين على الله أن يكون له مطلق الخيرة فى أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب لكفرهم وعنادهم وحسدهم ، ولمثلهم من الكافرين عذاب مذل يؤلم .

٩١ - هذا هو ما كانت تنطوى عليه نفوسهم ، ولكنهم كانوا يبررون أمام الخلق عدم ايمانهم بالقرآن حينما يطلب اليهم الايمان بأنهم لا يؤمنون الا بما أنزل عليهم هم ويكفرون بغيره ولقد كذبوا فيما يدعون من إيمانهم بما أنزل عليهم من توراة لأن كفرهم بهذا الكتاب المصدق لما فى كتابهم هو كفر بكتابهم نفسه ، ولأنهم قد قتلوا الأنبياء الذين دعوا الى ما أنزل عليهم وقتلهم لهؤلاء أقطع دليل على عدم ايمانهم برسالتهم .

٩٢ - بل لقد كفرتم أيها اليهود كفراً صريحاً بكتبكم ، ورجعتم الى الشرك فى عهد موسى نفسه فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه لكنه لم يلبث أن تغيب لمناجاة ربه حتى عبدتم العجل ورجعتم الى سابق وثنيتكم وأنتم ظالمون مبطلون .

ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ

٩٣ - وحينما جاءكم بالتوراة، ورأيتم ما فيها من تكاليف شاقة، فاستثقلتم أعباءها وارتبتم فيها، أراكم الله آية على صدق هذا الكتاب وفائدة تعاليمه لكم، فرفع جبل الطور فوق رءوسكم حتى صار كأنه ظلة وظننتم أنه واقع بكم، وحينئذ أعلنتم القبول والطاعة. فأخذنا عليكم ميثاقاً ألا يأخذكم هوى فى الامتثال لما جاء فى هذا الكتاب، فقلتم: آمنا وسمعنا، ولكن أعمالكم تكشف عن عصيانكم وتمردكم، وأن الايمان لم يخالط قلوبكم، ولا يمكن أن يكون الايمان قد خالط قلوب قوم شغفوا حباً بعبادة العجل فلبئس ما اليه ايمانكم الذى تزعمون.

٩٤ - ولقد زعمتم أن الله سيخصكم من بين سائر الناس بنعيم الجنة بعد المات، فان كنتم مؤمنين حقاً بما تقولون فليكن الموت محبباً اليكم، ولتتمنوه حتى لا يبطىء عنكم هذا النعيم الذى تدعون

٩٥ - ولكنهم فى الواقع لا يرغبون فى الموت أبداً لما اقترفوا من ظلم لا يخفى أمره على الله، ويعلمهم أنهم كاذبون فيما يدعون، وأن النعيم يوم القيامة للمتقين لا للفجار أمثالهم.

٩٦ - بل انك لتجدنهم أحرص الناس جميعاً على حياتهم على أى شكل عزيزة أو ذليلة، وحرصهم أكثر من حرص المشركين الذين لا يؤمنون ببعث ولا جنة، ولذلك يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ولن يبعد عنه تعميره مهما طال ما ينتظر من عذاب الله انه عليم بالظالمين وسيذيقهم جزاء ما اقترفوه.

٩٧ - ولقد زعم بعضهم أنهم يعادونك ويكفرون بكتابك لأنهم اعداء لجبريل الذى يبلغك هذا الكتاب فقل أيها النبى لهم: من كان عدواً لجبريل فهو عدو لله، لأن جبريل ما يجىء بهذا الكتاب من عنده وانما ينزله بأمر الله مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية.. ومصدقاً لكتابهم نفسه.. وهدى وبشرى للمؤمنين.

٩٨ - فمن كان عدواً لجبريل أو ميكائيل أو لأى ملك أو رسول من ملائكة الله ورسله الذين لا يفعلون ولا يبلغون الا ما يأمرهم به الله، فانه بذلك يكون عدواً لله وكافراً به، والله عدو الكافرين.

إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

٩٩ - وما ينزل جبريل على قلبك الا بآيات بينات لا يسع طالباً للحق الا الايمان بها ، وما يكفر بمثلها الا المعاندون الخارجون عن سنة الفطرة .

١٠٠ - وكما تذبذبوا فى العقيدة والإيمان ، تذبذبوا كذلك فيما يبرمونه من عهود : فكانوا كلما عاهدوا المسلمين وغيرهم عهداً نبذه فريق منهم . لأن معظمهم لا يؤمن بحرمة عهد ولا بقداسة ميثاق .

١٠١ - ولما جاءهم رسول من عند الله مطابقة أوصافه لما فى أسفارهم وهو محمد عليه السلام ، نبذ فريق منهم ما ذكر فى كتبهم عن هذا الرسول ، كأنه لم يرد فيها ولم يعلموا شيئاً عنه .

١٠٢ - ولقد صدّقوا ما تتقوله شياطينهم وفجرتهم على ملك سليمان ، اذ زعموا أن سليمان لم يكن نبياً ولا رسولاً ينزل عليه الوحى من الله ، بل كان مجرد ساحر يستمد العون من سحره ، وان سحره هذا هو الذى وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطير والرياح فنسبوا بذلك الكفر لسليمان وما كفر سليمان ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا ، اذ تقولوا عليه هذه الأقاويل ، وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم ومن آثار ما أنزل ببابل على الملكين هاروت وماروت مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حتى يقولا له انما نعلمك ما يؤدى الى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره وتوق العمل به . ولكن الناس لم ينتصحوا بهذه النصيحة ، فاستخدموا مما تعلموه منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . نعم كفر هؤلاء الشياطين الفجرة اذ تقولوا هذه الأقاويل من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر وما هم بضارين بسحرهم هذا من أحد ، ولكن الله هو الذى يأذن بالضرر ان شاء ، وأن ما يؤخذ عنهم من سحر لينضر من تعلمه فى دينه ودنياه ولا يفيده شيئاً ، وهم أنفسهم يعلمون حق العلم أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ فى نعيم الآخرة ، ولبئس ما اختاروه لأنفسهم لو كانت بهم بقية من علم .

١٠٣ - ولو أنهم آمنوا بالحق وخافوا مقام ربهم لأثابهم الله ثواباً حسناً . ولكان ذلك خيراً مما يلقونه من أساطير ويضمرونه من خبث لو كانوا يميزون النافع من الضار .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ

١٠٤ - يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم من هؤلاء اليهود فلا تقولوا للرسول حينما يتلو عليكم الوحي : (راعنا : قاصدين أن يجعلكم موضع رعايته ، ويتمهل عليكم فى تلاوته حتى تعوه وتحفظوه ، لأن خبثاء اليهود يتظاهرون بمحاكاتكم فى ذلك ، ويلوون ألسنتهم بهذه الكلمة حتى تصير مطابقة لكلمة سباب يعرفونها ويوجهونها للرسول ليسخروا منه فيما بينهم ، ولكن استخدموا كلمة أخرى لا يجد اليهود فيها مجالاً لخبثهم وسخريتهم ، فقولوا : (أنظرنا) وأحسنوا الاصغاء الى ما يتلوه عليكم الرسول . وان الله ليدخر يوم القيامة عذاباً أليماً لهؤلاء المستهزئين بالرسول .

١٠٥ - ولتعلموا أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين من عبدة الأصنام لا يرجون الا ضرركم ولا يودون أن ينزل عليكم خير من ربكم . والله لا يقيم وزناً لما يرجون وما يكرهون فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

١٠٦ - ولقد طلبوا منك يا محمد أن تأتيهم بالمعجزات التى جاءهم بها موسى وأنبياء بنى اسرائيل ، وحسبنا أننا أيدناك بالقرآن . وأننا اذا تركنا تأييد نبى متأخر بمعجزة كانت لنبى سابق ، أو أنسينا الناس أثر هذه المعجزة فاننا نأتى على يديه بخير منها أو مثلها فى الدلالة على صدقه . فالله على كل شىء قدير .

١٠٧ - وهو الذى بيده ملكوت السموات والأرض . وليس لكم أيها الناس من دونه ولى يعينكم ولا سند ينصركم .

١٠٨ - لعلكم تريدون باقتراحكم معجزات معينة على رسولكم محمد ، أن تحاكوا بنى اسرائيل المعاصرين لموسى ، اذ طلبوا اليه معجزات خاصة ، ان اقتراحكم هذا ليخفى وراءه العناد والجنوح الى الكفر ، كما كان يخفى ذلك اقتراح بنى اسرائيل على رسولهم ومن يؤثر العناد والكفر على الاخلاص للحق والايمان ، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم .

لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

---

١٠٩ - ولقد تمنى كثير من اليهود أن يردوكم - أيها المسلمون - الى الكفر بعد ايمانكم، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق. وما ذلك الا لأنهم يحسدونكم ويخشون أن ينتقل اليكم السلطان ويفلت من أيديهم فاعرضوا عنهم، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم فهو القادر على أن يمكنكم منهم، وهو على شيء قدير.

١١٠ - وحافظوا على شعار دينكم، فأقيموا الصلاة، واعطوا الزكاة، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدقة تجدوا ثوابها عند الله ان الله بما تعملون عليم، علم من يبصر ويرى.

١١١ - ومن أباطيل اليهود والنصارى وأمانيهم الكاذبة، ما يزعمه كل منهم من أن الجنة لن يدخلها الا من كان على دينه. فلتطلبوا اليهم أن يأتوا ببرهان على ذلك ان كانوا صادقين.

١١٢ - ولن يجدوا على ذلك برهاناً. فالحق ان الذين يدخر لهم الله تعالى نعيم الجنة ويثيبهم يوم القيامة ويقيهم الخوف والحزن هم الذين يخلصون لله ويتبعون الحق، ويحسنون ما يؤدونه من أعمال.

١١٣ - ومن عجب أنهم كما يعادون الاسلام يعادى بعضهم بعضاً، فيقول اليهود: ليست النصارى على شيء من الحق، ويقول النصارى فى اليهود مثل ذلك، وكلاهما يستدل بأسفاره، ويقول المشركون من العرب الذين لا يعلمون شيئاً عن الكتب المنزلة فى اليهود والنصارى معاً ما يقوله كلاهما فى الآخر ولقد صدقوا جميعاً فى ذلك. فليس منهم فريق على حق، وسيتبين ذلك حينما يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

---

١١٤ - ومن مظاهر عدائهم لبعض، وعدائهم للمسلمين، أن بعض طوائفهم خربت معابد الطوائف الأخرى، وأن المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام، وليس ثمة أحد أشد ظلماً ممن يحول دون ذكر الله فى أماكن العبادة ويسعى فى خرابها، فأولئك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم. وما كان لهم أن يقترفوا مثل هذا الجرم الخطير، وإنما كان ينبغى أن يحفظوا للمعابد حرمتها، فلا يدخلوها الا خاشعين، ولا يمنعوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله.

١١٥ - واذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصلاة فى المسجد الحرام. فلن يمنعهم هذا من الصلاة وعبادة الله، فجميع الجهات وجميع البقاع فى الأرض لله، وأن الله ليتقبل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أيًّا كانت البقعة التى يؤدى فيها عبادته، فالله واسع لا يضيق على عباده، وهو عليم بنية من يتجه اليه.

١١٦ - ومن كان هذا شأنه، وكان جميع ما فى الكون مسخراً لأمره، خاضعاً لمشيئته، فهو أرفع وأجل من أن يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً كما يقول هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون.

١١٧ - وكيف يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً من أبدع السموات والأرض وأذعن كل ما فيها لارادته فلا يستعصى شىء عليه، واذا أراد أمراً فانما يقول له: كن، فيكون؟.

١١٨ - هذا ويمعن المشركون من العرب فى عنادهم لمحمد، فيطلبون اليه مثل ما طلبته الأمم السابقة من أنبيائهم، فقد قالوا: أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا كلمهم الله وجاءتهم آية حسية تدل على صدقه، كما قال بنو اسرائيل لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله ويكلمنا، وكما طلب أصحاب عيسى اليه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وما ذلك الا لأن قلوب الكفار والمعاندين فى كل أمة متشابهة، وأنه لا يستبين الحق الا من صفت بصائرهم وأذعنت عقولهم لليقين، وطلبت الحق.

إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

---

١١٩ - وقد ارسلناك بحقائق يقينية بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، وليس عليك الا تبليغ رسالتنا ، ولن تسأل عن عدم ايمان من لم يؤمن بك من أصحاب الجحيم .

١٢٠ - فلا ترهق نفسك فى استرضاء المعاندين من اليهود والنصارى ، فان هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم التى يزعمون أنها الهدى ، وليس ثمة هدى الا هدى الله فى الاسلام ، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما أنزلناه اليك من الحق ، فلن يكون له يوم القيامة من دون الله ولى يعينه ، ولا نصير يدفع عنه العذاب .

١٢١ - غير أن ثمة فريقاً من اليهود والنصارى قد تفقهوا فى أسفارهم الأصيلة ، وتلوها حق التلاوة ، وفطنوا الى ما دخلها من تحريف ، فأولئك يؤمنون بحقائقها ويؤمنون تبعاً لذلك بالقرآن ، ومن يكفر بكتاب منزل فأولئك هم الخاسرون .

١٢٢ - يا بنى اسرائيل آمنوا ، واذكروا نعمتى العظيمة التى أنعمت بها عليكم باخراجكم من ظلم فرعون واغراقه ، واعطائكم المن والسلوى وبعث الأنبياء فيكم وتعليمكم الكتاب وغير ذلك مما شرفتكم به ، وأنى فضلتكم وقتاً من الزمان على الناس فى جعل مصدر النبوات منكم .

١٢٣ - وخافوا عقاب الله فى يوم لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها فداء ، ولا تنفعها شفاعة ، ولا يجد فيه الكافرون نصيراً لهم من دون الله .

١٢٤ - واذكروا اذ ابتلى الله جدكم ابراهيم بتكاليف فقام بها على أتم وجه ، فقال له : انى جاعلك للناس اماماً ، يتبعونك ويقتدون بك ، فطلب ابراهيم من ربه أن يجعل من ذريته أئمة كذلك ، فأجابه بأن هذا لن يصل اليه منهم الظالمون ، وأشار أنه سيكون من ذريته الأبرار والفجار .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ

---

١٢٥ - واذكروا كذلك قصة بناء ابراهيم مع ابنه اسماعيل لبيت الله الحرام بمكة . وفى هذه القصة عظة بالغة لمن كان له قلب سليم ، فلتذكروا اذ جعلنا هذا البيت ملاذاً للخلق ومأمناً لكل من يلجأ اليه ، واذ أمرنا الناس بأن يتخذوا من موضع قيام ابراهيم لبناء الكعبة مكاناً يصلون فيه ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن يصونا البيت مما لا يليق بحرمته ، وأن يهيئاه تهيئة صالحة لمن يؤمه من الطائفين والمعتكفين والمصلين .

١٢٦ - واذكروا اذ طلب ابراهيم الى ربه أن يجعل البلد الذى سينشأ حول البيت بلداً آمناً ، وأن يرزق من ثمرات الأرض وخيراتها من آمن من أهله بالله واليوم الآخر ، فأجابه الله بأنه لن يضن على الكافر نفسه بالرزق فى أثناء حياته القصيرة ، ثم يلجئه يوم القيامة الى عذاب جهنم . ولبئس المصير .. مصير هؤلاء .

١٢٧ - واذ يرفع ابراهيم هو وابنه اسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله : ربنا يا خالقنا وبارئنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك ، فأنت السميع لدعائنا العليم بصدق نياتنا (١) .

١٢٨ - ربنا وفقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريتنا جماعة مخلصة لك ، وعلمنا طريقة عبادتنا لك فى بيتك الحرام وما حوله ، وتب علينا ان نسينا أو أخطأنا إنك أنت كثير القبول لتوبة عبادك ، الغافر لهم بفضلك ورحمتك .

١٢٩ - ربنا وابعث فى ذريتنا رسولاً منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلمهم ما يوحى اليه به من كتاب وعلم نافع وشريعة محكمة ، ويطهرهم من ذميم الأخلاق ، إنك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تفعل وما تأمر به وما تنهى عنه .

---

(١) الكعبة بيت الله الحرام بمكة أقدم الأماكن المقدسة وكان العرب يحجون اليها قبل الاسلام منذ عهد ابراهيم ، والمتواتر فى أمر البيت ان ابراهيم واسماعيل هما أول من رفع قواعده وقيل ان أول بناء بنته الملائكة من احجار الجنة عند هبوط آدم الى الارض وظلت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جددها قصى بن كلاب الجد الخامس للنبى العربى محمد ﷺ ثم جددت بعد ذلك فى العصور الاسلامية غير مرة وكان آخرها البناء الذى حدث سنة ١٠٤٠ هجرية الموافق ١٦٣٠ ميلادية وهو الذى يطوف به المسلمون الآن .

فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

---

١٣٠ - ولنعم ما فعله ابراهيم وما دعا الله به ، وما اتبعه من ملة قويمة ، وأنه لا يعرض عن ملة ابراهيم الا من امتهن انسانيته وعقله . ولقد اصطفاه الله فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين المقربين .

١٣١ - ولقد استجاب لأمر ربه حينما طلب الله اليه أن يذعن فقال : أذعنت لرب العالمين جميعاً من جن وانس وملائكة .

١٣٢ - ولم يكتف بذلك بل أوصى بنيه بأن يسيروا على هديه ، وحاكاه حفيده يعقوب : فأوصى هو الآخر بنيه كذلك أن يتبعوا هذه السنن ، وبين لأبنائه أن الله اصطفى لهم دين التوحيد وأخذ عليهم العهد الا يموتوا الا وهم مسلمون ثابتون على هذا الدين .

١٣٣ - ولقد زعمتم أيها اليهود أنكم تسيرون على الدين الذى مات عليه يعقوب ، فهل كنتم شهداء اذ حضره الموت فعرفتم الملة التى مات عليها ؟ الا فلتعلموا أن يعقوب وأبناءه كانوا مسلمين موحدين ولم يكونوا يهوداً مثلكم ولا نصارى ، وأن يعقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأجابوا : نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له خاضعون .

١٣٤ - ثم ما لكم أيها اليهود والجدل فى هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ثم لهم وحدهم ما كسبوا فى حياتهم ، فلن تسألوا عن أعمالهم ، ولن يفيدكم شىء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٣٥ - ولكنهم لا ينفكون . يمعنون فى لجاجهم ويزعم كل فريق منهم أن ملته هى الملة المثلى ، فيقول لكم اليهود ، كونوا يهوداً تهتدوا إلى الطريق القويم ، ويقول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا الى الحق المستقيم ، فلتردوا عليهم بأننا لا نتبع هذه الملة ولا تلك ، لأن كلتيهما قد حرفت وخرجت عن أصولها الصحيحة ، ومازجها الشرك ، وبعدت عن ملة ابراهيم ، وإنما نتبع الاسلام الذى أحيا ملة ابراهيم نقية طاهرة .

قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ

---

١٣٦ - قولوا لهم : آمنا بالله وما أنزل الينا فى القرآن ، وآمنا كذلك بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب وبنيه الأسباط ، وبالتوارة التى أنزلها الله على موسى غير محرفة ، والانجيل الذى انزله الله على عيسى غير محرف ، وبما أوتى جميع النبيين من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض ، ونحن فى هذا كله مذعنون لأمر الله .

١٣٧ - فان آمنوا ايماناً مطابقاً لإيمانكم فقد اهتدوا ، وان تمادوا فى عنادهم واعراصهم فانما هم فى نزاع مستمر وخلاف معكم ، وسيكفيكم الله أمرهم يأيها النبى ، ويريحك من لجاجهم وشقاقهم ، فهو السميع لما يقولون ، العليم بما عليه صدورهم .

١٣٨ - قولوا لهم : ان الله قد هدانا بهدايته ، وأرشدنا الى حجته ، ومن أحسن من الله هداية وحجة ، واننا لا نخضع الا لله ، ولا نتبع الا ما هدانا وأرشدنا اليه .

١٣٩ - قولوا لهم : اتجادلوننا فى الله زاعمين أنه لا يصطفى أنبياء الا منكم ؟ وهو ربكم ورب كل شىء ، لا يختص به قوم دون قوم ، يصيب برحمته من يشاء ، ويجزى كل قوم بأعمالهم ، غير ناظر إلى أنسابهم ، ولا أحسابهم وقد هدانا الطريق المستقيم فى أعمالنا ، ورزقنا صفة الاخلاص له .

١٤٠ - قولوا لهم : اتجادلوننا فى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأبنائه الأسباط ، زاعمين أنهم كانوا يهوداً أو نصارى مثلكم ، مع أننا ما أنزلنا التوراة والإنجيل اللذين قامت عليها اليهودية والنصرانية الا من بعد هؤلاء ، وقد أخبرنا الله بذلك ، أفأنتم أعلم أم الله ، بل إن الله قد أخبركم أنتم بذلك فى أسفاركم ، فلا تكتموا الحق المدون فى أسفاركم هذه ، ومن أظلم ممن كتم حقيقة يعلمها من كتابه ، وسيجازيكم الله على ما تلجون فيه من باطل ، فما الله بغافل عما تعملون [١] .

---

(١) تعاقب القوانين الوضعية فى مختلف الدول على شهادة الزور وهى قول غير الحق ويعاقب عليها القرآن أيضا ولكن هذه الآية تجعل مجرد كتمان الشهادة إثما وظلما وهى جريمة ليس لها حد أى عقوبة معينة فى الشريعة الاسلامية والعقاب عليها متروك لولى الأمر فهى داخلة فى باب التعزير .

وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ

١٤١ - ثم ما لكم أيها اليهود والنصارى والجدل فى هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ، لهم ما كسبوا فى حياتهم ، ولن تسألوا عن أعمالهم ولن يفيدكم شىء منها ، ولن يكون لكم إلا ماكسبتم أنتم من أعمال .

١٤٢ - إن ضعاف العقول الذين أضلتهم أهواؤهم عن التفكر والتدبر من اليهود والمشركين والمنافقين ، سينكرون على المؤمنين تحولهم من قبلة بيت المقدس التى كانوا يصلون متجهين اليها ويعتقدون أنها أحق الى قبلة أخرى وهى الكعبة فقل لهم أيها النبى : إن الجهات كلها لله ، لا فضل لجهة على أخرى بذاتها ، بل الله هو الذى يختار منها ما يشاء ليكون قبلة للصلاة ، وهو يهدى بمشيئته كل أمة من الأمم الى طريق قويم يختاره لها ويخصها به ، وقد جاءت الرسالة المحمدية فنسخت ما قبلها من الرسائل ، وصارت القبلة الحقة هى الكعبة (١)

١٤٣ - وبهذه المشيئة هديناكم الى الطريق الأقوم وجعلناكم أمة عدولاً خياراً بما وفقناكم اليه من الدين الصحيح والعمل الصالح لتكونوا مقررى الحق بالنسبة للشرائع السابقة ، وليكون الرسول مهيمناً عليكم ، يسددكم بارشاده فى حياته ، وبنهجه وسنته بعد وفاته ، وأما قبلة بيت المقدس التى شرعناها لك حيناً من الدهر فانما جعلناها امتحاناً للمسلمين ليتميز من يذعن فيقبلها عن طواعية ، ومن يغلب عليه هوى تعصبه العربى لتراث إبراهيم فيعصى أمر الله ويضل عن سواء السبيل . ولقد كان الأمر بالتوجه الى بيت المقدس من الأمور الشاقة الا على من وفقه الله بهدايته ، وكان امتثال هذا الأمر من أركان الايمان ، فمن استقبل بيت المقدس حين الأمر باستقباله فلن يضيع عليه ايمانه وعبادته رأفة من الله ورحمة .

---

(١) كان تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة على رأس نحو سبعة عشر شهرا من مقدم النبى ﷺ الى المدينة .

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟

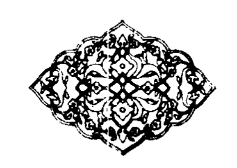
---

١٤٤ - ولقد رأينا كيف كنت تتطلع الى السماء عسى أن ينزل الوحى بتغيير قبلة بيت المقدس الى الكعبة التى تحبها لأنها قبلة ابراهيم ابى الأنبياء ، وأبى اليهود والعرب ، وبها مقام إبراهيم ، فهي لذلك القبلة الجامعة وإن كانت تخالف قبلة اليهود ، فهانحن أولاء نؤتيك سؤلك فاستقبل فى صلاتك المسجد الحرام ، واستقبلوه كذلك أيها المؤمنون فى أى مكان تكونون . وأن أهل الكتاب الذين ينكرون عليكم التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا فى كتبهم أنكم أهل الكعبة ، وعلموا أن أمر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة ، وأن هذا هو الحق من ربهم ، ولكنهم يريدون فتنتكم وتشكيككم فى دينكم ، والله ليس غافلاً عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

١٤٥ - وما كان انكار أهل الكتاب عليكم لشبهة تزيلها الحجة ، بل هو انكار عناد ومكابرة فلئن جئتهم أيها الرسول بكل حجة قطعية على أن قبلتك هى الحق ما تبعوا قبلتك ، واذا كان اليهود منهم يطمعون فى رجوعك الى قبلتهم ويعلقون اسلامهم على ذلك فقد خاب رجاؤهم وما أنت بتابع قبلتهم ، وأهل الكتاب أنفسهم يتمسك كل فريق منهم بقبلته : فلا النصارى يتبعون قبلة اليهود ولا اليهود يتبعون قبلة النصارى ، وكل فريق يعتقد أن الآخر ليس على حق ، فاثبت على قبلتك ولا تتبع أهواءهم ، فمن اتبع أهواءهم بعد العلم ببطلانها والعلم بأن ما عليه هو الحق فهو من الظالمين الراسخين فى الظلم .

١٤٦ - وأن أهل الكتاب ليعلمون أن التحويل الى القبلة حق ، ومسلمون انك النبى المنعوت فى كتبهم بنعوت من جملتها أنه يصلى الى الكعبة ومعرفتهم نبوتك وقبلتك كمعرفتهم أبناءهم فى الوضوح والجلاء ، ولكن بعضهم يخفون هذا الحق على علم اتباعاً لهواهم ، وتعصباً باطلاً لملتهم حفظاً على سلطانهم ، ويحاولون تضليلكم .

١٤٧ - وانما الحق هو ما صدر لك من الله تعالى لا ما يضلل به أهل الكتاب ، فكونوا على يقين منه ، ولا تكونوا من أهل الشك والتردد ، ومن ذلك الحق أمر القبلة فامضوا عليه ولا تبالوا المعارضين .

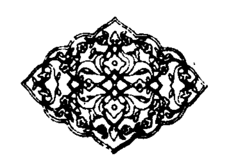


يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

١٤٨ ـ ان هذه القبلة التى حولناك اليها هى قبلتك وقبلة أمتك ، وكذلك لكل أمة قبلة تتجه اليها فى صلاتها حسب شريعتها السابقة وليس فى ذلك شىء من التفاضل ، وانما التفاضل فى فعل الطاعات وعمل الخيرات ، فسارعوا الى الخيرات وتنافسوا فيها ، وسيحاسبكم الله على ذلك فانه سيجمعكم يوم القيامة من أى موضع كنتم ، ولن يفلت منه أحد ، وبيده كل شىء بما فى ذلك الأماتة والاحياء والبعث والنشور .

١٤٩ ـ فاستقبل المسجد الحرام فى صلاتك من كل مكان كنت فيه ، سواء أكان ذلك فى حال اقامتك ام فى حال سفرك وخروجك من مكان اقامتك ، وإن هذا لهو الحق الموافق لحكمة ربك الرفيق بك ، فاحرص عليه أنت وأمتك ، فان الله سيجازيكم أحسن الجزاء والله عالم علما لايخفى عليه شىء من عملكم .

١٥٠ ـ والتزم أمر الله فى القبلة واحرص عليه أنت وأمتك ، فاجعل وجهك فى ناحية المسجد الحرام من كل مكان خرجت اليه فى أسفارك ، واستقبلوه حيثما كنتم من أقطار الأرض مسافرين أو مقيمين ، لينقطع ما يحاجكم به المخالفون ويجادلونكم به اذا لم تمتثلوا لأمر هذا التحويل ، فسيقول اليهود : كيف يصلى محمد الى بيت المقدس والنبى المنعوت فى كتبنا من أوصافه التحول الى الكعبة ؟ وسيقول المشركون العرب ، كيف يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته ؟ على أن الظالمين الزائغين عن الحق من الجانبين لن ينقطع جدالهم وضلالهم ، بل سيقولون : ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ، فلاتبالوا بهم فان مطاعنهم لاتضركم ، واخشونى فلا تخالفوا أمرى ، وقد اردنا بهذا الأمر أن نتم النعمة عليكم وأن تكون هذه القبلة التى وجهناكم اليها ادعى الى ثباتكم على الهداية والتوفيق .



ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ

---

١٥١ - وأن توجيهكم الى المسجد الحرام هو بارسالنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيات من اتمام نعمتنا عليكم كما أتممنا عليكم النعمة - القرآن - ويطهر نفوسكم عمليا من دنس الشرك وسيىء الأخلاق والعادات ويكلمكم علميا بمعارف القرآن والعلوم النافعة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون . فقد كنتم فى جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

١٥٢ - فاذكرونى أيها المؤمنون بالطاعة أذكركم بالثواب ، واشكروا لى ما أسبغت عليكم من النعم ولاتجحدوا هذه النعم بعصيان ما أمرتكم به .

١٥٣ - واستعينوا أيها المؤمنون فى كل ماتأتون وماتذرون بالصبر على الأمور الشاقة والصلاة التى هى أم العبادات ، ان الله بقدرته القاهرة مع الصابرين فهو وليهم وناصرهم .

١٥٤ - ولن يؤدى الصبر الا الى الخير والسعادة فى الدارين ، فلاتقعدوا عن الجهاد فى سبيل الله ، ولاترهبوا الموت فيه ، فمن مات فى الجهاد ليس بميت بل هو حى حياة عالية وان كان الاحياء لايحسون بها .

١٥٥ - والصبر درع المؤمن وسلاحه الذى يتغلب به على الشدائد والمشاق ، وسيصادفكم كثير من الشدائد فسنمتحنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلة الزاد والنقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، ولن يعصمكم فى هذا الامتحان القاسى الا الصبر ، فبشر يأيها النبى (الصابرين) بالقلب وباللسان :

١٥٦ - الذين اذا نزل بهم مايؤلمهم يؤمنون أن الخير والشر من الله ، وأن الأمر كله لله فيقولون : انا ملك لله تعالى ، وراجعون اليه ، فليس لنا من أمرنا شىء ، وله الشكر على العطاء وعلينا الصبر عند البلاء ، وعند المثوبة والجزاء .

١٥٧ - فهؤلاء الصابرون المؤمنون بالله لهم البشارة الحسنة بغفران الله واحسانه وهم المهتدون الى طريق الخير والرشاد .

فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

١٥٨ ـ وكما أن الله رفع شأن الكعبة بجعلها قبلة الصلاة ، رفع أمر الجبلين اللذين يشارفانها وهما الصفا والمروة فجعلهما من مناسك الحج ، فيجب بعد الطواف السعى بينهما سبع مرات ، وقد كان منكم من يرى فى ذلك حرجا لانه من عمل الجاهلية ، ولكن الحق أنه من معالم الاسلام ، فلاحرج على من ينوى الحج أو العمرة أن يسعى بين هذين الجبلين ، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فان الله عليم بعمله ومثيبه عليه .

١٥٩ ـ وأولئك الذين أنكروا عليكم أمر دينكم فريقان : فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحق ويخفونه على علم وعناد ، وفريق المشركين الذين عميت قلوبهم عن الحق ، فاتخذوا اربابا من دون الله ، فأهل الكتاب الذين عرفوا براهين صدقك ، تبينوا الحق فى دينك ثم أخفوا هذه الدلائل وكتموها الناس ، أولئك يصب الله عليهم غضبه ويبعدهم عن رحمته ، ويدعو عليهم الداعون من الملائكة ومؤمنى الثقلين بالطرد من رحمة الله .

١٦٠ ـ ولايستثنى منهم الا من تاب وأحسن فرجع عن الكتمان وتدارك أمره باظهار ماكان يخفيه من وصف الرسول والاسلام فان الله يتقبل توبته ويمحو ذنبه ، فهو الذى يقبل التوبة من عباده رأفة منه ورحمة .

١٦١ ـ اما الذين استمروا على الكفر ، وماتوا على ذلك دون توبة ولاندم ، فجزاؤهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

١٦٢ ـ وسيستمرون فى هذه اللعنة وفى النار ، لايخفف عنهم العذاب ، ولن يمهلوا ويؤخروا ، ولو طلبوا الامهال والتأخير لم يجابوا اليه .

١٦٣ ـ ان الهكم الذى ينفرد بالعبودية واحد ، فلا إله غيره ، ولا سلطان لسواه ، ثم هو قد اتصف بالرحمة فهو رحيم بعباده فى انشائهم وتكوينهم .

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟

١٦٤ ـ وقد أقام دلائل وآيات لكل ذى عقل على وجوده والوهيته ، ومن ذلك السموات التى ترونها تسير فيها الكواكب بانتظام دون تزاحم ولاصدام تبعث الحرارة والنور لهذا العالم ، والأرض ومافيها من البر والبحر ، وتعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من المنافع ، ومايجرى فى البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ، ولايسيرها الا الله فهو الذى يرسل الرياح التى يسير بها المطر ينزل فيحيى الحيوان ويسق الأرض والنبات ، والرياح وهبوبها فى مهابها المختلفة ، والسحاب المعلق بين السماء والأرض . أفقامت هذه الأشياء كلها بهذا الاتقان والاحكام من تلقاء نفسها أم هى صنع العليم القدير ؟[1].

١٦٥ ـ ومع هذه الدلائل الواضحة اتخذ بعض الناس ممن ضلت عقولهم أربابا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم كعبادة الله ويجعلونهم مثل الله ، والمؤمن يسلم القيادة لله وحده وطاعته له لاتنقطع ، أما هم فان ولاءهم لآلهتهم يتزلزل عند النوائب فيلجئون الى الله سبحانه ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عاينوا ماسينالهم من العذاب يوم الجزاء ، حين ينكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده ، لانتهوا عن جرمهم وأقلعوا عن اثمهم .

١٦٦ ـ فى ذلك اليوم يرجو الأتباع أن ينجيهم رؤساؤهم من الضلال فيتنكرون لهم ويتبرءون منهم ويقولون : مادعوناكم لطاعتنا فى معصية ربكم وانما هو هواكم وسوء تصرفكم ، وتنقطع بينهم الصلات والمودات التى كانت بينهم فى الدنيا ويصير بعضهم لبعض عدوا .

١٦٧ ـ وهنا يتبين الأتباع أنهم كانوا فى ضلال حين اتبعوا رؤساءهم فى الباطل ويتمنون أن يعودوا الى الدنيا فيتنكروا لرؤسائهم كما تبرءوا منهم فى هذا اليوم ، وتبدو لهم أعمالهم السيئة فتكون حسرات عليهم ويندمون ، وقدألقى بهم فى النار فلا يبرحونها .

---

(١) سبقت هذه الآية ما قرره العلم من أن الكون المرئى يعج بأجرام سماوية وتوجه الآية نظر الانسان الى مافى الوجود من حقائق علمية ينطوى تحتها خلق أجرام السماء المتباينة والنظم التى تحكمها والافلاك التى تسير فيها وكذلك دوران الارض حول محورها مما يسبب تتابع الليل والنهار. ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الأرض ، والى الماء الذى ينزل من السماء فى دورات متتابعة تبدأ بتبخر ماء البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الأرض وكذلك تشير الآية الى الرياح ودورانها وأن الدارس لهذه الحقائق لابد أن يلمس قدرة الله تعالى .

مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

---

١٦٨ - يا أيها الناس كلوا مما خلق الله فى الأرض من الحلال الذى لم ينزل تحريمه ، المستطاب الذى تستسيغه النفوس ، ولاتسيروا وراء الشيطان الذى يزين لكم أكل الحرام أو تحريم الحلال ، فقد علمتم عداوة الشيطان ، وبان قبيح ما يأمركم به .

١٦٩ - وانما يزين لكم الشيطان ماهو سيىء فى ذاته ، ويضركم فى عافيتكم ومايقبح فعله : وتسيرون بسببه وراء الظنون والأوهام ، فتنسبون الى الله من التحريم والتحليل مالم يأت دليل عليه من العلم اليقين .

١٧٠ - وقد اعتاد الضالون عن سبيل الهدى أن يتمسكوا بما توارثوا عن آبائهم فى العقيدة والعمل ، واذا دعوا الى ماجاء من هدى الله قالو : لانعدل عما وجدنا عليه آباءنا ، ومن أكبر الجهل ترجيح اتباع الآباء على اطاعة الله واتباع هداه ، فكيف اذا كان آباؤهم لايعقلون شيئًا من الدين ولايستنيرون بنور الهداية والايمان ؟ .

١٧١ - وأن مثل مايدعو أولئك الكافرين الجاحدين الى الحق والهدى فلا يستجيبون له ولايفقهون مايدعوهم اليه كمثل راعى الغنم يناجيها ، فلاتفقه منه شيئًا ولايقرع سمعها الاالصوت ولاتعى غيره ، فهم كذلك عن الحق صم الآذان ، عمى البصائر ، خرس الألسنة ، لاينطقون بخير ، ولايصدرون عن عقل .

١٧٢ - لقد أبحنا للناس كل حلال[1] خلقناه لهم فى الأرض ، ونهيناهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ، فان فعلوا اهتدوا ، وان أبوا فانا نخص المؤمنين بهدايتنا ونبين الحلال والحرام ، فيأيها الذين آمنو أبيح لكم أن تأكلوا من لذيذ الطعام الطيب غير الخبيث ، فاشكروا الله على ما أولاكم من نعمة التمكين من الطيبات وإباحتها ومن نعمة الطاعة والامتثال لأمره لتتم عبادتكم .

---

(١) سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة لأن مايموت بشيخوخة أو مرض يكون موته بسبب مواد سامة ضارة تصل الى من يأكله ، وفوق ذلك فان الموت بالاختناق ، أو المرض ينحبس فيه الدم ، وفيه مواد ضارة كثيرة يشتمل عليها العرق والبول ، والخنزير ينقل الامراض الخطيرة مثل التنيا كما أنه الحيوان الوحيد الذى يصاب بالتركينا التى تصيب آكله اذا أكله .

فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

---

١٧٣ - وليس المحرم مازعمه المشركون ومازعمه اليهود، وانما المحرم عليكم أيها المؤمنون الميتة التى لم تذبح من الحيوان، ومثله فى التحريم لحم الخنزير، وما ذكر على ذبحه غير اسم الله من الوثن ونحوه، على أن من اضطر [1] إلى تناول شىء من هذه المحظورات لجوع لايجد مايدفعه غيرها أو لاكراه على أكله فلا بأس عليه، وليتجنب سبيل الجاهلية من طلب هذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع.

١٧٤ - هذا وقد كان من العالمين بما أنزل الله فريق يخفى بعض الوحى لقاء عرض من أعراض الدنيا: فإن اليهود كتموا كثيرا مما جاء فى التوراة من نعت الرسول خشية أن يسلم أهل ملتهم فيزول أمرهم وتضيع مكاسبهم ولذيذ مطاعمهم، وإن مطاعمهم من هذا السبيل لهى كالنار يأكلونها، لأنها ستقودهم الى النار، وسيعرض الله عنهم يوم القيامة، ولا يطهرهم من دنسهم، وأمامهم عذاب شديد موجع.

١٧٥ - وأولئك هم الآثمون الذين اختاروا الضلالة على الهدى فاستحقوا العذاب فى الآخرة بدل الغفران، فكانوا كمن يشترى الباطل بالحق، ومافيه ضلال بمافيه هداية، وأن حالهم لتدعو إلى العجب، اذ يصبرون على موجبات العذاب ويستطيبون مايؤدى بهم اليه.

١٧٦ - ولقداستوجبوا ماقدر لهم من الجزاء لكفرهم بكتاب الله الذى أنزله بالحق والصدق، ولقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا، دفع اليه حب الجدل ومجانبة الحق والانقياد للهوى، فحرفوه وأفسدوه وفسروه بغير معانيه.

---

(١) حال الاضطرار تسوغ مايحرم لأن الموت المؤكد أشد من الضرر المحتمل ولأن الجائع تتنبه أجهزة هضمه فيتغلب على المواد الضارة ولذا لا يصح للمضطر أن يتجاوز حد الضرورة، ولا يبغى ما اضطر اليه.

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ

---

١٧٧ ـ لقد أكثر الناس الكلام فى أمر القبلة كأنها هى وحدها الخير. وليس هذا هو الحق، فليس استقبال جهة معينة فى المشرق أو المغرب هو قوام الدين وجماع الخير، ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة، وبعضها من أمهات الفضائل والعبادات، فالاول هو: الايمان بالله ويوم البعث والنشور والحساب ومايتبعه يوم القيامة، والايمان بالملائكة وبالكتب المنزلة على الأنبياء وبالأنبياء أنفسهم. والثانى هو: بذل المال عن رغبة وطيب نفس للفقراء من الأقارب واليتامى، ولمن اشتدت حاجتهم وفاقتهم من الناس، وللمسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلايجدون مايبلغهم مقصدهم، وللسائلين الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال ولغرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق: وثالثها: المحافظة على الصلاة. ورابعها: اخراج الزكاة المفروضة. وخامسها: الوفاء بالعهد فى النفس والمال. وسادسها: الصبر فى الأذى ينزل بالنفس أو المال، أووقت مجاهدة العدو فى مواطن الحروب. فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الخيرة هم الذين صدقوا فى ايمانهم، وهم الذين اتقوا الكفر والرذائل وتجنبوها.

١٧٨ ـ ومن الشرائع التى فرضناها على المؤمنين، أحكام القتل العمد، فقد فرضنا عليكم القصاص بسبب القتل، ولاتأخذوا بظلم أهل الجاهلية[1] الذين كانوا يقتلون الحر غير القاتل بالعبد، والذكر الذى لم يقتل بالأنثى، والرئيس غير القاتل بالمرءوس القاتل دون مجازاة القاتل نفسه، فالحر القاتل يقتل بالحر المقتول، وكذلك العبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فأساس القصاص هو دفع الاعتداء فى القتل بقتل القاتل للتشفى والبغى، فان سمت نفوس أهل الدم ودفعوا بالتى هى أحسن فآثروا العفو عن اخوانهم وجب لهم دية قتيلهم، وعلى أولياء الدم اتباع

---

(١) كان العرب فى الجاهلية لايسوون بين الاشراف والضعفاء فاذا قتل زعيم لا يكتفى بقاتله بل قد يترك القاتل ليقتص من زعيم قبيلة القاتل فالدماء عندهم ليست متساوية والنفوس ليست واحدة وما كان الاسلام ليسمح بهذا بل شرع القصاص فالنفس بالنفس فمن قتل يقتل فالحر أيا كان يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والانثى تقتل بالانثى فهذا موجب المساواة فى الدماء ليس هناك دم أزرق شريف ودم غير شريف. وقد يفهم بالاشارة ان العبد لا يقتل بالحر أو الحر لا يقتل بالعبد ولكن صريح العبارة فى آية أخرى وفى احاديث نبوية تفيد ان القصاص فيه النفس بالنفس وهى شريعة خالدة كانت فى التوراة والانجيل والقرآن فقد قال تعالى: «وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس» راجع سورة المائدة. والنبى يقول «المسلمون تتكافأ دماؤهم» ويقول: «النفس بالنفس».

ويلاحظ ان الاسلام فى القصاص للقتل نظر الى أمر لم ينظر اليه القانونيون وهو انه جعل القصاص حقا لاولياء الدم شفاء لغيظ نفوسهم ومنعا لاهدار دم بريء ولذلك كان لهم حق العفو أو القصاص ولم يمنع ولى الأمر من ان يقتل تعزيرا اذا رأى فى ذلك مصلحة.

ولم ينظر الاسلام الى البواعث لان القاتل ظالم مهما تكن البواعث وقد أدى النظر فى البواعث الى الرأفة بالجانى واهمال المجنى عليه مما أدى الى عادة الأخذ بالثأر وتسلسل جرائم القتل لانه لم يشف اولياء الدم وان هذه النظرية الاسلامية تدرس الآن فى الجامعات الأوروبية.

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

هذا الحكم بالتسامح دون اجهاد للقاتل أو تعنيف ، وعلى القاتل أداء الدية دون مماطلة أو بخس ، وفى حكم القتل الذى فرضناه على هذا الوجه تخفيف على المؤمنين بالنسبة الى حكم التوراة الذى يوجب فى القتل القصاص ، كما فيه رحمة بهم بالنسبة إلى الذين يدعون الى العفو من غير تعرض للقاتل ، فمن جاوز هذا الحكم بعد ذلك فله عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .

١٧٩ ـ وان رحمة الله بكم لعظيمة فى فرض القصاص عليكم ، فبفضل القصاص عليكم يتحقق للمجتمع حياة آمنة سليمة . وذلك أن من يهم بالقتل اذا علم أن فى ذلك هلاك نفسه لم ينفذ ماهم به ، وفى ذلك حياته وحياة من هم بقتله ، واذا قتل الرئيس بالمرءوس وغير المذنب بالمذنب ، كما هو شأن الجاهلية كان ذلك مثارا للفتن واختلال النظام والأمن . فيتدبر أولو العقول مزية القصاص فان ذلك يحملهم على ادراك لطف الله بهم الى سبيل التقوى وامتثال أوامر الله سبحانه .

١٨٠ ـ وكما شرعنا القصاص لصلاح الأمة وحفظ المجتمع ، كذلك شرعنا شريعة فيها صلاح الأسرة وحفظ كيانها وهى شريعة الوصية . فعلى من ظهرت أمامه إمارات الموت وعلم أنه ميت لا محالة ، وكان ذا مال يعتد به أن يجعل من ماله نصيبا لمن يدرك من والديه وأقاربه ـ الأقربين غير الوارثين ـ وليراع فى ذلك مايحسن ويقبل فى عرف العقلاء فلايعطى الغنى ويدع الفقير ، بل يؤثر ذوى الحاجة ولايسوى الا بين المتساوين فى الفاقة ، وكان ذلك الفرض حقا واجبا على من آثر التقوى واتباع أوامر الدين .

١٨١ ـ واذا صدرت الوصية عن الموصى كانت حقا واجبا لا يجوز تغييره ولا تبديله ، الا اذا كانت الوصية مجافية للعدل ، فمن بدل هذا الحق فغير الوصية العادلة القويمة بعد ماعلم هذا الحكم وثبت عنده فقد ارتكب ذنبا عظيما ينال عقابه ، وقد برىء الموصى من تبعته ، ولايظن أحد أن يفعل ذلك ولايجازى عليه ، فان الله سميع عليم لاتخفى عليه خافية .

١٨٢ ـ أما اذا كانت الوصية زائغة عن العدل وعن الصراط القويم الذى بيناه بأن حرم الموصى الفقير وأعطى الغنى ، أو ترك الأقربين وراعى الفقراء غير الوارثين الأجانب ، فسعى ساع فى سبيل الخير وأصلح بين الموصى اليهم ليرد الوصية إلى الصواب ، فلا اثم عليه فيا يحدثه من تغيير الوصية وتبديلها على هذا الوجه ، ولايؤاخذه الله على ذلك ، فان الله غفور رحيم .

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ

١٨٣ ـ وكما شرعنا لكم القصاص والوصية لصلاح مجتمعكم، والحفاظ على أسركم، شرعنا فريضة الصيام تهذيبا لنفوسكم، وتقويما لشهواتكم، وتفضيلا لكم على الحيوان الاعجم الذى ينقاد لغرائزه وشهواته، وكان فرض الصيام[1] عليكم مثل مافرض على من سبقكم من الامم فلايشق عليكم أمره. لأنه فرض على الناس جميعا، وكان وجوب الصيام والقيام به، لتتربى فيكم روح التقوى، ويقوى وجدانكم، وتتهذب نفوسكم.

١٨٤ ـ وفرض عليكم الصيام فى أيام معدودة قليلة لوشاء الله لأطال مدته، ولم يكلفكم فى الصوم مالاتطيقون، فمن كان مريضا مرضا يضر معه الصوم، أوكان فى سفر، فله أن يفطر ويقضى الصوم بعد برئه من المرض أو رجوعه من السفر، أما غير المريض والمسافر ممن لايستطيع الصوم الابمشقة لعذر دائم كشيخوخة ومرض لايرجى برؤه فله الفطر حينئذ، وعليه أن يطعم مسكينا لايجد قوت يومه، ومن صام متطوعا زيادة على الفرض فهو خير له، لأن الصيام خير دائما لمن يعلم حقائق العبادات.

١٨٥ ـ وهذه الايام هى شهر رمضان الجليل القدر عند الله، لقد أنزل فيه القرآن يهدى جميع الناس الى ،رشد ببياناته الواضحة الموصلة الى الخير، والفاصلة بين الحق والباطل على مر العصور والأجيال، فمن أدرك هذا الشهر سليما غير مريض، مقيما غير مسافر فعليه صومه، ومن كان مريضا مرضا يضر معه الصوم أو كان فى سفر، فله أن يفطر وعليه قضاء صيام ما أفطره من أيام الصوم، فان الله لايريد أن يشق عليكم فى التكاليف وانما يريد لكم اليسر، وقد بين لكم شهر الصوم وهداكم اليه لتكملوا عدة الأيام التى تصومونها وتكبروا الله على هدايته اياكم وحسن توفيقه.

١٨٦ ـ وانى مطلع على العباد، عليم بمايأتون ومايذرون، فاذا سألك يا محمد عبادى قائلين: هل الله قريب منا بحيث يعلم مانخفى وما نعلن وما نترك؟ فقل لهم: انى أقرب اليهم مما يظنون، ودليل ذلك أن دعوة الداعى تصل فى حينها، وأنا الذى أجيبها فى حينها كذلك، وإذا كنت استجبت لها فليستجيبوا هم لى بالايمان والطاعة فان ذلك سبيل ارشادهم وسدادهم.

(١) علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد أثبت الطب الحديث أن للصيام فوائد طبية عدة فهو يفيد فى علاج كثير من الأمراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكرى، ويصلح الجهاز الهضمى وهبوط القلب والتهاب المفاصل ويعطى الجسم والأنسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بالجسم كما أنه وقاية من كثير من الأمراض المختلفة.

لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ
ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ

---

١٨٧ ـ أحل الله لكم ليلة الصوم اتيان نسائكم لاختلاطكم بهن واختلاطهن بكم فى الحياة والمبيت ، وعسر ابتعادكم عنهن وتخفيفا عليكم . وقد علم الله أنكم كنتم تنقصون حظ نفوسكم وتظلمونها ، فتحرمون عليها اتيان النساء فى ليل رمضان فتاب عليكم من الغلو وعفا عنكم ، والآن وقد تبين لكم حل ذلك فلا تتحرجوا من مباشرتهن ، وتمتعوا بما أباحه الله لكم وكلوا واشربوا فى ليل رمضان حتى يظهر لكم نور الفجر ، متميزا من ظلام الليل ، كما يتميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، واذا ظهر ذلك فصوموا وأتموا الصيام الى غروب الشمس .

واذا كان الصيام من العبادات التى يجب التفرغ لها والتجرد من شهوات النفس ومقاربة النساء فى نهار الصوم ، فكذلك عبادة الاعتكاف فى المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التمتع بالنساء مادام المرء ملتزما بها . وماشرعنا لكم فى الصوم والاعتكاف حدودا وضعها الله لكم فحافظوا عليها ولاتقربوها لتتجاوزوا أوامرها ، وقد أوسع الله فى بيانها للناس على هذا النحو ليتقوها ويتجنبوا تبعاتها .

١٨٨ ـ وقد حرم عليكم أكل مال غيركم دون وجه من الحق دائما فلا يستحل أحدكم مال غيره إلا بوجه من الوجوه التى شرعها الله كالميراث والهبة والعقد الصحيح المبيح للملك [1] وقد ينازع أحدكم أخاه فى المال وهو مبطل ، ويرفع أمره الى الحاكم أو القاضى ليحكم له وينتزع من اخيه ماله بشهادة باطلة أو بينة كاذبة ، أو رشوة خبيثة ، فبئس مايفعل ومايجر على نفسه من سوء الجزاء .

---

(١) هذه الآية الكريمة اشارة إلى جريمة الرشوة وهى أخطر الجرائم التى تودى بالأمم . وفى نص الآية جميع الأركان لتلك الجريمة من راش صاحب حاجة ومرتش وهو أحد الحكام ذوى السلطان يبيع سلطانه الوظيفى ليعطى الراشى ماليس له به حق أو يعطل على صاحب الحق حقه لمصلحة الراشى .

بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ

١٨٩ ـ ويسألك قوم عن الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ، ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، ولايكون على حالة واحدة كالشمس ، فما وراء هذا التغير ، حتى صار فى كل شهر هلال وصارت هناك أهلة ؟

فقل لهم : ان لتكرار هذه الأهلة واختلاف نموها حكما ومصالح دينية ودنيوية ، فهى امارات تحدد أوقات[1] المعاملات فى معاشكم ، وتعين أوقات الحج الذى هو من أركان دينكم ، ولو استقر الهلال على حاله كالشمس ما استقام لكم توقيت معاشكم وحجكم ، وليس جهلكم بحكمة اختلاف الهلال مدعاة للشك فى حكمة الخالق . وليس من البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ، متميزين بذلك عن الناس ، ولكن البر هو تقوى القلوب واخلاصها وأن تأتوا البيوت من أبوابها كما يأتى كل الناس ، وأن تطلبوا الحق والدليل المستقيم ، فاطلبوا رضا الله واتقوا عذابه وارجوا بذلك فلاحكم وفوزكم ونجاتكم من عذاب النار .

١٩٠ ـ ومن تقوى الله تحمل المشاق فى طاعته وأشد المشاق على النفس هو قتال أعداء الله[2] ولكن اذا اعتدى عليكم فقاتلوا المعتدين ، وقد اذن لكم برد اعتداءاتهم ، ولكن لاتعتدوا بمبادأتهم أو بقتل من لايقاتل ولا رأى له فى القتال فان الله لايحب المعتدين .

١٩١ ـ واقتلوا اولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم ، وأخرجوكم من مكة وطنكم الذى حملوكم على الخروج منه ، ولاتتحرجوا من ذلك فقد فعلوا ماهو أشد من القتل فى المسجد الحرام اذ حاولوا فتنة المؤمنين عن دينهم بالتعذيب فى مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم ، ولكن للمسجد الحرام حرمته فلا تنتهكوها إلا إذا انتهكوها هم بقتالكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله ، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مايفعلونه بغيرهم .

١٩٢ ـ فان رجعوا عن الكفر وانقادوا الى الاسلام فان الاسلام يَجُبُّ ماقبله ، والله يغفر لهم ماسلف من كفرهم بفضل منه ورحمة .

---

(١) ان القمر يعكس ضوء الشمس نحو الأرض من أجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الاهله فاذا كان القمر فى (الاقتران) أى بين الشمس والأرض فهو فى المحاق ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض وإذا كان فى الاستقبال أى الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض يظهر بدرا ثم يأخذ فى التناقص حتى الاقتران الثانى وتتم الدورة الاقترانية أى الشهر العربى فى مدى ٢٩,٥٣٠٩ يوما وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ العربى من ساعة الهلال وشدة إضاءته فاذا شوهد الهلال خطا رفيعا عند الأفق الغربى وغرب بعد الغروب ببضع دقائق تمكن الرؤية بعد هذا الغروب وتثبت بداية الشهر ويتيسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للناس . ودورة القمر هى التى علمت الناس حساب الشهور ومنها شهر الحج وبدايته .

(٢) اتهم الاسلام بأنه قام بحد السيف وهذه الآية واحدة من الآيات القرآنية الكثيرة التى تدحض هذا الزعم وهى تتضمن أمرا صريحا للمسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير وسلوك هذا السبيل اعتداء مكروه من الله لأنه لا يحب المعتدين وهذه الآية ثانى آية نزل بها الوحى من آيات القتال الأولى آية ٣٩ من سورة الحج وهى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » . =

لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

١٩٣ - وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالايذاء والتعذيب، حتى تستأصل جذور الفتنة ويخلص الدين لله. فان انتهوا عن كفرهم فقد نجوا أنفسهم وخلصوا من العقاب، فلا ينبغى الاعتداء عليهم حينئذ وانما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها بالمعاصى وتجاوز العدل فى القول والفعل.

١٩٤ - فاذا اعتدوا عليكم فى الشهر الحرام فلا تقعدوا عن قتالهم فيه فانه حرام عليهم، كما هو حرام عليكم، واذا انتهكوا حرمته عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه، وفى الحرمات والمقدسات شرع القصاص والمعاملة بالمثل فمن اعتدى عليكم فى مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بمثله واتقوا الله فلا تسرفوا فى المجازاة والقصاص، واعلموا ان الله ناصر المتقين.

١٩٥ - جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال، فأنفقوا فى الاعداد للقتال، واعلموا أن قتال هؤلاء قتال فى سبيل الله، فلاتقعدوا عنه، وابذلوا الأموال فيه فانكم ان تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدو وأذلكم فكأنما ألقيتم أنفسكم بأيديكم الى الهلاك، فافعلوا مايجب عليكم باحسان واتقان، فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه.

= وموجز الدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى رسم لرسوله طريق الدعوة إلى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل أهل الكتاب بالتى هى أحسن. ثم أمره أن يدعو الناس إلى الايمان عن طريق العقل بالنظر إلى بديع صنعه فى خلقه وظل الرسول يدعو بالحسنى ثلاثة عشر عاما قضاها فى مكة لم يشرع فيها سيفا ولم يرق دما ولم يرد على ما ألحقه الكفار به وبأتباعه من أذى بل أمرهم بالهجرة إلى الحبشة فرارا بدينهم ثم نابذت قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب وهم خاصة أهل رسول الله وأنذروهم بالخروج من مكة أو يسلمون محمدا إليهم ليقتلوه فلما أبوا ذلك قاموا بأهم أعمال الحرب إذ حاصروهم فى شعب بنى هاشم بمكة وكتبوا بذلك معاهدة علقوها فى جوف الكعبة تعاهدوا فيها بألا يبيعوهم ولا يبتاعون منهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجون منهم. وامتد الحصار ثلاث سنوات اشتد فيها الكرب على المسلمين حتى أكلوا الحشائش الجافة وكادوا يهلكون جوعا. وهناك أذن الرسول لهم أن يتسللوا ليلا فيهاجروا فرادى إلى الحبشة مرة ثانية ولما سمعوا أن الرسول اعتزم الهجرة إلى المدينة تآمروا على قتله بواسطة جماعة تمثل مختلف القبائل بحيث يتفرق دمه فى القبائل. ولما أفلت من المؤامرة تتبعوه فنصره الله وأعمى أعينهم عن مكان الغار فازدادوا حنقا واشتدوا بالأذى وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد على أتباعه فتبعوه أرسالا إلى المدينة تاركين خلفهم أموالهم وديارهم وذراريهم فلما استقر المسلمون بالمدينة: كانت حالة الحرب التى أعلنتها قريش منذ الحصار قائمة وظل كل فريق بعد الهجرة يترصد طريق الآخر ويستمع أخباره. فترصد المسلمون قافلة أبى سفيان فأصرت قريش رغم عدم المساس بالقافلة على أن تخرج بقضها وقضيضها لتقضى على الاسلام والمسلمين بالمدينة. فكان لابد للمسلمين من رد الاعتداء وهنالك أذن الله لهم بالقتال فنزلت أولى آيات القتال «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير» الآيات ٣٩، ٤٠، ٤١ من سورة الحج وهى صريحة فى أن الترخيص بالقتال جاء معللا بأن الكفار يقاتلونهم ظلما وبغيا. ثم وصف الله المسلمين بأنهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله. وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد هزيمتهم ببدر نادى كبيرهم (الحرب بامحمد سجال وموعدنا العام القابل فى أحد) فكان ذلك استمرارا لحالة الحرب المعلنة من جانب قريش ودفاعا من جانب المسلمين.. وجاءوا بجيش جرار إلى أحد وهى على بعد ستة أميال من المدينة وبهذا كانت غزوة أحد اعتداء من قريش ودفاعا من جانب المسلمين وكذلك الشأن فى موقعة الخندق حيث أشرف جيش الكفار وبقية الأحزاب على مساكن المدينة فاضطر المسلمون إلى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرفيها اعتداء من قريش ودفاعا من المسلمين.. ولما استتب الأمر للاسلام فى الجزيرة العربية أرسل الرسول رسله إلى الملوك والأمراء فى أنحاء المعمورة يدعوهم إلى الاسلام فمزق كسرى كتاب الرسول وأرسل من يأتى برأس محمد وبذلك أعلنت الفرس الحرب ضد المسلمين فخاضوها حربا دفاعية فتح الله بها ملك كسرى وأتباعه من ملوك العرب «المناذرة».

أما شرحبيل بن عمرو الغسانى أمير الغساسنة فى الشام الذين كانوا يتبعون دولة الروم فقد قتل حامل كتاب رسول الله وهو فى طريقه إلى هرقل ثم قتل المسلمين الذين أسلموا من رعاياه وعبأ جيشا لقتال دولة الاسلام فى الجزيرة العربية فدافع المسلمون وأورثهم الله ملك دولة الروم الشرقية وهكذا لم يشرع الاسلام سيفا إلا ردا على اعتداء أو تأمينا للدعوة الاسلامية وصدق الله إذ يقول «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» سورة البقرة آية ٢٥٦.

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا

---

١٩٦ ـ وأدوا الحج والعمرة لله على وجه التمام والكمال قاصدين بهما وجه الله ، ولاتقصدوا بهما اصابة عرض دنيوى من شهرة ونحوها . واذا قصدتم الحج والعمرة وأحرمتم بهما فمنعكم عدو فى الطريق فلكم ان تتحللوا من احرامكم بحلق رءوسكم ، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح ماتيسر لكم ـ من شاة أو بعير أوبقرة ـ والتصدق به على المساكين ، ولا تحلقوا رءوسكم حتى تقوموا بهذه النسك ، ومن كان محرما وآذاه شعر رأسه لمرض أو هوام فى رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه ، وعليه حينئذ أن يفدى عن ذلك بصيام ثلاثة أيام ، أو التصدق على ستة مساكين بقوت يوم أو ذبح شاة والتصدق بها على الفقراء والمساكين . واذا كنتم فى دار الأمان والسلم ولم يعترض طريقكم عدو ، وقصدتم الحج والعمرة وتمتعتم أولا بالعمرة الى أن يحين وقت الحج فتحرموا ، فعليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه ، فمن لم يجد شاة أو لم يقدر على ثمنها صام ثلاثة أيام فى مكة وسبعة أيام اذا رجع الى أهله ، وهذا على من لم يكن من أهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شىء عليه اذا تمتع .

١٩٧ ـ والحج يقع فى أشهر معلومة لكم ، اذ كان أمره معروفا عندكم من عهد ابراهيم عليه السلام ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه فى هذه الاشهر ودخل فيه فليراع آدابه ، ومن آداب الحج أن يتنزه المحرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصى من السباب وغيره وعن الجدل والمراء مع رفقته فى الحج ، وعن كل مايجر الى الشحناء والخصام حتى يخرج المحرم مهذب النفس ، وليجتهد فى فعل الخير وطلب الأجر من الله بالعمل الصالح فان الله عليم بذلك ومجاز عليه ، وتزودوا لآخرتكم بالتقوى والائتمار بأوامر الله واجتناب نواهيه ، فان ذلك خير الزاد واستشعروا خشية الله فيما تأتون وماتذرون كما هو مقتضى العقل والحكمة ، فلا تشوبوا شيئا من أفعالكم بدواعى الهوى والغرض الدنيوى .

مِن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ * وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ

---

١٩٨ - ولقد كان منكم من يجد حرجا فى مزاولة التجارة وابتغاء الرزق فى موسم الحج ، فلاحرج عليكم فى ذلك ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته ، واذا صدر الحجاج من عرفات بعد الوقوف بها ووصلوا المزدلفة ليلة عيد النحر فليذكروا الله عند هذا المشعر الحرام ، وهو جبل المزدلفة ، بالتهليل والتلبية والتكبير ، وليمجدوه وليحمدوه على هدايته اياهم الى الدين الحق والعبادة القويمة فى الحج وغيره ، وقدكانوا من قبل ذلك فى ضلال عن صراط الهدى والرشاد .

١٩٩ - وقد كان قوم من العرب وهم قريش لايقفون مع الناس فى عرفات مع علمهم أنه موقف أبيهم ابراهيم ، وذلك ترفعا أن يساووا غيرهم وهم أهل بيت الله وقطان حرمه ، وزعماً منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذى لايريدون الخروج منه الى عرفات ، وهى من الحلال لامن الحرام ، فطالبهم الله بأن يقلعوا عن عادات الجاهلية ويقفوا بعرفات ويصدروا عنها كما يصدر جمهور الناس ، فلافضل لأحد على الآخر فى أداء العبادة ، وعليهم أن يستغفروا الله فى هذه المواطن المباركة فذلك أدعى أن يغفر الله لهم مافرط منهم من الذنوب والآثام ويرحمهم بفضله .

٢٠٠ - واذا فرغتم من أعمال الحج وعبادته فدعوا ماكنتم عليه فى الجاهلية من التفاخر بالآباء وذكر مآثرهم وليكن ذكركم وتمجيدكم لله فاذكروه كما كنتم تذكرون آباءكم ، بل اذكروه أكثر من ذكر آبائكم لانه ولى النعمة عليكم وعلى آبائكم ، ومواطن الحج هى مواطن الدعاء وسؤال الفضل والخير والرحمة من عند الله ، وقد كان فريق من الحجاج يقصر دعاءه على عرض الدنيا وخيراتها ولايلق بالا للآخرة فهذا لا نصيب له فى الآخرة .

٢٠١ - ومن الناس من وفقه الله فاتجه بقلبه الى طلب خيرى الدنيا والآخرة ، ودعا الله أن يجنبه شر النار وعذابها .

٢٠٢ - فهؤلاء يعطون ماقدر لهم مما كسبوه بالطلب والركون الى الله والله يجزى كلا بما يستحق وهو سريع الحساب والجزاء .

فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

---

٢٠٣ ـ واذكروا الله بالتكبير وغيره فى أيام معدودات هى أيام رمى الجمار بمنى وهى : الحادى عشر . والثانى عشر . والثالث عشر . وليس بلازم لان قوام الخير تقوى الله ، لامقدار العدد . واتقوا الله دائما واعلموا أنكم اليه تحشرون ومسئولون عن اعمالكم .

٢٠٤ ـ واذا كانت تقوى الله هى الاساس فالخسر لفريق من الناس ، يختلف الذى تضمره قلوبهم عن الذى تنطق به ألسنتهم ، أوتوا حلاوة فى صوغ الكلام ، يعجبك قولهم فيما يحتالون به على جلب المنفعة فى الحياة الدنيا ، ويؤيدون لك زعمهم بأن الله يعلم صدق قلوبهم فيما تقوله ألسنتهم ، وأنهم لأشد الناس خصومة لك وأقساهم عليك .

٢٠٥ ـ واذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لايكون سعيه للاصلاح ، بل للافساد واهلاك الزرع والنسل ، والله لايحبه ، لان الله تعالى لايحب الفساد .

٢٠٦ ـ واذا نصحت له حينئذ بالخوف من الله ثارت فى نفسه الحمية وظن ذلك هدما لعزته ، وحمله على ارتكاب الاثم فيما نهيته عنه لجاجة وعنادا ، فحسبه على ذلك عذاب جهنم ولبئس المستقر .

٢٠٧ ـ فما أبعد الفرق بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين الصادقين الذين يبيع أحدهم نفسه فى سبيل مرضاة الله واعلاء كلمة الحق ويكون هذا القسم مقابلا للقسم الاول ، ويكون توليه أمرا من أمور الناس من رأفة الله بعباده ، والله تعالى يرحمهم بجعل الولاية لهؤلاء ليدفع بهم أذى الأشرار .

٢٠٨ ـ يأيها الذين آمنوا كونوا جميعا مسالمين فيما بينكم ولاتثيروا العصبيات الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف ، ولاتسيروا فى طريق الشيطان الذى يدفعكم الى الشقاق فانه لكم عدو مبين[١] .

---

(١) هذا النص القرآنى فيه دعوة عامة من المؤمنين إلى السلام ، وتفيد أن الحرب والخصام هى من السير وراء الشيطان ، وأنها تدعو عامة المؤمنين إلى أن يكونوا مسالمين مع غيرهم ، ومسالمين فى داخل أنفسهم ، فلا حرب مع غيرهم ، ولا حرب فيما بينهم .

وأن هذا النص يدل على أن الأصل فى العلاقة بين الدول الاسلامية وغيرها هى السلم ، وأن ذلك هو مبدأ الأديان السماوية كلها ، ففى الوقت الذى كان قانون الغابة هو الذى يحكم بين الدول ، وهو الذى يحدد العلاقات بينها ، القوى يأكل الضعيف جاء الاسلام بذلك المبدأ السامى ، وهو أن العلاقة هى السلم ، وإذا كان القتال ، فانه لدفع الاعتداء ، أى لحمل المعتدى على أن يكون مسالما ، فالحرب التى شرعها الاسلام ، وشرعتها الأديان هى لتثبيت دعائم السلم ، وتحقيق العدل ، فهى حرب السلام ، لاستقرار العدل والسلام .

فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟

---

٢٠٩ - فان انحرفتم عن هذا الطريق الذى دعيتم اليه جميعا من بعد ظهور الحجج القاطعة على أنه طريق الحق ، فاعلموا أنكم مؤاخذون بهذا الانحراف لأن الله عزيز يعاقب من يعرض عن سبيله ، حكيم يقدر العقوبة بقدرها .

٢١٠ - وهل ينتظر هؤلاء المعرضون عن الاسلام ليقتنعوا أن يروا الله تعالى جهرة فى غمام سائر مع الملائكة وقد قضى الأمر بقطع مطامعهم ، لأن الشئون جميعا فى قبضة الله يصرفها هو حيث يشاء وقد قضى فيها قضاءه الذى سينفذ لامحالة .

٢١١ - سل بنى اسرائيل كم سقنا اليهم الأدلة القاطعة على صدق الرسول ، وفى ذلك نعمة هدايتهم الى الله فكفروا بهذه الأدلة وعمدوا بتكذيبهم لها الى تبديل الغرض منها ، فبعد أن وضعت للهداية أصبحت بالنسبة لكفر هؤلاء بها سببا فى زيادة ضلالهم وإثمهم ، ومن يبدل نعم الله بهذه الصورة يحق عليه العذاب لأن الله شديد العقاب .

٢١٢ - وأن السبب فى الانحراف والكفر هو طلب الدنيا ، فقد زين للذين كفروا شهوات الحياة الدنيا فضوا يسخرون من الذين آمنو لانشغالهم بالحياة الآخرة - والله جاعل الذين آمنوا أعلى مكانا منهم فى الآخرة . فأما زيادة هؤلاء الكفار بالمال والزينة فى الدنيا فلايدل على أفضليتهم لأن رزق الله لايقدر على حساب الايمان والكفر بل يجرى تبعا لمشيئته ، فمن الناس من يزاد له الرزق استدراجا ومنهم من يقتر عليه اختبارا .

٢١٣ - وأن الناس طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة ، ومنهم من تستولى عليه أسباب الهداية ، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ولذلك اختلفوا فبعث الله اليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق ، لتكون هى الحكم بين الناس فينقطع التنازع ، ولكن الذين انتفعوا بهدى النبيين هم الذين آمنوا فقط ، الذين هداهم الله فى موضع الاختلاف الى الحق والله هو الذى يوفق أهل الحق اذا اخلصوا .

ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ

---

٢١٤ - فهل حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد اقراركم بكلمة الاسلام بدون أن تصابوا بمثل ما أصاب الذين من قبلكم ، فقد أصابتهم الشدائد والنوازل وزلزلوا حتى بلغ بهم الأمر أن قال رسولهم نفسه وقالوا معه : متى نصر الله ؟ فيبر ربهم بوعده فيجابون عندئذ بأن نصر الله قريب .

٢١٥ - يسألك المؤمنون فى شأن الانفاق فقل لهم : ان الانفاق يكون من المال الطيب ، ويعطى للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ومن انقطع عن ماله وأهله ، وما تفعلوه من عمل خير فان الله يعلمه وهو يثيبكم عليه .

٢١٦ - فاذا كان فى الإنفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حماية للمجتمع فى داخله فان القتال حماية له من أعدائه فى الخارج ، ولذلك فرض عليكم أيها المسلمون القتال لحماية دينكم والدفاع عن أنفسكم ، وأن نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرهاً شديداً ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم وأحببتم ما فيه شركم ، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم ، وأنتم لا تعلمون فاستجيبوا لما فرض عليكم .

٢١٧ - وقد كره المسلمون القتال فى الشهر الحرام فسألوك عنه ، فقل لهم : نعم ان القتال فى الشهر الحرام[1] اثم كبير ، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، واخراج المسلمين من مكة ، وقد كان ايذاؤهم للمسلمين لاخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل

---

(١) الأشهر الحرم أربعة وردت عدتها فى سورة التوبة حيث قال سبحانه وتعالى : « ان عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » الآية ٢٥ التوبة ، وقد حدد الرسول ﷺ هذه الأشهر الأربعة بأسمائها فى حديثه الشريف الذى أخرجه البخارى عن خطبته فى حجة الوداع حيث قال : « أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدد الشهور إثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورابع هو رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، وكانت قبيلة ربيعة تستنقل القتال فى رمضان لشدة الحرارة فكانت تسميه رجب وتحرمه ولذا حدد الرسول رجب الحرام بأنه رجب قبيلة مضر الذى بين جمادى وشعبان ، وحكمة تحريم القتال فى الأشهر الحرم أن جعلها الله هدنة إجبارية (يخلد) الناس فيها إلى الراحة والهدوء والقيام على أمور معاشهم من زراعة وتجارة وهذه الحرمة قائمة مفروضة منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، ومنذ فرض الله على الناس حج بيته « الكعبة » والوقوف بعرفات فى اليوم العاشر من ذى الحجة فحرم القتال فى هذا الشهر فالشهر الذى قبله والشهر الذى بعده رحمة من الله بعباده وليأمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم فى هذا الموسم ومنذ

رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ

ولذلك ابيح القتال فى الشهر الحرام لقمع هذه الشرور فهو عمل كبير يتق به ما هو أكبر منه . واعلموا ، أيها المسلمون ، أن سبيل هؤلاء معكم سبيل التجنى والظلم ، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يضعف أمام هجماتهم ويرتد عن دينه حتى يموت على الكفر ، فأولئك بطلت أعمالهم الصالحة فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أهل النار هم فيها خالدون .

٢١٨ - وأن الذين آمنوا ايماناً صادقاً دفعهم الى الهجرة لنصرة الدين والجهاد لاعلان كلمته فأولئك ينتظرون عظيم ثواب الله لهم ، وان قصروا فى شىء ، لأن الله غفور يغفر الذنوب ، رحيم يرحم عباده بالهداية والثواب .

٢١٩ - ويسألونك يا محمد عن حكم الخمر والقمار ، فقل ان فيهما ضرراً كبيراً من افساد الصحة وذهاب العقل والمال واثارة البغضاء والعدوان بين الناس ، وفيهما منافع كالتسلية والربح السهل . ولكن ضررهما أكبر من نفعهما فاجتنبوهما . ويسألونك عما ينفقون ، فأجبهم أن ينفقوا فى ذات الله السهل اليسير الذى لا يشق عليكم انفاقه ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة [1] .

٢٢٠ - ويسألونك بشأن اليتامى الذى يوجبه الاسلام حيالهم ، فقل ان الخير لكم ولهم فى اصلاحهم ، وأن تضموهم الى بيوتكم ، وأن تخالطوهم بقصد الاصلاح لا الفساد ، فهم اخوانكم فى الدنيا يستدعون منكم هذه المخالطة ، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا . ولو شاء الله لشق عليكم ، فألزمكم رعاية اليتامى من غير مخالطة لهم ، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم ، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك افساداً لجماعتكم واعناتاً لكم ، اذ أن قهرهم وذلهم يجعل منهم المبغضين للجماعة المفسدين فيها . وان الله عزيز غالب على أمره ، ولكنه حكيم لا يشرع الا ما فيه مصلحتكم .

= أن يخرجوا من ديارهم قاصدين مكة إلى أن يعودوا إليها بعد أداء مناسك الحج والعمرة ثلاثة أشهر متواليات حرم الله فيها القتال ليعم الأمن والسلام جميع الناس من خرج منهم حاجا ومن لم يخرج أما الشهر الرابع وهو رجب فهو وسط بين بقية أشهر العام .

متى يحل الجهاد فى الأشهر الحرم ؟ الحكم فى ذلك أنزله الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بالجواز متى كان دفعا لاعتداء ، والمناسبة التى نزل فيها الوحى بهذا الحكم فى سرية عبد الله بن جحش وحاصل الخبر أن الرسول بعثه وسلمه كتابا أمره ألا يفضه إلا بعد مسيرة يومين ، ثم يقرأه على رفاقه ولايكرهن أحدا على السير معه بعد أن يعلمهم بمهمته وهى « أن تسير مع من يتبعك حتى تأتى بطن نخلة - مكان بين نجد والطائف - ترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » والكتاب صريح بعدم القتال وإنما استطلاع حركات العدو ولكن الذى حدث بعد قراءة كتاب النبى ان اثنين من رجال عبد الله بن جحش ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل فاسرتهما قريش ، وهما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ثم نزل الركب بنخلة فمرت بهم عير قريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمى وكان ذلك فى آخر شهر رجب ، وكانت قريش قد حجزت أموال بعض المسلمين فى مكة عند الهجرة منهم بعض من كان فى سرية ابن جحش فتشاوروا فى قتال أهل العير وحاروا فيما يصنعون ان تركوا العير تمضى ليلتها امتنعت بالحرم وفاتهم تعويض ماحجزته قريش فى هذه الفرصة ، وان قاتلوا أهلها قاتلوهم فى شهر حرام هو شهر رجب ولكنهم اندفعوا للقتال فقتلوا عمرو الحضرمى وأسروا رجلين مشركين وأصابوا بعض الغنائم . فلما رجعوا الى المدينة وقدموا لرسول الله ﷺ الخمس من غنيمتهم فأباه واستنكر عملهم وقال ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، وساءت مقابلتهم من أهل المدينة =

وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ

---

٢٢١ - واذا كانت مخالطة اليتامى لا حرج فيها فان الحرج فى مخالطة أهل الشرك . فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماوى ولا يحمل المرء منكم على زواج المشركة مالها وجمالها وحسبها ونسبها . فالمؤمنة التى وقع عليها الرق خير من المشركة الحرة ذات المال والجمال والحسب والنسب ، ولا يزوج المرء منكم من له عليه ولاية من النساء مشركاً لا يؤمن بالكتب السماوية ، ولا يبعث أحدكم على ايثار المشرك غناه وشرفه ، فخير منه العبد المؤمن فأولئك المشركون يجتذبون عشراءهم الى المعصية والشرك فيستوجبون النار . والله اذ يدعوكم الى اعتزال المشركين فى النكاح يدعوكم الى ما فيه صلاحكم ورشادكم فتنالون الجنة والمغفرة ، وتسيرون فى طريق الخير بتيسيره ، والله يبين شرائعه وهديه للناس لعلهم يعرفون صلاحهم ورشادهم .

٢٢٢ - ويسألونك عن اتيان الزوجات زمن المحيض ، فأجبهم أن المحيض أذى فامتنعوا عن اتيانهن مدته ولا تأتوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن فى المكان الطبيعى ، ومن كان وقع منه شيء من ذلك فليتب فان الله يحب من عباده كثرة التوبة والطهارة من الأقذار والفحش .

٢٢٣ - زوجاتكم هن موضع النسل كموضع البذر ينبت النبات ، فيباح لكم أن تأتوهن على أى طريقة تشاءون اذا كان ذلك فى موضع النسل ، واتقوا الله أن تعصوه فى مخالطة المرأة واعلموا أنكم ملاقوه مسئولون عنده ، والبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدونها .

= الى أن نزل الوحى بالآية الكريمة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

(١) هذه الاية تقرر حقيقة ثابتة هى أن للخمر والميسر منافع عرضية ، كما أن فيها اثما كبيرا وأن هذا الاثم أكبر مما يتراءى فيهما من منافع ، فشارب الخمر ينتفع ببعض النشوة التى تنقلب الى خمود يؤدى شربها بعد ذلك الى اصابته بمختلف الامراض التى تقود شاربها الى الادمان عليها ويتعدى ضررها ذلك الى الاضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الهضمى والعصبى والدورى والدموى وفى تجارتها منافع مادية ولكن هذه المنافع لاتعتبر شيئا بجانب الاضرار الجسيمة التى يحدثها ترويجها بين الناس .

والميسر كالخمر ، فالنشوة التى يشعر بها المقامر هى على حساب أعصابه والربح الذى يربحه قد يضيع فى جلسة واحدة أو فى مرات تالية بل قد يصيبه ادمانه بالافلاس والفوائد المادية التى يربحها أصحاب دور القمار لاتساوى شيئا بجانب الاضرار الجسيمة التى تنجم عن نشر هذه الجريمة بين الناس .

عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٢٢٤ - لا تجعلوا اسم الله معرضاً لكثرة الحلف به ، لأن ذلك ينافى تعظيم اسم الله ، وأن التصون عن كثرة الحلف باسم الله يؤدى الى البر والتقوى والقدرة على الاصلاح بين الناس ، اذ يكون المتصون جليل القدر فى أعين الناس موثوقاً به بينهم فيقبل قوله ، والله سميع لأقوالكم وايمانكم عليم بنياتكم.

٢٢٥ - عفا الله عنكم فى بعض الأيمان ، فما جرى على الألسنة من صور الايمان ولم يصحبه قصد ولا عقد قلب ، أو كان يحلف على شىء يعتقده حصل وهو لم يحصل فان الله لا يؤاخذ عليه ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من عزم على ايقاع فعل أو عدم ايقاعه . وعلى الكذب فى القول مع التوثيق باليمين ، فالله غفور لمن يتوب ، حليم يعفو عما لا يكتسبه القلب .

٢٢٦ - وهؤلاء الذين حلفوا الا يقربوا نساءهم يمهلون أربعة أشهر ، فان أتوا نساءهم فى اثنائها استمر الزواج وعليهم كفارة اليمين وغفر لهم ويقبل الكفارة رحمة بهم .

٢٢٧ - وان لم يأتوا نساءهم فى هذه المدة كان ذلك اضراراً بالمرأة ، فليس الا الطلاق ، والله سميع لايمانهم عليم بأحوالهم ومحاسبهم على ذلك يوم القيامة .

٢٢٨ - وعلى المطلقات أن ينتظرن دون الطموح الى زواج يستأنف مدة ثلاث حيضات (١) ، استبراء للرحم (٢) ، وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحل لهن أن يكتمن ما يكون فى ارحامهن من جنين أو دم حيض ، وذلك شأن المؤمنات بالله ولقائه فى اليوم الآخر ، وأزواجهن لهم الحق فى ارجاعهن للزوجية ثانياً مدة العدة ، وعلى

(١) تنبيهان :

الأول : جرى التفسير فى جعل العدة ثلاث حيضات على تفسير كلمة « القرء » الواردة فى النص القرآنى بالحيض ، وهذا رأى جمهور الفقهاء ، وفسر الشافعى « القرء » بالطهر بين الحيضتين ، فعلى ذلك تكون العدة عنده ثلاثة أطهار .

الثانى : بقية أنواع العدة وأحكامها ستأتى فى أماكن أخرى .

(٢) شرعت العدة استبراء للرحم أولا ، وذلك ان الاستبراء للرحم من الحمل لايكون مؤكدا الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لاتحيض عادة ، وان حاضت فان ذلك يكون مرة أو اثنتين على الاكثر اذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة الى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض ، ذلك تقدير الله فى خلقه وماكان معلوما عند العرب ، وماكان للنبى الامى أن يعلمه ولكن الله أنزل عليه القرآن فعلمه وعلم أمته . وشرعت العدة ثانيا ليكون عند المطلق فرصة المراجعة لزوجته اذ قد يكون طلق امراته التى دخل بها تحت تأثير نوبة غضب جامحة فاذا ثاب اليه رشده ندم على مافعل فحينئذ يجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكيا ، قد اعطاه الحق فى ان يقول (راجعتك) فتعود اليه زوجته ولكن تحتسب عليه الطلقة من ثلاث طلقات .

دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا

الأزواج عند استعمال هذا الحق أن يقصدوا الى الاصلاح لا المضرة وللزوجات من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات بما لا ينكره [1] الشرع الشريف وللرجال عليهن درجة الرعاية والمحافظة على الحياة الزوجية وشئون الأولاد، والله سبحانه فوق عباده يشرع لهم ما يتفق مع الحكمة.

٢٢٩ - الطلاق مرتان[2] يكون للزوج بعد كل واحدة منها الحق فى أن يمسك زوجته برجعتها فى العدة أو اعادتها الى عصمته بعقد جديد، وفى هذه الحال يجب أن يكون قصده الامساك بالعدل والمعاملة بالحسنى، أو أن ينهى الحياة الزوجية مع المعاملة الحسنة واكرامها من غير مجافاة. ولا يحل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا مما أعطيتموهن شيئاً الا عند خشية عدم اقامة حقوق الزوجية التى بينها الله سبحانه وتعالى، وألزم بها. فان خفتم يا معشر المسلمين الا يؤدى الزوجات حقوق الزوجية سليمة كما بينها الله فقد شرع للزوجة أن تقدم مالاً فى مقابل افتراقها عن زوجها، وهذه هى أحكام الله المقررة فلا تخالفوها وتتجاوزوها لأن من يفعل ذلك ظالم لنفسه وظالم للمجتمع الذى يعيش فيه.

---

(١) جعل الله تعالى للمرأة من الحقوق بمقدار ماعليها من واجبات وجعل للزوج درجة الرعاية والمحافظة وعليه واجب العدالة وأن التسوية فى الحقوق الزوجية بالنسبة للمرأة بين الحقوق والواجبات مبدأ لم يكن عند الامم السابقة، فكانت المرأة عند الرومان أمة فى بيت زوجها عليها واجبات وليس لها حقوق وكذلك كانت فى فارس وقد سبق الاسلام بهذه العدالة.

(٢) شرع الله سبحانه وتعالى الطلاق وجعله بيد الرجل ابتداء وقد توهم بعض الناس ان ذلك يؤدى الى الاضرار بالحياة وإلى سهولة انحلال الاسرة وزكوا كلامهم بأن نسبة الطلاق فى مصر قد بلغت نحو ٣٠٪ أو تزيد وأن هذا أدى الى كثرة التشرد والواجب علينا ان نتكلم فى اعطاء الحق للزوج ثم فيا ادعوا انه ترتب عليه.

(ا) أما اعطاء حق الطلاق للزوج فهو لم يعط ذلك الحق غير مقيد بل قيد بقيود نفسية وقيود عددية بالنسبة للزوجة التى دخل بها زوجها وتلك القيود هى:

أولا - لا يطلق الا طلقة واحدة رجعية أى يكون له حق المراجعة فى أثناء العدة فاما أن يرجع فى العدة واما أن يتركها ويكون هذا دليلا على كمال النفرة ولا يصح بقاء زوجية مع شدة النفرة.

ثانيا - ان لايطلقها فى وقت الحيض لأنها تكون فى حالة عصبية ولايكون ثمة اقبال عليها وقد تكون هذه الحال العارضة سبب هذه النفرة التى اشتدت فلا يطلق الا عند الاقبال.

ثالثا - لا يطلق فى طهر قد دخل بها فيه لأن ذلك يفسر بالنفرة تكون لعدم وجود الرغبة فيها فاذا كانت هذه الامور فان الطلاق يكون فى حالة نفرة شديدة وانقطاع المودة الدائمة.

(ب) وأما ادعاء زيادة نسبة الطلاق بنحو ٣٠٪ فمع التسليم بها تكون أقل مما عند الانجليز والامريكان والفرنسيين على أنه ليس كل طلاق يوجد انفصالا وان الطلاق قبل الدخول لايعد كارثة زوجية بل يعد منعا لكارثة ولكن تتبين نسبة عدد الرجعات وعدد الطلاق من قبل الدخول وعدد الطلاق بتراضى الزوجين وعدد الزواج الذى استؤنف بعد الطلاق ولو استنزل هذا كله لهبطت النسبة هبوطا واضحا الى درجة أن يكون الطلاق الذى أدى الى الانفصال التام نادر وقد قمنا بهذه التجربة فى بعض المحاكم التى يكثر فيها الطلاق فوجدنا نسبة الطلاق الذى يوجد انفصالا يحتمل اساءة استعمال ذلك الحق تهبط الى نحو ١٪ أو ٢٪.

(ج) وأما بالنسبة للتشرد فقد اثبتت الاحصاءات ان الطلاق يقل عند وجود الولد ويكثر اذا لم يكن ولد وقد اثبتت الاحصاءات ان ٧٥٪ من وقائع الطلاق تكون فى أعقاب أى ولد وان كان ١٧٪ من وقائع الطلاق بعد اعقاب ولد واحد ثم تهبط النسبة بعد ذلك كلما كثر الاولاد حتى اذا وصل العدد الى خمسة أولاد هبطت النسبة حتى تصل الى ربع فى المائة من وقائع الطلاق فهل يوجد برهان اقوى من هذا يدل على ان التشرد ليس سببه الطلاق انما سببه الحقيق هو ضعف الرقابة على الولى على النفس الذى يقوم بتربية الاطفال ورعايتهم على ان الاحصاء بالنسبة لجرائم الاحداث اثبت ان الانفصال الجسدى وهجر الاب للبيت أكثر من الطلاق تأثيرا.

تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ

---

٢٣٠ - فان طلق الزوج امرأته مرة ثالثة بعد التطليقتين السابقتين فلا تحل له حينئذ الا بعد أن تتزوج زوجاً غيره ويدخل بها . فان طلقها من بعد ذلك الزوج الثانى وصارت أهلاً لأن يعقد عليها عقداً جديداً فلا اثم عليها ولا على زوجها الأول فى أن يستأنفا حياة زوجية جديدة بعقد جديد ، وعليهما أن يعتزما اقامة حياة زوجية صالحة تراعى فيها كل الأحكام الشرعية التى حددها الله سبحانه وتعالى ، وقد بينت هذه الحدود لمن يؤمن بالشرع الاسلامى ويريد العلم والعمل به .

٢٣١ - واذا طلقتم النساء فشارفن انتهاء عدتهن ، فلكم أن تراجعوهن قاصدين اقامة العدل وحسن الصحبة وعدم المضارة ، ولكم أن تتركوهن لتنقضى عدتهن ملاحظين المعاملة اللائقة عند الفراق من غير جفوة ولا يجوز أن يكون القصد من المراجعة مضارة المرأة وتطويل عدتها ، ومن يفعل ذلك فقد حرم نفسه سعادة الحياة الزوجية وثقة الناس به واستحق سخط الله عليه ، ولا تتخذوا أحكام الله فى الأسرة التى جاءت بها الآيات وجعلت زمام الأسرة بيد الوكيل سخرية ولهواً وعبثاً . تطلقون لغير سبب وترجعونها مضارة وايذاء . واذكروا نعمة الله عليكم بتنظيم الحياة الزوجية تنظيماً عالياً وبما أنزل عليكم من كتاب مبين للرسالة المحمدية والعلوم النافعة والأمثال والقصص التى بها تتعظون وتهتدون ، واتخذوا بينكم وبين غضب الله وقاية واعلموا أن الله يعلم سركم وجهركم ونياتكم وأعمالكم وهو مجازيكم بما كنتم تعملون .

٢٣٢ - واذا طلقتم النساء وأتممتم عدتهن ، وأرادت احداهن أن تستأنف زواجاً جديداً من المطلق أو من رجل آخر غيره ، فلا يحل للأولياء ولا للزوج المطلق أن يمنعوهن من ذلك ، واذا تراضى الطرفان على عقد جديد وارادة حياة كريمة تؤدى إلى حسن العشرة بينهما ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، ذلكم ادعى إلى تنمية العلاقات الشريفة فى مجتمعكم وأطهر فى نفوسكم من الأدناس والعلاقات المريبة ، والله يعلم من مصالح البشر وأسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول إليه .

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ

---

٢٣٣ - وعلى الأمهات أن يقمن[1] بارضاع أولادهن مدة عامين تامين مراعاة لمصلحة الطفل، إذا طلب أحد الوالدين أو كلاهما استيفاء مدة الرضاعة تامة لاحتياج الولد إليها، ويلزم الوالد - باعتبار الولد منسوبا اليه - بالانفاق على الأمهات حينئذ باطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا اسراف ولا تقصير. فانه لا يلزم إنسان الا بما يقدر عليه ويستطيعه. ولا ينبغى أن يكون سبباً فى الحاق الضرر بأمه بأن يهضم حقها فى نفقتها أو حضانة ولدها، كما لا ينبغى أن يكون الولد سبباً فى الحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه فى ولده، وإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد لو كان له مال، فان رغب الوالدان أو كلاهما فى فطام الطفل قبل تمام العامين وقد تراضيا على ذلك ونظراً الى مصلحة الرضيع فلا تبعة عليهما، واذا شئتم أيها الآباء أن تتخذوا مراضع للاطفال غير أمهاتهم فلا تبعة عليكم فى ذلك، ولتدفعوا إليهن ما أنفقتم عليه من الأجر بالرضا والمحاسنة، وراقبوا الله فى أعمالكم، واعلموا أنه مطلع عليها ومجازيكم بها.

٢٣٤ - والذين يتوفون منكم أيها الرجال ويتركون زوجات لهم غير حوامل فعليهن أن يمكثن بعدهم دون تعرض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال بأيامها استبراء للرحم وحداداً على الأزواج. فاذا انتهت هذه المدة فلا تبعة عليكم أيها الأولياء لو تركتموهن يأتين من شريف الأعمال التى يرضاها الشرع ليصلن بها الى الزواج. فلا ينبغى أن تمنعوهن من ذلك ولا يجوز لهن أن يأتين من الأعمال ما ينكره الشرع ويأباه فان الله مطلع على سرائركم ويعلم أعمالكم فيحاسبكم على ما تعملون.

---

(١) النص القرآنى يعتبر وجوب الارضاع على الام ولا يكون الاسترضاع الاحيث لا يمكنها الارضاع وقد اتفق الفقهاء على وجوب الارضاع عليها صيانة لان الارضاع هو المطعم الطبيعى للمولود اذ لبن الام يلائم حياة الطفل كل الملاءمة فيزداد حجما بزيادة حجم المولود وتتنوع محتوياته حسب حاجاته والرضاعة تفيد الام ولا تضرها الا فى أحوال شاذة اذ أن الرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمى وحمله على العمل للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود وذلك فوق ماتعيده الرضاعة فى الجهاز التناسلى اذ تعيده الى أوضاعه الطبيعية بعد عملية الولادة والنظام الطبى يكون تدريجيا ويجوز ان يفطم الصغير لاقل من عامين من ولادته إذا كانت صحته تعاونه على ذلك أما اذا كانت صحته لاتعاونه ولا يستسيغ الطعام الخارجى فانه يستمر حولين كاملين وبعدها يمكن ان يستغنى الطفل استغناء كاملا عن لبن الام.

أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ

---

٢٣٥ - ولا اثم عليكم أيها الرجال فى مدة العدة اذا لمحتم للمعتدات من وفاة بالزواج أو أضمرتم ذلك فى قلوبكم . فان الله يعلم أنكم لا تصبرون عن التحدث فى شأنهن لميل الرجال الى النساء بالفطرة ، ولهذا أباح لكم التلويح دون التصريح ، فلا تعطوهن وعداً بالزواج الا أن يكون ذلك اشارة لا نكر فيها ولا فحش ، ولا تبرموا عقد الزواج حتى تنقضى العدة . وايقنوا ان الله مطلع على ما تخفونه فى قلوبكم ، فخافوا عقابه ولا تقدموا على ما نهاكم عنه ، ولا تيأسوا من رحمته أن خالفتم أمره فانه واسع المغفرة يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، كما أنه حليم لا يعجل بالعقوبة لمن انتهك المحرمات . . .

٢٣٦ - ولا اثم عليكم أيها الأزواج ، ولا مهر إذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بهن وقبل أن تقدروا لهن مهراً ، ولكن اعطوهن عطية من المال يتمتعن بها لتخفيف آلام نفوسهن ولتكن عن رضا وطيب خاطر وليدفعها الغنى بقدر وسعه والفقير بقدر حاله ، وهذه العطية من أعمال البر التى يلتزمها ذوو المروءات وأهل الخير والاحسان .

٢٣٧ - واذا طلقتم النساء قبل الدخول بهن بعد تقدير مهورهن ، فقد وجب لهن نصف المهر المقدر ويدفع اليهن ، الا اذا تنازلت عنه الزوجة ، كما انهن لا يعطين أكثر من النصف الا اذا سمحت نفس الزوج فأعطاها المهر كله ، وسماحة كل من الزوجين اكرم وارضى عند الله واليق بأهل التقوى فلا تتركوها ، واذكروا ان الخير فى التفضل وحسن المعاملة ، لأن ذلك أجلب للمودة والتحاب بين الناس ، والله مطلع على ضمائركم وسيجازيكم على ما تفعلون .

وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

---

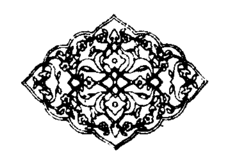
٢٣٨ - احرصوا على إقامة الصلوات كلها ، وداوموا عليها ، واحرصوا على أن تكون صلاتكم هى الصلاة الفضلى بإقامة أركانها والاخلاص الكامل لله فيها ، وأتموا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله .

٢٣٩ - فاذا أدركتم الصلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلوا كما استطعتم مشاة أو راكبين فاذا زال الخوف عنكم فصلوا الصلاة مستوفية الأركان كما علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علمكم اياه وما منّ به عليكم من نعمة الأمن .

٢٤٠ - والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات لهم ، فقدأوصى الله بهن أن يقمن فى بيت الزوجية عاماً كاملاً مواساة لهن وازالة لوحشتهن . ولا يحق لأحد أن يخرجهن ، فان خرجن بأنفسهن فى أثناء العام فلا اثم عليكم أيها الأولياء أن تتركوهن يتصرفن فى أنفسهن بما لا ينكره الشرع الشريف عليهن ، وأطيعوا الله فى أحكامه واعملوا بما شرع لكم فانه قادر على أن ينتقم ممن يخالف أمره ، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرع لكم الا ما فيه المصلحة وان غابت حكمتها عن علمكم .

٢٤١ - وللنساء اللاتى يطلقن بعد الدخول حق فى أن يعطين ما يتمتعن به من المال جبراً لخاطرهن ، يدفع اليهن بالحسنى على قدر غنى الزوج وفقره لأن ذلك مما توجبه تقوى الله ويلزم به أهل الايمان .

٢٤٢ - بمثل هذه البيانات والتشريعات الواضحة المحققة للمصلحة ، يبين الله لكم أحكامه ونعمه وآياته لتتدبروها وتعملوا بما فيها من الخير .



لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ

---

٢٤٣ - تنبه أيها النبى الى القصة العجيبة واعلمها ، وهى حالة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد خشية الموت فيه وهم ألوف كثيرة فقضى الله عليهم بالموت والهوان من اعدائهم ، حتى اذا استبسلت بقيتهم وقامت بالجهاد أحيا الله جماعتهم به ، وأن هذه الحياة العزيزة بعد الذلة المميتة من فضل الله ، الذى يستوجب الشكران ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون . .

٢٤٤ - واذا علمتم أن الفرار من الموت لا ينجى منه ، فجاهدوا وابذلوا أنفسكم لاعلاء كلمة الله ، وأيقنوا أن الله يسمع ما يقول المتخلفون وما يقول المجاهدون ، ويعلم ما يضمر كل فى نفسه فيجازى بالخير خيراً وبالشر شراً . .

٢٤٥ - والجهاد فى سبيل الله يحتاج الى المال فقدموا أموالكم ، فأى امرىء لا يبذل أمواله لله طيبة بها نفسه وقد وعد الله أن يردها عليه مضاعفة أضعافاً كثيرة ، والرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم واليه مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم ، ومع أن الرزق من فضل الله وعنايته وأنه هو الذى يعطى ويمنع ، سمى المنفق مقرضاً للحث على الانفاق والتحبب فيه ، وتأكيد الجزاء المضاعف فى الدنيا والآخرة .

٢٤٦ - تنبه الى النبأ العجيب عن جماعة من بنى اسرائيل بعد عهد موسى طلبوا من نبيهم فى ذلك الوقت أن يجعل عليهم حاكماً يجمع شملهم بعد تفرق ويقودهم تحت لوائه اعلاء لكلمة الله واسترداداً لعزتهم ، سألهم ليستوثق من جدهم فى الأمر : ألا ينتظر منكم أن تجبنوا عن القتال اذا فرض عليكم ؟ . فأنكروا أن يقع ذلك منهم قائلين : وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدو من أوطاننا . . فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال أحجموا الا جماعة قليلة منهم ، وكان أحجامهم ظلماً لأنفسهم ونبيهم ودينهم ، والله يعلم ذلك منهم وسيجزيهم جزاء الظالمين .

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَـٰئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

---

٢٤٧ - وقال لهم نبيهم ان الله استجاب لكم فاختار طالوت حاكماً عليكم . فاعترض كبراؤهم على اختيار الله قائلين : كيف يكون ملكاً علينا ونحن أولى منه ، لأنه ليس بذى نسب ولا مال ، فرد عليهم نبيهم قائلاً ان الله اختاره حاكماً عليكم لتوافر صفات القيادة فيه ، وهى سعة الخبرة بشئون الحرب وسياسة الحكم مع قوة الجسم والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على وراثة أو مال ، وفضل الله وعلمه شامل ، يختار ما فيه مصالحكم .

٢٤٨ - وقال لهم نبيهم ان دليل صدق على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعود اليكم صندوق التوراة الذى سلب منكم تحمله الملائكة ، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدهما - وفى احضاره تطمئن قلوبكم ، وان فى ذلك لدليلاً يدفعكم الى اتباعه والرضا به ان كنتم تذعنون للحق وتؤمنون به .

٢٤٩ - فلما خرج بهم طالوت قال لهم ان الله مختبركم بنهر تمرون عليه فى طريقكم فلا تشربوا منه الا غرفة فمن شرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جمعنا لخروجه عن طاعة الله ، ولن يصحبنى الا من لم يشرب منه أكثر من غرفة ، فلم يصبروا على هذا الاختبار وشربوا منه كثيراً الا جماعة قليلة ، فاصطحب هذه القلة الصابرة واجتاز بها النهر ، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا : لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقلتنا ، فقال نفر منهم - ثبت الله قلوبهم لرجائهم فى ثواب الله عند لقائه - لا تخافوا فكثيراً ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، فاصبروا فان نصر الله يكون للصابرين .

٢٥٠ - ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا الى الله ضارعين داعين له أن يملأهم بالصبر ، ويقوى عزائمهم ويثبتهم فى ميدان القتال ، وأن ينصرهم على أعدائهم الكافرين .

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ

---

٢٥١ - فهزموا عدوهم باذن الله تعالى وقتل داود - وهو أحد جنود طالوت - جالوت قائد الكفار، وأعطاه الله الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم النافع وعلمه مما يشاء، وسنة الله أن ينصر الذين يصلحون فى الأرض ولا يفسدون، لولا أن الله يسلط جنوده على المفسدين لمحو فسادهم، ويسلط الأشرار بعضهم على بعض، لما عمرت الأرض، ولكن الله دائم الاحسان والفضل على عباده.

٢٥٢ - تلك القصة من العبر التى نقصها عليك بالصدق لتكون أسوة لك ودليلاً على صدق رسالتك، ولتعلم أننا سننصرك كما نصرنا من قبلك الرسل.

٢٥٣ - هؤلاء الرسل الذين ذكرنا فريقاً منهم وقد فضلنا بعضهم على بعض. فمنهم من كلمه الله دون سفير كموسى، ومنهم من رفعه الله درجات فوق درجاتهم جميعاً وهو محمد الذى اختص بعموم الرسالة، وكمال الشريعة، وختمه الرسالات. ومنهم عيسى ابن مريم الذى أمددناه بالمعجزات كاحياء الموتى، وابراء الأكمه والابرص وأيدناه بجبريل روح القدس وقد جاء هؤلاء الرسل بالهدى، ودين الحق، والبينات الهادية وكان مقتضى هذا أن يؤمن الناس جميعاً، ولا يختلفوا ولا يقتتلوا، ولو شاء الله ألا يقتتل الناس من بعد مجىء الرسل اليهم بالآيات الواضحة الدالة على الحق، ما حدث اقتتال ولا اختلاف، ولكن الله لم يشأ ذلك، ولهذا اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولا اختلفوا بل يكونون جميعاً على الحق، ولكنه يفعل ما يريد لحكمة قدرها.

٢٥٤ - يأيها المؤمنون بالله واليوم الآخر انفقوا بعض ما رزقكم الله فى وجوه الخير، وبادروا بذلك قبل أن يأتى يوم القيامة الذى يكون كله للخير ولا توجد فيه أسباب النزاع، لا تستطيعون فيه تدارك ما فاتكم فى الدنيا، ولا ينفع فيه بيع ولا صداقة ولا شفاعة أحد من الناس دون الله، والكافرون هم الذين يظهر ظلمهم فى ذلك اليوم، إذ لم يستجيبوا لدعوة الحق..

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى

---

٢٥٥ - الله هو الذى يستحق أن يعبد دون سواه ، وهو الباقى القائم على شئون خلقه دائماً ، الذى لا يغفل أبداً ، فلا يصيبه فتور ولا نوم ولا ما يشبه ذلك لأنه لا يتصف بالنقص فى شيء ، وهو المختص بملك السموات والأرض لا يشاركه فى ذلك أحد ، وبهذا لايستطيع أى مخلوق كان أن يشفع لأحد إلا باذن الله ، وهو سبحانه وتعالى محيط بكل شيء عالم بما كان وما سيكون ، ولا يستطيع أحد أن يدرك شيئاً من علم الله الا ما أراد أن يعلم به من يرتضيه ، وسلطانه واسع يشمل السموات والأرض ، ولا يصعب عليه تدبير ذلك لأنه المتعالى عن النقص والعجز ، العظيم بجلاله وسلطانه .

٢٥٦ - لا إجبار لأحد فى الدخول فى الدين ، وقد وضح بالآيات الباهرة طريق الحق ، وطريق الضلال ، فمن اهتدى إلى الايمان وكفر بكل ما يطغى على العقل ، ويصرفه عن الحق ، فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردى فى الضلال كمن تمسك بعروة متينة محكمة الرباط تمنعه من التردى فى هوة . والله سميع لما تقولون ، عليم بما تفعلون ومجازيكم على أفعالكم [١] .

٢٥٧ - الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم يخرجهم من ظلمات الشك والحيرة إلى نور الحق والاطمئنان ، والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الايمان الذى فطروا عليه والذى وضح بالأدلة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد ، هؤلاء الكافرون هم أهل النار مخلدون فيها .

---

(١) سبق التعليق عليها من ناحية القانون الدولى عند التعليق على أيات القتال من ١٩٠ - ١٩٥ من سورة البقرة .

كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ

---

٢٥٨ - ألم تر إلى من عمى عن أدلة الايمان وجادل إبراهيم خليل الله فى الوهية ربه ووحدانيته، وكيف أخرجه غروره بملكه الذى وهبه ربه من نور الفطرة إلى ظلام الكفر فعندما قال له إبراهيم: ان الله يحيى ويميت، بنفخ الروح فى الجسم وإخراجها منه، قال أنا أحيى وأميت بالعفو والقتل فقال إبراهيم ليقطع مجادلته: ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ان كنت إلهاً كما تدعى، فتحير وانقطع جدله من قوة الحجة التى كشفت عجزه وغروره، والله لا يوفق المصرين المعاندين إلى اتباع الحق.

٢٥٩ - ثم تدبر فى مثل هذه القصة العجيبة، قصة الذى مر على قرية متهدمة سقطت سقوفها وهدمت حيطانها وهلك أهلها، فقال: كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم؟ فأماته الله وأبقاه على موته مائة عام ثم بعثه ليظهر له سهولة البعث ويزول استبعاده ثم سئل أى مدة مكثتها ميتاً؟ قال: غير شاعر بطول المدة -: يوماً أو بعض يوم، قيل له بل مكثت على هذه الحالة مائة عام، ثم لفت الله نظره إلى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له: فانظر إلى طعامك لم يفسد، وإلى شرابك لم يتغير، وانظر إلى حمارك أيضاً، وقد فعلنا ذلك لتعاين ما استبعدته من احياء بعد الموت ولنجعلك آية ناطقة للناس تدل على صدق البعث، ثم أمره الله أن ينظر إلى عجيب خلقه للأحياء، وكيف يركب عظامها، ثم يكسوها لحماً، ثم ينفخ فيها الروح فتتحرك، فلما وضحت له قدرته تعالى وسهولة البعث، قال أعلم ان الله قادر على كل شىء.

٢٦٠ - واذكر كذلك قصة إبراهيم، إذ قال ابراهيم: رب أرنى كيفية إحياء الموتى، فسأله ربه عن إيمانه باحياء الموتى ليجيب إبراهيم بما يزيل كل الشك فى إيمانه، فقال الله له: أو لم تؤمن باحياء الموتى، قال: إنى آمنت ولكنى طلبت ذلك ليزداد اطمئنان قلبى. قال: فخذ أربعة من الطير الحى فضمها إليك لتعرفهن جيداً، ثم جزلهن بعد ذبحهن، واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءاً منهن، ثم نادهن فسيأتينك ساعيات وفيهن الحياة كما هى، واعلم أن الله لا يعجز عن شىء، وهو ذو حكمة بالغة فى كل أمر[1].

---

(١) ذكر الفخر الرازى وغيره ان هناك رأيا آخر فى تفسير النص الكريم وهو أن ابراهيم لم يذبحهن ولم يؤمر بالذبح وانه أمر بضمهن اليه ترويضا لهن على البقاء عنده ثم قسمهن فجعل على كل جبل واحدة من الاربع ثم دعاهن فجئن اليه وهذا تصوير لخلق الله تعالى للاشياء من أنها تكون بأمره للشىء كن فيكون كما دعاهن فجئن اليه.

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ

٢٦١ - ان حال الذين يبذلون أموالهم فى طاعة الله ووجوه الخير، وينالون على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافاً كثيرة، كحال من يبذر حبة فى الأرض طيبة فتنبت منها شجيرة فيها سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الإنفاق فى الدنيا، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء فهو واسع الفضل، عليم بمن يستحق وبمن لا يستحق.

٢٦٢ - ان الذين ينفقون أموالهم فى وجوه البر المشروعة دون من أو تفاخر أو تطاول على المحسن إليه. لهم أجرهم العظيم الموعود به عند ربهم، ولا يصيبهم خوف من شىء ولا حزن على شىء.

٢٦٣ - قول تطيب به النفوس وتستر معه حال الفقير فلا تذكر لغيره، خير من عطاء يتبعه إيذاء بالقول أو الفعل، والله سبحانه وتعالى غنى عن كل عطاء مصحوب بالأذى، ويمكن الفقراء من الرزق الطيب، ولا يعجل بعقوبته من لا يعطى رجاء أن يهتدى إلى العطاء.

٢٦٤ - لا تضيعوا ثواب صدقاتكم أيها المؤمنون - باظهار فضلكم على المحتاجين وإيذائهم فتكونوا كالذين ينفقون أموالهم بدافع الرغبة فى الشهرة وحب الثناء من الناس، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فان حال المرائى فى نفقته كحال حجر أملس عليه تراب، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب.. فكما أن المطر الغزير يزيل التراب الخصب المنتج من الحجر الأملس، فكذلك المن والأذى والرياء تبطل ثواب الصدقات.. فلا ينتفع المنتفعون بشىء منها، وتلك صفات الكفار فتجنبوها، لأن الله لا يوفق الكافرين إلى الخير والارشاد.

٢٦٥ - حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الايمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة [1] يفيده كثير الماء وقليله، فان أصابه مطر غزير أثمر مثلين، وان لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكفى لاثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مثمر فى الحالتين - فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم، والله لا يخفى عليه شىء من أعمالكم.

(١) فى تعبير القرآن الكريم بكلمة ربوة وهى الارض الخصبة المرتفعة اشارة الى ماكشفه العلم الحديث لانها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذرى فى التربة من غير ماء يضره ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لاكبر كمية من الغذاء لسيقان المجموع الخضرى فيتضاعف المحصول وللوابل من الأمطار فائدة فوق التغذية إذ أنه يذيب بعض المواد التى تحتاج اليها النباتات ويغسلها مما يعطل نموها كما يغسلها من الآفات.

جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟

---

٢٦٦ - انه لا يحب أحد منكم أن يكون له بستان من نخيل وأعناب تجرى خلالها الأنهار وقد أثمر له البستان من كل الثمرات التى يريدها [1] واصابه ضعف الكبر وله ذرية ضعاف لا يقدرون على الكسب ولا يستطيع هو لكبره شيئاً ، وجف بستانه فى هذه الحال العاجزة بسبب ريح شديدة فيها نار فأحرقته ، وصاحبه وذريته أحوج ما يكون إليه ، وكذلك شأن من ينفق ويتصدق ثم يعقب النفقة والصدقة بالمن والأذى والرياء فيبطل بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع أن يتصدق من بعد ذلك طيبة نفسه ، ومثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات لتتفكروا فيها وتعملوا بها .

٢٦٧ - يأيها المؤمنون أنفقوا من جيد ما تحصلونه بعملكم ، ومما يتيسر لكم إخراجه من الأرض من زروع ومعادن وغيرها ، ولا تتعمدوا الانفاق من رديء المال وخبيثه مع أنكم لا تأخذونه لو قدم إليكم إلا على اغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث ورداءة ، واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم ، مستحق للحمد بما أرشدكم إليه من خير وصلاح .

٢٦٨ - الشيطان يخوفكم من الفقر ويثنى عن كل عمل صالح ليصرفكم عن الانفاق فى وجوه الخير ويغريكم بالمعاصى ، والله واسع المغفرة قادر على إغنائكم ، لا يخفى عليه شيء من أموركم .

٢٦٩ - يعطى صفة الحكمة من اصابة الحق فى القول والعمل من يشاء من عباده ، ومن اعطى ذلك فقد نال خيراً كثيراً لأن به انتظام أمر الدنيا والآخرة ، وما ينتفع بالعظة والاعتبار بأعمال القرآن إلا ذوو العقول السليمة التى تدرك الحقائق من غير طغيان الأهواء الفاسدة .

٢٧٠ - وما أنفقتم من نفقة فى الخير أو الشر ، أو التزمتم بنفقة فى طاعة ، فان الله يعلمه وسيجزيكم عليه ، وليس للظالمين الذين ينفقون رياء أو يؤذون فى نفقتهم أو ينفقون فى المعاصى ، أعوان يدفعون عنهم عذاب الله فى الآخرة .

---

(١) يفسر العلم الحديث الاعصار بأنه اضطراب جوى يتميز برياح شديدة يصحبه رعد وبرق وأمطار وقد يكون فيه نار اذا كان مقترنا بتفريغ شحنات كهربائية من السحب أو يحمل قذائف نارية من بركان ثائر قريب تهلك ماحولها من أشجار وثمرها والنص القرآنى يشير الى كل هذه المعانى .

ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن

---

٢٧١ - وان تظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم مرضى منكم، ممدوح من ربكم، وان تعطوها الفقراء سراً منعاً لحرجهم وخشية الرياء فذلك خير لكم، والله يغفر لكم من ذنوبكم بسبب إخلاصكم فى صدقاتكم، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم نياتكم فى إعلانكم وإخفائكم.

٢٧٢ - ليس عليك يا محمد هداية هؤلاء الضالين أو حملهم على الخير، وإنما عليك البلاغ، والله يهدى من يشاء، وما تبذلونه من معونة لغيركم ففائدته عائدة عليكم، والله مثيبكم عليه، وهذا إذا كنتم لا تقصدون بالانفاق إلا رضاء الله وأى خير تنفقونه على هذا الوجه يعود إليكم، ويصلكم ثوابه كاملاً دون أن ينالكم ظلم.

٢٧٣ - وذلك الانفاق والبذل يكون للفقراء الذين كانوا بسبب الجهاد فى سبيل الله غير قادرين على الكسب، أو لأنهم أصيبوا فى الجهاد بجراحات أقعدتهم عن السعى فى الأرض، وهم متعففون عن السؤال يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء، ولكنك إذا تعرفت حالهم عرفت هذه الحالة بعلامتها. وما تبذلونه من معروف فان الله عليم به، سيجزيكم عليه الجزاء الأوفى.

٢٧٤ - الذين من شأنهم الانفاق تسخو نفوسهم فى الليل والنهار وفى العلانية والسر، لهم جزاؤهم عند ربهم، لا ينالهم خوف من أمر مستقبلهم، ولا حزن على شىء فاتهم.

جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

٢٧٥ - الذين يتعاملون بالربا لا يكونون فى سعيهم وتصرفهم وسائر أحوالهم إلا فى اضطراب وخلل، كالذى أفسد الشيطان عقله فصار يتعثر من الجنون الذى أصابه. لأنهم يزعمون أن البيع مثل الربا فى أن كلاً منها فيه معاوضة وكسب. فيجب أن يكون كلاهما حلالاً وقد رد الله عليهم زعمهم فبين لهم أن التحليل والتحريم ليس من شأنهم، وأن التماثل الذى زعموه ليس صادقاً. والله قد أحل البيع وحرم الربا، فمن جاءه أمر ربه بتحريم الربا واهتدى به، فله ما أخذه من الربا قبل تحريمه، وأمره موكول إلى عفو الله. ومن عاد إلى التعامل بالربا باستحلاله بعد تحريمه، فأولئك يلازمون النار خالدين فيها (١).

٢٧٦ - ان الله يذهب بالزيادة المأخوذة من الربا ويبارك فى المال الذى تؤخذ منه الصدقات ويثيب عليها أضعافاً مضاعفة: والله لا يحب الذين يصرون على تحليل المحرمات كالربا، ولا الذين يستمرون على ارتكابها.

٢٧٧ - ان الذين آمنوا بالله، وامتثلوا أوامره فعملوا الصالحات التى أمر بها، وتركوا المحرمات التى نهى عنها، وأدوا الصلاة على الوجه الأكمل، وأعطوا الزكاة لأهلها، لهم ثوابهم العظيم المدخر عند ربهم، ولا خوف عليهم من شىء فى المستقبل، ولا هم يحزنون على شىء فاتهم.

---

(١) الربا المذكور فى الآية هو ربا الجاهلية وهو الزيادة فى الديون فى نظير الاجل وهو حرام فى قليله وكثيره، وقال الامام أحمد «لا يسع مسلما ان ينكره» ويقابله ربا البيوع وهو ثابت بالسنة فى قوله عليه السلام: «البر بالبر مثلا بمثل يدا بيد والشعير بالشعير مثلا بمثل يدا بيد والذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد والفضة بالفضة مثلا بمثل، يدا بيد، والتمر بالتمر مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى».

وقد اتفق الفقهاء على تحريم الزيادة عند المبادلة مع اتحاد الجنس فى هذه الاشياء واباحوا الزيادة اذا اختلف الجنس ولكن حرموا التأجيل من هذه الاصناف واختلفوا فى قياس غيرها عليها اختلافا طويلا واقرب الاراء ان يقاس عليها كل ماهو مطعوم قابل للادخار وربا الجاهلية لا خلاف فيه فنكره كافر، وان ربا الجاهلية يصيب آكله ومؤاكله باضطرابات نفسية وعصبية نتيجة ارهاقه وتركيز ذهنه فى المال الذى اقرضه أو أخذه فالدائن فى قلق بسبب انحصار ذهنه وفراغ نفسه من كل عمل والمدين فى هم وخوف من ألا يسدده. وقد أسند بعض كبار الاطباء كثرة ضغط الدم والنزلات القلبية الى كثرة التعامل بالربا.

وتحريم الربا فى القرآن كما هو فى كل الديانات السماوية تنظيم اقتصادى ويتفق التحريم مع ماقرره الفلاسفة ذلك لان النقد لايلد النقد والاقتصاديون يقررون أن طرق الكسب اربعة: ثلاثة منها منتجة، والرابعة غير منتجة فالثلاثة المنتجة: العمل ويتبعه الصناعة والزراعة والمخاطرة فى التجارة لانها بنقل الاشياء من مكان انتاجها الى مكان استهلاكها تتعرض لمخاطر ولانها تزيد قيمتها بهذا الانتقال وذلك فى ذاته انتاج. أما الرابعة فهى الفائدة أو الربا وهذه لامخاطرة فيها لأن القرض لا يتعرض للخسارة بل له الكسب دائما ولأنه لا إنتاج إلا العمل المقترض فالفائدة نتيجة لقيمة القرض.. واذا كان السبب هو القرض فهو بتوسيط غيره من غير تعرض للخسارة. والطبيعى ان كان ينتج بنفسه ويفرض ذلك فان شيوع الكسب بالفائدة يؤدى الى تحكم رؤوس الاموال فى العمل ويؤدى الى فراغ وعطل فيكون الاضطراب والكسل.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

---

٢٧٨ ـ يأيها الذين آمنوا خافوا الله واستشعروا هيبته فى قلوبكم، واتركوا طلب ما بقى لكم من الربا فى ذمة الناس إن كنتم مؤمنين حقا.

٢٧٩ ـ فإن لم تفعلوا ما أمركم الله به من ترك الربا فكونوا على يقين من انكم فى حرب من الله ورسوله لمعاندتكم لأمره، فإن أردتم توبة مقبولة فلكم رءوس أموالكم فلا تأخذوا زيادة عليها قلت أو كثرت وأيا كان سبب الدين ومصرفه، لأن الزيادة التى تأخذونها ظلم لغيركم، كما أن ترك جزء من رءوس الأموال ظلم لكم.

٢٨٠ ـ وإن وجد ذو عسرة فأعطوه وأمهلوه عند انقضاء أجل الدين إلى وقت ميسرته، وتصدقكم عليه بالتنازل عن الدين أو بعضه خير لكم إن كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله الذى يعلمكم المروءة والانسانية.

٢٨١ ـ وخافوا أهوال يوم تعودون فيه إلى الله، ثم تستوفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر.

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ * وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ

---

٢٨٢ - يأيها الذين آمنوا إذا داين بعضكم بعضا بدين مؤجل إلى أجل، ينبغى أن يكون الأجل معلوما، فاكتبوه حفظا للحقوق وتفاديا من النزاع وعلى الكاتب أن يكون عادلا فى كتابته، ولا يمتنع كاتب عن الكتابة، شكرا لله الذى علمه مالم يكن يعلم، فليكتب ذلك الدين حسب اعتراف المدين وليخش المدين ربه ولا ينقص من الدين شيئا. فإن كان المدين لا يحسن التصرف ولايقدر الأمور تقديرا حسنا، أو كان ضعيفا لصغر أو مرض أو شيخوخة، أو كان لا يستطيع الاملاء لخرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوثيقة، فلينب عنه وليه الذى عينه الشرع أو الحاكم، أو اختاره هو فى إملاء الدين على الكاتب بالعدل التام. وأشهدوا على ذلك الدين شاهدين من رجالكم، فإن لم يوجدا فليشهد رجل وامرأتان تشهدان معا لتؤديا الشهادة معا عند الانكار، حتى إذا نسيت احداهما ذكرتها الأخرى، ولايجوز الامتناع عن أداء الشهادة إذا ماطلب الشهود - ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا مادام مؤجلا لان ذلك أعدل فى شريعة الله وأقوى فى الدلالة على صحة الشهادة، وأقرب إلى درء الشكوك بينكم، إلا إذا كان التعامل على سبيل التجارة الحاضرة، تتعاملون بها بينكم، فلا مانع من ترك الكتابة إذ لاضرورة اليها. ويطلب منكم أن تشهدوا على المبايعة حسما للنزاع وتفادوا أن يلحق أى ضرر بكاتب أو شاهد، فذلك خروج على طاعة الله وخافوا الله واستحضروا هيبته فى أوامره ونواهيه، فإن ذلك يلزم قلوبكم الانصاف والعدالة، والله يبين مالكم وما عليكم، وهو بكل شئ - من أعمالكم وغيرها - عليم (١).

٢٨٣ - وإذا كنتم فى سفر فلم تجدوا من يكتب لكم الدين، فليكن ضمان الدين رهنا يأخذه الدائن من المدين. وإذا أودع أحدكم آخر وديعة تكون أمانة عنده، وقد اعتمد على أمانته، فليؤد المؤتمن الأمانة عند طلبها، وليخش الله الذى رباه وتولاه بالعناية حتى لا يقطع عنه نعمته فى الدنيا والآخرة. **ولاتكتموا الشهادة عند طلبها**، ومن يكتمها فهو آثم خبيث القلب، والله بما تعملون عليم، سيجزيكم عليه حسب ما تستحقون.

---

(١) من أدق المسائل القانونية فى جميع القوانين الحديثة قواعد الاثبات وهى الطرق التى يثبت بها صاحب الحق حقه اذا ما لجأ الى القضاء يطلبه من خصيمه.

يوجب القرآن على الناس الانصاف والعدل ولو انصف الناس لاستراح القاضى ولكن النفوس البشرية بما جبلت عليه من مختلف الطبائع من طمع الى حب للمال والى شره الى اثرة الى نسيان الى رغبة فى الانتقام كل ذلك جعل الحقوق بينها متنازعا عليها مختلفا فيها فوجب ان تكون هناك قواعد للاثبات تكون وسيلة فى تبين وجه الحق.

ولانزاع ان الكتابة عند الحلف هى اقوى الادلة لان عند عدم الحلف قد يعترف الغريم بحق خصمه فاذا بعتك أو أجرتك أو داينتك وجب ان يثبت كل ذلك بالكتابة ولو فعل كل الناس ذلك لضاقت شقة الخلف بينهم. ولكن وقد تقدم العمران واشتبكت مصالح الناس عمدوا الى وسائل السرعة فاصبحت التقاليد التجارية تسمح للتاجر فى لندن ان يعقد عقدا كبير القيمة برسالة تليفونية أو لاسلكية فى نيويورك مرغما على ان لا يحتم الكتابة فى صفقته التى قد تصل الى الملايين فاذا ما اختلف العاقدان على الصفقة ولجأ الى القضاء اباح لهما.

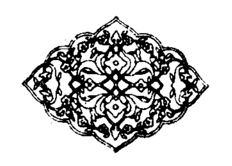
أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

---

٢٨٤ ـ واعلموا أن لله ما فى السموات وما فى الأرض قد أحاط به قدرة وعلما ، وسواء أظهرتم ما فى أنفسكم أو أخفيتموه فإن الله عليم خبير . سيحاسبكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو تعالى على كل شئ قدير . .

٢٨٥ ـ إن ما أنزل إلى الرسول محمد هو الحق من عند الله ، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهم يسوون بين رسل الله فى الايمان بهم وتعظيمهم قائلين : لانفرق بين أحد من رسله ، وأكدوا إيمانهم القلبى بقولهم اللسانى متجهين إلى الله فى خطابهم : ربنا سمعنا تنزيلك المحكم واستجبنا لما فيه ، فامنحنا اللهم مغفرتك ، واليك وحدك المصير والمرجع .

٢٨٦ ـ إن الله لا يكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله : إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فاضرعوا إلى الله أيها المؤمنون داعين : ربنا لاتعاقبنا إن وقعنا فى النسيان لما كلفتنا اياه ، أو تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ ، ربنا ولاتشدد علينا فى التشريع كما شددت على اليهود بسبب تعنتهم وظلمهم ، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به من التكاليف ، واعف عنا بكرمك ، واغفر لنا بفضلك ، وارحمنا برحمتك الواسعة انك مولانا . **فانصرنا يارب ـ من أجل اعلاء كلمتك ونشر دينك ـ على القوم الجاحدين .**





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ

يتحدث القرآن الكريم من خلال ما يذكره من قصص عن سنن الله الكونية ، وعن العبرات والعبر التى تستنتج ، ويبين فى أثناء القصة الكثير من العقائد والأحكام والأخلاق . وقد ذكر فى السورة السابقة طرفا من سيرة بنى إسرائيل صور فيه الكثير من انحرافهم ، وفى هذه السورة يذكر جوانب أخرى من ضلالهم وانحرافهم ، ويرشد إلى ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن فى عقيدته وسلوكه ويبين حقيقة الدين السماوى ، ويشير إلى آداب المجادلة ، ويذكر العادات فى الانتصار والفشل أحيانا . ويبين مقام الشهداء يوم القيامة والجزاء وعمومه للذكر والأنثى وطريق الفلاح ، وتبتدئ هذه السورة الكريمة بما ابتدأت به السورة السابقة .

١ - الم ، حروف صوتية سيقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعوا .

٢ - الله واحد لا إله غيره ، وكل ما فى العالم من تنسيق وإبداع يشهد بذلك ، وهو الحى الذى لا يموت ، القائم بأمر العالم يدبره ويصرفه .

٣ - نزل عليك يامحمد القرآن مشتملا على الحق فى كل ما تضمنه من أصول الشرائع السماوية فى الكتب السابقة ، ولقد أنزل الله من قبله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى .

٤ - أنزلهما قبل القرآن لهداية الناس ، فلما انحرفوا أنزل القرآن فارقا بين الحق والباطل ، ومبينا الرشد من الغى ، فهو الكتاب الصادق الدائم ، وكل من ترك ما أنزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد ، والله قادر لا يغلبه شئ ، منتقم ممن يستحق الانتقام .

٥ - إن الله عليم بكل شئ ، فهو لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، صغيرا كان أو كبيرا ، ظاهرا أو باطنا .

فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ

---

٦ ـ وهو الذى يصوركم وأنتم أجنة فى الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد ، لا إله إلا هو العزيز فى ملكه ، الحكيم فى صنعه [١].

٧ ـ وهو الذى أنزل عليك القرآن ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المعنى بينة المقاصد ، هى الأصل واليها المرجع ، وأخر متشابهات يدق معناها على أذهان كثير من الناس ، وتشتبه على غير الراسخين فى العلم ، وقد نزلت هذه المتشابهات لتبعث العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر فى الاجتهاد ، وفى البحث فى الدين ، وشأن الزائغين عن الحق أن يتتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة فى إثاره الفتنة ، ويؤولوها حسب أهوائهم . وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق إلا الله والذين تثبتوا فى العلم وتمكنوا منه ـ وأولئك المتمكنون منه يقولون إنا نوقن بأن ذلك من عند الله ، لا نفرق فى الإيمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه ، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول السليمة التى لا تخضع للهوى والشهوة .

٨ ـ وأولئك العلماء العاقلون يقولون : ربنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحق بعد إذ أرشدتنا إليه ، وامنحنا اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت إنك أنت المانع المعطى .

٩ ـ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا شك فيه لتجازى كلا على ما فعل ، فقد وعدت بذلك وأنت لا تخلف الميعاد .

١٠ ـ إن الكافرين لن تدفع عنهم فى هذا اليوم أموالهم مهما عظمت ، ولا أولادهم مهما كثرت ، وسيكونون حطبا للنار تشتعل بهم .

---

(١) « تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المعجزة لقدرة البارى المصور وهو تحول البويضة المخصبة وهى خلية واحدة ضئيلة الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من أجهزة وأعضاء وانسجة بملايين الخلايا وآيات فى البنيان والوظيفة . وسوف تتوالى فى القرآن الكريم آيات تفصل بعض اطوار النمو الجنينى . ولكن الذى تنوه به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص هو المشيئة الالهية المطلقة فى تصوير الجنين اذ ان الله يودع فى البويضة الدقيقة الحجم جميع المورثات الجنينات التى تحدد جنس المولود ونصيبه من الخصائص الجسمانية بل ومواهبه العقلية والنفسية والسمات الرئيسية فى تكوين الشخصية الوارثة وان كانت تسير على قوانين ثابتة الا ان هذا التحديد لكل فرد بذاته من التقاء بويضة بعينها وحيوان منوى بعينه من بين الملايين من أقرانه هو من دلائل المشيئة المطلقة حتى انه لا يتماثل فردان فى العالم تماثلا كاملا اللهم الا فى توائم البويضة الواحدة تكاد تتطابق .

ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ

---

١١ - وشأن هؤلاء شأن قوم فرعون والمعادين من قبلهم، كذبوا بآيات الله مع وضوحها فنكل الله بهم بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، والله شديد العقاب.

١٢ - قل أيها النبى لهؤلاء الذين كفروا، إنكم فى الدنيا ستهزمون وفى الآخرة ستعذبون، وتكون جهنم فراشا وبئس الفراش.

١٣ - لقد كان لكم آية بينة وعبرة ظاهرة طائفتين من المحاربين التقيا يوم بدر، إحداهما مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق، والأخرى كافرة تحارب فى سبيل الأهواء والشهوات، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيق، وبذلك وقع الرعب فى قلوب الكفار فانهزموا. والله يمنح نصره لمن يشاء. وإن فى ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التى لا تنحرف فى إدراكها عن الحق.

١٤ - إن البشر جبلوا على حب الشهوات التى تتمثل فى النساء، والبنين والكثرة من الذهب والفضة، والخيل الحسان المعلمة، والأنعام التى منها الإبل والبقر والغنم، وتتمثل أيضا فى الزرع الكثير. لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية، وهو لا يعد شيئا إذا قيس بإحسان الله إلى عباده الذين يجاهدون فى سبيله عند أوبتهم إليه فى الآخرة.

١٥ - قل يا أيها النبى، أأخبركم بما هو خير من ذلك الذى زين للناس فى الدنيا، ان للذين اتقوا ثوابا مضمونا عند ربهم، هو جنات تجرى من تحت ظلال أشجارها الأنهار، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لا يساورهم خوف من زوال نعيمها إذ كتب لهم الخلود فيها. وأزواج طاهرة نقية من كل ما يشين نساء الدنيا، ورضاء من الله يشعرون فى ظله بنعيم أكبر. والله مطلع على أحوال عباده، لا يخفى عليه أمر أو سر من أمورهم وأسرارهم.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

١٦ ـ ينال هذا الجزاء أولئك الذين ملأ الايمان قلوبهم وأعلنوا ذلك بألسنتهم فقالوا ضارعين إلى الله : ربنا اننا آمنا استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا ، واحفظنا من عذاب النار .

١٧ ـ والذين يتحملون المشقة فى سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه ، الذين يصدقون فى أقوالهم وأفعالهم ونياتهم ، المداومون على الطاعة فى خشوع وضراعة الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره فى وجوه التأمل والتفكير فى عظمة الخالق .

١٨ ـ بين الله بما بث فى الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقل ، أنه واحد لا شريك له ، وأنه قائم على شئون خلقه بالعدل ، وأقرت بذلك ملائكته الأطهار ، وعلمه أهل العلم موقنين به ، وأنه جل شأنه المتفرد بالألوهيه الذى لا يغلبه أحد على أمره ، وشملت حكمته كل شئ .

١٩ ـ ان الدين الحق المرضى عند الله ، هو التوحيد والخضوع لله فى اخلاص ، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى فى هذا الدين فحرفوا وبدلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم ، بل كان للتحاسد والتطاول ، ومن يجحد بآيات الله فلينتظر حساب الله السريع .

٢٠ ـ فإن جادلك هؤلاء فى هذا الدين بعد أن أقمت لهم الحجج ، فلا تجارهم فى الجدل ، وقل أخلصت عبادتى لله وحده أنا ومن اتبعنى من المؤمنين وقل لليهود والنصارى ومشركى العرب قد بانت لكم الدلائل فأسلموا ، فإن أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه ، وإن اعرضوا فلا تبعة عليك فى إعراضهم ، فليس عليك إلا أن تبلغهم رسالة الله ، والله مطلع على عباده لا يخفى عليه شئ من أحوالهم وأعمالهم .

يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

٢١ - إن الذين يجحدون آيات الله الكونية والمنزلة ، ويقتلون من بعثهم الله لهدايتهم من الأنبياء - ولايكون بحق أبدا ، بل هو أعظم الظلم ، ويقتلون دعاة الناس إلى القسط والعدل ، يستحقون العذاب الأليم فبشرهم به .

٢٢ - أولئك المتصفون بتلك الصفات بطلت أعمالهم ولو كان بعضها طيبا ، وخلت من ثمراتها فلم تنفعهم فى الدنيا ، وأعقبهم الخزى والنكال فى الآخرة ، وليس من ينقذهم من الخسران والعذاب .

٢٣ - ألم تعلم حال الذين أعطوا حظا من الكتاب والعلم يدعون إلى كتاب الله وهو القرآن ليفصل الحق من الباطل فيما شجر بينهم من خلاف فلا يسارعون إلى اجابة الداعى ، بل يعرض عنه فريق منهم شأنه الاعراض عن دعوة الخير .

٢٤ - إن أولئك المعرضين من اليهود ، زين لهم ذلك الاعراض أنهم يمنون أنفسهم بالأمانى الباطلة ، فيزعمون أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات ودفعهم إلى ذلك الغرور وتلك الأمانى افتراءاتهم المستمرة فى دينهم .

٢٥ - فكيف يكون حالهم وقت أن يجمعهم الله فى الآخرة التى لا شك فى وجودها ولا حسابها فكل نفس تعطى جزاءها فيها وافيا ، وهم جديرون بما ينالهم من عذاب الجحيم .

٢٦ - قل - أيها النبى - ضارعا إليه مقرا بجبروته : اللهم أنت وحدك مالك التصرف فى الأمر كله ، تمنح من تشاء من الحكم والسلطان ، وتنزعه ممن تشاء وتهب العزة من تريد من عبادك بتوفيقه إلى الأخذ بأسبابها ، وتضرب الذل والهوان على من تشاء ، فأنت وحدك تملك الخير ، لا يعجزك شئ عن تنفيذ مرادك ، وما تقتضيه حكمتك فى نظام خلقك .

تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

٢٧ ـ وأنت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسنن، تدخل من الليل فى النهار ما يزيد به النهار طولا، وتدخل من النهار فى الليل ما يزيد به الليل طولا، وتخرج المتصف بمظاهر الحياة من فاقدها، كما تخرج فاقد الحياة من الحى المتمكن من اسباب الحياة، وتهب عطاءك الواسع من تشاء كما تريد على نظام حكمتك، فلا رقيب يحاسبك، ومن كان هذا شأنه لا يعجزه أن يمنح رسوله وأصفياءه، السيادة والسلطان والغنى واليسار كما وعدهم[1].

٢٨ ـ إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك، ويعز ويذل، وبيده وحده الخير والخلق والرزق، فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم، متجاوزين نصرة المؤمنين. لأن فى هذا خذلانا للدين وإيذاء لأهله، واضعافا للولاية الاسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك فى شئ، ولا يرضى مؤمن بولايتهم إلا أن يكون مضطرا لذلك، فيتق أذاهم بإظهار الولاء لهم. وعلى المؤمنين أن يكونوا فى الولاية الاسلامية دائما وهى ولاية الله. وليحذروا أن يخرجوا إلى غير ولايته، فيتولى عقابهم بنفسه بكتابة الذلة عليهم بعد العزة. وإليه وحده المصير فلا مفر من سلطانه فى الدنيا ولا فى الآخرة.

٢٩ ـ قل ـ أيها النبى ـ ان تخفوا ما فى صدوركم أو تظهروه فى أعمالكم وأقوالكم فإن الله يعلمه، ويعلم جميع ما فى السموات وما فى الأرض ما ظهر منه وما استتر، وقدرته نافذة فى جميع خلقه.

٣٠ ـ فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عملها من الخير مهما قل مشاهدا حاضرا، وما اقترفته من سوء تتمنى أن يكون بعيدا عنها بعدا شاسعا حتى لا تراه استقباحا له وخوفا من الوقوع فى مغبته، ويحذركم الله عقابه إذا خرجتم من ولايته التى هى رأفة ورحمة بالعباد.

٣١ ـ قل: إن كنتم صادقين فى دعواكم أنكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم الله: فاتبعونى فيما آمركم به وأنهاكم عنه، لأننى مبلغ عن الله، فإن ذلك يحبكم الله به، يثيبكم الله عليه بالاحسان اليكم والتجاوز عن خطاياكم، والله كثير الغفران والرحمة لعباده.

(١) «دورة الحياة والموت هى معجزة الكون وسر الحياة نفسها. والسمات الرئيسية فى هذه الدورة ان الماء وثانى أكسيد الكربون والنتروجين والاملاح غير العضوية فى التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وأنواع معينة من البكتريا الى مواد عضوية هى مادة الحياة فى النبات والحيوان أما فى الشق الثانى من هذه الدورة فتعود هذه المواد الى عالم الموت فى صورة نفايات الاحياء ونواتج أيضها وتنفسها.

ثم فى صورة اجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل البكتيرى والكيماوى التى تحيلها الى مواد غير عضوية بسيطة مهيأة للدخول فى دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا فى كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتا من الحياة وهذه الدورة المتكررة لا تتم الا فى وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبذرة النبات مثلا.

والآية الكريمة تذكر أولى الالباب بالمعجزة الاولى وهى خلق الحياة من مادة الارض الميتة ثم تكرار الدورة كما سبق. وهكذا جاء فى الاية الكريمة اخراج الحى من الميت سابقا لاخراج الميت من الحى وهذا هو الاعجاز بعينه».

وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

---

٣٢ ـ قل : أطيعوا الله ورسوله ، فإن أعرضوا عنك فهم كافرون بالله ورسوله ، والله لا يحب الكافرين .

٣٣ ـ كما اصطفى الله محمدا لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته ، ذكر أنه اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى نوحا بالرسالة ، واصطفى ابراهيم وآله اسماعيل واسحاق والأنبياء من أولادهما ، ومنهم موسى عليهم السلام ، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وأمه ، فعيسى جعله الله رسولا لبنى إسرائيل ، ومريم جعلها أما لعيسى من غير أب .

٣٤ ـ اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم وما تكنه صدورهم .

٣٥ ـ واذكر أيها النبى حال امرأة عمران اذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصا لعبادة الله وخدمة بيته ، قائلة يارب : انى نذرت ما فى بطنى خالصا لخدمة بيتك فاقبل منى ذلك ، انك السميع لكل قول ، العليم بكل حال .

٣٦ ـ فلما وضعت حملها قالت معتذرة تناجى ربها . انى ولدت أنثى والله عليم بما ولدت ، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذكر . وقالت : انى سميتها مريم وانى أسألك أن تحصنها هى وذريتها من غواية الشيطان الرجيم .

٣٧ ـ فتقبل الله مريم نذرا لأمها ، وأجاب دعاءها ، فأنبتها نباتا حسنا ، ورباها فى خيره ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها ، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقاً كثيراً ـ وكلما دخل عليها زكريا فى معبدها وجد عندها رزقا غير معهود فى وقته . قال متعجبا يا مريم : من أين لك هذا الرزق ؟ قالت : هو من فضل الله ، وجعل زكريا عليه السلام كافلا لها . وكان زكريا بغير عدد ولا إحصاء .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ

---

٣٨ ـ لما رأى زكريا عليه السلام ما رآه من نعمة الله على مريم ، اتجه إلى الله ضارعا أن يهبه من فضله وكرمه وبقدرته ولدا ، فهو يسمع دعاء الضارعين ، وهو القدير على الاجابة وإن وقفت الأسباب العادية من شيخوخة أو عقم دون تحقيقها .

٣٩ ـ فاستجاب الله دعاءه ، فنادته الملائكة وهو قائم فى معبده متجها إلى ربه ، بأن الله يبشرك بولد اسمه يحيى ، يؤمن بعيسى عليه السلام الذى سيوجد بكلمة من الله فيكون على غير السنة العامة فى التوالد ، ويجعله (أى يحيى) يسود قومه بالعلم والصلاة ، ويعزف عن الشهوات والأهواء ، ويجعله من الأنبياء والصالحين .

٤٠ ـ ولما سيقت اليه هذه البشرى ، اتجه إلى ربه متشوقا إلى معرفة الكيفية التى يكون بها هذا الغلام ، مع عدم توافر الأسباب العادية لكبر سنه وعقم زوجه ورد الله عليه بأنه متى شاء أمرا أوجد له سببه ، أو خلقه بغير الأسباب المعروفة . فهو يفعل مايشاء .

٤١ ـ فدعا زكريا ربه أن يجعل له علامة لتحقق هذه البشرى ، فأجابه الله بأن علامتك أن تعجز عن كلام الناس ثلاثة أيام إلا بالاشارة إليهم بماتريد وثابر على ذكر ربك وتنزيهه فى المساء والصباح .

٤٢ ـ واذكر أيها النبى إذ قالت الملائكة يامريم ان الله اختارك لتكونى أم نبيه ، وطهرك من كل دنس ، وخصك بأمومتك لعيسى بفضل على كل نساء العالمين .

٤٣ ـ وهذا يامريم يستوجب منك الشكر لربك ، فالزمى طاعته ، وصلى له ، وشاركى الذين يعبدونه ويصلون له .

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن

---

٤٤ ـ ذلك الذى قصه القرآن عليك يامحمد من الأخبار العظيمة عمن اصطفاهم الله ، هى من الغيب الذى أوحى الله به إليك . وماكنت حاضرا معهم وهم يقترعون بالسهام ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم ، وما كنت معهم وهم يختصمون فى نيل هذا الشرف العظيم .

٤٥ ـ اذكر ـ أيها النبى ـ إذ بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السنة العادية فى التوالد ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وقد خلقه الله ذا مكانة فى الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب ، وفى الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين أولى العزم .

٤٦ ـ وميزه الله بخصائص ، فكان يكلم الناس وهو طفل فى مهده كلاما مفهوما حكيما ، كما يكلمهم وهو رجل سوى ، من غير تفاوت بين حالتى الطفولة والكهولة . وكان ممن منحهم الله الصلاح .

٤٧ ـ قالت مريم متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد : من أين يكون لى ولد ولم يمسسنى رجل ؟ فذكر الله تعالى لها أن الله يخلق مايشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية ، فإنه إذا أراد شيئا أوجده بتأثير قدرته فى مراده من غير افتقار إلى موجب آخر .

٤٨ ـ والله يعلم هذا الوليد الكتابة ، والعلم الصحيح النافع ، والتوراة (كتاب موسى) والانجيل الذى أوحاه الله إليه .

٤٩ ـ ويبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل ، مستدلا على صدق رسالته بمعجزات من الله ، هى أن يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ننفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائرا بارادة الله ، ويشفى بتقدير الله من ولد أعمى فيبصر ، ومن به برص فيزول برصه ، ويعيد الحياة إلى من فقدها . كل ذلك بإذن الله وارادته ، ويخبرهم بما يدخرون فى بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول لهم ان هذه الآيات التى أظهرها الله على يدىّ حجة على أن رسالتى حق ان كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به .

رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

---

٥٠ - وأرسلت اليكم مصدقا لشريعة التوراة التى نزلت على موسى ولأبيح لكم بأمر الله بعض ما حرم عليكم من قبل، وقد جئتكم بآية من الله على صدق رسالتى. فاتقوا الله وأطيعون.

٥١ - لان الله مفيض على وعليكم ألوان احسانه، فربانى ورباكم، فأخلصوا العبادة له، فإن هذا هو الطريق الذى لا عوج فيه.

٥٢ - ولما جاء عيسى عليه السلام، دعا قومه الى الصراط المستقيم، فأبى أكثرهم، فلما علم منهم ذلك اتجه إليهم مناديا: من يناصرنى فى هذا الحق الذى ادعو إليه؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبه: نحن نؤيدك وننصرك لأنك داع إلى الله واشهد بأنا مخلصون لله منقادون لأمره.

٥٣ - ونحن نقول: يا ربنا، صدقنا بكتابك الذى أنزلته على نبيك، وامتثلنا أمر رسولك عيسى عليه السلام، فاثبتنا من الشاهدين لرسولك بالتبليغ، وعلى بنى إسرائيل بالكفر والجحود.

٥٤ - أما الجاحدون فقد دبروا تدبيرا خفيا يحاربون به دعوة عيسى، فأبطل الله كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا، والله أحكم المدبرين وأقواهم.

٥٥ - واذكر أيها النبى إذ قال الله ياعيسى انى مستوف أجلك، ولا أمكن أحدا من قتلك، وانى رافعك إلى محل كرامتى، ومنجيك من أعدائك الذين قصدوا قتلك، وجاعل المتبعين لك، الذين لم ينحرفوا عن دينك، ظاهرين بالقوة والسلطان على الذين لم يهتدوا بهديك إلى يوم القيامة. ثم إلى مصيركم فى الآخرة فأقضى بينكم فى الذى تنازعتم فيه من أمر الدين.

٥٦ - فأما الجاحدون، فأذيقهم عذاب الخزى والنكال بتسليط الأمم عليهم فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأخزى. وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ
مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل
لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا

---

٥٧ ـ وأما المهتدون بهدى الله، العاملون على سنن الخير، فيعطيهم الله جزاء أعمالهم وافيا. وشأن الله أنه لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاغين على دعوته واحسانه، ولا يرفع لهم قدرا.

٥٨ ـ ذلك الذى قصصناه عليك، من الحجج الدالة على صدق رسالتك، وهو من القرآن الكريم، المشتمل على العلم النافع.

٥٩ ـ ضل قوم فى أمر عيسى، فزعموا أنه ابن الله لأنه ولد من غير أب، فقال الله لهم، ان شأن عيسى فى خلقه من غير أب كشأن آدم فى خلقه من تراب من غير أب ولا أم، فقد صوره وأراد أن يكون فكان بشرا سويا.

٦٠ ـ هذا البيان فى خلق عيسى هو الصدق الذى بين الواقع بأخبار رب الوجود فدم على يقينك، ولا تكن من الشاكين.

٦١ ـ فمن جادلك يأيها النبى فى شأن عيسى من بعد ما جاءك من خبر الله الذى لا شبهة فيه، فقل لهم قولا يظهر علمك اليقينى وباطلهم الزائف، تعالوا يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب فى أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله.

٦٢ ـ وذلك هو الحق الذى لا مرية فيه، فليس فى الوجود إله إلا الله الذى خلق كل شئ وأنه هو المنفرد بالعزة فى ملكه والحكمة فى خلقه.

٦٣ ـ فإن أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم، ولم يرجعوا عن ضلالاتهم فهم المفسدون، والله عليم بهم.

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ

---

٦٤ - قل - يأيها النبى - يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة عادلة جامعة تجرى بيننا ونذكرها على السواء ، وهى أن نخص الله بالعبادة ولا نجعل غيره شريكا له فيها ، ولا يطيع بعضنا بعضا وينقاد له فى تحليل شئ أو تحريمه ، تاركا حكم الله فيما أحل وحرم ، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحقة فقولوا لهم : اشهدوا بأنا منقادون لأحكام الله ، مخلصون له الدين لا ندعو سواه .

٦٥ - يا أهل الكتاب لماذا تتنازعون وتجادلون فى دين ابراهيم : كل منكم يدعى أنه على دينه . فى حين أن ابراهيم سابق فى الوجود على التوراة والانجيل بشريعة خاصة . وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده ، فكيف يكون على شريعة واحدة منها . أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذى يناقض الواقع ؟

٦٦ - هأنتم يا هؤلاء جادلتم فى أمر عيسى وموسى الذى لكم به معرفة - كما تزعمون - فكيف تجادلون فى كون ابراهيم يهوديا أو نصرانيا وليس لكم بذلك علم ، والله يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه ، وأنتم لا علم لكم بذلك .

٦٧ - إن ابراهيم عليه السلام ما كان على دين اليهود ولا على دين النصارى ، ولكن كان منصرفا عن الأديان الباطلة الى الدين الحق ، منقادا لله ، مخلصا فى طاعته وما كان من الذين يشركون مع الله غيره فى العبادة .

٦٨ - إن أحق الناس بالانتساب إلى ابراهيم ودينه للذين أجابوا دعوته واهتدوا بهديه فى زمنه ، وكذا محمد ﷺ ومن آمن معه ، فإنهم أهل التوحيد الخالص وهو دين ابراهيم ، والله يحب المؤمنين وينصرهم لأنهم أولياؤه ، ويجازيهم بالحسنى وزيادة .

٦٩ - ان فريقا من أهل الكتاب يتمنون اضلال المؤمنين وفتنتهم عن دينهم ، بالقاء الشبه التى توهن الاعتقاد . وهم فى عملهم هذا لا يضلون إلا أنفسهم بإصرارهم على الضلال الذى يحيق بهم وحدهم ولايعلمون أن عاقبة سعيهم هذا لاحقة بهم ولا تضر المؤمنين .

تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

---

٧٠ ـ يا أهل الكتاب لم تكذبون بآيات الله المنزلة الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ : وأنتم تعلمون أنها حق .

٧١ ـ يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذى جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب بالشبهات الواهية ، والتأويلات الباطلة ، ولا تذيعون الحق صريحا واضحا بعيدا عن التخليط ، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظيم .

٧٢ ـ وأن أهل الكتاب ـ فى سبيل اضلال المؤمنين ـ قالوا لاخوانهم آمنوا بالقرآن الذى نزل على محمد واتبعه فيه المؤمنون أول النهار ، واكفروا فى آخره . لعلكم تستطيعون بهذا فتنتهم ببث الريب والشك فيهم ، فيرجعوا عن دينهم .

٧٣ ـ وقالوا أيضا : لا تذعنوا إلا لمن تبع دينكم ، خشية أن يدعى أحد أنه أوتى مثل ما عندكم ، أو يحتج عليكم باذعانكم عند ربكم ، قل لهم أيها النبى ـ ان الهدى ينزل من عند الله ، فهو الذى يفيض به ويختار له من يشاء وقل لهم ـ أيها النبى ـ ان الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده ، وهو واسع الفضل ، عليم بمن يستحقه ومن ينزله عليه .

٧٤ ـ فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة ، ومن خصه بذلك فانما هو محض فضله ، والله صاحب الفضل العظيم ، لا ينازعه فيه غيره ، ولا يحجر عليه فى عطائه .

٧٥ ـ هذا سلوك أهل الكتاب فى الاعتقاد أما سلوكهم فى المال ، فنهم من ان استأمنته على قنطار من الذهب أو الفضة أداه اليك لا ينقص منه شيئا ، ومنهم من ان استأمنته على دينار واحد لا يؤديه اليك إلا اذا لازمته وأحرجته ، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أميون ، وأنهم لا ترعى لهم حقوق ، ويدعون أن ذلك حكم الله ، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى .

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَـٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَـٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ النَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ

٧٦ ـ حقا لقد افتروا على الله الكذب ، فإن من أدى حق غيره ووفاه فى وقته كما عاهده عليه وخاف الله فلم ينقص ولم يماطل ، فإنه يفوز بمحبة الله لأنه اتقاه[1] .

٧٧ ـ إن الذين يتركون عهد الله الذى عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات ، ويتركون ايمانهم التى أقسموا بها على الوفاء ـ لثمن قليل من أعراض الدنيا مهما عظم فى نظرهم لا نصيب لهم فى متاع الآخرة ، ويعرض عنهم ربهم ، ولاينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة ، ولا يغفر لهم آثامهم ، ولهم عذاب مؤلم مستمر الإيلام .

٧٨ ـ وإن من هؤلاء فريقا يميلون السنتهم فينطقون بما ليس من الكتاب ، محاولين أن يكون شبيها له ، ليحسبه السامع من الكتاب وما هو منه فى شئ ، ويدعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحى فى شئ وهم بهذا يكذبون على الله ، وهم فى أنفسهم يعلمون أنهم كاذبون .

٧٩ ـ وما كان معقولا ولا سائغا لبشر ينزل الله عليه الكتاب ، ويؤتيه العلم النافع والتحدث عن الله ـ أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله .

ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذى خلقهم بمقتضى ما علمهم من علم الكتاب وما يدرسونه منه .

٨٠ ـ ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أربابا من دون الله ، وإن ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن صرتم مسلمين وجوهكم لله .

---

(١) توجب الآية الوفاء بالعهد وفى الوفاء بالعهد آيات اخرى سبقت فيها (٢٧) من سورة « البقرة » ولقد اتهم الاسلام والمسلمون بأنهم لا يرعون العهد ولا يعقدون معاهدة الا لحاجة مؤقتة وينبذونها كلما حانت لهم الفرصة وقد مر الرد على هذه الفرية ومن جوامع كلم الامام على بن ابى طالب ماورد فى كتابه للاشتر النخعى ـ وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد اجتماعا عليه مع تفرق أهوائهم من تعظيم الوفاء بالعهود فلا تغدرن بذمتك وتخنث بعهدك ..

وحدث ان احد قواد المسلمين رد الى معاهديه الجزية التى اقتضاها عماله منهم لما أحس بعدم قدرته على الدفاع عنهم وكان ذلك شرطا من شروط العهد .

وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟
بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ

---

٨١ - واذكر لهم أيها النبى أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبى أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع، انه إذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤمنن به وينصرنه. وأخذ الاقرار من كل نبى بذلك العهد، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم، وبلغوه لأممهم. إن ذلك العهد يوجب عليهم الايمان والنصرة ان ادركوه وإن لم يدركوه، فحق على أممهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعا لما التزم به أنبياؤهم.

٨٢ - فمن أعرض عن الايمان بالنبى بعد هذا الميثاق المؤكد، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله، الكافر بالأنبياء أولهم وآخرهم.

٨٣ - أيطلبون دينا غير دين محمد وهو دين الأنبياء - وهو وحده دين الله - الذى خضع له كل من فى السموات والأرض طوعا بالارادة والاختيار، أو كرها بالخلق والتكوين، وإليه وحده يرجع الخلق كله.

٨٤ - أكد الله وحدة الألوهية والرسالة، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدقنا بالله المعبود وحده، ومرسل رسله، وآمنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشريعة، وما نزله من كتب وشرائع على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الاثنى عشر، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الانجيل، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق فى الايمان بين أحد منهم. ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله.

٨٥ - فمن يطلب بعد مبعث محمد ﷺ دينا وشريعة غير دين الاسلام وشريعته، فلن يرضى الله منه ذلك، وهو عند الله فى دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم.

٨٦ - إن الله لا يوفق قوما شهدوا بأن الرسول حق، وجاءتهم الأدلة على ذلك، ثم بعد ذلك كفروا به، وبمعجزاته، فكان ذلك ظلما منهم، والله لا يوفق الظالمين.

أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى

---

٨٧ ـ أولئك عقوبتهم عند الله ، استحقاق غضبه عليهم ، ولعنته ، ولعنة صفوة الخلق جميعا من ملائكة وبشر .

٨٨ ـ لا تفارقهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يمهلون .

٨٩ ـ لكن الذين أقلعوا عن ذنوبهم ، ودخلوا فى أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا ، فإن الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية .

٩٠ ـ وأن قبول التوبة والرحمة بالغفران ، شرطها الاستمرار على الإيمان ، فالذين يجحدون الحق بعد الاذعان والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جحودا وفسادا وإيذاء للمؤمنين ، فلن يقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لأنها لا يمكن أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنه .

٩١ ـ وإن الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى ماتوا وهم جاحدون ، فلن يستطيع أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله سبحانه وتعالى شيئا ، ولو كان الذى يقدمه فدية له ، ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع ، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام .

٩٢ ـ لن تنالوا أيها المؤمنون الخير الكامل الذى تطلبونه ويرضاه الله تعالى ، إلا إذا بذلتم مما تحبون وأنفقتموه فى سبيل الله المتنوعة ، وأن الذى تنفقونه قليلا أو كثيرا ، نفيسا أو غيره ، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

٩٣ ـ اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الابل وألبانها ، وادعوا أن ذلك حرمته شريعة ابراهيم . فرد الله سبحانه دعواهم ببيان أن تناول كل المطعومات كان مباحا لبنى يعقوب من قبل نزول التوراة ، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم . وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة ابراهيم تحرم ذلك ان كانوا صادقين ، فعجزوا وأفحموا .

ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

٩٤ - وإذ ثبت عجزهم ، فمن اختلق منهم الكذب على الله من بعد لزوم الحجة فهم المستمرون على الظلم المتصفون به حقا .

٩٥ - وبعد تعجيزهم أمر الله النبي أن يبين لهم أنه بعد افحامهم ثبت صدق الله فيما أخبر ، فاتبعوا شريعة ابراهيم التي يدعوكم اليها وتكذبون عليها ، فهذا بعيد عن الأديان الباطلة ، فليس من أهل الشرك بالله .

٩٦ - وإن من اتباع ملة ابراهيم ، الاتجاه فى الصلاة إلى البيت الذى بناه والحج اليه ، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر : ان أول بيت فى القدم والشرف جعله الله متعبدا للناس لهو الذى فى مكة ، وهو كثير الخيرات والثمرات ، وأودع الله سبحانه وتعالى البركة فيه ، وهو مكان هداية الناس بالحج والاتجاه فى الصلاة اليه[1] .

٩٧ - وفيه دلائل واضحات على حرمته ومزيد فضله ، منها مكان قيام ابراهيم للصلاة فيه ، ومن دخله يكون آمنا لا يتعرض له بسوء ، وحج هذا البيت واجب على المستطيع من الناس ، ومن أبى وتمرد على أمر الله وجحد دينه ، فالخسران عائد عليه ، وإن الله غنى عن الناس كلهم .

٩٨ - أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال : قل لهم : يا أهل الكتاب لا وجه لكفركم ، فلأى سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوة محمد وصدقه ، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها .

٩٩ - ياأهل الكتاب كيف تحاولون صرف من آمن بالله ورسوله وأذعن للحق عن سبيل الله الحق المستقيمة ، وتحاولون أن تصوروها معوجة ، وأنتم عالمون أنها حق ، وليس الله غافلا عن أعمالكم وسيجازيكم عليها .

---

(١) « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الكعبة اول بيت وضع للناس لعبادة الله الواحد القهار بينا بقية الشعوب والقبائل فى سائر انحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتماثيل فالمصريون كانوا يعبدون آلهة متعددة تارة فى وقت واحد وتارة فى أوقات متعددة . فمن عبادة الشمس الى عبادة الصور الى عبادة الآلهة الثلاثة اوزوريس واوزيس وابنهما حوريس وأقاموا لذلك التماثيل .

وكان الاشوريون يعبدون بعل مشموش . أى اله الشمس ويصنعون له صنما على نحو أبى الهول له راس انسان وجسم أسد وله أجنحة .
وكان الكنعانيون يعبدون البعل وهو على وصف ابى الهول ولا يزال تمثال الكنعانيين موجودا . وان كان مشوها حتى اليوم ببعلبك .

وبكة هى عين مكة . ومن المعلوم ان بعض القبائل العربية تبدل الباء ميما وبالعكس . فيقولون مكان (بكان) وفى بكر (مكر) وتوجد فى بعض جهات الاقليم الجنوبى الصعيد من جمهورية مصر العربية أثر من ذلك حتى اليوم .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ

---

١٠٠ - وقد حذر الله المؤمنين مما يثيره بعض أهل الكتاب من شبهة قائلا : ان تطيعوا بعض أهل الكتاب فيما يبثونه من الشبهة فى دينكم ، تعودوا إلى الضلال بعد الهداية ، ويردوكم جاحدين بعد الايمان .

١٠١ - وتصوروا حالكم العجيبة وأنتم تضلون وتكفرون بعد الايمان ، والقرآن يتلى عليكم ، ورسول الله بينكم ، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم ، ومن يلجأ إلى ربه ويستمسك بدينه فنعم ما فعل ، فقد هداه ربه إلى طريق الفوز والفلاح .

١٠٢ - وإن باب النار مفتوح إذا لم تتقوا الله ، فيا أيها الذين آمنوا خافوا الله الخوف الواجب بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، ودوموا على الاسلام حتى تلقوا الله .

١٠٣ - وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه ، ولا تفعلوا ما يؤدى إلى فرقتكم ، وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم فى الجاهلية متعادين ، فألف بين قلوبكم بالاسلام فصرتم متحابين - وكنتم بسبب كفركم وتفرقكم على طرف حفرة من النار فخلصكم منها بالاسلام ، بمثل ذلك البيان البديع يبين الله لكم دائما طرق الخير لتدوموا على الهدى .

١٠٤ - وان السبيل للاجتماع الكامل على الحق فى ظل كتاب الله ورسوله ، أن تكونوا أمة يدعون إلى كل ما فيه صلاح دينى أو دنيوى ، ويأمرون بالطاعة ، وينهون عن المعصية ، أولئك هم الفائزون فوزا كاملا .

١٠٥ - ولا تكونوا بإهمالكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين يجمعانكم على الخير والدين الحق ، كأولئك الذين أهملوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتفرقوا شيعا ، واختلفوا فى دينهم من بعد ما جاءتهم الحجج الواضحة المبينة للحق ، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم .

وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُواْ سَوَآءً

---

١٠٦ - ذلك العذاب العظيم فى اليوم الذى تبيض بالسرور فيه وجوه المؤمنين، وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين، ويقال لهم توبيخا: أكفرتم بعد أن فطرتم على الايمان والاذعان للحق وجاءتكم البينات عليه، فذوقوا العذاب بسبب كفركم.

١٠٧ - وأما الذين ابيضت وجوههم سرورا، فنى الجنة التى رحمهم الله بها هم فيها خالدون.

١٠٨ - وإن تلك الآيات الواردة بجزاء المحسن والمسئ نتلوها عليك مشتملة على الحق والعدل، وما الله يريد ظلما لأحد من الناس والجن.

١٠٩ - ولله وحده ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا وتصرفا وإليه مصير أمورهم، فيجازى كلا بما يستحقه.

١١٠ - أنتم يا أمة محمد أفضل أمة خلقها الله لنفع الناس، مادمتم تأمرون بالطاعات وتنهون عن المعاصى، ومؤمنون بالله ايمانا صحيحا صادقا، ولو صدق أهل الكتاب فى إيمانهم مثلكم لكان خيرا لهم مما هم عليه، ولكن منهم المؤمنون وأكثرهم خارجون عن حدود الايمان وواجباته.

١١١ - لن يضركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به، ويكون له أثر فيكم، وإن كان قد يحصل منهم أذى لا يبقى له أثر، وإن يقاتلوكم ينهزموا فارين من لقائكم، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم ما دمتم متمسكين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١١٢ - وأخبر سبحانه بأنه الزمهم المهانة فى أى مكان وجدوا فيه، إلا بعقد الذمة الذى هو عهد الله وعهد المسلمين. وأنهم استوجبوا غضب الله والزمهم الاستكانة والخضوع لغيرهم، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد، ورضاهم من قبل بقتل الأنبياء الذى لا يمكن أن يكون بحق، بل هو عصيان منهم واعتداء.

مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ

---

١١٣ ـ وان أهل الكتاب ليسوا متساوين ، فإن منهم جماعة مستقيمة عادلة يقرءون كتاب الله فى ساعات الليل وهم يصلون .

١١٤ ـ ويصدقون بوجود الله ووحدانيته وبالرسل ـ لا يعبدون الا الله ـ ومجئ يوم القيامة ويأمرون بالطاعات وينهون عن المعاصى ، ويبادرون إلى فعل الخيرات ، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين .

١١٥ ـ وما يفعلوا من خير فلن يحرموا ثوابه والله محيط بأحوالهم ومجازيهم عليها .

١١٦ ـ إن الذين كفروا ، لن تدفع عنهم أموالهم لو افتدوا بها أنفسهم ، ولا أولادهم لو استعانوا بهم شيئا ولو يسيرا من عذاب الله فى الآخرة . وهؤلاء الملازمون للنار ، الباقون فيها .

١١٧ ـ إن حال ما ينفقه الكفار فى الدنيا صدقة أو قربة فى ضياعه فى الآخرة ، كحال زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ، أصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم . وما ظلمهم الله بضياع أجور أعمالهم ، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما أوجب ضياعها ، وهو جحود دلالات الايمان والكفر بالله .

١١٨ ـ يأيها الذين آمنوا : لا تتخذوا أصفياء تستعينون بهم من غير أهل دينكم ، تطلعونهم على أسراركم ، لأنهم لا يقصرون فى إفساد أموركم . إذ هم يودون أن يرهقوكم ويضروكم أشد الضرر . وقد ظهرت أمارات البغضاء لكم من فلتات السنتهم ، وما تضمره قلوبهم أعظم مما بدا قد أظهرنا لكم العلامات التى يتميز بها الولى من العدو ان كنتم من أهل العقل والادراك الصحيح .

قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

١١٩ - هأنتم أولاء أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة أو مودة ، ولا يحبونكم لتعصبهم لدينهم ، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزلة ، وإذا لقوكم أظهروا الايمان خداعا لكم ، وإذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظا وأسفا . قل أيها النبى : دوموا على غيظكم إلى الموت ، وأن الله عليم بما تخفيه الصدور ، ويجازيكم عليه .

١٢٠ - إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة - تحزنهم ، وإن تصبكم مساءة كجدب وهزيمة يسروا باصابتكم ، وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم ، لا يضركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر ، لأنه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد فلا يعجزه رده عنكم .

١٢١ - واذكر أيها النبى حين خرجت مبكرا من عند أهلك إلى أحد قاصدا إنزال المؤمنين فى مراكز القتال والله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم .

١٢٢ - حين خطر لطائفتين من المؤمنين أن تفشلا وترجعا ، فعصمهم الله فثبتوا ومضوا للقتال لأنه متولى أمرهما بالعصمة والتوفيق ، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة ، وليتوكلوا عليه لينصرهم .

١٢٣ - ذكر الله المؤمنين بنعمة النصر فى غزوة بدر (١) حين صبروا ، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة ، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمة .

١٢٤ - وكان النصر حين قال الرسول للمؤمنين : ألن يكفيكم فى طمأنينة نفوسكم اعانة ربكم اياكم بثلاثة آلاف من الملائكة مرسلين من عند الله لتقويتكم .

---

(١) « بدر على مسيرة نحو ١٢٠ ميلا من الجنوب الغربى للمدينة وكان اللقاء فيها بين المسلمين وقريش فى يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ من الميلاد المسيحى) وكان خروج النبى ﷺ فى اصحابه من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة (٥ مارس سنة ٦٢٤ للميلاد المسيحى) وكان عدد المقاتلين من المسلمين .. فى هذه الغزوة ثلاثمائة رجل أو يزيدون قليلا ، وعدد المشركين ثلاثة امثالهم وقد أنجز الله فى هذه الغزوة وعده وكان النصر مالا تفعله القوة المادية . وكان النصر المبين فى هذه الغزوة سببا فى ان صارت كلمة الايمان هى العليا اذ كانت مقدمة لانتصارات بعدها زامتد ظل الاسلام الى الجزيرة العربية كلها . ثم لما وراءها بعدها .

مسومين ﴿١٢٥﴾ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿١٢٦﴾ ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴿١٢٧﴾ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴿١٢٨﴾ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴿١٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿١٣٠﴾ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴿١٣١﴾ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴿١٣٢﴾ * وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿١٣٣﴾ الذين ينفقون في السراء والضراء

---

١٢٥ ـ بلى يكفيكم ذلك الامداد، وان تصبروا على القتال، وتلتزموا التقوى، ويأتكم أعداؤكم على الفور يزد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم.

١٢٦ ـ وما جعل الله الامداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وليس النصر إلا من عند الله الغالب الذى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدبر الأمور لعباده المؤمنين.

١٢٧ ـ وقد نصركم ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، أو يذلهم ويغيظهم بالهزيمة والعار والخزى، فيرجعوا خائبين.

١٢٨ ـ ليس لك من التصرف فى أمر عبادى شئ، بل الأمر لله، فاما أن يتوب عليهم بالايمان، أو يعذبهم بالقتل والخزى والعذاب يوم القيامة لأنهم ظالمون.

١٢٩ ـ ان لله وحده ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا. وهو القادر على كل شئ، وفى يده كل شئ، يغفر لمن يريد له المغفرة، ويعذب من يريد تعذيبه، ومغفرته أقرب، ورحمته أرجي لأنه كثير المغفرة والرحمة.

١٣٠ ـ ياأيها الذين آمنوا لا تأخذوا فى الدين إلا رءوس أموالكم، فلا تزيدوا عليها زيادة تجئ سنة بعد أخرى فتتضاعف وخافوا الله، فلا تأكلوا أموال الناس بالباطل، فانكم تفلحون وتفوزون باجتنابكم الربا قليله وكثيره[1].

١٣١ ـ واحذروا النار التى هيئت للكافرين باجتناب ما يوجبها من استحلال الربا.

١٣٢ ـ وأطيعوا الله والرسول فى كل أمر ونهى لترحموا فى الدنيا والآخرة.

١٣٣ ـ وبادروا بالأعمال الصالحة، لتنالوا مغفرة عظيمة لذنوبكم من الله مالك أمركم، وجنة واسعة عرضها كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون الله وعذابه.

---

(١) وصف الربا بانه اضعاف مضاعفة وهذا يدعونا الى الكلام من الناحية الاقتصادية عن الربا فالربا نوعان ـ ربا النسيئة وهو ماحرم بالنص القرآنى وضابطه كل قرض جرنفعا للمقرض فى مقابل النسيئة اى التأخير سواء كانت المنفعة نقدا أو عينا كثيرة أو قليلة لا كما ذهبت اليه القوانين الوضعية من جعل الربا جائزا فى حدود معينة ٦٪ مثلا.

أما الربا الفضل فهو بيع ربوى بمثله أو زيادة كاردب قمح جيد باردب وكيلتين باتفاق الطرفين ويكون فى المطعومات التى تخرج منها الزكاة وفى النقدية وتحريمه ثابت بالحديث الشريف الذى مر ذكره بحديث آخر عن ابن عمر (لا تبيعوا النهب بالنهب الا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق الا مثلا بمثل سواء بسواء انى اخشى عليكم الرماء اى الربا) وبعض العلماء يرى أن الاول هو المحرم مؤكدا بنص القرآن لانه هو الربح المركب الذى يؤكل به الربا اضعافا مضاعفة واما ربا الفضل فضرره قليل ولم يحرم بالحديث لذاته لانه قد يجر الى ربا النسيئة وذلك من باب سد الذرائع فهو يباح عند الضرورة والحاجة والربا من الناحية الاقتصادية من أخطر الوسائل على الثروة والانتاج لانه وسيلة الى كنز النقد والاستكثار منه دون عمل سوى الاتجار به مع أنه فى الاصل لم يوجد الا كواسطة تقوم بها المنتجات والحاصلات حتى يمكن التبادل عليها وتقييمها بالنسبة لبعضها البعض وديانة اليهود نفسها تحرمه بين اليهودى واليهودى وانما احلوه مع الآخرين لمصلحتهم وللاضرار بالآخرين والتحكم فى الاقتصاد الدولى بئس مايصنعون.

وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ

---

١٣٤ - الذين ينفقون أموالهم ارضاء لله فى أحوال الرخاء واليسر، والقدرة والضعف، والعسر، ويحبسون أنفسهم عن أن يؤدى غيظهم إلى إنزال عقوبة بمن أساء اليهم خاصة، ويتجاوزون عن المسئ، انهم بهذا يعدون محسنين، والله تعالى يثيب المحسنين ويرضى عنهم.

١٣٥ - والذين إذا فعلوا خطيئة كبيرة، أو تحملوا ذنبا صغيرا، تذكروا الله وجلاله، وعقابه وثوابه، ورحمته ونقمته، فندموا، وطلبوا مغفرته، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه.

١٣٦ - أولئك المتصفون بهذه الصفات أجرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك أمرهم، وجنات تجرى الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها. ونعم ذلك ثوابا للعاملين بأمر الله.

١٣٧ - قد مضت من قبلكم أيها المؤمنون سنن الله فى الأمم المكذبة، بامهالهم، ثم أخذهم بذنوبهم، فتأملوا كيف كان عاقبة أمر المكذبين.

١٣٨ - وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله فى الماضين، فيه بيان للناس وارشاد لهم إلى طريق الخير وزجر عن طريق الشر.

١٣٩ - ولا تضعفوا عن الجهاد فى سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه، ولا تحزنوا على من يقتل منكم، وأنتم بتأييد الله وإيمانكم، وقوة الحق الذى تدافعون عنه، الأعلون، ولكم الغلب ان صدق ايمانكم ودمتم عليه.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

---

١٤٠ - إن يكن قد مسكم « بأحد » قتل أو جراح عميقة فى أجسامكم ، وأثرت فى نفوسكم ، فلا تهنوا ولا تحزنوا ، لأنه قد أصاب خصومكم مثله يوم بدر . وإن أوقات النصر يصرفها الله بين الناس ، فيكون النصر لهؤلاء أحيانا ولأولئك أخرى ، اختبارا للمؤمنين ، وليميز الله الثابتين على الايمان وليكرم قوما بالاستشهاد فى سبيله ، والله لا يحب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم .

١٤١ - وينقى الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين ، ويطهرهم من مرضى القلوب وضعفاء الايمان ، ودعاة الهزيمة والتردد ، ويستأصل بذلك الكفر وأهله .

١٤٢ - لا تظنوا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة دون أن يتبين منكم المجاهدون الصابرون الذين تطهرهم المحن والشدائد .

١٤٣ - لقد كنتم تطلبون الموت فى سبيل الله من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله ، فقد رأيتم الموت حين قتل اخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون .

١٤٤ - لما أشيع قتل محمد فى غزوة أحد ، هم بعض المسلمين بالارتداد فأنكر الله عليهم ذلك قائلا : ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله ، وسيموت كما ماتوا ، وسيمضى كما مضوا ، فإن مات أو قتل رجعتم على أعقابكم إلى الكفر ، ومن يرجع إلى الكفر بعد الايمان فلن يضر الله شيئا من الضرر ، وانما يضر نفسه بتعريضها للعذاب ، وسيثيب الله الثابتين على الاسلام الشاكرين لنعمه .

١٤٥ - لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله ، وقد كتب الله ذلك فى كتاب مشتمل على الآجال . ومن يرد متاع الدنيا يؤته منها ، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها ، وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره .

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ

---

١٤٦ - وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم، فما جبنت قلوبهم ولا فترت عزائمهم، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم فى سبيل الله، لأنهم فى طاعته والله يثيب الصابرين على البلاء.

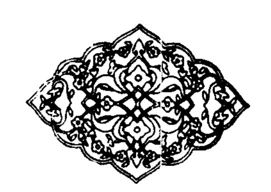
١٤٧ - وما كان قولهم عند شدائد الحرب إلا أن قالوا: ربنا تجاوز عما يكون منا من صغائر الذنوب وكبائرها، وثبتنا فى مواطن الحرب وانصرنا على أعداء دينك، الكافرين بك وبرسالة رسلك.

١٤٨ - فأعطاهم الله النصر والتوفيق فى الدنيا، وضمن لهم الجزاء الحسن فى الآخرة، والله يثيب الذين يحسنون أعمالهم.

١٤٩ - يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه، فيما يدعونكم إليه من قول أو فعل، يقلبوكم إلى الكفر فتخسروا الدنيا والآخرة.

١٥٠ - والله هو ناصركم، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين.

١٥١ - ولا يضعفكم ما أصابكم يوم أحد فسنقذف الخوف، والفزع فى قلوب أعدائكم، لاشراكهم بالله آلهة لم ينزل الله بعبادتها حجة، لأنها لا تنفع ولا تضر، ومستقرهم النار فى الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاما.



وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ

---

١٥٢ - وان نصر الله محقق واقع ، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم أول الأمر بإرادته ، حتى إذا ضعف رأيكم فى القتال ، واختلفتم فى فهم أمر النبى اياكم بالمقام فى مراكزكم ، فرأى بعضكم ترك موقفه حيث ظهر النصر ، ورأى البعض البقاء حتى النهاية ، وعصى فريق منكم امر الرسول فمضى لطلب الغنيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر ، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا ، ومنكم من يريد ثواب الآخرة ، لما كان ذلك ، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم ، ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ، ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم . والله ذو الفضل عليكم بالعفو وقبول التوبة .

١٥٣ - اذكروا أيها المؤمنون حالكم وقت أن كنتم تبعدون فى الأرض هاربين ، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب ، والرسول يناديكم من ورائكم لترجعوا ، فجازاكم الله حزنا غامرا كالغمة ، توالى على نفوسكم لكى لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة ، والله عليم بمقاصدكم وأعمالكم .

١٥٤ - ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغم نعمة أمن ، وكان مظهرها نعاسا يغشى فريق الصادقين فى ايمانهم وتفويضهم لله ، أما الطائفة الأخرى فقد كان همهم أنفسهم لا يعنون إلا بها ، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية ، يقولون مستنكرين : هل كان لنا من أمر النصر الذى وعدنا به شئ ؟ قل - أيها النبى - الأمر كله فى النصر والهزيمة لله ، يصرف الأمر فى عباده ان اتخذوا أسباب النصر ، أو وقعوا فى أسباب الهزيمة . وهم إذ يقولون ذلك يخفون فى أنفسهم أمرا لا يبدونه . إذ يقولون فى أنفسهم لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب . قل لهم . لو كنتم فى منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا إلى مصارعهم فقتلوا . وقد فعل الله ما فعل فى أحد لمصالح جمة ، ليختبر ما فى سرائركم من الاخلاص وليطهر قلوبكم ، والله يعلم ما فى قلوبكم من الخفايا علما بليغا .

ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ

---

١٥٥ - إن الذين انصرفوا منكم عن الثبات فى أماكنهم - يامعشر المسلمين - يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد، انما جرهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم.

١٥٦ - يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا فى شأن اخوانهم إذا أبعدوا فى الأرض لطلب العيش فماتوا أو كانوا غزاة فقتلوا، لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة فى قلوبهم، والله هو الذى يحيى ويميت، وبيده مقادير كل شئ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر، ومجازيكم عليه.

١٥٧ - ولئن قتلتم فى الجهاد أو متم فى أثنائه، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم.

١٥٨ - ولئن متم أو قتلتم فى الجهاد فلن تضيع أعمالكم، بل ستحشرون إلى الله فيثيبكم على جهادكم واخلاصكم.

١٥٩ - كان رحمة من الله بك وبهم أن لنت لهم ولم تغلظ فى القول بسبب خطئهم، ولو كنت جافى المعاملة قاسى القلب، لتفرقوا من حولك، فتجاوز عن خطئهم، واطلب المغفرة لهم، واستشرهم فى الأمر متعرفا آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه متوكلا على الله، لأن الله يحب من يفوض أموره إليه [1].

١٦٠ - ان يؤيدكم الله بنصره - كما حصل يوم بدر - فلن يغلبكم أحد - وإن قدر لكم الخذلان لعدم اتخاذكم أسباب النصر - كما حصل يوم أحد فلا ناصر لكم سواه، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه.

---

(١) الشورى أصل أصيل وركن ركين فى الاسلام ولقد قيل ماخاب من استخار ولا ندم من استشار والقرآن على نهجه فى التشريع يشرع كبريات الاسس والقواعد ويدع التفاصيل للجماعة بحسب ظروف الزمان والمكان فقد يكون النظام النيابى فى الحكم والشورى صالحا لبلاد معينة كانجلترا وفرنسا بحيث يكون رجال الحكومة مسئولين أمام البرلمان. لانهم نشأوا على ذلك ومرجع الأمر عندهم تاريخى يتفق مع البيئة التى هم فيها. وقد يكون نظام الحكم الرئاسى وفيه نوع كبير من الشورى مناسبا لبلاد الولايات المتحدة لماتبغيه من نهوض سريع وعدم تعويق التقدم والرقى بسقوط الوزارات كما هو حادث فى فرنسا البرلمانية حيث لم تكن الوزارة قبل الحرب الاخيرة لتبقى اكثر من ثلاثة أشهر وقد تكون الشورى على نظام وسط بين الرئاسى والبرلمان كما هو الحال فى جمهورية مصر العربية.؟

فكل دولة وكل جماعة لها ان تسن طريق الشورى وفق ظروفها أو تاريخها وبيئتها والمهم ان مبدأ الشورى يكون موجودا خشية تسلط الفرد وتحكمه وطغيانه ولذلك اكتفى القرآن بالنص على المبدأ منذ أربعة عشر قرنا سابقا بذلك كل المدنيات العصرية التى تتشدق بالحرية.

بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ

---

١٦١ - ما صح لنبى أن يخون فى المغنم كما أشاع المنافقون الكذابون ، لأن الخيانة تنافى النبوة ، فلا تظنوا به ذلك ، ومن يخن يأت يوم القيامة باثم ما خان فيه ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما عملت وافيا ، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب.

١٦٢ - ليس من سعى فى طلب رضاء الله بالعمل والطاعة ، مثل الذى باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية . ومصير العاصى جهنم وبئس ذلك المصير.

١٦٣ - ليس الفريقان سواء ، بل هم متفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على حسبها.

١٦٤ - لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبى ، بأن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويطهرهم من سوء العقيدة ، ويعلمهم علم القرآن والسنة . وقد كانوا من قبل بعثه فى جهالة وحيرة وضياع.

١٦٥ - أجزعتم وتخاذلتم ، وقلتم مستغربين حين أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم ضعفيها يوم بدر : من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ قل : الذى أصابكم من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم الرسول والله قادر على كل شئ ، وقد جازاكم بما عملتم.

١٦٦ - إن الذى أصابكم أيها المؤمنون يوم التق جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس ما علمه من ايمان المؤمن حقا.

مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

---

١٦٧ - وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال : تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله أو قاتلوا دفاعا عن أنفسكم قالوا : لو نعلم أنكم ستلقون قتالا لذهبنا معكم - وهم حين قالوا هذا القول أقرب للكفر منهم للايمان ، يقولون بأفواههم : ليس هناك حرب ، مع أنهم يعتقدون فى قلوبهم أنها واقعة ، والله أعلم بما يضمرون من النفاق ، لأنه يعلم نتيجة أسرارهم .

١٦٨ - وانهم هم الذين تخلفوا عن القتال وقعدوا عنه ، وقالوا فى شأن اخوانهم الذين خرجوا وقتلوا : لو أطاعونا وقعدوا كما قعدنا لنجوا من القتل كما نجونا . قل : فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين فى أن الحذر كان يمنعكم من القدر .

١٦٩ - ولا تظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل هم أحياء حياة استأثر الله بعلمها ، يرزقون عند ربهم رزقا حسنا يعلمه هو .

١٧٠ - يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المزايا ، ويفرحون باخوانهم الذين تركوهم فى الدنيا أحياء مقيمين على منهج الايمان والجهاد ، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات محبوب .

١٧١ - تتألق وجوه الشهداء بما من الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة ، وبأنه لا يضيع أجر المؤمنين .

١٧٢ - الذين لبوا دعوة الرسول إلى استئناف الجهاد من بعد ما أصابهم فى غزوة أحد من الجرح العميق وبذلك أحسنوا واتقوا عصيان أمر الله ورسوله فاستحقوا الأجر العظيم فى دار الجزاء والنعيم .

١٧٣ - الذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم : إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشا كثيفا فخافوهم ، فما ضعفوا وما وهنوا ، بل ازدادوا ايمانا بالله وثقة بنصره ، وكان ردهم : الله كافينا ، وهو المتولى أمورنا ، وهو نعم من يفوض إليه الأمر كله .

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ

---

١٧٤ ـ ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكثيف ، ولكن المشركين جبنوا عن اللقاء ، فعاد المؤمنون فائزين بنعمة السلامة مع الرغبة فى الجهاد ، وفوزهم بثوابه ، وفضل الله عليهم فى القاء الرعب فى قلوب عدوهم فلم ينلهم أذى . وابتغوا رضوان الله فصاروا أهلا لفضله ، والله صاحب الفضل العظيم .

١٧٥ ـ يبين الله سبحانه للمؤمنين أن أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجبنوا عن لقائهم ليسوا إلا أعوانا للشيطان الذى يخوف اتباعه فيجعلهم جبناء ولستم منهم . فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا الله وحده إن كنتم صادق الايمان ، قائمين بما يفرضه عليكم هذا الايمان .

١٧٦ ـ لا تحزن ـ أيها النبى ـ إذا رأيت الذين يزدادون كفرا ويسرعون بالانتقال من سىء إلى أسوأ ، فهم لن ينالوا الله بأى ضرر ، لأنه القاهر فوق عباده ، بل يريد الله ألا يجعل لهم نصيبا من ثواب الآخرة ، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم ، عذاب عظيم .

١٧٧ ـ إن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالايمان ، فابتغوا الكفر وتركوا الايمان ، لن يضروا الله شيئا ، ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم شديد الايلام .

١٧٨ ـ لا يحسبن هؤلاء الكافرون أن إمهالنا لهم حين نمد فى اعمارهم ونهيىء لهم أسباب النعيم فى حياتهم الدنيا ، خير لهم . فإن اطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم إلى الاستمرار فى اكتساب الاثم واستحقاق ما أعد الله لهم من عذاب مهين .

١٧٩ ـ ما كان الله ليتركتم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق ، حتى يميز بينكم بالمحنة والتكليف لتروا المنافق الخبيث والمؤمن الطيب ، ولم تجر سنة الله باطلاع أحد من خلقه على شىء من غيبه . ولكن الله يصطفى من رسله من يشاء باطلاعه على ما يشاء من غيبه ، وان تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته يدخلكم الجنة جزاء ، ونعم الجزاء إذ هى جزاء عظيم .

هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَـٰتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَـٰبِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ

---

١٨٠ - لا يظن الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلا منه، ولا يبذلونه فى الواجبات وسبل الخير، ان البخل خير لهم، بل انه شر سئ العاقبة عليهم، وسيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة، وسيكون العذاب ملازما لهم ملازمة الطوق للعنق. وإن كل ما فى الوجود يؤول لله سبحانه وتعالى وهو المالك له، وهو سبحانه يعلم كل ما تعملون، وسيجازيكم عليه.

١٨١ - ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثها، فقد قال بعض اليهود متهكمين ان الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالانفاق، ونحن أغنياء ننفق أو لا ننفق. لقد سمع الله قولهم هذا وسجل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلما وعدوانا وسيقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب النار المحرقة.

١٨٢ - وذلك العذاب بما قدمت أيديهم من الآثام، وعقاب الله لا يكون إلا عدلا، فهو لا يظلم العباد أبدا.

١٨٣ - انهم هم الذين قالوا ان الله أمرنا فى التوراة الا نؤمن مذعنين لرسول إلا إذا دلل على صدقه بأن يأتينا بشئ يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله، فقل لهم أيها النبى: ان رسلا من الله قد جاءوا من قبل بالأدلة الواضحة، وجاءوا بما اقترحتم، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم. فلم فعلتم ذلك إن كنتم صادقين فى وعدكم بالايمان عندما يتحقق ما تريدون ؟.

١٨٤ - وإن كذبوك أيها النبى، فلا تحزن، فقد سبق قبلك كثيرون كذبهم أقوامهم تعنتا وعنادا - مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والكتب السماوية الدالة على صدق رسالتهم.

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ

---

١٨٥ - كل نفس تذوق الموت لا محالة ، وإذا أصابتكم آلام فى الدنيا فانما توفون ثوابكم كاملا يوم القيامة . ومن قارب النار وزحزح عنها فقد نال الفوز . وما الحياة الدنيا الا متاع زائل يغر ولا يبقى .

١٨٦ - تأكدوا أيها المؤمنون أنكم ستختبرون فى أموالكم بالنقص أو الانفاق ، وفى أنفسكم بالجهاد وبالأمراض والآلام . وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيرا مما يؤذيكم من السب والطعن ، وان تقابلوا ذلك بالصبر وتقوى الله ، فإن ذلك من الأمور الصالحة التى يجب العزم على تنفيذها .

١٨٧ - واذكر أيها النبى ، إذ أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه ، وألا يخفوا شيئا من آياته عن الناس ، فألقوه وراء ظهورهم نابذين له ، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبين له ، ومتاع الدنيا مهما يكن كالثمن البخس الحقير فى مقابل الهداية والارشاد فقبحا لما فعلوا .

١٨٨ - لا تظنن الذين يفرحون دائما بما يأتون من أفعال قبيحة ويحبون الثناء بما لم يفعلوه ، لا تظنن هؤلاء بمنجاة من العذاب ، لأن من شأنهم أن يغلقوا على أنفسهم باب الايمان والحق كاليهود ، ولهم عذاب مؤلم يوم القيامة .

١٨٩ - الله وحده هو المالك لأمر السموات والأرض ، وهو القادر على كل شئ ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم ويثيب المحسنين على احسانهم .

ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ

---

١٩٠ - إن فى خلق الله للسموات والأرض مع ما فيهما من ابداع واحكام، واختلاف الليل والنهار نورا وظلمة وطولا وقصرا، لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته [١].

١٩١ - وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون فى نفوسهم عظمة الله وجلاله فى كل مكان، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم، ويتدبرون فى خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب قائلين ربنا ما خلقت هذا إلا لحكمة قدرتها وأنت منزه عن النقص، بل خلقته دليلا على قدرتك، وعنوانا لبالغ حكمتك، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا إلى طاعتك.

---

(١) «ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب».

«فى هذا النص تنبيه الى حقائق كونية تدل على عظمة الخالق، ذلك ان السماء هى آية من آيات الله بدت لنا بتأثير الاشعة الشمسية على الغلاف الجوى الذى يحيط بالارض. فعندما تسقط هذه الاشعة على ذرات العناصر الكيماوية التى يتألف منها الجو وعلى ما يحمله هذا الجو من أتربة دقيقة عالقة به منعكس من هذه الذرات وتلك الاتربة تتشتت فى جهات مختلفة ومن المعلوم ان الضوء الابيض يتألف من جمع الالوان المرئية. وان هذه الذرات تمتص بعض الالوان من بعضها الآخر.

وقد اتضح من تجارب واعتبارات خاصة بطاقته. ان اللون الاكثر تشتتا هو اللون الأزرق ويتجلى هذا بصورة أوضح عندما تكون الشمس فى سمت الراس. وتتناقص زرقة هذا اللون شيئا فشيئا حتى اذا بلغت الشمس الافق اى وقت الغروب أو الشروق. فان اشعاعها يخترق جو الارض فى مسافات أطول بكثير.

ولهذا فان اللون الاحمر يظهر تشتته اكثر من غيره.

وصفوة القول: ان ضوء النهار يتطلب الاشعاع الشمسى وكمية متناسبة من الغبار الجوى والدليل على ذلك ما حدث سنة ١٩٤٤ حيث اظلمت السماء فجأة فى وضح النهار. ولشدة ظلمتها صار النهار كأنه الليل. وظل الامر كذلك زمنا وجيزا، ثم تحولت السماء الى لون احمر ثم تدرج الى لون برتقالى فاصفر. حتى عادت السماء الى حالتها الطبيعية بعد حوالى ساعة أو أكثر.

وقد تبين فيما بعد ان هذه الظاهرة نشأت من تفتت مترتب فى السماء فاستحال الى رماد وحملته الرياح الى مسافات بعيدة من أواسط افريقية الى شمالها وتجاوزت الى غربى آسيا حيث شوهدت هذه الظاهرة فى اقليم سوريا.

وتفسير ذلك ان الغبار المعلق فى الهواء قد حجب نور الشمس فلما قلت كثافته أخذ الضوء فى الاحمرار والاصفرار الخ..

ولو ارتفع الانسان فى الفضاء فانه سوف يمر بطبقات جوية تختلف خصائصها ومميزاتها بعضها عن بعض فهو يشاهد السماء تأخذ فى الزرقة الشديدة شيئا فشيئا حتى اذا مابلغ عتبة الفضاء الخارجى الخالية من المواد التى يتألف منها الغلاف الجوى والاتربة العالقة به بدت له السماء معتمة كانها ليل على الرغم من وجود الشمس فوق الافق والخلاصة ان هناك سموات متطابقة فى هيئة قباب تختلف فى خصائصها وألوانها وتمتد الى اقصى اعماق الفضاء وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى التى تتجلى فى خلقه كل مافى السموات والأرض.

وضوء النهار يتطلب سقوط الأشعة الشمسية ذرات من الغلاف الجوى الذى يحمل جسيمات من الغبار بكميات متفاوتة وضوء النهار يبلغ من الشدة حدا بحيث يحجب الاضواء الخافتة المنبعثة من النجوم أو من احتكاك الشهب والنيازك بالغلاف الجوى.

وعندما تختص اشعة الشمس تحت الافق بمسافات بعيدة فان أضواء النجوم الخافتة تظهر لبعدها الشاسع عنا قليلة التأثير على الغلاف الجوى بحيث لاتحدث نورا يشبه نور النهار.

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الارض حول محورها ومرجع التفاوت الزمنى بين الليل والنهار هو دورة الارض حول الشمس وميل محورها عن مستوى مدارها فتختلف الفترات الزمنية باختلاف الفصول وعروض البلاد.

ومن حكمته جلت قدرته ان التعاقب بين الليل والنهار وتراوحهما على فترات قصيرة يؤدى الى اعتدال فى درجة الحرارة والمناخ ويهيىء البيئة الصالحة للحياة والاحياء، ولهذا فان اللون الأحمر يظهر بسبب التشعب الناجم عن الغبار الحجمى.

أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ

---

١٩٢ ـ يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا . إن من يستحق النار وتدخله فيها فقد أخزيته وليس للظالم الذى استحق النار من نصير يمنعه منها .

١٩٣ ـ يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا اننا سمعنا رسولك يدعو إلى الايمان بك فأطعناه وآمنا به ، ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامح عنا صغائر سيئاتنا واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الأخيار .

١٩٤ ـ يا خالقنا ، والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا ، اعطنا الذى وعدتنا على ألسنة رسلك من نصر وتأييد فى الدنيا ، ولا تدخلنا النار فتخزنا ـ يوم القيامة ـ فشأنك ألا تخلف الميعاد .

١٩٥ ـ فأجاب ربهم دعاءهم ، مبينا لهم أنه لايضيع على عامل منهم ثواب عمله ، سواء أكان ذكرا أم أنثى ، فالأنثى من الذكر والذكر من الأنثى . فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم ، ونالهم الأذى فى سبيل الله وقاتلوا وتعرضوا للقتل ، وقتل منهم من قتل ، كتب الله على نفسه أنه سيمحو عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار جزاء كريما عاليا من عند الله ، والله ـ وحده ـ عنده الثواب الحسن الجميل .

١٩٦ ـ لا تتأثر ـ أيها النبى ـ بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب فى النعيم والتصرف فى التجارة والمكاسب .

١٩٧ ـ فإن ذلك متاع ، زائل ، وكل زائل قليل ، ثم يكون المأوى الذى ينتهون اليه جهنم وبئس منزلا جهنم .

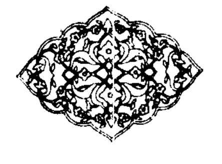
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

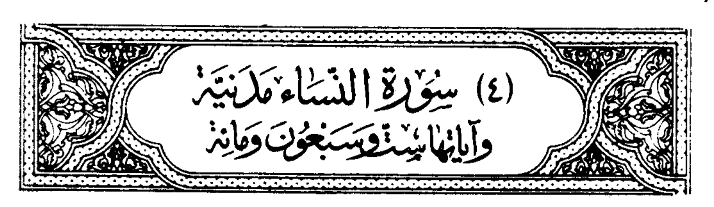
---

١٩٨ - ذلك جزاء الكافرين أما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار مخلدين فيها ، نازلين فى كرم الله سبحانه وما عند الله خير للأبرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل .

١٩٩ - إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله ، تراهم خاضعين لله ضارعين إليه ، لا يستبدلون بالبينات الظاهرة عرضا من اعراض الدنيا مهما عظم فهو قليل ، هؤلاء لهم الجزاء الأوفى فى دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يعجزه احصاء أعمالهم ومحاسبتهم عليها ، وهو قادر على ذلك وجزاءه نازل بهم لا محالة .

٢٠٠ - أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر ، وغالبوا أعداءكم به ، ولازموا الثغور لحمايتها ، وخافوا ربكم ، ففى كل ذلك رجاء فلاحكم .





بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

---

١ - يأيها الناس اتقوا ربكم الذى أوجدكم من نفس واحدة، وأنشأ من هذه النفس زوجها، ومنها نشر فى الوجود رجالا كثيرا ونساء، فأنتم جميعا تنتهون إلى تلك النفس الواحدة، واتقوا الله الذى تستعينون به فى كل ما تحتاجون ويسأل باسمه بعضكم بعضا فيما تتبادلون من أمور، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها قريبها وبعيدها، إن الله دائم الرقابة على أنفسكم، لا تخفى عليه خافية من أموركم ومجازيكم عليها.

٢ - وملكوا اليتامى ما يستحقون من مال، واحفظوه لهم، ولا تعطوهم الردئ وتحرموهم الجيد، ولا تأخذوا أموالهم وتضيفوها إلى أموالكم، إن ذلك كان اثما كبيرا.

٣ - وإن شعرتم بالخوف من ظلم اليتامى لأنه ذنب كبير، فخافوا كذلك ألم نسائكم بعدم العدل بينهن، والزيادة على أربع، فتزوجوا منهن اثنتين أو ثلاثا أو أربعا إذا وثقتم بالقدرة على العدل، فإن خفتم عدم العدل فتزوجوا واحدة، أو استمتعوا بما تملك أيديكم من الإماء ذلك أقرب إلى عدم الوقوع فى الظلم والجور [1] وأقرب الا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الانفاق عليهم.

---

(١) لم تنفرد الشريعة الاسلامية من بين الشرائع السماوية بمبدأ تعدد الزوجات، فشريعة التوراة تثبت انه يباح للرجل ان يتزوج بمن يشاء، وهى تذكر ان الانبياء كانوا يتزوجون من النساء بالعشرات لابالاحاد. والتوراة هى كتب العهد القديم الذى يؤخذ به عند النصارى مالم يوجد نص قد جاء فى الانجيل أو رسائل الرسل يخالفها، ولم يوجد نص صريح فى المخالفة، والكنيسة كانت تأذن بالتعدد ولا تعارض فيه فى القرون الوسطى ومابعدها، وملوك اوروبا الذين عددوا الزوجات معروفون فى تاريخها.

واذا كان الاسلام قد انفرد بشىء فى هذا المقام، فالذى انفرد به انه قيد التعدد، فهو أول شريعة سماوية قيدت التعدد صراحة، فقد قيدته بثلاثة أمور: اولها الا يزيد عن اربع، وثانيها الا يكون فيه ظلم لاحداهن، وثالثها ان يكون قادرا على الانفاق. والشرطان الاخيران لازمان فى كل زوج ولو كان الاول، فقد قرر فقهاء المسلمين على اختلاف فرقهم بالاجماع انه يحرم الزواج على من يتأكد انه لايعدل مع زوجته اذا تزوج غير ان ذلك التحريم دينى لا يقع تحت سلطان القضاء، لان العدل أمر نفسى لا يعلم الا من وجهته، والقدرة على الانفاق امر نسبى لاتحد بميزان واحد، ولذلك ترك الامر فيها الى تقدير الشخص وهو اثم عليه العقاب يوم القيامة ان خالفه، ولأن الظلم أو العجز عن الانفاق أمور تتعلق بالمستقبل، والعقود لا تبنى صحتها على أمور متوقعة، بل تبنى على أمور واقعة، والظالم قد يكون عادلا، والعاجز =

هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ

٤ ـ وأعطوا النساء مهورهن عطية خالصة ، وليس لكم حق فى شئ من هذه المهور ، فإن طابت نفوسهن بالنزول عن شئ من المهر فخذوه وانتفعوا به طيبا محمود العاقبة .

٥ ـ ولا تعطوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف فى المال أموالهم التى هى أموالكم ، فإن مال اليتيم وضعيف العقل مالكم ، يعنيكم أمره واصلاحه حتى لا يضيع المال ، فقد جعله الله قوام الحياة ، واعطوهم من ثمراتها النصيب الذى يحتاجون إليه فى الطعام ، واكسوهم وعاملوهم بالحسنى ، وقولوا لهم قولا يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلهم .

= فى المال قد يكون قادرا ، فالمال غاد ورائح ، ومع ذلك قرر الاسلام ان الرجل اذا ظلم امرأته أو عجز عن الانفاق عليها كان لها طلب التفريق ولكن لا يمنعها من العقد اذا دخلت راضية مختارة فى انشائه .

والاسلام اذ قد فتح باب التعدد مع التضييق فيه على ذلك النحو قد دفع ادواء اجتماعية :

فأولا ـ قد ينقص عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء الصالحات للزواج ، وخصوصا عقب الحروب المفنية ، فقد لوحظ فى بعض الدول الاوربية ان عدد الرجال الصالحين بعد الحرب يعادل واحدا الى سبع من النساء فيكون من كرامة المرأة ان تكون زوجة ولو مع اخرى بدل ان تكون حائرة بين أحضان الرجال .

وثانيا ـ قد يكون بين رجل وامرأة مالا يستطيعان معه الا تكون بينهما علاقة شرعية أو آثمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية ان تكون شرعية ، وخير للمرأة ان تكون زوجة من ان تكون خليلة تنتقل بين أحضان الرجال ، واذا كانت هذه صورة شوهاء للتعدد ، فانه فيها خير من عدم التعدد فان التعدد على اقبح صوره يدفع شرا اجتماعيا أعظم منه .

وثالثا ـ لايمكن ان تقبل امرأة الزواج من متزوج الا اذا كانت مضطرة الى ذلك اضطرارا ، فاذا كانت الزوجة الاولى ينالها ضرر بالزواج بالثانية ، فان الثانية ينالها ضرر أشد بالحرمان اذ تموت انوثتها أو تكون ضياعا بين الرجال والضرر الكبير يدفع بالضرر القليل .

رابعا ـ قد تصاب الزوجة بمرض لاتكون معه صالحة للعلاقة الجنسية ، أو تكون عقيمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية والشخصية التزوج من أخرى .

لهذه المعانى ولغيرها فتح الاسلام الباب مضيقا ، ولم يغلقه تماما .

ان الاسلام شريعة الله الذى يعلم كل شىء ، فهو العليم الحكيم .

إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن

---

٦ - واختبروا عقول اليتامى وتبينوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ، حتى إذا أصبحوا صالحين للزواج وتبينتم رشدهم وسدادهم فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا وترد إليهم . ومن كان من الأوصياء عليهم غنيا فليتعفف عن أموال اليتامى ، ومن كان فقيرا فليكتف بقدر ما يكفيه عرفا ، فإذا سلمتموهم أموالهم فاشهدوا عليهم ، والله من ورائكم هو المحاسب والمراقب ، وكفى به حسيبا ومراقبا .

٧ - للرجال نصيب من الأموال التى يتركها الوالدان والأقربون - ميراثا - وللنساء أيضا نصيب مما ترك هؤلاء دون منع أو بخس ، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة قلت الأموال أو كثرت .

٨ - وإذا حضر قسمة التركة بعض الأقارب الذين لا يرثون من اليتامى والمساكين ، فاكرموهم بإعطائهم شيئا من هذه التركة تطييبا لنفوسهم ، ونزعا للحسد من قلوبهم ، ويحسن أن يشفع هذا العطاء بلين القول وحسن الاعتذار .

٩ - وعلى الناس ألا يظلموا اليتامى ، وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع اليتامى ، وليتقوا الله فيهم ، وليقولوا قولا مسددا نحو الحق ، غير ظالم لأحد .

١٠ - إن الذين يظلمون اليتامى بأخذ أموالهم فى غير حق ، انما يأكلون ما يؤديهم إلى النار ، فسيعذبون يوم القيامة بنار شديدة الايلام .

بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ

---

١١ - يأمركم الله فى شأن توريث أولادكم وأبويكم - إذا متم - بما يحقق العدل والإصلاح وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الانثيين إذا كان الأولاد ذكورا واناثا. فإن كان جميع الأولاد إناثا يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة. ويفهم من مضمون الآية أن الاثنتين نصيبها كنصيب الأكثر من إثنتين. وإن ترك بنتا واحدة فلها نصف ما ترك. وإن ترك أبا وأما فلكل منها السدس إن كان له ولد معهما، ولد ذكر أو أنثى. فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث والباقى للأب. فإن كان له فلأمه السدس والباقى للأب ولا شئ للأخوة. تعطى هذه الأنصبة لمستحقيها بعد أداء ما يكون عليه من دين، وتنفيذ ما وصى به فى حدود ما أجازه الشارع. هذا حكم الله فإنه عدل وحكمة، وأنتم لا تدرون الأقرب لكم نفعا من الآباء والأبناء، والخير فيا أمر الله. فهو العليم بمصالحكم الحكيم فيا فرض لكم.

١٢ - للزوج نصف ما تركت الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره فإن كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية توصى بها أو دين. وللزوجة - واحدة أو متعددة - الربع مما ترك الزوج إن لم يكن له منها أو من غيرها ولد، فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يوصى بها أو دين، وولد الابن كالولد فيا تقدم. وإن كان الميت رجلا أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أخا لأم أو أختا لأم فلكل واحد منها السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث يستوى فى ذلك ذكرهم وأنثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التى عليه وتنفيذ الوصية التى لا تضر الورثة وهى التى لا تتجاوز ثلث الباقى بعد الدين. فالزموا أيها المؤمنون ما وصاكم الله به فإنه عليم بمن جار أو عدل منكم، حليم لا يعاجل الجائر بعقوبة.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ

١٣ - تلك الأحكام المذكورة فى بيان المواريث وما سبقها، شرائع الله التى حددها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها، ومن يطع الله ورسوله فيا حكم به كان جزاؤه الجنة التى تجرى فيها الأنهار خالدا فيها وذلك الفوز العظيم[1].

١٤ - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود ما شرعه مستبيحا ذلك التعدى، يجزه نارا مخلدا فيها، يعذب بها بدنه، إلى جانب عذاب مهين تتألم به روحه.

١٥ - واللاتى يأتين الزنا من النساء ان شهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يمسكن فى البيوت محافظة عليهن ودفعا للفساد والشر حتى يأتيهن الموت أو يفتح الله لهن طريقا للحياة المستقيمة بالزواج والتوبة.

---

(١) نظام الميراث الذى بينه القرآن الكريم أعدل نظام للتوريث عرف فى كل قوانين العالم، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون فى أوروبا، وهو دليل على ان القرآن من عند الله، اذ أنه لم يكن مثله ولاقريب منه معروفا عند الفرس ولا عند الرومان، ولا فى أى شريعة أخرى قبله، وقد اتبع فيه النظم العادلة الآتية:

أولها - انه جعل التوريث بتنظيم الشارع لا بارادة المالك، من غير ان يهمل هذه الارادة، بل جعل له الوصية بالمعروف فى الثلث ليتدارك تقصيرا دينيا فاته، كزكوات لم يؤدها، أو ليعين بعض ذوى الحاجة ممن تربطه به صلة مودة أو قرابة لا تستحق ميراثا، ومنع الوصية اذا كان الباعث عليها معصية أو تحريضا على الاستمرار فى معصية، وتولى الشارع توزيع الثلثين ان كانت وصية، أو توزيع الكل اذا لم تكن وصية، أو كانت بأقل من الثلث فوزع الشارع الباقى.

وثانيها - أنه فى توليه سبحانه توزيع الثلثين اعطى الاقرب فالاقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير، ولذلك كان الأولاد أكثر حظا من غيرهم فى الميراث، لانهم امتداد لشخص المالك، ولأنهم فى الغالب ضعاف، ومع ذلك لم يستأثروا بالميراث، بل يشاركهم الأم والجدة، والأب، والجد، وان كانوا يأخذون أقل من الأولاد.

وثالثها - انه يلاحظ فى التوريث مقدار الحاجة، ولذلك كان نصيب الأولاد أكبر، لانهم اكثر احتياجا، اذ هم مقبلون على الحياة، والآباء والأمهات مدبرون عنها.

وان ملاحظة الحاجة هى التى جعلت نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل فى أكثر أحوال الميراث، إذ ان التكليفات المالية التى يطالب بها الرجل اكبر، فهو المطالب بنفقة الاولاد واصلاحهم، وهو المطالب بنفقة المرأة، إذ أن الفطرة الانسانية هى التى جعلت المرأة قوامة على البيت وتدبيره، ورعاية الاولاد، وتهيئة راحتهم، وجعلت الرجل كادحا يعمل خارج البيت، ويقدم المال المطلوب لميزانية الأسرة.

وان الاعطاء على مقدار الحاجة هو العدل، والمساواة مع تفاوت الحاجة هى الظلم.

ورابعها - ان الشرع الاسلامى فى توزيعه للتركة يتجه الى التوزيع دون التجميع، فلم يجعلها للولد البكر، ولم يجعلها للابناء دون البنات، ولا للاولاد دون الاباء، ولم يحرم من ليسوا من عمود النسب، كالاخوة والاعمام وأبناء الاعمام وان بعدوا، فالميراث يمتد الى مايقارب القبيلة، ولكن يأخذ الأقرب فالأقرب، ولا يوجد فى مسائل الميراث ان ينفرد به واحد الا نادرا.

وخامسها - انه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجرى عند العرب، بل لها ميراث، وفى ذلك احترام للمرأة واعطاؤها حقوقها.

وفوق ذلك لم يمنع الاسلام قرابة المرأة من الميراث، بل ورث القرابة التى تكون من جانبها، كما ورث القرابة التى تكون من جانب الأب، فالأخوات والاخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الأشقاء، بل فى بعض الأحيان يأخذ الأولاد لأم ولا يأخذ الاخوة والأخوات، وهذا بلا شك تكريم للأمومة، واعتراف بقرابتها، ولم يكن ذلك معروفا من قبل، ولكنها شريعة الله العليم الحكيم.

فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٰٔنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ

---

١٦ - والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلهما عقوبة محدودة - إذا ثبت الزنا بشهادة شهود أربعة عدول - فإن تابا بعد العقوبة فلا تذكروهما بما ارتكبا ولا تعيروهما به . إن الله يقبل برحمته توبة التائبين .

١٧ - انما التوبة مضمونة عند الله للذين يعملون السيئات فى حال الحماقة والطيش وعدم التبصر ، ثم يبادرون بالتوبة قبل حضور الموت ، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يخطىء فى تقدير .

١٨ - وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ثم لا يبادرون بالندم عليها ، إلى أن يحضر أحدهم الموت فيقول : انى اعلن الندم والتوبة الآن ، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر ، وقد أعد الله للفريقين عذابا مؤلما فى دار الجزاء .

١٩ - يأيها الذين آمنوا لا يجوز لكم ان تجعلوا النساء كالمتاع ، فترثوهن زوجات لكم من غير صداق ، وهن كارهات ، ولا تظلموهن بالتضييق عليهن ليتزلن عن بعض ما آتيتموهن من مهور ، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا بعض ما آتيتموهن من مال إلا أن يرتكبن اثما بينا بنشوز أو سوء خلق أو فجور ، فلكم أن تضيقوا عليهن أو تأخذوا بعض ما آتيتموهن عند الفراق ، وعليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم قولا وعملا فإن كرهتموهن لعيب فى الخلق أو الخلق أو غيرهما فاصبروا ولاتتعجلوا فراقهن فعسى أن يجعل الله فى المكروه لكم خيرا كثيرا وعلم الأمور كلها عند الله .

٢٠ - وإن أردتم أن تستبدلوا زوجة مكان أخرى واعطيتم واحدة منهن مالا كثيرا فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه على وجه البطلان والاثم المبين ؟ .

مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ
وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن
نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ
وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ
فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ

٢١ ـ وكيف يسوغ لكم ان تستردوا ما أعطيتم من مهر وقد امتزج بعضكم ببعض وأخذن منكم عقدا قويا موثقا أحل الله به العشرة الزوجية.

٢٢ ـ ولا تتزوجوا ـ أيها الأبناء ـ ما تزوج آباؤكم من النساء، انه كان أمرا فاحش القبح، يمقته الله والناس، وهو أسوأ سبيل ومقصدا، وان الله يعفو عما قد سلف منكم فى زمن الجاهلية[1].

٢٣ ـ حرم الله عليكم أن تتزوجوا أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم، والمحرمات لغير النسب: أمهات الرضاعة، والأخوات من الرضاعة [2]، وأمهات الزوجات وبنات الزوجات من غير الأزواج إذا دخل بهن، وزوجات أبناء الصلب، والجمع بين الأختين، وما سلف فى الجاهلية فإنه معفو عنه. إن الله غفور لما سلف قبل هذا النهج، رحيم بكم فيما شرع لكم.

---

(١) كان عند العرب فى الجاهلية عادات ليس فيها تكريم للمرأة بل فيها ظلم شديد، وفيها قطع للعلاقة التى تربط بين الأسرة، فكان الرجل إذا مات أبوه وكان متزوجا غير أمه يفرض عليها زواجها منه، أو يرث زواج أبيه من غير عقد يعقده عليها جديد، وكان الرجل اذا طلق امرأته وقد دخل بها يسترد كل ما أعطاها من مهر ظالما معتديا. ومنهم من كان يعمل على منعها من الزواج بغيره معتديا آثما، ولا نصير لها فى ذلك الوسط. فجاء الاسلام، ودفع عنها ذلك الظلم البين، ونهى عن أن يورث زواج النساء، وان يسترد شىء من المهر، ولو كان قنطارا، ونهى عن العضل وهو منع المرأة من الزواج أو ايذاؤها لحملها على طلب الطلاق بمال تعطيه.

وكان من الجائز عندهم ان الرجل يتزوج من تزوجها أبوه وافترق عنها بطلاق أو نحوه، فنهى الاسلام عنه، وسماه مقتا، لأنه أمر فاحش القبح، يمقته الله، ويمقته أهل العقول المستقيمة، وذلك عدل الله.

(٢) اختصت شريعة القرآن من بين الشرائع القائمة بالتحريم بسبب الرضاعة، لأن الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم أمه فى بطنها فكلاهما يكون أجزاء جسمه، ولا فرق بين تكوين فى الحجر، وتكوين فى البطن، وفى التحريم بالرضاعة تكون للمرضع إذ تكون كالام فى التحريم، وفى هذا تشجيع على الارضاع الذى هو الغذاء الطبيعى للأطفال فى المهد.

تسبق هذه الآية الشريفة علم الوراثة فيما قررته من تحريم زواج الاقارب، وقد ثبت علميا أخيرا ان زواج الأقارب يسبب ذرية =

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ

---

٢٤ ـ وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء عامة ، حرائر وغير حرائر إلا من سبيتم وملكتم منهن فى حرب بينكم وبين الكفار ، فإن نكاحهن السابق ينفسخ بالسبى فيصرن حلالا لكم بعد إستبراء ارحامهن ، فالزموا ما كتب الله عليكم فى تحريم ما حرم ، ولكم فيما عدا هؤلاء المؤمنات المحرمات ، أن تتطلبوا بأموالكم نساء تتزوجون بهن ، لا تقصدون الزنا أو المخادنة ، فأى نساء استمتعتم بهن بعد الزواج منهن أحل الله لكم الدخول بهن فوفوهن مهورهن التى قدرتم لهن حقا عليكم لا تسامح فيه تؤدونه فى موعد ، ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من تنازل زوجة عن بعض مهرها أو زيادة زوج فيه . إن الله كان ولم يزل مطلعا على شئون العباد ، مدبرا لهم فى احكام ما يصلح به أمرهم .

٢٥ ـ ومن لم يستطع منكم نكاح الحرائر المؤمنات فله أن يتجاوزهن إلى ما يستطيع من المملوكات المؤمنات ، والله أعلم بحقيقة إيمانكم واخلاصكم ، ولا تستنكفوا من نكاحهن ، فأنتم وهن سواء فى الدين ، فتزوجوهن بإذن أصحابهن وأدوا اليهن مهورهن التى تفرضونها لهن حسب المعهود بينكم فى حسن التعامل وتوفية الحق ، واختاروهن عفيفات ، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خليلة ، فإن اتين الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبة الحرة . واباحة نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية إلى الزنا وصبركم عن نكاح المملوكات مع العفة خير لكم ، والله كثير المغفرة عظيم الرحمة .

٢٦ ـ يريد الله أن يوضح لكم أصلح السبل ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من قبلكم ، ويرجع بكم إلى طريق طاعته والله مطلع على شئونكم ، مدبر فى أحكامه لما يصلح أمركم .

٢٧ ـ والله يريد أن يرجع بكم إلى طاعته ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من الكفار والعصاة أن تبعدوا عن طريق الحق بعدا شديدا .

= أفرادها على استعداد للأمراض وبهم عيوب خلقية ، وأن درجة التناسل تقل حتى تصل الى العقم أما زواج الاباعد فانه يأتى بنتائج على عكس ذلك كما تزيد عليها نتيجة عرفت باسم قوة الخليط ، ويقصد بها ان النسل الناتج من رتبة الاباعد يفوق كلا من أبويه فى كثير من صفاته ، كما يمتاز النسل كذلك بزيادة الوزن وقوة مقاومته للأمراض وسرعة النمو وقلة الوفيات .

وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا

---

٢٨ ـ يريد الله أن ييسر عليكم بتشريع مافيه سهولة لكم، وتخفيف عليكم، وقد خلق الله الانسان ضعيفا أمام غرائزه وميوله، فيناسبه من التكاليف مافيه يسر وسعة. وذلك هو مايكلف الله عباده فضلا وتيسيرا.

٢٩ ـ يأيها الذين آمنوا لايأخذ بعضكم مال بعض بغير الحق. ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضى منكم، ولا تهلكوا أنفسكم بمخالفة أوامر ربكم، ولايجنى أحدكم على أخيه فانما هى نفس واحدة، ان الله دائم الرحمة بكم.

٣٠ ـ ومن يقدم على فعل ماحرم الله اعتداء وتجاوزا لحقه، فسوف ندخله نارا يحترق فيها، وكان ذلك على الله هينا ميسورا.

٣١ ـ ان تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التى ينهاكم الله عنها نمح عنكم مادونها من السيئات والصغائر مادمتم باذلين جهدكم فى الاستقامة، وننزلكم فى الدنيا والآخرة منزلا فيه احسان لكم وتكريم.

٣٢ ـ ولايتطلع الرجال الى ماميز الله به النساء، ولا النساء الى ماميز به الرجال، فان لكل فريق حظا ملائما لما طبع عليه من العمل وما أضيف اليه من الحقوق، فليتجه كل الى رجاء الاستزادة من فضل الله بتنمية مواهبه والاستعانة على مانيط به. ان الله كان عالما أتم العلم بكل شيء، وقد اعطى كل نوع مايصلح له.

٣٣ ـ ولكل من الرجال والنساء جعلنا مستحقين لتركتهم يكونون خلفاء لهم، وهم الوالدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم عقدا مقتضاه أن يرثوه اذا مات من غير قرابة، وينصروه اذا احتاج الى نصرتهم فى مقابل ذلك، فآتوا كل ذى حق حقه ولاتنقصوه شيئا، ان الله كان رقيبا على كل شيء، حاضرا معكم، يشهد ماتتصرفون به.

فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ

---

٣٤ ـ الرجال لهم حق الصيانة والرعاية للنساء، والقيام بشئونهن بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهذا الحق، وبسبب أنهم هم الذين يكدون ويكدحون لكسب المال الذى ينفقونه على الأسرة. فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن، حافظات لكل مايغيب عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوفيقه لهن. والزوجات اللاتى تظهر منهن بوادر العصيان، فانصحوهن بالقول المؤثر، واعتزلوهن فى الفراش، وعاقبوهن بضرب خفيف غير مبرح ولامهين عند التمرد، فان رجعن الى طاعتكم فى أى سبيل من هذه السبل الثلاث، فلاتتطلبوا السبيل التى هى أشد منها بغيا عليهن، ان الله فوقكم وينتقم منكم اذا آذيتموهن أو بغيتم عليهن.

٣٥ ـ وان حدث خلاف بين الزوجين وخفتم منه حدوث انشقاق بينهما يعرضهما للانفصال، فاختاروا حكمين. أحدهما من أهله والآخر من أهلها، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فى الوصول الى ماهو خير للزوجين من معاشرة بالمعروف أو تسريح باحسان. ان الله كان مطلعا على ظواهر العباد وبواطنهم.

٣٦ ـ واعبدوا الله وحده، ولا تجعلوا معه شريكا فى الألوهية والعبادة، وأحسنوا الى الوالدين احسانا لاتقصير فيه، والى اقربائكم والى اليتامى، والذين افتقروا بسبب عجزهم او ذهاب الكوارث باموالهم، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبى، والرفيق لك فى عمل أو طريق أو جلوس، والمسافر المحتاج الذى لاقرار له فى بلد معين، وبما ملكتم من الأرقاء فتيانا وفتيات. ان الله لايحب من كان متعاليا على الناس: لاتأخذه بهم رحمة، كثير التمدح بنفسه.

ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟

---

٣٧ ـ أولئك الذين يضمون الى التكبر والتباهى البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس ، ويدعون الناس الى مثل صنيعهم من البخل ، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلاينفعون أنفسهم ولا الناس بذلك ، وقد أعددنا للجاحدين أمثالهم عذابا مؤلما مذلا .

٣٨ ـ والله لايحب الذين يبذلون المال للرياء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويعظموهم ، وهم غير مؤمنين بالله ولابيوم الجزاء ، لأنهم اتبعوا الشيطان فأضلهم ، ومن يكن الشيطان صاحبه فبئس الصاحب .

٣٩ ـ ألا قبحا لهؤلاء ، فما الذى يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الايمان ، وما يقتضيه من اخلاص النية ورجاء الثواب . والله عالم كل العلم ببواطن الأمور وظواهرها .

٤٠ ـ ان الله لايظلم أحدا شيئا فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد فى عذابه شيئا ، ويضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت ، ويعطى من فضله عطاء كبيرا غير مقابل بالحسنات التى يضاعفها .

٤١ ـ فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والمعرضين عما أمر الله به ، اذا جئنا يوم القيامة بكل نبى شهيدا على قومه ، وجئنا بك ـ يأيها النبى ـ شهيدا على قومك وفيهم المانعون والمعرضون ؟

٤٢ ـ يوم يحدث هذا ، يود الجاحدون المعرضون لو يغيبون فى الأرض كما يغيب الأموات فى القبور ، وهم لايستطيعون أن يخفوا عن الله أى شأن من شئونهم ، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم .

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا

---

٤٣ ـ يأيها الذين آمنوا لاتأتوا الصلاة فى المساجد حال سكركم حتى تفقهوا ماتقولون ، ولاتدخلوا المساجد وأنتم على جنابة إلا اذا كنتم عابرين المساجد عبورا دون استقرار فيها ، حتى تطهروا بالاغتسال ، وان كنتم مرضى لاتستطيعون استعمال الماء خشية زيادة المرض أو بطء البرء ، أو مسافرين يشق عليكم وجود الماء ، فاقصدوا التراب الطيب ، وكذلك اذا جاء أحد منكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو أتيتم النساء فلم تجدوا ماء تطهرون به لفقده ، فاقصدوا ترابا طيبا كذلك فاضربوا به أيديكم ، وامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة .

٤٤ ـ ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من الكتب السابقة ، يتركون الهدى ويبتغون الضلالة فى شأن أنفسهم ، ويريدون منكن أن تبعدوا مثلهم عن الحق وهو صراط الله المستقيم .

٤٥ ـ والله أعرف منكم بأعدائكم الحقيقيين ، وأخبر بما تنطوى عليه نفوسهم وولاية الله تحميكم وتكلؤكم وتكفيكم ، فلا تطلبوا ولاية غير ولايته وتكفيكم نصرته فلا تستعينوا بسواه .

٤٦ ـ من اليهود فريق يميلون الكلام عن معناه ، ويقولون فى أنفسهم للنبى : سمعنا القول وعصينا الأمر . ويقولون اسمع كلامنا ـ لاسمعت دعاء ـ يدعون بذلك على النبى ويقولون (اسمع غير مسمع) فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه ، ويوهمون أن مرادهم الدعاء له .

ويقولون (راعنا) يلوون بها ألسنتهم يوهمون أنهم يريدون « أنظرنا » فيظهرون أنهم يطلبون رعايته ويبطنون وصفه بالرعونة ، ويطعنون بذلك فى الدين لوصف مبلغه بالرعونة .

ولو أنهم استقاموا وقالوا (سمعنا وأطعنا) بدل قولهم (سمعنا وعصينا) وقالوا (اسمع) دون ان يقولوا (غير مسمع) ، وقالوا (أنظرنا) بدل (راعنا) لكان خيرا لهم مما قالوه وأعدل منه سبيلا ، ولكن الله طردهم من رحمته باعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الايمان الا عددا قليلا .

عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ

---

٤٧ - يأيها الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله آمنوا بما أنزلنا من القرآن على محمد مصدقا لما معكم ، من قبل أن ننزل بكم عقابا تنمحى به معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها ، لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب ، أو نطردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل مانهوا عنه من الصيد يوم السبت . وكان قضاء الله نافذا لا مرد له .

٤٨ - ان الله لايغفر الاشراك به ، ويعفو عما دون الاشراك من الذنوب لمن يشاء من عباده ، ومن يشرك بالله فقد ارتكب - مفتريا على الله - ذنبا كبيرا لايستحق معه الغفران .

٤٩ - لاتعجب من هؤلاء الكافرين الذين يفترون بأعمالهم ، فنبين لهم سوء عملهم فيرونه حسنا ، ويثنون على أنفسهم مزكين لها ، والله وحده هو الذى يعلم الخبيث من الطيب ، فيزكى من يشاء ولايظلم أى انسان قدره مهما كان ضئيلا .

٥٠ - كيف يختلقون على الله الكذب بهذا ومثاله ، وكفى بالكذب على الله ذنبا واضحا يكشف عن خبيث طويتهم .

٥١ - ألاتعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من علم الكتاب ، يرضون عبدة الأصنام والشيطان ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان انهم أهدى من أهل الايمان طريقا .

٥٢ - أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمته ، ومن يخذله الله ويطرده من رحمته فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله .

٥٣ - لقد حرم هؤلاء نعمة الاذعان للحق ، كما حرموا السلطان ، ولو أوتوه مانفعوا الناس به بأى قدر ولو كان ضئيلا .

إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۚ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ

---

٥٤ - كيف يستكثر هؤلاء على العرب ماآتاهم الله من فضله ببعث النبى منهم، مع أن الله قد آتى ابراهيم وآله - وهو أبوكم وأبوهم - الكتاب المنزل والنبوة والملك العظيم.

٥٥ - فمن الذين بعث فيهم ابراهيم وآله من آمن بالكتاب المنزل اليهم، ومنهم من أعرض عنه، وحسب هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون نارا حامية.

٥٦ - ان الذين جحدوا حججنا البينات، وكذبوا الأنبياء، سوف ندخلهم النار التى تكوى بها جلودهم، وكلما فقدت الاحساس بالعذاب بدلهم الله جلودا غيرها جديدة ليستمروا فى ألم العذاب، ان الله تعالى غالب على أمره، حكيم فى فعله، يعذب من جحد به وأصر على ذلك حتى مات[1].

٥٧ - والذين صدقوا بماجاءهم من ربهم وعملوا الأعمال الصالحة، سنثيبهم على ايمانهم وعملهم، فندخلهم جنات تجرى تحت أشجارها الأنهار، لاتنتهى حياتهم فيها أبدا، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والأدناس، ونحييهم حياة ناعمة فى ظل ظليل من العيش الطيب والنعيم المقيم.

٥٨ - ان الله يأمركم أيها المؤمنون أن توصلوا جميع ما أتمنتم عليه من الله أو الناس الى أهله بالعدل، فلاتجوروا فى الحكم. هذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها، فنعمت الموعظة التى يعظكم بها. ان الله دائما سميع لما يقال، بصير بما يفعل، فيعلم من أدى الأمانة ومن خان، ومن حكم بالعدل أو جار فيجازى كلا بعمله.

---

(١) تدل الآية الكريمة على شدة العذاب الذى يتعرض له اصحاب النار بدليل ما تقره الحقيقة العلمية من أن الاعصاب المنتشرة فى طبقات الجلد هى أكثر الأعصاب حساسية لمختلف المؤثرات من حرارة وبرودة.

إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ

---

٥٩ - يأيها الذين صدقوا بما جاء به محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والذين يلون أمركم من المسلمين القائمين بالحق والعدل والمنفذين الشرع ، فان تنازعتم فى شىء فيما بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله لتعلموا حكمه ، فانه انزل عليكم كتابه وبينه رسوله ، وفيه الحكم فيما اختلفتم فيه ، وهذا مقتضى ايمانكم بالله واليوم الآخر ، وهو خير لكم ، لأنكم تهتدون به الى العدل فيما اختلفتم فيه ، واحسن عاقبة ، لأنه يمنع الخلاف المؤدى الى التنازع والضلال .

٦٠ - ألاتعجب - أيها النبى - من الذين يدعون أنهم صدقوا بما أنزل عليك من الكتاب وما أنزل من قبلك من الكتب ، يريدون أن يتحاكموا فى خصوماتهم الى مافيه الضلال والفساد وحكم غير الله ، وقد أمرهم الله أن يجحدوه ولا يتحاكموا اليه ، ويريد الشيطان ان يصدهم عن طريق الحق والهدى ، فيضلهم عنه ضلالا بعيدا .

٦١ - واذا قيل لهم أقبلوا على ما أنزل الله من قرآن وشريعة ، وعلى رسوله ليبين لكم ، رأيت الذين ينافقون يعرضون عنك اعراضا شديدا .

٦٢ - فكيف تكون الحال اذا نزلت بهم نازلة بسبب خبث نفوسهم وسوء اعمالهم ، ولم يجدوا ملجأ الا اليك ، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم الا الاحسان وطلب التوفيق .

٦٣ - أولئك الذين يقسمون أنهم لايريدون الا الاحسان والعمل الموفق ، يعلم الله حقيقة مافى قلوبهم وكذب قولهم ، فلا تلتفت الى كلامهم وادعهم الى الحق بالموعظة الحسنة ، وقل لهم قولا حكيما بالغا يصل الى أعماق نفوسهم .

وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ

---

٦٤ - وما أرسلنا من رسول الا كان الشأن فى رسالته ان يطاع ، وان تكون طاعته باذن من الله وان من ينافق أو يكذب أو يخالفه يكن ظالما لنفسه ، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم رجعوا الى الهدى فجاءوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدموا ، ورجوت المغفرة لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم ، لوجدوا الله سبحانه وتعالى كثير القبول للتوبة رحيما بعباده .

٦٥ - فوربك لايعدون مؤمنين بالحق مذعنين له ، حتى يجعلوك حكما فيما يكون بينهم من نزاع ، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ، ويذعنوا لك اذعان المؤمنين المصدقين .

٦٦ - ولو أننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهاد المستمر ، وأن يعرضوا أنفسهم للتلف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائما ، ما أطاع الا عدد قليل ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يكلف الا ماتحتمله الطاقة ، ولو أنهم فعلوا وقاموا بحقه لكان فى ذلك خير الدنيا والآخرة لهم ، وهو يؤدى الى تثبيت الايمان ، والاستقرار والاطمئنان .

٦٧ - واذا قاموا بحق التكليف الالهى الذى يكون فى وسعهم ، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله .

٦٨ - ولكانوا بسبب اطاعتهم فيما يطيقون ، قد هداهم الله الى الطريق المستقيم الذى لا افراط فيه ولا تفريط .

٦٩ - ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما والرضا بحكمهما ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء فى سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم ، وما أحسن هؤلاء رفقاء لايشق جليسهم ، ولايمل حديثهم .

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ

---

٧٠ ـ تلك المنزلة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله هى الفضل الكبير من الله ، وهو عليم بالأعمال ومثيب عليها ، ويكفى المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ويطلب مرضاته .

٧١ ـ يأيها الذين آمنوا كونوا فى حذر دائم من أعدائكم ، وخذوا الأهبة لرد كيدهم ، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة ، جماعة بعد جماعة ، أو اخرجوا لهم مجتمعين .

٧٢ ـ واحذروا المثبطين المعوقين فان ممن يعيش معكم من يثبط عن القتال ويتخلف عنه ، فان أصابكم نكبة فى الجهاد ، قال ذلك الفريق المتخلف شامتا : قد أنعم الله على اذ لم أشهد معهم هذا القتال .

٧٣ ـ وان جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بغنائم القتال ، قال ذلك الفريق ـ متحسرا متمنيا الأمانى ـ ياليتنى كنت معهم فى هذا القتال فأفوز بعظيم الغنائم ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم .

٧٤ ـ اذا كان منكم من يعوق أو يبطىء ، لضعف فى ايمانه ، او خور فى عزيمته . فليقاتل فى سبيل اعلاء كلمة الله والحق الذين يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل اعلاء كلمة الله والحق فسينال احدى الحسنيين فاما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد فى سبيل الله ، أو ينتصر فينال فضل الفوز فى الدنيا ، وهو فى كلتا الحالتين يؤتيه الله أجرا عظيما فى الآخرة .

٧٥ ـ كيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا فى سبيل الله ، مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين الى الله يقولون : ربنا أخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ومكنا بقوتك ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين ، واجعل لنا من عندك نصيرا ينصرنا .

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ

---

٧٦ ـ الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له يقاتلون فى سبيل اعلاء كلمة الله والعدل والحق والذين جحدوا أو عاندوا يقاتلون فى سبيل الظلم والفساد وبذلك كانوا أولياء الشيطان ، فيأيها المؤمنون قاتلوهم لأنهم أعوان الشيطان وأنصاره واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد الله ، لأن تدبير الشيطان مهما عظم فساده ضعيف ، والغلبة للحق .

٧٧ ـ ألم تنظر يامحمد فتعجب الى الذين رغبوا فى القتال قبل ان يجيء الاذن به فقيل لهم : لم يأت وقت القتال : فكفوا أيديكم عنه ، واحرصوا على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، فلما فرض الله عليهم القتال اذا طائفة منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد . وقالوا مستغربين : لم كتبت علينا القتال ؟ متوهمين أن فى فرضية القتال تعجيلا لآجالهم ، ولذلك قالو : هلا أخرتنا الى زمن قريب نستمتع فيه بما فى الدنيا ؟ فقل لهم : تقدموا للقتال ولو أدى الى استشهادكم ، فمتاع الدنيا مهما عظم قليل بجوار متاع الآخرة ، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى الله وستجزون على اعمالكم فى الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئا مهما صغر .

٧٨ ـ ان الموت الذى تفرون منه ملاقيكم اينما كنتم ، ولو كانت اقامتكم فى حصون مشيدة وأن هؤلاء الخائرين لضعف ايمانهم يقولون : ان أصابهم فوز وغنيمة : هى من عند الله ، وان أصابهم جدب أو هزيمة يقولوا لك يامحمد هذه من عندك ، وماكان بشؤمك . فقل لهم : كل مايصيبكم مما تحبون أو تكرهون فهو من تقدير الله ومن عنده اختبار وابتلاء . فما لهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولا صحيحا يتحدث به اليهم .

٧٩ ـ مايصيبك ـ أيها النبى ـ من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك ، يتفضل به احسانا منه اليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته . والخطاب للنبى لتصوير النفس البشرية وان لم يقع منه ما يستوجب السيئة ، وارسلناك رسولا من عندنا للناس جميعا ، والله شهيد على تبليغك وعلى اجابتهم ، وكفى به عليما .

وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ

---

٨٠ ـ من يطع الرسول فقد اطاع الله ، لأنه لايأمر الا بما أمر الله به ، ولا ينهى الا عما نهى الله عنه . فكانت طاعته فى الامتثال والانتهاء طاعة لله . ومن أعرض عن طاعتك ، فما أرسلناك الا بشيرا نذيرا حفيظا ومهيمنا عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم ، ان ذلك لنا لا لك .

٨١ ـ ويقول هذا الفريق المتردد : أمرك مطاع ، وليس لك منا الا الطاعة فيما تأمر وتنهى ، ولكن اذا خرجوا من عندك وابتعدوا عنك دبرت طائفة منهم أمرا وبيتته ، غير الذى تقوله أنت لهم من أمر ونهى ، والله سبحانه وتعالى يحصى عليهم مايدبرونه فى خفاء . فلا تلتفت اليهم ، واعرض عنهم . وفوض أمرك إلى الله ، وتوكل عليه وكفى أن يكون الله وكيلك وحافظك تفوض اليه جميع أمورك .

٨٢ ـ أفلا يتدبر أولئك المنافقون كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم فى وجوب طاعته واتباع أمرك ، وأن هذا الكتاب من عند الله لائتلاف معانيه وأحكامه ، وتأييد بعضه لبعض . فهذا دليل على أنه من عند الله ، اذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه ، واختلفت احكامه اختلافا كثيرا .

٨٣ ـ واذا اطلعت ـ هذه الطائفة المنافقة ـ على أمر يتعلق بقوة المسلمين أو ضعفهم ، أفشوه ونشروه ، جاهرين به ، للتغرير بالمسلمين أو القاء الرعب فى قلوبهم ، أو توصيل أنبائهم الى أعدائهم . ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف الى الرسول والى أولى الأمر من القواد وكبار الصحابة ، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع واذاعتها ، الحق من جانب الرسول والقادة ، ولولا فضل الله عليكم بتثبيت قلوبكم على الايمان ، ومنع الفتنة ، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار ، لاتبع أكثركم إغواء الشيطان ، ولم ينج من اغوائه إلا القليل .

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

---

٨٤ ـ واذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم ، وقاتل فى سبيل كلمة الله والحق ، فلست مسئولا الا عن نفسك ، ثم ادع المؤمنين الى القتال وحثهم عليه ، لعل الله يدفع بك وبهم شدة الكافرين ، والله مؤيدكم وناصركم ، وهو أشد قوة وأشد تنكيلا بالكافرين .

٨٥ ـ وان هؤلاء المنافقين يناصرون الفساد ، واهل الايمان يناصرون الحق ، ومن يناصر فى أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه ، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه والله مقتدر على كل شيء ، محيط به .

٨٦ ـ واذا حياكم أحد أياكان بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره ، فردوا عليه بأحسن منها أو بمثلها ، فان الله محاسب على كل شيء كبيرا كان أو صغيرا .

٨٧ ـ الله الذى لا اله الا هو ولاسلطان لغيره سيبعثكم حتما من بعد مماتكم ، وليحشرنكم الى موقف الحساب ، لاشك فى ذلك . وهو يقول ذلك فلا تشكوا فى حديثه ، وأى قول أصدق من قول الله .

٨٨ ـ ماكان يسوغ لكم أيها المؤمنون أن تختلفوا فى شأن المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ، وما يسوغ لكم أن تختلفوا فى شأنهم : أهم مؤمنون أم كافرون ؟ ويقتلون أم ينظرون ، وهم قابلون لأن يكونوا مهتدين أم لاترجى منهم هداية ، انهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال ، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم أن تتوقعوا هداية من قدر الله فى علمه الأزلى أنه لن يهتدى ، فان من يكتب فى علم الله الأزلى ضلاله ، لن تجدوا طريقا لهدايته .

٨٩ ـ انكم تودون هداية هؤلاء المنافقين ، وهم يودون ان تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين فى الكفر معهم ، واذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم ، ولاتعتبروهم منكم ، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين فى سبيل الاسلام . وبذلك تزول عنهم صفة النفاق ، فان أعرضوا عن ذلك وانضموا الى اعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء .

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ

٩٠ - استثنى من المنافقين الذين يستحقون القتل لافسادهم لجماعة المؤمنين . . اولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المنتمين لأحد الفريقين ، أو كانوا فى حيرة أيقاتلون مع قومهم الذين هم أعداء المسلمين وليس ثمة ميثاق أم يقاتلون مع المؤمنين ؟ فان الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق ، والآخرين يمنع قتلهم لأنهم فى حرج ، وان الله تعالى لو شاء لجعلهم يحاربونكم فان آثروا الموقف السلبى وسالموكم فلايسوغ لكم أن تقتلوهم ، لأنه لامسوغ لذلك .

٩١ - فان ظهرتم على الشرك كانوا معكم ، وان ظهر المشركون على الاسلام كانوا مع المشركين فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين - وهؤلاء فى ضلال مستمر ونفاق فان لم يعتزلوا قتالكم ويعلنوكم بالأمن والسلام فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، لأنهم بعدم اعتزالهم القتال ، قد مكنوا المؤمنين من قتلهم ، وجعل الله تعالى للمؤمنين حجة بينة فى قتالهم .

٩٢ - ان تقسيم المنافقين ذلك التقسيم للاحتياط . حتى لايقتل مؤمن على ظن انه منافق وان قتل المؤمن لايسوغ إلا أن يقع ذلك خطأ غير مقصود ، وفى حال قتل المؤمن خطأ إن كان يعيش فى ولاية الدولة الاسلامية فإنه تدفع الدية لأهله تعويضا عما فقدوه ، وتعتق رقبة مؤمنة ليعوض جماعة المؤمنين عما فقدت ، لأن عتق الرقبة المؤمنة احياء لها بالحرية فكأنه يكتفى بتحرير رقبة مؤمنة ليعوض المؤمنين عن فقده[1] وان كان ينتمى لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة سلم ، فانه يجب تحرير رقبة مؤمنة ، وتسليم الدية لأهل المقتول ، لأنهم لعهدهم لايتخذونها لايذاء المسلمين ، واذا كان القاتل خطأ لايجد رقبة مؤمنة يعتقها ، فانه يصوم شهرين متتابعين لايفطر يوما فيهما ، لأن ذلك يكون تهذيبا لنفسه وتربية لها على الاحتراس والله سبحانه وتعالى عليم بالنفوس والنيات ، وحكيم يضع العقوبات فى مواضعها .

(١) لم يسو الشارع بين عقوبة القتل الخطأ والقتل العمد ذلك لان الجانى فى القتل العمد تعمد العصيان بالفعل والقلب وعلى ذلك فجريمته مغلظة مما يناسبها شدة العقوبة أما فى القتل الخطأ فان الجانى لم يتعمد العصيان بقلبه بل تعلق العصيان بفعله وهذا من الشريعة الاسلامية تنويع للمسئولية الجنائية بحسب نوع العصيان .

والآية الكريمة بينت مايوقع على القاتل خطأ فذكرت الكفارة وهى تحرير رقبة مؤمنة والصيام عند عدم وجود الرقبة المؤمنة والكفارة يدور بين العقوبة والعبادة ، وظاهر ان الذى يتحمل هذه الكفارة هو الجانى وهذا فيه إيلام له وتهذيب وتقرب الى الله حتى يتوب عليه مما فعل .

وفضلا عن الكفارة فى القتل الخطأ الدية ، والدية محددة من الشارع وهى لا تختلف فى قتيل دون قتيل وفى هذا أسمى مايكون من التسوية بين الناس ، وتكون الدية على العاقلة لان العاقلة هى أهل نصرة الجانى فاذا اشتركوا فى العزم فانهم لاشك مانعوه من ارتكاب ماقد ينجم عنه العزم وهذا النوع من الاشتراك فى المسئولية يدفع الى تقليل الجرائم =

خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ

---

٩٣ - ان من يقتل مؤمنا قتلا عدوانا متعمدا مستحلا ذلك القتل ، يكون جزاؤه الذى يكافىء جريمته ان يدخل جهنم ويستمر فيها ، ويغضب الله عليه ويطرده من رحمته وقد أعد الله له فى الآخرة عذابا عظيما ، فان هذه أكبر جريمة فى الدنيا .

٩٤ - الاحتراس من قتل المؤمن واجب فى حال الغزو ، فاذا سافرتم مجاهدين فى سبيل الله تعالى فتعرفوا شأن الذين تقاتلونهم قبل القتال ، أهم أسلموا أو لا يزالون على الشرك ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام وشارة الأمن لست مؤمنا ، تريدون بذلك الأموال والغنائم ، بل اقبلوا منهم السلام ، فان الله أعد لكم مغانم كثيرة . وأنتم أيها المؤمنون كنتم على الكفر قبل ذلك وهداكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم وان الله عليم علما دقيقا لا يخفى عليه شىء ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه .

٩٥ - وأن الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جدا ، فلايستوى الذين يقعدون عن الجهاد فى منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، فقد جعل الله للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قعدوا الا اذا كان القاعدون من ذوى الأعذار التى تمنعهم من الخروج للقتال ، فان عذرهم يرفع عنهم الملامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم ، فقد وعد الله الفريقين المنزلة الحسنى والعاقبة الطيبة .

٩٦ - وهذه الدرجة التى اختص بها المجاهدون درجة عظيمة رفيعة ، حتى كأنها درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ماعداها ، وان لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة .

= وهذا كله لا يمنع ولى الامر من تعزير الجانى بالعقوبة التى يراها اذا وجد فى ذلك مصلحة اذ الجرم فى القتل الخطأ ثابت حتى من الآية الكريمة فقد جاء فى نهايتها عقوبة من الله بق ان الاجزية الواردة من كفارة ودية مشروعة من العلى القدير لقبول التوبة من الله تعالى وفى هذا اشارة الى ماوقع فيه القاتل خطأ من تقصير بترك الاحتياط ولذلك يقول الفقهاء أن القتل الخطأ لا يأثم اثم القتل وإنما يأثم اثم ترك التحرز والمبالغة فى التثبت لان الافعال المباحة لا تجوز مباشرتها الا بشرط ان لاتؤذى أحدا . فاذا آذى أحدا فقد تحقق ترك التحرز فيأثم الفاعل (الزيلعى ج ٦ ص ١٠١) .

ويقول ان القتل الخطأ يمكن الامتناع عنه بالتكلف والجهد الكاسانى ج ٧ ص ٢٥٢ .

وهذه الاجزية جميعا تتفق مع مايتمثل فى القتل الخطأ من ضرر جسيم يدعو الشارع لوضع الزواجر عليه وبمقارنة ذلك بالتشريعات الوضعية نجد البون شاسعا حتى أن الناس لم يعودوا يخافون العقاب مما أدى لكثرة هذا النوع من الجرائم ولحصول حوادث صارخة دفعت الكثير الى أن ينادوا بتشديد عقاب القتل الخطأ ، ولو اتبع الناس تشريع القرآن لأدى ذلك الى تعويض اهل القتيل بما يخفف عليهم الآلام النفسية والخسارة المادية والى زجر الجانى بمايبذل من كفارة فضلا عن الدية التى عليه وعلى العاقلة والى دفع الناس الى منع بعضهم بعضا من ارتكاب الخطأ الذى قد يسبب القتل .

قَالُوٓاْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ * وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم

---

٩٧ ـ وأن المسلم عليه ان يهاجر الى الدولة الاسلامية ولايعيش فى ذل ، فان الملائكة تسألهم : فيم كنتم حتى ارتضيتم حياة الذل والهوان ؟ فيجيبون : كنا مستضعفين فى الأرض يذلنا غيرنا فتقول الملائكة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذى تقيمون فيه ، وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال ، مأواهم عذاب جهنم ، وانها أسوا مصير فالمسلم لايصح أن يعيش فى ذل ، بل يعيش عزيزا كريما .

٩٨ ـ غير أنه يعفى من هذا العقاب من لايستطيعون الانتقال من الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال ، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولا يجدون سبيلا للخروج .

٩٩ ـ وأولئك يرجى عفو الله عنهم ، والله تعالى من شأنه العفو والغفران .

١٠٠ ـ ومن يهاجر طالبا بهجرته مناصرة الحق وتأييده ، يجد فى الأرض التى يسير فيها مواضع كثيرة يرغم بها أنف أعداء الحق ، ويجد سعة الحرية والاقامة العزيزة ، وله بذلك الثواب والأجر العظيم ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى موطن الدولة العزيزة التى هى دولة الله ورسوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجره ، وتكرم الله فجعل الأجر حقا عليه ، وغفر له ورحمه ، لأن من شأنه الغفران والرحمة .

١٠١ ـ الصلاة فريضة محكمة لاتسقط فى السفر ، ولكن لا اثم على من يقصرها فيه عن الحضر . فالذين يخرجون مسافرين ان خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون ، لهم أن يقصروا الصلاة . فالصلاة التى هى أربع ركعات يصلونها اثنتين ، وان الحذر من تعرض الكافرين واجب لأنهم أعداء ، عداوتهم واضحة .

مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

---

١٠٢ - واذا كنت أيها النبى الأمين فيهم وقامت صلاة الجماعة ، فلاتنسوا الحذر من الأعداء وذلك بتقسيم المسلمين الى طائفتين : احداهما تبدأ الصلاة مقتدية بك ، وتكون الأخرى قائمة على الأسلحة والأمتعة لحراستها ، فاذا أتممت نصف الصلاة ذهبت التى صلت وراءك وجاءت الأخرى فصليت بها الباقى ، ثم تصلى مافاتها وتصلى الأولى بقية الصلاة ، وتسمى لاحقة[1] والأخرى مسبوقة ، إذ تؤدى أول الصلاة ، واللاحقة تؤدى آخرها ، وذلك للتنظيم لكى لاتفوت الصلاة ، وللحذر من الكافرين الذين يودون أن تغفلوا عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم دفعة واحدة ، وينقضوا عليكم وأنتم فى الصلاة ، وأن قتال المشركين مستمرا واجب ، ولكن لا اثم عليكم ان تسكنوا اذا كان بكم مرض أو نزل مطر عاق عن القتال ، ولكن على أن تكونوا على حذر دائم وهذا عقاب الله للكافرين فى الدنيا ، وفى الآخرة أعد لهم عذابا مهينا مذلا .

١٠٣ - واذا اتممتم صلاة الحرب التى تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائما فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم قاعدون ، واذكروه وأنتم نائمون ، فان ذكر الله تعالى يقوى القلوب ، وبه اطمئنانها ، فاذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان ، فأدوا الصلاة كاملة فان الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها .

١٠٤ - لاتضعفوا فى طلب القوم الكافرين الذين أعلنوا عليكم الحرب ، وحاولوا أن يغيروا عليكم من كل مكان . والحرب بلاشك ألم ، فاذا كنتم تألمون من جراحها وما يكون فيها ، فانهم يألمون أيضا ، والفرق بينكم وبينهم أنهم لايطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئا ، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والنعيم الدائم . والله عليم أعمالكم وأعمالهم حكيم يجازى كلا بما يعمل .

---

(١) اللاحقة : هى التى تصلى مع الامام أول الصلاة وتضطر للتخلف باقيها ، ثم تؤدى الباقى منفردة ، والمسبوق هو الذى يؤدى آخر الصلاة جماعة ثم يؤدى الأول منفردا .

لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا

١٠٥ ـ أنزلنا إليك القرآن حقا وصدقا، مشتملا على كل ما هو حق مبينا للحق إلى يوم القيامة ليكون منارك فى الحكم بين الناس، فاحكم بينهم ولا تكن مدافعا عن الخائنين.

١٠٦ ـ وعند الحكم بين الناس اتجه إلى الله وتذكر عظمته واطلب مغفرته ورحمته، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى.

١٠٧ ـ ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون فى اخفاء الخيانة فى أنفسهم، فإن الله لا يحب من يكون من شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب.

١٠٨ ـ يختفون ويستترون بخياناتهم من الناس، ولا يمكن أن تخفى على الله وهو معهم دائما خياناتهم، وهم يتفقون ليلا على ما لا يرضى الله من القول من رمى التهم على الأبرياء، والله تعالى يعلم علما لا يخفى منه شىء مما يعملون.

١٠٩ ـ إذا كنتم تدافعون عنهم فى الدنيا فلا يعاقبون عقاب الدنيا، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة أمام الله تعالى، بل من يقبل أن يكون وليا عليهم ناصرا لهم.

١١٠ ـ وان باب التوبة مفتوح، فمن يعمل أمرا سيئا فى ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصى ثم يطلب مغفرة الله تعالى، فإنه يجد الله تعالى قابلا توبته غافرا له، لأن من شأنه المغفرة والرحمة.

١١١ ـ وان الذنوب مضارها على نفس من يفعلها، فمن يكسب ذنبا فإنما هو ضد نفسه، ومغبته على نفسه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكمته، فيعاقب أو يغفر على حسب ما تقتضيه الحكمة.

وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ

---

١١٢ - ومن يرتكب أخطاء تحيط بالنفس وذنوبا ثم يتهم بهذه الذنوب بريئا لم يرتكبها ، كمن يسرق شيئا ويتهم غيره بسرقته ، فقد وقع عليه وزران : أحدهما الكذب والافتراء باتهام الأبرياء ، والثانى : الذنب الواضح البين .

١١٣ - ولولا أن الله تفضل عليك بالوحى ورحمك بالادراك النافذ ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك ، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم ، لأن الله مطلعك ، وبصيرتك نافذة إلى الحق ، لا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم ، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذى هو ميزان الحق ، وأودع قلبك بالحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه إلا بوحى منه ، وان فضل الله عليك عظيم دائما .

١١٤ - ان الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيا بينهم ، لا خير فى هذه الأحاديث فى الكثير ، لأن الشر يفرخ فى الخفاء لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها ، أو للعزم على القيام بعمل غير مستنكر ، أو تدبير اصلاح بين الناس ، فإن ذلك خير ، ومن يفعله طلبا لرضا الله سبحانه فإن الله تعالى يعطيه جزاء كبيرا على عمله فى الدنيا والآخرة .

١١٥ - وان الذى يكون فى شقاق مع الرسول من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية ، ويتبع طريقا غير طريق المؤمنين ، ويدخل فى ولاية أعداء أهل الايمان ، فإنه يكون منهم إذ اختارهم أولياءه ، وسيدخله الله تعالى النار يوم القيامة .

١١٦ - وان هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك ، لأنهم أعداء الاسلام ، ومثله مثل من أشرك بالله وأن كل ذنب قابل للغفران إلا الشرك بالله ، وعبادة غيره ، ومعاندة رسوله فى الحق ، فإن الله من شأنه المغفرة إلا أن يشرك به فى عبادة ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وأن من يشرك بالله فى عبادته وولائه فقد تاه عن الحق وبعد عنه كثيرا ، لأنه أفسد عقله ونفسه .

إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا

١١٧ ـ وأن من أظهر مظاهر الضلال الذى بعد به عن الحق المشرك بالله أنه يعبد مالا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ويسمى آلهته الباطلة بأسماء الاناث، كاللات والعزى ومناة، وغيرها من الأسماء المؤنثة، وأنه يتبع بهذه العبادة الشيطان.

١١٨ ـ وأن هذا الشيطان طرده الله تعالى من ظل رحمته، وجعله فى طريق غوايته، وقد أقسم وأخذ على نفسه عهدا أن يتخذ من عباد الله تعالى عددا معلوما مقدرا يستهويهم بغوايته ويوسوس لهم بشره.

١١٩ ـ وأن قسمه أن يضل الذين استهواهم بابعادهم عن الحق ويثير أهواءهم وشهواتهم، ويجعلهم يتيهون فى أوهام وأمانى كاذبة يتمنونها، وإذا صاروا بهذه الأهواء وتلك الأمانى تحت سلطانه، ودفعهم إلى أمور غير معقولة وحملهم على أن يظنوها عبادة وهى أوهام كاذبة، فوسوس لهم بأن يقطعوا آذان بعض الابل ويغيروا خلق الله فيها، وأن ما قطع أذنه لا يذبح ولا يعمل ولا يمنع من مرعى وكل ذلك بأوامره، ثم يوسوس لهم بأنه دين، وأنهم بهذا يتبعونه، ويتخذونه نصيرا متبعا من دون الله، ومن يتخذه نصيرا متبعا يخسر خسرانا واضحا، لأنه يضل عن الحقائق ويهمل عقله، ويناله الفساد فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

١٢٠ ـ يزين لهم الشر، ويعدهم النفع إذا فعلوه، ويلق فى نفوسهم بأمانى يتمنونها، وليس وعده وتزيينه إلا تغريرا.

١٢١ ـ وأن أولئك الذين ألغوا عقولهم واتبعوا وساوس الشيطان فى نفوسهم، مصيرهم إلى جهنم ولا يجدون منها خلاصا.

١٢٢ ـ هذا مصير أتباع الشيطان. أما مصير أتباع الله فالخير، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، ولم يسيروا وراء أوهام كاذبة، فإن الله تعالى سيدخلهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجرى تحت ظلالها، وهى أكبر من أعظم جنات الدنيا وأن ذلك مؤكد، لأنه وعد الله، ووعد الله لا يكون إلا حقا، لا غرور فيه، إذ هو مالك كل شىء ولا يتصور أن يكون أحد فى الوجود أصدق من الله وعدا وقولا.

يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ

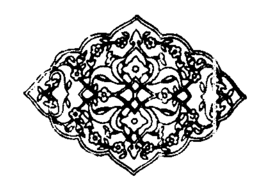
---

١٢٣ ـ ان الجزاء ليس هو ما يتمناه ويحلم به الانسان من غير عمل طيب مثمر ، فليس الجزاء بما تتمنون أيها المسلمون ، ولا بما يتمناه ويحلم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب بالإيمان والعمل الصالح ، ومن يعمل سيئا يجز به ، ولا يجد له من دون الله من يواليه أو ينصره .

١٢٤ ـ ومن يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهم مؤمنون بالله ورسوله ، فإنهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلا . ولا فرق فى الجزاء بين الذكر والأنثى ، لأن الأنثى مكلفة . لها جزاء الخير ، وعليها عذاب الشر .

١٢٥ ـ وأن أساس عمل الخير منبعث من الاعتقاد السليم ، وأحسن الدين أن يخلص لله تعالى ، فيجعل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه ، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرسل ، وأن يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الأعمال ، ويتبعوا فى ذلك أبا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فدينه هو دين الله ، وهو الدين الذى يتجه إلى طلب الحق دائما . وأن ابراهيم هو الذى تلتقى عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى ، فاتبعوا طريقه ، وأن الله أكرم ابراهيم فسماه خليلا .

١٢٦ ـ وأن الاخلاص لله واسلام الوجه إليه ، هو اخلاص لمن أنشأ هذا الوجود وملكه ، فلله كل ما فى السموات والأرض ، من نجوم وأفلاك وشمس وقمر وجبال ووهاد وصحارى ومزارع ، وهو مستبين كل شىء ، وهو الذى يعلم علم احاطة بكل ما يعمل الانسان ، ويجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا .



خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن

---

١٢٧ ـ قد استفتى الناس النبى فى شأن النساء وكن ولا يزلن ضعيفات ، فبين الله لنبيه أن يبين حال النساء وحال الضعفاء فى الأسرة من الولدان واليتامى ، وذكر أن يتامى النساء اللاتى يزوجن ولا يأخذن مهورهن والأولاد ، واليتامى ، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية ، وأن كل ما يفعل من خير فإن الله يعلمه وهو الذى سيجزى به .

١٢٨ ـ وأن الزوجة إذا خافت من زوجها اهمالا لشئون الأسرة أو اعراضا عنها وعدم اقبال عليها ، فلا اثم عليهما فى أن يحاولا اصلاح ما بينهما بالصلح الجميل والتقريب . والعاقل منهما يبدأ به والصلح خير دائما لا شر فيه ، وأن الذى يمنع الصلح هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة ، إذ يسيطر الشح النفسى ، ولا سبيل لعودة المودة إلا التساهل من أحد الجانبين وهو المحسن المتق ، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله ، فإن الله خبير بعمله ومجازيه عليه .

١٢٩ ـ وأن العدل مع النساء بالمحبة الدائمة التى لا تشوبها شائبة ، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادله ، أمر غير ممكن دائما ، وغير ممكنة كذلك المساواة فى المحبة بين الزوجات إذا كان عنده أكثر من واحدة ولكن إذا حرصتم فلا تجوروا عليها وتميلوا كل الميل إلى غيرها وتتركوها لا هى ذات زوج ولا هى مطلقة ، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلاح من غير افساد . وتتقوا الله فإن الله يغفر لكم ويرحمكم إذ من شأنه المغفرة والرحمة .

١٣٠ ـ وإذا لم يمكن الاصلاح واستحكمت النفرة ، فإن التفريق لازم وأن يتفرقا يغن الله كل واحد منهما من سعة رحمته وفضله ، والأرزاق بيد الله ، والله واسع الرحمة والفضل ، وهو حكيم يضع الأمور فى مواضعها .

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ

---

١٣١ ـ ان لب الدين هو الخضوع لمنشىء الكون ذى الجلال والاكرام والاعتراف بسلطانه المطلق فلله كل ما فى السموات والأرض ، وبهذا السلطان المطلق قال : وصينا أهل الديانات السماوية من أهل الكتاب ـ وأنتم معشر المسلمين ـ بأن تخافوه وتعبدوه ، والا تكفروا بعبادته ، فهو صاحب السلطان الأكبر فى الأرض والسموات ، لا يخل بسلطانه شىء ، وهو غنى عنكم ، ومع ذلك يحمد لكم أيمانكم ، لأن من شأنه الغنى ، وأن يحمد مع ذلك فعل الخير من عباده .

١٣٢ ـ ولله سبحانه وتعالى تدبير كل ما فى السموات والأرض فهو المسيطر والمسير والمدبر وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم ، وأمر الناس ليعبدوه ، ويفوضوا أمورهم إليه ويتقوه .

١٣٣ ـ انكم معشر العباد فى سلطان الله ، وهو القادر القاهر ، ان يشأ يمتكم ويأت بآخرين ، وهو ذو الجلال ، قدير على ذلك وعلى كل شىء .

١٣٤ ـ وان الناس إذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم ، فإن الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة ، وهو وحده الذى يملك النعيمين .

١٣٥ ـ ان العدل هو نظام الوجود ، وهو القانون الذى لا يختلف النظر فيه ، فيأيها الذين أذعنتم لله الحق ، ولدعوة رسله ، كونوا مراقبين لأنفسكم فى الأذعان للعدل ، ومراقبين للناس ، فانصفوا المظلوم ، وكونوا قائمين لا لرغبة غنى أو لعطف على فقير ، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير وهو أولى بالنظر فى حال الغنى أو الفقير ، وأن الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وان تتولوا اقامة العدل أو تعرضوا عن اقامته فإن الله يعلم ما تعملون علما دقيقا ، ويجازيكم بعملكم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ

---

١٣٦ - وان الرسالات السماوية واحدة لوحدة مرسل الرسل ، وهو الله ، فيأيها الذين آمنوا أذعنوا لله وأخلصوا له ، وصدقوا رسوله محمدا وصدقوا ما جاء فى كتابه الذى أنزله عليه واعملوا به ، وصدقوا بالكتب التى نزلت من قبله كما أنزلها الله من غير تحريف ولا نسيان ، آمنوا بكل ذلك ، فإن من يكفر بالله خالق الوجود ، والملائكة ، وعالم الغيب ، وكتب الله ورسله ، وينكر اليوم الآخر ، فقد تاه عن الطريق المستقيم ، وأوغل فى طريق الضلال وأبعد فيه .

١٣٧ - ان الايمان اذعان مطلق وعمل مستمر بالحق ، فالمترددون المضطربون ليسوا بمؤمنين ، فالذين يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يؤمنون ثم يكفرون ، وبهذا يزدادون كفرا ، ما كان الله غافرا لهم ما يفعلون من شر ، ولا ليهديهم إلى الحق ، لأن غفران الله يقتضى توبة واقلاعا عن الشر ، وهدايته تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه .

١٣٨ - يأيها الرسول الكريم أنذر المنافقين بأن لهم عذابا يوم القيامة مؤلما .

١٣٩ - وان أولئك المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين ، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين ؟ ان العزة لله وحده ، يعطيها عباده المؤمنين ، ومن اعتز بالله عز ، ومن اعتز بغيره ذل .

١٤٠ - وقد نزل الله عليكم فى القرآن الكريم أنكم كلما سمعتم آية من الكتاب كان منكم الايمان ، وكان من الكافرين الجحود بها والاستهزاء ، وإذا كانت تلك حال الكافرين والمنافقين وسمعتم استهزاءهم فلا تقعدوا معهم حتى ينتقلوا إلى حديث غير حديث الاستهزاء وانكم ان لم تفعلوا وسمعتم استهزاءهم كنتم مثلهم فى الاستهزاء بالقرآن وأن العاقبة وخيمة على الكافرين والمنافقين ، فإن الله جامعهم جميعا فى النار يوم القيامة .

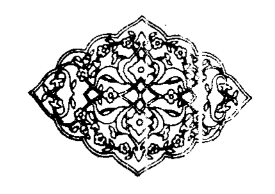
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن

---

١٤١ ـ وأن أولئك المنافقين ينتظرون انتظار الحاقد الحانق الذى يتمنى السوء لكم إذا كنتم فى حرب مع الأعداء، فإن كان لكم نصر من الله وفتح لطريق الحق، قالوا للمؤمنين وقد أذهلهم النصر الذى نصر الله به أهل الايمان: ألم نكن معكم باعتبارنا من جماعتكم؟ وان كان للكافرين نصيب من الغلب اتجهوا إليهم وقالوا لهم: ألم نغلب أموركم علينا حتى صارت أمورنا وألم نمنحكم مودتنا ونمنعكم من المؤمنين؟ والله سبحانه وتعالى يحكم بينكم وبين هؤلاء المنافقين يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين سبيلا للغلب على المؤمنين ما دام المؤمنون على صفة الإيمان الحق والعمل الصالح.

١٤٢ ـ ان المنافقين بنفاقهم يحسبون أنهم يخادعون الله تعالى ويخفون عنه حقيقة أنفسهم، والله سبحانه خادعهم، فيمهلهم ويتركهم يرتعون فى شرهم، ثم يحاسبهم على ما يفعلون، وأن لهؤلاء المنافقين مظهرا حسيا، ومظهرا نفسيا، فالحسى أنهم يقومون إلى الصلاة كسالى متباطئين، وصلاتهم رياء لا حقيقة. والمظهر النفسى أنهم لا يذكرون الله إلا أحيانا نادرة، ولو ذكروه لتركوا النفاق.

١٤٣ ـ وأن المنافقين مترددون مضطربون، لا هم منكم ولا هم فى كل أحوالهم منهم وذلك من ضعف الإيمان وضعف النفس، ومن الضلال عن الحق ومن يكتب الله عليه فى علمه الأزلى الضلال، فلن تجد سبيلا لهدايته.



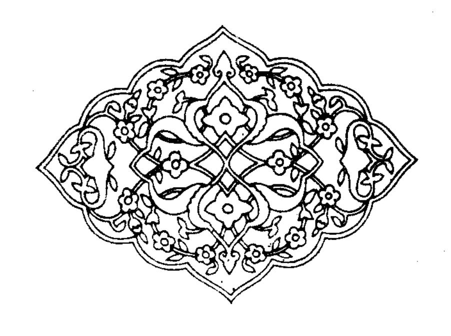
تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (١٤٤) إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (١٤٥) إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (١٤٦) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وءامنتم وكان الله شاكرا عليما (١٤٧) * لا يحب الله الجهر بالسوء

١٤٤ ـ وان من أسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الإيمان ولاية لهم ونصرة ، فتجنبوا هذا أيها المؤمنون ، ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم ، وأنكم ان فعلتم ذلك كان لله حجة عليكم بينة ، فتدخلون مع المنافقين وتذلون ، لأنكم لاتجعلون عزتكم من الله ، ومن الحق ، ومن العمل الصالح .

١٤٥ ـ ان المنافقين بسبب نفاقهم يكونون فى أعماق جهنم ، فهم فى أسفل مكان فيها ، وأحط درجاتها ، ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب .

١٤٦ ـ إلا الذين يتوبون منهم ويعودون إلى الله تعالى ، ويعتصمون به وحده ، ويخلصون ويسلمون وجوههم له ، ويعملون الصالحات ، فإنهم بهذا يكونون من المؤمنين ولهم جزاء المؤمنين وقد أعد الله تعالى جزاء عظيما للمؤمنين فى الدنيا والآخرة .

١٤٧ ـ وان الله تعالى لا مطلب له منكم إلا الايمان به ، وشكر نعمته ، وإذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم ، ولكن جزاء على الخير والشكر ، وان الله تعالى شاكر يشكر لعباده عمل الخير ، وعليم يعلم كل حالهم من خير وشر .



مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن
ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا

---

١٤٨ - ينهى الله عباده عن قول السوء ، إلا من وقع عليه ظلم ، فيباح له أن يشكو ظالمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، والله سبحانه سميع لكلام المظلوم عليم بظلم الظالم ، ويجازيه على عمله[1] .

١٤٩ - أن تظهرواقر و تسروه ، أو تصفحوا عمن يسىء إليكم ، يثبكم الله لتخلقكم بأخلاقه - تعالى - من العفو من كمال القدرة ، والله سبحانه عظيم العفو كامل القدرة .

١٥٠ - إن الذين لايؤمنون بالله ورسله ، والذين يريدون التفرقة فى الإيمان بالله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض الرسل دون بعض ، فيؤمنون بمن يحبون ، ويكفرون بمن لايحبون ، والواجب الإيمان بالجميع ، لأن الإيمان لا يقبل أن يتجزأ .

١٥١ - هؤلاء جميعا هم المعنون فى الكفر البين ، وقد أعد الله لهم ولأمثاله عذاباً شديداً مذلاً .

١٥٢ - وأما من آمنوا بالله ورسله ، ولم يكذبوا بأحد منهم ، فإن الله يثيبهم على كامل إيمانهم الثواب العظيم ، والله غفور للتائبين رحيم بعباده .

١٥٣ - يسألك - أيها الرسول - أهل الكتاب من اليهود ، متعنتين . أن تقيم دليلاً على صدق نبوتك ، فتأتيهم بكتاب خاص ، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ، ويدعوهم إلى الإيمان بك وطاعتك ! فان استكثرت ما سألوا فلا تعجل ، فقد تعنت أسلافهم فسألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالو : أرنا اج عيانا . فعاقبهم على تعنتهم وظلمهم بصاعقة أهلكتهم !! ثم اذكر لهؤلاء جرماً أشد وأفظع ، وهو أنهم اتخذوا العجل إلهاً لهم من دون خالقهم ، بعد ماعاينوا الأدلة التى أظهرها موسى لفرعون وقومه ! ثم وسعهم عفو الله بعد إنابتهم إليه ، وأيد الله موسى بالحجة الواضحة والكلمة النافذة .

---

(١) تمنع القوانين الوضعية أى انسان ان يجاهر بفاحش القول أو سيئه يوجهه الى آخر والعلة فى ذلك لدى تلك القوانين هى حماية اسماع الناس من ان تتأذى من مثل هذا الجهر وحماية أخلاقهم من أن تندس اليها تلك القبائح لأن فى ذلك أذى لمن وجه إليه هذا السوء ويقول القرآن الكريم فى هذا « لا يحب الله الجهر بالسوء » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بان كانت « لا يحب الله الجهر بالسوء » لشملت أيضا جريمة الفعل الفاضح العلنى ومثلها أن يكشف الانسان عن عورته فى مكان عام أو ان يكشف ثياب امرأة لتظهر عورتها لكن تحديد السوء هنا بأنه من القول امتنع معه السوء من الفعل ، وهذا الفعل الفاضح العلنى وهذه الجريمة منصوص عليها فى آية أخرى هى الآية التاسعة عشرة من سورة النور « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة » ، سيجىء الكلام عن =

لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن
شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل
رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

---

١٥٤ ـ ورفع الله الجبل فوق بنى اسرائيل ، تهديدا لهم لامتناعهم عن قبول شريعة التوراة ، حتى قبلوا ، وأخذ عليهم الميثاق ، وأمرهم أن يدخلوا القرية خاضعين لله ، وألا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة فى يوم السبت ، ولا يعتدوا فيه ، وقد أخذ عليهم فى كل ذلك عهدا مؤكدا .

١٥٥ ـ فغضب الله عليهم ، بسبب نقضهم هذا الميثاق ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ظالمين (ولا يكون ذلك إلا ظلما) ، واصرارهم على الضلال بقولهم قلوبنا محجوبة عن قبول ما ندعى إليه ! ! وليسوا صادقين فى قولهم ، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، فلا يؤمن منهم إلا قلة من الناس !

١٥٦ ـ وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم افتراء كبيرا .

١٥٧ ـ وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين ، انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه ، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا . . ولكن شبه لهم ، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه ، وإنما قتلوا وصلبوا من يشبهه ! وقد اختلفوا من بعد ذلك فى أن المقتول عيسى أم غيره ، وأنهم جميعا لفى شك من أمره . . والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن ، وما قتلوا عيسى قطعا .

١٥٨ ـ بل رفع الله عيسى إليه وأنقذه من أعدائه ، ولم يصلبوه ولم يقتلوه والله غالب لا يقهر حكيم فى أفعاله .

١٥٩ ـ وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وأنه عبد الله ورسوله ، ويؤمن به ايمانا لا ينفعه لفوات أوانه ، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله .

= هذه الآية فى مناسبة أخرى ، ومما اصطلحت عليه احدث القوانين الوضعية فى جرائم كثيرة منها السب والقذف اعتبار القاذف معذورا اذا ماتبدره غيره بالسب والقذف فاهتاج فرد سبا بسب وقذفا بقذف وقد نصت الآية فى بقية لها على عذر من الأعذار القانونية أما الآية كاملة فهى « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » وهذا الاستثناء لمن ظلم ان يجهر بالسوء مادام غير باغ ولا عاد .

ولم تحدد الآية هنا بان يكون الاعتداء بالقول كما حدد السوء بانه من القول ، وهذا الاطلاق قد يجعل الظلم شاملا لحالى القول والفعل فيكون معذورا اذا ، وغير مستحق لعقاب أو ملام ينهال عليه الغير بالضرب وهو أيضا من يعتدى على ماله والرأى فى ظاهر معنى الآية أن من اعتدى عليه ظلما وعدوانا بالفعل أو القول فاهتاج فرد الظلم بسب أو شتم فلا اثم عليه ، وتجمل الاشارة هنا الى ان الاية التالية مباشرة استدركت لما قد ينشأ من تطرف فى فهم عذر الاستفزاز فنصت على ان العفو عن السوء خير من رد السوء بسوء لكى لاتشيع الفاحشة بين الناس فقالت « ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » .

كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّـٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ

---

١٦٠ ـ فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم ، عاقبهم الله ، فحرم عليهم ألوانا من الطيبات كانت حلالا لهم ، وكان من هذا الظلم منعهم كثيرا من الناس من الدخول فى دين الله .

١٦١ ـ وبسبب تعاملهم بالربا ـ وقد حرمه الله عليهم ـ وأخذهم أموال الناس بغير حق ، كان عقاب الدين بتحريم بعض الطيبات . وقد أعد الله لمن كفر عذابا مؤلما .

١٦٢ ـ لكن المتثبتون فى العلم من اليهود ، المؤمنون من أمتك ـ أيها النبى ـ يصدقون بما أوحى إليك وما أوحى إلى الرسل من قبلك . والذين يؤدون الصلاة حق الأداء ، ويعطون الزكاة ، ويصدقون بالله وبالبعث والحساب ، أولئك سيجزيهم الله على ايمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء .

١٦٣ ـ انا أوحينا إليك ـ أيها النبى ـ القرآن والشريعة ، كما أوحينا من قبلك إلى نوح وإلى النبيين من بعده ، وكما أوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب ، وإلى عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وكما أوحينا إلى داود فأنزلنا عليه كتاب الزبور .

١٦٤ ـ وكذلك أرسلنا رسلا كثيرين ذكرنا لك أنباءهم من قبل ، ورسلا آخرين لم نذكر قصصهم ، وكانت طريقة الوحى إلى موسى أن كلمه الله تكليما من وراء حجاب بلا واسطة .

١٦٥ ـ بعثنا هؤلاء الرسل جميعا ، مبشرين من آمن بالثواب ، ومنذرين من كفر بالعقاب ، حتى لا يكون للناس على الله حجة يتعللون بها بعد ارسال الرسل ، والله قادر على كل شيء ، غالب لا سلطان لأحد معه ، حكيم فى أفعاله .

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

---

١٦٦ - لكن إذا لم يشهدوا بصدقك ، فالله يشهد بصحة ما أنزل إليك لقد أنزله إليك محكما بمقتضى علمه ، والملائكة يشهدون بذلك ، وتغنيك أيها الرسول شهادة الله عن كل شهادة .

١٦٧ - ان الذين كفروا فلم يصدقوك ، ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله ، قد بعدوا عن الحق بعدا شديدا .

١٦٨ - ان الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالكفر . وظلموا الرسول بجحد رسالته ، وظلموا الناس ، إذ كتموهم الحق ، لن يغفر الله لهم ماداموا على كفرهم ، ولن يهديهم طريق النجاة ، وما كان من شأنه سبحانه أن يغفر لأمثالهم وهم فى ضلالهم .

١٦٩ - ولكن يسلك بهم طريق النار . مخلدين فيها أبدا ، وأمر ذلك يسير على الله .

١٧٠ - يأيها الناس قد جاءكم الرسول - محمد - بالدين الحق من عند ربكم ، فصدقوا بما جاء به يكن خيرا لكم ، وان أبيتم الا الكفر فالله غنى عن ايمانكم ، مالك لكم ، فله ما فى السموات والأرض ملكا وخلقا وتصرفا وهو العليم بخلقه ، الحكيم فى صنعه ، لا يضيع أجر المحسن ، ولا يهمل جزاء المسيىء .

١٧١ - يأهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مغالين فى دينكم ، ولا تفتروا على الله الكذب ، فتنكروا رسالة عيسى ، أو تجعلوه الها مع الله فإنما المسيح رسول كسائر الرسل ، خلقه الله بقدرته وكلمته التى بشر بها ، ونفخ روحه جبريل فى مريم ، فهو سر من أسرار قدرته ، فآمنوا بالله ورسله جميعا ايمانا صحيحا ولا تدعوا أن الآلهة ثلاثة ، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيرا لكم ، فإنما الله واحد لا شريك له ، وهو منزه عن أن يكون له ولد ، وكل مافى السموات والأرض ملك له ، وكفى به وحده مدبرا لملكه .

لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ
إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ
صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً
فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

---

١٧٢ ـ لن يترفع المسيح عن أن يكون عبدا لله، ولن يترفع عن ذلك الملائكة المقربون، ومن يتكبر ويترفع عن عبادة الله فلن يفلت من عقابه يوم يجمع الله الناس للحساب.

١٧٣ ـ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيوفيهم ثواب أعمالهم ويزيدهم من فضله، اكراما وانعاما، وأما الذين أنفوا أن يعبدوه، وترفعوا أن يشكروه فقد أعد لهم عذابا شديد الإيلام، لن يدفعه عنهم معين ولن يمنعهم منه نصير.

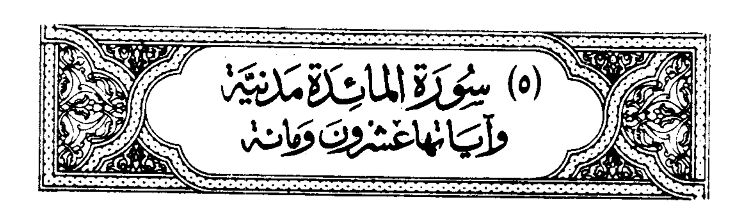
١٧٤ ـ يأيها الناس جميعا. قد جاءتكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول محمد، وأنزلنا اليكم على لسانه قرآنا بينا كالنور، يضىء الطريق ويهديكم إلى النجاة.

١٧٥ ـ فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته، وتمسكوا بدينه، فسيدخلهم فى الآخرة جناته، ويغمرهم بفيض رحمته، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقهم فى الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم.

١٧٦ ـ يسألونك ـ أيها النبى ـ عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد: ان حكم الله فى ميراث هؤلاء: ان كان للمتوفى أخت، فلها نصف تركته، وان كان للمتوفاة أخ فله تركتها، وان كان للوارث أختان فلهما ثلثا التركة[1] وإن كانوا إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين. يبين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا فى تقسيم الأنصباء والله عالم علما كاملا بكل شىء من أعمالكم وأفعالكم، ومجازيكم عليها.

---

(١) وبينت السنة أن أن الأكثر من الأختين كذلك مع آية المواريث التى ذكرت أن الأكثر من بنتين يأخذن الثلثين، فبالأولى الأكثر من الأختين، لأن البنات أقرب إلى المتوفى. ويلاحظ أن القوانين الأوربية، المشتقة من القانون الرومانى، لا تورث الأخوة، ولا الأخوات ولا أولادهم، وفوق ذلك تعطى المالك الحق فى حرمان كل ورثته. وقد منع ذلك الاسلام فلم يعط المورث حقا إلا فى الثلث ولا يزيد عليه.



(٥) سورة المائدة مدنية وآياتها عشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ

هى مدنية ، وعدد آياتها عشرون ومائة وهى من أواخر سور القرآن نزولا ، وقد اشتملت على بيان وجوب الوفاء بالعقود عامة ، سواء أكانت بين العبد وربه ، أم بين الناس بعضهم مع بعض ، وبينت بعض المحرمات من الأطعمة ، كما بينت الحلال منها وحل نساء أهل الكتاب . وذكر أركان الوضوء ، والتيمم ، وفيها بيان طلب العدالة مع العدو . وقد تضمنت الاشارة إلى نعم الله على المسلمين ، ووجوب المحافظة على كتابهم ، وبينت أن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به ، وأنهم كفروا بقولهم ان المسيح ابن الله ، وتكذيب اليهودوالنصارى فى ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه . ثم تضمنت بعض أخبار اليهود ، كما تضمنت قصة ولدى آدم التى تثبت أن الاعتداء فى طبيعة ابن آدم ، ثم وجوب القصاص تهذيبا لهذه الطبيعة . واشتملت على عقوبة البغاء وعقوبة السرقة . ثم عادت إلى بيان تحريف اليهود للأحكام التشريعية التى اشتملت عليها التوراة ، وبيان أن التوراة والانجيل كان فيهما الحق قبل التحريف ، وقررت وجوب الحكم بما أنزل الله ، وأشارت إلى عداوة اليهود والنصارى الحاليين للمؤمنين ، ووجوب عدم الخضوع لهم ، وعدم الرضا بما يفعلون نحوهم وضرورة مقاومتهم ، وقررت كفر النصارى الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة ! ثم أنصف القرآن فى هذه السورة بعض النصارى الذين أذعنوا للحق وآمنوا به . ثم اشتملت على منع المؤمن من أن يحرم بعض الطيبات عليه ، وبينت كفارة الأيمان إذا حنث ، ثم حرمت الخمر تحريما قاطعا ، ثم بينت بعض مناسك الحج ومكانة الكعبة والأشهر الحرم ، وبطلان بعض ما حرمه العرب على أنفسهم من غير حجة ولا دليل ، كما بينت حكم الوصية فى السفر . وختمت السورة بالمعجزات التى جرت على يد عيسى عليه السلام ، ومع ذلك كفر به بنو اسرائيل ، وذكرت تبرؤ عيسى عليه السلام من الذين عبدوه ، وبيان ملك الله سبحانه للسموات والأرض وكمال قدرته .

١ - يأيها المؤمنون : التزموا الوفاء بجميع العهود التى بينكم وبين الله ، والعهود المشروعة التى بينكم وبين الناس . وقد أحل الله لكم أكل لحوم الأنعام من الابل والبقر والغنم ، الا ما ينص لكم على تحريمه . ولا يجوز لكم صيد البر إذا كنتم محرمين : أو كنتم فى أرض الحرم . ان الله يقضى بحكمته ما يريد من أحكام ، وأن هذا من عهود الله عليكم[1] .

---

(١) (الوفاء بالعقود يدخل فيه مايتعاقده الناس فيا بينهم والعقد أصلا يكون بين طرفين وفيه معنى الاستيثاق والشد بخلاف عهد يكون من طرف واحد ويدخل فى الأخير الالتزام بالإرادة المنفردة وبهذا سبق القرآن الكريم القوانين الوضعية والآية عامة فى الوفاء بالعقود وجامعة لأن العقد فى الاسلام شريعة المتعاقدين وأى مشرع وضعى لا يمكن أن يأتى بأتم واشمل وأدق وأوضح من هذه الآية أو بما يماثلها فى ضرورة الوفاء بالعقود واحترامها) .

وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ
قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن
تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ
لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

---

٢ - يأيها المؤمنون لا تستبيحوا حرمة شعائر الله ، كمناسك الحج وقت الاحرام قبل التحلل منه وسائر أحكام الشريعة ، ولا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بإثارة الحرب فيها ، ولا تعترضوا لما يهدى من الأنعام إلى بيت الله الحرام باغتصابه أو منع بلوغه محله ، ولا تنزعوا القلائد ، وهى العلامات التى توضع فى الأعناق ، اشعارا بقصد البيت الحرام ، وأنها ستكون ذبيحة فى الحج ، ولا تعترضوا لقصاد بيت الله الحرام يبتغون فضل الله ورضاه ، وإذا تحللتم من الاحرام ، وخرجتم من أرض الحرم ، فلكم أن تصطادوا ، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم صدوكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم . وليتعاون[1] بعضكم مع بعض - أيها المؤمنون - على فعل الخير وجميع الطاعات ، ولا تتعاونوا على المعاصى ومجاوزة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه ، ان الله شديد العقاب لمن خالفه .

٣ - حرم الله عليكم - أيها المؤمنون - أكل لحم الميتة ، (وهى ما فارقته الروح من غير ذبح شرعى) ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، وما مات خنقا ، أو التى ضربت حتى ماتت ، وما سقط من علو فمات ، وما مات بسبب نطح غيره له ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه . وأماما أدركتموه وفيه حياة ، مما يحل لكم أكله ، وذبحتموه ، فهو حلال لكم بالذبح . وحرم الله عليكم ما ذبح قربة للأصنام ، وحرم عليكم أن تطلبوا معرفة ما كتب فى الغيب بواسطة القرعة بالأقداح . وتناول شىء مما سبق تحريمه ذنب عظيم وخروج عن طاعة الله . ومن الآن انقطع رجاء الكفار فى القضاء على دينكم ، فلا تخافوا أن يتغلبوا عليكم ، واتقوا مخالفة أوامرى . اليوم أكملت لكم أحكام دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى باعزازكم وتثبيت أقدامكم ، واخترت لكم الاسلام دينا . فمن ألجأته ضرورة جوع إلى تناول شىء من المحرمات السابقة ، ففعل لدفع الهلاك عن نفسه ، غير منحرف إلى المعصية ، فإن الله يغفر للمضطر ما أكل ، دفعا للهلاك ، وهو رحيم به فيما أباح له[2] .

---

(١) (ان القرآن الكريم فى هذه الاية قد سبق بالدعوة الى التعاون ، جميع التشريعات الوضعية التى تهدف الى التعاون فى الخير بعشرات المئات من السنين) .

(٢) قد يكون موت الحيوان نتيجة لشيخوخة أو مرض عضوى أو طفيلى أو نتيجة لتسممه من مصدر خارجى ، ومن ثم قد يشتمل لحمه على مواد تضر من يأكله هذا فضلا عن ان الحيوان الذى يموت دون تذكية ينحبس فيه دمه وقد يمضى على موته وقت طويل لا يستطاع تحديده فيتعرض جسمه للتحلل والفساد .

والدم هو المجرى الذى تلتق فيه مواد الايض « اى التمثيل الغذائى » كلها ففيه ماهو مفيد وما هو ضار مؤذ يكون فى طريقه الى الاعضاء =

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟

---

٤ - يسألك المؤمنون - أيها الرسول - ماذا أحل الله لهم من طعام وغيره ؟ فقل لهم : أحل الله لكم كل طيب تستطيبه النفوس السليمة ، وأحل لكم ما تصطاده الجوارح التى علمتموها الصيد بالتدريب ، مستمدين ذلك مما علمكم الله. فكلوا من صيدها الذى أرسلتموه إليه وامسكته عليكم ، واذكروا اسم الله عند ارسالها ، واتقوا الله بالتزام ما شرع لكم ، ولا تتجاوزوه ، واحذروا مخالفة الله فيه : فانه سريع الحساب.

٥ - اليوم - منذ نزول هذه الآية - أحل الله لكم كل طيب تستطيبه النفوس السليمة ، وأحل لكم طعام أهل الكتاب ، وذبائحهم ، مما لم يرد نص بتحريمه ، كما أحل لهم طعامكم وأحل لكم زواج الحرائر العفائف من المؤمنات ومن أهل الكتاب ، وإذا أديتم لهن مهورهن قاصدين الزواج ، غير مستبيحين العلاقات غير الشرعية علانية ، أو بطريق اتخاذ الخلائل. ومن يجحد الدين فقد ضاع ثواب عمله الذى كان يظن أنه قربى ، وهو فى الآخرة من الهالكين.

٦ - فيأيها المؤمنون - إذا أردتم القيام إلى الصلاة ولم تكونوا متوضئين ، فتوضأوا بغسل وجوهكم وأيديكم مع المرافق ، وامسحوا رءوسكم - كلها أو بعضها - واغسلوا أرجلكم مع الكعبين. وان كنتم جنبا عند القيام إلى

=التى تزيل سمومه أو تخرجه من الجسم هذا فضلا عن ان الدم تجتمع فيه أيضا السموم التى تفرزها الكائنات المتطفلة فى الجسم كما أن كثيرا من الطفيليات يمضى فيه مراحل قصيرة أو طويلة دورة حياته فى عائلة. ولهذا كله كان تناول الدم كغذاء محرما.

أما الخنزير فهو معرض للاصابة بعدد كبير من الطفيليات التى تصيب الانسان من الفيروسات والسبيروكينات (اللبتوسبيرا) والحيوانات الاولية (البروتوزوا) والديدان المفلطحة والاسطوانية وشوكية الرأس واهم هذه الطفيليات مايلى :

١ - الحيوان الاولى الهدبى المسمى بالانتديوم كولاى المسبب للزحار البلنتيدى الذى يماثل الزحار الاميبى شدة وضررا ومصدره الوحيد للانسان هو الخنزير ويكاد يكون مرضا مهنيا لايصيب سوى المشتغلين بتربية الخنزير وذبحه وبيع لحمه.

٢ - الوشائع الكبدية والمعوية فى الشرق الاقصى وبخاصة وشيعة الامعاء الكبيرة (فاسيلو بسس بوسكاى) الواسعة الانتشار فى الصين ووشيعة الأمعاء الصغيرة جاسترو وسكويدس هومينس التى تصيب الانسان فى البنغال وبورما واسام ووشيعة الكبد الصينية (كلونوركس سينتسز) المنتشرة فى الصين واليابان وكوريا على الخصوص ويعتبر الخنزير العائل الخازن الرئيسى لهذه الطفيليات وبخاصة الديدان الاولى التى تنطلق فيه لتمضى دورة حياتها فى عوائلها الاخرى حتى تصيب الانسان ومن ثم فقاومتها فى الانسان وحده لا تكفى.

٣ - دودة لحم الخنزير الشريطية (تينا سوليوم) والدورة الطبيعية لها ان تنتقل بويضاتها من الانسان الى الخنزير حيث تكون اجنتها ديدانا مثانية فى لحمه ثم تنتقل الى آكل هذا اللحم فتنمو الى الدودة الشريطية البالغة فى أمعائه وهكذا. وهذه إصابة غير خطيرة فى المعتاد وتشبه فى ذلك دودة لحم البقر الشريطية (تينيا ساجيناتا) ولكن دودة لحم الخنزير تنفرد دون دودة لحم البقر بخصائص تؤهلها لانعكاس هذه الدورة انعكاسا جزئيا أما ابتلاع الانسان للبويضات بيده الملوثة أو مع طعامه الملوث أو بارتداد قطع الدودة (أى اسلاتها) المثقلة بالبيض أو البيض نفسه من الأمعاء الى المعدة حيث يفقس البيض وتنتشر اليرقانات فى عضلات المصاب مسببة اعراضا شديدة كثيرا ماتكون قاتلة اذا ما أصابت المخ أو النخاع الشوكى أو القلب أو غيرها من الأعضاء الرئيسية والاصابة بهذه الدودة ومضاعفاتها الخطيرة لا تكاد تعرف فى البلاد الاسلامية حيث يحرم أكل لحم الخنزير. =

نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

الصلاة بسبب ملامسة أزواجكم، فاغسلوا جميع أبدانكم بالماء، وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء، أو كنتم مسافرين يتعسر عليكم وجود الماء، أو عند رجوعكم من مكان قضاء الحاجة: أو لامستم النساء ولم تجدوا ماء، فعليكم بالتيمم بالتراب الطهور، بمسح وجوهكم وأيديكم به. ما يريد الله فيما أمركم به أن يضيق عليكم، ولكنه شرع ذلك لتطهيركم ظاهرا وباطنا، وليتم نعمه عليكم بالهداية والبيان والتيسير، لتشكروا الله على هدايته وتمام نعمته بالمداومة على طاعته[1].

٧ - واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم، بهدايتكم إلى الاسلام، وحافظوا على تنفيذ عهده الذى عاهدكم عليه، حين بايعتم رسوله - محمدا - على السمع والطاعة، واتقوا الله بالمحافظة على هذه العهود، فإنه سبحانه عليم بخفيات قلوبكم، فجازيكم عليها.

٨ - يأيها المؤمنون، حافظوا محافظة تامة على أداء حقوق الله، وأدوا الشهادة بين الناس على وجهها الحق، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم على أن تجانبوا العدل معهم، بل التزموا العدل، فهو أقرب سبيل إلى خشية الله والبعد[2] عن غضبه، واخشوا الله فى كل أموركم، فإنه - سبحانه - عليم بكل ماتفعلون، ومجازيكم عليه.

٩ - تفضل الله فوعد الذين صدقوا بدينه، وعملوا الأعمال الصالحة، أن يعفو عن ذنوبهم، ويجزل لهم الثواب.

١٠ - والذين جحدوا دينه، وكذبوا بآياته الدالة على وحدانيته، وصدق رسالته، فأولئك هم أهل جهنم المخلدون فيها.

= ٤ - الدودة الشعرية الحلزونية (تريكينلا سبيرالس) وأعراضها الخطيرة مترتبة على انتشار يرقاناتها فى عضلات الجسم وأعراض الاصابة بها شديدة متنوعة منها الاضطرابات المعدية المعوية والحمى والآلام الروماتيزمية العضلية المبرحة وصعوبة المضغ والتنفس وتحريك العينين والتهاب المخ والنخاع الشوكى والسحايا المحيطة بها والأمراض العصبية والعقلية المترتبة على ذلك التسمم والاجهاد العام والارتشاح والمضاعفات النفسية.. الخ. وفى الاصابات القاتلة تحدث الوفاة بين الاسبوعين الرابع والسادس فى معظم الأحوال والخنزير هو المصدر الوحيد لاصابة الانسان بهذا المرض الوبيل إلا فى المناطق القطبية الشمالية ومواطن انتشار المرض هى أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية ولكنه بحمد الله غير معروف البتة بين المسلمين. والمحاولات المضنية لتجنب هذا البلاء بتربية الخنازير بطريقة صحية وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية ويكفى للدلالة على هذا أن نذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية بها ثلاثة أمثال عدد الاصابات فى العالم اجمع. وان متوسط نسبة الاصابة فى ولاياتها المختلفة هو ١٦٪ مع الوثوق بان هذا الرقم أقل كثيرا من الحقيقة وان نسبة إصابة الخنازير به تتراوح بين ٥٪ و٢٧٪ فى الولايات المختلفة.

يزاد على هذا كله ان دهن الخنزير يختلف تماما فى درجة تشبعه عن الزيوت النباتية والدهون الحيوانية الأخرى. ومن ثم فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير بين العلماء وينصح الأستاذ «رام» عالم الكيمياء الحيوية الدانماركى الحاصل على جائزة نوبل بعدم المداومة على تناوله حيث أنه قد ثبت بالتجربة أنه من أهم مايسبب حصى المرارة وانسداد قنواتها وتصلبا فى الشرايين وبعض أمراض القلب الأخرى وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم الفقهاء يعتبرون لفظ اللحم شاملا للحم والدهن جميعا.

أما ما أهل به لغير الله وماذبح على النصب فهى أوامر تعبدية أما المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع فحكمها حكم الميتة وان اختلف سبب موتها.

(١) فى الطهارة الاسلامية معنيان: احدهما التوجه القلبى الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف امامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له.

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

١١ - يأيها المؤمنون، تذكروا نعمة الله عليكم فى وقت الشدة، حين هم قوم - جماعة من المشركين - أن يفتكوا بكم، وبرسولكم، فمنع أذاهم عنكم، ونجاكم منهم. والزموا تقوى الله، واعتمدوا عليه - وحده - فى أموركم، فهو كافيكم، وشأن المؤمن أن يكون اعتماده على الله وحده دائما.

١٢ - ان الله أخذ العهد على بنى اسرائيل بالسمع والطاعة، فأقام عليهم اثنى عشر رئيسا منهم لتنفيذ العهد، ووعدهم الله وعدا مؤكدا بأن يكون معهم بالعون والنصر ان أدوا الصلاة على وجهها، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم، وصدقوا برسله جميعا، ونصروهم، وأنفقوا فى سبيل الخير، وإذا ما فعلوا ذلك، تجاوز الله عن ذنوبهم، وأدخلهم جناته التى تجرى من تحتها الأنهار، فمن كفر ونقض العهد منهم بعد ذلك، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم.

١٣ - فبسبب نقض بنى اسرائيل عهودهم، استحقوا الطرد من رحمة الله، وصارت قلوبهم صلبة لا تلين لقبول الحق، وأخذوا يصرفون كلام الله فى التوراة عن معناه، إلى ما يوافق أهواءهم، وتركوا نصيبا وافيا مما أمروا به فى التوراة! وستظل - أيها الرسول - ترى منهم ألوانا من الغدر ونقض العهد، إلا نفرا قليلا منهم آمنوا بك فلم يخونوا ولم يغدروا. فتجاوز - أيها الرسول - عما فرط من هؤلاء، واصفح وأحسن إليهم، ان الله يحب المحسنين.

١٤ - وكذلك أخذ الله العهد على النصارى - الذين قالوا: انا نصارى - بالايمان بالانجيل وبالوحدانية، فتركوا نصيبا وافرا مما أمروا به فى الانجيل، فعاقبهم الله على ذلك بإثارة العداوة والخصومة بينهم، فصاروا فرقا متعادية إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله يومئذ بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه.

= وثانيها - النظافة الحسية بالوضوء وفى ذلك غسل الأعضاء الظاهرة المعرضة للأوساخ والوضوء يتكرر وقد يصل تكراره الى خمس مرات فى اليوم وبالاغتسال فى حال الاتصال بزوجه وفى حال الحيض والنفاس وفى الوضوء والغسل وقاية من الأتربة الحاملة لجراثيم الأمراض ومد الجسم بنشاط فى حركة الدم فى الشعيرات الموجودة على ظاهر الجسم وتخفيف حدة توتر الأعصاب ولذلك قال النبى ﷺ «إذا غضبت فتوضأ» والتيمم فيه المعنى الأول وهو التوجه القلبى الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له.

(٢) يدعو الاسلام الى العدالة المطلقة مع الولى ومع العدو على السواء فلا يصح أن يكون البغض حاملا على الظلم وذلك ينطبق على معاملات الافراد، ومعاملات الاسلام مع غيره من الدول والعدالة مع العدو يصرح النص القرآنى بأنها أقرب للتقوى ولو طبق ذلك فى القانون الدولى لما قامت حرب، فاذا كان لكل دين سمة وعلامة فسمة الاسلام التوحيد والعدالة.

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم

---

١٥ - يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ، محمد ، داعيا إلى الحق ، يظهر لكم كثيرا مما كنتم تكتمونه من التوراة والانجيل ، ويدع كثيرا مما أخفيتموه لم تدع الحاجة إلى اظهاره ، قد جاءكم من عند الله شريعة كاملة هى نور فى ذاتها ، ويبينها كتاب واضح .

١٦ - يهدى الله بهذا الكتاب إلى سبيل النجاة من اتجه إلى مرضاته ، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان بتوفيقه ، ويرشدهم إلى طريق الحق .

١٧ - لقد كفر الذين زعموا - باطلا - أن الله هو المسيح ابن مريم ! ! فقل - أيها الرسول - لهؤلاء المجترئين على مقام الألوهية : لا يستطيع أحد أن يمنع مشيئة الله ان أراد أن يهلك عيسى وأمه ، ويهلك جميع من فى الأرض فإن لله وحده ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء على أى مثال أراد ، والله عظيم القدرة لا يعجزه شىء .

١٨ - وقالت اليهود والنصارى : اننا المفضلون ، لأننا أبناء الله والمحببون لديه فقل لهم - أيها الرسول : فلماذا يعذبكم بذنوبكم ، ويصليكم نار جهنم ؟ ؟ لقد كذبتم لأنكم كسائر البشر مخلوقون ومحاسبون على أعمالكم ، وبيد الله وحده المغفرة لمن يشاء أن يغفر له : والعذاب لمن يشاء أن يعذبه ، لأن لله ملك السموات والأرض وما بينهما ، وإليه المنتهى .

١٩ - يا أهل الكتاب قد جاءتكم رسالة رسولنا الذى يظهر لكم الحق ، بعد إذ توقفت الرسالات فترة من الزمن ، حتى لا تعتذروا عن كفركم بأن الله لم يبعث إليكم مبشرا ولا منذرا ، ها هو ذا قد أتاكم بشير ونذير ، والله هو القادر على كل أمر - ومنه انزال الرسالات - ومحاسبتكم على ما كان منكم .

مُلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

---

٢٠ - واذكر - أيها الرسول - حينما قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا بالشكر والطاعة نعم الله عليكم ، حيث اختار منكم أنبياء كثيرين ، وجعلكم أعزة كالملوك ، بعد أن كنتم أذلاء فى مملكة فرعون ، ومنحكم من النعم الأخرى ما لم يؤت أحدا غيركم من العالمين .

٢١ - يا قوم أطيعوا أمر الله ، فادخلوا الأرض المقدسة التى قدر الله عليكم دخولها ، ولا تتراجعوا أمام أهلها الجبارين ، فتعودوا خاسرين نصر الله ورضوانه .

٢٢ - قال بنو اسرائيل مخالفين أمر الله : يا موسى ، ان فى هذه الأرض جبابرة لا طاقة لنا بهم ، فلن ندخلها ماداموا فيها ، فإذا ما خرجوا منها دخلناها .

٢٣ - قال رجلان من نقبائهم الذين يخشون الله ، وأنعم الله عليهما بالايمان والطاعة : ادخلوا - أيها القوم - على الجبارين باب المدينة مفاجئين ، فإذا فعلتم ذلك فإنكم منتصرون عليهم ، وتوكلوا على الله وحده فى كل أموركم ان كنتم صادقى الايمان .

٢٤ - فأصروا على المخالفة ، وقالوا : يا موسى ، انا معتزمون ألا ندخل هذه الأرض أبدا ، مادام فيها الجبارون ! فدعنا نحن ، فليس لك علينا من سلطان ، واذهب أنت وربك فقاتلا الجبارين ، فانا فى هذا المكان مقيمون .

٢٥ - حين ذلك فزع موسى إلى ربه قائلا : رب لا سلطان لى إلا على نفسى وأخى ، فاقض بعدلك بيننا وبين هؤلاء المعاندين .

٢٦ - فاستجاب الله لموسى ، وحرم على أولئك المخالفين دخول هذه الأرض طيلة أربعين عاما ، يضلون فى الصحراء لا يهتدون إلى جهة . قال الله لموسى يواسيه : لا تحزن على ما أصابهم ، فإنهم فاسقون خارجون عن أمر الله .

يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ

---

٢٧ - وان حب الاعتداء فى طبيعة بعض الناس ، فاقرأ ، أيها النبى ، على اليهود - وأنت صادق - خبر هابيل وقابيل ابنى آدم ، حين تقرب كل منهما إلى الله بشىء ، فتقبل الله قربان أحدهما لاخلاصه ، ولم يتقبل من الآخر لعدم اخلاصه ، فحسد أخاه وتوعده بالقتل حقدا عليه ، فرد عليه أخوه مبينا له أن الله لا يتقبل العمل إلا من الأتقياء المخلصين فى تقربهم .

٢٨ - وقال له : لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوى لتقتلنى ، فلن أعاملك بالمثل ، ولن أمد يدى إليك لاقتلك ، لأنى أخاف عذاب ربى ، وهو الله رب العالمين .

٢٩ - انى لن أقاومك حين تقتلنى ، لتحمل ذنب قتلك لى ، مع ذنبك فى عدم اخلاصك لله من قبل ، وبذلك تستحق أن تكون فى الآخرة من أهل النار ، وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم .

٣٠ - فسهلت له نفسه أن يخالف الفطرة ، وأن يقتل أخاه ، وقتله ، فصار فى حكم الله من الخاسرين ، إذ خسر إيمانه وخسر أخاه .

٣١ - بعد قتله أصابته حسرة وحيرة ، ولم يدر ما يصنع بجثته ! فأرسل الله غرابا ينبش تراب الأرض ليدفن غرابا ميتا ، حتى يعلم ذلك القاتل كيف يستر جثة أخيه ! فقال القاتل محسا بوبال ما ارتكب ، متحسرا على جريمته . أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جثة أخى ؟ ! فصار من النادمين على جرمه ومخالفته دواعى الفطرة[1] . .

---

(١) تشير هذه الاية الى اول دفن فى الانسانية وكيف ان الدفن فى التراب كان وحيا من الله سبحانه وتعالى عن طريق عمل الغراب وحكمة ذلك ارشاد الانسان الى ان الدفن يمنع انتشار الأمراض وبجانب ذلك فانه إكرام للميت .

رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

---

٣٢ - بسبب ذلك الطغيان وحب الاعتداء فى بعض النفوس ، أوجبنا قتل المعتدى ، لأنه من قتل نفسا بغير ما يوجب القصاص ، أو بغير فساد منها فى الأرض ، فكأنه قتل الناس جميعا ، لأنه هتك حرمة دمائهم ، وجرأ عليها غيره ، وقتل النفس الواحدة كقتل الجميع فى استجلاب غضب الله وعذابه ! ومن أحياها بالقصاص لها ، فكأنما أحيا الناس كلهم ، لصيانته دماء البشر ، فيستحق عليهم عظيم الثواب من ربه . ولقد أرسلنا إليهم رسلنا مؤكدين حكمنا لهم بالأدلة والبراهين ، ثم ان كثيرا من بنى اسرائيل بعد ذلك البيان المؤكد أسرفوا فى افسادهم فى الأرض[1] .

٣٣ - انما عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ، بخروجهم على نظام الحكم وأحكام الشرع ، ويفسدون فى الأرض بقطع الطريق أو انتهاب الأموال : أن يقتلوا بمن قتلوا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وغصبوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا قطعوا الطريق وغصبوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من بلد إلى بلد ، وأن يحبسوا إذا أخافوا فقط ! . ذلك العقاب ذل لهم واهانة فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار[2] .

٣٤ - إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين للنظام وقطاع الطريق ، من قبل أن تقدروا عليهم وتتمكنوا منهم ، فإن عقوبة الله المذكورة تسقط عنهم وتبقى عليهم حقوق العباد ، واعلموا ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٥ - يأيها الذين آمنوا ، خافوا الله باجتناب نواهيه واطاعة أوامره ، واطلبوا مايقربكم إلى ثوابه ، من فعل الطاعات والخيرات ، وجاهدوا فى سبيله بإعلاء دينه ومحاربة أعدائه ، لعلكم تفوزون بكرامته وثوابه .

---

(١) فى هذه الآية الشريفة مايدل على ان الاعتداء على النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعوة عن حق المجتمع يباشرها عنه النائب العام ووكلاؤه أو أية سلطة تقيمها الدولة لهذه الوظيفة فى التشريعات الحديثة وهذا هو المقابل لحق الله فى التشريع الاسلامى ، فالتشريع فى هذه المسألة له حق السبق . ومن أحسن الى فرد بانقاذ حياته من الهلاك فقد احسن الى المجتمع فالآية بما اشتملت عليه من معنيين تؤكد أن الاسلام يرعى القواعد فى المجتمع الصالح وقواعد التعاون بين الأفراد والمجتمعات وفى هذا كله محافظة على الأمن والسلام والتعاون بين الأفراد والجماعات .

(٢) القرآن الكريم فى هذه الآية وفى الآية ٣٨ ـ ينص على عقوبات لم تراع فيها إلا المصلحة ومنع الاجرام وان هذه العقوبات من =

مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ
وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن
يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

---

٣٦ - ان الذين كفروا لو كان عندهم ما فى الأرض جميعا من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة، وكان لهم مثل ما فى الأرض فوق ما فيها، وأرادوا أن يجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة على كفرهم، ما نفعهم الافتداء بهذا كله، ولا قبل الله منهم ذلك، فلا سبيل إلى خلاصهم من العقاب، ولهم عذاب مؤلم شديد.

٣٧ - يتمنى هؤلاء الكافرون أن يخرجوا من النار، وهم لن يخرجوا منها، ولهم عذاب دائم مستمر.

٣٨ - والذى يسرق، والتى تسرق، اقطعوا أيديهما جزاء بما ارتكبا، عقوبة لهما، وزجرا وردعا لغيرهما. وذلك الحكم لهما من الله، والله غالب على أمره، حكيم فى تشريعه، يضع لكل جريمة ما تستحق من عقاب رادع مانع من شيوعها.

٣٩ - فمن تاب من بعد اعتدائه وأصلح عمله واستقام، فإن الله يتقبل توبته، ان الله واسع المغفرة والرحمة.

٤٠ - اعلم أيها المكلف علما يقينيا أن الله وحده له كل ما فى السموات والأرض، يعذب من يشاء تعذيبه بحكمته وقدرته، ويغفر لمن يشاء أن يغفر له بحكمته ورحمته، والله على كل شىء قدير.

= شأنها لو طبقت على وجهها الصحيح ان تقطع الجرائم وتحيل المجتمع الى مجتمع ترفرف عليه السعادة والهناء والأمن والسلام. ويجب التنويه الى ان هذه العقوبات مانعة فن شأنها منع ارتكاب الجريمة والتخويف من الوقوع فى حياة الضلالة وهى بعد عقوبات تتناسب مع ما للنفوس والأموال من حرمة فى المجتمع وعلى من يستفظع هذه العقوبات الا يرتكب مايوجبها وقد نجحت فى محاربة الاجرام نجاحا لم تصل اليه التشريعات الوضعية وهى بعد متفقة مع روح العصر ومع كل قبيلة فهى من وحى هذه الشريعة الأبدية التى جاءت لتحقيق مصالح الناس وعلى كل من يستفظع العقوبة ان ينظر الى الجرم أولا والغرم بالغنم.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُولَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ

---

٤١ - يأيها الرسول لا يحزنك صنع الكافرين الذين ينتقلون فى مراتب الكفر من أدناها إلى أعلاها ، مسارعين فيها ، من هؤلاء المخادعين الذين قالوا آمنا بألسنتهم ولم تذعن للحق قلوبهم ، ومن اليهود الذين يكثرون الاستماع إلى مفتريات أحبارهم ويستجيبون لها ، ويكثرون الاستماع والاستجابة لطائفة منهم ولم يحضروا مجلسك تكبرا وبغضا ! وهؤلاء يبدلون ويحرفون ما جاء فى التوراة من بعد أن أقامه الله وأحكمه فى مواضعه ! ويقولون لأتباعهم : ان أوتيتم هذا الكلام المحرف المبدل فاقبلوه وأطيعوه ، وان لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره ! فلا تحزن ، فمن يرد الله ضلاله لانغلاق قلبه ، فلن تستطيع أن تهديه أو أن تنفعه بشىء لم يرده الله له . وأولئك هم الذين أسرفوا فى الضلال والعناد ، لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الحقد والعناد والكفر ، ولهم فى الدنيا ذل ، بالفضيحة والهزيمة ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد عظيم .

٤٢ - هم كثيرو الاستماع للافتراء ، كثيرو الأكل للمال الحرام الذى لا بركة فيه ، كالرشوة والربا وغيرهما ، فإن جاءوك لتحكم بينهم فاحكم بينهم إذا رأيت المصلحة فى ذلك ، أو أعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضروك بأى قدر من الضرر ، لأن الله عاصمك من الناس ، وان حكمت بينهم فاحكم بالعدل الذى أمر الله به ، ان الله يحب العادلين فيحفظهم ويثيبهم .

٤٣ - عجبا لهم ! كيف يطلبون حكمك ، مع أن حكم الله منصوص عليه عندهم فى التوراة ؟ ! والعجب من أمرهم أنهم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق هواهم ، مع أنه الموافق لما فى كتابهم ! وليس هؤلاء من المؤمنين الذين يذعنون للحق !

هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ

---

٤٤ - انا أنزلنا التوراة على موسى فيها هداية إلى الحق ، وبيان منير للأحكام التى يحكم بها النبيون ، والذين أخلصوا نفوسهم لربهم ، والعلماء السالكون طريقة الأنبياء ، والذين عهد إليهم أن يحفظوا كتابهم من التبديل ، حراسا عليه ، شاهدين بأنه الحق . فلا تخافوا الناس فى أحكامكم ، وخافونى أنا ربكم رب العالمين ، ولا تستبدلوا بآياتى التى أنزلتها ثمنا قليلا من متاع الدنيا ، كالرشوة والجاه ! ومن لم يحكم بما أنزل الله من شرائع مستهينين بها ، فهم من الكافرين .

٤٥ - وفرضنا على اليهود فى التوراة شرعة القصاص ، لنحفظ بها حياة الناس ، فحكمنا بأن تؤخذ النفس بالنفس ، والعين بالعين ! والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح يقتص فيها اذا أمكن . فمن عفا وتصدق بحقه فى القصاص على الجانى ، كان هذا التصدق كفارة له ، يمحو الله بها قدرا من ذنوبه . ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره ، فأولئك هم الظالمون .

٤٦ - وأرسلنا من بعد هؤلاء النبيين عيسى بن مريم ، متبعا طريقهم ، مصدقا لما سبقه من التوراة ، وأنزلنا عليه الانجيل فيه هداية الى الحق ، وبيان للأحكام ، وأنزلناه مصدقا لما سبقه وهى التوراة ، وفيها هداية الى الحق وموعظة للمتقين .

٤٧ - وأمرنا اتباع عيسى وأصحاب الانجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون المتمردون على شريعة الله .

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ

---

٤٨ ـ وأنزلنا إليك ـ أيها النبى ـ الكتاب الكامل ، وهو القرآن ، ملازما الحق فى كل أحكامه وأنبائه ، موافقا ومصدقا لما سبقه من كتبنا ، وشاهدا عليها بالصحة ، ورقيبا عليها بسبب حفظه من التغيير ، فاحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليك بما أنزله الله عليك ، ولا تتبع فى حكمك شهواتهم ورغباتهم ، فتنحرف عما جاءك منا من حق . لكل أمة منكم ـ أيها الناس ـ جعلنا منهاجا لبيان الحق ، وطريقا واضحا فى الدين يمشى عليه ، ولو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة ذات مشارب واحدة ، لا تختلف مناهج ارشادها فى جميع العصور ، ولكنه جعلكم هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع ، ليتبين المطيع والعاصى . فانتهزوا الفرص ، وسارعوا إلى عمل الخيرات ، فإن رجوعكم جميعا سيكون إلى الله وحده ، فيخبركم بحقيقة ما كنتم تختلفون فيه ، ويجازى كلا منكم بعمله .

٤٩ ـ وأمرناك أيها الرسول بأن تحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع رغباتهم فى الحكم ، واحذرهم أن يصرفوك عن بعض ما أنزله الله إليك . فإن أعرضوا عن حكم الله وأرادوا غيره ، فاعلم أن الله انما يريد أن يصيبهم بفساد أمورهم ، لفساد نفوسهم ، بسبب ذنوبهم التى ارتكبوها من مخالفة أحكامه وشريعته ، ثم يجازيهم عن كل أعمالهم فى الآخرة[1] ، وان كثيرا من الناس لمتمردون على أحكام الشريعة .

٥٠ ـ أيريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التى لا عدل فيها ، بل الهوى هو الذى يحكم ، بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداهنة ؟ وهذه هى طريقة أهل الجاهلية ! وهل يوجد أحسن من الله حكما لقوم يوقنون بالشرع ويذعنون للحق ؟ انهم هم الذين يدركون حسن أحكام الله .

---

(١) (فى هذه الآية الدليل على ان القرآن الكريم يقرر مبدأ اقليمية القانون بمعنى ان التشريع الاسلامى يطبق فى ديار الاسلام على جميع القاطنين بها ومبدأ الاقليمية هذا لم يستقر فى عالم التشريع الوضعى إلا حديثا) .

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ

---

٥١ - يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالونهم، فهم سواء فى معاداتكم. ومن جعل لهم الولاية عليه فإنه من جملتهم وان الله لا يهدى الذين يظلمون أنفسهم بجعل ولايتهم للكافرين.

٥٢ - وإذا كانت ولايتهم لا يتبعها إلا الظالمون، فانك ترى الذين يوالونهم فى قلوبهم مرض الضعف والنفاق، إذ يقولون: نخاف أن تصيبنا كارثة عاما فلا يساعدونا! فعسى الله أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم أو يظهر نفاق أولئك المنافقين، فيصبحوا نادمين آسفين على ماكتموه فى نفوسهم من كفر وشك!!

٥٣ - وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون، متعجبين من المنافقين: أهؤلاء الذين أقسموا وبالغوا فى القسم بالله على أنهم معكم فى الدين، مؤمنون مثلكم؟ كذبوا وبطلت أعمالهم، فصاروا خاسرين الايمان، ونصرة المؤمنين!!

٥٤ - يأيها الذين آمنوا: من يرجع منكم عن الايمان إلى الكفر، فلن يضروا الله بأى قدر من الضرر! تعالى الله عن ذلك، فسوف يأتى الله بدلهم بقوم خير منهم، يحبهم الله فيوفقهم للهدى والطاعة، ويحبون الله فيطيعونه، وفيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين، وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخشون فى الله لومة أى لائم! ذلك فضل الله يمنحه لمن يشاء ممن يوفقهم للخير، والله كثير الفضل عليم بمن يستحقونه.

٥٥ - انما ولايتكم - أيها المؤمنون - لله ورسوله وأنفسكم، ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم خاضعون لله.

٥٦ - ومن يتخذ الله ورسوله والمؤمنين أولياءه ونصراءه، فإنه يكون من حزب الله، وحزب الله هم المنتصرون الفائزون.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ

---

٥٧ - يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا أعداء الاسلام الذين اتخذوا دينكم سخرية ولهوا، وهم اليهود والنصارى والمشركون، نصراء، ولا تجعلوا ولايتكم لهم، وخافوا الله ان كنتم صادقين فى ايمانكم.

٥٨ - ومن استهزائهم بكم: أنكم إذا دعوتم إلى الصلاة بالأذان، استهزأوا بالصلاة، وتضاحكوا عليها ولعبوا فيها، وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون، ولا يدركون الفرق بين الضلال والهدى!

٥٩ - قل أيها الرسول: يا أهل الكتاب، هل تنقمون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل الينا، وهو القرآن، وبما أنزل من قبل على الانبياء من الكتب الصحيحة: وإيماننا بأن أكثركم خارجون على شريعة الله؟!

٦٠ - قل لهم: ألا أخبركم بأعظم شر فى الجزاء عند الله؟ انه عملكم أنتم يامن أبعدهم الله من رحمته، وسخط عليهم بسبب كفرهم وعصيانهم، وطمس على قلوبهم، فكانوا كالقردة والخنازير، وعبدوا الشيطان، واتبعوا الضلال! أولئك فى أكبر منزلة من الشر، لأنهم أبعد الناس عن طريق الحق.

٦١ - وإذا جاءكم المنافقون، كذبوا عليكم بقولهم: آمنا! وهم قد دخلوا اليكم كافرين كما خرجوا من عندكم كافرين! والله أعلم بما يكتمون من النفاق ومعاقبهم عليه.

٦٢ - وترى كثيرا من هؤلاء يسارعون فى المعاصى والاعتداء على غيرهم، وفى أكل المال الحرام كالرشوة والربا ولبئس ما يفعلونه من هذه القبائح!.

ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ

---

٦٣ ـ أما كان ينبغى أن ينهاهم علماؤهم وأحبارهم عن قول الكذب وأكل الحرام ، ولبئس ما كانوا يصنعون من ترك النصيحة والنهى عن المعصية !.

٦٤ ـ وقالت اليهود : يد الله مقبوضة لا تنبسط بالعطاء ! قبض الله أيديهم وأبعدهم من رحمته ! فالله غنى كريم ينفق كما يشاء . وان كثيرا من هؤلاء ، لإمعانهم فى الضلال ، ليزيدهم ما أنزل إليك من الله ظلما وكفرا ، لما فيهم من حقد وحسد . وأثرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وكلما أشعلوا نارا لحرب الرسول والمؤمنين أطفأها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه وأتباعه ! وأنهم يجتهدون فى نشر الفساد فى الأرض بالكيد والفتن وإثارة الحروب ، والله لا يحب المفسدين .

٦٥ ـ ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالإسلام ونبيه ، واجتنبوا الآثام التى ذكرناها ، لمحونا عنهم سيئاتهم ، وأدخلناهم فى جنات النعيم يتمتعون بها .

٦٦ ـ ولو أنهم حفظوا التوراة والانجيل كما نزلا ، وعملوا بما فيها . وآمنوا بما أنزل اليهم من ربهم ، وهو القرآن ، لوسع الله عليهم الرزق يأتيهم من كل جهة يلتمسونه منها . وليسوا سواء فى الضلال . ومن هؤلاء جماعة عادلة عاقلة ، وهم الذين آمنوا بمحمد وبالقرآن ، وكثير منهم لبئس ما يعملونه ويقولونه معرضين عن الحق .

٦٧ ـ يأيها المرسل من الله ، أخبر الناس بكل ما أوحى اليك من ربك . وادعهم إليه ، ولا تخش الأذى من أحد ، وان لم تفعل ذلك فما بلغت رسالة الله ، لأنك قد كلفت تبليغ الجميع ، والله يحفظك من أذى الكفار ، إذ جرت سنته الا ينصر الباطل على الحق ، ان الله لا يهدى الكافرين إلى الطريق السوى .

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ

---

٦٨ - يأيها الرسول ، قل لأهل الكتاب : انكم لا تكونون على أى دين صحيح ، إلا إذا أعلنتم جميع الأحكام التى أنزلت فى التوراة والانجيل ، وعملتم بها ، وآمنتم بالقرآن الموحى به من الله إلى رسوله لهداية الناس ، ولتتيقن - أيها الرسول - أن معظم أهل الكتاب سيزدادون بالقرآن الموحى به إليك ، ظلما وكفرا وعنادا ، لحسدهم وحقدهم ، فلا تحزن على الذين طبعوا على الجحود .

٦٩ - ان المصدقين بالله ، وأتباع موسى من اليهود ، والخارجين عن الأديان ، وأتباع عيسى من النصارى ، كل أولئك ، إذا أخلصوا فى الايمان بالله ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأتوا بالأعمال الصالحة التى جاء بها الاسلام ، فهم فى مأمن من العذاب وفى سرور بالنعيم يوم القيامة .

٧٠ - اننا عاهدنا اليهود من بنى اسرائيل عهدا مؤكدا فى التوراة على اتباع أحكامها ، وبعثنا اليهم أنبياء كثيرين ليبينوها لهم ، ويؤكدوا عهدنا ، ولكنهم نقضوا العهد ، فكانوا كلما أتاهم رسول بما يخالف أهواءهم ، كذبوا البعض وقتلوا البعض .

٧١ - وظن بنو اسرائيل أنه لا تنزل بهم شدائد تبين الثابتين من غير الثابتين ، ولذلك لم يصبروا فى الشدائد ، بل ضل كثيرون منهم ، وصاروا كالعميان الصم ، وأعرضوا عن الحق ، فسلط الله عليهم من أذاقهم الذل . وبعد حين رجعوا إلى الله تائبين ، فتقبل توبتهم ، وأعاد اليهم عزمهم ، ولكنهم من بعد ذلك ضلوا مرة أخرى ، وصاروا كالعمى الصم ! والله مطلع عليهم ، مشاهد لأعمالهم ، ومجازيهم عليها .

٧٢ - وأنه لم يؤمن بالله من يزعم أن الله حل فى عيسى ابن مريم حتى صار الها ، كما يقول النصارى الآن ! مع أن عيسى براء من هذه الدعوى ، فإنه أمر بنى اسرائيل أن يخلصوا الايمان لله وحده ، قائلا لهم : ان الله هو خالقى وخالقكم ، ومالك أمرنا جميعا ، وأن كل من يدعى لله شريكا فإن جزاءه أن لا يدخل الجنة أبدا ، وأن تكون النار مصيره ، لأنه تعدى حدود الله ، وليس لمن يتعدى حدوده ويظلم ، ناصر يدفع عنه العذاب .

ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ

---

٧٣ - وانه لم يؤمن بالله كذلك كل من ادعى أن الله أحد آلهة ثلاثة ، كما يزعم النصارى الآن !! والحق الثابت أنه ليس هناك اله إلا الله وحده ، وإذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الفاسدة إلى طاعة الله ، فلا بد أن يصيبهم عذاب شديد .

٧٤ - ألا ينتهى هؤلاء عن تلك العقائد الزائفة ، ويرجعوا إلى الايمان بالله ، ويطلبوا منه التجاوز عما وقع منهم من الذنوب ؟ ان الله واسع المغفرة ، عظيم الرحمة .

٧٥ - ليس عيسى بن مريم إلا عبدا من البشر ، أنعم الله عليه بالرسالة ، كما أنعم على كثير ممن سبقه . وأم عيسى احدى النساء ، طبعت على الصدق فى قولها والتصديق بربها ، وكانت هى وابنها عيسى فى حاجة إلى ما يحفظ حياتها من الطعام والشراب ، وذلك علامة البشرية . فتأمل أيها السامع حال هؤلاء الذين عموا عن دلالة الآيات الواضحة التى بينها الله لهم ، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه ؟ !

٧٦ - قل أيها الرسول لهؤلاء الضالين : كيف تعبدون إلها يعجز عن أن يضركم بشىء ان تركتم عبادته ، ويعجز عن أن ينفعكم بشىء ان عبدتموه ! ! كيف تتركون عبادة الله وهو الإله القادر على كل شىء ، وهو ذو السمع والعلم الشامل ! !

٧٧ - قل يأيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى : ان الله ينهاكم أن تتجاوزوا فى معتقداتكم حدود الحق إلى الباطل فتجعلوا بعض خلقه آلهة ، أو تنكروا رسالة بعض الرسل ، وينهاكم أن تسيروا وراء شهوات أناس سبقوكم ، قد تجنبوا طريق الهدى ، ومنعوا كثيرا من الناس أن يسلكوها واستمروا على مجافاتهم طريق الحق الواضح .

٧٨ - طرد الله كفار بنى اسرائيل من رحمته ، وأنزل هذا فى الزبور على نبيه داود ، وفى الانجيل على نبيه عيسى بن مريم ، وذلك بسبب تمردهم عن طاعة الله ، وتماديهم فى الظلم والفساد .

عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ

---

٧٩ ـ كان دأبهم ألا يتناصحوا ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن قبيح يفعله ! وأن اتيانهم المنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ما كانوا يفعلون .

٨٠ ـ ترى كثيرا من بنى اسرائيل يتحالفون مع المشركين ، ويتخذونهم أنصارا يتعاونون فيما بينهم على حرب الاسلام ! ان هذا الشر عمل ادخرته لهم أنفسهم ، ليجدوا جزاءه غضبا من الله ، وخلودا فى عذاب جهنم !

٨١ ـ ولو صحت عقيدة هؤلاء فى الايمان بالله ورسوله محمد ، وما أنزل إليه من القرآن ، لمنعهم ذلك الايمان عن موالاتهم للكفار ضد المؤمنين ، ولكن كثيرا من بنى اسرائيل عاصون خارجون عن الأديان .

٨٢ ـ نؤكد لك أيها النبى أنك تجد أشد الناس حقدا وكراهية لك ، ولمن آمن بك ، هم اليهود ، والذين أشركوا مع الله غيره فى العبادة . وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك ، هم أتباع عيسى ، الذين سموا أنفسهم نصارى ، لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم ، ورهبانا يخشون ربهم ، ولأنهم لا يستكبرون عن سماع الحق .

٨٣ ـ ولأنهم إذا سمعوا القرآن الذى أنزل على الرسول يتأثرون به ، فتفيض عيونهم بالدمع ، لمعرفتهم أن الذى سمعوه حق ، فتميل إليه قلوبهم ، وتنطلق ألسنتهم بالدعاء لله قائلين : ربنا آمنا بك وبرسلك ، وبالحق الذى نزلته عليهم ، فتقبل إيماننا ، واجعلنا من أمة محمد الذين جعلتهم شهداء وحجة على الناس يوم القيامة .

٨٤ ـ وأى مانع يمنعنا من أن نصدق بالله وحده ، وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد ؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم .

٨٥ ـ فكتب الله لهم ثوابا لاعترافهم ، هو جنات تجرى الأنهار تحت أشجارها وقصورها ، وهم ماكثون فيها دائما . وذلك الجزاء الذى نالوه هو جزاء كل محسن مثلهم .

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

٨٦ - والذين جحدوا بالله ورسله، وأنكروا أدلته التى أنزلها عليهم هداية للحق، هم وحدهم الملازمون للعذاب الشديد فى جهنم.

٨٧ - يأيها الذين آمنوا لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات، ولا تتجاوزوا الحدود التى شرعها الله لكم من التوسط فى أموركم. ان الله لا يحب المتجاوزين للحدود.

٨٨ - وكلوا مما أعطاكم الله ويسره لكم، وجعله حلالا لكم تطيب به نفوسكم، واخشوا الله دائما وأطيعوه ما دمتم مؤمنين به.

٨٩ - لا يعاقبكم الله بسبب ما لم تقصدوه من أيمانكم، وانما يعاقبكم بسبب الحنث فيما قصدتموه ووثقتموه من الأيمان، فإن حنثتم فيما حلفتم عليه، فعليكم أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين، بأن تطعموا عشرة فقراء يوما، مما جرت العادة بأن تأكلوه أنتم وأقاربكم الذين هم فى رعايتكم، من غير سرف ولا تقتير. أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة، أو بأن تحرروا انسانا من الرق. فإذا لم يتمكن الحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام. وكل واحد من هذه الأمور يغفر به ذنب الحلف الموثق بالنية إذا نقضه الحالف. وصونوا أيمانكم فلا تضعوها فى غير موضعها، ولا تتركوا فعل ما يغفر ذنبكم إذا نقضتموها. على هذا النسق من البيان يشرح الله لكم أحكامه، لتشكروا نعمه بمعرفتها والقيام بحقها[1].

---

(١) هذه آية من الآيات العديدة فى القرآن الكريم التى تؤدى الى تحرير الرقاب إذ توسع القرآن فى المسالك المؤدية الى تحرير الرقاب كما ضيق فى مصادر الرق.

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا

٩٠ - يأيها المصدقون بالله وكتبه ورسله ، المذعنون للحق ، ليس شرب المسكرات ، ولا لعب القمار ، ونصب الأحجار للذبح عندها تقربا إلى الأصنام التى تعبدونها ، واتخاذ السهام والحصى والورق للتعرف بها على مغيبات القدر . . ليس كل ذلك إلا خبثا نفسيا باطلا ، هو من تزيين الشيطان لفاعليه . . فاتركوه لكى تفوزوا فى الدنيا بحياة فاضلة ، وفى الآخرة بنعيم الجنة .

٩١ - ان الشيطان لا يريد بتزيينه لكم شرب الخمر ولعب الميسر ، الا أن يوجد بينكم الخلاف والشقاق والكراهية ، ليضعف أمركم بذهاب الألفة بينكم ، وتفتيت وحدتكم ، بسبب ما يزينه لكم من شرب المسكرات ولعب القمار ، والا أن يصرفكم عن عبادة الله ، ويلهيكم عن أداء الصلاة ، لتسوء آخرتكم كما ساءت دنياكم . فبعد علمكم هذه المفاسد ابتعدوا عما نهيتكم عنه ، لتفوتوا على ابليس غرضه[1] .

٩٢ - وامتثلوا أمر الله وأمر رسوله فيما يبلغكم به عن ربه ، وابتعدوا عما يعرضكم للعذاب ان خالفتم لأنكم ان أعرضتم عن الاستجابة لما أمركم به ، فتيقنوا أنه معاقبكم . وليس لكم عذر بعد أن بين لكم الرسول عاقبة المخالفين ، وأنه ليس على رسولنا إلا اخباركم بأحكامنا ، وتوضيحها توضيحا كاملا .

---

(١) ذكر الله سبحانه وتعالى فى الخمر والميسر فى هذه الآية أمورا أربعة أوجبت تحريمها :

أولها - انها خبث وشر فى ذاته اذ لا يمكن ان توصف بالخير ، لان عنصر الضرر فيها واضح فى الخمر فساد العقل ، وفى الميسر فساد المال ، وفيهما معا فساد القلب والشيطان هو الذى يحسنها .

ثانيها - أنها تنشر العداوة والبغضاء ، فالميسر كثيرا ماينتهى الى نزاع ، واذا لم ينته اليه فانه يثير الحقد والضغينة ، والخمر أم الكبائر ، وعلة تحريم الخمر تنحصر فى الآتى : ان الله كرم الانسان بالعقل بان جعل له خلايا ارادية عليا فى المخ تهيمن على الارادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا فى الانسان والخمر خاصة والمخدرات عامة تعمل عملها فى هذه المراكز فتبطلها ، اما مؤقتا أو دائما حسب التأثر بالمشروب او غيره وعند تنشيط وتعويق هذه المراكز عن العمل تطغى المراكز التى هى دونها فينفعل الانسان بها ، فاما ان يطغى ويعتدى ، واما ان يفتر ويخمد ، وهذا معناه فقد التوازن العقلى ، وبالتالى تتأثر الاعمال وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا سيئا على الجهاز الهضمى والدورى وعلى الكلى والكبد وأخطر هذه جميعا التاثير على الكبد بتليفه .

ثالثها : انه اذا فقد الاتزان انصرف العبد عن ذكر الله الذى تحيا به القلوب .

رابعها : وبالتالى فهى تصد عن الصلاة لانها تنسى المؤمن الصلاة وكيفية ادائها على الوجه الاكمل وتحريم القليل ولو لم يسكر سببه الخوف من التعود والتمادى الذى ينتهى بالادمان .

وعين الخمر قد اجمعت المذاهب الاسلامية على انها كل مشروب أو غير مشروب يسكر فى ذاته استنادا الى حديث رسول الله ﷺ : الذى يقول فيه : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » والى ماأخرجه ابوداود فى صحيحه انه نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر .

وَءَامَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ

---

٩٣ - ليس على الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأتوا بصالح الأعمال ، اثم فيما يطعمون من حلال طيب ، ولا فيما سبق أن طعموه من المحرمات قبل علمهم بتحريمها ، إذا خافوا الله ، وابتعدوا عنها ، بعد علمهم بتحريمها ، ثم استمروا على خوفهم من الله ، وتصديقهم بما شرعه لهم بعد من أحكام ، ثم داوموا على خوفهم من الله فى كل حال وأخلصوا فى أعمالهم وأدوها على وجه الكمال ، فإن الله يثيب المخلصين فى أعمالهم على قدر اخلاصهم وعملهم .

٩٤ - يأيها الذين آمنوا : ان الله يختبركم فى الحج بتحريم بعض من الحيوان والطيور يسهل عليكم اصطياده بأيديكم ورماحكم ، ليظهر الذين يراقبونه منكم فى غيبة عن أعين الخلق . فالذين تجاوزوا حدود الله بعد بيانها يقع عليهم عذاب مؤلم شديد .

٩٥ - يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وقد نويتم الحج والعمرة وتقومون بأعمالهما ، ومن قتله منكم قاصدا ، فعليه أن يؤدى نظير الصيد الذى قتله ، يخرجه من الابل والبقر والغنم . ويعرف النظير بتقدير رجلين عادلين منكم يحكمان به ، ويهديه إلى الفقراء عند الكعبة ، أو يدفع بدله اليهم ، أو يخرج بقيمة المثل طعاما للفقراء ، لكل فقير ما يكفيه يومه ، ليكون ذلك مسقطا لذنب تعديه على الصيد ، أو يصوم أياما بعدد الفقراء الذين كانوا يستحقون الطعام لو أخرجه . وقد شرع ذلك ليحس المعتدى بنتائج جرمه وسوء عاقبته . عفا الله عما سبق لكم من المخالفة قبل تحريمها ، ومن رجع إلى التعدى بعد العلم بتحريمه ، فإن الله يعاقبه بما ارتكب ، وهو غالب لا يغلب شديد العقاب لمن يصر على الذنب .

٩٦ - أحل الله لكم أن تصيدوا حيوان البحار ، وأن تأكلوا منه ، وينتفع به المقيمون منكم والمسافرون ، وحرم عليكم أن تصيدوا حيوان البر غير المستأنس ، مما جرت العادة بعدم تربيته فى المنازل والبيوت ، مدة قيامكم بأعمال الحج أو العمرة بالحرم ، وراقبوا الله وخافوا عقابه ، فلا تخالفوه ، فانكم إليه ترجعون يوم القيامة ، فيجازيكم على ماتعملون .

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ

---

٩٧ - جعل الله الكعبة ، وهى البيت الذى عظمه وحرم الاعتداء فيه على الانسان والحيوان غير المستأنس وفيا حوله ، جعله قائما معظما يأمن الناس فيه ، ويتجهون إليه فى صلاتهم ، ويحجون إليه ليكونوا فى ضيافة الله ، وليعملوا على جمع شملهم . وكذلك جعل شهر الحج وما يهدى إلى الكعبة من الأنعام ، وخاصة ما يوضع فى عنقه القلائد لاشعار الناظرين بأنه مهدى إلى البيت . ونتيجة القيام بذلك أن تستيقنوا أن علمه محيط بما فى السموات التى ينزل منها الوحى بالتشريع ، ومحيط بما فى الأرض ، فيشرع لمن فيها بما يقوم بمصالحهم . وأن علمه بكل شىء محيط .

٩٨ - اعلموا أيها الناس أن عذاب الله شديد ينزل بمن يستبيح حرماته ، وأنه كثير المغفرة لذنوب من يتوب ويحافظ على طاعاته ، واسع الرحمة بهم فلا يؤاخذهم حينئذ بما وقع منهم .

٩٩ - ليس على الرسول إلا أن يبلغ للناس ما يوحى إليه ، لتقوم عليهم الحجة ، وينقطع عنهم العذر . فلتعملوا بما بلغه اليكم ، فإن الله يعلم ما تظهرون وما تخفون .

١٠٠ - قل يأيها النبى للناس : لايتساوى ما أباحه الله لكم من الطيبات ، وما حرمه عليكم من الخبائث ، فإن الفرق بينهما كبير عند الله ، ولو كثر الخبيث وأعجب كثيرا من الناس . فاجعلوا يا أصحاب العقول طاعة الله وقاية لكم من عذابه ، باختيار الطيبات واجتناب الخبائث ، لتكونوا من الفائزين فى الدنيا والآخرة .

١٠١ - يأيها الذين آمنوا : لا تسألوا النبى عن أمور أخفاها الله عنكم أن تظهر لكم ، وأن تسألوا النبى عنها فى حياته ، إذ ينزل عليه القرآن ، يبينها الله لكم ، عفا الله عنكم فى هذه الأشياء فلا يعاقبكم عليها ، والله كثير المغفرة واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة .

١٠٢ - قد سأل عن أمثال هذه الأمور الشاقة جماعة ممن سبقوكم ، ثم بعد أن كلفوها على ألسنة أنبيائهم ثقل عليهم تنفيذها ، فأعرضوا عنها ، وكانوا لها منكرين ، لأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر ، ويكلف الناس ما يطيقون .

وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ
وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ

---

١٠٣ - لم يأذن الله لكم أن تحرموا ماأحله لكم، فتشقوا أذن الناقة، وتمتنعوا عن الانتفاع بها، وتسموها « بحيرة »، وتتركوها بناء على نذر، وتسموها « سائبة »، وتحرموا الذكر من الشاة، وتهبوه للأصنام، حتى إذا انتجت الشاة ذكرا وأنثى سميتموها « وصيلة »، ولم تذبحوا الذكر منها. ولم يشرع لكم أن تحرموا الانتفاع بالذكر من الابل إذا ولد منه عشرة أبطن، وتطلقوا عليه اسم « حام »!! لم يشرع الله لكم شيئا من ذلك، ولكن الذين كفروا يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله، وأكثرهم لا يعقلون(١).

١٠٤ - وإذا قيل لهؤلاء الكافرين: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى مابينه الرسول لنهتدى به، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا! أيصح أن يقولوا هذا؟ ولو كان آباؤهم كالأنعام لا يعلمون شيئا عن الحق، ولا يعرفون طريقا إلى الصواب؟

١٠٥ - يأيها الذين آمنوا أحرصوا على اصلاح أنفسكم بطاعة الله، انه لا يضيركم ضلال غيركم، إذا كنتم على الهدى ودعوتم إلى الحق، وإلى الله وحده مرجعكم جميعا يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم، ويجزى كلا منكم بما قدم، فلا يؤاخذ أحدا بذنب غيره.

---

(١) كان عند الجاهلية عادات حرموا بها على انفسهم مالم يحرمه الله منها:

١ - اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر. شقوا اذنها وحرموا ركوبها ولم يطردوها عن ماء ولامرعى وسموها « بحيرة » اى مشقوقة الاذن.

٢ - كان الرجل منهم يقول: « اذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ثم يجعلها كالبحيرة. »

٣ - وكانوا إذا ولدت الشاة أنثى جعلوها لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وان ولدت ذكرا وأنثى لم يذبحوا الذكر لآلهتهم وقالوا عن الشاة وصلت أخاها وسموها « وصيلة ».

٤ - وكانوا اذا نتج من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ويعرف عندهم باسم « حام ».

فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

---

١٠٦ - يأيها الذين آمنوا : حينما تظهر على أحد منكم علامة الموت ، ويريد أن يوصى بشىء ، فالشهادة بينكم على الوصية : أن يشهد اثنان عادلان من أقاربكم ، أو آخران من غيركم ، إذا كنتم فى سفر ، وظهرت أمارات الموت ، تحبسون هذين الشاهدين بعد أداء الصلاة التى يجتمع عليها الناس . فيحلفان بالله قائلين : لا نستبدل بيمينه عوضا ، ولو كان فيه نفع لنا أو لأحد من أقاربنا ، ولا نخفى الشهادة التى أمرنا الله بأدائها صحيحة . انا إذا أخفينا الشهادة أو قلنا غير الحق ، لنكونن من الظالمين المستحقين لعذاب الله .

١٠٧ - فإذا ظهر أن الشاهدين قد كذبا فى شهادتها ، أو أخفيا شيئا ، فإن اثنين من أقرب المستحقين لتركة الميت ، هما أحق أن يقفا مكان الشاهدين ، بعد الصلاة ليظهرا كذبهما فيحلفا بالله أن الشاهدين قد كذبا وأن يميننا أولى بالقبول من يمينهما ، ولم نتجاوز الحق فى أيماننا ، ولم نتهم الشاهدين زورا ، فإننا لو فعلنا ذلك نكون من الظالمين المستحقين عقاب من يظلم غيره .

١٠٨ - هذا التشريع أقرب الطرق إلى أن يؤدى الشهداء شهادتهم صحيحة محافظة على حلفهم بالله ، أو خوفا من فضيحتهم بظهور كذبهم ، إذا حلف الورثة لرد أيمانهم . وراقبوا الله فى أيمانكم وأماناتكم ، وأطيعوا أحكامه راضين بها ، فإن فيها مصالحكم ، ولا تخالفوها فتكونوا من الخارجين على الله ، فإن الله لا ينفع بإرشاده من خرج على طاعته . . .

١٠٩ - وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كل الرسل ويسألهم قائلا لهم : ماذا أجابتكم به أممكم الذين أرسلتكم اليهم ؟ أبالايمان أم بالانكار ؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحجة بشهادة رسلهم ، بأننا لا نعلم ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا اليهم ، وأنت وحدك الذى تعلم ذلك ، لأنك الذى أحاط علمه بالخفايا كما أحاط بالظواهر .

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ

---

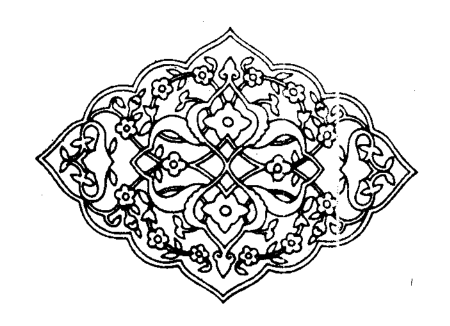
١١٠ - وفى ذلك الوقت ينادى الله عيسى بن مريم من بين الرسل فيقول له : اذكر ما أنعمت به عليك وعلى أمك فى الدنيا ، حينما ثبتك بالوحى وأنطقتك وأنت رضيع بما يبرىء أمك مما أتهمت به ، كما أنطقتك وأنت كبير بما قد أوحيت إليك ، وحينما أنعمت عليك بتعليمك الكتابة ، ووفقتك للصواب من القول والعمل ، وعلمتك كتاب موسى والانجيل الذى أنزلته عليك ، وأقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر ، حيث تتخذ من الطين صورة الطير بإذن الله ، فتنفخ فيها فتصبح طائرا حيا بقدرة الله لا بقدرتك ، وتشفى من العمى من ولد أعمى ، وتشفى الأبرص من برصه بإذن الله وقدرته ، وحينما يجرى على يديك احياء الموتى بإذن الله وقدرته ، وحينما منعت اليهود من قتلك وصلبك عندما أتيتهم بالمعجزات ليؤمنوا ، فأعرض فريق منهم ، وادعوا أن ما أظهرته من المعجزات ما هو إلا من قبيل السحر الواضح . .

١١١ - واذكر أيها الرسول لأمتك ما حدث حين ألهمنا جماعة ممن دعاهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى ، فاستجابوا له ، وصاروا من خاصة أصحابه ، وقالوا : آمنا ، واشهد ياربنا بأننا مخلصون منقادون لأوامرك .

١١٢ - اذكر أيها النبى ما حدث حين قال أتباع عيسى المخلصون : يا عيسى بن مريم ، هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاما من السماء ؟

قال لهم عيسى ردا عليهم : ان كنتم مؤمنين بالله ، فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حججا غير التى قدمتها .

١١٣ - قالوا : اننا نريد أن نأكل من هذه المائدة لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله ، ونعلم عن معاينة أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها .



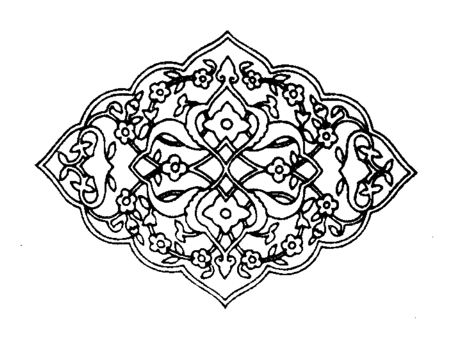
ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ

---

١١٤ ـ فاستجاب لهم عيسى وقال : يا ربنا ومالك أمرنا ، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيدا للمؤمنين منا ، المتقدمين والمتأخرين ، ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك ، وارزقنا رزقا طيبا ، وأنت خير الرازقين .

١١٥ ـ قال الله له : انى سأنزل المائدة عليكم من السماء ، فأى امرىء منكم يجحد هذه النعمة بعد انزالها ، فإنى أعاقبه عقابا لا أعاقب بمثله أحدا من الناس ، لأنه كفر بعد ما شاهد دليل الايمان الذى اقترحه .

١١٦ ـ واذكر أيها النبى ما سيحدث يوم القيامة ، حين يقول الله لعيسى ابن مريم قولا يعلن الحق : أأنت الذى قلت لهم اجعلونى أنا وأمى الهين ، تاركين افراد الله بالعبودية ؟ قال عيسى : أنزهك تنزيها تاما عن أن يكون لك شريك ، ولا يصح لى أن أطلب طلبا ليس لى أدنى حق فيه . لو كنت قلت ذلك لعلمته ، لأنك تعلم خفايا نفسى ، فضلا عن مظاهر قولى ، ولا أعلم ما تخفيه عنى ! انك وحدك صاحب العلم المحيط بكل خفى وغائب .



عليهم وأنت على كل شىء شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨)
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير (١٢٠)

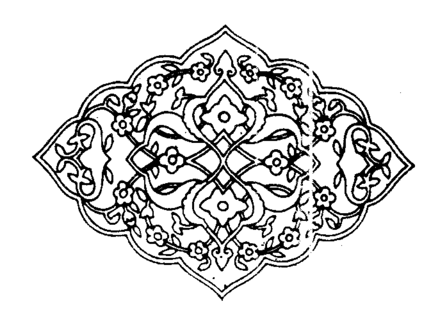
---

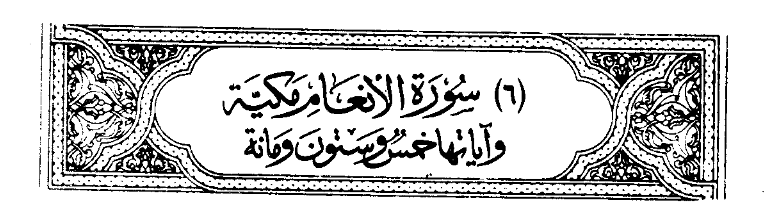
١١٧ ـ ما قلت لهم الا ما أمرتنى بتبليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله وحده ، فإنه مالك أمرى وأمركم . وكنت أعلم حالهم وأنا موجود بينهم ، فلما انتهى أجل اقامتى الذى قدرته بينهم ، كنت أنت وحدك المطلع عليهم ، وأنت مطلع على كل شىء .

١١٨ ـ ان تعذبهم بما فعلوا ، فإنهم عبادك تتصرف فيهم كما تريد ، وان تعف عنهم ، فإنك وحدك القاهر الذى لا يغلب ، ذو الحكمة البالغة فى كل ما يصدر عنه .

١١٩ ـ يقول الله : هذا هو اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم ، لهم حدائق تجرى تحت أشجارها الأنهار ، وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدا ، يتمتعون فيها برضوان الله عنهم ورضاهم بثوابه ، وذلك النعيم هو الفوز العظيم .

١٢٠ ـ لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهن ، فهو وحده المستحق للعبادة ، وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل ما يريد .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

هى سورة مكية ، إلا الآيات : ٢٠ ، ٢٣ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

وآياتها ١٦٥ ، نزلت بعد سورة الحجر . وتتضمن هذه السورة الكريمة معانى قد فصلتها :

* نبهت الناس إلى الكون وما فيه من دلالة على عظم المنشىء وجلاله ووحدانيته ، وأنه لا يشاركه فى الخلق ولا فى العبادة ولا فى الذات أحد .

* وتضمنت قصص بعض النبيين ، وابتدأت بقصة ابراهيم عليه السلام ، وبيان أنه أخذ معنى العبادة والوحدانية من مطالعة الكون ، وتتبع ما فيه ، وقد ابتدأ بتتبع النجوم ، ثم القمر ثم الشمس ، وانتهى بالتتبع إلى عبادة الله وحده .

* ووجهت الأنظار إلى عجائب الخلق والتكوين ، وبينت كيف ينبت الحى الرطب من الجامد اليابس وكيف يفلق الحب فيكون منه النبات .

* وقد ذكرت صفات الجاحدين ، وكيف يتعلقون بأوهام تبعدهم عن الحق ، وتضلهم .

* وفيها بيان الحلال الذى أحله الله تعالى فى الأطعمة ، وضلال المشركين فيما حرموه على أنفسهم من غير أن يعتمدوا على دليل ، وكيف ينسبون التحريم إليه سبحانه .

* وفيها بيان هذه الأوامر التى هى خلاصة الاسلام والأخلاق الحميدة ، وهى : تحريم الشرك ، والزنى ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، ووجوب ايفاء الكيل والميزان ، وتحقيق العدالة ، والوفاء بالعهد ، والاحسان إلى الوالدين ومنع وأد البنات .

١ ـ الثناء والذكر الجميل لله ، الذى خلق السموات والأرض ، وأوجد الظلمات والنور لمنفعة العباد بقدرته وعلى وفق حكمته ، ثم مع هذه النعم الجليلة يشرك به الكافرون ، ويجعلون له شريكا فى العبادة !

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ

٢ - هو الذى بدأ خلقكم من طين[1]، ثم قدر لحياة كل منكم زمنا ينتهى بموته والأجل عنده وحده المحدد للبعث من القبور، ثم أنتم أيها الكافرون بعد هذا تجادلون فى قدرة الله على البعث، واستحقاقه وحده للعبادة !!

٣ - وهو وحده المستحق للعبادة فى السموات وفى الأرض، يعلم ما أخفيتموه وما أظهرتموه، ويعلم ما تفعلون فيجازيكم عليه.

٤ - ولا يؤتى المشركون بدليل من أدلة خالقهم، التى تشهد بوحدانيته وصدق رسله، إلا كانوا منصرفين عنه، لا يتأملون فيه ولا يعتبرون به !

٥ - فقد كذبوا بالقرآن حين جاءهم، وهو حق لا يأتيه الباطل ! فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة، ويتبين لهم صدق وعيده الذى كانوا يسخرون منه.

٦ - ألم يعلموا أننا أهلكنا أمما كثيرة قبلهم، أعطيناهم من أسباب القوة والبقاء فى الأرض ما لم نعطكم اياه، أيها الكافرون، ووسعنا عليهم فى الرزق والنعيم، فأنزلنا عليهم الأمطار غزيرة ينتفعون بها فى حياتهم، وجعلنا مياه الأنهار تجرى من تحت قصورهم، فلم يشكروا هذه النعم. فأهلكناهم بسبب شركهم وكثرة ذنوبهم، وأوجدنا من بعد أناسا غيرهم خيرا منهم.

٧ - ولو أنزلنا عليك، أيها النبى، دليل رسالتك مكتوبا فى ورق، فرأوه بأعينهم، وتأكدوا منه بوضع أيديهم عليه، لقالوا تعنتا: ما هذا الذى نلمسه إلا سحر ظاهر !!

---

(١) تصلح هذه الآية لان يكون المراد منها خلق آدم ابى البشر من طين كما جاء فى آيات أخرى وان يكون المراد منها ان جسم الانسان مكون بنسب خاصة من عناصر الطين نفسه ولكن قدرة الخالق سبحانه وتعالى خلقت فى هذه العناصر الحياة فصارت بشرا سويا.

ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ

---

٨ ـ وقالوا : نطلب أن ينزل الله عليك ملكاً يصدقك . ولو استجبنا لهم ، وأرسلنا معه ملكا كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر بإهلاكهم ، ثم لا يمهلون لحظة .

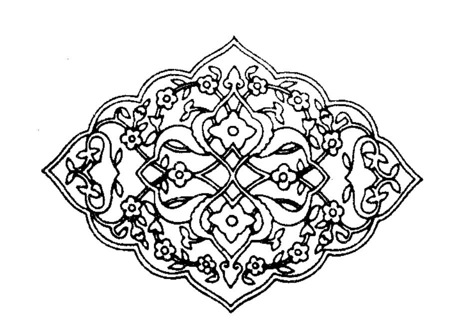
٩ ـ ولو جعلنا المؤيد للرسول ملكا كما طلبوا ، لجعلناه على هيئة بشر ، حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه ، فانهم لا يقدرون على رؤية الملك فى صورته الأصلية ، ولاشتبه عليهم الأمر واختلط بإرساله فى صورة بشر ، وأوقعناهم فى نفس الخطأ الذى يتخبطون فيه .

١٠ ـ ولقد سخر الكفار كثيرا برسل من قبلك أيها النبى ، فأحاط بالساخرين العذاب الذى أنذرهم به رسلهم ، وقد جعلوه موضع سخريتهم من قبل .

١١ ـ قل أيها النبى لهؤلاء الكفار سيروا فى جوانب الأرض وتأملوا كيف كان الهلاك نهاية المكذبين لرسلهم فاعتبروا بهذه النهاية وذلك المصير .

١٢ ـ قل أيها النبى لهؤلاء الجاحدين : من مالك السموات والأرض ومن فيهن ؟ فإن أحجموا فقل الجواب الذى لا جواب غيره : ان مالكها هو الله وحده لا شريك له ، وأنه أوجب على نفسه الرحمة بعباده ، فلا يعجل عقوبتهم ، ويقبل توبتهم ، انه ليحشرنكم إلى يوم القيامة الذى لا شك فيه . الذين ضيعوا أنفسهم وعرضوها للعذاب فى هذا اليوم ، هم الذين لا يصدقون بالله ، ولا بيوم الحساب .

١٣ ـ ولله مافى كل زمان ، كما أن له ما فى كل مكان ، وهو السميع لكل ما يسمع ، العليم بكل ما يعلم .



أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ

---

١٤ - قل أيها النبي : لا أتخذ غير الله إلها وناصرا ، وهو وحده المنشىء للسموات والأرض على نظام لم يسبق إليه ، وهو الرازق لعباده طعامهم ، ولا يحتاج منهم إلى طعام . قل : إنى أمرنى الله أن أكون أول من أسلم ، ونهانى أن أشرك معه غيره فى العبادة .

١٥ - قل : إنى أخاف ، ان خالفت أمر ربى وعصيته ، عذاب يوم شديد .

١٦ - من يصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة ، فقد رحمه الله ، وذلك هو الفوز الثابت البين .

١٧ - وان يصبك الله بسوء فلا مزيل له إلا هو ، وان يمنحك خيرا فلا راد لفضله ، لأنه على كل شىء قدير .

١٨ - وهو الغالب بقدرته ، المستعلى على عباده ، المتصف بالحكمة فى كل ما يفعل ، المحيط علمه بما ظهر واستتر .

١٩ - قل أيها النبى لمن يكذبوك ويطلبون شهادة على رسالتك ، أى شىء أعظم شهادة وأحق بالتصديق ؟ ثم قل : ان الله أعظم شاهد بينى وبينكم على صدق ما جئتكم به ، وقد أنزل على هذا القرآن ليكون حجة لصدق ، لأحذركم به أنتم وكل من بلغه خبره ، وهو حجة قاطعة شاهدة بصدق ، لأنكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله ! . سلهم : أأنتم الذين تقولون معتقدين أن مع الله آلهة غيره ؟ ثم قل لهم : لا أشهد بذلك ، ولا أقوله ، ولا أقركم عليه ، وإنما المعبود بحق اله واحد ، واننى برىء مما تشركون به من أوثان .

٢٠ - الذين آتيناهم الكتب السماوية من اليهود والنصارى ، يعرفون محمدا وصدق رسالته ، من هذه الكتب ، كمعرفتهم أبناءهم . ان الذين ضيعوا أنفسهم ، لا يقرون بما يعرفون ، فهم لا يؤمنون .

مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ

---

٢١ - وليس أحد أشد ظلما لنفسه وللحق ممن افترى على الله الكذب ، وادعى أن له ولدا أو شريكا ، أو نسب اليه ما لا يليق ، أو أنكر أدلته الدالة على وحدانيته وصدق رسله ! ان الظالمين لا يفوزون بخير فى الدنيا والآخرة .

٢٢ - واذكر لهم ما سيحصل يوم نجمع الخلق كلهم للحساب ، ثم نقول توبيخا للذين عبدوا مع الله غيره : أين الذين جعلتموهم شركاء لله لينفعوكم ؟

٢٣ - ثم لم تكن نتيجة محنتهم الشديدة فى هذا الموقف إلا محاولة التخلص من شركهم السابق بالكذب ، فقالوا كاذبين : والله ربنا ما أشركنا فى العبادة أحدا غيرك .

٢٤ - انظر كيف غالطوا أنفسهم بهذا الكذب ، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من عبادة الأحجار ويزعمونها شركاء لله ! !.

٢٥ - ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن ، لا ليتفهموه ، وليهتدوا به وإنما ليتلمسوا سبيلا للطعن فيه والسخرية منه .

وقد حرمناهم بسبب ذلك من الانتفاع بعقولهم وأسماعهم ، كأن عقولهم فى أغطية تحجب عنهم الادراك الصحيح ، وكأن فى آذانهم صمما يحول دون سماع آيات القرآن . وان يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى إذا جاءوك ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفوعين بكفرهم : ما هذا إلا أباطيل سطرها من قبلك الأولون .

٢٦ - وهم ينهون الناس عن الايمان بالقرآن ، ويبتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع ! وما يضرون بذلك الصنيع إلا أنفسهم ، وما يشعرون بقبح ما يفعلون .

تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

---

٢٧ - ولو ترى، أيها النبى، هؤلاء الكفار وهم واقفون على النار يعانون أهوالها، لرأيت أمرا غريبا رهيبا، إذ يتمنون الرجوع إلى الدنيا، ويقولون: ياليتنا نرد إليها لنصلح ما أفسدنا، ولا نكذب بآيات ربنا، ونكون من المؤمنين!

٢٨ - وليس قولهم هذا، إلا لأنه قد ظهر لهم مالا يمكن إخفاؤه والمكابرة فيه، مما كان يخبرهم به الرسول! ولو ردوا إلى الدنيا كما يتمنون، لعادوا إلى الكفر الذى نهاهم الله عنه، لغرورهم بزخرفها واطاعة أهوائهم! وانهم لكاذبون فى دعواهم الايمان إذا ردوا إلى الدنيا!

٢٩ - ولو أعيدوا إلى الدنيا لعادوا إلى سيرتهم الأولى وقالوا: ليس لنا حياة إلا هذه الحياة الدنيا، وما نحن بعد ذلك بمبعوثين!

٣٠ - لو تراهم حين يقفون للحساب أمام ربهم، ويعرفون صدق ما أنزله على رسله، لرأيت سوء حالهم إذ يقول الله لهم: أليس هذا الذى تشاهدونه الآن هو الحق الذى أنكرتموه فى دنياكم؟ فيقولون متذللين: بلى وربنا انه الحق! فيقول الله لهم بعد ذلك: ادخلوا النار بسبب ما كنتم حريصين عليه من الكفر.

٣١ - قد خسر الذين أنكروا لقاء الله للحساب والجزاء يوم القيامة، وظلوا على انكارهم، حتى إذا فاجأتهم مشاهد يوم القيامة ندموا وقالوا: ياحسرتنا على اهمالنا اتباع الحق فى الدنيا! وهم يومئذ يرزحون تحت أعباء ذنوبهم! الا قبح ما يحملون من الذنوب!

٣٢ - وليست الحياة الدنيا التى حسب الكفار أنه لا حياة غيرها، والتى لا يقصد بالعمل فيها مرضاة الله، إلا لعبا لا نفع فيه، ولهوا يتلهى به!!. وأن الدار الآخرة لهى الحياة الحقيقية، وهى أنفع للذين يخافون الله فيمتثلون أمره. أفلا تعقلون هذا الأمر الواضح، أفلا تفهمون ما يضركم ولا ينفعكم؟

وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ

---

٣٣ - اننا نعلم أنه ليحزنك أيها النبي ما يقوله الكفار تكذيبا لك، فلا تحزن من ذلك. لأن الحقيقة أنهم لا يتهمونك بالكذب، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون، فينكرون بألسنتهم دلائل صدقك، وعلامات نبوتك.

٣٤ - ولقد قوبل رسل من قبلك بالتكذيب والايذاء من أقوامهم، كما فعل معك قومك. فصبروا على التكذيب والايذاء، حتى نصرناهم. فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا. ولا مغير لوعد الله بنصر الصابرين، فلابد من تحققه. ولقد قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأييدنا لهم، ما فيه تسلية لك، وما توجبه الرسالة من تحمل الشدائد.

٣٥ - وان كان قد شق عليك انصرافهم عن دعوتك، فإن استطعت أن تتخذ طريقا فى باطن الأرض، أو سلما تصعد به إلى السماء، فتأتيهم بدليل على صدقك، فافعل! وليس فى قدرتك ذلك. فأرح نفسك واصبر لحكم ربك، ولو شاء الله هدايتهم لحملهم جميعا على الايمان بما جئت به قسرا وقهرا، ولكنه تركهم لاختيارهم فلا تكونن من الذين لا يعلمون حكم الله وسنته فى الخلق.

٣٦ - إنما يجيب دعوة الحق مقبلين عليه، الذين يسمعون سماع فهم وتدبر. وأما هؤلاء فلا ينتفعون بدعوتك، لانهم فى حكم الأموات. وسيبعثهم الله يوم القيامة من القبور، ويرجعهم إليه، فيحاسبهم على ما فعلوا.

٣٧ - وقال الكفار متعنتين: نطلب أن ينزل على محمد دليل مادى من ربه يشهد بصدق دعوته! قل لهم أيها النبي: ان الله قادر على أن ينزل أى دليل تقترحونه. ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة الله فى انزال الآيات، وأنها ليست تابعة لأهوائهم، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم، ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم!!

رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

---

٣٨ - وان أقوى دليل على قدرة الله وحكمته ورحمته، أنه خلق كل شيء، وليس فى الأرض حيوان يدب فى ظاهر الأرض وباطنها، أو طائر يطير بجناحيه فى الهواء، إلا خلقها الله جماعات تماثلكم، وجعل لها خصائصها ومميزاتها ونظام حياتها. ما تركنا فى الكتاب المحفوظ عندنا شيئًا الا أثبتناه. وان كانوا قد كذبوا، فيحشرون مع كل الأمم للحساب يوم القيامة[1].

٣٩ - والذين لم يصدقوا بأدلتنا الدالة على قدرتنا وصدق رسالتك، لم ينتفعوا بحواسهم فى معرفة الحق، فتخبطوا فى ضلال الشرك والعناد، تخبط الأصم الأبكم فى ظلمات الليل، لا نجاة له من الهلاك. ولو كان فى هؤلاء استعداد للخير لوفقهم الله إليه، فإنه سبحانه إذا اراد اضلال انسان لفساد قصده، تركه وشأنه، وإذا أراد هدايته لسلامة قصده، يسر له السير فى طريق الايمان الواضح المستقيم.

٤٠ - قل أيها النبى لهؤلاء الكفار: أخبرونى ان جاءكم عذاب من عند الله فى الدنيا أو جاءتكم القيامة بأهوالها، هل تتجهون لغير الله تضرعون إليه فى هذا الوقت فينفعكم شيئًا، ان كنتم صادقين فى عبادتكم لغير الله ؟

٤١ - بل انكم لا تتجهون إلا إليه، إذ تدعونه فيكشف عنكم ما تطلبون كشفه ان شاء. وفى حال هذه الشدة، تنسون ما تجعلونه لله شركاء ! !

٤٢ - لا يشق عليك، أيها النبى، ما تلاقيه من قومك. فلقد بعثنا قبلك رسلا إلى أمم كثيرة قبل أمتك فكذبوهم، فعاقبناهم بالشدائد تنزل بهم، وبما يضرهم فى أبدانهم، لعلهم يخشعون ويرجعون إلى الله.

---

(١) وما من دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون.
ونص التعليق هو:
(تنتظم الكائنات الحية فى مجموعات يختص كل منها بصفات تكوينية وظيفية وطبائع مميزة، وفى الآية الكريمة تنبيه الى تباين صور المخلوقات وطرائق معيشتها فكما أن الانسان نوع له خصائصه فكذلك سائر أنواع الاحياء. وهذا ما يكشفه علم التصنيف كلما تعمق دراسة نوع منها).

وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ

---

٤٣ - وكان ينبغى لهم أن يرجعوا إلى ربهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل استمرت قلوبهم على قسوتها ، وزين لهم الشيطان عملهم القبيح .

٤٤ - فلما تركوا الاتعاظ بما ابتليناهم من الفقر والمرض ، ابتليناهم بعد ذلك بالرزق الواسع ، ففتحنا عليهم أبوابه فى كل شىء من أسباب الرزق ، حتى إذا فرحوا بما أنعمنا به عليهم ، ولم يشكروا الله عليه ، جاءهم العذاب فجأة ، فإذا هم متحيرون يائسون ، لا يجدون للنجاة سبيلا !.

٤٥ - فأبيد هؤلاء القوم الظالمون عن آخرهم . والحمد لله مربى الخلق بالنقم والنعم ، ومطهر الأرض من فساد الظالمين .

٤٦ - قل لهم أيها النبى : أخبرونى - ان سلب الله سمعكم ، وغطى قلوبكم بما يحجبها عن الادراك ، فجعلكم صما عميا لا تفهمون شيئًا - من تعبدون غير الله ؟ ، من إله يستطيع أن يرد اليكم ما سلبه الله منكم ؟ انظر ، أيها النبى ، كيف نوضح البراهين ونتوعها ، ثم هم مع هذا يعرضون عن تدبرها والانتفاع بها !!.

٤٧ - قل : أخبرونى - ان حل بكم عذاب الله فجأة دون توقع ، أو جاءكم عيانا على ترقب ، لسبق ما ينذركم بوقوعه - هل يصيب هذا العذاب إلا القوم الذين ظلموا أنفسهم بالاصرار على الشرك والضلال ؟ انه لا يصيب غيرهم .

٤٨ - وما نرسل الأنبياء إلا ليبشروا من يؤمن بالخير والثواب ، وليحذروا من يكفر من العذاب . فمن آمن بدعوتهم وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم من شر يصيبهم ، ولا يحزنون على خير يفوتهم .

٤٩ - والذين كذبوا بالأدلة الواضحة على صدق ما جاء به الرسل ، يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن الطاعة والايمان .

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ

---

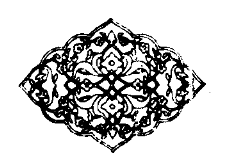
٥٠ - قل ، أيها الرسول ، لهؤلاء الكفار : لا أقول لكم انى أملك التصرف بما يملكه الله فأجيبكم إلى ما تطلبون ، ولا أدعى علم الغيب الذى لم يطلعنى الله عليه ، ولا أقول إنى ملك أستطيع الصعود إلى السماء ! إنما أنا بشر لا أتبع إلا ما يوحيه الله إلى . قل أيها النبى : هل يستوى الضال والمهتدى فى معرفة هذه الحقائق ؟ هل يليق بكم أن تعرضوا عن هدى أسوقه لكم . فلا تتأملون فيه بعقولكم حتى يتبين لكم الحق ؟

٥١ - وحذر بما فى هذا القرآن الذين يخافون من هول يوم تسوقهم فيه الملائكة للحساب والجزاء ، حيث لا ناصر لهم ولا شفيع إلا باذن الله ، ليبتعدوا عما يغضب الله .

٥٢ - ولا تستجب ، أيها النبى ، لدعوة المتكبرين من الكفار ، فتبعد عنك المستضعفين من المؤمنين ، الذين يعبدون ربهم دائما ، ولا يريدون إلا رضاه . ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين ، فلست مسئولا أمام الله عن شيء من أعمالهم ، كما أنهم ليسوا مسئولين عن شيء من أعمالك ، فان استجبت لهؤلاء الكفار المتعنتين ، وأبعدت المؤمنين ، كنت من الظالمين .

٥٣ - وبمثل هذا الابتلاء الذى جرت به سنتنا ، امتحنا المتكبرين بسبق الضعفاء إلى الاسلام ، ليقول المتكبرون مستنكرين ساخرين : هل هؤلاء الفقراء هم الذين أنعم الله عليهم من بيننا بالخير الذى يعدهم به محمد ؟ ان هؤلاء الفقراء يعرفون نعمة الله عليهم بالتوفيق إلى الايمان فيشكرونه . والله أعلم بمن يشكرون فضله ونعمه .

٥٤ - وإذا جاءك الذين يصدقون بالقرآن فقل لهم تكريما لهم : سلام عليكم ، أبشركم برحمة الله الواسعة ، التى أوجبها على نفسه تفضلا منه ، والتى تقضى بأن من عمل منكم سيئة غير متدبر نتائجها ، ثم رجع إلى الله نادما تائبا ، وأصلح أعماله ، غفر الله له ، لأنه كثير المغفرة واسع الرحمة .



نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ

---

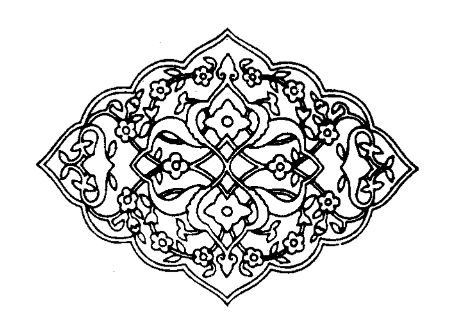
٥٥ - وبمثل ذلك البيان الواضح نوضح الدلائل المتنوعة ، ليظهر طريق الحق الذى يسلكه المؤمنون ، ويتبين طريق الباطل الذى يسلكه الكافرون .

٥٦ - قل ، أيها النبى ، لهؤلاء الكفار : ان الله قد نهانى عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله ، فلا أتبع أهواءكم ، فإنى حين أتبعكم أكون قد انحرفت عن الحق ، ولم أكن من المهتدين !

٥٧ - قل لهم : انى على شريعة واضحة منزلة من ربى وقد كذبتم القرآن الذى جاء بها ، وليس فى قدرتى أن أقدم ما تستعجلونه من العذاب ، بل هو فى قدرة الله ، ومرهون بارادته وحكمته ، وليس الأمر والسلطان إلا لله ، ان شاء عجل لكم العذاب ، وان شاء اخره ، يتبع سبحانه فى ذلك الحكمة ، وهو خير الفاصلين بينى وبينكم .

٥٨ - قل : لو أن فى قدرتى انزال العذاب الذى تتعجلونه ، لأنزلته عليكم غضبا لربى ، وانتهى الأمر بينى وبينكم بذلك ، ولكن الأمر لله وهو أعلم بما يستحقه الكافرون من العذاب العاجل أو الآجل .

٥٩ - وعند الله علم جميع أبواب المغيبات ، لا يحيط بها علما إلا هو ومن يريد اعطاءه بعضها ، ويحيط علمه كذلك بجميع الموجودات فى البر والبحر ولا تسقط ورقة ، أية ورقة كانت ، إلا يعلمها ، ولا تسقط حبة ما فى باطن الأرض ولا شىء رطب ولا يابس ، إلا وهو سبحانه محيط بعلمه احاطة تامة .



أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم

---

٦٠ - وهو الذى ينيمكم بالليل، ويوقظكم بالنهار، ويعلم ما كسبتم فيه حتى ينتهى أجل كل منكم فى الدنيا بموته، ثم يوم القيامة ترجعون جميعا إلى الله وحده، يخبركم بأعمالكم فى الدنيا من خير أو شر، ويجازيكم عليها.

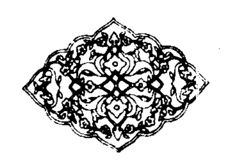
٦١ - هو الغالب بقدرته، المستعلى بسلطانه على عباده، والذى يرسل عليكم ملائكة يحصون كل أعمالكم إلى أن تجىء نهاية كل منكم، فتقبض روحه ملائكتنا الذين نرسلهم لذلك، وهم لا يقصرون فيما يوكل إليهم.

٦٢ - ثم يبعث هؤلاء الأموات يوم القيامة، ويوقفون أمام ربهم الذى يتولى وحده أمورهم بحق. اعلموا أن له وحده الفصل بين الخلائق وحسابهم فى ذلك اليوم، وهو أسرع من يتولى الحساب والجزاء.

٦٣ - قل، أيها النبى، للمشركين: من الذى ينقذكم من أهوال البر والبحر، إذا حلت بكم، فلجأتم إليه تدعونه فى خضوع ظاهر وباطن، قائلين: نقسم لئن أنقذتنا من هذه الأهوال لنكونن من المقرين بفضلك، القائمين بشكرك.

٦٤ - قل: الله وحده هو الذى ينقذكم من هذه الأهوال، ومن كل شدة أخرى، ثم أنتم مع ذلك تشركون معه فى العبادة غيره مما لا يدفع شرا ولا يجلب خيرا!!

٦٥ - قل: ان الله وحده هو الذى يقدر على أن يرسل عليكم عذابا يأتيكم من أعلاكم أو من أسفلكم. أو يجعل بعضكم لبعض عدوا، وتكونون طوائف مختلفة الأهواء متناكرة، يعذب بعضكم بعضا عذابا شديدا!!. انظر كيف دلت الدلائل على قدرتنا واستحقاقنا وحدنا للعبادة، لعلهم يتأملونها ويفهمون الحق!



بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن
تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِى
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ

---

٦٦ - وكذب قومك بالقرآن، وهو الحق الذى لا موضع فيه لتكذيب قل أيها النبى لهم: لست موكلا بحفظكم، واحصاء أعمالكم ومجازاتكم عليها، بل أمركم فيها إلى الله.

٦٧ - ولكل خبر جاء به القرآن وقت يتحقق فيه، وسوف تعلمون صدق هذه الأخبار عند وقوعها.

٦٨ - وإذا حضرت مجلس الكفار، ووجدتهم يطعنون فى آيات القرآن، أو يستهزئون بها، فانصرف عنهم حتى ينتقلوا إلى حديث آخر. وان نسيت وجالستهم فى أثناء حديثهم الباطل، ثم تذكرت أمر الله بالبعد عنهم، فلا تجلس بعد التذكر مع القوم الظالمين.

٦٩ - وليس على الذين يتقون الله شىء من اثم هؤلاء الظالمين، إذا استمروا على ضلالهم، ولكن يجب أن يذكروهم، لعلهم يخشون عذاب الله ويكفون عن الباطل.

٧٠ - واترك أيها النبى الذين اتخذوا شريعتهم اللهو واللعب، وخدعتهم الحياة الدنيا عن الآخرة، وذكر دائما بالقرآن، وحذرهم هول يوم تحبس فيه كل نفس بعملها، حيث لا ناصر ولا معين غير الله، وان كل فدية للنجاة من العذاب لا تقبل.. أولئك الكافرون الذين حبسوا فى العذاب بسبب ما عملوا من شر، لهم فى جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم بسبب كفرهم.

وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ

---

٧١ - قل لأولاء الكفار توبيخا لهم ، هل يصح أن يعبد غير الله مما لا يملك جلب نفع ، ولا دفع ضر ، وننتكس فى الشرك بعد أن وفقنا الله إلى الايمان ، ونكون كالذى غررت به الشياطين وأضلته فى الأرض ، فصار فى حيرة لا يهتدى معها إلى الطريق المستقيم ، وله رفقة مهتدون يحاولون تخليصه من الضلال ، قائلين له : ارجع إلى طريقنا السوى ، فلا يستجيب له ! قل أيها النبى : ان الاسلام هو الهدى والرشاد ، وما عداه ضلال ، وقد أمرنا الله بالانقياد له ، فهو خالق العالمين ورازقهم ومدبر أمورهم .

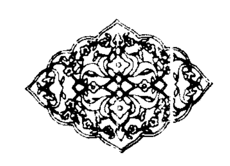
٧٢ - اعرضوا عن المشركين بعد أن تدعوهم إلى الهدى ، وانصرفوا إلى عبادة ربكم ، وأدوا الصلاة على أكمل وجه من الخضوع ، وخافوا الله ، وأدوا أوامره ، فإنه هو الذى تجمعون عنده .

٧٣ - وهو الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، وأقام خلقها على الحق والحكمة ، وفى أى وقت تتجه ارادته سبحانه إلى ايجاد شىء يوجد فورا ، يوجد الأشياء بكلمة : « كن » ، وكل قول له هو الصدق والحق ، وله وحده التصرف المطلق يوم القيامة ، حين ينفخ فى البوق ايذانا بالبعث ، وهو سبحانه الذى يستوى فى عمله الغائب والحاضر ، وهو الذى يتصرف بالحكمة فى جميع أفعاله ، والذى يحيط علمه ببواطن الأمور وظواهرها .

٧٤ - واذكر أيها النبى ما كان ، حين قال ابراهيم لأبيه آزر ، منكرا عليه عبادة غير الله : ما كان لك أن تجعل الأصنام آلهة ، انى أراك وقومك الذين يشاركونك فى هذه العبادة فى بعد واضح عن طريق الحق .

٧٥ - وكما رأى ابراهيم - بتوفيقنا - ضلال أمته وقومه فى تأليه الأصنام نريه ملكنا العظيم للسموات والأرض وما فيها ، ليقيم الحجة على قومه ، وليزداد ايمانا .

٧٦ - طلب ابراهيم ربه ، فهداه الله ، إذ ستر الليل وجه النهار بظلمته ، فرأى نجما متألقا ، قال : هذا ربى . فلما غاب ، قال مبطلا لربوبية النجم : لا أقبل عبادة الآلهة الزائلين المتغيرين !



هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

---

٧٧ - وحين رأى القمر طالعا بعد ذلك قال محدثا نفسه : هذا ربى . فلما غاب هو الآخر ، وظهر بطلان ربوبيته ، قال ليوجه نفوسهم إلى التماس الهداية : أقسم ان لم يهدنى ربى إلى الحق لأكونن من القوم الحائرين .

٧٨ - ثم رأى الشمس طالعة بعد ذلك ، فقال محدثا نفسه : هذا ربى ، لأنه أكبر ما يرى من الكواكب ، فلما غابت قال : ياقوم إنى برىء من الأصنام التى تشركونها مع الله فى العبادة .

٧٩ - بعد أن رأى ضعف المخلوقات اتجه إلى خالقها قائلا : إنى وجهت قصدى إلى عبادة الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، مجانبا كل سبيل غير سبيله - وما أنا - بعد الذى رأيت من دلائل التوحيد - ممن يرضى أن يكون من المشركين مثلهم .

٨٠ - ومع ذلك جادله قومه فى توحيد الله ، وخوفوه غضب آلهتهم ، فقال لهم : ما كان لكم أن تجادلونى فى توحيد الله وقد هدانى إلى الحق ، ولا أخاف غضب آلهتكم التى تشركونها مع الله ، لكن إذا شاء ربى شيئا من الضر وقع ذلك ، لأنه وحده القادر ، وقد أحاط علم ربى بالأشياء كلها ، ولا علم لآلهتكم بشىء منها ! ! . أتغفلون عن كل ذلك فلا تدركوا أن العاجز الجاهل لا يستحق أن يعبد ؟ !

٨١ - وأن من العجب أن أخاف آلهتكم الباطلة ، ولا تخافون أنكم عبدتم مع الله - الذى قامت الحجة على وحدانيته آلهة لم يقم دليل على أنها تستحق أن تعبد ! فأى فريق منا فى هذه الحال أحق بالطمأنينة والأمان ، ان كنتم تعلمون الحق وتدركونه ؟

٨٢ - الذين آمنوا بالله ، ولم يخلطوا ايمانهم هذا بعبادة أحد سواه ، هؤلاء وحدهم هم الأحق بالطمأنينة ، وهم وحدهم المهتدون إلى طريق الحق والخير .

ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ

---

٨٣ - وتلك الحجة العظيمة على الوهيتنا ووحدانيتنا ، أعطيناها ابراهيم ليقيمها على قومه ، فارتفع بها عليهم . وسنتنا فى عبادنا أن نرفع بالعلم والحكمة من نريد منهم درجات . ان ربك أيها النبى حكيم يضع الشىء فى موضعه ، عليم بمن يستحق الرفعة ومن لا يستحق .

٨٤ - ووهبنا لابراهيم اسحق ويعقوب بن اسحق ، ووفقنا كلا منهما إلى الحق والخير كأبيهما ، ووفقنا من قبلهم نوحا إلى ذلك ، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكما جزينا هؤلاء نجزى المحسنين بما يستحقون .

٨٥ - وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل واحد من هؤلاء من عبادنا الصالحين .

٨٦ - وهدينا اسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وفضلنا كل واحد من هؤلاء جميعا على العالمين فى زمانه ، بالهداية والنبوة .

٨٧ - واصطفينا بعض آباء هؤلاء وذرياتهم واخوانهم ، ووفقناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه .

٨٨ - ذلك التوفيق العظيم الذى ناله هؤلاء ، هو توفيق من الله ، يوفق إليه من يشاء من عباده . ولو أشرك هؤلاء المختارون لضاعت كل أعمال الخير التى يعملونها ، فلا يكون عليها ثواب .

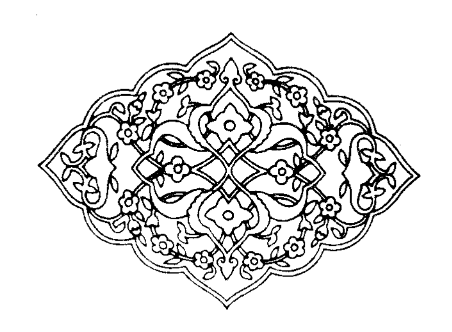
٨٩ - أولئك الذين آتيناهم الكتب المنزلة والعلم النافع وشرف النبوة ، فإن يجحد بهذه الثلاثة مشركو مكة فقد عهد برعايتها والانتفاع بها إلى قوم لا يكفرون بها .

لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ

٩٠ - أولئك الذين وفقهم الله إلى طريق الحق والخير، فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين وأمهات الفضائل، ولا تسلك غير سبيلهم. . قل أيها النبي لقومك كما قال هؤلاء لأقوامهم : لا أطلب منكم على تبليغ كلام الله أجرا ! ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين، ولا غاية لى الا أن تنتفعوا به.

٩١ - وما قدر هؤلاء الكفار الله ورحمته وحكمته حق التقدير، إذ أنكروا أن تنزل رسالته على أحد من البشر! قل أيها النبي للمشركين ومن يشايعهم على ذلك من اليهود: من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا يضىء، وهدى يرشد؟ انكم أيها اليهود تجعلون كتابته فى أجزاء متفرقة تظهرون منها ما يتفق وأهواءكم، وتخفون كثيرا مما يلجئكم إلى الايمان والتصديق بالقرآن، وعلمتم منه ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آباؤكم !! وتول أنت أيها النبى الجواب، وقل لهم: الله هو الذى أنزل التوراة، ثم اتركهم يمضون فى الضلال عابثين كالصبيان.

٩٢ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه - كما أنزلنا التوراة - كثير الخير، باق إلى يوم القيامة، مصدق لما تقدمه من الكتب المنزلة، مخبر عن نزولها، لتبشر به المؤمنين، وتخوف الكفار من أهل مكة ومن حولها فى جميع أنحاء الأرض من غضب الله، إذا لم يذعنوا له. والذين يصدقون بيوم الجزاء يحملهم رجاء الثواب والخوف من العقاب على الايمان به، وهم لذلك يحافظون على أداء صلاتهم كاملة مستوفاة.



بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ

---

٩٣ - لم يكذب النبي حين أعلن أن القرآن من عند الله ، وليس أحد أكثر ظلما ممن اختلق الكذب على الله ، أو قال : تلقيت وحيا من الله ، دون أن يكون قد تلقى شيئًا من الوحي . وليس أحد كذلك أشد ظلما ممن قال : سآتى بكلام مثل ما أنزله الله ! ولو تعلم حال الظالمين ، وهم فى شدائد الموت ، والملائكة ينزعون أرواحهم من أجسادهم فى قسوة وعنف ، لرأيت هولا رهيبا ينزل بهم ! ويقال لهم حينئذ : الآن تبدأ مجازاتكم بالعذاب المذل المهين ، جزاء ما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وجزاء استكباركم عن النظر والتدبر فى آيات الله الكونية والقرآنية .

٩٤ - ويقول لهم الله يوم القيامة : لقد تأكدتم الآن بأنفسكم أنكم بعثتم أحياء من قبوركم كما خلقناكم أول مرة ، وجئتم إلينا منفردين عن المال والولد والأصحاب ، وتركتم وراءكم فى الدنيا كل ما أعطيناكم أياه مما كنتم تغترون به ولا نرى معكم اليوم الشفعاء الذين زعمتم أنهم ينصرونكم عند الله ، وأنهم شركاء لله فى العبادة ! لقد تقطعت بينكم وبينهم كل الروابط ، وغاب عنكم ما كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم !

٩٥ - ان دلائل قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة ، وبعثه للناس من قبورهم ، متوافرة متنوعة ، فهو وحده الذى يشق الحب ، ويخرج منه النبات ، ويشق النوى ويخرج منه الشجر ، ويخرج الحى من الميت كالانسان من التراب ، ويخرج الميت من الحى كاللبن من الحيوان ، ذلك القادر العظيم هو الآله الحق ، فليس هناك صارف يصرفكم عن عبادته إلى عبادة غيره[1] .

٩٦ - هو الذى يشق غبش الصبح بضوء النهار ، ليسعى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم ، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس ، وجعل سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم .

ذلك النظام المحكم ، تدبير القادر المسيطر على الكون المحيط بكل شىء علما[2])

---

(١) من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى خلق الحب والنوى والجنين فى كل مكان منها يشغل حيزا ضيقا منها . اماباقى جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية وعندما يتنبه الجنين ويبدأ فى الانبات تتحول هذه المواد المكتنزة الى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدا فى النمو وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحبة الثانية من طور الانبات الى طور البادرة فيبدا النبات فى الاعتماد على غذائه من الاملاح المذابة فى ماء التربة التى يمتصها الجذير مع تكون الأوراق الخضراء من مواد كربوايدراتية كالسكريات والنشويات فى وجود ضوء الشمس وعندما تتم دورة حياة النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب والنوى من جديد (انظر التعليق العلمى على تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران) .

(٢) دورة الشمس هى التى علمت الناس حساب الأيام والسنين ودورة القمر هى التى علمتهم حساب الشهور . انظر أيضا التعليق العلمى على تفسير الاية (١٨٩) من سورة البقرة .

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ

---

٩٧ - وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بمواقعها إلى مقاصدكم، وأنتم سائرون فى ظلمات الليل بالبر والبحر، انا قد بينا دلائل رحمتنا وقدرتنا لقوم ينتفعون بالعلم(١).

٩٨ - هو الذى أنشأكم من أصل واحد، هو أب البشر آدم، وآدم من الأرض، فالأرض مكان استقراركم مدة حياتكم، ومستودع لكم بعد موتكم وتغييبكم فى بطنها. وقد بينا دلائل قدرتنا لقوم يدركون ويفهمون الأشياء على وجهها.

٩٩ - وهو الذى أنزل من السحاب ماء أخرج به نبات كل صنف، فأخرج من النبات شيئا غضا طريا، ونخرج منه حبا كثيرا بعضه فوق بعض، ومن طلع النخل عراجين نخرجها محملة بالثمار سهلة التناول، وأخرجنا كذلك بالماء جنات من الأعناب والزيتون والرمان، ومنها ما هو متماثل الثمر فى الشكل وغير متماثل فى الطعم والرائحة ونوع الفائدة. انظروا فى تدبر واعتبار إلى ثمره حين يثمر، وإلى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة؟ ان فى ذلك لدلائل لقوم ينشدون الحق ويؤمنون به ويذعنون له(٢).

١٠٠ - واتخذ الكافرون مع هذه الدلائل الملائكة والشياطين شركاء لله، وقد خلقهم، فلا يصح مع علمهم ذلك أن يعبدوا غيره، وهو الذى خلق الملائكة والشياطين، فلا ينبغى أن يعبدوهم وهم مخلوقون مثلهم!.. واختلق هؤلاء الكفار لله بنين: فزعم النصارى أن المسيح ابن الله، وزعم مشركو بعض العرب أن الملائكة بنات الله، وذلك جهل ومن غير علم تنزه الله تعالى عما يفترون فى أوصافه سبحانه!

---

(١) كانت الاجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر وما تزال هى المعالم التى يهتدى بها الانسان فى سفره برا وبحرا، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم الثوابت على الاخص فى تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاه غايته ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فنا دقيقا يعتمد عليه وذلك باستخدام آلات السدس وما اليها وبالرجوع الى الجداول الخاصة بذلك بل ان رجال الفضاء فى الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم فى تحديد اتجاهاتهم فى بعض مراحل اسفارهم وتستخدم بعض مجموعات النجوم كذلك فى تحديد الزمن مثل مجموعة الدب الأكبر وبذلك تم تعرف الانسان على المكان والزمان بالنجوم كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى.

(٢) توضح هذه الاية الكريمة فى النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت وتمت فى اطوارها المختلفة حتى وصلت الى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت والبروتينات والمواد الكربوايدراتية والنشويات كل هذا يتكون فى وجود ضوء الشمس عن طريق المادة الخضراء مادة اليخضور التى توجد عادة فى المجموع الخضرى للنباتات وخاصة الأوراق فهى المصنع الذى يتكون فيه تلك المركبات ومنها توزع على باقى اجزاء النبات بما فيها البذور والثمار علاوة على ان الآية الكريمة تقطع بان ماء المطر هو المصدر=

لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم

١٠١ - الله الذى أنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق : كيف يكون له ولد كما يزعم هؤلاء مع أنه لم تكن له زوجة ، وقد خلق جميع الأشياء وفيها هؤلاء الذين اتخذوهم شركاء! وهو عالم بكل شىء يحصى عليهم ما يقولون وما يفعلون ، وهو مجازيهم على قولهم وفعلهم .

١٠٢ - ذلك المتصف بصفات الكمال ، هو الله ربكم ، لا إله غيره ، خالق كل شىء مما كان وما سيكون ، فهو وحده المستحق للعبادة ، فاعبدوه ، وهو وحده المتولى كل أمر وكل شىء ، فاليه وحده المرجع والمآب .

١٠٣ - لا تبصر ذاته العيون ، وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ، وهو اللطيف فلا يغيب عنه شىء ، الخبير فلا يخفى عليه شىء .

١٠٤ - قل أيها النبى للناس : قد جاءكم من خالقكم ومالك أمركم حجج وبينات فى القرآن ، تنير لكم طريق الحق ، فمن انتفع بها فانتفاعه لنفسه ومن أعرض عنها فقد جنى على نفسه ! ولست أنا بمحافظ عليكم ، بل أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به اليكم .

١٠٥ - ومثل هذا التنويع البديع فى عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا فى القرآن منوعة مفصلة ، لنقيم الحجة بها على الجاحدين ، فلا يجدوا إلا اختلاق الكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس لا من الله : ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ويذعنون له .

١٠٦ - اتبع أيها النبى ما جاءك به الوحى من الله ، مالك أمرك ومدبر شئونك ، انه وحده الإله المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين .

= الوحيد للماء العذب على الارض وطاقة الشمس هى مصدر طاقات الاحياء جميعا ، ولكن النباتات هى التى تستطيع اختزان طاقة الشمس بواسطة مادة اليخضور وتسلمها للانسان والحيوان فى المواد الغذائية العضوية التى كونتها ، وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخالق وهى ان مادة الهيموجلوبين اللازمة لتنفس الانسان وكثير من انواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور فذرات الكربون والايدروجين والاكسوجين والنيتروجين تكتنف ذرة الحديد فى جزىء الهيموجلوبين بينما هى بنفسها تكتنف ذرة الماغنسيوم فى جزىء اليخضور كما انه اتضح من البحوث الطبية ان مادة اليخضور عندما يتمثلها جسم الانسان تندمج فى خلاياه فتقويها وتساعدها على القضاء على جراثيم الأمراض فتتيح لأنسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الأمراض .

وفى آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه » .

وفى هذه الاشارة سبق لعلم النبات الحديث فى ماوصل اليه من الاعتماد فى دراسته على مشاهدة الشكل الخارجى لاعضائه كافة فى ادواره المختلفة .

بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ

---

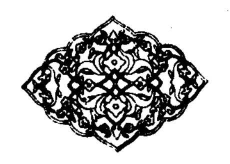
١٠٧ - ولو أراد الله أن يعبدوه وحده لقهرهم على ذلك بقوته وقدرته ، ولكنه تركه لاختيارهم ، وما جعلناك رقيبا على أعمالهم ، وما أنت بمكلف أن تقوم عنهم بتدبير شئونهم واصلاح أمرهم .

١٠٨ - لا تسبوا ، أيها المؤمنون ، أصنام المشركين التى يعبدونها من دون الله ، فيحملهم الغضب لها على اغاظتكم بسب الله تعديا وسفها . مثل مازينا لهؤلاء حب أصنامهم يكون لكل أمة عملها حسب استعدادها ، ثم يكون مصير الجميع إلى الله وحده يوم القيامة ، فيخبرهم بأعمالهم ويجازيهم عليها .

١٠٩ - وأقسم المشركون بأقصى ايمانهم لئن جاءتهم آية مادية من الآيات التى اقترحوها ، ليكونن ذلك سببا فى ايمانهم ! ! قل يا أيها النبى : ان هذه الآيات من عند الله ، فهو وحده القادر عليها ، وليس لى يد فيها ، انكم أيها المؤمنون لاتدرون ما سبق به علمى من أنهم إذا جاءتهم هذه الآيات لا يؤمنون .

١١٠ - وانكم لا تدرون أيضا أننا نقلب قلوبهم عند مجىء الآيات بالخواطر والتأويلات ، ونقلب أبصارهم بتوهم التخيلات ، فيكونون بعد الآيات كحالهم قبلها ، وندعهم فى ظلمهم وعنادهم يتخبطون .

١١١ - ان أولئك الذين أقسموا : إذا جاءتهم آية ليؤمنن بها ، كاذبون ، والله أعلم بإيمانهم ، ولو أننا نزلنا الملائكة يرونهم رأى العين ، وكلمهم الموتى بعد احيائهم واخراجهم من قبورهم ، وجمعنا لهم كل شىء مقابلا لهم مواجها يبين لهم الحق ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله تعالى أن يؤمنوا ، والأكثرون لا يدركون الحق ولا يذعنون له ، لما أصاب قلوبهم من عمياء الجاهلية .



وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ

---

١١٢ - وكما أن هؤلاء عادوك وعاندوك وأنت تريد هدايتهم ، جعلنا لكل نبى يبلغ عنا أعداء من عتاة الانس ، وعتاة الجن الذين يخفون عنك ولا تراهم ، يوسوس بعضهم لبعض بكلام مزخرف مموه لا حقيقة له ، فيلقون بذلك فيهم الغرور بالباطل ! وذلك كله بتقدير الله ومشيئته ، ولو شاء ما فعلوه ، ولكنه لتمحيص قلوب المؤمنين. فاترك الضالين وكفرهم بأقوالهم التى يقترفونها .

١١٣ - وانهم يموهون القول الباطل ليغروا أنفسهم ويرضوه ، ولتميل إليه قلوب من على شاكلة أولئك العتاة الذين لا يذعنون للآخرة ، ويعتقدون أن الحياة هى الدنيا ، وليقعوا بسبب عدم اعتقادهم باليوم الآخر فيما يقترفون من آثام وفجور .

١١٤ - قل لهم أيها النبى : هذا حكم الله بالحق بينته الآيات الساطعة ، فلا يسوغ أن أطلب حكما غيره يفصل بينى وبينكم ، وقد حكم سبحانه فأنزل الكتاب الكريم حجة لى عليكم ، وقد عجزتم أن تأتوا بمثله ، وهو مبين للحق وللعدل ، وان الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه منزل من عند الله مشتملا على الحق ، كما بشرت كتبهم . وان حاولوا اخفاء ذلك وكتمانه ، فلا تكونن يأيها النبى ، أنت ومن اتبعك ، من الذين يشكون فى الحق بعد بيانه .

١١٥ - وان حكم الله قد صدر ، فتمت كلمات ربك الصادقة العادلة ، بانزال الكتاب الكريم مشتملا على صدق ، وفيه الميزان الصادق بين الحق والباطل ، ولا يوجد من يغير كلمات الله وكتابه ، وهو سبحانه سميع لكل ما يقال عليم بكل مايقع منهم .

١١٦ - وإذا كان سبحانه هو الحكم العدل الذى يرجع إلى كتبه فى طلب الحق ومعرفته ، فلا تتبع أيها النبى أنت ومن معك أحدا يخالف قوله الحق ، ولو كانوا عددا كثيرا . فإنك ان تتبع أكثر الناس الذين لا يعتمدون على شرع منزل ، يبعدوك عن طريق الحق المستقيم وهو طريق الله تعالى ، لأنهم لا يسيرون إلا وراء الظنون والأوهام ، وان هم إلا يقولون عن تخمين لا يبنى على برهان .

١١٧ - وان ربك هو العليم علما ليس مثله علم بالذين بعدوا عن طريق الحق ، والذين اهتدوا إليه وصارت الهداية وصفا لهم .

إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا

---

١١٨ - واذا كان الله تعالى هو الذى يعلم المهتدين والضالين ، فلا تلتفتوا الى ضلال المشركين فى تحريم بعض الأنعام ، وكلوا منها ، فقد رزقكم الله تعالى اياها ، وجعلها حلالاً وطيبة لا ضرر فى أكلها ، واذكروا اسم الله تعالى عليها عند ذبحها ، ما دمتم مؤمنين به ، مذعنين لأدلته . .

١١٩ - وانه لا يوجد أى مبرر أو دليل يمنعكم أن تأكلوا مما يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه من الأنعام ، وقد بين سبحانه وتعالى المحرم فى غير حال الاضطرار ، كالميتة والدم . وان الكثيرين من الناس يبعدون عن الحق بمحض أهوائهم ، من غير علم أوتوه ، أو برهان قام عندهم ، كأولئك العرب الذين حرموا بعض النعم عليهم . ولستم معتدين فى أكلكم ما ولد ، بل هم المعتدون بتحريم الحلال ، والله وحده هو العليم علما ليس مثله علم بالمعتدين حقاً .

١٢٠ - ليست التقوى فى تحريم ما أحل الله ، انما التقوى فى ترك الاثم ظاهره وباطنه فاتركوا الآثام فى أعمالكم ظاهرها وخفيها وان الذين يكسبون الاثم سيجزون مقدار ما اقترفوا من سيئات .

١٢١ - واذا كانت الأنعام حلالاً لكم بذبحها ، فلا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه ، اذا تركت فيه التسمية عمداً ، أو ذكر فيه اسم غير الله تعالى ، فان هذا فسق وخروج عن حكم الله ! . . وان العتاة المفسدين من ابليس وأعوانه ليوسوسون فى صدور من استولوا عليهم ، ليجادلوكم بالباطل . وليجروكم الى تحريم ما أحل الله ، وان اتبعتموهم فانكم مثلهم فى الاشراك بالله .

١٢٢ - وانكم بإيمانكم لستم مثل المشركين فى شىء ، فليس حال من كان كالميت فى ضلاله فأنار الله بصيرته بالهداية التى هى كالحياة ، وجعل له نور الايمان والحجج البينات ، يهتدى به ويمشى على ضوئه ، كحال الذى يعيش فى الظلام المتكاثف . وكما زين الله الايمان فى قلوب أهل الايمان ، زين الشيطان الشرك فى نفوس الظالمين الجاحدين .

يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا

---

١٢٣ - لا تعجب أيها النبى اذا رأيت أكابر المجرمين فى مكة يدبرون الشر ويتفننون فيه !. فكذلك الشأن فى كل مدينة كبيرة يدبر الشر فيها الأكابر من المجرمين، وعاقبته عليهم، وهم لا يشعرون ولا يحسون بذلك.

١٢٤ - وان هؤلاء الكبار من المجرمين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من علم ونبوة وهداية، فاذا جاءتهم حجة قاطعة لا يذعنون لها، ولكن يقولون: لن نذعن للحق حتى ينزل علينا الوحى كما ينزل على الرسل، والله وحده هو الذى يصطفى لرسالته من يشاء من خلقه، وان هؤلاء المعاندين اذا كانوا يطلبون الرياسة بهذا العناد، فسينالهم الصغار والذل فى الدنيا بسببه، وسينالهم العذاب الشديد فى الآخرة بسبب تدبيرهم السئ.

١٢٥ - اذا كان أولئك قد ضلوا واهتديتم، فبارادة الله تعالى وقضائه، فمن يكتب له الهداية يتسع صدره لنور الاسلام، ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقاً شديد الضيق. كأنه من الضيق كمن يصعد الى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسماء، فتتصاعد انفاسه ولا يستطيع شيئاً ! وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الذين ليس من شأنهم الايمان.

١٢٦ - وهذا الذى بيناه هو طريق الحق المستقيم، قد فصلناه ووضحناه للناس، ولا ينتفع به الا الذين من شأنهم التذكر وطلب الهداية.

١٢٧ - ولهؤلاء المتذكرين المؤمنين دار الأمن، وهى الجنة، وهم فى ولاية الله ومحبته ونصرته، بسبب ما عملوا فى الدنيا من خير.

بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم

---

١٢٨ - واذا كان الذين سلكوا صراط الله المستقيم لهم الأمن وولاية الله ، فالذين سلكوا طريق الشيطان لهم جزاء ما ارتكبوا ، حين يحشر الجميع يوم القيامة ، ويقول جل جلاله للآثمين من الجن والانس : أيها المجتمعون من الجن قد اكثرتم من اغواء الانس حتى تبعكم منهم عدد كثير ! . فيقول الذين اتبعوهم من الانس : يا خالقنا والقائم علينا ، قد انتفع بعضنا ببعض ، واستمتعنا بالشهوات ، وبلغنا أجلنا الذى حددته لنا . فيقول جل جلاله : مقركم النار خالدين فيها الا من شاء الله أن ينقذهم ممن لم ينكروا رسالة الله . وان أفعال الله دائماً على مقتضى الحكمة والعلم .

١٢٩ - وكما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض ، فجعل بعض الظالمين أولياء لبعض بسبب ما يكتسبون من كبائر .

١٣٠ - والله تعالى يقول لهم يوم القيامة : يأيها الانس والجن ، لقد جاءتكم الرسل يذكرون لكم الحجج والبينات ، ويتلون عليكم الآيات ، وينذرونكم لقاء الله فى يومكم هذا ، فكيف تكذبون ؟ فأجابوا : قد أقررنا على أنفسنا بما ارتكبنا ، وقد خدعتهم الحياة الدنيا بمتعها ، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين .

١٣١ - وان إرسال الرسل منذرين مبينين انما كان لأن ربك أيها النبى لا يهلك القرى بظلمهم وأهلها غافلون عن الحق ، بل لابد أن يبين لهم وينذرهم .

١٣٢ - ولكل عامل خير أو عامل شر درجاته من جزاء ما يعمله ، إن خيرا فخير ، وان شراً فشر ، والله سبحانه وهو الخالق البارىء غير غافل عما يعملون ، بل ان عملهم فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

مَا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ

---

١٣٣ - والله ربك هو الغنى عن العباد والعبادة ، وهو وحده صاحب الرحمة الشاملة ، وبمقتضاها أمركم بالخير ونهاكم عن الشر ، وهو القادر ان يشأ يذهبكم ويجعل فى الأرض خلفاء من بعدكم على حسب مشيئته ، وليس ذلك يصعب عليه سبحانه ، فقد خلقكم من ذرية آخرين سبقوكم ، وكنتم وارثين الأرض من بعدهم .

١٣٤ - وان الذى ينذركم به من عقاب ، ويبشركم به من ثواب بعد البعث والجمع والحساب ، آت لا محالة ، وما أنتم بمعجزين من يطلبكم يومئذ ، فلا قدرة لكم على الامتناع عن الجمع والحساب .

١٣٥ - قل أيها النبى لهم مهدداً : اعملوا على النحو الذى اخترتموه بكل ما فى قدرتكم ، وانى عامل فى ناحية الحق ، وستعلمون حتماً من تكون له العاقبة الحسنة فى الدار الآخرة ، وهى لأهل الحق لا محالة ، لأنكم ظالمون والله تعالى لم يكتب الفوز للظالمين .

١٣٦ - المشركون الذين يعبدون الأوثان فى أوهام مستمرة ، فهم يجعلون مما خلق الله تعالى وأنشأه ، من الزرع ومن الابل والبقر والغنم ، جزءاً لله تعالى ينفقونه على الضيفان والمحتاجين ، وجزءاً آخر ينفقونه على خدمة الأوثان التى جعلوها شركاء لله تعالى بزعمهم ، فما يجعلونه للأوثان يصل الى أوثانهم فينفقونه عليها ، وما يجعلونه لله بزعمهم لا يصل شىء منه الى الضيفان والفقراء ، وما أسوأ حكمهم الظالم ، لأنهم جعلوا الأوثان نظراء لخالق الحرث والنسل ، ولأنهم لا ينفقون ما جعلوه لله فى مصارفه .

١٣٧ - وكما زينت لهم أوهامهم تلك القسمة الظالمة لما خلق الله من حرث وابل وبقر وغنم ، قد زينت لهم أوهامهم فى الأوثان التى زعموها شركاء لله قتل أولادهم عند الولادة ، وأن ينذروا لآلهتهم ذبح أولادهم ! وان تلك الأوهام ترديهم وتخلط عليهم أمر الدين . فلا يدركونه على وجهه ! واذا كانت الأوهام لها ذلك السلطان على عقولهم ، فاتركهم وما يفترونه على الله تعالى وعليك وسينالون عقاب ما يفترون ، وتلك مشيئة الله ، فلو شاء ما فعلوا .

ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ

١٣٨ - ومن أوهامهم أنهم يقولون : هذه ابل وبقر وغنم وزرع ممنوعة ، لا يأكلها أحد الا من يشاءون من خدمة الأوثان ، وذلك من زعمهم الباطل ، لا من عند الله . وقالوا أيضاً : هذه ابل حرمت ظهورها فلا يركبها أحد ، وهم مع ذلك لا يذكرون اسم الله تعالى عند ذبح ما يذبحون من ابل وبقر وغنم ، وذلك لكذبهم على الله تعالى بشركهم ، والله تعالى سيجزيهم بالعذاب فى الآخرة ، بسبب افترائهم وتحريمهم ما يحرمون من غير تحريم الله تعالى .

١٣٩ - ومن أوهام هؤلاء المشركين أنهم يقولون : ما فى بطون الأنعام التى جعلوها محجورة ممنوعة لا تذبح ولا تركب ، ما فى بطونها من أجنة خالص للذكور من الرجال ، ويحرم منه النساء ، ومع ذلك اذا نزل ميتاً فهم شركاء فيه ، يأكلون منه ، سيجزيهم الله تعالى على كذبهم الذى وصفوا به فعلهم ، اذ ادعوا ان هذا التحريم من عند الله تعالى ، وان الله عليم بكل شىء ، حكيم ، كل افعاله على مقتضى الحكمة وهو يجزى الآثمين باثمهم .

١٤٠ - وقد خسر أولئك الذين قتلوا أولادهم حمقاً ووهماً ، غير عالمين مغبة عملهم وداعيه ، وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله من زرع وحيوان ، مفترين على الله بادعاء أنه هو الذى حرم ، وقد بعدوا عن الحق بسبب ذلك ، وما كانوا بسبب هذا الافتراء ممن يتصفون بالهداية .

١٤١ - الله وحده هو الذى خلق حدائق من الكرم ، منها ما يغرس ويرفع على دعائم ، ومنها ما لا يقوم على دعائم وخلق النخل والزرع الذى يخرج ثمراً مختلفاً فى اللون والطعم والشكل والرائحة وغير ذلك ، وخلق الزيتون والرمان متشابهاً فى بعض الصفات وغير متشابه فى بعضها الآخر ، مع أن التربة قد تكون واحدة وتسق جميعها بماء واحد . فكلوا من ثمرها اذا طاب لكم ، وأخرجوا منها الصدقة عند نضجها وجمعها ، ولا تسرفوا فى الأكل فتضروا انفسكم وتضروا الفقراء فى حقهم ، ان الله لا يرضى عن المسرفين فى تصرفاتهم وأعمالهم .

حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

---

١٤٢ - وخلق الله من الأنعام، وهى الابل والبقر والضأن والماعز، ما يحمل أثقالكم، وما تتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها فراشاً، وهى رزق الله لكم، فكلوا ما أحل الله منها ولا تتبعوا الشيطان وأولياءه فى افتراء التحليل والتحريم، كما كان يفعل أهل الجاهلية !. ان الشيطان لا يريد لكم الخير، لأنه عدو ظاهر العداوة.

١٤٣ - خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكراً وانثى، فهى ثمانية أزواج خلق من الضأن زوجين، ومن الماعز زوجين، وقل يا محمد للمشركين منكراً عليهم تحريم ما حرموا من هذا، ما علة تحريم هذه الأزواج كما تزعمون ؟ أهى كونها ذكوراً ؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً ! أم هى كونها اناثاً ؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الاناث أحياناً ! أم هى اشتمال الأرحام عليها ! ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام ! أخبرونى بمستند صحيح يعتمد عليه، ان كنتم صادقين فيما تزعمون من التحليل والتحريم.

١٤٤ - وخلق الله من الابل زوجين، ومن البقر زوجين. قل لهم يا محمد منكراً عليهم : ماعلة التحريم لما حرمتم من هذه الأزواج كما تزعمون ؟ أهى كونها ذكوراً ؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً أهى كونها اناثاً ؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الاناث أحياناً ! أم هى اشتمال الأرحام عليها ؟ ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام، وتزعمون أن هذا التحريم من عند الله ! أكنتم حاضرين حين وجه اليكم الله هذا التحريم فسمعتم نهيه ؟ لم يكن ذلك قطعاً. انتهوا عما انتم فيه، فهو ظلم، وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فنسب اليه ما لم يصدر عنه، ولا سند له من علم يعتمد عليه، وانما يريد بذلك اضلال الناس ! ان الله لا يوفق الظالمين اذا اختاروا طريق الباطل.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ

---

١٤٥ - قل ، أيها النبي . لا أجد الآن فى مصدر التحليل والتحريم الذى أوحى به الى طعاماً محرماً على آكل يأكله ، الا أن يكون هذا الشىء ميتة لم تذك ذكاة شرعية ، أو دماً سائلاً ، أو لحم خنزير ، فان ذلك المذكور ضار خبيث لا يجوز أكله والا أن يكون هذا الشىء المحرم فيه خروج من العقيدة الصحيحة ، بأن ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، كصنم أو معبود آخر ! على أن من دعته الضرورة الى أكل شىء من هذه المحرمات ، غير طالب اللذة بالأكل ، وغير متجاوز قدر الضرورة ، فلا حرج عليه لأن ربك غفور رحيم[1] .

١٤٦ - فهذا ما حرمناه عليكم . ولقد حرمنا على اليهود أكل اللحم والشحم وغيرهما من كل ماله ظفر من الحيوانات كالابل والسباع ، وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما فقط ، الا الشحوم التى حملتها ظهورها ، أو التى توجد على الأمعاء ، أو التى اختلطت بعظم . وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم ، وفطم لنفوسهم من اندفاعها فى الشهوات ، وانا لصادقون فى جميع أخبارنا التى منها هذا الخبر .

١٤٧ - فان كذبك المكذبون فيما أوحيت به اليك ، فقل لهم محذراً : ان ربكم الذى يجب أن تؤمنوا به وحده وتلتزموا أحكامه ذو رحمة واسعة لمن أطاعه ولمن عصاه أيضاً ، حيث لم يعجل بعقوبتهم ، ولكن لا ينبغى أن يغتروا بسعة رحمته ، فان عذابه لابد واقع بالمجرمين .

١٤٨ - سيقول المشركون اعتذاراً عن شركهم ، وتحريم ما أحل الله من المطاعم . . وتكذيباً لما أبلغتهم من مقت الله لما هم عليه : ان الاشراك منا وتحريم الحلال كانا بمشيئة الله ورضاه ! ولو شاء عدم ذلك وكره منا ما نحن عليه ، ما أشركنا نحن ولا أسلافنا ، ولا حرمنا شيئاً مما أحله لنا . وقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، كما كذبك هؤلاء واستمروا فى تكذيبهم حتى نزل بهم عذابنا ! قل لهؤلاء المكذبين ، هل عندكم من مستند صحيح على أن الله رضى لكم الشرك والتحليل ، فتظهروه لنا ؟ ما تتبعون فيما تقولون الا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، وما أنتم الا كاذبون فيما تزعمون .

١٤٩ - قل يا أيها النبى : لله الحجة الواضحة فى كذبكم وادعائكم ان الله رضى بعملكم ! ولا حجة لكم فيما تزعمون من الشرك والتحليل والتحريم وغيرها ، فلو شاء الله أن يوفقكم الى الهداية لهداكم اجمعين الى طريق الحق ، ولكنه لم يشأ ذلك لاختياركم سبيل الضلال .

---

(١) (انظر التعليق على تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة) .
وفى هذه الآية الكريمة نص على علة تحريم أكل لحم الخنزير بانه رجس والرجس هو النجس وقد جاء فى القاموس المحيط ان الرجس هو القذر والمأثم وكل ما استعذر من العمل والعمل المؤدى الى العذاب .
فالرجس اذن كلمة جامعة لمعانى القبح والقذر والعذر وهى تلصق بالخنزير حتى عند الشعوب التى تاكله والخنزير حيوان قارت أو رمام أى أنه ياكل مايجده فى القمامة والنفايات وفضول الانسان والحيوان ، وهذا هو السبب الرئيسى فى قيامه بدوره فى انتقال بعض الامراض الوبيلة للانسان على نحو ماهو مفصل فى التعليق السابق المشار اليه .

شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا

---

١٥٠ - قل لهم يأيها النبى هاتوا أنصاركم الذين يشهدون لكم أن الله حرم هذا الذى زعمتم أنه حرام، فان حضروا، وشهدوا، فلا تصدقهم لأنهم كاذبون. ولا تتبع أهواء هؤلاء الذين كذبوا بالأدلة الكونية والقرآن المتلو، الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركون بالله، يساوون به غيره من المعبودات الباطلة.

١٥١ - قل لهم يأيها النبى: تعالوا أبين لكم المحرمات التى ينبغى أن تهتموا بها وتبتعدوا عنها: لا تجعلوا لله شريكاً ما، بأى نوع من أنواع الشرك ولا تسيئوا الى الوالدين، بل أحسنوا اليهما احساناً بالغاً، ولا تقتلوا أولادكم بسبب فقر نزل بكم، أو تخشون نزوله فى المستقبل، فلستم أنتم الرازقين، بل نحن الذين نرزقكم ونرزقهم ولا تقربوا الزنا فهو من الأمور المتناهية فى القبح، سواء منها ما ظهر للناس حين اتيانه، وما لم يطلع عليه الا الله، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها لعدم موجبه، الا إذا كان القتل بحق تنفيذاً لحكم القضاء - امركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات التى تقضى بديهة العقل بالبعد عنها، لتعقلوا ذلك.

١٥٢ - ولا تتصرفوا فى مال اليتيم الا بأحسن تصرف يحفظه وينميه، واستمروا على ذلك حتى يصل اليتيم الى حالة من الرشد يستطيع معها أن يستقل بالتصرف السليم، وحينئذ ادفعوا اليه ماله، ولا تمسوا الكيل والميزان بالنقص اذا اعطيتم، أو بالزيادة اذا اخذتم، بل أوفوهما بالعدل ما وسعكم ذلك، فالله لا يكلف نفساً الا ما تستطيعه دون حرج. واذا قلتم قولاً فى حكم أو شهادة أو خبر أو نحو ذلك، فلا تميلوا عن العدل والصدق،،بل تحروا ذلك دون مراعاة لصلة من صلات الجنس أو اللون أو القرابة أو المصاهرة ولا تنقضوا عهد الله الذى أخذه عليكم بالتكاليف، ولا العهود التى تأخذونها بينكم، فيما يتعلق بالمصالح المشروعة، بل أوفوا بهذه العهود. أمركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات، لتتذكروا أن التشريع لمصلحتكم..

صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

١٥٣ - ولا تحيدوا عن النهج الذى رسمته لكم. لأنه هو الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدارين، بل اتبعوه، ولا تتبعوا الطرق الباطلة التى نهاكم الله عنها حتى لا تتفرقوا شيعا وأحزابا وتبعدوا عن صراط الله السوى. أمركم الله أمراً مؤكداً بذلك لتتجنبوا مخالفته.

١٥٤ - وقد أنزلنا التوراة على موسى اتماماً للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين، وأنزلناها تفصيلاً لكل شىء من التعاليم المناسبة لهم، وهدى الى الطريق السوى، ورحمة لهم باتباعه وذلك ليؤمن بنو اسرائيل بلقاء ربهم يوم القيامة ومحاسبتهم على هذه التكاليف.

١٥٥ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك، مشتمل على الخير الالهى والمنافع الدينية والدنيوية، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم.

١٥٦ - أنزلناه حتى لا تعتذروا عن عصيانكم وتقولوا: ان الوحى لم ينزل الا على طائفتين من قبلنا، هم أهل التوراة وأهل الانجيل، ولا علم لنا مطلقاً بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من ارشاد.

١٥٧ - وأنزلناه حتى لا تقولوا أيضاً: لو أنا أنزل علينا الوحى الذى نزل عليهم، لكنا أكثر منهم هداية وأحسن حالاً، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا لا حجة لكم بعد اليوم على عصيانكم، ولا محل لقولكم هذا، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد، ومبيناً لكم جميع ما تحتاجون اليه فى دينكم ودنياكم، وهادياً الى الطريق السوى، ورحمة لكم باتباعه. ولا يكون أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التى أنزلها فى كتبه، وآياته التى خلقها فى الكون. وأعرض عنها فلم يؤمن ولم يعمل بها! وسنعاقب الذين يعرضون عن آياتنا، ولا يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته فى الايلام، بسبب اعراضهم وعدم تدبرهم.

أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾

---

١٥٨ - لقد قامت الحجة على وجوب الايمان، ولم يؤمن هؤلاء، فماذا ينتظرون لكي يؤمنوا؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلاً بدل البشر، أو شاهدين على صدقك؟ أو أن يأتيهم ربك ليروه، أو يشهد بصدقك؟ أو أن تأتيهم بعض علامات ربك لتشهد على صدقك؟! وعندما تأتى علامات ربك مما يلجئهم الى الايمان لا ينفعهم ايمانهم، لأنه ايمان اضطرار، ولا ينفع العاصى ان يتوب ويطيع الآن، فقد انتهت مرحلة التكليف، قل لهؤلاء المعرضين المكذبين انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة، واستمروا على تكذيبكم، انا منتظرون حكم الله فيكم.

١٥٩ - ان الذين فرقوا الدين الحق الواحد بالعقائد الزائفة والتشريعات الباطلة، وصاروا بسبب ذلك أحزاباً، تحسبهم جميعاً وقلوبهم مختلفة، لست مؤاخذاً بتفرقهم وعصيانهم ولا تملك هدايتهم، فما عليك الا البلاغ، والله وحده هو الذى يملك أمرهم بالهداية والجزاء، ثم يخبرهم يوم القيامة بما كانوا يفعلونه فى الدنيا ويجازيهم عليه.

١٦٠ - من عمل صالحاً يضاعف له ثوابه الى عشرة أمثاله فضلاً وكرماً، ومن عمل عملاً سيئاً لا يعاقب الا بمقدار عصيانه، عدلاً منه تعالى، وليس هناك ظلم بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

١٦١ - قل يأيها النبى مبيناً ما أنت عليه من الدين الحق: ان ربى ارشدنى ووفقنى الى طريق مستقيم، بلغ نهاية الكمال فى الاستقامة، وكان هو الدين الذى اتبعه ابراهيم مائلاً به عن العقائد الباطلة، وما كان ابراهيم يعبد مع الله الهاً آخر كما يزعم المشركون.

١٦٢ - قل: ان صلاتى وجميع عباداتى، وما آتيه فى حال حياتى من الطاعة، وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح، كله خالص لوجه الله الذى خلق جميع الموجودات، فاستحق أن يعبد وحده وأن يطاع وحده.

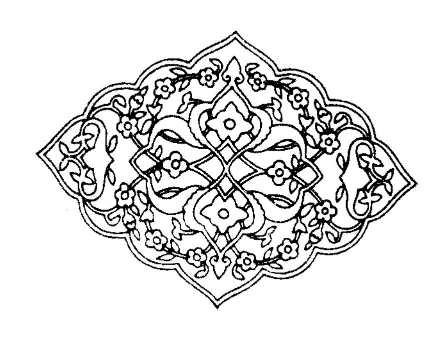
لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

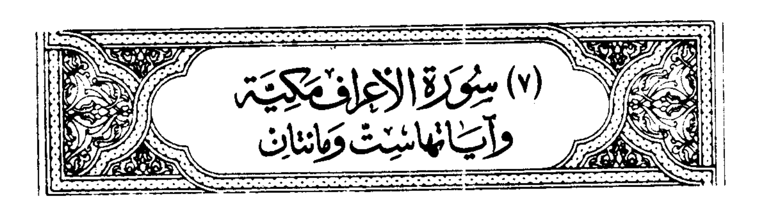
---

١٦٣ - ولا شريك له فى الخلق ، ولا فى استحقاق العبادة ، وقد أمرنى ربى بذلك الاخلاص فى التوحيد والعمل ، وأنا أول المذعنين الممتثلين ، وأكملهم اذعاناً وتسليماً .

١٦٤ - قل يا محمد ، منكراً على المشركين دعوتهم اياك لموافقتهم فى شركهم : أأطلب بالعبادة رباً غير الله ، مع أنه خالق كل شىء ؟ وقل لهم ، منكراً عليهم أنهم لا يحملون عنك خطاياك اذا وافقتهم : لا تعمل أى نفس عملا الا وقع جزاؤه عليها وحدها ، ولا تؤاخذ نفس بحمل ذنب نفس أخرى ، ثم تبعثون بعد الموت الى ربكم ، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا من العقائد ، ويجازيكم عليه ، فكيف أعصى الله اعتماداً على وعودكم الكاذبة ؟

١٦٥ - وهو الذى جعلكم خلفاء للأمم السابقة فى عمارة الكون ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الكمال المادى والمعنوى لأخذكم فى أسبابه ، ليختبركم فيما أعطاكم من النعم كيف تشكرونها ، وفيما أتاكم من الشرائع كيف تعملون بها . ان ربك سريع العقاب للمخالفين ، لأن عقابه آت لا ريب فيه وكل آت قريب ، وانه لعظيم المغفرة لمخالفات التائبين المحسنين ، وواسع الرحمة بهم .





بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا

هذه السورة مكية الا ثمانى آيات من رقم ١٦٣ الى رقم ١٧٠ ، وعدد آياتها ٢٠٦ .

وأول هذه السورة فيه امتداد لآخر سورة الأنعام ، وقد اشتملت من بعد ذلك على بدء الخليقة الانسانية ، فذكرت قصة خلق آدم وحواء ، وخروجهما من الجنة بوسوسة الشيطان ، وبيان شيء من الوسوسة المستمرة للانسان فى اللباس والطعام . ثم تعرضت آيات هذه السورة الكريمة ، كغيرها من سور القرآن ، الى النظر فى السموات والأرض وما فيهما من نظام بديع .

كما تعرضت بعد ذلك لقصص النبيين : نوح ، وهود مع قومه عاد ، ثم لقصة صالح مع قومه ثمود الذين كانوا يتسمون بالقوة وأعطوا الثروة ، ولقصة لوط مع قومه ، وذكر ما كانوا يجرءون عليه من منكرات ، ولقصة شعيب مع أهل مدين وتضمنت بعد ذلك القصص الصادق بما فيه من عبر وعظات . وقد ساق ، سبحانه وتعالى ، بعد ذلك قصة موسى ، وما كان من أمر فرعون .

وختمت السورة بتصوير من يعطى الهداية ثم ينسلخ منها بتضليل الشيطان ، وما يكون منه ، ثم بيان الدعوة الى الحق التى جاء بها محمد ﷺ .

١ - المص ، هذه الحروف الصوتية تذكر فى أوائل بعض السور المكية ، لتنبيه المشركين الى أن القرآن الكريم مكون من الحروف التى ينطقون بها ، ومع ذلك يعجزون عن الاتيان بمثله ، كما أن فى هذه الحروف اذا تليت حملاً لهم على السماع اذا تواصوا بألا يسمعوا القرآن .

٢ - أنزل اليك القرآن لتنذر به المكذبين ليؤمنوا ، وتذكر به المؤمنين ليزدادوا ايماناً ، فلا يكن فى صدرك ضيق عند تبليغه خوفاً من التكذيب .

٣ - اتبعوا ما أوحاه اليكم ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء تستجيبون لهم وتستعينون بهم . انكم قلما تتعظون حين تتركون دين الله وتتبعون غيره مع أن العبر فى ذلك كثيرة .

بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾
فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم
بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

---

٤ - فقد أهلكنا قرى عدة ، بسبب عبادة أهلها غير الله وسلوكهم غير طريقه ، بأن جاءهم عذابنا فى وقت غفلتهم واطمئنانهم ليلاً وهم نائمون ، كما حدث لقوم لوط ، أو نهاراً وهم مستريحون وقت القيلولة كقوم شعيب .

٥ - فاعترفوا بذنبهم الذى كان سبب نكبتهم فما كان منهم عندما رأوا عذابنا الا أن قالوا ـ حيث لا ينفعهم ذلك ـ انا كنا ظالمين لأنفسنا بالمعصية ولم يظلمنا الله بعذابه .

٦ - وسيكون حساب الله يوم القيامة دقيقاً عادلاً ، فلنسألن الناس الذين ارسلت اليهم الرسل : هل بلغتهم الرسالة ؟ وبماذا أجابوا المرسلين ؟ ولنسألن الرسل أيضاً : هل بلغتم ما أنزل اليكم من ربكم ؟ وبماذا أجابكم أقوامكم ؟

٧ - ولنخبرن الجميع اخباراً صادقاً بجميع ما كان منهم ، لأننا أحصينا عليهم كل شىء فما كنا غائبين عنهم ، ولا جاهلين لما كانوا يعملون .

٨ - ويوم نسألهم ونخبرهم ، سيكون تقدير الأعمال للجزاء عليها تقديراً عادلاً ، فالذين كثرت حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين نصونهم عن النار ويدخلون الجنة .

٩ - والذين كثرت سيئاتهم ورجحت على حسناتهم هم الخاسرون ، لأنهم باعوا أنفسهم للشيطان ، فتركوا التدبر فى آياتنا كفراً وعناداً .

١٠ - ولقد مكناكم فى الأرض فمنحناكم القوة لاستغلالها ، والانتفاع بها ، وهيأنا لكم وسائل العيش ، فكان شكركم لله على هذه النعم قليلاً جداً ، وستلقون جزاء ذلك .

١١ - وفى أخبار الأولين عبر ومواعيظ ، يتضح فيها أن الشيطان يحاول أن يزيل عنكم النعم بنسيانكم أمر الله ، فقد خلقنا أباكم آدم ، ثم صورناه ، ثم قلنا للملائكة : عظموه فعظموه طاعة لأمر ربهم ، الا ابليس فانه لم يمتثل .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا

---

١٢ - قال الله منكراً عليه عصيانه : ما منعك عن تعظيم آدم وقد أمرتك به ؟ أجاب ابليس فى عناد وكبر : أنا خير من آدم لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين ، والنار اشرف من الطين .

١٣ - فجزاه الله على عناده وكبره بطرده من دار كرامته ، وقال له : اهبط منها ، بعد أن كنت فى منزلة عالية ، فما ينبغى لك أن تتكبر وتعصى فيها .. اخرج منها محكوماً عليك بالصغار والهوان .

١٤ - قال ابليس لله : أمهلنى ولا تمتنى الى يوم القيامة .

١٥ - فأجابه الله بقوله : انك من الممهلين المؤخرين .

١٦ - ولحقده على آدم وحسده له قال : بسبب حكمك على بالغواية والضلال ، اقسم لأضلن بنى آدم واصرفنهم عن طريقك المستقيم ، متخذاً فى ذلك كل وسيلة ممكنة .

١٧ - واقسم لآتينهم من أمامهم ومن خلفهم . وعن ايمانهم وعن شمائلهم ومن كل جهة استطيعها ، ملتمساً كل غفلة منهم أو ضعف فيهم ، لأصل الى إغوائهم ، حتى لا يكون أكثرهم مؤمنين بك ، لعدم شكرهم لنعمتك .

١٨ - فزاده الله نكاية وقال له ، اخرج من دار كرامتى مذموماً بكبرك وعصيانك ، وهالكاً فى نهايتك ، وأقسم أن من اتبعك من بنى آدم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين .

١٩ - ويا آدم اسكن انت وزوجك دار كرامتى ، وهى الجنة ، وتنعما بما فيها ، فكلا من أى طعام أردتما ، الا هذه الشجرة ، فلا تقرباها حتى لا تكونا من الظالمين لأنفسهم بالعقاب المترتب على المخالفة .

٢٠ - فزين لهما الشيطان مخالفة أمر الله ، ليزيل عنهما الملابس ، فتنكشف عوراتهما ، وقال لهما ، ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة أن تكونا ملكين ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لا ينقطع نعيمهم فى هذه الدار .

إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟

---

٢١ - وأقسم لهما أنه من الناصحين لهما، وكرر قسمه.

٢٢ - فساقهما الى الأكل من الشجرة بهذه الخدعة، فلما ذاقا طعمها وانكشف لهما عوراتهما، جعلا يجمعان بعض أوراق الشجر ليسترا بها عوراتهما وعاتبهما ربهما، ونبههما الى خطئهما قائلاً: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأخبركما أن الشيطان لكما عدو مبين لا يريد لكما الخير؟

٢٣ - قال آدم وزوجته نادمين متضرعين: يا ربنا ظلمنا أنفسنا بمخالفة أمرك التى استوجبت زوال النعيم، وان لم تغفر لنا مخالفتنا وترحمنا بفضلك لنكونن من الخاسرين.

٢٤ - قال الله لهما وللشيطان: اهبطوا جميعاً بعضكم لبعض عدو، ولكم فى الأرض استقرار وتمتع الى حين انقضاء آجالكم.

٢٥ - فى الأرض تولدون وتعيشون، وفيها تموتون وتدفنون، ومنها عند البعث تخرجون.

٢٦ - يا بنى آدم: قد انعمنا عليكم، فخلقنا لكم ملابس تستر عوراتكم، ومواد تتزينون بها، ولكن الطاعة خير لباس يقيكم العذاب. تلك النعم من الآيات الدالة على قدرة الله وعلى رحمته، ليتذكر الناس بها عظمته واستحقاقه وحده الألوهية. وتلك القصة من سنن الله الكونية التى تبين جزاء مخالفة أمر الله، فيتذكر بها الناس ويحرصون على طاعة الله وعلى شكر نعمه.

٢٧ - يا بنى آدم: لا تستجيبوا للشيطان وإضلاله، فتخرجوا من هذه النعم التى لا تدوم الا بالشكر والطاعة، كما استجاب أبواكم آدم وزوجه فأخرجهما الشيطان من النعيم والكرامة، ونزع عنهما لباسهما وأظهر لهما عوراتهما. انه يأتيكم هو وأعوانه من حيث لا تشعرون بهم، ولا تحسون بأساليبهم ومكرهم، وليس للشيطان سلطان على المؤمنين، انا جعلناه وأعوانه أولياء للذين لا يؤمنون ايماناً صادقاً يستلزم الطاعة التامة.

وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ * يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

---

٢٨ - واذا فعل المكذبون أمراً بالغ النكر، كالشرك، والطواف بالبيت عراة، وغيرهما اعتذروا وقالوا، وجدنا آباءنا يسيرون على هذا المنهاج ونحن بهم مقتدون، والله أمرنا به ورضى عنه حيث أقرنا عليه، قل لهم يأيها النبى منكراً عليهم افتراءهم: ان الله لا يأمر بهذه الأمور المنكرة، اتنسبون الى الله ما لا تجدون له مستنداً ولا تعلمون عنه دليل صحة النسب اليه سبحانه؟

٢٩ - بين لهم ما أمر به الله وقل: أمر ربى بالعدل وما لا فحش فيه، وأمركم أن تخصوه بالعبادة فى كل زمان وكل مكان، وأن تكونوا مخلصين له فيها، وكلكم بعد الموت راجعون اليه، وكما بدأ خلقكم بيسر وكنتم لا تملكون اذ ذاك شيئاً، ستعودون اليه بيسر تاركين ما حولكم من النعم وراء ظهوركم.

٣٠ - وسيكون الناس يوم القيامة فريقين: فريقاً وفقه الله لأنه اختار طريق الحق فآمن وعمل عملا صالحا، وفريقاً حكم عليه بالضلالة لأنه اختار طريق الباطل وهو الكفر والعصيان. وهؤلاء الضالون قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فاتبعوهم، وهم يظنون أنهم موفقون لاغترارهم بخداع الشياطين.

٣١ - يا بنى آدم: خذوا زينتكم من اللباس المادى الذى يستر العورة، ومن اللباس الأدبى وهو التقوى، عند كل مكان للصلاة، وفى كل وقت تؤدون فيه العبادة، وتمتعوا بالأكل والشرب. غير مسرفين فى ذلك، فلا تتناولوا المحرم، ولا تتجاوزوا الحد المعقول من المتعة، ان الله لا يرضى عن المسرفين[1].

٣٢ - قل لهم يا محمد: منكراً عليهم افتراء التحليل والتحريم على الله: من الذى حرم زينة الله التى خلقها لعباده؟ ومن الذى حرم الحلال الطيب من الرزق؟ قل لهم: هذه الطيبات نعمة من الله، ما كان ينبغى أن يتمتع بها الا الذين آمنوا فى الدنيا، لأنهم يؤدون حقها بالشكر والطاعة، ولكن رحمة الله الواسعة شملت الكافرين والمخالفين فى الدنيا، وستكون هذه النعم خالصة يوم القيامة للمؤمنين، لا يشاركهم فيها غيرهم ونحن نفصل الآيات الدالة على الأحكام على هذا المنوال الواضح، لقوم يدركون أن الله وحده مالك الملك بيده التحليل والتحريم.

---

(١) يحث الاسلام على وجوب المحافظة على حسن المظهر ومايتبعه من النظافة لاسيا فى كل اجتماع وهذا ما تقرره اساليب الصحة الوقائية.

=

وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا

---

٣٣ - قل يا محمد : انما حرم ربى الأمور المتزايدة فى القبح كالزنى ، سواء منها ما يرتكب سراً وما يرتكب علانية ، والمعصية أياً كان نوعها ، والظلم الذى ليس له وجه من الحق ، وحرم أن تشركوا به دون حجة صحيحة أو دليل قاطع وأن تفتروا عليه سبحانه بالكذب فى التحليل والتحريم وغيرهما .

٣٤ - ولكل أمة نهاية معلومة ، لا يمكن لأية قوة أن تقدم هذه النهاية أو تؤخرها أية مدة مهما قلت .

٣٥ - يا بنى آدم : ان جاءتكم رسل من جنسكم الآدمى ليبلغوكم آياتى الموحى بها كنتم فريقين : فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات مخلصين ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى دنياهم أو أخراهم .

٣٦ - والذين يكذبون بالآيات ويستكبرون عن اتباعها والاهتداء بها ، فأولئك أهل النار هم فيها معذبون ، خالدون أبداً فى العذاب .

٣٧ - فليس هناك أظلم من الذين يفترون الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد إليه ، وادعاء التحليل والتحريم وغيرهما من غير حجة ، أو يكذبون بآيات الله الموحى بها فى كتبه والموجودة فى كونه ، أولئك ينالون فى الدنيا نصيباً مما كتب الله لهم من الرزق أو الحياة أو العذاب ، حتى اذا جاءتهم ملائكة الموت ليقبضوا أرواحهم ، قالوا لهم موبخين : أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله لتدرأ عنكم الموت ؟ فيجيبون : تبرأوا منا ، وتركونا وغابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم مقرين بأنهم كانوا كافرين .

= وأما عدم الاسراف فقد قرر العلم ان الجسم لا يستفيد بكل مايلق فيه من الطعام وإنما يأخذ مجرد كفايته منه ثم يبذل بعد ذلك مجهودا كبيرا للتخلص مما زاد منه عن حاجته ويجانب هذا تصاب المعدة وسائر الجهاز الهضمى بارهاق شديد ويسلم المرء الى أمراض معينة خاصة بذلك الجهاز ومن الاسراف كذلك تناول مادة معينة من مواد الطعام بنسبة كبيرة تطغى على النسب اللازمة من المواد الأخرى كالاسراف فى تناول الدهنيات بحيث تطغى على مقدار ما يحتاجه الجسم من زلاليات وهكذا والاية الكريمة تحثنا بجانب هذا على الأكل من الطيبات لتصح ابداننا ولتقوى على العمل وكذلك فان الاسراف فى الأكل يؤدى الى البدانة الامر الذى يرهق الجسم وقد يؤدى ذلك الى ارتفاع ضغط الدم والسكر والذبحة الصدرية .

هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ

---

٣٨ - يقول الله يوم القيامة لهؤلاء الكافرين : ادخلوا النار فى ضمن أمم من كفار الانس والجن ، قد مضت من قبلكم ، كلما دخلت أمة النار لعنت الأمة التى كفرت مثلها والتى اتخذتها قدوة ، حتى اذا تتابعوا فيها مجتمعين قال التابعون يذمون المتبوعين : ربنا هؤلاء أضلونا بتقليدنا لهم ، بحكم تقدمهم علينا أو بحكم سلطانهم فينا ، فصرفونا عن طريق الحق ، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً يحملون فيه جزاء عصيانهم وعصياننا فيرد الله عليهم : لكل منكم عذاب مضاعف لا ينجو منه أحد الفريقين ، يضاعف عقاب التابعين لكفرهم وضلالهم ، ولاقتدائهم بغيرهم دون تدبر وتفكر ، ويضاعف عقاب المتبوعين لكفرهم وضلالهم وتكفيرهم غيرهم وإضلالهم ، ولكن لا تعلمون مدى ما لكل منكم من العذاب .

٣٩ - وهنا يقول المتبوعون للتابعين : انكم بانقيادكم لنا فى الكفر والعصيان لا تفضلون علينا بما يخفف عنكم من العذاب ، فيقول الله لهم جميعاً : ذوقوا العذاب الذى استوجبتموه بما كنتم تقترفون من كفر وعصيان .

٤٠ - ان الذين كذبوا بآياتنا المنزلة فى الكتب الموجودة فى الكون ، واستكبروا عن الاهتداء بها ، ولم يتوبوا ، ميئوس من قبول أعمالهم ورحمة الله بهم ، ومن دخولهم الجنة ، كما أن دخول الجمل فى ثقب الابرة ميئوس منه ، وعلى هذا النحو من العقاب نعاقب المكذبين المستكبرين من كل أمة .

٤١ - لهم فى جهنم فراش من نار واغطية من نار ، وعلى هذا النحو يعاقب الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال .

٤٢ - والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة التى لم نكلفهم الا ما يطيقونه منها ، أولئك هم أهل الجنة يتنعمون فيها ، خالدين فيها أبداً .

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

---

٤٣ - وأخرجنا ما فى قلوبهم ما كان فيها من غل، فهم فى الجنة اخوان متحابون، تجرى من تحتهم الأنهار بمائها العذب، ويقولون سروراً بما نالوا من النعيم: الحمد لله الذى دلنا على طريق هذا النعيم، ووفقنا الى سلوكه، ولولا أن هدانا الله اليه بارسال الرسل وتوفيقه لنا، ما كان فى استطاعتنا أن نوفق الى الهداية. لقد جاءت رسل ربنا بالوحى الحق، وهنا يقول الله لهم: ان هذه الجنة هبة من الله، أعطيتموها فضلاً منى دون عوض منكم كالميراث، وهذا التكريم بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا.

٤٤ - ونادى أهل الجنة أهل النار قائلين: قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقاً؟ فأجابوهم: نعم فنادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار: الحرمان أو الطرد من رحمة الله جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال.

٤٥ - هؤلاء الظالمون هم الذين يمنعون الناس عن السير فى طريق الله الحق، وهو الايمان والعمل الصالح، ويضعون العراقيل والشكوك حتى يبدو الطريق معوجاً للناس فلا يتبعوه، وهؤلاء كافرون بالدار الآخرة لا يخشون عقاب الله.

٤٦ - وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يسبق الى احتلال اعرافه - وهى أماكنه الرفيعة العالية - رجال من خيار المؤمنين وأفاضلهم، يشرفون منها على جميع الخلائق، ويعرفون كلاً من السعداء والأشقياء بعلامات تدل عليهم من أثر الطاعة والعصيان، فينادون السعداء قبل دخولهم الجنة وهم يرجون دخولها، فيبشرونهم بالأمان والاطمئنان ودخول الجنة.

٤٧ - واذا تحولت أبصار المؤمنين الى جهة أصحاب النار بعد هذا النداء قالوا من هول ما رأوا من نيران: ربنا لا تدخلنا مع هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم والحق والناس.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن

---

٤٨ - ونادى أهل الدرجات العالية فى الجنة ، من الأنبياء والصديقين ، من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار ، قائلين لهم لائمين : ما أفادكم جمعكم الكثير العدد ولا استكباركم على أهل الحق بسبب عصبيتكم وغناكم ، وها أنتم أولاء ترون حالهم وحالكم .

٤٩ - هؤلاء الضعفاء الذين استكبرتم عليهم ، واقسمتم أنه لا يمكن أن ينزل الله عليهم رحمة ، كأنكم تمسكون رحمته ، قد دخلوا الجنة . وقال لهم ربهم : ادخلوها آمنين ،فلا خوف عليكم من أمر يستقبلكم ، ولا أنتم تحزنون على أمر فاتكم .

٥٠ - وأن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة قائلين : اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا أو أعطونا شيئاً مما أعطاكم الله تعالى من طيبات المأكل والملبس وسائر متع أهل الجنة . فيجيبهم أهل الجنة : اننا لا نستطيع ، لأن الله منع ذلك كله عن القوم الجاحدين ، الذين كفروا به وبنعمه فى الدنيا .

٥١ - هؤلاء الجاحدون الذين لم يسعوا فى طلب الدين الحق ، بل كان دينهم اتباع الهوى والشهوات ، فكان لهواً يتلهون به وعبثاً يعبثونه وخدعتهم الحياة الدنيا بزخرفها فظنوها وحدها الحياة ، ونسوا لقاءنا فيوم القيامة ننساهم ، فلا يتمتعون بالجنة ، ويذوقون النار ، بسبب نسيانهم يوم القيامة وجحودهم بالآيات البينات الواضحات المثبتات للحق .

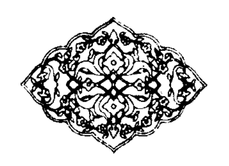
٥٢ - ولقد آتيناهم بياناً للحق كتاباً بيناه وفصلناه ، مشتملاً على علم كثير ، فيه أدلة التوحيد وآيات الله فى الكون ، وفيه شرعه ، وفيه بيان الطريق المستقيم والهداية اليه ، وفيه مالو اتبعه الناس لكان رحمة بهم ، ولا ينتفع به الا الذين من شأنهم الاذعان للحق والايمان به .

شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

---

٥٣ - انهم لا يؤمنون به ، ولا ينتظرون الا المآل الذى بينه الله لمن يكفر به . ويوم يأتى هذا المآل ، وهو يوم القيامة ، يقول الذين تركوا أوامره وبيناته وغفلوا عن وجوب الايمان به ، معترفين بذنوبهم : قد جاءت الرسل من عند خالقنا ومربينا ، داعين الى الحق الذى أرسلوا به ، فكفرنا به . ويسألون هل لهم شفعاء يشفعون لهم ؟ فلا يجدون أو هل يردون الى الدنيا ليعملوا صالحاً ؟ فلا يجابون . قد خسروا عمل أنفسهم بغرورهم فى الدنيا ، وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من ادعاء اله غير الله .

٥٤ - ان ربكم الذى يدعوكم رسله الى الحق والى الايمان باليوم الآخر والجزاء فيه ، هو خالق الكون ومبدعه ، خلق السموات والأرض فى ست أحوال تشبه ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استولى على السلطان الكامل فيها ، وهو الذى يجعل الليل يستر النهار بظلامه ، ويعقب الليل النهار بانتظام وتعاقب مستمر ، كأنه يطلبه وخلق الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم ، وهى خاضعة لله تعالى مسيرات بأمره ، وأنه له وحده الخلق والأمر المطاع فيها تعالت بركات منشىء الكون وما فيه ومن فيه .



ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

---

٥٥ - اذا كان الله ربكم قد أنشأ الكون وحده ، فادعوه بالعبادة وغيرها ، معلنين الدعاء متذللين خاضعين ، جاهرين أو غير جاهرين ، ولا تعتدوا باشراك غيره أو بظلم أحد ، فان الله تعالى لا يحب المعتدين .

٥٦ - ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة بإشاعة المعاصى والظلم والاعتداء وادعوه سبحانه خائفين من عقابه ، طامعين فى ثوابه ، وان رحمته قريبة من كل محسن ، وهى محققة .

٥٧ - والله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يطلق الرياح مبشرة برحمته ، فى الأمطار التى تنبت الزرع وتسق الغرس ، فتحمل هذه الرياح سحاباً[1] محملاً بالماء ، نسوقه لبلد لا نبات فيه ، فيكون بعدها كالميت فقد الحياة ، فينزل الماء ، فينبت الله به أنواعاً من كل الثمرات وبمثل ذلك الاحياء للأرض بالانبات نخرج الموتى فنجعلهم أحياء ، لعلكم تتذكرون بهذا قدرة الله وتؤمنون بالبعث .

٥٨ - والأرض الطيبة الجيدة التربة يخرج نباتها نامياً حياً باذن ربه ، والأرض الخبيثة لا تخرج الا نباتاً قليلاً عديم الفائدة يكون سبب نكد لصاحبها .

٥٩ - لقد عاند المشركون ، وكذبوا بالحق اذ جاءهم مؤيداً بالحجج القاطعة ، وذلك شأن الكافرين مع أنبيائهم فى الماضى ، لقد أرسلنا نوحاً الى قومه الذين بعث فيهم ، وقال لهم مذكراً لهم بأنه منهم : يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده ، فليس لكم أى اله غيره ، وانه سيكون البعث والحساب فى يوم القيامة ، وهو يوم عظيم ، أخاف عليكم فيه عذابه الشديد .

٦٠ - قال أهل الصدارة والزعامة منهم ، مجيبين تلك الدعوة الى الوحدانية واليوم الآخر : انا لنراك فى بعد بين عن الحق .

٦١ - قال نوح لهم نافياً ما رموه به : ليس بى كما تزعمون . ولكنى رسول من خالق العالمين ومنشئهم ، فلا يمكن أن يكون بعيداً عن الحق .

---

(١) تقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول القرآن الكريم وهى ان الرياح تحمل بخار الماء وعند ارسالها اى اطلاقها تتجمع فى صعيد واحد فتكون السحب وتثيرها وهى السحب الثقيلة التى ينهمر منها الماء .

تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

٦٢ - وانى فى هذه الدعوة الحق الى الوحدانية والايمان باليوم الآخر، أبلغكم ما أرسلنى الله به من الأحكام الالهية التى يصلح بها الانسان وانى أمحضكم النصح وأخلصه لكم، وقد علمنى الله تعالى ما لا تعلمون.

٦٣ - أترموننى بالضلالة والبعد عن الحق؟ وتعجبون أن يجىء اليكم تذكير من الله خالقكم، على لسان رجل جاء اليكم لينذركم بالعقاب ان كذبتم، وليدعوكم الى الهداية واصلاح القلوب وتجنب غضب الله تعالى، رجاء أن تكونوا فى رحمة الله تعالى فى الدنيا والآخرة، فلا يصح أن تعجبوا وتكذبوا مع قيام البينات المثبتة للرسالة.

٦٤ - ولكنهم مع تلك البينات لم يؤمن أكثرهم، فكذبوه، فأنزلنا عليهم عذاباً بالاغراق فى الماء، وأنجينا الذين آمنوا به بالفلك الذى صنعه بهداية منا، وغرق الذين كذبوا مع قيام الدلائل البينة الواضحة، فعاندونا وكانوا بذلك غير مبصرين الحق وقد عموا عنه.

٦٥ - وكما أرسلنا نوحاً الى قومه داعياً الى التوحيد، أرسلنا الى[1] عاد هودا، واحداً منهم علاقته بهم كعلاقة الأخ بأخيه، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم اله غيره، وان ذلك سبيل الاتقاء من الشر والعذاب وهو الطريق المستقيم، فهلا سلكتموه لتتقوا الشر والفساد.

٦٦ - قال ذوو الزعامة والصدارة فى قومه: انا لنراك فى خفة عقل حيث دعوتنا هذه الدعوة وإنا لنعتقد انك من الكاذبين.

٦٧ - قال ياقوم ليس بى فى هذه الدعوة أى قدر من خفة العقل. ولست بكاذب ولكنى جئت بالهداية، وأنا رسول الله اليكم. وهو رب العالمين.

٦٨ - انى فيما أقول لكم أبلغكم أوامر ربى ونواهيه، وهى رسالاته اليكم، وانى أمحضكم نصحاً واخلاصاً لكم، وأنا أمين فيما أخبركم به، ولست من الكاذبين.

---

(١) عاد هى أقوى بطون الشعوب السامية، ويشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة، وأما منازلهم فكانت بوادى الاحقاف التى ورد ذكرها فى الكتاب العزيز بسورة الاحقاف الآية ٢١.
وقد اتفق الثقات من اعلام المسلمين على ان الاحقاف بارض اليمن وان اختلفوا فى تحديد مكانها اختلافا طفيفا، فهى عند ياقوت الحموى واد بين عمان وارض مهرة وعند ابن اسحاق نقلا عن ابن عباس وعند ابن خلدون انها رمل بين عمان وحضرموت وعند قتادة رمل مشرفة على البحر بالشجر من ارض اليمن ويجدر بالذكر ان منازل عاد عند بعض الغربيين القدامى تقع فى اعالى الحجاز فى منطقة حسمى وعلى مقربة من منازل ثمود وأيا كان هذا الرأى فلايستبعد ان يكون قوم عاد قد رحلوا فى وقت ما من الاحقاف الى هذه المنطقة.

مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَاذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

---

٦٩ - ثم قال لهم هود : هل أثار عجبكم ، واستغربتم أن يجيء اليكم تذكير بالحق على لسان رجل منكم لينذركم بسوء العقبى ، فيما انتم عليه ؟ إنه لا عجب فى الأمر . ثم أشار الى ما أصاب المكذبين الذين سبقوهم ، والى نعمه عليهم ، فقال : واذكروا اذ جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله تعالى لتكذيبهم نوحاً ، وزادكم قوة فى الأبدان وقوة فى السلطان ، وتلك نعمة تقتضى الايمان : فاذكروا نعمه لعلكم تفوزون .

٧٠ - ولكنهم مع هذه الدعوة بالحسنى قالوا مستغربين : أجئتنا لتدعونا إلى عبادة الله وحده ، وترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام ؟ وإنا لا نفعل ، فأتنا بالعذاب الذي تهددنا به ان كنت من الصادقين ؟

٧١ - انكم لعنادكم قد حق عليكم عذاب الله ينزل بكم ، وغضبه يحل عليكم ، اتجادلون فى أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة ، وما هى من الحقائق الا أسماء لا مؤدى لها ، وما جعل الله من حجة تدل على ألوهيتها ، فما كان لها من قوة خالقة منشئة تسوغ عبادتكم لها ، واذ لججتم هذه اللجاجة فانتظروا عقاب الله ، وأنا معكم ، ننتظر ما ينزل بكم .

٧٢ - فأنجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأنزلنا بالكافرين ما أبادهم ولم يبق لهم من بقية وأثر ، وما كانوا داخلين فى زمرة المؤمنين .

٧٣ - وأرسلنا الى ثمود[1] أخاهم صالحاً الذى يشاركهم فى النسب والوطن ، وكانت دعوته كدعوة الرسل قبله وبعده . قال لهم : اخلصوا العبادة لله وحده ، مالكم أى اله غيره ، وقد جاءكم حجة على رسالتى من ربكم ، هى ناقة ذات خلق اختصت به ، فيها الحجة ، وهى ناقة الله ، فاتركوها تأكل فى أرض الله من عشبها ولا تنالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الايلام .

---

(١) ثمود قوم يشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة شأنهم فى ذلك شأن عاد ، وقد ورد اسمهم فى نقوش الملك سرجون الاشورى سنة ٧١٥ ق . م وقد جاء ذكرهم بين الشعوب التى اخضعها هذا الملك فى شمال شبه جزيرة العرب . اما مساكنهم فالمشهور فى كتب العرب انها كانت بالحجر المعروفة بمدائن صالح فى وادى القرى ، وقد زارها الاصطخرى وذكر ان بها بئرا تسمى بئر ثمود . أما المسعودى « مروج الذهب » الجلد الأول صفحة ٢٥٩ ـ فقد ذكر ان منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى ، وديارهم بفج الناقة ، وأما بيوتهم فنحوتة فى الجبال ، وأما رممهم فكانت فى أيامه باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج القادم من الشام بالقرب من وادى القرى . .

تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً

---

٧٤ - وتذكروا أن الله جعلكم وارثين لأرض عاد، وأنزلكم فى الأرض منازل طيبة تتخذون من السهول قصوراً فخمة، وتنحتون الجبال فتجعلون منها بيوتاً. فاذكروا نعم الله تعالى اذ مكنكم من الأرض ذلك التمكين، ولا تعيثوا فى الأرض فتكونوا مفسدين بعد هذا التمكين.

٧٥ - قال المتكبرون من أهل الصدارة والزعامة، مخاطبين الذين آمنوا من المستضعفين لائمين لهم ومستعلين عليهم: اتعتقدون ان صالحاً مرسل من ربه؟ فأجابهم أهل الحق: انا بما أرسل معتقدون مذعنون له.

٧٦ - قال أولئك المستكبرون: انا جاحدون منكرون للذى آمنتم به: وهو ما يدعو اليه صالح من الوحدانية.

٧٧ - ولج العناد بأولئك المستكبرين، فتحدوا الله ورسوله، وذبحوا الناقة، وتجاوزوا الحد فى استكبارهم، واعرضوا عن أمر ربهم، وقالوا: متحدين يا صالح، ائتنا بالعذاب الذى وعدتنا ان كنت ممن أرسلهم الله حقاً.

٧٨ - فأخذتهم الزلازل الشديدة، فأصبحوا فى دارهم ميتين خامدين.

٧٩ - وقبل أن تنزل بهم النازلة أعرض عنهم أخوهم صالح، وقال: ياقوم قد أبلغتكم أوامر ربى ونواهيه، ومحضت لكم النصح، ولكنكم بلجاجتكم وإصراركم صرتم لا تحبون من ينصحكم.

٨٠ - ولقد أرسلنا لوطاً نبى الله الى قومه، يدعوهم الى التوحيد، وينبههم الى وجوب التخلى عن أقبح جريمة يفعلونها: أتأتون الأمر الذى يتجاوز الحد فى القبح والخروج على الفطرة وقد أبدعتم تلك الفاحشة بشذوذكم، فلم يسبقكم بها أحد من الناس.

مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ

---

٨١ - وهى أنكم تأتون الرجال مشتهين ذلك ، وتتركون النساء ، أنتم شأنكم الاسراف ، ولهذا خرجتم على الفطرة وفعلتم ما لم يفعله الحيوان .

٨٢ - وما كان جواب قومه على هذا الاستنكار لأقبح الأفعال الا أن قالوا : اخرجوا لوطاً وآله وأتباعه من قريتكم ، لأنهم يتطهرون وينأون عن هذا الفعل الذى يستقبحه العقل والفطرة ويستحسنونه هم .

٨٣ - ولقد حقت عليهم كلمة العذاب ، فأنجينا لوطاً وأهله ، الا امرأته فانها كانت من الضالين .

٨٤ - وأمطرنا عليهم حجارة مخربة ، ومادت الأرض بالزلازل من تحتهم فانظر يأيها النبى الى عاقبة المجرمين وكيف كانت .

٨٥ - ولقد أرسلنا الى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم ، اعبدوا الله وحده فليس لكم ولى أى اله غيره ، قد جاءتكم الحجج المبينة للحق من ربكم مثبتة رسالتى اليكم وجاءتكم رسالة ربكم بالاصلاح بينكم والمعاملة العادلة ، فأوفوا الكيل والميزان فى مبادلاتكم ، ولا تنقصوا حقوق الناس ، ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة . بافساد الزرع ونحوه ، وقطع الأرحام والمودة ، فان ذلك خير لكم ان كنتم تؤمنون بالله تعالى وبالحق المبين .

٨٦ - ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الحق والهداية والعمل الصالح : تهددون سالكه وبذلك تمنعون طالبى الخير من الوصول ، وهم أهل الايمان الذين يؤمنون بالله ، وتريدون أنتم الطريق المعوج . واذكروا اذ كنتم عدداً قليلاً ، فصيركم الله عدداً كثيراً بالاستقامة فى طلب النسل والمال ، واعتبروا بعاقبة المفسدين قبلكم .

خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾

---

٨٧ - واذا كانت طائفة منكم آمنوا بالحق الذى ارسلت به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين .

٨٨ - هذا شأن شعيب فى دعوته قومه ، أما القوم فقد تمالأوا على الباطل وتولى أكابرهم الذين استكبروا عن الدعوة ، واستنكفوا أن يتبعوا الحق ، وواجهوا شعيباً بما يضمرون ، فقالوا له : انا لا محالة سنخرجك ومن آمن معك من قريتنا ، ونطردكم ، ولا ننجيكم من هذا العذاب ، الا أن تصيروا فى ديننا الذى هجرتموه فرد عليهم شعيب عليه السلام قائلاً : أنصير فى ملتكم ونحن كارهون لها لفسادها ؟ لا يكون ذلك أبداً .

٨٩ - وبالغ فى قطع طمعهم من العود الى ملتهم كما يطلبون ، فقال : نكون كاذبين على الله ان صرنا فى ملتكم بعد أن هدانا الله الى الصراط المستقيم ولا ينبغى لنا أن نصير فى ملتكم بمحض اختيارنا ورغبتنا . إلا أن يشاء الله عودتنا الى ملتكم . وهيهات ذلك لأنه ربنا العليم بنا ، فلا يشاء رجوعنا الى باطلكم ، فهو جل شأنه وسع كل شىء علماً ، يهدينا بلطفه وحكمته إلى ما يحفظ علينا إيماننا ، إليه وحده سلمنا أمرنا ، مع قيامنا بما أوجبه علينا . ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق الذى مضت به سنتك فى الفصل بين المحقين المصلحين ، والمبطلين المفسدين ، وأنت لاحاطة علمك أعدل الحاكمين وأقدرهم .

٩٠ - هنا يئس القوم من مطاوعة شعيب ومن معه لهم ، وعلموا أنهم ثابتون على دينهم ، كذلك خافوا أن يكثر المهتدون مع شعيب بظهور قوته وثباته على دعوته ، فاتجه كبراؤهم الكافرون الى متبوعيهم ، يهددونهم قائلين : والله ان طاوعتم شعيباً فى قبول دعوته ، انكم لخاسرون شرفكم وثروتكم فى اتباعكم ديناً باطلاً لم يكن عليه سلفكم .

٩١ - هنا حقت عليهم كلمة العذاب ، فأصابهم الله بزلزلة اضطربت لها قلوبهم ، فصاروا فى دارهم منكبين على وجوههم لا حياة فيهم .

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ

---

٩٢ - هذا شأن الله مع الذين كذبوا شعيباً ، وهددوه وأنذروه بالاخراج من قريتهم ، وعملوا على رد دعوته ، قد هلكوا وهلكت قريتهم كأن لم يعش فيها الذين كذبوا شعيباً وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً ، وأكدوا هذا الزعم وكانوا هم الخاسرين لسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

٩٣ - فلما رأى شعيب ما نزل بهم من الهلاك المدمر ، أعرض عنهم ، وقال مبرئاً نفسه من التقصير معهم : لقد أبلغتكم رسالات ربكم المفضية الى الاحسان اليكم لو عملتم بها ، وبالغت فى اسداء النصح لكم ، والعظة بما به تنجون من عقوبة الله ، فكيف أحزن الحزن الشديد على قوم كافرين ؟ لا يكون ذلك بعدما أعذرت اليهم ، وبذلت جهدى فى سبيل هدايتهم ونجاتهم ، فاختاروا ما فيه هلاكهم .

٩٤ - وما بعثنا نبياً من الأنبياء فى قرية من القرى ، يدعو أهلها الى دين الله القويم ، وأعرضوا عن قبول تلك الدعوة ، الا أصبناهم بالفقر والمرض ، كى يتذللوا ويبتهلوا الى الله مخلصين له فى كشف ما نزل بهم ، ويستجيبوا لرسوله .

٩٥ - ثم لما لم يفعلوا ذلك ، واستمروا فى كفرهم وعنادهم ، امتحناهم بالعافية مكان البلاء استدراجاً ، فأعطيناهم رخاء وسعة وصحة وعافية ، حتى كثروا ونموا فى أموالهم وأنفسهم ، وقالوا لجهلهم ، ان ما أصاب آباءنا من المحن والبلايا والرفاهية والنعيم ، فذلك شأن الدهر ، يداول الضراء والسراء بين الناس ، من غير أن ينتبهوا الى أن هذا جزاء كفرهم فيرتدعوا . وبهذا جهلوا سنته جل شأنه فى أسباب الصلاح والفساد فى البشر ، وما يترتب عليها من السعادة والشقاء فكانت عاقبة ذلك أن أصابهم الله بالعذاب المدمر فجأة ، وهم فاقدون للشعور بما سيحل بهم .

٩٦ - ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به الرسل ، وعملوا بوصاياهم وابتعدوا عما حرمه الله لأعطيناهم بركات من السماء والأرض ، كالمطر والنبات والثمار والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات ، ولكن جحدوا وكذبوا الرسل ، فأصبناهم بالعقوبات وهم نائمون ، بسبب ما كانوا يقترفون من الشرك والمعاصى فأخذهم بالعقوبة أثر لازم لكسبهم القبيح ، وعبرة لأمثالهم إن كانوا يعقلون .

ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ

---

٩٧ - أأمن أهل هذه القرى ، الذين بلغتهم دعوة أنبيائهم ولم يؤمنوا ، أن يأتيهم عذابنا وقت بياتهم وهم غارقون فى نومهم ؟.

٩٨ - أغفل هؤلاء وأمنوا أن يأتيهم العذاب فى ضحى النهار وانبساط الشمس وهم منهمكون فيما لا نفع فيه لهم ؟

٩٩ - أجهلوا سنة الله فى المكذبين ، فأمنوا عذابه ليلاً أو نهارا ، يسوقه بتدبيره الذى يخفى على الناس أمره ؟ أنه لا يجهل تدبير الله وسنته فى عقوبة المكذبين الا الذين خسروا أنفسهم بعدم اليقظة الى ما فيه سعادتهم.

١٠٠ - أغاب عن الذين يخلفون من قبلهم من الأمم سنة الله فيمن قبلهم ، وأن شأننا فيهم كشأننا فيمن سبقوهم ؟ وهو أنهم خاضعون لمشيئتنا ، لو نشاء ان نعذبهم بسبب ذنوبهم أصبناهم كما أصبنا أمثالهم ، ونحن نختم على قلوبهم لفرط فسادها ، حتى وصلت الى حالة لا تقبل معه شيئاً من الهدى ، فهم بهذا الطبع والختم لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه واتعاظ .

١٠١ - تلك القرى التى بعد عهدها ، وطال الأمد على تاريخها ، نقص عليك الآن بعض أخبارها مما فيه عبرة . ولقد جاء أهل تلك القرى رسلهم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم ، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد مجىء البينات ، لتمرسهم بالتكذيب للصادقين ، فكذبوا رسلهم ولم يهتدوا ، وهكذا يجعل الله حجاباً على قلوب الكافرين وعقولهم ، فيخفى عليهم طريق الحق وينأون عنه .

١٠٢ - وما وجدنا لأكثر أولئك الأقوام وفاء بميثاق مما أوصيناهم به من الايمان ، على لسان الرسل ، وعلى ما يوحى به العقل والنظر السليم . وأن الشأن المطرد فيهم تمكن أكثرهم من الفسوق والخروج عن كل عهد .

بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ

---

١٠٣ - ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى عليه السلام ، ومعه دلائلنا التى تدل على صدقه فيما يبلغه عنا الى فرعون وقومه ، فبلغهم موسى دعوة ربه ، وأراهم آية الله ، فظلموا أنفسهم وقومهم بالكفر بها ، كبراً وجحوداً فاستحقوا من الله عقوبة صارمة كانت بها نهاية أمرهم ، فانظر أيها النبى نهاية المفسدين فى الأرض .

١٠٤ - وقال موسى : يا فرعون انى مرسل من الله رب العالمين ومالك أمرهم ، لأبلغكم دعوته ، وأدعوكم الى شريعته .

١٠٥ - وانى حريص على قول الصدق عن الله تعالى . وقد جئتكم بآية عظيمة الشأن ظاهرة الحجة فى بيان الحق الذى جئت به ، فأطلق معى بنى اسرائيل ، وأخرجهم من رق قهرك ، لينهبوا معى الى دار غير دارك ، يعبدون فيها ربهم وربك .

١٠٦ - قال فرعون لموسى : ان كنت جئت مؤيداً بآية من عند من أرسلك فأظهرها لدى ان كنت من أهل الصدق الملتزمين لقول الحق .

١٠٧ - فلم يلبث موسى أن ألقى عصاه التى كانت بيمينه أمام فرعون وقومه ، فاذا هذه العصا ثعبان ظاهر بين : يسعى من مكان الى آخر ، فى قوة تدل على تمام حياته .

١٠٨ - وأخرج يده من جيبه ، فاذا هى ناصعة البياض تتلألأ للناظرين .

١٠٩ - فلما أظهر موسى آية الله تعالى ، ثارت نفوس بطانة فرعون وعظماء قومه ، فقالوا تزلفا ومشايعة لفرعون : ان هذا لماهر فى علم السحر ، وليس ذلك بآية من الله .

١١٠ - وقد وجه ارادته لسلب ملككم ، واخراجكم من أرضكم بسحره ، وما ينشأ عنه من استمالة افراد الشعب ليتبعوه ، وانظروا ماذا تأمرون بما يكون سبيلاً للتخلص منه .

حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ

---

١١١ - وقالوا : أخر البت فى أمره وأمر أخيه الذى يعاونه فى دعوته ، وأرسل فى مدائن ملكك رجالاً من جندك يجمعون الناس أولى العلم بالسحر .

١١٢ - فيأتوك بكل عليم بفنون السحر ، وهم يكشفون لك حقيقة ما جاء به موسى . فلا يفتتن به احد .

١١٣ - وجاء الى فرعون السحرة الذين جمعهم له جنده ، وقالوا له : ان لنا لجزاء عظيماً يكافىء ما يطلب منا ان كانت الغلبة لنا على موسى .

١١٤ - وجاء فرعون مجيباً لهم الى ما طلبوا : نعم ان لكم لجزاء عظيماً ، وانكم مع ذلك لمن أهل الحظوة عندنا .

١١٥ - ثم توجه السحرة الى موسى ، بعد أن وعدهم فرعون بما وعدهم ، واظهروا الثقة بأنفسهم واعتدادهم بسحرهم فى ميدان المباراة ، وقالوا له : اما أن تلق ما عندك أولاً ، واما ان نكون نحن الملقين بما عندنا من دونك .

١١٦ - فأجابهم موسى اجابة الواثق بالغلبة والظفر ، مظهراً عدم مبالاته بهم : ألقوا ما أنتم ملقون أولاً . فلما ألق كل واحد منهم ما كان معه من حبال وعصى ، خيلوا الى أبصار الناس وموهوا عليهم ان ما فعلوه هو حقيقة وما هو إلا خيال ، فهال الأمر الناس وأوقع فى قلوبهم الرهب والرعب ، وقد جاء السحرة الناس بسحر مظهره كبير وتأثيره فى أعينهم عظيم .

١١٧ - وأصدر الله أمره الى موسى أن ألق بعصاك ، فقد جاء وقتها ، فألقاها كما أمر ، فاذا عصاه تبتلع بسرعة ما يكذبون ويموهون .

١١٨ - فثبت الحق وظهر فى جانب موسى عليه السلام ، وبطل تخييل السحرة .

صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ

---

١١٩ - فهزم فرعون وملؤه فى ذلك الجمع العظيم ، وعادوا من ذلك أذلة بما رزئوا من الخذلان والخيبة .

١٢٠ - هذا ما كان من شأن فرعون وملئه ، وأما السحرة فقد بهرهم الحق ، فاندفعوا ساجدين لله مذعنين للحق .

١٢١ - قائلين : آمنا بخالق العالمين ومالك أمرهم المتصرف فيهم .

١٢٢ - انه الاله الذى يعتقده ويؤمن به موسى وهارون .

١٢٣ - فهال هذا الأمر فرعون ، وأثار حميته ، فقال : هل آمنتم وصدقتم برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم ؟ ان هذا الصنيع الذى صنعتموه أنتم وموسى وهارون كان بالاتفاق ، وليس الا مكراً مكرتموه فى المدينة (مصر) لأجل أن تخرجوا منها أهلها بمكركم ، فسوف ترون ما يحل بكم من العذاب جزاء اتباعكم موسى وهارون ، وعقاباً على هذا المكر والخداع .

١٢٤ - وأقسم لأنكلن بكم ، وأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، فأقطع اليد من جانب والرجل من جانب آخر ، ثم لأصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة ، لتكونوا عبرة لمن تحدثه نفسه بالكيد لنا أو بالخروج على سلطاننا .

١٢٥ - فلم يأبهوا لقوله وتهديداته ، لتمكن الايمان من شغاف قلوبهم ، فقالوا له : انا الى ربنا راجعون ، فننقلب فى رحمته ونعيم جزائه .

١٢٦ - وما تنكر منا وتعاقبنا عليه الا أن صدقنا موسى ، وأذعنا لآيات ربنا الواضحة الدالة على الحق لما جاءتنا . ثم توجهوا إلى الله ضارعين اليه قائلين : يا ربنا أفض علينا صبراً عظيماً نقوى معه على احتمال الشدائد ، وتوفنا على الاسلام غير مفتونين من وعيد فرعون .

نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ

---

١٢٧ - وبعد أن شاهد فرعون وقومه ما شاهدوا ، من ظهور أمر موسى وقوة غلبته وايمان السحرة به ، قال الكبراء ، من قومه : أتترك موسى وقومه احراراً آمنين ، ليكون مآلهم أن يفسدوا قومك عليك فى أرض مصر بادخالهم فى دينهم ، ويتركك مع آلهتك فى غير مبالاة ، فيظهر للمصريين عجزك وعجزهم ؟ قال فرعون مجيباً لهم : سنقتل أبناء قومه تقتيلا ما تناسلوا ، ونستبقى نساءهم أحياء ، حتى لا يكون لهم قوة كما فعلنا من قبل ، وانا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم .

١٢٨ - وهنا رأى موسى أثر الجزع فى نفوس قومه ، فشد من عزمهم ، وقال لهم : اطلبوا معونة الله وتأييده ، واثبتوا ولا تجزعوا ، ان الأرض فى قبضة قدرة الله وملكه ، يجعلها ميراثاً لمن يشاء من عباده لا لفرعون ، والعاقبة الحسنة للذين يتقون الله بالاعتصام به والاستمساك بأحكامه .

١٢٩ - فقال القوم فى حزن وضعف : نحن نالنا الأذى قديماً من فرعون قبل مجيئك الينا ، وحديثاً من بعد مجيئك . ففتح موسى لهم باب الأمل وقال لهم، ان المرجو من فضل ربكم أن يهلك عدوكم الذى سخركم وآذاكم بظلمه ، ويجعلكم خلفاء الأرض التى وعدكم اياها ، فيعلم سبحانه ما أنتم عاملون بعد هذا التمكين : أتشكرون النعمة أم تكفرون ؟ وتصلحون فى الأرض أم تفسدون ؟ ليجزيكم فى الدنيا والآخرة بما تعملون .

١٣٠ - ولقد عاقبنا فرعون وقومه بالجدب والقحط وضيق المعيشة ، بنقص ثمرات الزروع والأشجار ، رجاء أن يتنبهوا إلى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله ، فيتعظوا ويرجعوا عن ظلمهم لبنى اسرائيل ، ويستجيبوا لدعوة موسى عليه السلام ، فان شأن الشدائد أن تمنع الغرور وتهذب الطباع وتوجه الأنفس الى قبول الحق ، وارضاء رب العالمين ، والتضرع اليه دون غيره .

وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ

---

١٣١ - ولكن دأب فرعون وأعوانه عدم الثبات على الحق ، فسرعان ما يعودون إلى الغدر والمعصية ، فهم منقلبون . فاذا جاءهم الخصب والرخاء - وكثيراً ما يكون ذلك - قالوا : نحن المستحقون له لما لنا من الامتياز على الناس وان أصابهم ما يسوءهم ، كجدب أو جائحة أو مصيبة فى الأبدان والأرزاق ، يرون أنهم أصيبوا بشؤم موسى ومن معه ، ويغفلون عن أن ظلمهم وفجورهم هو الذى أدى بهم الى ما نالهم ، ألا فليعلموا أن علم شؤمهم عند الله ، فهو الذى أصابهم بسبب أعمالهم القبيحة ، فهى التى ساقت اليهم ما يسوءهم ، وليس موسى ومن معه ، ولكن أكثرهم لا يدرى هذه الحقيقة التى لا شك فيها .

١٣٢ - ولهذه الفكرة السيئة عندهم أصروا على الجحود ، وقالوا عند رؤيتهم لآيات موسى إنك مهما جئتنا بكل نوع من أنواع الآيات التى تستدل بها على حقيقة دعوتك ، لأجل أن تصرفنا بها عما نحن عليه من ديننا ، ومن استعباد قومك فما نحن لك بمصدقين ولا مذعنين .

١٣٣ - فأنزل الله عليهم مزيداً من المصائب والنكبات : بالطوفان الذى يغشى أماكنهم ، وبالجراد الذى يأكل ما بقى من نبات أو شجر ، وبالقمل ، وهو حشرة تفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات ، وبالضفادع التى تنتشر فتنغص عليهم حياتهم وتذهب بصفائها ، وبالدم الذى يسبب الأمراض الكثيرة كالنزيف من أى جسم ، والدم الذى ينجس فيسبب ضغطاً أو ينفجر فيسبب شللاً ، ويشمل البول الدموى بسبب البلهارسيا ونحوها ، أو الذى تحول اليه ماؤهم الذى يستخدمونه فى حاجات معاشهم أصابهم الله بهذه الآيات المميزات الواضحات . فلم يتأثروا بها ، وجمدت قرائحهم وفسد ضميرهم ، فعتوا عن الايمان والرجوع إلى الحق من حيث هو حق ، وكانوا قوماً موغلين فى الاجرام كما هو شأنهم .

١٣٤ - ولفرط تقلبهم حسب الدواعى ، كانوا كلما وقع عليهم نوع من العذاب قالوا لشدة تأثيره فيهم وتألمهم به : يا موسى ، سل ربك لنا بالذى عهد اليك أن تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء ، أن تكشف عنا هذا العذاب ، ونحن نقسم لك لئن أزلته عنا لنخضعن لك ، ولنطلقن معك بنى اسرائيل كما أردت !

يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ

١٣٥ ـ فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد أخرى الى وقت هم منتهون اليه فى كل مرة ، اذا هم ينقضون عهدهم ، ويحنثون فى قسمهم ، ويعودون الى ماكانوا عليه ، ولم تجد فيهم هذه المحن الزاجرة !.

١٣٦ ـ فأنزلنا عليهم نقمتنا ، فأغرقناهم فى البحر بسبب استمرارهم على التكذيب بآياتنا ، وتمام غفلتهم عما تقتضيه هذه الآيات من الايمان والاذعان .

١٣٧ ـ وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مصر ، وهم بنو اسرائيل ، جميع الارض التى حباها الله بالخصب والخير الكثير ، فى مشارقها ومغاربها ، ونفذت كلمة الله الحسنى تامة ، ووعده بالنصر شاملا لبنى اسرائيل بسبب صبرهم على الشدائد ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الصروح والقصور المشيدة ، وما كانوا يعرشونه من السقائف للنبات والشجر المتسلق كعرائش العنب ، هذا شأن الله ، وصدق وعده الجميل لبنى اسرائيل .

١٣٨ ـ وتجاوز بنو اسرائيل البحر بعنايتنا وتأييدنا وتيسير الامر لهم فلما تجاوزوه مروا على قوم ملازمين لعبادة أصنام لهم ، فلما شاهدوا هذه الحالة غلب عليهم ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما أن لهؤلاء القوم أصناما يعبدونها ! فسارع موسى عليه السلام موبخا لهم رادعا وقال : انكم قوم سفهاء لاعقول لكم ، لاتعرفون العبادة الحقة ، ولا من هو الاله الذى يستحق أن يعبد !.

١٣٩ ـ ان هؤلاء الذين ترونهم يعبدون الاصنام ، هالك ماهم فيه من الدين الباطل ، وزائل عملهم لابقاء له .

١٤٠ ـ أأطلب لكم معبودا غير الله رب العالمين ، وهو قد منحكم الفضل فأعطاكم نعما لم يعطها غيركم من أهل زمانكم ؟ !.

وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ

---

١٤١ - واذكروا اذ أنجاكم الله تعالى بعنايته من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ، ويسخرونكم لخدمتهم فى مشاق الاعمال ، ولايرون لكم حرمة كالبهائم ، فيقتلون مايولد لكم من الذكور ، ويستبقون الاناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهن ! وفيما نزل بكم من تعذيب فرعون لكم وانجائكم منه ، اختبار عظيم من ربكم ليس وراءه بلاء واختبار ! .

١٤٢ - وعدنا موسى بالمناجاة واعطاء التوراة عند تمام ثلاثين ليلة يتعبد فيها ، وأتممنا مدة الوعد بعشر ليال يستكمل فيها عبادته ، فصارت المدة اربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون حين توجه للمناجاة : كن خليفتى فى قومى ، واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من أمورهم ، واحذر ان تتبع طريق المفسدين .

١٤٣ - ولما جاء لمناجاتنا ، وكلمه ربه تكليما ليس كتكليمنا ، قال : رب ارنى ذاتك ، وتجل لى ، أنظر اليك فأزداد شرفا . قال : لن تطيق رؤيتى . ثم أراد سبحانه أن يقنعه بأنه لايطيقها فقال : ولكن انظر الى الجبل الذى هو أقوى منك ، فان ثبت مكانه عند التجلى فسوف ترانى اذا تجليت لك . فلما ظهر ربه للجبل على الوجه اللائق به تعالى ، جعله مفتتا مستويا بالارض ، وسقط موسى مغشيا عليه لهول مارأى ، فلما أفاق من صعقته قال : أنزهك يارب تنزيها عظيما عن أن ترى فى الدنيا انى تبت اليك من الاقدام على السؤال بغير اذن ، وأنا أول المؤمنين فى زمانى بجلالك وعظمتك .

١٤٤ - لما منع الله موسى من رؤيته ، عدد عليه نعمه ليتسلى بها عن المنع فقال : ياموسى انى فضلتك واخترتك على اهل زمانك ، بتبليغ أسفار التوراة وبتكليمى اياك من غير واسطة ، فخذ مافضلتك به ، واشكرنى كما يفعل الشاكرون المقدرون للنعم .

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

---

١٤٥ ـ وبينا لموسى فى الواح التوراة كل شىء من المواعظ والاحكام المفصلة التى يحتاج الناس اليها فى المعاش والمعاد، وقلنا له: خذ الالواح بجد وحزم، وأمر قومك ان يأخذوا بأفضل مافيها، كالعفو بدل القصاص، والابراء بدل الانتظار، واليسر بدل العسر. سأريكم ياقوم موسى فى أسفاركم دار الخارجين على أوامر الله، وما صارت اليه من الخراب، لتعتبروا، فلا تخالفوا حتى لايصيبكم ما أصابهم.

١٤٦ ـ سأمنع من التفكير فى دلائل قدرتى القائمة فى الأنفس والآفاق، أولئك الذين يتطاولون فى الأرض، ويتكبرون عن قبول الصواب غير محقين، وإن يروا كل آية تدل على صدق رسلنا لايصدقوها، وان يشاهدوا طريق الهدى لايسلكوه، وان يشاهدوا طريق الضلال يسلكوه! يحدث ذلك منهم بسبب أنهم كذبوا باياتنا المنزلة، وغفلوا عن الاهتداء بها!

١٤٧ ـ والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا للهداية، وكذبوا بلقائنا يوم القيامة، فأنكروا البعث والجزاء، بطلت أعمالهم التى كانوا يرجون نفعها فلا يلقون الا جزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصى.

١٤٨ ـ وبعد أن ذهب موسى الى الجبل لمناجاة ربه، اتخذ قومه من حليهم المخصصة للزينة جسما على صورة العجل الذى لايعقل ولايميز، له صوت يشبه صوت البقر، مما أودع فيه من الصناعة ومرور الريح بداخله.. وقد صنعه لهم السامرى وأمرهم بعبادته! يالسفاهة عقولهم. ألم يروا حين اتخذوه الها وعبدوه انه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم الى طريق الصواب؟! انهم ظلموا أنفسهم بهذا العمل الشنيع.

١٤٩ ـ ولما شعروا بزلتهم وخطئهم، تحيروا وندموا أشد الندم على اتخاذ العجل الها. وتبينوا ضلالهم تبينا ظاهرا، وقالوا: والله لئن لم يتب علينا ربنا ويتجاوز عنا لنكونن من الذين خسروا خسرانا بينا، بوضعهم العبادة فى غير موضعها.

خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

---

١٥٠ ـ ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه ، غضبان عليهم لعبادتهم العجل ، حزينا لان الله فتنهم ـ وكان الله قد أخبره بذلك قبل رجوعه ـ قال لهم : ما أقبح مافعلتم بعد غيبتى ، أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم من انتظارى وحفظ عهدى حتى آتيكم بالتوراة ؟ ! ووضع الألواح ، واتجه الى اخيه ، لشدة حزنه حين رأى ماراى من قومه ، وأخذ يشد أخاه من رأسه ويجره نحوه من شدة الغضب ، ظنا منه أنه قصر فى كفهم عما فعلوا ، فقال هارون لموسى : ياابن امى ان القوم حين فعلوا مافعلوا قد استضعفونى وقهرونى . وقاربوا قتلى لما نهيتهم عن عبادة العجل ، فلا تسر الاعداء بايذائك لى ، ولاتعتقدنى واحدا من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم .

١٥١ ـ قال موسى : رب اغفر لى ماصنعت بأخى قبل جلية الأمر ، واغفر لأخى ان كان فرط فى حسن الخلافة ، وأدخلنا فى سعة رحمتك لأنك أكثر الراحمين رحمة .

١٥٢ ـ ان الذين استمروا على اتخاذ العجل الها ، كالسامرى وأشياعه ، سينالهم غضب عظيم من ربهم فى الدار الآخرة ، ومهانة شديدة فى الحياة الدنيا ، بمثل ذلك الجزاء نجزى كل من اختلق الكذب على الله وعبد غيره .

١٥٣ ـ والذين عملوا الاعمال القبيحة من الكفر وعبادة العجل والمعاصى ، ثم رجعوا الى الله من بعد عملها ، وصدقوا به ، ان ربك من بعد توبتهم ستار عليهم ، غفار لما كان منهم . ؟

١٥٤ ـ ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه ، عاد الى الالواح التى ألقاها وأخذها ، وفيما نسخ فيها هدى وارشاد وأسباب رحمة ، للذين يخافون غضب ربهم .

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

---

١٥٥ - ثم أمر الله أن يأتيه فى جماعة من قومه يعتذرون عمن عبدوا العجل ، ووعدهم موعدا ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ، وهم يمثلون قومه ، وذهب بهم الى الطور ، وهنالك سألوا الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويتوب على من عبد العجل منهم ، فأخذتهم فى ذلك المكان زلزلة شديدة غشى عليهم بسببها ، وهذا لأنهم لم يفارقوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمروهم بالمعروف ، ولم ينهوهم عن المنكر ! فلما رأى موسى ذلك قال : يارب لو شئت اهلاكهم أهلكتهم من قبل خروجهم الى الميقات ، وأهلكتنى معهم ، ليرى ذلك بنو اسرائيل فلا يتهمونى بقتلهم فلا تهلكنا يارب بمافعل الجهال منا ، فما محنة عبدة العجل الا فتنة منك ، أضللت بها من شئت اضلاله ممن سلكوا سبيل الشر ، وهديت بها من شئت هدايته . أنت القائل وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصى من قومك ويؤدى الزكاة المفروضة ، يتجاوز عن السيئات .

١٥٦ - وقدر لنا فى هذه الدنيا حياة طيبة ، وتوفيقا للطاعة ، وفى الاخرة مثوبة حسنة ، ورحمة ، لاننا رجعنا اليك وتبنا اليك ، فقال له ربه : عذابى أصيب به من أشاء ممن لم يتب ، ورحمتى وسعت كل شيء ، وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصى من قومك ، ويؤدون الزكاة المفروضة ، والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة .

١٥٧ - وأخص بها الذين يتبعون الرسول محمدا ، الذى لايكتب ولايقرأ ، وهو الذى يجدون وصفه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بكل خير وينهاهم عن كل شر ، ويحل لهم الاشياء التى يستطيبها الطبع ، ويحرم عليهم الاشياء التى يستخبثها الطبع كالدم والميتة ، ويزيل عنهم الأثقال والشدائد التى كانت عليهم . فالذين صدقوا برسالته وآزروه وأيدوه ونصروه على أعدائه ، واتبعوا القرآن الذى أنزل معه كالنور الهادى ، أولئك هم الفائزون دون غيرهم ممن لم يؤمنوا به .

وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا

---

١٥٨ - قل يأيها النبى للناس : انى مرسل من الله اليكم جميعا ، لافرق بين عربى وعجمى وأسود وأبيض . والله الذى أرسلنى له وحده ملك السموات والارض يدبر أمرهما حسب حكمته ، ويتصرف فيها كيف يشاء ، ولامعبود بحق إلا هو ، وهو الذى يقدر على الإحياء والاماتة دون غيره ، فآمنوا به وبرسوله النبى الذى لايقرأ ولايكتب ، وهو يؤمن بالله الذى يدعوكم الى الايمان ، ويؤمن بكتبه المنزلة ، واتبعوه فى كل ما يفعل ويقول لتهتدوا وترشدوا .

١٥٩ - ومن قوم موسى جماعة بقوا على الدين الصحيح يهدون الناس بالحق الذى جاء به موسى من عند ربه ، ويعدلون فى تنفيذه اذا حكموا .

١٦٠ - عدد الله نعمه على قوم موسى ، فأفاد أنه صيرهم اثنتى عشرة فرقة وجعلهم جماعات ، وميز كل جماعة بنظامها ، منعا للتحاسد والخلاف . وأوحى الى موسى ، حين طلب منه قومه الماء فى التيه ، بأن يضرب الحجر بعصاه ، فضربه فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط ، وقد عرف كل جماعة منهم مكان شربهم الخاص بهم ، فلا يزاحمهم فيه غيرهم ، وجعل لهم السحاب يلق عليهم ظله فى التيه ، ليقيهم حر الشمس ، وأنزل عليهم المن ، وهو طعام يشبه البرد فى منظره ، ويشبه الشهد فى مطعمه ، وأنزل السلوى ، وهو الطير السمانى ، وقال لهم : كلوا من مستلذات مارزقناكم مما أنزلناه عليكم . فظلموا أنفسهم وكفروا بتلك النعم ، وطلبوا غيرها ، وما رجع الينا ضرر ظلمهم ولكنه كان مقصورا عليهم .

١٦١ - واذكر يأيها النبى لمن وجد منهم فى زمانك ، تقريعا لهم بما فعل أسلافهم ، اذكر لهم قولنا لأسلافهم على لسان موسى : اسكنوا مدينة بيت المقدس بعد الخروج من التيه ، وكلوا من خيراتها فى أية ناحية من نواحيها شئتم ، وقولوا نسألك ياربنا أن تحط عنا خطايانا ، وادخلوا باب القرية مع انحناء الرءوس كهيئة الركوع تواضعا لله . اذا فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم ، وسنزيد ثواب من أحسنوا الاعمال .

غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ

---

١٦٢ ـ فخالفوا أمر ربهم، فقالوا بسبب ظلمهم قولا غير الذى قيل لهم، قصد الاستهزاء بموسى فأنزلنا عليهم عذابا من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد.

١٦٣ ـ واسأل اليهود، استنكارا لما فعل أسلافهم، عن خبر أهل القرية (أيلة) التى كانت قريبة من البحر، حين كانوا يتجاوزون حدود الله بصيد السمك فى يوم السبت، وحين كانت تأتيهم حيتان الاسماك وتظهر على وجه الماء يوم السبت وفى غيره لاتأتيهم، ابتلاء من الله ! بمثل ذلك البلاء المذكور نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر، ليظهر منهم المحسن من المسىء.

١٦٤ ـ واذكر أيضا هؤلاء اليهود اذ قالت جماعة من صلحاء أسلافهم ـ لم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم ـ لمن يعظون أولئك الأشرار: لأى سبب تنصحون قوما الله مهلكهم بسبب مايرتكبون او معذبهم فى الاخرة عذابا شديدا ؟ ! قالوا: وعظناهم اعتذارا الى ربكم، لئلا ننسب الى التقصير، ورجاء أن يتقوا.

١٦٥ ـ فلما تركوا ماوعظوا به، أنجينا الذين ينهون عن العمل السىء من العذاب وأخذنا الذين ظلموا فاعتدوا وخالفوا بعذاب شديد، هو البؤس والشقاء. بسبب استمرارهم على الخروج عن طاعة الله ربهم.

١٦٦ ـ فلما قسوا واستمروا على ترك مانهوا عنه، ولم يردعهم العذاب الشديد، جعلناهم كالقردة فى مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق، مبعدين عن كل خير.

وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

---

١٦٧ - واذكر أيضا لهؤلاء اليهود حين أعلم ربك أسلافهم على ألسنة أنبيائهم : ليسلطن الله على جماعة اليهود الى يوم القيامة من يوقع بهم أسوأ أنواع العذاب على ظلمهم وفسقهم ، لأن ربك سريع العقاب لأهل الكفر ، لأن عقابه واقع لامحالة ، وكل آت قريب ، وانه غفور رحيم لمن رجع اليه وتاب .

١٦٨ - وقد فرقناهم فى الأرض جماعات : منهم الصالحون ، وهم الذين آمنوا واستقاموا ، ومنهم أناس منحطون عن وصف الصلاح ، وقد اختبرناهم جميعا بالنعم والنقم ليتوبوا عما نهوا عنه .

١٦٩ - فجاء من بعد الذين ذكرناهم وقسمناهم الى القسمين ، خلف سوء ورثوا التوراة عن أسلافهم ولكنهم لم يعملوا بها ، لأنهم يأخذون متاع الدنيا عوضا عن قول الحق ، ويقولون فى أنفسهم : سيغفر الله لنا مافعلناه ! يرجون المغفرة ! والحال أنهم إن يأتهم شيء مثل ماأخذوه يأخذوه فهم مصرون على الذنب مع طلب المغفرة ثم وبخهم الله على طلبهم المغفرة مع إصرارهم على ماهم عليه ، فقال : انا أخذنا عليهم العهد فى التوراة ، وقد درسوا ما فيها ، أن يقولوا الحق ، فقالوا الباطل ! وان نعيم الدار الاخرة للذين يتقون المعاصى خير من متاع الدنيا ! أتستمرون على عصيانكم فلا تعقلون أن ذلك النعيم خير لكم ، وتؤثرون عليه متاع الدنيا ؟ !

١٧٠ - والذين يتمسكون بالتوراة ، وأقاموا الصلاة المفروضة عليهم ، انا لانضيع أجرهم ، لإصلاحهم وإحسانهم الأعمال .

١٧١ - رد الله على اليهود فى قولهم : ان بنى اسرائيل لم تصدر منهم مخالفة فى الحق ، فقال : واذكر لهم أيها النبى حين رفعنا الجبل فوق رءوس بنى اسرائيل كأنه غمامة ، وفزعوا لظنهم أنه واقع عليهم ، وقلنا لهم فى حالة الرفع ورهبتهم : خذوا ما أعطيناكم من هدى فى التوراة بجد وعزم على الطاعة وتذكروا ما فيه لعلكم تعتبرون وتتهذب نفوسكم بالتقوى .

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ

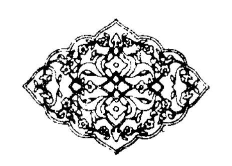
---

١٧٢ ـ بين الله هنا هداية بنى آدم بنصب الأدلة فى الكائنات ، بعد أن بينها عن طريق الرسل والكتب ، فقال : واذكر أيها النبى للناس حين أخرج ربك من أصلاب بنى آدم ونسلهم ومايتوالدون قرنا بعد قرن ، ثم نصب لهم دلائل ربوبيته فى الموجودات ، وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها من معرفتنا ، والاستدلال بها على التوحيد والربوبية ، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألست بربكم ؟ قالوا بل أنت ربنا شهدنا بذلك على أنفسنا . . لأن تمكينهم من العلم بالادلة وتمكنهم منه فى منزلة الاقرار والاعتراف . وانما فعلنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا التوحيد غافلين لا نعرفه .

١٧٣ ـ أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبلنا ، وكنا ذرية لهم فاقتدينا بهم ، أفتؤاخذنا يارب فتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا ، بتأسيس الشرك الذى جرونا إليه . . . فلا حجة لكم .

١٧٤ ـ ومثل ذلك البيان الحكيم نبين لبنى آدم الدلائل على وجود الله ، ليرجعوا عن مخالفتهم وتقليد المبطلين .

١٧٥ ـ ضرب الله مثلا للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله ، فقال : واقرأ أيها النبى على قومك خبر رجل من بنى اسرائيل ، آتيناه علما بآياتنا المنزلة على رسلنا ، فأهملها ولم يلتفت اليها ، فأتبعه الشيطان خطواته ، وسلط عليه باغوائه فصار فى زمرة الضالين .



عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَـٰئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ

---

١٧٦ - ولو شئنا رفعه الى منازل الأبرار لرفعناه اليها ، بتوفيقه للعمل بتلك الآيات ، ولكنه تعلق بالأرض ولم يرتفع الى سماء الهداية ، واتبع هواه ، فصار حاله فى قلقه الدائم ، وانشغاله بالدنيا ، وتفكيره المتواصل فى تحصيلها كحال الكلب فى أسوأ أحواله عندما يلهث دائما ، إن زجرته أو تركته ، اذ يندلع لسانه من التنفس الشديد ! وكذلك طالب الدنيا يلهج وراء متعه وشهواته دائما ! ان ذلك الوصف الذى اتصف به المنسلخ من آياتنا ، هو وصف جميع الذين كذبوا بآياتنا المنزلة . فاقصص عليهم قصصه ليتفكروا فيؤمنوا[1] .

١٧٧ - قبحت حال هؤلاء الذين جحدوا آياتنا ، وماظلموا بهذا الانحراف عن الحق الا أنفسهم .

١٧٨ - من يوفقه الله لسلوك سبيل الحق فهو المهتدى حقا ، الفائز بسعادة الدارين ومن يحرم من هذا التوفيق بسبب سيطرة هواه ، فهذا الفريق هم الخاسرون .

١٧٩ - ولقد خلقنا كثيرا من الجن والانس مآلهم النار يوم القيامة ، لأن لهم قلوبا لاينفذون بها الى الحق ، ولهم أعين لاينظرون بها دلائل القدرة ، ولهم آذان لايسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ! أولئك كالبهائم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر ، بل هم أضل منها ، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها ، وهؤلاء لايدركون ذلك ، وأولئك هم الكاملون فى الغفلة ! .

١٨٠ - ولله ، دون غيره الأسماء الدالة على أكمل الصفات فأجروها عليه دعاء ونداء وتسمية ، وابتعدوا عن الذين يميلون فيها الى مالايليق بذاته العلية وانهم سيجزون جزاء أعمالهم .

١٨١ - وممن خلقنا للجنة طائفة يدعون غيرهم للحق بسبب حبهم الحق وبالحق وحده يعدلون فى أحكامهم .

---

(١) اوردت هذه الآية ظاهرة مشاهدة وهى ان الكلب يلهث سواء حملت عليه أو لم تحمل وقد اثبت العلم ان الكلب لاتوجد فيه غدد عرقية الا القليل فى باطن اقدامه والتى لا تفرز من العرق مايكفى لتنظيم درجة حرارة جسمه ولذلك فانه يستعين عن نقص وسائل تنظيم الحرارة باللهث وهو ازدياد عدد مرات تنفسه زيادة كبيرة عن الحالة العادية مع تعريض مساحة أكبر من داخل الجهاز التنفسى كاللسان والسطح الخارجى من فمه .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ

---

١٨٢ ـ والذين كذبوا بآياتنا المنزلة سنستدرجهم ونتركهم حتى يصلوا الى أقصى غاياتهم ، وذلك بإدرار النعم عليهم ، مع انهماكهم فى الغى ، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون يرتعون .

١٨٣ ـ وسأمد لهم فى الحياة غير مهمل لسيئاتهم وتدبيرى لهم شديد عليهم يكافىء سيئاتهم التى كثرت بتماديهم .

١٨٤ ـ لقد بادروا بالتكذيب ، ولم يتدبروا مايدعوهم الرسول اليه ، وما يقدمه من حجج بل رموه بالجنون وليس به من جنون ، فما هو الا منذر لهم من عاقبة شركهم ، وانذاره بين واضح .

١٨٥ ـ لقد كذبوا محمدا فيما يدعوهم اليه من التوحيد ، ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال فى ملك الله العظيم للسموات والأرض ومافيها ، ممايدل على كمال قدرة الصانع ووحدانيته ، ولم يفكروا فى أنه قد اقترب أجلهم : أو عسى أن يكون قد اقترب ، فيسارعوا الى النظر وطلب الحق قبل مفاجأة الأجل ، فاذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأى كلام يؤمنون بعده ؟

١٨٦ ـ من يكتب الله عليه الضلالة لسوء اختياره فلايهديه أحد ، ويتركهم سبحانه فى ضلالهم يتحيرون لا يهتدون سبيلا ! .

١٨٧ ـ يسألك اليهود ، يامحمد ، عن الساعة التى تنتهى فيها هذه الدنيا ، فى أى وقت تكون ويستقر العلم بها ؟ قل لهم : علم وقتها عند ربى وحده ، لايظهرها فى وقتها أحد سواه قد عظم هولها عندما تقع على أهل السموات والأرض ! يسألونك هذا السؤال ، كأنك حريص على العلم بها . فكرر الجواب ، فقل لهم مؤكدا : إن علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لايدركون الحقائق التى تغيب عنهم ، أو التى تظهر لهم !

ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ

---

١٨٨ - قل لهم : لاأملك لنفسى جلب نفع ولادفع ضر الا الذى شاء الله من ذلك فيملكنى اياه . ولو كنت أعلم ماغاب عنى كما تظنون ، لاستكثرت من كل خير ، لعلمى بأسبابه ، ولدفعت عن نفسى كل سوء باجتناب موجباته : ما أنا إلا نذير بالعذاب ومبشر بالثواب لقوم يؤمنون بالحق ويذعنون له .

١٨٩ - هو الله الذى أنشأكم من نفس واحدة ، وجعل من جنسها زوجها ، واستمرت سلالتها فى الوجود ، وكنتم زوجا وزوجة ، فاذا تغشاها حملت محمولا خفيفا هو الجنين عند كونه علقة ومضغة ، فلما ثقل الحمل فى بطنها دعا الزوج والزوجة ربهما قائلين : والله لئن أعطيتنا ولدا سليما من فساد الخلقة ، لنكونن من الشاكرين لنعمائك .

١٩٠ - فلما أعطاهما ماطلبا جعلا الأصنام شركاء لله تعالى فى عطيته الكريمة ، وتقربا اليها ، كأنها يشكرانها والله وحده هو المستحق للشكر يتعالى ويتسامى عن أن يكون كشركائهم .

١٩١ - هل يصح أن يشركوا مع الله أصناما لاتقدر أن تخلق شيئا من الأشياء وهم مخلوقون لله ؟ !

١٩٢ - ولايقدرون على نصر لمن يعبدونهم ، ولا ينصرون أنفسهم اذا تعدى الغير عليهم .

١٩٣ - وان تدعوا أيها العابدون الاصنام ليرشدوكم الى ماتحبون ، لا يجيبوكم إلى مرادكم ! فستو عندكم فى عدم الفائدة دعاؤكم إياهم ، وسكوتكم فإنه لا يتغير حالهم فى الحالين .

مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا

---

١٩٤ - إن الذين تعبدونهم غير الله ، وترجون النفع منهم ، خاضعون لله بحكم تكوينهم ، من حيث كونهم مسخرين لأمره مثلكم ، فان كنتم صادقين فى زعمكم انهم يقدرون على شىء فاطلبوه منهم ، فليحققوه لكم .

١٩٥ - بل ان هذه الأصنام أقل منكم فى الخلق والتكوين ، ألهم أرجل يمشون بها ؟ أو أيد يدفعون بها الضر عنكم وعنهم ؟ أو أعين يبصرون بها ، أو آذان يسمعون بها ما تطلبون فيحققوه لكم ؟ ليس لهم شىء من ذلك ! فكيف تشركونهم مع الله واذا كنتم تتوهمون أنها تنزل الضر بى أو بأحد ، فنادوها ودبروا لى معها ماتشاءون من غير إمهال ولا انتظار ، فإنها لن تستطيع شيئا ! فلا تمهلونى فانى لا أبالى بها .

١٩٦ - إن ناصرى عليكم هو الله الذى له ولايتى ، وهو الذى أنزل على القرآن ، وهو وحده الذى ينصر الصالحين من عباده .

١٩٧ - والأصنام الذين تطلبون منهم النصر دون الله ، لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم .

١٩٨ - وإن تسألوهم الهداية الى ما فيه خيركم لايسمعوا سؤالكم فضلا عن إرشادكم ! وانك لتراهم فى مقابلك كأنما ينظرون اليك ، وهم فى الحقيقة لا يرون شيئا ! .

١٩٩ - أعرض أيها النبى عن الجاهلين ، وسر فى سبيل الدعوة ، وخذ الناس بما يسهل عليهم ، وأمرهم بكل أمر مستحسن تعرفه العقول وتدركه . .

٢٠٠ - وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة لصرفك عما أمرت كأن تغضب من لجاجتهم بالشر ، فاستجر بالله يصرفه عنك ، لانه سميع لكل ما يقع عليم به .

هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ۩

---

٢٠١ ـ ان الذين خافوا ربهم ، وجعلوا بينهم وبين المعاصى وقاية من الشيطان بوسوسة منه طافت بهم لصرفهم عما يجب عليهم ، تذكروا عداوة الشيطان وكيده ، فاذا هم مبصرون الحق فيرجعون .

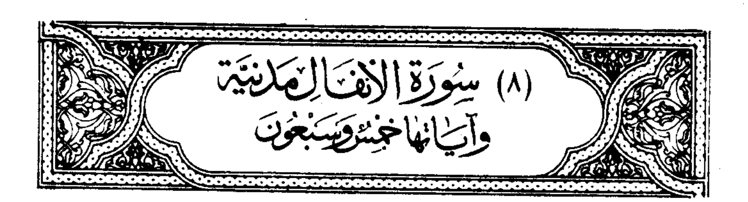
٢٠٢ ـ واخوان الشياطين من الكفار ، تزيدهم الشياطين بالوسوسة ضلالا ثم هؤلاء الكفار لايكفون عن ضلالهم بالتبصر .

٢٠٣ ـ واذا لم تأت الكفار بآية مما يطلبون عنادا وكفرا ، قالوا : هلاطلبتها ؟ قل لهم : ما أتبع الا القرآن الذى يوحى الى من ربى ، وقل لهم : هذا القرآن حجج من ربكم تبصركم وجوه الحق ، وهو ذو هداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم العاملون به .

٢٠٤ ـ واذا تلى عليكم أيها المؤمنون القرآن فأصغوا اليه بأسماعكم . لتتدبروا مواعظه ، وأحسنوا الاستماع لتفوزوا بالرحمة .

٢٠٥ ـ واذكر ربك ذكرا نفسيا ، تحس فيه بالتقرب الى الله والخضوع له والخوف منه ، من غير صياح ، بل فوق السر دون الجهر من القول . وليكن ذكرك فى طرفى النهار لتفتتح نهارك بالذكر لربك وتختمه به ، ولا تكن فى عامة أوقاتك من الغافلين عن ذكر الله .

٢٠٦ ـ ان الذين هم قريبون من ربك بالتشريف والتكريم ، لايستكبرون عن عبادته ، وينزهونه عما لايليق به ، وله يخضعون .



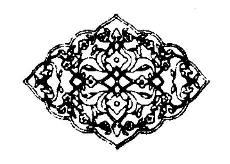
بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

سورة الأنفال نزلت بالمدينة ، وهى تشتمل على خمس وسبعين آية . وقد بين الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة بعض أحكام القتال ، والبواعث عليه ، وأسباب النصر ، ومقام القوة المعنوية فى الانتصار ، وأحكام غنائم الحرب ومتى يكون الأسر ، واجتمع فيها الحكم الشرعى بحكمته ، وهى تذكر قصة غزوة بدر ، وبعض ماكان قبلها ، وما جاء فى أعقابها من الإشارة الى سببها . وهو إخراج المشركين للنبى من مكة . ويذكر سبحانه فيها الاستعداد للحرب ، ووجوب السلم ، إن جنحوا لها . وتختتم السورة الكريمة ببيان ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، ووجوب هجرة المؤمنين من أرض يستذلون فيها ، ليجاهدوا مع أوليائهم من المؤمنين فى سبيل عزة الإسلام وعزتهم .

* * *

١ ـ أخرج النبى من مكة مهاجرا بسبب مكر المشركين وتدبيرهم أمر قتله ، وليكون للمسلمين دولة ، واستقر بالمدينة حيث النصرة ، وكان لابد من الجهاد لدفع الاعتداء ، لكيلا يفتن أهل الإيمان ، فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها النصر المبين والغنائم ، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل فى توزيعها . يسألونك عن الغنائم : ما مآلها ولمن تكون ؟ وكيف تقسم ؟ فقل لهم أيها النبى : انها لله والرسول ابتداء ، والرسول بأمر ربه يتولى تقسيمها ، فاتركوا الاختلاف بشأنها واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم وأصلحوا مابينكم ، فاجعلوا الصلات بينكم محبة وعدلا ، فان هذه صفة أهل الايمان .



إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ

---

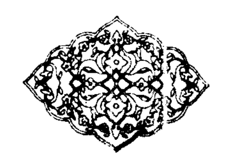
٢ - ان المؤمنين حقا وصدقا يستشعرون دائما خوف الله وطاعته . فاذا ذكر سبحانه فزعت قلوبهم ، وامتلأت هيبة ، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد ايمانهم رسوخا ، وازدادوا إذعانا وعلما ، ولا يعتمدون إلا على الله الذى خلقهم ويحميهم وينميهم .

٣ - وأولئك المؤمنون الصادقون فى الايمان ، يؤدون الصلاة مستوفية الأركان ، كاملة الخشوع والخضوع ، ليكونوا على تذكر الله دائما ، وينفقون مقادير من المال الذى رزقهم الله سبحانه وتعالى فى الجهاد والبر ومعاونة الضعفاء .

٤ - ان هؤلاء المتصفين بتلك الصفات ، هم الذين يوصفون بالايمان حقا وصدقا ، ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله ، وهو الذى يمنحهم سبحانه رضاه ، ويغفر لهم هفواتهم ويرزقهم سبحانه رزقا طيبا فى الدنيا ، ونعيما دائما فى الآخرة .

٥ - وان النصر بيد الله ، ومقاليد الأمور اليه ، وان حال المؤمنين فى خلافهم حول الغنائم كحالهم عندما أمرك الله بالخروج لقتال المشركين ببدر ، وهو حق ثابت ، فان فريقا من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين كراهيتهم .

٦ - يناظرك أولئك الفريق ، ويحاولون أن ينصروا قولهم فى الأمر الحق وهو الخروج للجهاد ، اذ كانوا مع اخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة إلى الشام ، فلم يدركوها ، فآثر هذا الفريق العودة من بعد ماتبين أنهم منصورون ، لإعلام النبى لهم ، ولذعر المشركين منهم ، ولشدة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه ، وكانوا فى ذهابهم إليه كالذى يساق الى الموت وهو ينظر أسبابه ويعانيها .



بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟

٧ ـ واذكروا أيها المؤمنون وعد الله تعالى لكم أن ينصركم على احدى الطائفتين التى فيها الشوكة والقوة، وأنتم تودون أن تدركوا الطائفة الأخرى التى فيها المال والرجال، وهى قافلة أبى سفيان، فاخترتم المال ولا شوكة فيه! ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بإرادته وقدرته وكلماته المعلنة للإرادة والقدرة، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين[1].

٨ ـ ليثبت الحق ويزيل الباطل، ولو كره ذلك الكافرون الذين أجرموا فى حق الله، وفى حق المؤمنين وفى حق أنفسهم.

٩ ـ اذكروا أيها المؤمنون ـ وأنتم تتقاسمون الغنائم وتختلفون ـ الوقت الذى كنتم تتجهون فيه الى الله تعالى، طالبين منه الغوث والمعونة، اذ كتب عليكم أنه لاخلاص من القتال، فأجاب الله دعاءكم، وأمدكم بالأرواح الطاهرة الكثيرة التى تبلغ الألف متتابعة، يجىء بعضها وراء بعض[2].

١٠ ـ وما جعل الله تعالى ذلك الامداد بالأرواح الطاهرة إلا بشارة لكم بالنصر، لتطمئنوا وتقدموا، والله يعينكم والنصر لايجىء الا بمعونة الله القوى الغالب، الذى يضع الأمور فى مواضعها بمقتضى علمه الذى لايغيب عنه شىء.

١١ ـ اذكروا أيها المؤمنون، وقت أن خفتم من قلة الماء، ومن الأعداء، فوهبكم الله الأمن، وأصابكم النعاس فنمتم آمنين، وأنزل الماء من السماء لتطهروا به ولتذهبوا وساوس الشيطان عنكم، وثبت قلوبكم واثقة بعون الرحمن. ولتتماسك به الأرض فتثبت الأقدام[3].

---

(١) تتناول الآيات الكريمة مايجيش فى النفوس اثناء القتال من تمنى ملاقاة قلة من العدو وكره ملاقاة العدد الكثير والرغبة فى اصابة المال والغنائم دون ملاقاة المكاره بينما يريد الله تعالى إعلاء الدين وإظهار الحق واستئصال الكافرين.

(٢) لما علم مقاتلو المؤمنين ان لامحيص عن القتال اخذوا يستغيثون بالله تعالى للنصر فاستجاب الله تعالى لهم وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين اى بدأ الأمر بارسال مقدمة تليها باقى القوات وهو مايعمل به حاليا عند ارسال قوات التعزيز لجنود المقاتلين فى ميادين القتال اذ تنص المبادىء الحديثة على ارسال الامدادات أفواجا متتابعة حتى يسهل توجيه كل فريق الى مكانه فى المعركة دون تعطل أو ازدحام وعندما تصل التعزيزات للقوات المقاتلة تبتهج النفوس وتعلو الروح المعنوية وهو ما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله : وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم. والنصر دائما من عند الله.

(٣) تتناول الآية الاولى فضل الله تعالى على المقاتلين المؤمنين من الحصول على الامن فى راحة النوم ونزول المطر للطهارة والاغتسال =

فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

---

١٢ - اذكروا أيها المؤمنون أن الله أوحى للأرواح الطاهرة أن تودع فى نفوسكم أنى معكم بالتأييد والنصر، قائلا لهم: قووا قلوب الذين آمنوا وأذعنوا للحق وجاهدوا فى سبيل الله، وسأجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين، فيفزعون هم دونكم، فاضربوا أيها المؤمنون رءوسهم التى فوق أعناقهم، وقطعوا أصابعهم التى يحملون بها السيوف.

١٣ - كان ذلك النصر والتأييد لكم، والرعب والفزع لهم، لأنهم تحدوا الله ورسوله، فكانوا فى جانب والله ورسوله فى جانب آخر، ومن يحاد الله ورسوله فانه ينزل به العذاب الأليم لأن عقاب الله شديد.

١٤ - ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فذوقوه مع اليقين بالنصر والتأييد وان للجاحدين بآياته عقابا آخر يوم القيامة، هو عذاب النار.

١٥ - أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له، اذا التقيتم بالذين كفروا فى الميدان، وهم زاحفون عليكم بكثرتهم، فلا تفروا منهم وتجعلوا ظهوركم أمام سيوفهم.

١٦ - ومن لايلاقيهم وجها لوجه فارا منهم، فان الله يغضب عليه، ومصيره الى النار، وهى أسوأ مصير لكم، ومن لا يلاقيهم بوجهه كيدا ومهارة حربية، أو يترك طائفة لينحاز الى طائفة أخرى من المؤمنين، لتكون قوة للقاء فانه لا إثم عليه.

= وتلبد الرمل نتيجة وجود الماء فثبت عليه الاقدام ومن المعروف ان الرمال الناعمة تسبب تعبا للمقاتلين وتعتبر عائقا يحول دون خفة الحركة التى هى من مبادىء الحرب الرئيسية وتتناول الآية الثانية خطاب الله تعالى للملائكة بتثبيت المؤمنين والقاء الرعب فى قلوب الكافرين، والمعروف ان الرعب اذا استولى على الجنود فى الميدان اصابهم بالفشل، وفى الآية الكريمة اشارة الى مكان الاصابة المهلكة وهى فى أعلى الرقبة وقطع الأطراف حتى يسقط السلاح من اليد.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

---

١٧ ـ اذا كنتم أيها المؤمنون قد انتصرتم عليهم ، وقتلتم من قتلتم منهم ، فانكم لم تقتلوهم بقوتكم ، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم ، بتأييده لكم وإلقاء الرعب فى قلوبهم ، وما رميت أيها الرسول اذ كنت ترمى التراب والحصا فى وجوههم افزاعا لهم ، ولكن الله تعالى هو الذى رمى فأفزعهم الرمى ، وكان ذلك لينعم الله على المؤمنين نعما حسنة ، منها الابتلاء بالشدة ، ليظهر اخلاصهم ، وأن الله عليم بأمورهم ، سميع لأقوالهم ، وكذلك هو عليم بأمور اعدائهم وأقوالهم .

١٨ ـ ذلك هو النصر العظيم ، مع أن الله تعالى مضعف لكل تدابير الكافرين .

١٩ ـ ان كنتم أيها المشركون تتعلقون بأستار الكعبة ، طالبين الفصل بينكم وبين المؤمنين ، فقد جاءكم الأمر الفاصل ، وليس نصرا لكم ، بل هو نصر للمؤمنين ، وان تعودوا الى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة ، ولن تغنى عنكم جماعتكم المؤتلفة على الاثم شيئا ! ولو كان العدد عندكم كثيرا ! فان الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له .

٢٠ ـ يأيها الذين صدقتم بالحق وأذعنتم له ، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله ، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول ، ولا تعرضوا عن دعوة الرسول الى الحق وأنتم تسمعون وتعون مايقول .

٢١ ـ ولاتكونوا كالمنافقين الذين قالوا : سمعنا الحق ووعيناه ، لكنهم لا يذعنون له ولا يؤمنون به ، فكانوا كغير السامعين .

٢٢ ـ ان أولئك المشركين ، والمنافقون معهم ، هم كشر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسمع ، وبالبكم فلا تتكلم ، فهم صموا عن الحق ، فلم يسمعوه ولم ينطقوا به ولم يعقلوه ! ! .

٢٣ ـ ولو علم الله بعلمه الأزلى أن فيهم ، وهم بهذه الحال ، مايكون خيرا لأنفسهم وللناس وللحق ، لأسمعهم سماع هداية يوصل الحق الى عقولهم ، ولو سمعوه وفهموه لانصرفوا عن الاهتداء ، وحال الاعراض الآن لاتفارقهم لغلبة الهوى .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

٢٤ ـ يأيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، أجيبوا لله فى اتجاه قلبى الى ما يأمركم به ، وأجيبوا الرسول فى تبليغه مايأمر به الله ، اذا دعاكم الرسول الى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم ، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى قائم على قلوبكم ، يوجهها كما يشاء فيحول بينكم وبين قلوبكم اذا أقبل عليها الهوى ، فهو منقذكم منه ان اتجهتم الى الطريق المستقيم ، وانكم جميعا ستجمعون يوم القيامة فيكون الجزاء .

٢٥ ـ واجعلوا وقاية بينكم وبين الذنب العظيم الذى يفسد جماعتكم ، كالامتناع عن الجهاد ، وكالشقاق ، وكالامتناع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فان ذلك الذنب لايصيب الذين ظلموا وحدهم ، بل يصيب الجميع ، واعلموا علما جازما أن عقاب الله شديد فى الدنيا والآخرة .

٢٦ ـ وتذكروا أيها المؤمنون فى حال قوتكم ، وقت ان كنتم عددا قليلا ، وضعفاء يستغل اعداؤكم ضعفكم ، وقد استولى عليكم الخوف من أن يتخطفكم أعداؤكم ، فهاجرتم بأمر الله وجعل من يثرب مأوى لكم ، وكان لكم النصر بتأييده وتوفيقه ، ورزقكم الغنائم الطيبة رجاء أن تشكروا هذه النعم ، فتسيروا فى طريق الجهاد لإعلاء كلمة الحق .

٢٧ ـ يأيها الذين صدقوا بالحق ، وأذعنوا له ، لايصح أن تكون منكم خيانة لله ورسوله بموالاة أعداء الحق ، أو بالخيانة فى الغنائم ، أو بالقعود عن الجهاد ، ولا تخونوا فى الأمانات التى تكون بينكم ، وأنتم تعلمون أوامره ونواهيه .

٢٨ ـ واعلموا أيها المؤمنون الصادقون أن فتنة نفوسكم تجىء من فرط محبتكم لأولادكم ، فلا تغلبوا محبة المال والولد على محبة الله تعالى ، فان ذلك يفسد أموركم . واعلموا أن ثواب الله عظيم يجزيكم عن المال والولد .

إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا

---

٢٩ - يأيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، إن تخضعوا لاوامر الله فى السر والعلن ، يجعل الله تعالى فى أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل . ويهبكم نصرا ليفصل بينكم وبين أعدائكم ، ويستر سيئاتكم فتذهب ويغفرها لكم ، وهو سبحانه صاحب الفضل الكبير دائما .

٣٠ - واذكر أيها النبى نعمة الله عليك ، اذ يمكر المشركون للايقاع بك : اما بأن يحبسوك ، واما بأن يقتلوك ، واما بأن يخرجوك ! انهم يدبرون لك التدبير السيىء ! والله تعالى يدبر لك الخروج من شرهم ، وتدبير الله هو الخير وهو الأقوى والغالب .

٣١ - واذكر ، أيها النبى ، معاندة المشركين عندما كنت تقرأ آيات القرآن الكريم ، وهى آياتنا ، فيذهب بهم فرط الجهل والغرور الى أن يقولوا : لو أردنا أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا ، فا هو الا ماسطره الأولون من قصص ! .

٣٢ - واذكر أيها النبى كيف ذهبوا فى محادتك ومحادة الله أن قالوا معاندين موجهين النداء لله ربهم : ان كان ماتجىء به هو الأمر الثابت ، فاجعل السماء تمطر حجارة ، أو أنزل عذابا شديدا أليما .

٣٣ - وماكان من حكمة الله تعالى أن يعذبهم فى الدنيا بعذاب شديد وأنت فيهم تدعو الى الحق راجيا اجابتهم ، وماكان من شأن الله أن يعذب العصاة وهم يستغفرونه ويقلعون عما هم فيه .

٣٤ - وان حالهم القائمة الآن تسوغ تعذيبهم ، لأنهم يمنعون الناس من المسجد الذى حرم الله القتال حوله ، ولكن يؤخرهم الله لما قدره فى علمه من ايمان الكثيرين منهم ، وانهم فى حالهم هذه ليسوا نصراء ذلك المسجد المكرم ، لأنهم دنسوه بالوثنية وانما نصراؤه الحقيقيون هم المؤمنون الطائعون لله ، ولكن أكثر المشركين لايعلمون الدين ، ولامقام ذلك البيت الكريم .

مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

---

٣٥ ـ وما كان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم الا صفيرا وصفقا بالايدى ، واذا كان تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه فى ميدان القتال ، ليزاح الشرك عن البيت ، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم .

٣٦ ـ ان هؤلاء الذين جحدوا بالآيات وأشركوا بالله ، ينفقون أموالهم ليمنعوا الناس عن الايمان بالحق ، وهم سينفقونها ، ثم تكون الأموال بسبب ضياعها عليهم من غير جدوى موجبة للندم والألم ، وسيغلبون فى ميدان القتال فى الدنيا ، ثم يجمعون الى جهنم فى الآخرة ان استمروا على كفرهم .

٣٧ ـ وان الهزيمة فى الدنيا ، والعذاب بالنار فى الاخرة ، ليفصل الله الخبيث النفس والفعل والقول عن الطيب فى نفسه وقلبه وقوله وفعله ، وليجعل الخبيث بعضه فوق بعض ، فيجمعه ويضم أجزاءه ويجعله فى النار يوم القيامة ، وأولئك المشركون المفسدون هم الخاسرون وحدهم فى الدنيا والآخرة .

٣٨ ـ وإن باب الرجاء مفتوح مع هذا الترهيب ، فقل ، يانبى الرحمة ، لهؤلاء الجاحدين إنهم إن ينتهوا من العناد والاشراك فان الله يغفر لهم ماسبق من أعمالهم . وان استمروا على ضلالهم وعادوا الى قتالكم ، فقد تقررت الطريقة الحقة فى الأولين ، وهى نصر الحق على الباطل ، ان التزم أهل الحق الطاعة وسبيل النصر .

٣٩ ـ واستمروا فى قتال المشركين حتى يمتنعوا عن افسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى ، فان انتهوا عن الكفر وايذاء المؤمنين ، وخلص الدين لله ، فان الله تعالى عليم بأعمالهم ومجازيهم عليها[1] .

٤٠ ـ وان استمروا على اعراضهم وايذائهم للمؤمنين ، فاعلموا أيها المؤمنون أنكم فى ولاية الله ، وهى أحب ولاية وأقواها ، وهو ناصركم ، ونصرته أقوى نصرة وأعظمها .

---

(١) يراجع التعليق العلمى على آيات القتال من سورة البقرة ١٩٠ ـ ١٩٤ .

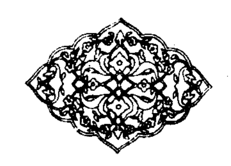
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ

---

٤١ - واعلموا ، أيها المسلمون ، أن ماظفرتم به من مال الكفار فحكمه أن يقسم خمسة أخماس ، خمس منها لله وللرسول ولقرابة النبي واليتامى ، وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء ، والمساكين ، وهم ذوو الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل ، وهو المنقطع فى سفره المباح. والمخصص من خمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التى يقررها الرسول فى حياته ، والامام بعد وفاته ، وباقى الخمس يصرف للمذكورين. واما الأخماس الأربعة الباقية من الغنيمة ، وسكتت عنها الآية ، فهى للمقاتلين ، فاعلموا ذلك ، واعملوا به ان كنتم آمنتم بالله حقا ، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد ، يوم الفرقان الذى فرقنا فيه بين الكفر والايمان ، وهو اليوم الذى التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر ، والله عظيم القدرة على كل شيء ، وقد نصر المؤمنين مع قلتهم وخذل الكافرين مع كثرتهم.

٤٢ - واذكروا حين كنتم فى الوادى بأقرب الجانبين من المدينة ، وهم بأبعد الجانبين ، وركب التجارة الذى تطلبونه أقرب اليكم مما يلى البحر ، ولو تواعدتم أنتم على التلاقى للقتال لما اتفقتم عليه ، ولكن الله دبر تلاقيكم على غير موعد ولارغبة منهم. لينفذ أمرا كان ثابتا فى علمه أنه واقع لامحالة ، وهو القتال المؤدى الى نصركم وهزيمتهم ، لتنقطع الشبهات ، فيهلك الهالكون عن حجة بينة بالمشاهدة ، وهى هزيمة الكثرة الكافرة ، ويحيا المؤمنون عن حجة بينة ، وهى نصر الله للقلة المؤمنة. إن الله لسميع عليم لا يخفى عليه شيء من أقوال الفريقين ولا نياتهم.

٤٣ - واذكر ، أيها الرسول ، حين تفضل الله عليك ، فصور لك فى منامك جيش الأعداء فى قلة ليطمئنكم على أنكم ستغلبونهم ، فتثبتوا أمام جمعهم ولو تركهم ترونهم كثيرا ، دون أن يثبتكم بهذه الرؤيا ، لهبتموهم ، ولترددتم فى قتالهم ، ولعجزتم ، وكان التنازع فى الاقدام وعدمه ، ولكن الله سلم من ذلك ونجى من عواقبه ، انه عليم بما فى القلوب التى فى الصدور.



فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ

---

٤٤ ـ واذكر، أيها الرسول، حينما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقى قلة فى أعينكم، كما يظهركم الله فى أعين أعدائكم قلة، ولما فى أنفسهم من الغرور بالكثرة، ليقدم كل منكم على قتال الآخر، فيتم تنفيذ أمر علمه الله، وكان لابد أن يتم، والى الله ترجع أمور العالم كله، فلا ينفذ الا ماقضاه وهيأ أسبابه.

٤٥ ـ يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم جماعة مقاتلة من أعدائكم فاثبتوا ولا تفروا واذكروا الله متمثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين، مكثرين فى ذلك الذكر مع الثبات والصبر، فانكم ان فعلتم ذلك كان رجاؤكم للفلاح محققا[1].

٤٦ ـ وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيتم عنه، ودعوا التنازع والاختلاف، فإنهما مدعاة الى ضياع القوة والى العجز، واصبروا على ماتلقون من مكاره الحرب، فان الله مع الصابرين بالعون والتأييد والتثبيت وحسن الجزاء.

٤٧ ـ ولاتكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم، مغرورين بمالهم من قوة ونعمة، مفاخرين ومتظاهرين بها أمام الناس، يزيدون الثناء عليهم بالشجاعة والغلبة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والاسلام، والله محيط بأعمالهم علما وقدرة، وسوف يجازيهم عليها فى الدنيا والآخرة.

٤٨ ـ واذكروا، أيها المسلمون، حينما حسن الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته، قائلا لهم: انه لايستطيع أحد من الناس أن يغلبهم، ويؤكد لهم أنه مجير لهم! فلما تقابل الفريقان فى الحرب بطل كيده ووسوسته ورجع مدبرا، وتبرأ منهم، وخاف ان يهلكه الله، والله شديد العقاب على الذنوب.

---

(١) فى الآيات الكريمة تنبيه لضرورة الثبات فى وجه العدو وان العبد ينبغى الا يشغله شىء عن ذكر الله وان يلتجىء الى الله عند الشدائد، وفى ذلك أيضا تنبيه الى أهمية التدين والايمان فى رفع الروح المعنوية والثبات وفى الآيات أيضا ايضاح لأهمية الطاعة وتنفيذ ما أمر الله ورسوله به حتى لايدب الفشل نتيجة الفرقة كما ينبغى عدم التفاخر والتباهى بالعظمة والانصراف الى التظاهر بالشجاعة والسماحة والرياء.

وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟

---

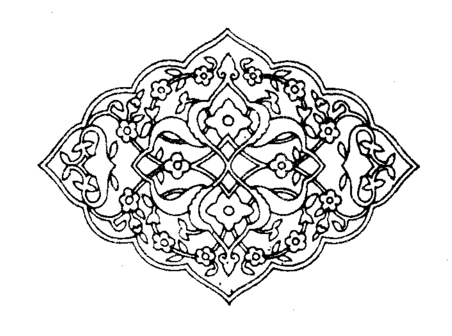
٤٩ ـ واذكر ، أيها الرسول ، حينما يقول المنافقون من الكفار وضعفاء الإيمان عند رؤيتكم فى إقدامكم وثباتكم : غر هؤلاء المسلمين دينهم ! ! وان من وكل الى الله أمره مؤمنا به معتمدا عليه ، فان الله يكفيه ماأهمه ، وينصره على اعدائه ، لأن الله قوى السلطان حكيم فى تدبيره .

٥٠ ـ ولو ترى ، أيها الرسول ، ذلك الهول الخطير ، الذى ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوفاهم الملائكة فينزعون أرواحهم ، وهم يضربونهم من امام ومن خلف ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة ! ! .

٥١ ـ وان الله ليس ظالما لعبيده فى تعذيبهم على ماارتكبوه ، بل ذلك هو العدل ، لأنه لايستوى المسىء والمحسن ، فعقابه على ما اقترفوا من أعمال سيئة .

٥٢ ـ ان عادة هؤلاء المشركين وشأنهم فى الكفر ،كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم . جحودا منهم بآيات الله ، فعذبهم الله على ذنوبهم ، وهو غير ظالم لهم . ان الله قوى فى تنفيذ حكمه ، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه .

٥٣ ـ وهذا عدل فى الجزاء ، بسبب ان الله لا يغير نعمة أنعم بها على قوم ، كنعمة الأمن والرخاء والعافية ، حتى يغيروا هم مابأنفسهم من الأحوال والأسباب ! وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون .



ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

---

٥٤ - وكما أن دأب هؤلاء فى الانكار لآيات الله ونعمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فإن دأبهم وشأنهم فى الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فالشبه بينهم فى الكفر بالآيات ، وجحود رسالة الرسل ، وتكذيبهم ، وفى الاستمرار على ذلك . فكلا أخذ الله بذنبه أولئك بالصواعق والرياح ونحوها ، وآل فرعون بالغرق ، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم ، واستحقوا مانزل بهم من العقاب .

٥٥ - ان شر مايدب على وجه الأرض عند الله فى حكمه وعدله ، هم الكفار المصرون على كفرهم .

٥٦ - الذين عقدت معهم العهود والمواثيق ، ولا يزالون ينقضونها مرة بعد مرة ، وهم اليهود لايردعهم عن ذلك تعظيم لله ، ولاخوف من نقمته وعذابه .

٥٧ - فان تدرك أيها الرسول ، هؤلاء الناقضين لعهدهم ، وتصادفهم فى الحرب ظافرا بهم ، فنكل بهم تنكيلا يسوؤهم ويخيف من وراءهم ، فتفرق جموعهم من خلفهم . فذلك التنكيل أرجى لتذكيرهم بنقض العهود . ولدفع غيرهم عن الوقوع فى مثل ما وقع فيه هؤلاء[1] .

٥٨ - وان تتوقع من قوم خيانة بأمارات تنبىء بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد ، فاقطع عليهم طريق الخيانة لك ، بأن تعلن فسخك لعهدهم ، حتى يكونوا على علم بأمرك ، وحتى لا يستطيعوا خيانتك ، إن الله لايحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم .

٥٩ - ولايظن الذين كفروا أنهم سبقوا ونجوا من عاقبة خيانتهم وغدرهم ! انهم لايعجزون الله عن الاحاطة بهم ، بل هو القادر وحده ، وسيجزيهم بقوته وعدله .

---

(١) فى الآيات الكريمة تحذير من الذين يعاهدون ثم ينقضون العهد هؤلاء يجب التنكيل بهم وبمن وراءهم وفى الآية بيان لأهمية تدمير مؤخرة العدو وهو أسلوب من أساليب القتال الحديثة لأن إيقاع الاضطراب فى مؤخرة العدو كفيل بإرباكه ودفعه الى توزيع جنوده لحماية مؤخرته وفى هذا تفكيك لقوته .

يضاف الى ذلك ان فى المناطق الخلفية من ميادين القتال توجد المنشآت الادارية التى تعتمد عليها القوات فى الاعاشة ووقوع الاضطراب فى هذه الانحاء يؤدى الى عدم انتظام القوات وبالتالى الى إيقاع الهزيمة بالعدو.

وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن

---

٦٠ ـ وأعدوا يا معشر المسلمين لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال، ومن المرابطين فى الثغور وأطراف البلاد بخيلهم، لتخيفوا بهذا الاعداد والرباط عدو الله وعدوكم، من الكفار المتربصين بكم الدوائر وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم. لأنه لا يخفى عليه شىء. وكل ما أنفقتم من شىء فى سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه الله، فان الله يجزيكم عليه جزاء وافيا، دون أن ينقصكم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم[1].

٦١ ـ وان مال الأعداء عن جانب الحرب الى جانب السلم، فاجنح لها أيها الرسول، فليست الحرب غرضا مقصودا لذاته عندك انما أنت قاصد بها الدفاع، لعدوانهم، وتحديهم لدعوتك. فاقبل السلم منهم، وتوكل على الله، ولاتخف كيدهم ومكرهم انه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به، العليم بما يدبرون ويأتمرون، فلايخفى عليه شىء[2].

٦٢ ـ وإن أرادوا من تظاهرهم بالجنوح الى السلم خدعة ومكرا بك، فان الله يكفيك أمرهم من كل وجه، وقد سبق له أن أيدك بنصره، حين هيأ لك من الأسباب الظاهرة والخفية ماثبت به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار.

٦٣ ـ وجمع بينهم على المحبة بعد التفرق والتعادى، فأصبحوا ملتفين حولك، باذلين أرواحهم وأموالهم فى سبيل دعوتك، وانك لو أنفقت جميع ما فى الأرض من الأموال والمنافع، فى سبيل هذا التأليف، لما أمكنك أن تصل اليه، لأن القلوب بيد الله، ولكن الله ألف بينهم، بهدايتهم الى الايمان والمحبة والاخاء، وانه تعالى قوى غالب، يدبر أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم.

٦٤ ـ يا أيها النبى كفاك وكفى أتباعك المؤمنين أن الله لكم ناصرا ومؤيدا.

---

(١) فى الآية الكريمة حث صريح وأمر على الاستعداد لملاقاة العدو فالحرب قديما وحديثا أمر خطير جلل تتوقف عليه مصائر الامم لذلك فهى جديرة بالتحضير والتجهيزات والاعداد فى مختلف نواحى العدد والقوة والعتاد ودخول الحرب دون تجهيز واعداد يسبب الفشل ونحن نرى الدول الآن تستعد فى وقت السلم للحرب وتبنى سياستها واستراتيجيتها وتعبىء جميع مواردها للحصول على النصر فى الحرب. والحرب الآن شاملة يشترك فيها الشعب والجيش وهى بذلك أولى باعداد كل منها اعدادا شاملا يضمن النصر.

(٢) مبدأ عظيم من مبادىء الاسلام دين السلام ونحن الان نسمع كل دول العالم تنادى بالسلام ولذا انشئت هيئة الأمم المتحدة.

يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ

٦٥ - يأيها النبى حث المؤمنين على القتال لإعلاء كلمة الله ورغبهم فيما وراءه من خيرالدنيا والآخرة ، لتقوى بذلك نفوسهم وانه ان يوجد منكم عشرون معتصمون بالايمان والصبر والطاعة ، يغلبوا مائتين من الذين كفروا . ذلك بأنهم قوم لا يدركون حقائق الأمور ، فليس لهم إيمان ولاصبر ولامطمع فى ثواب . .

٦٦ - واذا كان واجبكم أيها المؤمنون أن تصبروا على ملاقاة أعدائكم فى حال قوتكم ، ولو كانوا أمثالكم ، فقد رخص الله لكم فى غير حال القوة ان تصبروا أمام مثليكم فقط من الأعداء لعلمه أن فيكم ضعفا يقتضى التيسير عليكم والترخيص لكم ، بعد أن تثبت هيبة الاسلام فى نفوس الكفار ، فان يكن منكم مائة مجاهد صابر يغلبوا مائتين من الكفار ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بارادة الله ومعونته ، والله مع الصابرين بنصره وتأييده[1] .

٦٧ - لايسوغ لأحد من الأنبياء أن يكون له أسرى يحتجزهم ، أو يأخذ منهم الفداء أو يمن عليهم بالعفو عنهم ، حتى يتغلب ، ويظهر على أعدائه ، ويثقلهم بالجراح ، فلا يستطيعوا قتالا فى الأرض ، ولكنكم ، ياجماعة المسلمين ، سارعتم فى غزوة بدر الى اتخاذ الأسرى قبل التمكن فى الأرض ، تريدون منافع الدنيا والله يريد لكم الآخرة ، باعلاء كلمة الحق ، وعدم الالتفات الى ما يشغلكم عن الدنيا والله قوى قادر غالب ، يدبر الأمور لكم على وجه المنفعة .

٦٨ - لولا حكم سابق من الله بالعفو عن المجتهد المخطىء لأصابكم فيما أخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به .

٦٩ - فكلوا مما غنمتم من الفداء حلالا لكم غير خبيث الكسب ، واتقوا الله فى كل أموركم ، ان الله عظيم الغفران والرحمة لمن شاء من عباده اذا أناب الى ربه .

---

(١) فى الآيات الكريمة بيان لأهمية العقيدة الراسخة والايمان فى الحرب فليس المهم العدو وانما القوة قوة الروح المقاتلة وايمان القلب . وهو أمر واضح فى جميع الحروب على مر الزمان . وكم من فئة قليلة قوية الايمان بقضيتها غلبت فئة كبيرة واهية ولاتؤمن بقضيتها الخاسرة . وفى الآيات أيضا بيان لوضع القائد فى المعركة فمن واجباته تنظيم ودفع جنوده وتحريضهم على القتال ويدخل فى ذلك ان يكون أسوة لهم وان يوضح لهم اساليب النصر وهذا وذاك من واجب كل قائد فى كل زمان .

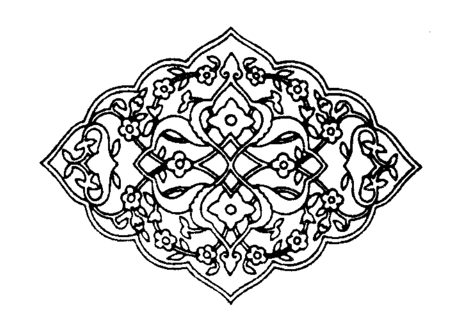
ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ

---

٧٠ - يأيها النبى ، قل للذين وقعوا فى أيديكم من الأسرى : ان يكن فى قلوبكم خير يعلمه الله ، يخلف لكم خيرا مما أخذه المؤمنون منكم ، ويغفر لكم ماكان من الشرك والسيئات ، والله كثير المغفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه .

٧١ - وان يريدوا خيانتك بمايظهر بعضهم من الميل الى الاسلام مع انطواء صدورهم على قصد مخادعتك ، فلا تبتئس ، فسيمكنك الله منهم ، كما خانوا الله من قبل باتخاذ الأنداد والشركاء والكفر بنعمته ، فأمكن منهم اذ نصرك عليهم فى بدر ، مع التفاوت بين قوتك فى القلة ، وقوتهم فى الكثرة ، والله قوى غالب متصرف بحكمته فأمكن من نصره عباده المؤمنين .

٧٢ - إن الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه ، وهاجروا من مكة ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والذين آووهم فى غربتهم ، ونصروا رسول الله يقاتلون من قاتله ، ويعادون من عاداه ، بعضهم نصراء بعض فى تأييد الحق وإعلاء كلمة الله على الحق . والذين لم يهاجروا ، لايثبت لهم شىء من ولاية المؤمنين ونصرتهم ، اذ لاسبيل الى ولايتهم حتى يهاجروا ، وان طلبوا منكم النصر على من اضطهدوهم فى الدين ، فانصروهم . فان طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم ، لم ينقضوا الميثاق معكم ، فلا تجيبوهم ، والله بماتعملون بصير لا يخفى عليه شىء ، فقفوا عند حدوده لئلا تقعوا فى عذابه .

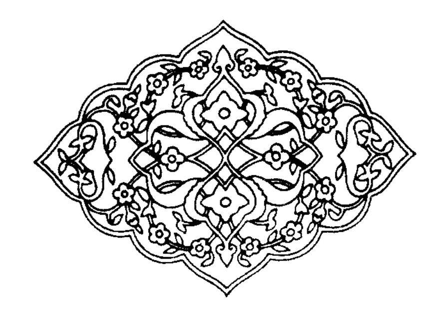


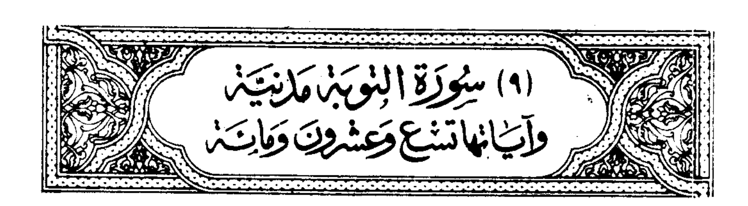
كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٧٣ ـ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل ، متعاونون فى عداوتكم ، فلاتوالوهم ، فان خالفتم وواليتموهم ، تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض .

٧٤ ـ والذين آمنوا وهاجروا فى سبيل الله ، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة الله ، هم الصادقو الايمان ، والله تعالى يغفر لهم ، ولهم رزق كبير فى الدنيا والآخرة .

٧٥ ـ والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيرا وجاهدوا مع السابقين ، فأولئك منكم ياجماعة المهاجرين والأنصار ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم ـ فضلا عن ولاية الإيمان ـ ولاية القرابة ، فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد ، وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شىء .





بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟

سورة التوبة مدنية ، نزلت بالمدينة فى العام التاسع ، وحملها على بن أبى طالب إلى المسلمين فى الحج ، وقرأها عليهم ، وأمير الحج فى هذا العام أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وآياتها تسع وعشرون ومائة ، وقد ابتدأت ببراءة الله تعالى من المشركين ، ولذلك سميت سورة براءة ، وذكرت بعد ذلك حرمة الأشهر الحرم ، وعهد المشركين ، ووجوب الوفاء مالم ينكثوا ، ومن ينكث فى العهد فإنه يجب حربه ، وبينت بعد ذلك أن لب التقرب الى الله تعالى هو الايمان به ، وأنه لا يكمل الايمان إلا اذا كان الله ورسوله أحب الى المؤمنين من كل شئ وذكر سبحانه أن الاعتزاز بالقوة ، يبعد النصر وأشار الى حال المسلمين فى غزوة حنين . وفى هذه السورة حرم على المشركين دخول المسجد الحرام ، لأنهم نجس .

وفيها النص على وجوب قتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد ، وبين فيها عدد الأشهر الحرم ، وفيها بينت ضرورة النفرة إلى القتال عند كل نداء من غير تلكؤ ، وفيها من بعد ذلك إشارات الى المخلفين والمعوقين عن الخروج للقتال ، وبيان أحوال المنافقين الذين يبتغون الفتنة فى كل وقت تكون الدعوة فيه إلى القتال ، وذكر الله تعالى المنافقين فى معاملتهم للمؤمنين فى السلم وفى الحرب .

وفى هذه السورة الأمر القاطع المعلن لعقوبة النفاق ، وهو ألا يصلى النبى ﷺ على أحد منهم ، وذكر سبحانه بعد ذلك الأعذار التى تسوغ التخلف ، وبين سبحانه حال الذين أظهروا الدخول فى الاسلام من الأعراب ، أو خضعوا لأحكامه بعد أن صارت له قوة ، وبين أن هؤلاء الأعراب مقيمون حول المدينة وقريبا منها .

وذكر من بعد ذلك أحوال الناس بالنسبة للايمان ، وذكر خبر مسجد الضرار الذى بناه المنافقون ليغضوا من المسجد الذى بناه رسول الله ﷺ ، ثم ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين الصادقين فى إيمانهم ، وتوبة الذين كانوا قد خلفوا عن رسول الله ﷺ ، وقبول الله تعالى لهذه التوبة ، كما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الناس فى تلق آيات القرآن عند نزولها ، وختم سبحانه وتعالى السورة بأن الله تعالى اختار محمدا للرسالة وهو لا يريد عنت من أرسل اليهم ، وأنه بهم رءوف رحيم ، وأن الله حسبه اذا تولوا عنه .

١ ـ الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدتموهم فنقضوا العهد .

أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ
أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟
ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

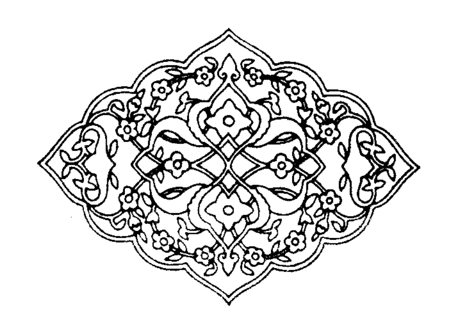
---

٢ ـ فلكم الأمان أيها المشركون ـ مدة أربعة أشهر ـ من حين البراءة تتنقلون فيها حيث شئتم، واعلموا أنكم حيثما كنتم خاضعون لسلطان الله، وأنتم لا تعجزونه، وان الله كاتب الخزى على الذين يجحدونه.

٣ ـ وبلاغ من الله ورسوله الى الناس عامة، فى مجتمعهم يوم الحج الأكبر، أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين. فيأيها المشركون الناقضون للعهد، إذا رجعتم عن شركم بالله، فإن ذلك خير لكم فى الدنيا والآخرة، أما ان أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه، فاعلموا أنكم خاضعون لسلطان الله. أيها الرسول أنذر جميع الكافرين بعذاب شديد الايلام.

٤ ـ أما من عاهدتم من المشركين، فحافظوا على عهودكم ولم يخلوا بشئ منها ولم يعينوا عليكم أحدا، فأوفوا لهم عهدهم الى نهايته واحترموه.. إن الله يحب المتقين المحافظين على عهودهم.

٥ ـ فإذا انقضت مدة الأمان ـ الأشهر الأربعة ـ فاقتلوا المشركين الناقضين للعهد فى كل مكان، وخذوهم بالشدة، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق، واقعدوا لهم فى كل سبيل، فإن تابوا عن الكفر. والتزموا أحكام الاسلام بإقامة الصلاة وايتاء الزكاة، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم فى دين الله، والله عظيم المغفرة لمن تاب، واسع الرحمة بعباده.



كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ

---

٦ - وإن طلب منك الأمان ، أيها الرسول ، أحد من المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك ، فأمنه حتى يسمع كلام الله ، فإن دخل فى الاسلام فهو منكم ، وإن لم يدخل فأبلغه مكانا يكون فيه آمنا . وهذا الأمر بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله بسبب ما ظهر من جهله للاسلام ، ورغبته فى العلم به .

٧ - كيف يكون لهؤلاء المشركين ، الناقضين للعهود مرارا ، عهد محترم عند الله وعند رسوله ؟ فلا تأخذوا بعهودهم ، إلا الذين عاهدتموهم من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم ، فاستقيموا أنتم لهم على عهدكم ماداموا مستقيمين ، إن الله يحب الطائعين له الموفين بعهودهم .

٨ - كيف تحافظون على عهودهم ، وهم قوم - إن يتمكنوا منكم ويكونوا ظاهرين عليكم - فلن يدخروا جهدا فى القضاء عليكم ، غير مراعين فيكم قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء يخدعونكم بكلامهم المعسول ، وقلوبهم منطوية على كراهيتكم ، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد .

٩ - أعرضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عرضا قليلا من أعراض الدنيا ، ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله ، إن هؤلاء قبح ما كانوا يعملون .

١٠ - تلك حال جحودهم ، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء ، فهو مرض لازم لهم .

١١ - فإن تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الاسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهم اخوانكم فى الدين ، لهم مالكم وعليهم ما عليكم ، ويبين الله الآيات لقوم ينتفعون بالعلم .

إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

---

١٢ - وإن نقضوا عهودهم من بعد توكيدها ، واستمروا على الطعن فى دينكم ، فقاتلوا رؤساء الضلال ومن معهم ، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة ، لينتهوا عن كفرهم .

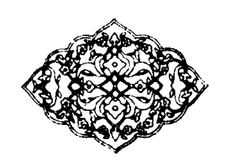
١٣ - هلا تسارعون ، أيها المؤمنون ، إلى قتال جماعة من المشركين ، نقضوا عهودكم مرارا ، وقد سبق أن هموا بإخراج الرسول من مكة وبقتله ، وهم الذين بدأوكم بالايذاء والعدوان من أول الأمر ، أتخافوهم ؟ لا تخافوهم فالله وحده أحق بأن تخافوه ، إن كنتم صادقين فى إيمانكم .

١٤ - قاتلوهم أيها المؤمنون ، يذقهم الله العذاب على أيديكم ، ويذلهم وينصركم عليهم ، ويشف بهزيمتهم وإعلاء عزة الاسلام ما كان من ألم كامن وظاهر بصدور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار .

١٥ - ويملأ الله قلوب المؤمنين فرحا بالنصر بعد الهم والخوف ، ويذهب عنهم الغيظ ، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم ، والله واسع العلم بشئون عباده ، عظيم الحكمة فيما يشرع لهم .

١٦ - لا تظنوا أيها المؤمنون أن يترككم الله تعالى دون اختبار لكم بالجهاد ونحوه . إن من سنته تعالى الاختبار ، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين ، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء ، والله عليم بجميع أعمالكم ، ومجازيكم عليها .

١٧ - ليس المشركون أهلا لأن يعمروا مساجد الله ، وهم مستمرون على كفرهم ، معلنون له ، أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ولا ثواب لهم عليها ، وهم خالدون فى النار يوم القيامة .



وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

---

١٨ ـ ولكن الذين يعمرون مساجد الله ، إنما هم الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأدوا الصلاة على وجهها ، وأخرجوا زكاة أموالهم ، ولم يخشوا الا الله وحده ، وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين الى الصراط المستقيم .

١٩ ـ لا ينبغى أن تجعلوا القائمين بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام من المشركين فى منزلة الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وجاهدوا فى سبيل الله . ذلك أنهم ليسوا بمنزلة واحدة عند الله . والله لايهدى الى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم أنفسهم بالكفر وظلم غيرهم بالأذى المستمر .

٢٠ ـ الذين صدقوا بوحدانية الله ، وهاجروا من دار الكفر الى دار الاسلام ، وتحملوا مشاق الجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات وهؤلاء هم الظافرون بمثوبة الله وكرامته .

٢١ ـ وهؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التى تشملهم ويخصهم برضاه ، وهو أكبر جزاء ، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم .

٢٢ ـ وهم خالدون فى الجنة لا يتحولون عنها ، وان الله عنده أجر عظيم وثواب جزيل .

٢٣ ـ يأيها المؤمنون لا تتخذوا من آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم وأزواجكم ، نصراء لكم ، ماداموا يحبون الكفر ويفضلونه على الايمان ومن يستنصر بالكافرين ، فأولئك هم الذين تجاوزوا الطريق المستقيم .

وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ

---

٢٤ ـ قل يأيها الرسول للمؤمنين : إن كنتم تحبون آبائكم وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم ، وأقرباءكم ، وأموالا اكتسبتموها ، وتجارة تخافون بوارها ، ومساكن تستريحون للاقامة فيها أكثر من حبكم لله ورسوله والجهاد فى سبيله ، حتى شغلتكم عن مناصرة الرسول ، فانتظروا حتى يأتى لله بحكمه فيكم وعقوبته لكم . والله لا يهدى الخارجين على حدود دينه .

٢٥ ـ لقد نصركم الله أيها المؤمنون على أعدائكم فى كثير من المواقع بقوة إيمانكم ، وحين غرتكم كثرتكم فى معركة حنين تركُم الله لأنفسكم أول الأمر ، فلم تنفعكم كثرتكم شيئا وظهر عليكم عدوكم ، ولشدة الفزع ضاقت عليكم الأرض ، فلم تجدوا سبيلا للقتال أو النجاة الشريفة ، ولم يجد أكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب ، ففررتم منهزمين ، وتركتم رسول الله مع قلة من المؤمنين[1] .

٢٦ ـ ثم أدركتكم عناية الله ، فأنزل الطمأنينة على رسوله ، وملأ بها قلوب المؤمنين ، وأمدكم بالملائكة جنوده التى ثبتت أقدامكم ولم تروها ، فانتصرتم . . وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة وذلك جزاء الكافرين فى الدنيا .

٢٧ ـ ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه ، إذا رجع عنه مخلصا ، والله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

---

(١) كانت موقعة حنين بين المسلمين وقبيلتى ثقيف وهوازن وكان جيش المسلمين فيها يبلغ نحو اثنى عشر الفا وعدد الكفار نحو أربعة آلاف وقد شددوا فى القتال ، لأن القضاء عليهم قضاء على آخر نفوذ للوثنية فى العرب ، لأن مكة فتحت قبل ذلك بقليل وقد التقى الفريقان المؤمنون بكثرتهم وقد اعجبتهم وأولئك بقلتهم العنيفة وكانت الجولة للشرك لغرور المسلمين ولكن انتهت المعركة بنصر المؤمنين ، والعبرة فى هذه الغزوة ان الكثرة العددية ليست هى عامل النصر إنما عامل النصر هو القوة المعنوية .

بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟

---

٢٨ - يأيها المؤمنون ، انما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم وهم ضالون فى العقيدة ، فلا تمكنوهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام (التاسع من الهجرة) . وإن خفتم فقرا بسبب انقطاع تجارتهم عنكم ، فإن الله سوف يعوضكم عن هذا ، ويغنيكم من فضله إن شاء ، إن الله عليم بشئونكم ، حكيم فى تدبيره لها .

٢٩ - يأيها الذين آمنوا ، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون ايمانا صحيحا بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء إقرارا صحيحا ، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الاسلام ، قاتلوهم حتى يؤمنوا ، أو يؤدوا اليكم الجزية[1] خاضعين طائعين غير متمردين . ليسهموا فى بناء الميزانية الاسلامية .

٣٠ - ترك اليهود الوحدانية فى عقيدتهم ، وقالوا : عزير[2] ابن الله وترك النصارى الوحدانية كذلك فقالوا : المسيح ابن الله . وقولهم هذا مبتدع من عندهم ، يرددونه بأفواههم ولم يأتهم به كتاب ولا رسول ، وليس عليه حجة ولا برهان ، وهم فى هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم ، لعن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم ، عجبا لهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل .

---

(١) الجزية من الموارد الهامة فى ميزانية الدولة الاسلامية وكانت هذه الضريبة تتراوح مابين ثمانية واربعين درهما ، واثنى عشر درهما للفرد الواحد تؤخذ من اليهود والنصارى ومن فى حكمهم وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط ان يكون له مال يدفع منه فرض عليه واعفى منها النساء والأطفال والشيوخ لأن الحرب لاتعلن عليهم ولا يدفعها العمى والمقعدون الا اذا كانوا أغنياء وكذلك الفقراء والمساكين والارقاء ولم يكن يطالب بها الرهبان اذا كانوا فى عزلة عن الناس .

وكان الاساس فى فرض ضريبة الجزية حماية اهل الذمة ودفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن فى حكمهم لم يكلفوا الحرب أو الدفاع عن أنفسهم أو غيرهم فكان من العدالة أن يدفعوا هذه الضريبة نظير الحماية والمنفعة ونظير تمتعهم بمرافق الدولة العامة وانها فى مقابل مايؤخذ من المسلم فان المسلم يؤخذ منه خمس الغنائم والزكاة وصدقة الفطر والكفارات المختلفة للذنوب فكان لابد أن يؤخذ من غير المسلم مايقابل القدر الذى يؤخذ من المسلم وهى تنفق فى المصالح العامة وعلى فقراء اهل الذمة الذين يدفعونها ولايقصد بهذه الضريبة الاذلال أو العقوبة لأن هذا لايتفق وعدالة الاسلام ولا يتمشى مع غايته السامية .

(٢) عزير هو عزرا الكاهن من نسل هارون خرج من بابل مع رجوع اليهود الثانى بعد وفاة رسول الله موسى بنحو الف عام ، وكان عزرا يلقب بالكاتب لأنه كان يكتب فى شريعة موسى .

ملحوظة : خرج عزرا ومن معه من اليهود الى اورشليم سنة ٤٥٦ ق . م فى السنة السابقة من حكم ارتخشستا ملك فارس بعد خراب اورشليم وحرق بيت المقدس ونهبه بزمن طويل .

إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا

---

٣١ - اتخذوا رجال دينهم أربابا ، يشرعون لهم ، ويكون كلامهم دينا ، ولو كان يخالف قول رسولهم ، فاتبعوهم فى باطلهم ، وعبدوا المسيح ابن مريم ، وقد أمرهم الله فى كتبه على لسان رسله ألا يعبدوا الا الها واحدا ، لأنه لا يستحق العبادة فى حكم الشرع والعقل إلا الاله الواحد ، تنزه الله عن الاشراك فى العبادة والخلق والصفات .

٣٢ - يريد الكافرون بمزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الاسلام ، ولا يريد الله الا اتمام نوره ، بإظهار دينه ونصر رسوله ، ولو كانوا كارهين لذلك .

٣٣ - هو الله الذى كفل اتمام نوره بإرسال رسوله (محمد) ﷺ بالحجج البينات ، ودين الحق (الاسلام) ليعلى هذا الدين على جميع الأديان السابقة عليه ، وإن كرهه المشركون فإن الله يظهره رغما عنهم .

٣٤ - يأيها المؤمنون : اعلموا أن كثيرا من علماء اليهود ورهبان النصارى يستحلون أموال الناس بغير حق ، ويستغلون ثقة الناس فيهم وأتباعهم لهم فى كل ما يقولون ويمنعون الناس عن الدخول فى الاسلام ، والذين يستحوذون على الأموال من ذهب وفضة حابسين لها ، ولا يؤدون زكاتها ، فأنذرهم أيها الرسول بعذاب موجع .

٣٥ - فى يوم القيامة ، يوقد على هذه الأموال فى نار جهنم ، ثم تحرق بتلك الأموال المحماة جباه أصحابها ، وجنوبهم ، وظهورهم ويقال توبيخا لهم : هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ، ولم تؤدوا منه حق الله ، فذوقوا اليوم عذابا شديدا .

يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

---

٣٦ - إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشرة شهرا ، فى حكم الله وتقديره ، وفيما بينه فى كتبه منذ بدء العالم . ومن هذه الاثنى عشر شهرا أربعة أشهر يحرم القتال فيها ، وهى : رجب والقعدة والحجة والمحرم . وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هو دين الله المستقيم ، الذى لا تبديل فيه ولا تغيير . فلا تظلموا فى هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها . وقاتلوا أيها المؤمنون جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم ، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعا ، وكونوا على يقين من أن الله ناصر للذين يخافون فيلتزمون أوامره ويجتنبون نواهيه .

٣٧ - وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتبها الله عليه - كما كان يفعله أهل الجاهلية - الا إمعان فى الكفر، يزداد به الذين كفروا ضلالا فوق ضلالهم ، وكان العرب فى الجاهلية يجعلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا القتال فيه ، ويجعلوا الشهر الحلال حراما . ويقولون : شهر بشهر ، ليوافقوا عدد الأشهر التى حرمها الله ، وقد حسنت لهم أهواؤهم أعمالهم السيئة ، والله لا يهدى القوم المصرين على كفرهم الى طريق الخير .

٣٨ - يأيها المؤمنون مالكم حينما قال لكم الرسول : اخرجوا للجهاد فى سبيل الله ، تباطأ بعضكم عن الخروج للجهاد ؟ لا ينبغى ذلك عجبا لكم أآثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم ، فما التمتع بالدنيا ولذائذها فى جنب متاع الآخرة إلا قليل تافه .

٣٩ - إن لم تستجيبوا للرسول ، فتخرجوا للجهاد فى سبيل الله ، يعذبكم الله عذابا موجعا . ويستبدل ربكم بكم قوما آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد ، ولا تضرون الله بهذا التخلف شيئا ، والله عظيم القدرة عل كل شئ .

حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ أَن

---

٤٠ ـ يأيها المؤمنون ، إن لم تنصروا رسول الله فإن الله كفيل بنصره ، كما أيده ونصره حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة . وليس معه إلا رفيقه أبو بكر ، وكان ثانى اثنين وبينما هما فى الغار مختفيين من المشركين الذين يتعقبونهما ، خشى أبو بكر على حياة الرسول . فقال له الرسول مطمئنا : لا تحزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة . عند ذلك أنزل الله الطمأنينة فى قلب صاحبه ، وأيد الرسول بجنود من عنده ، لا يعلمها إلا هو سبحانه . وانتهى الأمر [1] بأن جعل شوكة الكافرين مفلولة ودين الله هو الغالب ، والله متصف بالعزة فلا يقهر ، وبالحكمة فلا يختل تدبيره .

٤١ ـ أيها المؤمنون ، إذا دعا داعى الجهاد فلبوا النداء أفرادا وجماعات ـ كل على قدر حاله ، ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح وجاهدوا بالمال والنفس فى سبيل اعلاء كلمة الله ففى ذلك العز والخير لكم . . إن كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحقة [2] .

٤٢ ـ ندد القرآن بالمنافقين فى تخلفهم عن متابعة الرسول فى الجهاد ، فقال : لو كان مادعا اليه هؤلاء المنافقون عرضا من أعراض الدنيا قريب المنال ، أو لو كان كذلك سفرا سهلا ، لاتبعوك ـ أيها الرسول ـ ولكن شق عليهم السفر وسيحلفون أنهم لو استطاعوا لخروجوا معك ، وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم ، والله لا يخفى عليه حالهم ، فهو يعلم كذبهم وسيجزيهم على ذلك .

٤٣ ـ لقد عفا الله عنك أيها الرسول فى إذنك لهؤلاء المنافقين فى التخلف عن الجهاد ، قبل أن تتبين أمرهم ، وتعلم الصادق من أعذارهم ان كان ، كما تعرف الكاذبين منهم فى ادعائهم الايمان وفى انتحال الأعذار الصادقة .

---

(١) الغار الذى اختفى فيه النبى ﷺ وصاحبه كان بجبل ثور ، وهو جبل قريب من مكة وقد أقاما به ثلاثة ايام وخرجا منه بليل بعد ان علما ان الطلب لهما قد سكن ووصلا الى المدينة لثمان خلت من ربيع الاول من السنة الأولى للهجرة .

(٢) من المعانى المقصودة قوموا للقتال ركبانا ومشاة مسلحين بعتاد خفيف وآخر ثقيل وهذا من الاساليب المعروفة الآن فالأسلحة الخفيفة كالسيوف لها غرضها فى قتال الجنود أما الأسلحة الثقيلة فهى لدك معاقل العدو وحصونه .

يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن

---

٤٤ ـ ليس من شأن المؤمنين حقا بالله ، وحسابه فى اليوم الآخر ، ان يستأذنوك فى الجهاد بالمال والنفس ، أو فى التخلف عنك ، لأن صدق ايمانهم يحبب اليهم الجهاد فى سبيل الله . والله يعلم صدق نيات المؤمنين .

٤٥ ـ انما يستأذنك الذين لا يؤمنون إيمانا صادقا بالله وحسابه فى اليوم الآخر ، فإن قلوبهم دائما فى شك وريبة ، وهم يعيشون فى حيرة ، وسينالون جزاء ذلك .

٤٦ ـ ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين ، فى الخروج مع الرسول للجهاد ، لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها . ولكن الله كره خروجهم لعلمه أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم ، فعوقهم عن الخروج بما امتلأت به قلوبهم من النفاق ، وقال قائلهم : اقعدوا مع القاعدين من أصحاب المعاذير .

٤٧ ـ ولو خرجوا معكم الى الجهاد مازادوكم بخروجهم قوة ، ولكن يشيعون الاضطراب أو يسرعون الى الفتنة ، ويشيعونها فيما بينكم ، وفيكم من يجهل خبث نياتهم ، ويمكن أن يخدع بكلامهم ، أو لضعفه يسمع دعوتهم الى الفتنة والله عليم بهؤلاء المنافقين الذين يظلمون انفسهم بما أضمروه من الفساد .

٤٨ ـ وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم ، ودبروا لك ـ أيها الرسول ـ المكايد ، فأحبط الله تدبيرهم ، وحقق نصرك ، وأظهر دينه على الرغم منهم .

٤٩ ـ وبعض المنافقين كان يقول للرسول : ائذن لى فى القعود عن الجهاد ، ولا توقعنى فى شدة وضيق . انهم بهذا الموقف قد أوقعوا أنفسهم فى معصية الله ، وإن نار جهنم لمحيطة بهم فى اليوم الآخر .

قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً

---

٥٠ - هؤلاء المنافقون لا يريدون بك . أيها الرسول ، وبأصحابك ، الا المكاره ، فيتألمون اذا نالكم خير من نصر أو غنيمة ، ويفرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل ويقولون حينئذ شامتين . قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد ، وينصرفون مسرورين .

٥١ - قل لهم أيها الرسول : لن ينالنا فى دنيانا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا فنحن راضون بقضاء الله لا نغتر بالخير نناله ، ولانجزع بالشر يصيبنا فإن الله - وحده - المتولى لجميع أمورنا ، وعليه وحده يعتمد المؤمنون الصادقون .

٥٢ - قل لهم أيها الرسول : ليس لكم أن تتوقعوا شيئا ينالنا إلا إحدى العاقبتين الحميدتين اما النصر والغنيمة فى الدنيا واما الاستشهاد فى سبيل الله والجنة فى الآخرة . ونحن ننتظر لكم أن يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به ، أو يعذبكم بالذلة على أيدينا ، فانتظروا أمر الله ، ونحن معكم منتظرون أمره .

٥٣ - قل أيها الرسول للمنافقين ، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بانفاق المال فى الجهاد وغيره : أنفقوا ما شئتم طائعين أو مكرهين ، فلن يتقبل الله عملكم الذى أحبطه نفاقكم ، انكم دائما متمردون على دين الله ، خارجون على أمره .

٥٤ - وما منع الله من قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله - والكفر يحبط الأعمال وإلا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذى أمروا أن يؤدوها عليه ، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها سترا لنفاقهم ، ولا ينفقون شيئا إلا وهم كارهون لهذا الانفاق فى سرائرهم .

٥٥ - ولا يرقك ، أيها السامع ، ويأخذ بقلبك ، ما ترى المنافقين فيه من مال وبنين ، فإن الله ما أعطاهم هذا ليكابدوا فى سبيله المتاعب والمشقات ، لحفظه فى الحياة الدنيا ، دون أن يؤجروا على ذلك ، ويدركهم الموت وهم كافرون فيعذبون بسببها فى الآخرة .

٥٦ - ويقسم هؤلاء المنافقون كذباً لكم - يا جماعة المؤمنين - أنهم مؤمنون مثلكم ، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله ، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف ، وإن ذلك يدفعهم إلى النفاق والخوف الدائم ، فهم يؤكدونه بالأيمان الفاجرة .

أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ * إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

---

٥٧ - وهم يضيقون بكم، ويكرهون معاشرتكم، ولو يجدون حصناً أو سراديب فى الجبال أو جحوراً فى الأرض يدخلون فيها، لانصرفوا إليها مسرعين.

٥٨ - وبعض هؤلاء المنافقين يعيبك أيها الرسول، ويطعن عليك فى قسمة الصدقات والغنائم، إذ لاهم لهم إلا حطام الدنيا، فان أعطيتهم ما يرغبون منها رضوا عن عملك، وإن لم تعطهم تعجلوا بالسخط عليك.

٥٩ - ولو أن هؤلاء المنافقين، الذين عابوك فى قسم الصدقات والغنائم رضوا بما قسم الله لهم، وهو ما أعطاهم رسوله وطابت نفوسهم به - وان قل - وقالوا: كفانا حكم الله، وسيرزقنا الله من فضله، ويعطينا رسوله أكثر مما أعطانا فى هذه المرة، وإنا إلى طاعة الله وأفضاله واحسانه لراغبون. لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرا لهم.

٦٠ - لا تصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يجدون ما يكفيهم، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم، والذين يجمعونها ويعملون فيها، والذين تؤلف قلوبهم، لأنهم يرجى منهم الاسلام والانتفاع بهم فى خدمته ونصرته، والذين يدعون إلى الاسلام ويبشرون به. وفى عتق رقاب الأرقاء والأسرى من ربقة العبودية وذل الأسر، وفى قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الأداء. إذا لم تكن ناشئة عن اثم أو ظلم أو سفه، وفى امداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد فى سبيل الله وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر وفى عون المسافرين إذا انقطعت أسباب اتصالهم بأموالهم وأهليهم. شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه، حكيم فيما يشرع[1].

---

(١) الزكاة نظام وضع لتجمع اموال من الغنى وترد على الفقير فهى حق الفقير فى مال الغنى ويجمعها ولى الأمر.
وينفقها فى مصارفها التى يعد أهمها وأجلها محاربة آثار الفقر فى الفقير فهى تعطى للفقراء والمساكين وأبناء السبيل أمر لا فساد فيه، وفيها باب للقرض الحسن وتطبيقها فى وجوه البر ومنها يسدد دين من عجز عن سداده وكان قد اقترضه، وفى صدر الاسلام لم يجعل فى المجتمع الاسلامى جائعا يبيت على الطوى ولا شحاذا تذلله الحاجة حتى أنها لكثرتها كان يشكو عاملها من أنه لا يجد من ينفق عليه منها.
ولقد شكا عامل الصدقات على أفريقية الى عمر بن عبد العزيز انه لا يجد فقيرا ينفق عليه فقال له سدد الدين عن المدينين فسدد ثم شكا ثانية.
قال: اشتر عبيدا واعتقهم وذلك مصرف من مصارفها والحقيقة انها لو جمعت من وجوهها وصرفت فى مصارفها لتبين من تطبيقها أنها أعظم نظام للتكافل الاجتماعى.

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ

٦١ - ومن الناس منافقون يتعمدون ايذاء النبي ، وتناوله بما يكره ، فيتهمونه بأنه محب لسماع كل ما يقال له من صدق وكذب ، وأنه يخدع بما يسمع ، فقل لهم أيها الرسول : أن من تتناولونه فى غيبته بهذه التهمة ، ليس كما زعمتم ، بل هو اذن خير لا يسمع الا الصدق ، ولا يخدع بالباطل ، يصدق بالله ووحيه ، ويصدق المؤمنين ، لأن ايمانهم يمنعهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وان الله أعد لمن يؤذيه عذابا مؤلما دائما شديدا .

٦٢ - يتخلفون عنكم فى قتال أعدائكم دون تردد ، ثم يعتذرون عن تخلفهم كذباً ، ويحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم ، والله والرسول أحق بحرصهم على رضائه ان كانوا مؤمنين حقاً .

٦٣ - ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يكفر ، أو يحاد الله ورسوله جزاؤه العذاب الدائم فى نار جهنم ، وذلك هو العار الفاضح ، والذل الشديد .

٦٤ - المنافقون يستهزئون فيما بينهم بالرسول . ويخشون أن يفتضح أمرهم ، فتنزل فيهم على النبى آيات من القرآن تظهر ما يخفون فى قلوبهم ويسرونه فيما بينهم ، فقل لهم أيها الرسول : استهزئوا ما شئتم ، فان الله مظهر ما تخشون ظهوره .

٦٥ - تأكد أيها الرسول أنك ان سألت المنافقين ، بعد افتضاح أمرهم ، عن سبب طعنهم فى الدين واستهزائهم بالله وآياته ، اعتذروا بقولهم : كنا نخوض فى الحديث ونلهو ، فقل لهم : كيف ساغ لكم أن تخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله .

٦٦ - لا تعتذروا بهذه المعاذير الباطلة . قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الايمان ، فان نعف عن طائفة منكم تابت وآمنت بسبب ايمانهم وصدق توبتهم ، فإنا نعذب طائفة أخرى منكم بسبب اصرارهم على الكفر والنفاق ، واجرامهم فى حق الرسول والمؤمنين .

وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

---

٦٧ - المنافقون والمنافقات يتشابهون فى أنهم يفعلون القبيح ويأمرون به ، ويتركون الحق وينهون عنه ، ويبخلون ببذل المال فى وجوه الخير ، فهم كأجزاء من شىء واحد ، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدهم ، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله .

٦٨ - كتب الله للمنافقين وللكافرين نار جهنم يعذبون فيها ولا يخرجون منها ، وهى حسبهم عقاباً ، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة .

٦٩ - ان حالكم أيها المنافقون كحال أمثالكم ممن سبقوكم الى النفاق والكفر ، فانهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالا وأولادا ، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه ، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف ، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا ، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل ، انهم قد بطلت أعمالهم ، فلم تنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وكانوا هم الخاسرين وأنتم مثلهم فى سوء الحال والمآل .

٧٠ - أفلا يعتبر المنافقون والكافرون بحال الذين سبقوهم ، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم شعيب وقوم لوط ، جاءتهم رسل الله بالحجج البينات من عند الله ، فكذبوا وكفروا ، فأخذ الله كلاً بذنبه ، وأهلكهم جميعاً ، وما ظلمهم الله بهذا ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وتمردهم على الله واستحقاقهم العذاب وحدهم ، فهم الذين يظلمون أنفسهم .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ

---

٧١ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض بمقتضى الايمان يأمرون بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره الدين ، يؤدون الصلاة فى أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقيها فى ابانها ويمتثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويجتنبون ما ينهى عنه الله ورسوله ، وهؤلاء هم الذين سيظلون فى رحمة الله ، فإن الله قادر على رعايتهم بالرحمة ، حكيم فى عطائه .

٧٢ - وقد وعدهم الله الجنة خالدين فى نعيمها ، وأعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم فى دار الاقامة والخلود ، ولهم مع ذلك رضاء الله عنهم يستشعرون به ، وهو النعيم الأكبر ، وذلك هو الفوز العظيم . .

٧٣ - يأيها النبى ، ثابر على جهادك فى ردع الكفار عن كفرهم والمنافقين عن نفاقهم ، واشتد عليهم فى جهادك ، وان مآلهم الذى أعده الله لهم فى الآخرة هو جهنم ، وما أسوأ هذا المصير .

٧٤ - ان المنافقين يحلفون أمامك أيها الرسول بالله أنهم ما قالوا منكراً مما بلغك عنهم ، وهم كاذبون فى الانكار ، حانثون فى اليمين ، وانهم قد قالوا كلمة الكفر ، وظهر كفرهم بعد أن كان باطناً . وما كان سبب نقمتهم عليك الا بطراً بالنعمة ، بعد أن أغناهم الله ورسوله بما حصلوا عليه من الغنائم التى شاركوا فيها المسلمين ، فإن يرجعوا إلى الله بترك النفاق والندم على ماكان منهم يقبل الله توبتهم ويكون ذلك خيراً لهم وان يعرضوا عن الايمان يعذبهم الله فى الدنيا بمختلف ألوان البلاء . وفى الآخرة بنار جهنم ، وليس لهم فى الأرض من يدافع عنهم أو يشفع لهم أو ينصرهم .

٧٥ - ومن المنافقين من أقسم بالله وعاهده : لئن آتاهم الله مالاً ، وأغناهم من فضله ، ليتصدقن وليكونن من الصالحين فى أعمالهم .

بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ

٧٦ ـ فلما استجاب الله لهم ، وأعطاهم من فضله ، بخلوا بما أوتوا فلم ينفقوا ، ولم يوفوا بالعهد ، وانصرفوا عن الخير ، وهم معرضون عنه وعن الله .

٧٧ ـ فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق فى قلوبهم الى أن يموتوا ويلقوا الله ، بسبب نقضهم لعهدهم وكذبهم فى يمينهم .

٧٨ ـ كيف يتجاهلون ان الله مطلع عليهم . لايخفى عليه مايضمرونه فى السر من نقض العهد ، وما يتناجون به فى الخفاء من الطعن فى الدين وتدبير المكايد للمسلمين ، وهو جل شأنه العليم الذى لايغيب عنه شىء .

٧٩ ـ ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيبون على الموسرين من المؤمنين تصدقهم على المحتاجين ، ويسخرون بغير الموسرين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم وقد جازاهم الله على سخريتهم بما كشف من فضائحهم ، وجعلهم سخرية للناس أجمعين ولهم فى الآخرة عذاب شديد .

٨٠ ـ لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم ، وتطلب المغفرة من الله لهم فسواء أن تستغفر لهم أيها النبى أم لاتستغفر لهم ، ومهما أكثرت من طلب المغفرة لهم ، فلن يعفو الله عنهم ، لأنه لاأمل فى العفو والمغفرة مع الكفر والإصرار عليه وقد كفر هؤلاء بالله ورسوله ، والله لا يهدى الخارجين عليه وعلى رسوله ، لتمردهم على شرعه ودينه . .

يفقهون ﴿٨١﴾ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٢﴾ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴿٨٣﴾ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴿٨٤﴾ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴿٨٥﴾ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا

---

٨١ ـ ان المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله والمسلمين ، وفرحوا بقعودهم فى المدينة بعد خروج النبى منها ، وبمخالفتهم أمره بالجهاد معه ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، ويضحوا بأرواحهم ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ونصر دينه ، وأخذوا يثبطون غيرهم ، ويغرونهم بالقعود معهم ويخوفونهم من النفور الى الحرب فى الحر ، فقل أيها الرسول لهؤلاء لو كنتم تعقلون ، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون .

٨٢ ـ فليضحكوا فرحا بالقعود ، وسخرية من المؤمنين ، فان ضحكهم زمنه قليل ، لانتهائه بانتهاء حياتهم فى الدنيا ، وسيعقبه بكاء كثير لانهاية له فى الآخرة ، جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من سيئات .

٨٣ ـ فان أعادك الله من الغزو الى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو ، فاستأذنوك فى أن يخرجوا معك للجهاد فى غزوة أخرى ، فلاتأذن لهم ، وقل لهم : لن تخرجوا معى فى أية غزوة ، ولن تشتركوا معى فى قتال أى عدو ، لأن قعودكم عن الخروج فى أول مرة لم يسبق بعذر يبرره ، ولم يلحق بتوبة تغفره ، فاقعدوا كما ارتضيتم أن تقعدوا مع المتخلفين من العجزة والكهول والنساء والأطفال .

٨٤ ـ واذا مات أحد منهم ، فلاتصل عليه ، ولاتقف على قبره عند دفنه لأنهم عاشوا حياتهم كافرين بالله ورسوله ، وماتوا وهم خارجون عن دين الله .

٨٥ ـ ولايثير عجبك أيها الرسول ماأعطيناهم من الأموال والأولاد مع سخطنا عليهم فلم يكن ذلك عن ايثارهم بالخير ، بل لتنفيذ ما أراد الله من شقائهم فى الدنيا بالانهاك فى جمع المال ، وما يلحقهم فى ذلك من الهموم والمصائب ، ولتنفيذ ما أراد الله من مفارقتهم للدنيا كافرين ، وقد خسروا الأولى والآخرة .

ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ

---

٨٦ - وهؤلاء المنافقون ، اذا سمعوا شيئًا مما أنزل عليك فى القرآن ، يدعوهم الى إخلاص الايمان بالله ، والى الجهاد مع رسول الله ، طلب الأغنياء والأقوياء منهم أن تأذن لهم فى التخلف عن الجهاد معك ، وقالوا لك : اتركنا مع المعذورين القاعدين فى المدينة .

٨٧ - انهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا فى عدد المتخلفين من النساء والعجزة والأطفال الذين لاينهضون لقتال ، وختم الله على قلوبهم بالخوف والنفاق ، فهم لا يفهمون فهما حقيقيا مافى الجهاد ومتابعة الرسول فيه من عز فى الدنيا ورضوان فى الآخرة .

٨٨ - ذلك شأن المنافقين ، لكن الرسول والذين صدقوا معه بالله ، قد بذلوا أموالهم وأرواحهم ارضاء لله واعلاء لكلمته وأولئك لهم وحدهم كل خير فى الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح ، وهم وحدهم الفائزون .

٨٩ - وقد هيأ الله لهم فى الآخرة النعيم المقيم ، فى جنات تتخللها الأنهار ، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح الكبير .

٩٠ - وكما تخلف بعض المنافقين فى المدينة عن الخروج للجهاد ، جاء فريق من الأعراب وهم أهل البادية ، ينتحلون الأعذار ليؤذن لهم فى التخلف وبذلك قعد الذين كذبوا الله ورسوله فيما يظهرونه من الإيمان ، فلم يحضروا ولم يعتذروا لله ورسوله ، وذلك دليل كفرهم ، وسينزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم .

٩١ - ان الذين يقبل عذرهم فى التخلف ، هم الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء الذين لايجدون ماينفقون ، اذا أخلص هؤلاء لله ورسوله فى دينهم فانهم بذلك محسنون ، ولا حرج على المحسنين ، والله كثير الغفران واسع الرحمة .

تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ

---

٩٢ ـ وكذلك لاحرج على من جاء من المؤمنين يلتمسون أن تحملهم الى الجهاد فقلت لهم ، لا أجد ما أحملكم عليه ، فانصرفوا عنك وعيونهم تفيض الدمع حزنا أن فاتهم شرف الجهاد فى سبيل الله لأنهم لا يجدون ما ينفقون .

٩٣ ـ انما اللوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنونك ـ أيها النبى ـ فى تخلفهم عن الجهاد ، وهم واجدون المال والعتاد ، قادرون على الخروج معك ، لأنهم مع قدرتهم واستطاعتهم رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات ، والشيوخ العاجزين ، والمرضى غير القادرين ، ولأن قلوبهم أغلقت عن الحق ، فهم لا يعلمون العاقبة الوخيمة التى تترتب على تخلفهم فى الدنيا وفى الآخرة .

٩٤ ـ سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون اليكم ، أيها المؤمنون المجاهدون اذا رجعتم من ميدان الجهاد والتقيتم بهم ، فقل لهم أيها الرسول لاتعتذروا فإنا لن نصدقكم ، لأن الله قد كشف حقيقة نفوسكم ، وأوحى الى نبيه بشىء من أكاذيبكم ، وسيعلم الله ورسوله مايكون منكم بعد ذلك من عمل ، ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا الى الله الذى يعلم السر والعلانية فيخبركم بما كنتم تعملون ، ويجازيكم بما تستحقون .

٩٥ ـ سيحلفون لكم بالله ، حينما ترجعون اليهم ، انهم صادقون فى معاذيرهم ، لكى يرضوكم فتغفلوا عن عملهم ، فلاتحققوا لهم هذا الغرض ، بل اجتنبوهم وامقتوهم ، لأنهم فى أشد درجات الخبث النفسى والكفر ، ومصيرهم الى جهنم ، عقابا على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار . .

٩٦ ـ يقسمون لكم طمعا فى رضائكم عنهم ، فان خدعتم بأيمانهم ورضيتم عنهم ، فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم ، ذلك لأن الله ساخط عليهم لفسقهم وخروجهم على الدين .

مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

---

٩٧ ـ الأعراب من أهل البادية أشد جحودا ونفاقا ، وقد بلغوا فى ذلك غاية الشدة ، وذلك لبعدهم عن أهل الحكمة ومنابع العلم ، وهم حقيقون بأن يجهلوا حدود الله ، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام . والله عليم بأحوال الفريقين ، حكيم فيما يقدره من جزاء .

٩٨ ـ وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية ، يعتبرون الانفاق فى سبيل الله غرامة وخسرانا ، لعدم اعتقادهم فى ثوابه تعالى ، ويتوقعون وينتظرون أن تدور عليكم الحرب أيها المؤمنون ألا رد الله تلك المصائب عليهم وجعل الشر الذى ينتظرونه لكم محيطا بهم ، والله سميع بأقوالهم ، عليم بأفعالهم ونياتهم ، وبما يقترفون من آثام .

٩٩ ـ وليس كل الأعراب كذلك ، فنهم مؤمنون بالله مصدقون بيوم القيامة ، يتخذون الانفاق فى سبيل الله وسيلة يتقربون بها الى الله وسببا لدعاء الرسول لهم ، اذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ، وهى لاشك قربة عظيمة توصلهم الى ما يبتغون ، فان الله سيغمرهم برحمته ، لأنه الغفور للذنوب ، الرحيم بخلقه .

١٠٠ ـ والمؤمنون الذين سبقوا الى الاسلام ، من المهاجرين والأنصار ، الذين ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا ، يرضى الله عنهم ، فيقبل منهم ويجزيهم خيرا ، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد الله لهم من جنات تجرى الأنهار تحت أشجارها ، فينعمون فيها نعيما أبديا ، وذلك هو الفوز العظيم .

عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

١٠١ - وممن يجاور المدينة من أهل البادية من يضمر الكفر ويظهر الايمان ، ومن سكان المدينة قوم مرنوا على النفاق ، حتى برعوا فيه وستروه عن الناس ، حتى لقد خفى أمرهم عليك - أيها الرسول - ولكن الله هو الذى يعلم حقيقتهم ، وسيعذبهم فى الدنيا مرتين : مرة بنصركم على أعدائكم الذين يغيظهم ، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم ، ثم يردون فى الآخرة الى عذاب النار وهولها الشديد .

١٠٢ - وهناك ناس آخرون آذوك ثم من بعد ذلك اعترفوا بما أذنبوا ، وسلكوا طريق الحق ، فهؤلاء قد أتوا عملا صالحا وعملا سيئا ، وانهم لهذا يرجى لهم أن تقبل توبتهم ، وأن الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويغفر لهم .

١٠٣ - خذ أيها الرسول من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح ، وترفع درجاتهم عند الله ، وادع لهم بالخير والهداية فان دعاءك تسكن به نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، والله سميع للدعاء عليم بالمخلصين فى توبتهم .

١٠٤ - ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن الله وحده هو الذى يقبل التوبة الخالصة والصدقة الطيبة ، وأنه سبحانه ، هو الواسع الفضل فى قبول التوبة ، العظيم الرحمة بعباده .

١٠٥ - وقل - أيها الرسول - للناس : اعملوا ولاتقصروا فى عمل الخير وأداء الواجب فان الله يعلم كل أعمالكم ، وسيراها الرسول والمؤمنون فيزنونها بميزان الايمان ويشهدون بمقتضاها ، ثم تردون بعد الموت الى من يعلم سركم وجهركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، بعد ان ينبئكم بها صغيرها وكبيرها .

١٠٦ - وهناك ناس آخرون وقعوا فى الذنوب ، ومنها التخلف عن الجهاد ، وليس فيهم نفاق ، وهؤلاء مرجأون لأمر الله : اما أن يعذبهم ، واما أن يتوب عليهم ويغفر لهم ، والله عليم بأحوالهم وماتنطوى عليه قلوبهم ، حكيم فيما يفعله بعباده من ثواب أو عقاب .

مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ

---

١٠٧ - ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لايبتغون به وجه الله ، وانما يبتغون به الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين وأنهم سيحلفون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد الا الخير والعمل الأحسن ، والله يشهد عليهم أنهم كاذبون فى ايمانهم[1].

١٠٨ - لاتصل - أيها الرسول - فى هذا المسجد أبدا ، وان مسجدا أقيم ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته من أول أمره كمسجد قباء لجدير بأن تؤدى فيه شعائر الله ، وفى هذا المسجد رجال يحبون أن يطهروا أجسادهم وقلوبهم بأداء العبادة الصحيحة فيه ، والله يحب ويثيب الذين يتقربون اليه بالطهارة الجسمية والمعنوية .

١٠٩ - لايستوى فى عقيدته ولافى عمله من أقام بنيانه على الاخلاص فى تقوى الله وابتغاء رضائه ومن أقام بنيانه على النفاق والكفر ، فان عمل المتقى مستقيم ثابت على أصل متين ، وعمل المنافق كالبناء على حافة هاوية فهو واه ساقط ، يقع بصاحبه فى نار جهنم . والله لا يهدى الى طريق الرشاد من أصر على ظلم نفسه بالكفر .

١١٠ - وسيظل هذا البناء الذى بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف فى قلوبهم لاينتهى حتى تتقطع قلوبهم بالندم والتوبة أو بالموت ، والله عليم بكل شىء ، حكيم فى أفعاله وجزائه .

---

(١) المسجد المذكور فى الآية قد اقامته طائفة من المنافقين بالمدينة يريدون الشر فقد ازعجهم بناء مسجد قباء الذى شيده بنو عمرو ابن عوف وباركه النبى ﷺ بالصلاة فيه فحرض ابن عامر الراهب هؤلاء المنافقين ليبنوا مسجدا يفاخرون به من بنوا مسجد قباء فتكون العصبية الجاهلية موضوعها التفاخر بالمساجد وليتخذوه وكرا لاجتماعهم وتبييت الشر للمؤمنين ، وبعد تمام بنائه دعوا الرسول ﷺ للصلاة فيه ليتخذوا من صلاته فيه مادة للعصبية والتفريق وهم أن يجيب غير عالم بما يبيتون، ولكن الله تعالى أعلمه بذلك عند عودته من غزوة تبوك واعتزامه ان يجيب دعوتهم فنهاه سبحانه وتعالى عن ان يقوم فيه فضلا عن ان يصلى فيه .

ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ

---

١١١ - يؤكد وعده للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم فى سبيله ، بأنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال بالجنة ثمنا لما بذلوا ، فانهم يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون فى سبيله ، وقد أثبت الله هذا الوعد الحق فى التوراة والانجيل ، كما أثبته فى القرآن وليس أحد أبر ولا أوفى بعهده من الله ، فافرحوا أيها المؤمنون المجاهدون ، بهذه المبايعة التى بذلتم فيها أنفسكم وأموالكم الفانية وعوضتم عنها بالجنة الباقية ، وهذا الشراء والبيع هو الظفر الكبير لكم .

١١٢ - ان أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة أنهم يكثرون التوبة من هفواتهم الى الله ، ويحمدونه على كل حال ، ويسعون فى سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم ، ويحافظون على صلواتهم . ويؤدونها كاملة فى خشوع ، ويأمرون بكل خير يوافق ماجاء الشرع ، وينهون عن كل شر يأباه الدين ويلتزمون بشريعة الله ، وبشر ايها الرسول المؤمنين .

١١٣ - ليس للنبى وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كانوا أقرب الناس اليهم ، من بعد أن يعلم المؤمنون من أمر هؤلاء المشركين بموتهم على الكفر ، أنهم مستحقون للخلود فى النار .

١١٤ - لم يكن مافعله ابراهيم عليه السلام من الاستغفار لأبيه ، الا تحقيقا لوعد من ابراهيم لأبيه ، رجاء ايمانه ، فلما تبين لابراهيم أن أباه عدو لله ، باصراره على الشرك حتى مات عليه ، تبرأ منه وترك الاستغفار له ولقد كان ابراهيم كثير الدعاء والتضرع لله صبورا على الأذى .

١١٥ - وماكان من سنن الله ولطفه بعباده أن يصف قوما بالضلال ، ويجرى عليهم أحكامه بالذم والعقاب ، بعد أن أرشدهم الى الاسلام ، حتى يتبين لهم عن طريق الوحى الى رسوله مايجب عليهم اجتنابه ، ان الله محيط علمه بكل شىء .

وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ

---

١١٦ - إن الله وحده مالك السموات والأرض ومافيها ، وهو المتصرف فيها بالإحياء والإماتة ، وليس لكم سوى الله من ولى يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم.

١١٧ - لقد تفضل الله سبحانه على نبيه ، وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا معه الى الجهاد فى وقت الشدة (فى غزوة تبوك)[1] فثبتهم وصانهم عن التخلف ، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم ، حتى كادت قلوبهم تميل الى التخلف عن الجهاد ، ثم غفر الله لهم هذا الهم الذى خطر بنفوسهم ، انه سبحانه كثير الرأفة بهم عظيم الرحمة.

١١٨ - وتفضل سبحانه بالعفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج فى غزوة تبوك ، لاعن نفاق منهم ، وكان أمرهم مرجأ الى أن يبين الله حكمه فيهم ، فلما كانت توبتهم خالصة ، وندمهم شديدا حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها ، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحزنا وعلموا أنه لاملجأ من غضب الله الا باستغفاره والرجوع اليه ، حينئذ هداهم الله الى التوبة ، وعفا عنهم ، ليظلوا عليها ، ان الله كثير القبول لتوبة التائبين عظيم الرحمة بعباده.

١١٩ - يأيها الذين آمنوا اثبتوا على التقوى والايمان ، وكونوا مع الذين صدقوا فى أقوالهم وأفعالهم.

---

(١) « كانت غزوة تبوك فى رجب من السنة التاسعة للهجرة بين المسلمين والروم - والجيش الاسلامى الذى خرج فى هذه الغزوة يسمى جيش العسرة لأن التأهب لها كان فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحرمان - ولما وصل النبى ﷺ الى تبوك جاء يوحنا وصالح الرسول على الجزية وأقام الرسول بتبوك بضع عشرة ليال ثم خرج الرسول بعدها قافلا الى المدينة وهذه آخر غزوة خرج بها الرسول عليه الصلاة والسلام غازيا ».

نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ

---

١٢٠ - ماكان يحل لأهل المدينة ، ومن يجاورونهم من سكان البوادى ، أن يتخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ ، ولا أن يضنوا بأنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه ، اذ أنهم لا يصيبهم فى سبيل الله ظمأ أو تعب أو جوع ، ولا ينزلون مكانا يثير وجودهم فيه غيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو غرضا كالهزيمة أو الغنيمة الا حسب لهم بذلك عمل طيب يجزون عليه أحسن الجزاء ، وان الله لا يضيع أجر الذين أحسنوا فى أعمالهم .

١٢١ - وكذلك لايبذل المجاهدون أى مال ، صغيرا أو كبيرا ، ولا يسافرون أى سفر فى سبيل الله ، الا كتبه الله لهم فى صحائف أعمالهم الصالحة ، لينالوا به أحسن مايستحقه العاملون من جزاء .

١٢٢ - ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعا الى النبى ﷺ اذا لم يقتض الأمر ذلك ، فليكن الأمر أن تخرج الى الرسول طائفة ليتفقهوا فى دينهم ، وليدعوا قومهم بالانذار والتبشير حينما يرجعون اليهم ليثبتوا دائما على الحق ، وليحذروا الباطل والضلال[1] .

١٢٣ - يأيها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم ، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليكم ، وكونوا أشداء عليهم فى القتال ، ولا تأخذكم بهم رأفة واعلموا أن الله بعونه ونصره مع الذين يتقونه .

١٢٤ - واذا ما أنزلت سورة من سور القرآن ، وسمعها المنافقون سخروا واستهزءوا وقال بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه السورة ايمانا ؟ ولقد رد الله عليهم بأن هناك فرقا بين المنافقين والمؤمنين : فأما المؤمنون الذين أبصروا النور وعرفوا الحق ، فقد زادتهم آيات الله ايمانا ، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون .

١٢٥ - وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا الى كفرهم ، وماتوا وهم كافرون .

---

(١) « فى الآية الكريمة بيان لقاعدة هامة فى الكتاب وهى ما كان للمؤمنين أن ينفروا جميعا نحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يثبطوا جميعا فان ذلك يخل بأمر المعاش ولذلك يعين من كل فرقة طائفة تطلب العلم والتفقه وتحصل على المراد وتعود لترشد باقى القوم » .

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

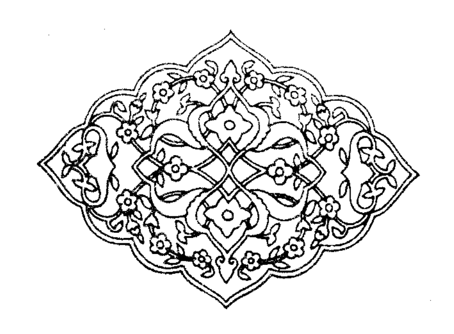
---

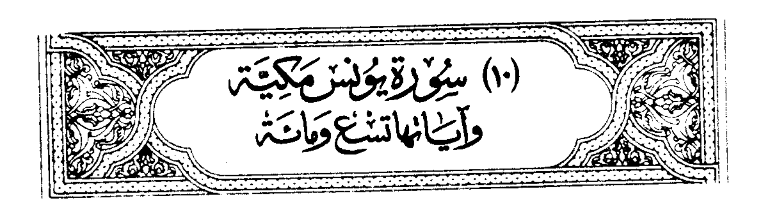
١٢٦ ـ أولا يعتبر المنافقون بمايبتليهم الله به فى كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء بكشف استارهم وظهور أحوالهم ونصر المؤمنين وظهور باطلهم، ثم لا يتوبون عما هم فيه ولا هم يذكرون ما وقع لهم ؟

١٢٧ ـ وكذلك اذا ماأنزلت سورة ، وهم فى مجلس الرسول ، تغامزوا وقال بعضهم لبعض ، هل يراكم أحد ؟ ثم انصرفت قلوبهم عن متابعته والايمان به ، زادهم الله ضلالا بسبب تماديهم فى الباطل واعراضهم عن الحق ، لأنهم قوم لايفقهون .

١٢٨ ـ لقد جاءكم ، أيها الناس ، رسول من البشر مثلكم فى تكوينه ، يشق عليه ما يصيبكم من الضرر ، وهو حريص على هدايتكم ، وبالمؤمنين عظيم العطف والرحمة .

١٢٩ ـ فان اعرضوا عن الايمان بك أيها الرسول ، فلاتحزن لاعراضهم واعتز بربك ، وقل : يكفينى الله الذى لا إله غيره ، عليه وحده توكلت وهو مالك الملك ورب الكون وصاحب السلطان العظيم .





بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ

هذه السورة مكية نزلت فى مكة ، وتشتمل على ١٠٩ آيات ، وقد ابتدأت بالاشارة الى مكانة الكتاب الكريم ، وما يقوله المشركون فى شأن النبى ﷺ ، ثم ذكر الكون وآيات الله تعالى فيه ، والجزاء يوم القيامة وسنة الله تعالى بالنسبة للكافرين ، والتنديد عليهم فى عقائدهم ، وحال الناس فى الضراء والسراء ، وقدرة الله تعالى على كل شىء ، وعجز الاوثان عن أى شىء . وفيها الاشارة الى التحدى بأن يأتوا بسورة ولو مفتراة ، وفيها التهديد الشديد بعذاب الله تعالى ، وأحوال نفوس الناس ، ومراقبة الله تعالى لأعمالهم ، وانتقل بعد ذلك الى التسرية عن النبى ﷺ لألمه من كفرهم ، مع قيام الحجة القاطعة عليهم ، وسرى عنه بذكر قصص الأنبياء مع اقوامهم ، فجاءت قصة نوح ، وقصة موسى وهارون وفرعون وبنى اسرائيل ، ثم اشارة الى قصة يونس ، وبها سميت السورة واتجه البيان فى السورة من بعد ذلك الى النبى لتمام العظة والاعتبار .

١ ـ هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة ، وهو أعلم بمراده منها ، وهى مع ذلك تشير الى أن القرآن مكون من مثل هذه الحروف ، ومع ذلك عجزتم عن أن تأتوا بمثله ! وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون اليه ، وان اتفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة ونحوها التى هى آيات القرآن المحكم فى أسلوبه ومعانيه ، والذى اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس فى امور دينهم ودنياهم .

٢ ـ ماكان للناس أن يعجبوا وينكروا وحينا الى رجل منهم (محمد) ، ليحذر الناس من عذاب الله ، ويبشر الذين آمنو منهم بأن لهم منزلة عالية عند ربهم ، لا يتخلف وعد الله ، وما كان لهؤلاء المنكرين أن يقولوا عن محمد رسولنا انه ساحر واضح أمره !

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ

---

٣ ـ ان ربكم ، أيها الناس ، هو الله الذى خلق السموات والارض ومافيها فى ستة أيام[1] لا يعلم الا الله مداها . . ثم هيمن بعظيم سلطانه ـ وحده ودبر أمور مخلوقاته ، فليس لأحد سلطان مع الله فى شىء ، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يشفع لاحد الا باذنه . . ذلكم الله الخالق ، هو ربكم وولى نعمتكم فاعبدوه وحده ، وصدقوا رسوله ، وآمنوا بكتابه . فعليكم أن تذكروا نعمة الله وتتدبروا آياته الدالة على وحدانيته .

٤ ـ وكما بدأ الله الخلق فإليه وحده مرجعكم ، ومرجع المخلوقات كلها ، وقد وعد الله بذلك وعدا صادقا لايتخلف . وانه سبحانه بدأ الخلق بقدرته ، وبعد فنائه سيعيده بقدرته ، ليثيب المؤمنين المطيعين بعدله التام ، وأما الكافرون فلهم شراب فى جهنم شديد الغليان ، ولهم عذاب موجع جزاء كفرهم .

٥ ـ وربكم الذى خلق السموات والأرض والذى جعل الشمس تشع الضياء ، والقمر يرسل النور ، وجعل للقمر منازل ينتقل فيها ، فيختلف نوره تبعا لهذه المنازل ، لتستعينوا بهذا فى تقدير مواقيتكم ، وتعلموا عدد السنين والحساب[2] ، وماخلق الله ذلك الا بالحكمة ، وهو سبحانه يبسط فى كتابه الآيات الدالة على ألوهيته وكمال قدرته لكى تتدبروها بعقولكم وتستجيبوا لما يقتضيه العلم .

---

(١) خلق الله الكون بأسره فى ست مراحل ، وتتضمن المرحلة احقابا برمتها ، وتلك المراحل التى عبر عنها بالأيام الستة تسخير للشمس والقمر والنجوم لفائدة البشر وكذلك تعاقب الليل والنهار ، وأن النهار طارىء على ظلام السماء وذكر الليل أولا لأن الظلام هو الأصل فأما النهار ، فقد نشأ بسبب تناثر ضوء الشمس فى جو الأرض التى تدور حول نفسها وتعرضه للاشعاع الشمسى .

(٢) « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا : الشمس جرم سماوى ملتهب مضىء بذاته ، وهو مصدر الطاقات على الأرض ومنها الضوء والحرارة بينما القمر جرم غير مضىء بذاته بل يعكس أو يرد مايقع عليه من ضوء الشمس فيبدو منيرا » .

« وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، منازل القمر أوضاعه المختلفة بالنسبة للأرض والشمس وهى التى تنتج عنها أوجه القمر ومن ثم يمكن تحديد الشهر القمرى وهو العلامة الفلكية الظاهرة لتحديد الشهر ، ويتم القمر دورته حول الأرض فى ٢٩ ـ تسعة وعشرين يوما ، ١٢ واثنتا عشرة ساعة ، و ٤٤ وأربع وأربعين دقيقة ، ٢,٨ واثنتان وثمانية من عشر ثانية » .

وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

٦ - ان فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما بالزيادة والنقصان ، وفى خلق السموات والأرض وما فيهما من الكائنات ، لأدلة واضحة وحججا بينة على ألوهية الخالق وقدرته لمن يتجنبون غضبه ويخافون عذابه[1].

٧ - ان الذين لايؤمنون بالبعث ولقاء الله فى اليوم الآخر ، واعتقدوا - واهمين - ان الحياة الدنيا هى منتهاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .

٨ - هؤلاء مأواهم الذى يستقرون فيه هو النار ، جزاء ماكسبوا من الكفر وقبيح الأعمال .

٩ - ان الذين آمنوا ايمانا صحيحا ، وعملوا الأعمال الصالحة فى دنياهم يثبتهم ربهم على الهداية بسبب ايمانهم ، ويدخلهم يوم القيامة جنات تجرى الأنهار خلالها ، وينعمون فيها نعيما خالدا .

١٠ - دعاء المؤمنين فى هذه الجنات تسبيح وتنزيه لله عما كان يقوله الكافرون فى الدنيا ، وتحية الله لهم ، وتحية بعضهم لبعض تقرير للأمن والاطمئنان وخاتم دعائهم دائما حمدا لله على توفيقه اياهم بالايمان ، وظفرهم برضوانه عليهم .

١١ - ولو أجاب الله مايستعجل به الناس على أنفسهم من الشر مثل استعجالهم لطلب الخير ، لأهلكهم وأبادهم جميعا ، ولكنه يتلطف بهم ، فيرجىء هلاكهم ، انتظارا لما يظهر منهم حسب ما علمه فيهم ، فتتضح عدالته فى جزائهم ، اذ يتركون والأدلة قائمة عليهم ، يتعمدون الانحراف والاتجاه الى طريق الضلال والظلم !

---

(١) « قد يكون معنى الاختلاف التباين او التعاقب ، فأما الاختلاف بمعنى التباين : فالليل والنهار ضوءان متميزان وتباينهما يطبع الظواهر الطبيعية ، وجميع الأحياء فى هذا الكوكب بطابعه ، كما هو وارد فى مواضع أخرى من القرآن الكريم ، والتباين قد يعنى أيضا التفاوت فى أطوال النهار وأطوال الليل على مدار العام فى أى مكان على الأرض فهو مرتبط بظاهرة الفصول والتباين بهذا المعنى ناتج عن دوران الأرض حول الشمس كل عام مرة وعن ميل محورها .

أما الاختلاف بمعنى التعاقب فهو نتيجة لدوران الأرض حول محورها .

أنظر أيضا التعليق العلمى على الآية ٨٠ من سورة المؤمنون .

وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ

---

١٢ - واذا أصاب الانسان ضر فى نفسه أو ماله أو نحو ذلك ، أحس بضعفه ودعا ربه على أى حال من حالاته ، مضطجعا أو قاعدا أو قائما ، ان يكشف مانزل به من محنته ! فلما استجاب الله له ، فكشف عنه ضره ، انصرف عن جانب الله ، واستمر على عصيانه ، ونسى فضل الله عليه ، كأنه لم يصبه ضر ، ولم يدع الله الى كشفه وكمثل هذا المسلك زين الشيطان للكافرين ماعملوا من سوء وما اقترفوا من باطل !

١٣ - ولقد أهلكنا الامم السابقة عليكم بسبب كفرهم حين جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدق دعوتهم الى الايمان ، وما كان فى علم الله أن يحصل منهم ايمان ، بسبب تشبثهم بالكفر والعصيان ! فاعتبروا ياكفار قريش ، فكما أهلكنا من قبلكم ، سنجزى المجرمين باهلاكهم .

١٤ - ثم جعلناكم ، ياأمة محمد خلفاء فى الأرض ، تعمرونها من بعد هؤلاء السابقين ، لنختبركم ونظهر ماتختارونه لأنفسكم من طاعة أو عصيان ، بعد أن عرفتم ما جرى على أسلافكم .

١٥ - وحينما تجلت آيات القرآن من رسولنا محمد على المشركين ، قال له الكافرون الذين لا يخافون عذاب الله ولايرجون ثوابه : آتنا كتابا غير هذا القرآن ، أو بدل مافيه مما لايعجبنا ، قل لهم أيها الرسول لا يمكننى ولا يجوز أن أغير أو أبدل فيه من عندى ما أنا إلا متبع ومبلغ مايوحى الى من ربى إنى أخاف إن خالفت وحى ربى عذاب يوم عظيم خطره ، شديد هوله !

عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ

---

١٦ ـ قل لهم ، يأيها الرسول : لوشاء الله ألا ينزل على قرآنا من عنده ، والا أبلغكم به ، ما أنزله ، وما تلوته عليكم ، ولا أعلمكم الله به . لكنه نزل ، وأرسلنى به ، وتلوته عليكم كما أمرنى . وقد مكثت بينكم زمنا طويلا قبل البعث لم أدع فيه الرسالة ، ولم أتل عليكم شيئا ، وأنتم تشهدون لى بالصدق والأمانة ، ولكن جاء الوحى به فأمرت بتلاوته ، ألا فاعقلوا الامور وأدركوها ، واربطوا بين الماضى والحاضر .

١٧ ـ ليس هناك أشد ظلما لنفسه ممن كفر وافترى الكذب على الله ، أو كذب بآيات الله التى جاء بها رسوله : انه لاينجح الكافر فى عمله ، وقد خسر خسرانا مبينا بكفره ، ومغاضبته لله تعالى !

١٨ ـ ويعبد هؤلاء المشركون ، المفترون على الله بالشرك ، أصناما باطلة ، لا تضرهم ولا تنفعهم ، ويقولون : هؤلاء الاصنام يشفعون لنا عند الله فى الآخرة قل لهم أيها الرسول : هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا فى السموات ولا فى الأرض ؟ ! تنزه الله عن الشريك وعما تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء !

١٩ ـ وما كان الناس فى تكوينهم الا أمة واحدة بمقتضى الفطرة ، ثم بعثنا اليهم الرسل لارشادهم وهدايتهم بمقتضى وحى الله تعالى ، فكانت تلك الطبيعة الانسانية التى استعدت للخير والشر سببا فى أن يغلب الشر على بعضهم ، وتحكم الاهواء ونزعات الشيطان ، فاختلفوا بسبب ذلك . ولولا حكم سابق من ربك بامهال الكافرين بك أيها النبى ، وارجاء هلاكهم الى موعد محدود عنده ، لعجل لهم الهلاك والعذاب ، بسبب الخلاف الذى وقعوا فيه ، كما وقع لأمم سابقة .

٢٠ ـ ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد معجزة من عند الله غير القرآن ، تقنعنا بصدق رسالته ! فقل لهم ، أيها الرسول : ان نزول الآيات غيب ، ولا أحد يعلم الغيب الا الله ، وان كان القرآن لا يقنعكم فانتظروا قضاء الله بينى وبينكم فيما تجحدونه ، انى معكم من المنتظرين .

بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ

---

٢١ ـ ومن شأن الناس اننا إذا أنعمنا عليهم، من بعد شدة أصابتهم فى أنفسهم أو أهليهم أو أموالهم، لم يشكروا الله على ما أنعم به عليهم بعد صرف الضر عنهم، بل هم يقابلون ذلك بالامعان فى التكذيب والكفر بالآيات! قل أيها الرسول: ان الله قادر على اهلاككم والاسراع بتعذيبكم، لولا حكم سابق منه بإمهالكم إلى موعد اختص وحده بعلمه. إن رسلنا من الملائكة الموكلين بكم يكتبون ما تمكرون وسيحاسبكم ويجازيكم.

٢٢ ـ الله الذى تكفرون بنعمه، وتكذبون بآياته، هو الذى يمكنكم من السير والسعى فى البر مشاة وركبانا، وفى البحر، بما سخر لكم من السفن التى تجرى على الماء، بما يهيئ الله لها من ريح طيبة تدفعها فى أمان إلى غايتها، حتى إذا أطمأننتم وفرحتم بها هبت ريح عاصفة أثارت عليكم الموج من كل جانب، وأيقنتم أن الهلاك واقع لا محالة! فى هذه الشدة لا تجدون ملجأ غير الله فتدعونه مخلصين فى الدعاء، وموقنين أنه لا منقذ لكم سواه، متعهدين له لئن أنجاكم من هذه الكربة لتؤمنن به ولتكونن من الشاكرين.

٢٣ ـ فلما أنجاهم مما تعرضوا له من الهلاك، نقضوا عهدهم، وعادوا مسرعين إلى الفساد الذى كانوا من قبل! يأيها الناس الناقضون للعهد ان عاقبة اعتدائكم وظلمكم سترجع عليكم وحدكم، وإن ما تتمتعون به فى دنياكم متاع دنيوى زائل، ثم إلى الله مصيركم فى النهاية فيجزيكم بأعمالكم التى أسلفتموها فى دنياكم.

بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

---

٢٤ ـ ما حالة الحياة الدنيا فى روعتها وبهجتها ، ثم فى فنائها بعد ذلك ، إلا كحالة الماء ينزل من السماء ، فيختلط به نبات الأرض ، مما يأكله الناس والحيوان ، فيزدهر ويثمر وتزدان به الأرض نضارة وبهجة ، حتى إذا بلغت هذه الزينة تمامها ، وأيقن أهلها أنهم مالكون زمامها ومنتفعون بثمارها وخيرها ، فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئا محصودا ، كأن لم تكن آهلة بسكانها وآخذة بهجتها من قبل ففى كلتا الحالتين نضارة وازدهار يبتهج بها الناس ثم يعقبها زوال ودمار وكما بين الله ذلك بالأمثال الواضحة ، يبين الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وآيات لقوم يتفكرون ويعقلون[1] .

٢٥ ـ والله يدعو عباده بالايمان والعمل الصالح إلى جنة دار الأمن والاطمئنان وهو سبحانه يهدى من يشاء هدايته ـ لحسن استعداده وميله إلى الخير ـ إلى الطريق الحق وهو السلام .

٢٦ ـ للذين أحسنوا بالاستجابة لدعوة الله ، فآمنوا وعملوا الخير لدينهم ودنياهم لهم المنزلة الحسنى فى الآخرة وهى الجنة ، ولهم زيادة على ذلك فضلا من الله وتكريما ، ولا يغشى وجوههم كآبة من هم وهوان : وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبدا .

٢٧ ـ والذين لم يستجيبوا لدعوة الله ، فكفروا واقترفوا المعاصى فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء ، ويغشاهم الهوان ، وليس لهم واق يمنعهم من عذاب الله ، ووجوههم مسودة من الغم والكآبة كأنما أسدل عليها سواد من ظلمة الليل ! وهم أهل النار يشقون فيها أبدا .

٢٨ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ هول الموقف ، يوم نجمع الخلائق كافة ـ ثم نقول للذين أشركوا فى عبادتهم مع الله غيره : قفوا مكانكم أنتم ومن اتخذتموهم شركاء من دون الله ، حتى تنظروا ما يفعل بكم ، فوقعت الفرقة بين المشركين والشركاء ، وتبرأ الشركاء من عابديهم ، قائلين لهم : لم ندعكم إلى عبادتنا ، وما كنتم تعبدوننا ! وانما كنتم تعبدون أهواءكم .

---

(١) تشير هذه الآية الى حقيقة بدأت تتكشف بوادرها وهى تسخير الانسان للعلم لخدمته واستطاعته به أن يسيطر على ما يحقق أهدافه حتى إذا ماقاربت هذه الحقيقة الاكتمال وظن الإنسان أنه قد بلغ أوج المعرفة أتى أمر الله .

فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ

---

٢٩ - ويكفينا الله بعلمه وحكمه شهيدا وفاصلا بيننا وبينكم .. انا كنا بمعزل عنكم لا نشعر بعبادتكم لنا .

٣٠ - فى ذلك الموقف تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر ، وتلق جزاءه . وفى هذا الموقف أيقن المشركون بوحدانية الله الحق ، وبطل كل ما كانوا يفترونه على الله .

٣١ - ادع - أيها الرسول - إلى التوحيد الخالص ، وقل : من الذى يأتيكم بالرزق من السماء بإنزال المطر ، ومن الأرض بإخراج النبات والثمر ؟ ومن الذى يمنحكم السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت كالنبات ، وهو حى من الأرض وهى موات ؟ ومن يخرج الميت من الحى كالانسان يسلب عنه الحياة ؟ ومن الذى يدبر ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته ؟ فسيعترفون ، لا مناص ، بأن الله وحده فاعل هذا كله . فقل لهم ، أيها الرسول ، عند اعترافهم بذلك : أليس الواجب المؤكد أن تذعنوا للحق وتخافوا الله مالك الملك ؟

٣٢ - فذلكم الله الذى أقررتم به ، هو وحده ربكم الذى تحققت ربوبيته ووجبت عبادته دون سواه وليس بعد الحق من توحيد الله وعبادته إلا الوقوع فى الضلال ، وهو الاشراك بالله وعبادة غيره ! فكيف تنصرفون عن الحق إلى الباطل .

٣٣ - كما تحققت الوهية الله ووجبت عبادته ، حق قضاؤه على الذين خرجوا عن أمر الله متمردين بأنهم لا يذعنون للحق . لأن الله تعالى لا يهدى إلى الحق إلا من سلك طريقه ، لا من تمرد عليه .

٣٤ - قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين . هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع أن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يعيده بعد فنائه ؟ انهم سيعجزون عن الجواب ! فقل لهم حينئذ : الله وحده هو الذى ينشئ الخلق من عدم ثم يعيده بعد فنائه ، فكيف تنصرفون عن الايمان به .

يَهِدِّى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ

---

٣٥ - قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع التمييز بين الهدى والضلال ، فيرشد سواه إلى السبيل الحق ؟ فسيعجزون ! فهل القادر على الهداية إلى الحق أولى بالاتباع والعبادة ؟ أم الذى لا يستطيع أن يهتدى فى نفسه ، وهو بالأولى لا يهدى غيره ، اللهم إلا إذا هداه غيره ؟ كرؤوس الكفر ، والأحبار والرهبان الذين اتخذتموهم أربابا من دون الله ! فا الذى جعلكم تنحرفون حتى أشركتم هؤلاء بالله ؟ وما هذه الحال العجيبة التى تجركم إلى تلك الأحكام الغريبة .

٣٦ - وما يتبع أكثر المشركين فى معتقداتهم إلا ظنونا باطلة لا دليل عليها ! والظن - على وجه العموم - لا يفيد ، ولا يغنى عن العلم الحق أى غناء ، ولا سيما إذا كان ظنا وهميا كظن هؤلاء المشركين . وإن الله عليم بما يفعله رؤساء الكفر وأتباعهم الذين يقلدونهم ! وسيجازيهم على ذلك .

٣٧ - وما كان يتأتى فى هذا القرآن أن يفتريه أحد ، لأنه فى إعجازه وهدايته وإحكامه لا يمكن أن يكون من عند غير الله . وليس هو إلا مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية ، فيما جاءت به من الحق ، وموضحا لما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع . لاشك فى أن هذا القرآن منزل من عند الله ، وأنه معجز لا يقدر أحد على مثله .

٣٨ - بل يقول هؤلاء المشركون : اختلق محمد هذا القرآن من عنده ! فقل لهم ، أيها الرسول : ان كان هذا القرآن من عمل البشر ، فأتوا أنتم بسورة واحدة مماثلة له ، واستعينوا على ذلك بمن تشاؤون من دون الله ، إن كنتم صادقين فى زعمكم ان القرآن من عندى .

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

---

٣٩ ـ بل سارع هؤلاء المشركون الى تكذيب القرآن من غير أن يتدبروا ، ويعلموا ما فيه ! فلم ينظروا فيه بأنفسهم ، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم ! وبمثل هذه الطريقة فى التكذيب من غيرعلم ، كذب الكافرون من الأمم السابقة رسلهم وكتبهم ! فانظر أيها الانسان ما آل اليه أمر المكذبين السابقين ، من خذلانهم وهلاكهم بالعذاب ! وهذه سنة الله فى أمثالهم .

٤٠ ـ ومن هؤلاء المكذبين من سيؤمن بالقرآن بعد أن يفطن إلى ما فيه ، ويتنبه لمعانيه ، ومنهم فريق لا يؤمن به ولا يتحول عن ضلاله ! والله سبحانه وتعالى أعلم بالمكذبين المفسدين ، وسيجازيهم على ما فعلوه .

٤١ ـ وإن أصروا على تكذيبك أيها الرسول ـ بعد وضوح الأدلة على نبوتك ـ فقل لهم : إن لى جزاء عملى ، ولكم جزاء عملكم كيفما كان ، وانى مستمر فى دعوتى ، وأنتم لا تؤخذون بعملى ، وأنا لا أؤاخذ بعملكم فافعلوا ما شئتم وسيجازى الله كلا بما كسب .

٤٢ ـ ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك ـ أيها الرسول ـ حين تدعوهم إلى دين الله ، وقد أغلقت قلوبهم دون قبول دعوتك ، فأنت لا تقدر على اسماع هؤلاء الصم وهدايتهم ، وخاصة إذا أضيف إلى صممهم عدم تفهمهم لما تقول .

٤٣ ـ ومنهم من ينظر اليك ويفكر فى شأنك ، فيرى دلائل نبوتك الواضحة ، ولكن لا يهتدى بها ، فمثله فى ذلك مثل الأعمى ولست بقادر على هداية هؤلاء العمى ، فعمى البصر كعمى البصيرة ، كلاهما لا هداية ! فالأعمى لا يهتدى حسا ، والضال لا يهتدى معنى .

٤٤ ـ إن الله سبحانه وتعالى سيجازى الناس بأعمالهم بالعدل والقسطاس ، ولا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولكن الناس الذين يظلمون أنفسهم باختيارهم الكفر على الايمان !

كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ

---

٤٥ - وأنذرهم - أيها الرسول - يوم نجمعهم للحساب ، فيتحققون مجئ اليوم الآخر بعد أن كانوا يكذبون به ، ويتذكرون حياتهم فى الدنيا ، كأنها ساعة من النهار لم تتسع لما كان ينبغى من عمل الخير ، ويعرف بعضهم بعضا يتلاومون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال ! . قد خسر المكذبون باليوم الآخر فلم يقدموا فى دنياهم عملا صالحا ولم يظفروا بنعيم الآخرة بكفرهم .

٤٦ - وإن أريناك - أيها الرسول - بعض الذى نعدهم به ، من نصرتك عليهم ، والحاق العذاب بهم ، أو نتوفينك قبل أن ترى كل ذلك ، فلا مناص من عودتهم الينا للحساب والجزاء . والله سبحانه رقيب وعالم بكل ما يفعلونه ، ومجازيهم به .

٤٧ - ولقد جاء رسول لكل أمة فبلغها دعوة الله ، فآمن من آمن ، وكذب من كذب ، فإذا كان يوم الحشر ، وجاء رسولهم وشهد على مكذبيه بالكفر ، وللمؤمنين بالإيمان ، فيحكم الله بينهم بالعدل التام ، فلا يظلم أحدا فيما يستحقه من جزاء .

٤٨ - ويمعن الكافرون فى التكذيب باليوم الاخر ، فيستعجلونه متهكمين ويقولون : متى يكون هذا الذى تعدنا به من العذاب ، إن كنت أيها الرسول ومن معك ، صادقين فيما تؤمنون به وتدعوننا إليه ؟

٤٩ - قل لهم أيها الرسول : اننى لا أملك لنفسى خيرا ولا شرا ، إلا ما أقدرنى الله عليه . فكيف أملك تقديم العقوبة ؟ . إن لكل أمة نهاية حددها الله أزلا فإذا حانت هذه النهاية فلا يستطيعون التأخر عنها وقتا ما ، كما لا يستطيعون سبقها !

٥٠ - قل لهؤلاء المكذبين المستعجلين وقوع العذاب : أخبرونى إن وقع بكم عذاب الله ليلا أو نهارا ، فأى فائدة يحصل عليها من استعجاله المجرمون الآثمون ؟ والعذاب كله مكروه . .

٥١ - أتنكرون العذاب الآن ، ثم إذا حل بكم يقال لكم توبيخا : هل آمنتم به حين عاينتموه ، وقد كنتم تستعجلونه فى الدنيا مستهينين جاحدين . .

عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟

---

٥٢ - ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب : ذوقوا العذاب الدائم . . لا تجزون الآن إلا على أعمالكم التى كسبتموها فى الدنيا .

٥٣ - ويطلب الكفار منك أيها الرسول - على سبيل الاستهزاء والانكار - أن تخبرهم أحق ما جئت به من القرآن وما تعدهم به من البعث والعذاب ؟ قل لهم : نعم وحق خالق الذى أنشأنى انه حاصل لا شك فيه وما أنتم بغالبين ولا مانعين ما يريده الله بكم من العذاب .

٥٤ - ولو أن كل ما فى الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود ، لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعاين هوله ، وحينئذ يتردد الندم والحسرة فى سرائرهم لعجزهم عن النطق به ! ولشدة ما دهاهم من الفزع لرؤية العذاب ! ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين فى هذا الجزاء . لأنه نتيجة ما قدموا فى الدنيا .

٥٥ - ليعلم الناس أن الله مالك ومهيمن على جميع ما فى السموات والأرض ، وليعلموا أن وعده حق ، فلا يعجزه شئ ، ولا يفلت من جزائه أحد ، ولكنهم قد غرتهم الحياة الدنيا لا يعلمون ذلك علم اليقين .

٥٦ - والله سبحانه - يهب الحياة بعد عدم ، ويسلبها بعد وجود وإليه المرجع فى الآخرة ، ومن كان كذلك لا يعظم عليه شئ .

٥٧ - يأيها الناس : قد جاءكم على لسان الرسول محمد كتاب من الله ، فيه تذكير بالايمان والطاعة وعظة بالترغيب فى الخير ، والترهيب من عمل السوء ، وسوق العبر بأخبار من سبقوكم وتوجيه نظركم إلى عظمة الخلق لتدركوا عظمة الخالق ، وفيه دواء لأمراض قلوبكم من الشرك والنفاق ، وهداية إلى الطريق المستقيم . وذلك كله رحمة للمؤمنين الذين يستجيبون .

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

---

٥٨ ـ قل لهم أيها الرسول : افرحوا بفضل الله عليكم ورحمته بكم ، بإنزال القرآن وبيان شريعة الاسلام ، وهذا خير من كل ما يجمعه الناس من متاع الدنيا ، لأنه غذاء القلوب وشفاء أسقامها .

٥٩ ـ قل ـ أيها الرسول ـ للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا : أخبرونى عما منحكم الله من رزق حلال طيب ، فأقمتم من أنفسكم مشرعين ، تجعلون بعضه حلالا ، وبعضه حراما دون أن تأخذوا بشرع الله ؟ إن الله لم يأذن لكم فى هذا ، بل أنتم تكذبون فى ذلك على الله !

٦٠ ـ ما الذى يظنه يوم القيامة أولئك الذين كانوا يفترون الكذب على الله فيدعون الحل والتحريم ، من غير أن يكون عندهم دليل ؟ إن الله أنعم عليهم نعما كثيرة ، وأحلها لهم بفضله ، وشرع لهم ما فيه خيرهم ، ولكن الأكثرين لا يشكرون الله عليها ، بل يفترون على الله الكذب .

٦١ ـ وانك أيها الرسول قد بلغت وهو معلوم لله ، وما تكون فى أمر من أمورك ، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل ، إلا ونحن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين ، ولا يغيب عن علم ربك شىء فى وزن الذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من هذا ولا أكبر منه . إن ذلك كله يسجل فى كتاب عند الله بين واضح .

٦٢ ـ تنبهوا أيها الناس ، واعلموا أن الموالين لله بالايمان والطاعة يحبهم ويحبونه ، لا خوف عليهم من الخزى فى الدنيا ، ولا من العذاب فى الآخرة وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن

---

٦٣ ـ وهم الذين صدقوا بكل ما جاء من عند الله ، وأذعنوا للحق ، واجتنبوا المعاصى ، وخافوا الله فى كل أعمالهم .

٦٤ ـ لهؤلاء الأولياء البشرى بالخير فى الدنيا ، وعدهم الله به من نصر وعز ، وفى الآخرة يتحقق وعد الله ، ولا خلف لما وعد الله به وهذا الذى بشروا به فى الدنيا ، وظفروا به فى الآخرة هو الفوز العظيم .

٦٥ ـ ولا تحزن ـ أيها الرسول ـ لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن أن حالهم ستدوم ، بل ان النتيجة لك وسيعتز الاسلام ، فإن العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحانه السميع لما يفترون عليك ، العليم بما يضمرونه ، وسيجازيهم على ذلك .

٦٦ ـ لتعلموا ـ أيها الناس أن لله وحده كل من السموات والأرض خلقا وملكا وتدبيرا . وإن الذين أشركوا بالله لا يتبعون شركاء لله فى الحقيقة وهم لا يتبعون إلا أوهاما باطلة لا حقيقة لها ، وليسوا إلا واهمين يظنون القوة فيما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

٦٧ ـ إن الذى يملك من فى السموات والأرض ، هو الذى خلق لكم الليل لتستريحوا فيه من عناء السعى فى النهار ، وخلق لكم النهار مضيئا لتسعوا فيه وتجلبوا مصالحكم . ان فى خلق الليل والنهار لدلائل بينة لمن يسمعون ويتدبرون .

سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ

---

٦٨ - وإذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا فى العبادة حجارة، ولم ينزهوا الله حق التنزيه، وقالوا أن الله ولدا .. فالله منزه عن ذلك .. أنه غنى عن أن يتخذ ولدا، لأن الولد مظهر الحاجة إلى البقاء، والله باق خالد، وكل ما فى السموات وما فى الأرض مخلوق ومملوك له، وليس عندكم أيها المفترون حجة ولا دليل على ما زعمتم! فلا تختلقوا على الله أمرا لا أساس له من الحقيقة.

٦٩ - قل لهم أيها الرسول: إن الذين يختلقون على الله الكذب ويزعمون أن له ولدا، لن يفلحوا أبدا!

٧٠ - لهم متاع فى الدنيا يغترون به، وهو قليل، طال أو قصر، بجوار ما يستقبلهم! ثم الينا مرجعهم، فنحاسبهم ونذيقهم العذاب المؤلم بسبب كفرهم.

٧١ - وان ما ينزل بك من قومك قد نزل بمن سبقك من الأنبياء. واقرأ أيها الرسول على الناس، فيما ينزله عليك ربك من القرآن قصة نوح رسول الله لما أحس كراهية قومه وعداءهم لرسالته. فقال لهم: يا قوم إن كان وجودى فيكم لتبليغ الرسالة قد أصبح شديدا عليكم، فإنى مستمر مثابر على دعوتى متوكل على الله فى أمرى، فاحزموا أمركم ومعكم شركاؤكم فى التدبير، ولا يكن فى عدائكم لى أى خفاء، ولا تمهلونى بما تريدون لى من سوء، إن كنتم تقدرون على ايذائى، فإن ربى يرعانى.

٧٢ - وإن بقيتم على الاعراض عن دعوتى، فإن ذلك لن يضيرنى، لأنى لم أقم بها لأتقاضاكم عليها أجرا أخشى عليه الضياع بسبب إعراضكم، إنما أطلب أجرى عليها من الله وحده، وقد أمرنى أن أكون مسلما اليه جميع أمرى.

وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ

---

٧٣ - ومع هذا الجهود وتلك المثابرة التى بذلها من أجل هدايتهم ، أصروا على أن يستمروا فى تكذيبه وعدائه ، فنجاه الله ومن معه من المؤمنين به ، الراكبين معه فى الفلك وجعلهم عمارا للأرض بعد هلاك الكافرين الذين أغرقهم الطوفان ، فانظر يا محمد كيف لقى المستخفون بالنذر مصيرهم السئ .

٧٤ - ثم أرسلنا من بعد نوح رسلا آخرين ، داعين الى التوحيد ، ومبشرين ومنذرين ومؤيدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح فما كان من شأن الجاحدين منهم أن يذعنوا ، لأن التكذيب سبق التبصر والاعتبار ، وبذلك طبع الله الباطل على قلوب الذين من شأنهم الاعتداء على الحقائق وعلى البينات .

٧٥ - ثم أرسلنا من بعدهم موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر وإلى خاصته ، داعين إلى عبادة الله وحده ، ومؤيدين بالحجج الباهرة ، فاستكبر فرعون وقومه عن متابعة موسى وهارون فى دعوتهما ، وكانوا بهذا الرفض مرتكبين جرما عظيما آثمين به .

٧٦ - فلما ظهر لهم الحق من عندنا على يد موسى ، قالوا فى معجزة موسى وهى العصا التى انقلبت حية أمام أعينهم : إن هذا سحر مؤكد واضح .

٧٧ - قال لهم موسى مستنكرا : اتصفون الحق الذى جئتكم به من عند الله بأنه سحر ؟ أتكون هذه الحقيقة التى عاينتموها سحرا ؟ ! وهأنذا أتحداكم أن تثبتوا أنها سحر ، فأتوا بالساحرين ليثبتوا ما تدعون ، ولن يفوز الساحرون فى هذا أبدا .

وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

---

٧٨ ـ قال فرعون وقومه لموسى : انما جئت الينا قاصدا أن تصرفنا عن دين آبائنا وتقاليد قومنا لكى نصير لكما اتباعا ويكون لك ولأخيك الملك والعظمة والرياسة المسيطرة المتحكمة ؟ وإذن فلن نؤمن بكما ولا برسالتكما.

٧٩ ـ وزعم فرعون وقومه أن موسى وأخاه ساحران لا رسولان ، فأمر رجاله بأن يحضروا له من مملكته كل من له مهارة فى فنون السحر.

٨٠ ـ ولما حضر السحرة ووقفوا أمام موسى ، لمنازلته بسحرهم على رؤوس الأشهاد ، قال لهم موسى : هاتوا ما عندكم من فنون السحر.

٨١ ـ فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ، قال لهم موسى : إن الذى فعلتموه هو السحر حقا ، والله سبحانه سيبطله على يدى ، ان الله لا يهيئ أعمال المفسدين لأن تكون صالحة ونافعة.

٨٢ ـ أما الحق فان الله ناصره ومؤيده بقدرته وحكمته ، مهما أظهر الكافرون من بغضهم له ومحاربتهم اياه.

٨٣ ـ ومع ظهور الآيات الدالة على صدق الرسالة ، فإن الذين آمنوا بموسى لم يكونوا إلا فئة قليلة من قوم فرعون ، آمنوا على خوف من فرعون ومن معه أن يردوهم عما آمنوا به ، وما أعظم طغيان فرعون فى أرض مصر وانه لمن المغالين الذين أسرفوا فى استكبارهم واستعلائهم.

٨٤ ـ أما موسى فقد قال للمؤمنين مواسيا لهم ومشجعا : ياقوم ، ان كان الايمان قد دخل قلوبكم فى إخلاص لله فلا تخشوا سواه ، وأسلموا أموركم إليه. وتوكلوا عليه ، وثقوا فى النهاية ان كنتم ثابتين على الاسلام.

فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

---

٨٥ ـ فقال المؤمنون : على الله وحده توكلنا ، ثم دعوا ربهم ألا يجعلهم أداة فتنة وتعذيب فى يد الكافرين .

٨٦ ـ ودعوا ربهم قائلين : نجنا بما أسبغت علينا من نعمة ورحمة ، وبفيض رحمتك التى اتصفت بها ، من القوم الجاحدين الظالمين .

٨٧ ـ وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن يتخذا لقومهما بيوتا يسكنونها بأرض مصر ، وأن يجعلا هذه البيوت قبلة يتجه اليها أهل الايمان الذين يتبعون دعوة الله ، وأن يؤدوا الصلاة على وجهها الكامل . والبشرى بالخير للمؤمنين .

٨٨ ـ ولما تمادى الكفار فى تعنتهم مع موسى ، دعا الله عليهم ، فقال : يارب انك أعطيت فرعون وخاصته بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان فكانت عاقبة هذه النعم اسرافهم فى الضلال والاضلال عن سبيل الحق اللهم اسحق أموالهم . واتركهم فى ظلمة قلوبهم ، فلا يوفقوا للايمان حتى يروا رأى العين العذاب الأليم ، الذى هو العاقبة التى تنتظرهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

٨٩ ـ قال الله تعالى : قد أجيب دعاؤكما ، فاستمرا على السير فى الطريق المستقيم ، واتركا سبيل أولئك الذين لا يعلمون الأمور على وجهها ولا يذعنون للحق الذى وضح .

٩٠ ـ ولما جاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، تعقبهم فرعون وجنوده للاعتداء عليهم فأطبقنا عليهم البحر ، فلما أدرك الغرق فرعون قال : صدقت بالله الذى صدقت به بنو اسرائيل ، وأذعنت له ، وأنا من الطائعين الخاضعين .

قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

---

٩١ ـ لم يقبل الله من فرعون هذا الايمان الذى اضطر اليه ، وتلك التوبة التى كانت وقد حضره الموت ، بعد أن عاش عاصيا لله مفسدا فى الأرض فمات كافرا مهانا .

٩٢ ـ واليوم الذى هلكت فيه نخرج جثتك من البحر ، ونبعثها لتكون عظة وعبرة لمن كانوا يعبدونك ولا ينتظرون لك مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن البينات الباهرة فى الكون التى تثبت قدرتنا[1] .

٩٣ ـ ولقد مكنا لبنى اسرائيل بعد ذلك فعاشوا فى أرض طيبة ، محافظين على دينهم ، بعيدين عن الظلم الذى كانوا فيه ، موفورة لهم الأرزاق والنعم ، ولكنهم ما ان ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان ، حتى أصابهم داء الفرقة فاختلفوا مع أنه قد تبين لهم الحق والباطل ، وسيقضى الله بينهم يوم القيامة ، ويجزى كلا منهم بما عمل .

٩٤ ـ فإن ساورك أو ساور أحدا غيرك شك فيما أنزلنا اليك من وحى ، فاسأل أهل الكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق لما أنزلنا عليك . وذلك تأكيد للصدق ببيان الدليل عند احتمال أى شك فليس هناك مجال للشك ، فقد أنزلنا عليك الحق الذى لا ريب فيه ، فلا تجار غيرك فى الشك والتردد .

٩٥ ـ ولا تكن أنت ولا أحد من الذين اتبعوك ، من الذين يكذبون بالحجج والبينات ، لئلا يحل عليك الخسران والغضب كما هو شأن الكفار الذين لا يؤمنون والخطاب للنبى خطاب لكل من اتبعه .

---

(١) يظهر ان الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ليراه الناس ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم لمن كان يعتبر نفسه آلها ، ويقول لقومه الخانعين ليس لكم من اله غيرى .

هذا ويلاحظ ان خروج بنى اسرائيل من مصر قد وقع فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد فى عهد أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وهو منفتاح بن رمسيس الثانى الذى سخر بنى اسرائيل فى بناء عاصمة ملكه .

وقد دلت الكشوف التاريخية الحديثة على أن اسم هذه المدينة المطمورة « بور عمسس » وكان خروج بنى اسرائيل مع موسى للدعوة الى الوحدانية ولخلع ربقة فرعون الذى يسخرهم ويذيقهم سوء العذاب : اليس هذا دليلا على انه من عند الله ؟

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى

---

٩٦ ـ إن الذين سبق عليهم قضاء الله بالكفر، لما علم من عنادهم وتعصبهم لن يؤمنوا مهما أجهدت نفسك فى اقناعهم.

٩٧ ـ ولو جئتهم بكل حجة مهما يكن وضوحها فلن يقتنعوا وسيستمرون على ضلالهم إلى أن ينتهى بهم الأمر الى العذاب الأليم.

٩٨ ـ لو أن كل قرية من القرى تؤمن لنفعها ايمانها، لكنها لم تؤمن. فلم يكن النفع إلا لقوم يونس، فانهم لما آمنوا وجدوا النفع لهم، فكشفنا عنهم الخزى وما يترتب عليه من آلام، وجعلناهم فى متعة الدنيا الفانية حتى كان يوم القيامة.

٩٩ ـ ولو اراد الله ايمان من فى الأرض جميعا لآمنوا، فلا تحزن على كفر المشركين، ولا إيمان إلا مع الرغبة فلا تستطيع أن تكره الناس حتى يذعنوا للحق ويستجيبوا له فليس لك أن تحاول اكراههم على الايمان ولن تستطيع ذلك مهما حاولت.

١٠٠ ـ لا يمكن لإنسان أن يؤمن إلا إذا اتجهت نفسه الى ذلك وهيأ الله لها الأسباب والوسائل أما من لم يتجه الى الايمان فهو مستحق لسخط الله وعذابه، وسنة الله أن يجعل العذاب والغضب على الذين ينصرفون عن الحجج الواضحة ولا يتدبرونها.

١٠١ ـ قل يأيها النبى لهؤلاء المعاندين: انظروا الى ما فى السموات والأرض من بينات ترشد الى الوهيته ووحدانيته، ففيها ما يقنعكم بالايمان. ولكن الآيات على كثرتها والنذر على قوتها لا تغنى عن قوم جاحدين لا يتعقلون، إذا لم يؤمن هؤلاء الجاحدون فلن ينتظروا[1].

---

(١) هذه الآية وكثير غيرها تدعو الى العلم بالمشاهدة والتأمل وتدعو الى العلم بالكون ومافيه إذ قد سخر للإنسان لأنه السبيل الى المعرفة بالمشاهدة المحسوسة.

مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

---

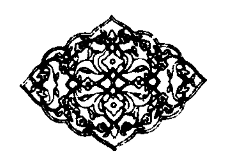
١٠٢ - فهل ينتظر أولئك الجاحدون إلا أن ينالهم من الأيام الشداد مثل ما أصاب الذين مضوا من قوم نوح وقوم موسى وغيرهم ؟ ! قل لهم أيها النبى إذا كنتم تنتظرون غير ذلك ، فانتظروا انى منتظر معكم ، وستصيبكم الهزيمة القريبة والعذاب يوم القيامة .

١٠٣ - ثم ننجى رسلنا والمؤمنين من ذلك العذاب ، لأنه وعد بنجاتهم ، ووعده حق لا يتخلف .

١٠٤ - قل لهم أيها الرسول : إن كنتم تشكون فى صحة الدين الذى بعثت به فاعلموا أنه مهما تشككتم فيه فلن أعبد الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، ولكنى أعبد الله الذى بيده مصيركم ، وهو الذى يتوفاكم ، وقد أمرنى أن أكون من المؤمنين به .

١٠٥ - يأيها النبى قم حق القيام بالاتجاه الى الله منصرفا اليه ، ولا تدخل فى غمار الذين أشركوا بالله ، فجانبهم وابتعد عنهم أنت ومن اتبعك من المؤمنين .

١٠٦ - ولا تلجأ بالدعاء والعبادة الى غير الله مما لا يجلب لك نفعا ، ولا ينزل بك ضررا فانك ان فعلت ذلك كنت داخلا فى غمار المشركين الظالمين والنهى الموجه للنبى هو موجه لأمته ، وهو تأكيد للنهى ، لأن النهى حيث لا يمكن وقوع المنهى عنه مبالغة فى النهى .



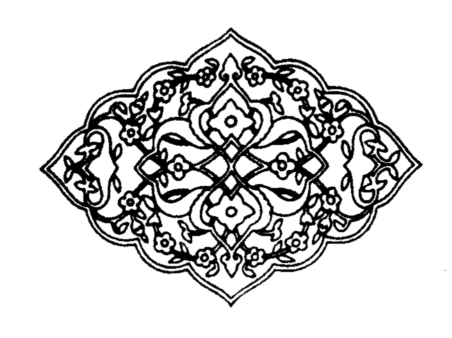
لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

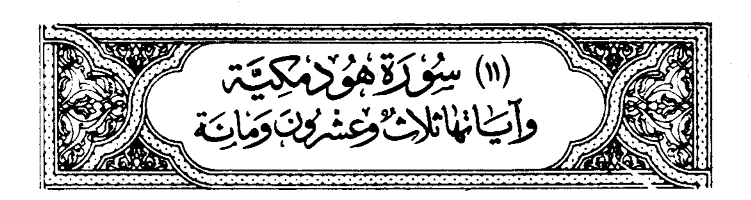
---

١٠٧ ـ وان يصبك الله بضر أيها النبى فلن يكشفه عنك إلا هو ، وان يقدر لك الخير فلن يمنعه عنك أحد لأنه يهب الخير من فضله لمن يشاء من عباده ، وهو سبحانه الواسع المغفرة العظيم الرحمة .

١٠٨ ـ بلغ أيها الرسول دعوة الله إلى الناس كافة ، وقل لهم : أيها الناس قد أنزل الله عليكم الشريعة الحقة من عنده فمن شاء أن يهتدى بها فليسارع ، فإن فائدة هداه ستكون لنفسه ، ومن أصر على ضلاله فإن ضلاله سيقع عليه وحده ، وأنا لست موكلا بارغامكم على الايمان ، ولا مسيطرا عليكم .

١٠٩ ـ واثبت أيها الرسول على دين الحق ، واتبع ما أنزل عليك من الوحى ، صابرا على ما ينالك فى سبيل الدعوة من مكاره ، حتى يقضى الله بينك وبينهم ، بما وعدك به من نصر المؤمنين ، وخذلان الكافرين ، وهو خير الحاكمين . .





بسم الله الرحمن الرحيم

الر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى

سورة هود : هى سورة مكية تتكون من ١٢٣ آية ابتدأت بالتنويه بالقرآن الكريم ، وعبادة الله وحده ، والانذار ، والتبشير ، ثم بيان قدرة الله وربوبيته ، وأحوال الناس فى تلقيهم لنعمه ونقمه ، ثم مقام القرآن ، والتحدى به ، وكفر الكافرين به من غير عذر فى كفرهم ، وبيان ثواب المؤمنين .

ولقد قص سبحانه بعد ذلك قصص النبيين ، ومجادلة أقوامهم لهم ، وإنزال العذاب الدنيوى بالكافرين ونجاة المؤمنين ، فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح بتفصيل أكثر مما كان فى سورة يونس ، ففيها بيان لعقلية الكافر وعناده ، وبيان لإنزال المقت به ، ومن بعد قصة نوح ذكر سبحانه قصة عاد مع نبى الله هود ، ببيان يوضح عقلية الكفر ، وما نزل بالكافرين مع قوة بأسهم وشدتهم .

ثم ذكر بمثل ذلك من البيان قصة نبى الله صالح مع ثمود ، ثم قصة نبى الله وخليله ابراهيم ثم قصة نبى الله لوط ، ثم قصة نبى الله شعيب .

ثم ذكر سبحانه وتعالى العبر فى هذا القصص الحق ، وختمها سبحانه بدعوة المؤمنين إلى العمل وانتظار الثواب ، ثم ذكر علم الله سبحانه وتعالى الكامل ووجوب التوكل عليه .

١ - الر . . . حروف ابتدأت بها السورة للإشارة إلى أن القرآن معجز ، مع أنه مكون من الحروف التى ينطقون بها ، وللتنبيه إلى الإصغاء عند تلاوة القرآن الكريم إلى أنه كتاب ذو شأن عظيم ، أنزلت آياته محكمة لا باطل فيها ولا شبهة ، ونظمت بأسلوب لا خلل فيه ، واضحة بينة ، ثم فصلت أحكامها . وللكتاب مع شرفه فى ذاته شرف أنه من عند الله الذى يعلم كل شىء ، ويضع الأمور فى مواضعها سبحانه .

٢ - أرشد به الناس ، أيها النبى ، وقل لهم : لا تعبدوا الا الله ، انى مرسل منه لأنذركم بعذابه ان كفرتم ، وأبشركم بثوابه ان آمنتم وأطعتم .

فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

---

٣ ـ وتضرعوا إلى الله داعين أن يغفر لكم ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه باخلاص العبادة وعمل الصالحات ، فيمتعكم متاعا حسنا فى الدنيا إلى أن تنتهى آجالكم المقدرة لكم فيها ، ويعطى فى الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله . وان تنصرفوا عما أدعوكم إليه ، تعرضتم للعذاب ، فانى أخاف عليكم هذا العذاب فى يوم كبير يحشر فيه الناس جميعا ويكون فيه الهول الأكبر .

٤ ـ إلى الله وحده مرجعكم فى الدنيا ويوم القيامة ، حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم ، وهو قادر على كل شىء ، لأنه كامل القدرة لا يعجز عن شىء من الأشياء .

٥ ـ ان الناس يطوون صدروهم كاتمين لما يجول فيها ، مجتهدين فى كتمانهم ، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخفى خلجات صدورهم عن الله ؟ ألا فليعلم هؤلاء أنهم ان آووا إلى فراشهم لابسين لباس النوم ، فاستتروا بظلام الليل والنوم وطى ما فى الصدور ، فان الله عليم بهم ، فى سرهم وعلنهم ، لأنه يعلم ما يصاحب الصدور ويطوى فيها .

٦ ـ وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شىء ، فلا توجد دابة تتحرك فى الأرض الا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها فى مختلف البيئات تفضلا منه ، ويعلم مكان استقرارها فى حال حياتها ، والمكان الذى تودع فيه بعد موتها ؟ .. كل شىء من ذلك مسجل عنده سبحانه فى كتاب موضح لأحوال ما فيه .

٧ ـ والله خلق السموات والأرض وما فيها فى ستة أيام ، ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه عرش الله . وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختبار أحوالكم أيها الناس ، ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة ، ومن يعرض عن ذلك ... ومع هذه القدرة الخالقة ان قلت لهم مؤكدا : أنهم سيبعثون من قبورهم ، وأنهم خلقوا ليموتوا ويبعثوا ، سارعوا إلى الرد عليك مؤكدين أن هذا الذى جئتهم به لا حقيقة له ! وما هو الا كالسحر الواضح الذى يلعب بالعقول .

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

---

٨ - ولئن اقتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم فى الدنيا إلى وقت محدد عندنا هو يوم القيامة، ليقولون مستهزئين: ما الذى يمنعه عنا الآن؟ فليأت به ان كان صادقا فى وعيده. ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب آت حتما، وأنه لا خلاص لهم منه حين يأتيهم، وأنه سيحيط فى الدنيا بهم بسبب استهزائهم واستهتارهم.

٩ - وأن من طبيعة الإنسان أن تستغرق نفسه الحال التى يكون عليها. فاذا اعطيناه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة فى الرزق، ثم نزعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا، أسرف فى يأسه من عودة هذه النعمة إليه، وأسرف فى كفره بالنعم الأخرى التى لا يزال يتمتع بها.

١٠ - واننا لو أعطيناه نعمة بعد ضر لحق به، فانه يقول: ذهب ما كان يسوءنى ولن يعود ويحمله ذلك على شدة الفرح بمتاع الدنيا، وعلى المبالغة فى التفاخر على الغير، فينشغل قلبه عن شكر ربه. هذا هو شأن غالب بنى الإنسان: مضطرب بين اليأس والتفاخر!

١١ - ولا يخلو من هذا العيب الا الذين صبروا عند الشدائد، وعملوا الصالحات فى السراء والضراء. هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجر كبير على أعمالهم الصالحة.

١٢ - لا تحاول أيها النبى إرضاء المشركين لأنهم لا يؤمنون، وعساك ان حاولت ارضاءهم أن تترك تلاوة بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه عليهم، كاحتقار بعض آلهتهم، خوفا من قبح ردهم واستهزائهم! وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلوه، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كنزا تنعم به كالملوك، أو يجىء معك ملك يخبرنا بصدقه! فلا تبال أيها النبى بعنادهم، فما أنت الا منذر ومحذر من عقاب الله من يخالف أمره، وقد فعلت فأرح نفسك منهم. واعلم أن الله على كل شىء رقيب ومهيمن، وسيفعل بهم ما يستحقون.

ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ

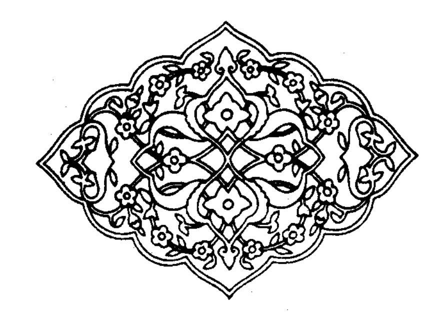
---

١٣ ـ ان القرآن فيه الآية الدالة على صدقك فإن قالوا : انه ألفه من عنده أو افتراه على الله ! فقل لهم : ان كان هذا القرآن من عند بشر، أمكن للبشر أن يأتوا بمثله، وأنتم فصحاء البشر. فأتوا بعشر سور مثله مختلفات، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن، ان كنتم صادقين فى دعواكم أنه كلام بشر!.

١٤ ـ فان عجزتم، وعجز من استعنتم بهم فأتوا بمثله ولو مفترى، فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل الا مقترنا بعلم الله، فلا يعلم وعلمه أحد، واعلموا أنه لا اله الا الله فلا يعمل عمله أحد. فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم، ان كنتم طالبين للحق.

١٥ ـ من كان يطلب الحياة الدنيا، والتمتع بلذاتها وزينتها نعطهم ثمرات أعمالهم وافية لا ينقص منها شىء.

١٦ ـ هؤلاء الذين قصروا همهم على الدنيا، ليس لهم فى الآخرة الا عذاب النار، وبطل نفع ما صنعوه فى الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب، وهو فى نفسه باطل أيضا، لأن العمل الذى لا يفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن.



فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

---

١٧ ـ أفمن كان يسير فى حياته على بصيرة وهداية من ربه ، ويطلب الحق مخلصا ، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن ، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذى أنزله الله قدوة يتبع ما جاء به ، ورحمة لمتبعيه ، كمن يسير فى حياته على ضلال وعماية ، فلا يهتم الا بمتاع الدنيا وزينتها ؟ ! أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم ، يؤمنون بالنبى والكتاب الذى أنزل عليه . ومن يكفر به ممن تألبوا على الحق وتحزبوا ضده ، فالنار موعده يوم القيامة . فلا تكن أيها النبى فى شك من هذا القرآن أنه الحق النازل من عند ربك ، لا يأتيه باطل ، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات ، فلا يؤمنون بما يجب الإيمان به .

١٨ ـ وليس أحد أكثر ظلما لنفسه وبعدا عن الحق من الذين يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله . ان هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ما عملوا من سوء ، فيقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء وغيرهم : هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفظع الجرم والظلم بالنسبة لخالقهم ! ان لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون .

١٩ ـ هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمنعونهم ، وهو سبيله المستقيم ، ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم وأهوائهم ، فتكون معوجة ، وهم بالآخرة ـ وما فيها من ثواب المؤمن وعقاب الكافر ـ كافرون .

٢٠ ـ أولئك الكافرون ، لم تكن لهم قوة تعجز الله عن أخذهم بالعذاب فى الدنيا ، ولم يكن لهم نصراء يمنعون عنهم عذابه لو شاء أن يعجل لهم العذاب وان العذاب سيقع عليهم فى الآخرة أضعاف ما كان سيقع عليهم فى الدنيا ، لو أراد الله أن يقع ، لأنهم كرهوا أن يسمعوا القرآن ، ويبصروا آيات الله فى الكون ، كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا .

٢١ ـ أولئك الكافرون لم يربحوا بعبادة الله شيئا ! بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم فى الآخرة ما كانوا يفترون من أكاذيب ودعاوى باطلة وما كانوا يختلقون من الآلهة الباطلة ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفعون لهم ، فإن يوم القيامة هو يوم الحقائق التى لا زيف فيها ولا افتراء .

هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ

---

٢٢ ـ حقا، انهم فى الآخرة أشد الناس خسرانا.

٢٣ ـ ان الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخلد فيها.

٢٤ ـ مثل الفريقين: المؤمنين والكافرين، كالأعمى الذى يسير على غير هدى، والأصم الذى لا يسمع ما يرشده إلى النجاة، وكقوى البصر الذى يرى طريق الخير والنجاة، وقوى السمع الذى يسمع كل ما ينفعه، هذان الفريقان لا يستويان فى الحال والمآل. أفلا تتفكرون أيها الناس فيما بينكم من التباين والكفر، وفيما بين الباطل والحق من خلاف، فتبتعدوا عن طريق الضلال، وتسيروا فى الطريق المستقيم؟

٢٥ ـ وكما أرسلناك إلى قومك لتنذرهم وتبشرهم، فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود، أرسلنا نوحا إلى قومه فقال لهم: انى محذر لكم من عذاب الله، مبين لكم طريق النجاة.

٢٦ ـ قائلا لهم: انى أطلب منكم ألا تعبدوا الا الله، لأنى أخاف عليكم ان عبدتم غيره أو أشركتم معه سواه فى العبادة، أن يحل عليكم يوم عذابه ذو ألم شديد.

٢٧ ـ قال الكبار من قومه: مانرى الا أنك بشر مثلنا، فليس فيك ما يجعل لك ميزة خاصة، وفضلا يحملنا على الإيمان بأنك رسول من عند الله! وما نرى الذين اتبعوك من بيننا الا الطبقة الدنيا منا وما نرى لكم من فضل علينا. بل انا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون.

٢٨ ـ قال نوح: يا قوم، أخبرونى ـ ان كنت مؤيدا بحجة واضحة من ربى، وأعطانى برحمته النبوة والرسالة، فحجب نورها عنكم، وعماها عليكم اغتراركم بالجاه والمال ـ فهل يصح أن نلزمكم بالحجة والإيمان بها مضطرين كارهين؟.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ

---

٢٩ - ويا قوم ، لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربى مالا ، وانما أطلب جزائى من الله . وما أنا بطارد الذين آمنوا بربهم عن مجلسى ومعاشرتى ، لمجرد احتقاركم لهم . لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة ، فيشكوننى إليه ان طردتهم لفقرهم . ولكنى أراكم قوما تجهلون ما يصح أن يتفاضل به الخلق عند الله . أهو الغنى والجاه ، كما تزعمون ؟ أم اتباع الحق وعمل الخير ؟

٣٠ - ويا قوم ، لا أحد يستطيع منع عقاب الله عنى ، ان طردتهم وهم المؤمنون به ، أهل بعد هذا تصرون على جهلكم ، فلا تتذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم ؟

٣١ - ولا أقول لكم ، لأنى رسول ، ان عندى خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء ، فأجعل من يتبعنى غنيا ! ولا أقول : انى اعلم الغيب ، فأخبركم بما اختص به علم الله ، بحيث لا يعلمه أحد من العباد ! ولا أقول : انى ملك حتى تردوا على بقولكم : ما ذاك الا بشر ! ولا أقول عن الذين تحتقرونهم ان الله لن يؤتيهم خيرا ارضاء لرغباتكم ! لأن الله وحده هو الذى يعلم ما فى أنفسهم من اخلاص ! . . انى إذا قلت لهم ما تحبونه ، أكون من زمرة الظالمين لأنفسهم ولغيرهم .

٣٢ - قالوا : يا نوح قد جادلتنا لنؤمن بك فأكثرت جدالنا ، حتى مللنا ، ولم نعد نتحمل منك كلاما ، فأتنا بهذا العذاب الذى تهددنا به ، ان كنت صادقا فى أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك .

٣٣ - قال نوح : هذا أمر بيد الله وحده ، فهو الذى يأتيكم بما يشاء حسب حكمته ، ولستم بمفلتين من عذابه إذا جاء ، لأنه سبحانه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

---

٣٤ ـ ولا ينفعكم نصحى لمجرد ارادتى الخير لكم ، ان كان الله يريد أن تضلوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم ، حتى صارت لا تقبل حقا ! وهو سبحانه ربكم ، وسيرجعكم إليه يوم القيامة ، ويجازيكم على ما كنتم تعملونه .

٣٥ ـ ان هذا القصص الصادق ، ماذا يكون موقف المشركين منه ؟ أيقولون افتراه ؟ وان قالوا ذلك ، فقل أيها الرسول : ان كنت افتريته على الله كما تزعمون ، فهو جرم عظيم ، على وحدى اثمه ! وإذا كنت صادقا ، فأنتم المجرمون وأنا برىء من آثار جرمكم .

٣٦ ـ وأوحى الله إلى نوح : أنه لن يصدقك ويذعن للحق من قومك أحد بعد الآن ، غير من سبق منه الايمان قبل ذلك . فلا تحزن يا نوح بسبب ما كانوا يفعلونه معك من تكذيبك وإيذائك لأننا سننتقم منهم قريبا .

٣٧ ـ وقلنا له : اصنع الفلك لننجيك عليها بعنايتنا ، وتحت رعايتنا . ولا تخاطبنى فى شأن هؤلاء الظالمين لأنى استجبت دعاءك ، وأمرت بإهلاكهم غرقا[1] .

٣٨ ـ وشرع نوح فى عمل الفلك ، وكلما مر عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به ، لجهلهم ولعدم معرفة الغرض الذى يقصده ! قال نوح : ان تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله ، فانا أيضا سنسخر منكم كما تسخرون منا .

٣٩ ـ فسوف تعلمون من منا الذى سيأتيه عذاب يذله فى الدنيا ويحل عليه فى الآخرة عذاب دائم خالد !

---

(١) انظر التعليق العلمى على الآية : ٢٧ من سورة المؤمنون .

زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

---

٤٠ - حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاكهم ، جاء الماء بقوة فائرا ذا رغوة ، كالماء الذى يغلى فوق النار ، قلنا لنوح : احمل معك فى السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرا وأنثى ، واحمل فيها أيضا أهل بيتك جميعا ، الا من سبق عليه حكمنا بإهلاكه ، واحمل فيها أيضا من آمن من قومك ، ولم يكونوا الا عددا قليلا .

٤١ - وقال نوح للذين آمنوا من قومه ، بعد ان أعد الفلك : اركبوا فيها متيمنين بذكر اسم الله تعالى ، وقت اجرائها وفى وقت رسوها ، وعند النزول فيها والخروج منها ، وارجوا مغفرة الله على ما فرط منكم ورحمته بكم ، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى .

٤٢ - ونزلوا فى السفينة ، فصارت تجرى بهم سائرة فى موج يعلو ويرتفع ، حتى يصير كالجبال فى علوها ، وفى ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه بعاطفة الأبوة ، وقد كان فى معزل عن دعوة أبيه فناداه : اركب معنا يا بنى ولا تكن مع الجاحدين بدين الله تعالى !

٤٣ - لم يطع الولد أباه الشفيق ! وقال : سأتخذ مأوى لى مكانا يمنعنى من الماء ! فقال الأب العالم بقضاء الله فى شأن العصاة : يا بنى لا يوجد ما يمنع من حكم الله تعالى بالإغراق للظالمين ! وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج المرتفع فكان مع المغرقين الهالكين الجاحدين .

٤٤ - وبعد أن هلك الجاحدون بالإغراق ، جاء أمر الله التكوينى ، فقيل بحكم التكوين : ابلعى ماءك أيتها الأرض ، وامتنعى عن انزال الماء أيتها السماء فذهب الماء من الأرض ، ولم تمد بشىء من السماء ، وانتهى حكم الله بالإهلاك واستوت الفلك ووقفت عند الجبل المسمى بالجودى وقضى الله بإبعاد الظالمين عن رحمته ، فقيل : هلاك للقوم الظالمين بسبب ظلمهم .

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ
لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾
تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ

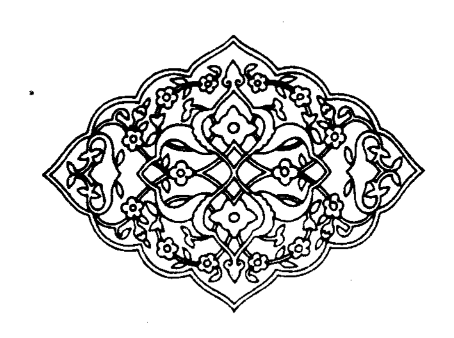
---

٤٥ ـ ثارت الشفقة فى قلب نوح على ابنه ، فنادى به ضارعا مشفقا فقال : يا خالق ومنشئى ، ان ابنى قطعة منى ، وهو من أهلى ، وقد وعدت أن تنجى أهلى ، وأن وعدك حق ثابت واقع ، وأنت أعدل الحاكمين ، لأنك أعلمهم ، ولأنك أكثر حكمة من كل ذوى الحكم .

٤٦ ـ قال الله سبحانه : ان ابنك ليس من أهلك ، اذ أنه بكفره وسيره مع الكافرين قد انقطعت الولاية بينك وبينه ، وقد عمل أعمالا غير صالحة ، فلم يصر منك ، فلا تطلب مالا تعلم : أهو صواب أم خطأ ؟ ولا تسر وراء شفقتك وانى أرشدك إلى الحق لكيلا تكون من الجاهلين الذين تنسيهم الشفقة الحقائق الثابتة !

٤٧ ـ قال نوح : يا خالق ومتولى أمرى ألجأ إليك فلا أسألك من بعد مالا أعلم الحق فيه ، واغفر لى ما قلته بدافع شفقتى ، وان لم تتفضل على بمغفرتك ، وترحمنى برحمتك ، كنت فى عداد الخاسرين .

٤٨ ـ قيل بلسان الوحى : يا نوح ، انزل على الأرض من سفينة النجاة سالما آمنا ، بسلام من الله تعالى وأمن منه ، وبركات من الله عليك وعلى الذين معك ، الذين سيكونون أمما مختلفة من بعدك ، وسينال بركة الإيمان والإذعان بعضهم ، وبعضهم سيكونون أمما يستمتعون بالدنيا وينالون متعها غير مذعنين للحق ، ثم يصيبهم يوم القيامة عذاب مؤلم شديد .



لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ

٤٩ ـ تلك القصة التى قصصناها عليك أيها النبى عن نوح وقومه ، من أخبار الغيب التى لا يعلمها الا الله ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحى ، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك ، فإن عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم ، والعاقبة الطيبة دائما للذين يتقون عذاب الله بالإيمان وعمل الصالحات .

٥٠ ـ ولقد أرسلنا إلى قوم عاد الأولى أخا لهم من قبيلتهم هو (هود) فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، اذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره : وما أنتم الا كاذبون فى ادعائكم أن لله شركاء فى استحقاقهم للعبادة ليكونوا شفعاء لكم عند الله [1] .

٥١ ـ يا قوم ، لا أطلب منكم على النصح مكافأة من جاه أو سلطان أو مال وانما أجرى على الله الذى خلقنى ، ولا يصح أن تستولى عليكم الغفلة فلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم !

٥٢ ـ ويا قوم ، اطلبوا من خالقكم أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه . انكم ان فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم كثيرا متتابعا ، فتكثر خيراتكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم التى تغترون بها ! ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه ، مصممين على الاجرام الذى يرديكم فى الهلاك .

٥٣ ـ قالوا : يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه ، وما نحن بتاركى عبادة آلهتنا لمجرد قولك ، أنتركها ، وما نحن لك بمصدقين .

(١) أنظر التعليق العلمى على الآية : ٦٥ من سورة الأعراف .

قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً

---

٥٤ - ما نقول فى موقفك منا الا أن بعض آلهتنا مسك بشر ، فصرت تهذى بهذا الكلام ، قال مصرا على إيمانه متحديا : أقول ، وأشهد الله على ما أقول ، وأشهدكم عليه ، وانى برىء من داء الشرك الذى أنتم فيه ، فأنتم المرضى .

٥٥ - ولا أبالى بكم ولا بآلهتكم التى تدعون أنها مستنى بسوء ، فتعاونوا أنتم وآلهتكم على الكيد لى ، ثم لا تؤخرون عقابى لحظة ان استطعتم .

٥٦ - إننى اعتمدت على الله ، وهو مالك أمرى وأمركم ، لا يعجزه شىء عن رد كيدكم وهو القادر على كل شىء فما من دابة الا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها ، فلا يعجزه حفظى من أذاكم ، ولا اهلاككم ، ان أفعال ربى تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه ، فينصر المؤمنين المصلحين ، ويخذل الكافرين المفسدين .

٥٧ - فإن تعرضوا عن دعوتى لم يضرنى اعراضكم ، والعاقبة السيئة عليكم ، فقد أبلغتكم ما أرسلنى الله به إليكم ، وليس على الا البلاغ ، والله يهلككم ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم ، وأنتم لا تضرونه باعراضكم عن عبادته ، ان ربى مهيمن على كل شىء ، مطلع عليه ، فما تخفى عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم .

٥٨ - ولما جاء أمرنا بإهلاك عاد نجينا هودا ، والذين آمنوا معه ، من عذاب الريح العاتية التى أهلكتهم ، ونجيناهم من عذاب شديد كبير فى الدنيا والآخرة ، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان .

٥٩ - تلك عاد أنكروا الحجج الواضحة ، وعصوا رسل الله جميعا ، بعصيانهم رسوله إليهم ، وطاعتهم لأمر كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم .

وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَىٰنَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ

---

٦٠ - فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لعنة تلحقهم فى الدنيا ولعنة تتبعهم يوم القيامة ، ألا فلينتبه كل من علم خبر عاد . ان عادا جحدوا نعمة خالقهم عليهم ، ولم يشكروها بالإيمان به وحده فأصبحوا جديرين بطردهم من رحمة الله وانزال الهلاك الشديد بهم ، ألا فهلاكا لهم لتكذيبهم هودا .

٦١ - وقد أرسلنا إلى ثمود واحدا منهم تربطه بهم صلة النسب والمودة ، وهو صالح ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ، هو خلقكم من الأرض ومكنكم من عمارتها واستثار ما فيها والانتفاع بخيرها . . فادعوه أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه بالندم على معصيته والإقبال على طاعته ، كلما وقعتم فى ذنب . ان ربى قريب الرحمة مجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه[1] .

٦٢ - قالوا : يا صالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمحبة والتقدير من نفوسنا ، قبل هذا الذى تدعونا إليه ، أتطلب منا أن نترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وما ألفناه وألفوه ؟ انا لفى شك من دعوتك إلى عبادة الله وحده ، فهذا مثير للريب وسوء الظن فيك وفيما تدعو إليه .

٦٣ - قال : يا قوم ، خبرونى ان كنت على بصيرة نيرة وبينة مما أدعوكم إليه مؤيدا بحجة من ربى ، وأعطانى ربى رحمة لى ولكم ، وهى النبوة والرسالة ، فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته ، استجابة لكم ؟ ومن ينصرنى ويعيننى على دفع عذابه ان عصيته ؟ انكم لا تستطيعون نصرتى ودفع عذابه عنى ، فما تزيدوننى غير الضياع والوقوع فى الخسران ان أطعتكم وعصيت ربى وربكم .

---

(١) أنظر التعليق العلمى على الآية : ٧٣ من سورة الأعراف .

ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ

٦٤ ـ ويا قوم ، هذه ناقة الله جعلها لكم علامة تشهد على صدق فيما أبلغه لكم ، لأنها على غير ما تألفون من أمثالها ، فاتركوها تأكل فى أرض الله لأنها ناقته ، والأرض أرضه ، ولا تنالوها بسوء يؤذيها ، فانكم ان فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب .

٦٥ ـ فلم يسمعوا نصحه ، ولم يستجيبوا له ، وبلغ بهم الكبرياء والاستهانة بتهديده أن قتلوا الناقة ، فقال لهم : تمتعوا بحياتكم فى داركم ثلاثة أيام ، ثم يأتيكم بعدها عذاب الله ، ذلك وعده الحق الذى لا يتخلف ، ولا يقع عليه تكذيب .

٦٦ ـ فلما جاء عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة خاصة منا ، ونجيناهم من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثمود. ان ربك أيها النبى هو القوى الغالب ، فاطمئن إلى قوته وعزته وعونه ونصره .

٦٧ ـ وأخذت الصيحة ثمود بعنفها ورجفتها وصاعقتها ، لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعدوان فأصبحوا فى ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم ، ميتين لا حراك بهم .

٦٨ ـ وانتهى أمرهم ، وزالت آثارهم من ديارهم ، كأنهم لم يقيموا فيها ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ، ويعلم أن ثمود جحدوا بآيات من خلقهم ، وبسبب ذلك كان الهلاك والبعد عن رحمة الله .

٦٩ ـ ولقد أرسلنا الملائكة إلى ابراهيم ببشارته هو وزوجته بمولود . قالوا يحيونه سلاما : قال يرد تحيتهم : سلام . وأسرع فلم يمكث أن حضر إليهم بعجل مشوى سمين ليأكلوا منه .

إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ

---

٧٠ - فلما رأى أيديهم لا تبلغه ولا تمتد إليه ، كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف ، وأحس أنهم ملائكة ، وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه ، أو لتعذيب قومه . قالوا وقد عرفوا أثر الخوف فى نفسه ، لا تخف انا أرسلنا لهلاك قوم لوط .

٧١ - وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم فى مكان قريب منهم ، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخى زوجها ، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد من ابراهيم زوجها ولدا يسمى اسحاق ، وسيعيش ولدها ، وسيكون لها منه بعد اسحاق يعقوب .

٧٢ - صاحت متعجبة وقالت ، يا عجبا ! أألد وأنا عجوز ، وهذا زوجى ترونه شيخا كبيرا ولا يولد لمثله ؟ ان هذا الذى أسمعه والله شىء عجيب ، اذ كيف يولد لهرمين مثلى ومثل زوجى ؟ .

٧٣ - قالت الملائكة لها : أتعجبين من أن يولد لكما على كبركما ، وهو من أمر الله الذى لا يعجزه شىء ؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم ، أهل بيت النبوة ، فليس بعجيب أن يهب لكم مالا يهب لغيركم ، انه فاعل ما يستوجب الحمد ، عظيم كثير الإحسان والكرم والعطاء .

٧٤ - فلما ذهب عن ابراهيم الخوف وسمع البشارة السارة بالولد ، أخذه الاشفاق ، وأخذ يجادل رسلنا فى هلاك قوم لوط .

٧٥ - ان ابراهيم لكثير الحلم ، لا يحب تعجيل العقاب ، كثير التأوه والتوجع من السوء الذى يصيب غيره ، تائب راجع إلى الله بما يحبه ويرضاه ، فرقته ورحمته ورأفته حملته على المجادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا وينيبوا إليه .

٧٦ - قالت الملائكة : يا ابراهيم أعرض عن هذا الجدال والتماس الرحمة لهؤلاء القوم ، انه قد جاء أمر ربك بهلاكهم ، وأنهم لابد آتيهم عذاب نافذ غير مردود بجدل أو غير جدل .

عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً

---

٧٧ - ولما جاءت الملائكة رسلنا الى لوط فى صورة شبان حسان ، تألم واستاء ، وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقه بهم ، لخوفه عليهم من فساد قومه ، وقال : هذا يوم شديد المكاره والآلام .

٧٨ - وعلم قومه بهم، فجاءوا مسرعين اليه ، ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويقترنون السيئات ، قال لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتى ، تزوجوا بهن ، فذلك أطهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ، فخافوا الله وصونوا أنفسكم من عقابه ، ولا تفضحونى وتهينونى بالاعتداء على ضيفى ، أليس فيكم رجل سديد الرأى ، رشيد العقل ، يردكم عن الغى ويكفكم عن السوء ؟ .

٧٩ - قالوا : لقد علمت يا لوط أنه ليس لنا فى بناتك أى حق فى نكاحهن أو رغبة فيهن ، انك دون شك تعلم ما نريد من مجيئنا واسراعنا اليك .

٨٠ - قال لوط : لو أن لى قوة أو ركناً قوياً اعتمدت عليه ، لكان موقفى منكم غير هذا ، ولدفعتكم عن ضيفى ومنعتكم من السيئات .

٨١ - قالت الملائكة ، وقد ظهرت على حقيقتها : يا لوط ، لا تخف ولا تحزن انا رسل ربك ، لا بشر كما بدا لك ، ولقومك ، ولن يصل هؤلاء اليك بشر يسوءك أو ضر يصيبك ، فسر أنت وأهلك فى بعض أوقات الليل ، اذا دخل جزء كبير منه ، واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحد منكم خلفه ، لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشر منه ، لكن امرأتك التى خانتك فلا تكن من الخارجين معك ، انه لابد مصيبها ما قدر أن يصيب هؤلاء .. ان موعد هلاكهم الصبح ، وهو موعد قريب ، فلا تخف .

مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ

---

٨٢ - فلما جاء وقت العذاب الذى قدرناه وقضينا به ، جعلنا عالى القرية التى كان يعيش فيها قوم لوط سافلها ، فقلبناها ، وأمطرنا عليهم فى اثناء ذلك حجارة من طين حمى بالنار حتى تحجر .

٨٣ - كانت تقع عليهم متتابعة منتظمة معلنة العذاب من عند ربك ، أيها النبى ، وليست بعيدة عن الظالمين من قومك .

٨٤ - ولقد ارسلنا الى قوم مدين[1] اخاهم فى النسب والمودة والتراحم شعيباً ، قال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان حين تبيعون لغيركم ما يكال ويوزن ، انى اراكم يرجى منكم الخير ، بالشكر والطاعة لله ، واعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وانى أخاف عليكم اذا لم تشكروا خيره وتطيعوا امره ، أن يحل بكم عذاب يوم لا تسطيعون أن تفلتوا من أهواله ، لأنها تحيط بالمعذبين فيها فلا يجدون سبيلاً الى الخلاص منها .

٨٥ - ويا قوم أدوا المكيل والموزون مما تبيعونه وافيا على وجه العدل والتسوية ، ولا تنقصوا الناس حقهم فى أشيائهم ، ولا تجوروا وتفسدوا فى الأرض بسرقة أموالهم أو الاغارة عليهم أو قطع الطريق على العابرين منهم ، تتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام .

٨٦ - ما يبقى لكم من المال الحلال الذى تفضل به الله عليكم خير لكم من المال الذى تجمعونه من حرام ، ان كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ما حرمه عليكم فحاسبوا انفسكم ، وراقبوا ربكم ، لست عليكم رقيباً أحصى أعمالكم واحاسبكم عليها .

---

(١) هاتان الآيتان نص على اعتبار نقص المكيال والميزان جريمة وهذا يقتضى أنها معاقب عليها شرعا والعقاب بالتعزير ويقابل هذا فى التشريعات الوضعية ما يسمى جريمة تزوير المكيال أو الميزان التى حدد القانون الوضعى عقوبة لها وهذا من القرآن الكريم وسيلة من وسائل حماية المال . أرض مدين واقعة بين شمال الحجاز وجنوب الشام . وكان فيها مكان كثيف الأشجار يسمى الأيكة وقد أرسل الله عليهم عقابا شديدا بسبب عصيانهم .

أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ

---

٨٧ - قالوا ساخرين مستهزئين : يا شعيب ، أصلاتك هي التي تأمرك أن تحملنا على ترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام ، وعلى أن نمتنع عن التصرف فى أموالنا كما نريد مما نرى فيه مصلحتنا ، ان ذلك غاية السفه والطيش . ولا يتفق مع ما نعرفه عنك من العقل وسداد الرأى ، فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد .

٨٨ - قال : يا قوم : اخبرونى ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى ، ورزقنى رزقاً حسناً تفضلاً منه ، أيصح لى أن أكتم ما أمرنى بتبليغه لكم ، من ترك عبادة الأصنام ، وطلب ايفاء الكيل والميزان ، وترك الفساد فى الأرض ؟ وأنا لا أريد أن أتجه الى فعل ما أنهاكم عنه من ذلك ، ما أريد بموعظتى ونصيحتى وأمرى ونهيى الا الاصلاح قدر طاقتى وجهدى واستطاعتى ، وما كنت موفقاً لاصابة الحق الا بمعونة الله وتأييده وتسديده ، عليه وحده أعتمد ، واليه وحده أرجع .

٨٩ - ويا قوم لا يحملنكم الخلاف بينى وبينكم على العناد والاصرار على الكفر فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم ، فاعتبروا بهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

٩٠ - واطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم ثم ارجعوا إليه نادمين مستغفرين كلما وقع الذنب منكم ، ان ربى كثير الرحمة محب ودود يغفر للتائبين ويحب الأوابين .

٩١ - قالوا : يا شعيب ما نعقل كثيراً مما تقوله لنا ، ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضعيفاً لا قدرة لك على الدفاع ، وعلى الاقناع ، ان اردنا بك ما تكره ، ولولا مجاملتنا لعشيرتك ، لأنها على ديننا ، لقتلناك رجماً بالحجارة ، وما أنت علينا بعزيز حتى نجلك ونحترمك ونكرمك ونصونك عن القتل بالرجم ، وانما هى المجاملة لعشيرتك تمنعنا عن قتلك .

وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ

٩٢ - قال: يا قوم، أعشيرتى أحق بالمجاملة من الله، فذكرتموها ونسيتموه وجاملتمونى واتخذتموه كالشىء المنبوذ وراء الظهر؟ ان ربى محيط علمه بكل ما تعملون، فلا يخفى عليه شىء من أعمالكم، وسيحاسبكم عليها وان نسيتموه.

٩٣ - ويا قوم اعملوا على ما أنتم قادرون عليه وما تستطيعون عمله، ان لم تسمعوا نصحى انى مثابر على العمل بما يخالف عملكم، وسوف تعلمون من منا الذى يأتيه عذاب يفضحه ويذله، ومن منا الذى هو كاذب: أأنا الذى أنذركم بالعذاب، أم أنتم الذين انذرتمونى بالاخراج من القرية؟ وانتظروا ما سيحصل: انى معكم منتظر.

٩٤ - ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم، نجينا شعيباً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك، وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة، والرجفة المهلكة، فأصبحوا فى ديارهم هامدين، راقدين على وجوههم: لا حراك بهم[1].

٩٥ - وانتهى أمرهم وزالت آثارهم، كأنهم لم يقيموا فى ديارهم، ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل، ألا هلاكاً لمدين، وبعداً من رحمة الله كما بعدت ثمود من قبلهم[2].

٩٦ - ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بمعجزاتنا الدالة على صدقه، وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهر على النفوس.

٩٧ - أرسلناه الى فرعون وكبار رجاله، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه فى الكفر، فاتبعوا أمر فرعون، وخالفوا أمر موسى، وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن يتبع.

---

(١)، (٢) انظر التعليق العلمى على الآيتين: ٨٤، ٨٥ من هذه السورة.

وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ

---

٩٨ - يتقدم قومه يوم القيامة ويقودهم كما قادهم فى الدنيا ، فيوردهم النار حتماً ، يصلونها ويتجرعون غصص عذابها ، وقبح هذا المورد الذى يشربون منه ماء حمياً ليطفىء ظمأهم فيقطع أمعاءهم .

٩٩ - وهم فى هذه الدنيا قد تبعتهم لعنة من الله والملائكة والناس ، ويوم القيامة تتبعهم كذلك اللعنة ، لأنها عطاؤهم ، وانه لعطاء قبيح يثير الشعور بالذنب ، ويقال فيه : بئس هذا العطاء المعطى لهؤلاء .

١٠٠ - ذلك القصص أيها النبى هو بعض أخبار القرى التى أهلكناها ، نقصها عليك لتعظ بها قومك ، وتطمئن الى نصر الله لك ، بعض هذه القرى كالزرع القائم على ساقه ، ليشهدوا بما حصل ، وبعضها عافى الأثر ، كالزرع الذى حصد .

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله والفساد فى الأرض ، فما استطاعت أن ترد عنهم الهلاك آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ، ولا نفعتهم بشىء لما جاء أمر ربك أيها النبى ، وما زادهم اصرارهم على عبادة الأوثان ، الا الهلاك والضياع .

١٠٢ - ومثل هذا الأخذ الشديد ، الذى أخذ به ربك أيها النبى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ، أخذه الشديد اذا شاء أن يأخذ القرى وأهلها ظالمون بالكفر والفساد ، إن أخذه قوى مؤلم شديد على الظالمين .

١٠٣ - ان فى ذلك القصص لموعظة يعتبر بها من أيقن بالبعث وخاف عذاب يوم الآخرة ، ذلك يوم مجموع للحساب فيه الناس ، وذلك يوم مشهود يراه الملائكة والناس .

١٠٤ - وما نؤخره الا بمدة قليلة حددناها ، ومهما طالت فى نظر الناس فهى قليلة عند الله .

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

---

١٠٥ - يوم يأتى هوله لا يستطيع انسان أن يتكلم الا بإذن الله، فمن الناس شقى بما يعانى من ألوان الشدة، وهو الكافر، ومنهم سعيد بما ينتظره من نعيم الآخرة، وهو المؤمن.

١٠٦ - فأما الذين شقوا ففى النار مآلهم، لهم فيها تنفس مصحوب بآلام مزعجة، عند خروج الهواء من صدورهم، وعند دخوله فيها.

١٠٧ - خالدين فى النار ما دامت السموات والأرض، لا يخرجون منها الا فى الوقت الذى يشاء الله اخراجهم فيه، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب، وان ربك أيها النبى فعال لما يريد فعله، لا يمنعه أحد عنه.

١٠٨ - وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظة، بعد انتهاء موقف الحساب الى ما لا نهاية، الا الفريق الذى يشاء الله تأخيره عن دخول الجنة مع السابقين، وهم عصاة المؤمنين، الذين يتأخرون فى النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم، ثم يخرجون منها الى الجنة، ويعطى ربك هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء عظيماً مستديماً، غير منقوص ولا مقطوع.

١٠٩ - وإذا كان أمر الأمم المشركة الظالمة فى الدنيا ثم فى الآخرة، هو ما قصصنا عليك أيها النبى، فلا يكن عندك أدنى شك فى مصير عباد الأوثان من قومك، ان استمروا على ضلالهم، لأنهم كالسابقين من آبائهم، الذى قصصنا عليك قصصهم من قبل، كلهم مشركون وانا لموفون هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملاً على قدر جرائمهم، لا ينقصون منه شيئاً.

فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ

---

١١٠ - ونؤكد لك أيها النبى اننا أعطينا موسى التوراة ، فاختلف قومه من بعده فى تفسيرها ومعناها ، حسب أهوائهم وشهواتهم ، كل يريد اخضاعها لشهواته ، فتفرقوا شيعاً ، وابتعد الكثير منهم عن الحق الذى جاءتهم به ، ولولا وعد الله سابق بتأخير عذابهم الى يوم القيامة ، لحل بهم فى دنياهم قضاء الله وحكمه باهلاك المبطلين ونجاة المحقين ، كما حل بغيرهم من الأمم التى جاءتهم بها ، بعد اختلاف اسلافهم فى فهمها ، وتحريفهم لها ، مما جعل ادراك الحقائق منها أمراً عسيراً . وان هؤلاء الذين ورثوا التوراة لفى حيرة وبعد عن الحقيقة .

١١١ - ان كل فريق من هؤلاء سيوفيهم ربك حتماً جزاء أعمالهم ، انه سبحانه خبير بهم محيط بدقائق ما يعملون من خير أو شر ، ويجازى كلاً منهم حسب عمله .

١١٢ - وإذا كان هذا هو حال الأمم التى جاءها كتاب من الله فاختلفت فيه وخرجت عليه ، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله ، ولا تجاوزوا حدود الاعتدال بتقصير أو إهمال أو مغالاة فى تكليف أنفسكم ما لا تطيقون ، إنه سبحانه محيط علمه بكل ما تعملون فيجازيكم عليه .

١١٣ - ولا تميلوا أدنى ميل الى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله ، ولا تعولوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم ، فتستحقوا بسبب هذا الميل عذاب النار ، ولا تجدوا أحداً يدفعه عنكم ، ثم تكون عاقبتكم انكم لا تنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم ، ولركونكم إلى عدوه .

١١٤ - وأد الصلاة أيها النبى على أتم وجه فى طرفى النهار ، وفى أوقات متفرقة من الليل ، فانها تطهر النفوس فتتغلب على نزعة الشر ، وتمحو آثار السيئات التى قلما يخلو منها البشر ، ذلك الذى أمرت به أيها النبى من الارشاد للخير عظة ينتفع بها المستعدون لقبولها ، الذين يذكرون ربهم ولا ينسونه .

ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

١١٥ - واصبر أيها النبى على مشاق ما أمرناك به ، وأحسن تنفيذه ، يعطك الله اجراً عظيماً ، لأنه لا يضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم.

١١٦ - كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة ، التى أهلكناهم بسبب ظلمها ، جماعة منهم لهم كلمة مسموعة وفضل من دين وعقل ، ينهون غيرهم عن الفساد فى الأرض ، فيحفظوهم من العذاب الذى حل بهم ، ولن يكون هذا ، لكن الذى حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يسمع لهم رأى ولا توجيه ، فأنجاهم الله مع رسلهم ، فى الوقت الذى أصر فيه الظالمون المعاندون على ما تعودوه من قبل من حياة الترف والفساد ، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير ، وكانوا فى ايثارهم لهذه الطريق غارقين فى الذنوب والسيئات ، فأهلكهم الله تنفيذاً لسنته فى خلقه .

١١٧ - وما كان من سنة الله ، ولا من عدله فى خلقه ، ان يظلم أمة من الأمم فيهلكها وهى متمسكة بالحق ، ملتزمة للفضائل . عاملة على ما يصلح أمرها وأمر غيرها .

١١٨ - ولو شاء ربك أيها النبى لجعل الناس على دين واحد ، مطيعين الله بطبيعة خلقتهم ، كالملائكة ، ولكان العالم غير هذا العالم ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ، بل تركهم مختارين ، فلا يزالون مختلفين فى كل شىء ، حتى فى أصول العقائد ، كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، مما لا يجوز الخلاف فيه ، تبعاً لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم ، يتعصب كل فريق لرأيه وما وجد عليه آباءه .

١١٩ - لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرهم ، فانهم اتفقوا على حكم الله فيهم ، فآمنوا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر . ولهذه المشيئة التى اقتضتها حكمته تعالى فى نظام هذا العالم ، خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الثواب والعقاب . وبهذا يتحقق وعد ربك بأنه لابد من أن يملأ جهنم من أتباع ابليس من الجن والناس .

مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

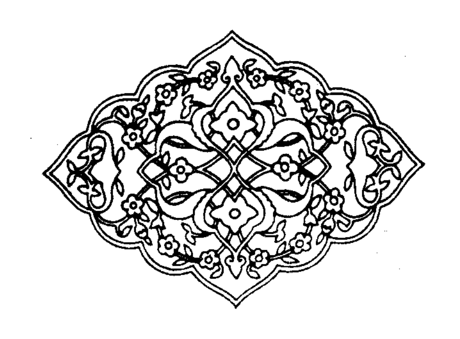
---

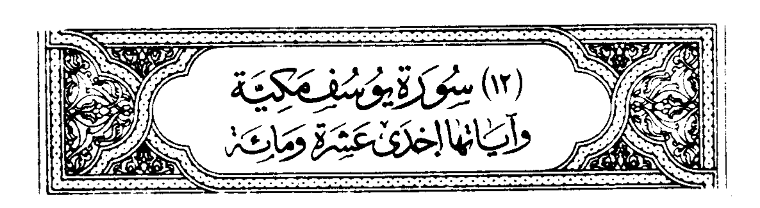
١٢٠ - ونقص عليك أيها النبى من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أممهم ما نقوى به قلبك على القيام بشاق الرسالة ، وقد جاءك فى هذه الأنباء بيان الحق الذى تدعو اليه ، مثلما دعا اليه السابقون من الرسل ، من توحيد الله والبعد عما يغضبه ، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها المؤمنون ، فيزدادون ايماناً ، والمستعدون للايمان فيسارعون اليه .

١٢١ - وقل أيها النبى للذين يصرون على العناد والكفر ، ابذلوا أقصى ما فى قدرتكم من محاربة الاسلام وايذاء المؤمنين به ، فاننا ماضون فى طريقنا ثابتون على عملنا .

١٢٢ - وانتظروا ما ترقبونه لنا ، اننا كذلك منتظرون وعد الله لنا بنجاح الدعوة والانتصار على أعدائها .

١٢٣ - ولله وحده علم كل غيب فى السموات والأرض ، فيعلم ما سيحل بكم ، وما يكون لنا ، واليه وحده يرجع تصريف كل أمر من الأمور ، واذا كان الأمر كذلك ، فاعبد ربك وحده ، وتوكل عليه ، ولا تخش أحداً سواه ، وما ربك بغافل عما تعملون جميعاً أيها المؤمنون والكافرون ، وسيجازى كلاً بما يستحقه فى الدنيا والآخرة .





بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ءايت الكتب المبين ﴿١﴾ إنا أنزلنه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ﴿٢﴾ نحن نقص عليك

هذه السورة مكية ، وآياتها مائة واحدى عشرة آية : قص الله فيها قصة يوسف فى ثمان وتسعين آية ، وقدم لها بثلاث آيات ذكر فيها هذا الوحى الذى أنزله على محمد ﷺ ، فسماه فى الآية الأولى كتاباً مبينا ، وفى الثانية قرآناً عربياً : اشارة الى أن من حقه أن يحفظ فى السطور والصدور معاً . ثم ذكر فى الآية الثالثة ما اشتمل عليه من أحسن القصص وذكر النبى بأنه لم يكن يعلمه قبل تنزل الوحى به عليه ، وذلك دليل على أنه من عند الله .

وقد ختمت القصة والسورة بتأكيد ما بدئت به ، فوجه الله نظر نبيه فى عشر آيات الى أن هذه القصة من أنباء الغيب ، لم يكن ﷺ يعلمها ويعلم حقائقها ودقائقها ، قبل أن ينزل عليه الوحى بها ، ولم يكن عند اخوة يوسف حين أجمعوا أمرهم ودبروا الشر لأخيهم من أبيهم ، ثم أخبره بأن العناد والحسد يحمل أكثر الناس على الكفر ، وان حرصه عليه السلام على ايمان أكثرهم لا يجديه . وعزاه عن ذلك بأنه لا يطلب أجراً ، وإنما يحمل اليهم القرآن هدى وذكرى للناس أجمعين . وأشار فى ختام السورة الى الرسل الذين ذكر له قصصهم ومواقف أقوامهم منهم ، وانتصارهم فى النهاية على الكافرين المجرمين ، وأكد أن فى قصص هؤلاء الأنبياء عبراً لأصحاب العقول ، وأن هذا القرآن الذى تحدث بهذه القصص وغيرها ما كان حديثا يختلق وينسب الى الله كذباً ، وانما هو الحق والصدق ، والكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية ، والهدى والرحمة لقوم يفكرون ويعتبرون ويؤمنون .

وأظهر خصائص هذه السورة أنها ذكرت قصة يوسف بتمامها ، وأظهرت شيوع الحسد فى الأسرة اذ ظهرت المحبة لبعضهم ، فكان حسد أولاد يعقوب لأخيهم قد حملهم على إلقائه فى غيابة الجب ، ولكن الله حفظه من مكرهم ، كما حفظه من اغراء امرأة العزيز حين بلغ أشده فى بيت العزيز ، ومكن له أرض مصر ، وجعله ملاذ الذين ائتمروا به . . وكذلك شأنه سبحانه مع أنبيائه وأوليائه ينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم فى الأرض ، ما تمسكوا بالحق ، وآمنوا به ، واعتصموا بحبله .

١ - ألف . لام . راء . تلك الحروف وأمثالها يتكون منها كلامكم ايها العرب هى التى تتكون منها آيات الكتاب المعجز بكل ما فيه . الواضح الموضح لمن يسترشد به ، ويستهديه . وفى هذه الحروف الصوتية تنبيه لهم ، فيستمعوا ولو اتفقوا على عدم السماع .

٢ - انا أنزلنا على رسولنا بلغتكم أيها العرب كلاماً عربياً يقرأ ويحفظ ، لكى تفهموه وتبلغوا الناس ما فيه .

أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

٣ - نحن نلق عليك أيها النبى أحسن القصص بإيحائنا اليك هذا الكتاب ، وقد كنت قبل تلقيه من الذين غفلوا عما فيه ، وعما اشتمل عليه من عظات وآيات بينات .

٤ - من ذلك القصص أيها النبي قصة يوسف[1] ، إذ قال لأبيه : يا أبت ، انى رأيت فى منامى أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر ، رأيتهم جميعاً خاضعين لى ساجدين أمامى .

٥ - قال أبوه : يا بنى ، لا تحك لأخوتك هذه الرؤيا ، فانها تثير فى نفوسهم الحسد ، فيغريهم الشيطان بتدبير الحيل ضدك . يحتالون للكيد لك ويمكرون بك ، ان الشيطان للانسان عدو ظاهر العداوة .

٦ - وكما رأيت نفسك فى المنام سيداً مطاعاً ، ذاشرف وسلطان ، يصطفيك ربك ويختارك ويعلمك تفسير الرؤى ، وبيان ما تؤول اليه ، فيعظم قدرك وذكرك ، ويتم الله نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب ، بالنبوة والرسالة كما أتمها على أبويك من قبل أبيك يعقوب ، وهما إبراهيم واسحق ، ان ربك كثير الحكمة فلا يخطىء ، كثير العلم فيصطفي من عباده من يعلم أنه أهل للاصطفاء .

٧ - لقد كان فى قصة يوسف واخوته دلائل وعبر ، للسائلين عنها والراغبين فى معرفتها .

٨ - اذ قال اخوة يوسف لأبيه فيما بينهم : ليوسف وأخوه الشقيق أحب الى أبينا منا ، ونحن جماعة قوية هى أنفع له منهما ، ان أبانا بايثاره يوسف وأخاه علينا لفى خطأ وبعد عن الحق ، والصواب واضح ، ظاهر الوضوح .

---

(١) يوسف عليه السلام هو ولد يعقوب العبرانى الكنعانى وقد بيع فى مصر فى عهد الغزاة الأجانب الذين يسمون بالهكسوس وهم فيما يبدو ساميون قدموا إلى مصر من بلاد الشام حيث احتلوا دلتا النيل حوالى عام ١٧٣٠ ق . م . قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة وحكموا مصر حوالى قرن ونصف قرن من الزمان حيث طردوا حوالى عام ١٥٨٠ ق . م . على يد أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة إلى ما وراء الحدود المصرية .

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ

---

٩ - اقتلوا يوسف أو القوا به فى أرض بعيدة عن أبيه ، لا يصل إليها ، يخلص لكم حب أبيكم واقباله عليكم ، وتكونوا من بعد إبعاد يوسف عنه بالقتل أو النفى قوماً صالحين إذ يقبل الله توبتكم ، ويقبل أبوكم اعتذاركم .

١٠ - قال أحد المتحدثين منهم : لا تقتلوا يوسف ، فان ذلك جرم عظيم ، وألقوه فيما يغيب عن العيون من غور البئر ، يلتقطه بعض السائرين فى الطريق ، اذا ألقى دلوه فى البئر ، فيذهب به بعيداً عنكم وعن ابيه ، ان كنتم مصرين على ابعاده وتحقيق غرضكم بالفعل .

١١ - قالوا بعد أن تم اتفاقهم على ابعاد يوسف : يا أبانا ما الذى رابك منا حتى تبعد يوسف عنا ، ولا تشعر بالأمن اذا كان معنا ؟ نحن نؤكد لك أننا نحبه ، ونشفق عليه ، ونريد له الخير ، ونرشده اليه ، وما وجد منا غير الحب وخالص النصح .

١٢ - أرسله معنا الى المراعى غداً ، يتمتع بالأكل الطيب ، ويلعب ويمرح وانا لحريصون على المحافظة عليه ، ودفع الأذى عنه .

١٣ - قال : إننى لأشعر بالحزن اذا ذهبتم بعيداً عنى . . وأخاف اذا امنتكم عليه أن يأكله الذئب وأنتم فى غفلة عنه .

١٤ - قالوا : نقسم لك ، لئن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية ، ليكونن ذلك العار والخسار ، انا اذا حدث هذا الذى تخشاه ، لخاسرون لكل ما يجب الحرص عليه وعدم التفريط فيه . فاطمئن فلن نتهاون فى المحافظة عليه لأننا بذلك نعرض أنفسنا للضياع والهوان .

١٥ - فلما مضوا به بعيداً عن أبيه ، وأجمعوا رأيهم فى القائه فى غور البئر ، انفذوا ما عزموا عليه ، وألهمناه الاطمئنان والثقة بالله وأنه سيخبرهم بأمرهم هذا الذى دبروه وقدموا عليه ، وهم لا يشعرون حين تخبرهم أنك أخوهم يوسف الذى أئتمروا به ، وظنوا أنهم قضوا عليه واستراحوا منه .

عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ

١٦ - ورجعوا الى أبيهم وقت العشاء، يظهرون الحزن ويرفعون أصواتهم بالبكاء.

١٧ - قالوا يا أبانا، اننا مضينا نتسابق فى الرمى والجرى، وتركنا يوسف عند متاعنا ليحرسه، فأكله الذئب ونحن بعيدون عنه، مشغولون بالتسابق دونه، وما أنت بمصدق لنا فيما نقوله لك، ولو كان ما نقوله الحق والصدق.

١٨ - وأحضروا قيصه وعليه دم يشهد بادعائهم، اذ زعموا أنه دم يوسف ليصدقهم ابوهم، ولكنه قال، ان الذئب لم يأكله كما زعمتم، بل قد سولت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فأقدمتم عليه، فشأنى صبر جميل لا يصحبه الجزع على ما أصابنى منكم، والله وحده الذى يطلب منه العون على ما تزعمون وتدعون من الباطل.

١٩ - وجاءت جهة البئر جماعة كانت تسرع فى السير الى مصر، فأرسلوا من يرد الماء منهم ويعود اليهم من البئر بما يسقيهم، فألقى دلوه فيه ورفعه منه فاذا يوسف متلعق به.. قال واردهم يعلن ابتهاجه وفرحه يا للخير ويا للخبر السار.. هذا. غلام.. وأخفوه فى أمتعتهم، وجعلوه بضاعة تباع، والله محيط علمه بما كانوا يعملون.

٢٠ - وباعوه فى مصر بثمن دون قيمته، كان الثمن دراهم قليلة، وكانوا فى يوسف من الزاهدين الراغبين عنه، لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينتزعوه منهم.

فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

---

٢١ - وقال الذى اشتراه من مصر لزوجته : أحسنى معاملته وأكرميه حتى تطيب له الاقامة معنا ، لعله ينفعنا أو نتبناه ونتخذه ولداً لنا ، وكما كانت هذه المكانة عظيمة وهذه الإقامة كريمة ، جعلنا ليوسف فى أرض مصر مكانة أخرىً كبرى ، ليتصرف فيها بالعدل وحسن التدبير ، لنعلمه تفسير الأحاديث والرؤى فيعرف منها ما سيقع قبل أن يقع ويستعد له ، والله قوى قادر على تنفيذ كل أمر يريده ، لا يعجزه شىء عن شىء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون خفايا حكمته ولطف تدبيره .

٢٢ - ولما بلغ يوسف أقصى قوته ، أعطيناه حكماً صائباً ، وعلماً نافعاً ، ومثل هذا الجزاء الذى أعطيناه اياه على إحسانه ، نجزى المحسنين على احسانهم .

٢٣ - وأرادت التى هى كان هو يعيش فى بيتها ، ويشعر بسلطانها ، ان تغريه بنفسها ، لتصرفه عن نفسه الطاهرة الى مواقعتها ، فأخذت تذهب وتجىء أمامه ، وتعرض عليه محاسنها ومفاتنها ، وأوصدت الأبواب الكثيرة ، وأحكمت اغلاقها ، وقالت : أقبل على فقد هيأت لك نفسى ، قال : انى الجأ إلى الله ليحمينى من الشر ، وكيف ارتكبه معك وزوجك العزيز سيدى الذى أحسن مقامى ؟ انه لا يفوز الذين يظلمون الناس بالغدر والخيانة فيوقعون أنفسهم فى معصية الزنى ؟ .

٢٤ - ولقد عزمت أن تخالطه ونازعته نفسه اليها ، لولا أن رأى نور الله الحق نصب عينيه قد استضاء به ، ولم يطاوع ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ، فامتنع عن المعصية والخيانة وثبت على طهره وعفته . وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لنصرف عنه سوء الخيانة ومعصية الزنى ، انه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله .

سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

---

٢٥ - وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج منه ، فأسرعت تحاول أن تسبقه إليه ، لتحول دون خروجه ، وجذبت قميصه من خلفه تمنعه ، وقطعته . . ووجدا عند الباب زوجها قالت تثيره عليه : لا جزاء لمن أراد بزوجك ما يسوءك الا السجن يوضع فيه ، أو عذاب مؤلم يقع عليه .

٢٦ - قال يوسف يدافع عن نفسه : هى طلبتنى ، وحاولت أن تخدعنى عن نفسى ، وتخاصما فى الاتهام ، فحكم حكم من أهلها فقال ان كان قميصه شق من أمام ، فقد صدقت فى ادعائها ، وهو من الكاذبين فيما أخبر به .

٢٧ - وان كان قميصه شق من خلف ، فقد كذبت فى قولها ، وهو من الصادقين فيما قال .

٢٨ - فلما رأى الزوج قميص يوسف قد من خلف ، قال لزوجته : ان اتهامك له بما وقعت انت فيه مع براءته هو من كيدكن ، معشر النسوة ، ان مكركن عظيم .

٢٩ - يا يوسف اعرض عن هذا الأمر ، واكتمه ولا تذكره ، واستغفرى انت لذنبك ، انك كنت من الآثمين الذين تعمدوا الوقوع فى الخطأ وارتكاب الاثم ، واتهموا غيرهم بما أثموا هم به .

٣٠ - وانتهى الخبر الى جماعة من النساء فى المدينة ، فتحدثن وقلن : ان امرأة العزيز تغرى خادمها وتخدعه عن نفسه ليطيعها فيما تريده منه ، قد خالط حبه شغاف قلبها حتى وصل الى صميمه ، انا نعتقد انها بسلكها معه فى ضلال واضح وخطأ بين .

حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ

---

٣١ - فلما سمعت باغتيابهن وسوء كلامهن فيها ، دعتهن الى بيتها ، وأعدت لهن ما يتكئن عليه من الوسائد والنمارق ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، بعد أن حضرن وجلسن متكئات ، وقدم لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين ما تناله منه أيديهن . وقالت ليوسف : اخرج عليهن . فلما ظهر ورأينه أعظمنه وأخذهن حسنه الرائع وجماله البارع ، فجرحن أيديهن من فرط الدهشة والذهول ، وهن يقطعن طعامهن ، قلن متعجبات مندهشات : تنزيهاً لله ، ما هذا الذى نراه بشراً لأن البشر لا يكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا الا ملك كثير المحاسن طيب الشمائل ، سخى الصفات .

٣٢ - قالت امرأة العزيز تعقب على كلامهن : فذلكن الفتى الذى بهركن حسنه ، وأذهلكن عن أنفسكن حتى حصل ما حصل ، هو الذى لمتننى فى شأنه ، ولقد طلبته وحاولت اغراءه ليستجيب لى فامتنع وتأبى ، كأنه فى عصمة كان يستزيد منها ، وأقسم ان لم يفعل ما آمره به ليعاقبن بالسجن وليكونن من الأذلاء المهينين .

٣٣ - قال يوسف : وقد سمع منها التهديد والوعيد ، وسمع منهن النصح بطاوعتها يا رب : السجن أحب الى نفسى مما يطلبنه منى لأن فى هذا معصيتك ، وان لم تحول عنى شر مكرهن وكيدهن أمل إليهن ، وأكن من السفهاء الطائشين .

٣٤ - فاستجاب الله له ، فصرف عنه شر مكرهن ، انه هو وحده السميع لدعوات الملتجئين اليه ، العليم بأحوالهم وبما يصلحهم .

٣٥ - ثم ظهر رأى للعزيز وأهله ، من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف فأجمعوا على هذا الرأى ، وأقسموا على تنفيذه ، وهو أن يدخلوه السجن إلى زمن يقصر أو يطول ، لكى يدفع مقالة السوء عن امرأته ويبعدها عن الغواية .

فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ
تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ
مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

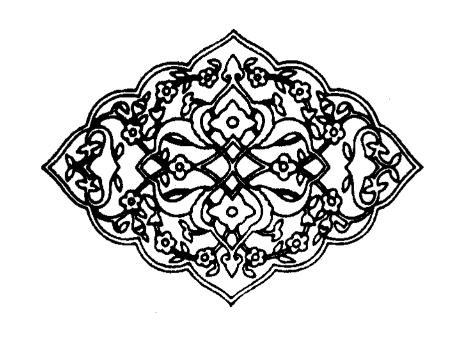
---

٣٦ ـ ودخل السجن مع يوسف فتيان من خدام الملك . قال له أحدهما : لقد رأيت فى منامى أنى أعصر عنبا ليكون خمرا ، وقال له الآخر : لقد رأيت أنى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل منه الطير ، خبرنا يا يوسف بتفسير هذا الذى رأيناه ومآل أمرنا على هداه . انا نعتقد أنك من الذين يتصفون بالإحسان واجادة تفسير الرؤى .

٣٧ ـ قال لهما : يؤكد ما علماه عنه : لا يأتيكما طعام يساق إليكما رزقا مقدرا لكما ، إلا أخبرتكما بمآله إليكما ، قبل أن يأتيكما ، وذكرت لكما صنعته وكيفيته ، ذلكما التأويل للرؤيا والاخبار بالمغيبات مما علمنى ربى وأوحى به إلى لأنى أخلصت له عبادتى ، ورفضت أن أشرك به شيئا ، وابتعدت عن دين قوم لا يصدقون بالله ، ولا يؤمنون به على وجه صحيح ، وهم بالآخرة وحسابها منكرون كافرون .

٣٨ ـ تركت ملة هؤلاء الكافرين ، واتبعت دين آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، فعبدت الله وحده ، فما صح لنا أن نجعل لله أى شريك من أى شىء كان ، من ملك أو جنى أو انسى ، فضلا عن الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ، ذلك التوحيد مما تفضل به الله علينا وعلى الناس ، إذ أمرنا بتبليغه إليهم ، ولكن أكثر الناس لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر .

٣٩ ـ يا صاحبى فى السجن : أأرباب شتى كثيرة يخضع المرء لكل واحد منها ، خير : أم الله الواحد الذى لا يغالب ؟ .



بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

---

٤٠ ـ ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أطلقتموها أنتم وآباؤكم على أوهام لا وجود لها ، ما أنزل الله بتسميتها آلهة من حجة وبرهان ، ما الحكم فى أمر العبادة وفيما يصح أن يعبد ومالا تصح عبادته ، إلا لله أمر ألا تخضعوا لغيره وأن تعبدوه وحده . ذلك الدين السليم القويم الذى تهدى إليه الأدلة والبراهين ، ولكن أكثر الناس لا يسترشدون بهذه الأدلة ، ولا يعلمون ما هم عليه من جهل وضلال .

٤١ ـ يا صاحبى فى السجن ، اليكما تفسير مناميكما ، أما أحدكما الذى عصر العنب فى رؤياه فيخرج من السجن ، ويكون ساقى الخمر للملك ، وأما الثانى فيصلب ويترك مصلوبا فتقع عليه الطير وتأكل من رأسه ، تم الأمر على الوجه الذى بينته فيما تطلبان فيه تأويل الرؤيا .

٤٢ ـ وقال للذى توقع النجاة منها : اذكرنى عند الملك بصفتى وقصتى عساه ينصفنى وينقذنى مما أعانيه ، فشغله الشيطان وأنساه أن يذكر للملك قصة يوسف فمكث يوسف فى السجن سنين لا تقل عن ثلاث .

٤٣ ـ وقال الملك : انى رأيت فى منامى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف ، ورأيت سبع سنبلات خضر ، وسبع سنبلات أخر يابسات . . يأيها الكبراء من العلماء والحكماء أفتونى فى رؤياى هذه ان كنتم تعرفون تفسير الرؤى وتفتون فيها .

٤٤ ـ قالوا : هذه أخلاط أحلام باطلة ، ووساوس تهجس فى النفس ، وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .

٤٥ ـ وقال الذى نجا من صاحبى يوسف فى السجن ، وتذكر بعد مضى مدة طويلة ، وصية يوسف ، أنا أخبركم بتأويل الحديث الذى ذكره الملك ، فأرسلونى إلى من عنده علم بتأويله آتكم بنبئه .

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ

٤٦ ـ مضى الساقى إلى يوسف : حتى جاءه فناداه : يوسف أيها الحريص على الصدق أفتنا فى رؤيا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف وفى رؤيا سبع سنبلات خضر وأخر يابسات ؟ أرجو أن أرجع إلى الناس بفتواك عساهم يعلمون معناها ، ويعرفون لك علمك وفضلك .

٤٧ ـ قال يوسف : تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون الأرض قمحا وشعيرا سبع سنين متواليات : دائبين على العمل فى الزراعة ، فما تحصدونه احفظوه فاتركوه فى سنبله ، الا قليلا مما تأكلونه فى هذه السنين ، مع الحرص على الاقتصاد [1] .

٤٨ ـ ثم يأتى بعد هذه السنين المخصبة سبع سنين مجدبة ، تأكل ما ادخرتم لها ، الا قليلا مما تخبئونه وتحفظونه ، ليكون بذرا لما تزرعونه بعد ذلك .

٤٩ ـ ثم يأتى بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر ، ويعصرون فيه العنب والزيتون وكل ما يعصر .

٥٠ ـ تنبه الملك إلى يوسف بسبب تعبيره لرؤياه ، وعزم على استدعائه فأمر أعوانه أن يحضروه ، فلما أتاه من يبلغه رغبة الملك لم يستخفه الخبر ، رغم ما يحمل من بشرى الفرج ولم تزعزع حلمه لهفة السجين على الخلاص من ضيق السجن ووحشته ، وآثر التمهل حتى تظهر براءته ، على التعجل بالخروج وآثار التهمة عالقة بأردافه ، فقال للرسول ، عد إلى سيدك واطلب منه أن يعود إلى تحقيق تهمتى ، فيسأل النسوة اللواتى جمعتهن امرأة العزيز كيدا لى ، فغلبهن الدهش وقطعن أيديهن : هل خرجن من التجربة معتقدات براءتى وطهرى أو دنسى وعهرى ؟ انى أطلب ذلك كشفا للحقيقة فى عيون الناس ، أما ربى فانه راسخ العلم باحتيالهن .

---

(١) تتفق هذه الآية مع ما وصل إليه العلم من ان ترك الحب فى سنابله عند تخزينه وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والآفات ، وفوق ذلك يبقيه محافظا على محتوياته الغذائية كاملة .

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ * وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ

---

٥١ ـ فاستحضر الملك النسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع يوسف ليغفل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميلا إليكن ؟ فأجبنه : تنزه الله عن أن يكون نبى عبده حق تلوث طهره ، فما لمسنا فيه شيئًا يشين . وحينئذ قويت نزعة الخير فى نفس امراة العزيز ، فاندفعت تقول : الآن وضح الحق وظهر أنا التى خاتلته وحاولت فتنته عن نفسه بالإغراء فاستمسك بعصمته ، وأوكد أنه من أهل الصدق والحق حين رد التهمة على ونسبها إلى .

٥٢ ـ هذا اعتراف منى بالحق أقدمه ، ليستيقن يوسف أنى لم أستغل غيبته فى السجن ، وأتمادى فى الخيانة ، وأعول على تثبيت اتهامه ، ولأن الله لا ينجح تدبير الخائنين .

٥٣ ـ وما أدعى عصمة نفسى من الزلل ، فإن النفس تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين السوء والشر ، الا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء . وانى لأطمع فى رحمة الله وغفرانه ، لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين .

٥٤ ـ فلما ظهرت براءة يوسف عند الملك ، صمم على استدعائه ، وكلف رجاله أن يحضروه ليجعله من خاصته وخلصائه ، فلما حضر إليه وجرى بينهما الحديث ، تجلى له من يوسف ما تجلى من طهارة النفس وثقوب الرأى فقال له ، ان لك فى نفسى لمقاما كريما ثابتا ، وأنت الأمين الموثوق به .

٥٥ ـ وعلم الملك منه حسن التدبير وكفاءته لما يقوم به ، وأحس يوسف بذلك ، وحينئذ طلب منه أن يستوزره قائلا له : ولنى على خزائن ملكك ومستودعات غلات أرضك ، لأنى كما تأكد لديك ضابط لأمور المملكة ، حافظ لها ، خبير بالتدبير وتصريف الأمور .

وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

---

٥٦ ـ وقبل الملك عرضه ، فاستوزره ، وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جليلة ، فجعل له سلطانا وقدرة فى أرض مصر ، ينزل منها بأى مكان يريد .وهذا شأن الله فى عباده ، يهب نعمته لمن يختاره منهم ، ولا يهدر ثوابهم وانما يؤتيهم أجورهم على الإحسان بالإحسان فى الدنيا .

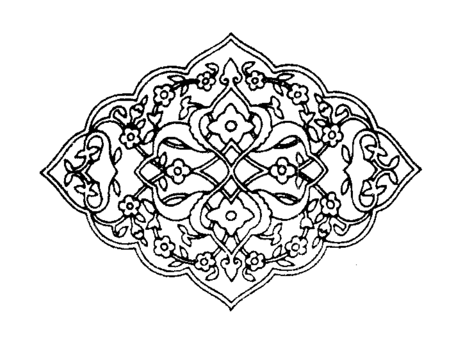
٥٧ ـ وان ثوابه فى الآخرة لأفضل وأوفى لمن صدقوا به وبرسله ، وكانوا يراقبونه ويخافون يوم الحساب .

٥٨ ـ واشتد القحط بما حول مصر ، ونزل بآل يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة ، وقصد الناس مصر من كل مكان ، بعد ما علموا من تدبير يوسف للمؤن ، واستعداده لسنوات الجدب . فبعث يعقوب إليها أبناءه طلبا للطعام ، واحتجز معه ابنه شقيق يوسف خوفا عليه ، فلما بلغ أبناؤه مصر توجهوا من فورهم إلى يوسف ، فعرفهم دون أن يعرفوه .

٥٩ ـ وأمر يوسف أن يكرموا فى ضيافته ، ويدفع لهم من الميرة ما طلبوه فتم لهم ذلك ، وأخذ يحدثهم ، ويسأل عن أحوالهم سؤال الجاهل بها ، وهو بها عليم ، فأخبروه أنهم تركوا أخا لهم حرص أبوهم ألا يفارقه ، وهو بنيامين شقيق يوسف ، فقال : ليحضر معكم أخوكم ، ولا تخافوا شيئا ، فقد رأيتم ايفاء كيلكم واكرامى لكم فى نزولكم .

٦٠ ـ فإن لم تحضروا أخاكم هذا ، فليس عندى لكم طعام ، ولا تحاولوا أن تأتونى مرة أخرى .

٦١ ـ قال اخوته : سنحتال على أبيه لينزل عن ارادته ولا يخاف عليه ، ونؤكد لك أننا لن نقصر فى ذلك أو نتوانى فيه .



يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ

---

٦٢ - ولما هموا بالرحيل ، قال لأتباعه : ضعوا ما قدموه من ثمن بضاعتهم فى أمتعتهم ، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم ، فيكون ذلك أرجى لعودتهم مؤملين فى أعطائهم الطعام ، واثقين بالوفاء بالعهد ، وآمنين على أخيهم وليبعثوا الطمأنينة فى نفس أبيهم .

٦٣ - فلما عادوا إلى أبيهم قصوا عليه قصتهم مع عزيز مصر ، وتلطفه بهم ، وأنه أنذرهم بمنع الكيل لهم فى المستقبل ان لم يكن معهم بنيامين ، وواعدهم بوفاء الكيل لهم ، واكرام منزلتهم ، ان عادوا إليه بأخيهم ، وقالوا له : ابعث معنا أخانا فإنك ان بعثته اكتلنا ما نحتاج إليه من الطعام وافيا ، ونعدك وعدا مؤكدا أننا سنبذل الجهد فى المحافظة عليه .

٦٤ - وثارت فى نفس يعقوب ذكريات الماضى ، فربطها بالحاضر ، وقال لبنيه : ان أمرى إذا استجبت لكم لعجيب فلن تكون حالى حين آمنكم على أخيكم الا مثل حالى حين ائتمنتكم على يوسف فأخذتموه ، ثم عدتم تقولون : أكله الذئب ، فالله حسبى فى حماية ابنى ، ولا أعتمد الا عليه ، فهو أقوى حافظ ، ورحمته أوسع من أن يفجعنى بعد يوسف فى أخيه .

٦٥ - وكان اخوة يوسف يجهلون أن يوسف وضع أموالهم فى حقائبهم ، فلما فتحوها ووجدوا الأموال عرفوا جميل ما صنع بهم يوسف ، وتذرعوا بذلك إلى بث الطمأنينة فى قلب يعقوب ، واقناعه بالاستجابة إلى ما طلب العزيز وبالغوا فى استمالته ، فذكروه بما بينه وبينهم من رباط الأبوة ، فقالوا : يا أبانا أى شىء تريده أجمل مما جرى وننتظر أن تجرى به الأحداث ؟ هذه أموالنا أعيدت إلينا دون أن يحتجز منها شىء فنسافر مع أخينا ونجلب الميرة لأهلنا ، ونرعى أخانا ، ويزيد ميرتنا حمل بعير لحق أخينا ، فقد رسم العزيز أن يعطى الرجل حمل بعير .

٦٦ - ونجحت محاولة أبناء يعقوب فى اقناعه ، وأثر مقالهم فيه ، فنزل عن التشدد فى احتجاز ابنه وحبسه عن الذهاب مع اخوته إلى مصر ، ولكن قلبه لا يزال فى حاجة إلى ما يزيد اطمئنانه ولذلك قال لهم : لن أبعثه معكم إلا بعد أن تعطونى ضمانا قويا ، فتعاهدوا الله عهدا موثقا أن تعيدوه إلى ، وألا يمنعكم عن رده الا أن تهلكوا أو يحيط بكم عدو يغلبكم عليه فاستجابوا له ، وقدموا ما طلب من المواثيق ، وعندئذ أشهد الله على عهودهم وايمانهم بقوله : الله على ما دار بيننا مطلع رقيب .

مُتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن

---

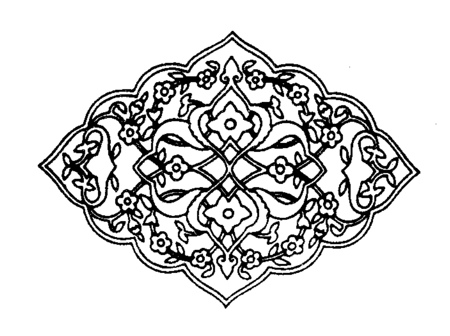
٦٧ ـ اطمأن يعقوب إلى عهد أبنائه ، ثم دفعته الشفقة عليهم إلى أن يوصيهم عند دخولهم مصر بأن يدخلوا من أبواب متفرقة ، لكيلا يلفتوا الأنظار عند دخولهم ، ولا تترقبهم الأعين ، وقد يكون ما يسيئهم ، وليس فى قدرتى أن أدفع عنكم أذى ، فالدافع للأذى هو الله وله وحده الحكم ، وقد توكلت عليه وفوضت إليه أمرى وأمركم ، وعليه وحده يتوكل الذين يفوضون أمورهم إليه مؤمنين به .

٦٨ ـ لقد استجابوا لوصية أبيهم ، فدخلوا من أبواب متفرقة ، وما كان ذلك ليدفع عنهم أذى كتبه الله لهم ، وان يعقوب ليعلم ذلك ، فإنه ذو علم علمناه اياه ، ولكن وصيته كانت لحاجة فى نفسه ، وهى شفقة الأب على أبنائه أعلنها فى هذه الوصية ، وان أكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب ، فيفوضون لله ويحترسون .

٦٩ ـ ولما دخلوا على يوسف أنزلهم منزلا كريما ، واختص أخاه شقيقه بأن آواه إليه ، وأسر إليه قائلا : انى أخوك يوسف ، فلا تحزن بما كانوا يصنعون معك وما صنعوه معى .

٧٠ ـ فبعد أن أكرم وفادتهم ، وكالهم الطعام ، وزادهم حملا لأخيه ، أعد رحالهم للسفر ، ثم أمر أعوانه أن يدسوا اناء شرب الماء فى حمل بنيامين ، ثم نادى أحد أعوان يوسف : أيها الركب القافلون بأحمالكم ، قفوا انكم لسارقون .

٧١ ـ فارتاع اخوة يوسف للنداء ، واتجهوا إلى المنادين يسألونهم ، ما الذى ضاع منكم وعم تبحثون ؟ .



جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ

---

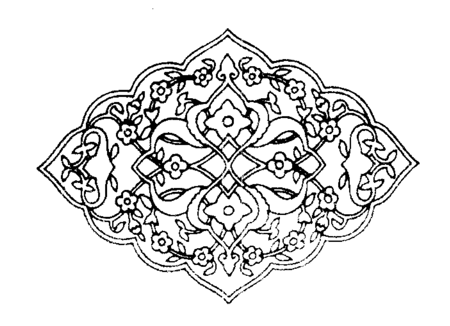
٧٢ ـ فأجابهم الأعوان : نبحث عن الصواع ، وهو اناء الملك الذى يشرب به ، ومكافأة من يأتى به حمل جمل من الطعام ، وأكد رئيسهم ذلك فقال : وأنا بهذا الوعد ضامن وكفيل .

٧٣ ـ قال اخوة يوسف : ان اتهامكم ايانا بالسرقة لعجيب ، ونؤكد بالقسم ان فيما ظهر لكم من أخلاقنا وتمسكنا بديننا فى مرتى مجيئنا ما يؤكد علمكم أننا لم نأت بغية الإفساد فى بلادكم ، وما كان من أخلاقنا أن نكون من السارقين .

٧٤ ـ وكان يوسف قد أوحى إلى أتباعه أن يكلوا إلى اخوته تقدير الجزاء الذى يستحقه من وجد الصواع عنده ، تمهيدا لأخذ أخيه منهم بحكمهم ، وليكون قضاؤهم مبرما لا وجه للشفاعة فيه ، فقالوا لهم : فماذا يكون جزاء السارقين عندكم ان ظهر أنه منكم ؟

٧٥ ـ ولوثوق أبناء يعقوب بأنهم لم يسرقوا الصواع ، قالوا غير متلجلجين : جزاء من أخذ الصواع أن يؤخذ رقيقا ، فبمثل هذا الجزاء نجازى الظالمين الذين يأخذون أموال الناس .

٧٦ ـ وانتهى الأمر إلى تفتيش الرحال ، وكان لابد من الاحكام حتى لا يظهر فى تنفيذ الخطة افتعال ، وتولى يوسف التفتيش بنفسه ، بعد أن مهد الأمر ، فبدأ بتفتيش أوعية العشرة الأشقاء ، ثم انتهى إلى تفتيش وعاء أخيه ، فأخرج السقاية منه ، وبذلك نجحت حيلته ، وحق له بقضاء اخوته أن يحتجز بنيامين وهكذا دبر الله الأمر ليوسف فما كان فى استطاعته أخذ أخيه بمقتضى شريعة ملك مصر الا بإرادة الله وقد أرادها فدبرنا الأمر ليوسف ووفقناه إلى ترتيب الأسباب واحكام التدبير والتلطف فى الاحتيال ، وهذا من فضل الله الذى يعلى فى العلم منازل من أراد وفوق كل صاحب علم من هو أعظم ، فهناك من يفوقه فى علمه .



أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا

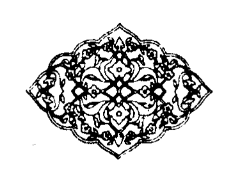
---

٧٧ - وكان اخراج الصواع من حقيبة أخيه مفاجأة أخجلت اخوته ، فتنصلوا باعتذار يبرىء جماعتهم دونه ، ويطعنه هو ويوسف ، ويوحى بأن السرقة طبع ورثاه من قبل الأم ، وقالوا : ليس بعجيب أن تقع منه سرقة إذ سبقه إلى ذلك أخوه الشقيق ! وفطن يوسف إلى طعنهم الخفى ، فساءه ، ولكنه كتم ذلك ، وأضمر فى نفسه جوابا لو صارحهم به لكان هذا الجواب : أنتم أسوأ منزلة وأحط قدرا ، والله أعلم وأصدق علما بكلامكم الذى تصفون به أخاه بوصمة السرقة .

٧٨ - ولم يكن بد من محاولة لتخليص أخيهم أو افتدائه ، رجاء أن تصدق مواثيقهم ليعقوب ، فاتجهوا إلى ترقيق قلب يوسف بحديث الأبوة فى شيخوختها وقالوا له : يأيها العزيز ، ان لأخينا أبا طاعنا فى السن ، فإن رحمته قبلت واحدا منا ليلقى الجزاء بدل ابنه هذا الذى تعلق به قلبه ، وأملنا أن تقبل الرجاء ، فقد جربنا عادتك الكريمة ، وتأكد لنا انطباعك عن حب الإحسان وعمل المعروف .

٧٩ - وما كان ليوسف أن ينقض تدبيرا وفقه الله إليه ، ويفلت من يده أخاه ، ولذلك لم يلنه استعطافهم ، وردهم ردا حاسما ، وقال لهم : انى ألجأ إلى الله منزها نفسى عن الظلم فاحتجز غير من عثرنا على مالنا معه ، إذ لو أخذنا سواه بعقوبته لكنا من المعتدين الذين يأخذون البرىء بذنب المسىء !

٨٠ - فلما انقطع منهم الأمل ، ويئسوا من قبول الرجاء ، اختلوا بأنفسهم يتشاورون فى موقفهم من أبيهم ، فلما انتهى الرأى إلى كبيرهم المدبر لشئونهم قال لهم : ما كان ينبغى أن تنسوا عهدكم الموثق بيمين الله لأبيكم أن تحافظوا على أخيكم حتى تردوه إليه ، ولا أنكم عاقدتموه من قبل على صيانة يوسف ثم ضيعتموه ! ولذلك سأبق بمصر لا أفارقها ، الا إذا فهم أبى الوضع على حقيقته ، وسمح لى بالرجوع إليه ، أو قضى الله لى بالرجوع الكريم ، ويسره لى بسبب من الأسباب ، وهو أعدل الحاكمين .



عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

٨١ ـ عودوا أنتم إلى أبيكم وقصوا له القصة وقولوا له ان يد ابنك امتدت إلى صواع الملك فسرقها وقد ضبطت فى حقيبته وعوقب على ذلك باسترقاقه وما أخبرناك الا بما عايناه ، وما كنا مطلعين على المستور من قضاء الله حين طلبناه منك وأعطيناك على حفظه ورده إليك العهود والمواثيق وهو أعدل الحاكمين.

٨٢ ـ وان كنت فى شك مما بلغناك ، فأرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر واستشهد أنت بنفسك رفاقنا الذين عدنا معهم فى القافلة ، لتظهر لك براءتنا ، ونؤكد لك أننا صادقون فيما نقول.

٨٣ ـ فرجع بقية الأبناء إلى يعقوب ، وخبروه كما وصاهم أخوهم الكبير فهيج الخبر أحزانه ، وضاعف منها فقد ابنه الثانى ، ولم تطب نفسه ببراءتهم من التسبب فى ضياعه وهو المفجوع بما صنعوا من قبل فى يوسف ، وصرح باتهامهم قائلا لهم : ما سلمت نيتكم فى المحافظة على ابنى ، ولكن زينت لكم نفوسكم أن تتخلصوا منه مثلما تخلصتم من أخيه ، فلولا فتواكم وحكمكم أن يؤخذ السارق رقيقا عقوبة له على السرقة ، ما أخذ العزيز ابنى ولا تخلف أخوكم الكبير بمصر ، ولا حيلة لى الا أن أتجمل فى مصيبتى بالعزاء الحميد ، راجيا أن يرد الله على جميع أبنائى ، فهو صاحب العلم المحيط بحالى وحالهم ، وله الحكمة البالغة ، فيما يصنع لى ويدبر.

٨٤ ـ وضاق بما قالوا فأعرض عنهم خاليا بنفسه ، مشغولا بأساه وأسفه على فقد يوسف ، فذهب سواد عينيه من شدة الحزن ، وقد كظم غيظه وألمه أشد الكظم[١].

٨٥ ـ وتوالت الأيام ويعقوب مسترسل فى لوعته ، وخشى أبناؤه سوء العاقبة ، فاتجهوا إلى مراجعته وحمله على التخفيف من شدة حزنه ، وقالوا له ، وهم بين الاشفاق عليه والغيظ من دوام ذكره ليوسف : لئن لم تخفف عن نفسك لتزيدن ذكرى يوسف آلامك وأوجاعك ، إلى أن يذيبك الغم فتشرف على الموت ، أو تصبح فى عداد الميتين !

---

(١) ينشأ عن الحزن العميق حال نفسية يزداد بسببها الضغط على العينين فتصاب العين ببعض الأمراض وضعف البصر شيئا فشيئا قد يزول نهائيا وتبدو العين بيضاء.

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن

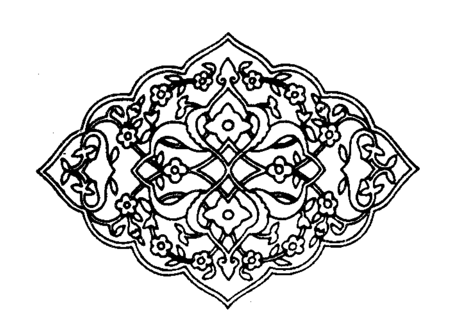
---

٨٦ - ولم يؤثر قولهم فيه ، فردهم قائلا : ما شكوت لكم ، ولا طلبت منكم تخفيف لوعتى ! وليس لى الا الله أضرع إليه وأشكو له همومى صعبها وسهلها وما أستطيع كتمانه منها وما لا أستطيع ، لأنى أدرك من حسن صنعه وسعة رحمته ما لا تدركون !

٨٧ - والثقة فى الله تحيى الأمل ، ولذلك لم يذهب الغم برجاء يعقوب فى عودة ولديه إليه ، وألقى فى روعه أنهما من الأحياء ، وأن موعد التقائه بهما قد حان ، فأمر بنيه أن ينقبوا عنهما ، قائلا لهم : يا بنى ارجعوا إلى مصر فانضموا إلى أخيكم الكبير ، وابحثوا عن يوسف وأخيه وتطلبوا أخبارهما فى رفق لا يشعر به الناس ، ولا تقنطوا من أن يرحمنا الله بردهما ، لأنه لا يقنط من رحمة الله غير الجاحدين .

٨٨ - واستجاب اخوة يوسف لطلب أبيهم ، فذهبوا إلى مصر ، وتحايلوا لمقابلة حاكمها الذى ظهر لهم من بعد أنه يوسف ! فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا نحن وعشيرتنا الجوع وما يتبعه من ضر الأجسام والنفوس ، وجئنا إليك بأموال قليلة هى بضاعتنا وهى ترد لقلتها ورداءتها ، وليست كفاء ما نرجوه منك ، لأننا نرجو منك وفاء الكيل فأوفه لنا ، وأجعل الزائد عن حقنا صدقة علينا ، ان الله تعالى يثيب المتصدقين بأحسن الثواب .

٨٩ - أخذت يوسف الشفقة الأخوية الرحيمة التى تعفو عن الإساءة ، وابتدأ يكشف أمره لهم قائلا فى عتب ، هل أدركتم قبح ما فعلتموه بيوسف من إلقائه فى الجب ، وبأخيه من أذى . مندفعين فى ذلك بجهل انساكم الرحمة والأخوة ؟ !



يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ

---

٩٠ ـ نبهتهم تلك المفاجأة السارة إلى ادراك أن هذا يوسف ، فتفحصوه ، ثم قالوا مؤكدين : انك لأنت يوسف حقا وصدقا ! فقال يوسف الكريم مصدقا لهم : أنا يوسف ، وهذا أخى ، قد من الله علينا بالسلامة من المهالك ، وبالكرامة والسلطان ! وكان ذلك جزاء من الله لإخلاصى واحسانى ، وان الله لا يضيع أجر من يحسن ويستمر على الإحسان .

٩١ ـ فقالوا : صدقت فيما قلت ، ونؤكد لك بالقسم أن الله فضلك بالتقوى والصبر وحسن السيرة واثابك بالملك وعلو المكانة ، وانما كنا آثمين فيما فعلنا بك وبأخيك ، فأذلنا الله لك ، وجزانا جزاء الآثمين .

٩٢ ـ فرد عليهم النبى الكريم قائلا : لا لوم عليكم اليوم ، ولا تأنيب ، ولكم عندى الصفح الجميل لحرمة النسب وحق الأخوة ، وأدعو الله لكم بالعفو والغفران ، وهو صاحب الرحمة العظمى .

٩٣ ـ ثم سألهم يوسف عن أبيه ، فلما أخبروه عن سوء حاله وسوء بصره من كثرة غمه وبكائه : أعطاهم قيصه ، وقال لهم : عودوا به إلى أبى فاطرحوه على وجهه ، فسيؤكد له ذلك سلامتى ، وتملأ قلبه الفرحة ، ويجعله الله سببا لعودة بصره ، وحينئذ تعالوا إلى به ، وبأهلكم أجمعين .

٩٤ ـ وارتحلوا بالقميص ، وكان قلب يعقوب مستغرقا فى ترقب ما تأتى به رحلة بنيه ، وكان الله معه فى هذا الترقب فوصل روحه بأرواحهم ، فحين تجاوزت قافلتهم أرض مصر فى طريقها إليه ، شرح الله صدره بالأمل ، وأحاطه بجو من الطمأنينة إلى اقتراب البشرى بسلامة يوسف ، وأخبر أهله بذلك اذ يقول : انى أشعر برائحة يوسف المحبوبة تغمرنى ، ولولا خشية أن تتهمونى فى قولى لأنبأتكم عن يوسف بأكثر من الشعور والوجدان !

٩٥ ـ فرد عليه أهله ردا خشنا ، حالفين بالله إنه لا يزال ذاهبا عن صوابه ، هائما فى خياله ، فتهيأ له ما تهيأ من فرط محبته ليوسف ، ولهجه بذكراه ، ورجائه للقياه .

فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

---

٩٦ ـ واستمر على أمله منتظرا رحمة الله ، واستمر أهله على سوء الظن به ، إلى أن أتاه من يحمل القميص ويبشره بسلامة يوسف ، فحين طرح القميص على وجه يعقوب نفحته رائحة يوسف وغمرت قلبه الفرحة ، فعاد إليه بصره ، ولما حدثه الرسول بحال يوسف ، وأنه يطلب رحلته إليه بأهله اتجه إلى من حوله يذكرهم بنبوته ، ويعاتبهم على تكذيبه ، ويوجه أذهانهم إلى ذكر ما أكده لهم آنفا من أنه يدرك من رحمة الله وفضله ما لا يدركون .

٩٧ ـ فأقبلوا عليه معتذرين عما كان منهم ، راجين أن يصفح عنهم ، وأن يطلب من الله التجاوز عن آثامهم ، لانهم كما أكدوا فى اعتذارهم كانوا آثمين .

٩٨ ـ فقال يعقوب : سأداوم طلب العفو من الله عن سيئاتكم ، وأنه وحده صاحب المغفرة الثابتة والرحمة الدائمة .

٩٩ ـ رحل يعقوب إلى مصر ، وسار بأهله حتى بلغها ، فحين دخلوا على يوسف ، وكان استقبلهم فى مدخل مصر ، عجل به الحنان والشوق إلى أبيه وأمه ! فقربهما إليه ، وطلب منهما ومن أهله أن يقيموا فى مصر آمنين سالمين بإذن الله .

١٠٠ ـ وسار الركب داخل مصر حتى بلغ دار يوسف ، فدخلوها ، وصدر يوسف أبويه ، فأجلسهما على سرير ، وغمر يعقوب وأهله شعور بجليل ما هيأ الله لهم على يدى يوسف ، اذ جمع به شمل الأسرة بعد الشتات ونقلها إلى مكان عظيم من العزة والتكريم ، فحيوه تحية مألوفة تعارف الناس عليها فى القديم للرؤساء والحاكمين ، وأظهروا الخضوع لحكمه ، فأثار ذلك فى نفس يوسف ذكرى حلمه وهو صغير ، فقال لأبيه : هذا تفسير ما قصصت عليك من قبل من رؤيا ، حين رأيت فى المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لى ، قد حققه ربى ، وقد أكرمنى وأحسن الى ، فأظهر براءتى ، وخلصنى من السجن ، وأتى بكم من البادية لنلتقى ، من بعد أن أفسد الشيطان بينى وبين أخوتى ، وأغراهم بى ، وما كان لهذا كله أن يتم بغير صنع الله ، فهو رفيق التدبير والتسخير لتنفيذ ما يريد ، وهو المحيط علما بكل شىء ، البالغ حكمه فى كل تصرف وقضاء .

* رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

١٠١ - واتجه يوسف إلى الله ، يشكره بإحصاء نعمه عليه ، ويرجوه المزيد من فضله ، قائلا : يارب ما أكثر نعمك على ! وما أعظمها ! لقد منحتنى من الملك ما أحمدك عليه ، ووهبتنى من العلم بتعبير الأحلام ما وهبت ! يا خالق السموات والأرض وبارئهما ، أنت مالك أمرى ومتولى نعمتى فى محياى وبعد مماتى ، اقبضنى اليك على ما ارتضيت لأنبيائك من دين الإسلام ، وأدخلنى فى زمرة من هديتهم إلى الصلاح من آبائى وعبادك الصالحين المخلصين .

١٠٢ - ذلك الذى قصصنا عليك أيها النبى من أخبار الماضى السحيق ، لم يأتك الا بإيحاء منا ، وما كنت حاضرا أخوة يوسف وهم يدبرون له من المكائد وما علمت بكيدهم الا عن طريقنا !

١٠٣ - وفى أغلب الطباع مرض يجعلها غير قابلة لتصديق ما أوحى اليك مهما تعلق قلبك بأن يؤمنوا أو أجهدت نفسك أن يكونوا من المهتدين .

١٠٤ - وما نقصد بما تحدثهم به من أحاديث الهدى نيل جزاء أو منفعة ، فإن لم يهتدوا فلا تحزن عليهم ، وسيهدى الله قوما غيرهم ، فما أنزلناه اليهم خاصة ، وما هو الا موعظة وعبرة لكل من خلق الله فى السموات والأرض .

١٠٥ - وما أكثر الدلائل على وجود الخالق ووحدانيته وكماله ، الثابتة فى السموات والأرض ، يشاهدها قومك ويتولون عنها مكابرين غير معتبرين !

١٠٦ - وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شىء ، ولكن ايمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التوحيد ! فلا يعترفون بوحدانية الله اعترافا خالصا ، ولكنه مقترن فى نفوسهم بشوائب تسلكهم فى مسلك المشركين .

١٠٧ - أتخذوا عند الله عهدا بعدم تعذيبهم ، فضمنوا الأمن والسلامة من أن يصيبهم الله بعذاب غامر ، ويغشاهم بنقمته ، كما فعل بأسلافهم من قبل ؟ أو أن تفاجئهم القيامة وتبغتهم وهم مقيمون على الشرك والكفر ثم يكون مصيرهم الى النار ؟ !

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

---

١٠٨ - نبههم يا محمد إلى سمو غايتك، وبصرهم بنبل مهمتك، فقل لهم. هذه سنتى وطريقى، أدعو الناس إلى طريق الله وأنا متثبت من أمرى، وكذلك يدعو اليها كل من تبعنى وآمن بشريعتى، وأنزه الله عما لا يليق به، ولست مشركا به أحدا سواه.

١٠٩ - وما تحولنا عن سنتنا فى اختيار الرسل حين اخترناك أيها النبى ولا خرجت حال قومك عن أحوال الأمم السابقة. فما بعثنا من قبلك ملائكة، وإنما اخترنا رجالا من أهل الأمصار نَنزل عليهم الوحى، ونرسلهم مبشرين ومنذرين، فيستجيب لهم المهتدون، ويعاندهم الضالون! فهل غفل قومك عن هذه الحقيقة، وهل قعد بهم العجز عن السعى فأهلكناهم فى الدنيا ومصيرهم إلى النار، وآمن من آمن فنجيناهم ونصرناهم فى الدنيا، ولثواب الآخرة أفضل لمن خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه، أسلبت عقولكم أيها المعاندون فلا تفكروا ولا تتدبروا؟!

١١٠ - ولا تستبطىء يا محمد نصرى، فإن نصرى قريب أكيد، وقد أرسلنا من قبلك رسلا فاقتضت حكمتنا أن يتراخى عنهم نصرنا، ويتطاول عليهم التكذيب من قومهم، حتى إذا زلزلت نفوس واستشعرت القنوط وأدركهم نصرنا، فأنعمنا بالنجاة والسلامة على الذين يستأهلون منا إرادة النجاة وهم المؤمنون، وأدرنا دائرة السوء على الذين أجرموا بالعناد وأصروا على الشرك، ولا يدفع عذابنا وبطشنا دافع عن القوم المجرمين.

١١١ - وقد أوحينا اليك ما أوحينا من قصص الأنبياء، تثبيتا لفؤادك، وهداية لقومك، وأودعناه من العبر والعظات ما يستنير به أصحاب العقول والفطن ويدركون أن القرآن حق وصدق، فما كان حديثا مختلقا ولا أساطير مفتراة، وإنما هو حق ووحى، ويؤكد صدق ما سبق من كتب السماء ومن جاء بها من الرسل! ويبين كل ما يحتاج إلى تفصيله من أمور الدين، ويهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ويفتح أبواب رحمة الله لمن اهتدى بهديه وكان من المؤمنين الصادقين.



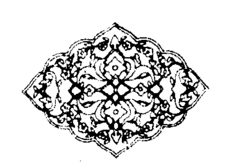
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾

(سورة الرعد) سورة مدنية وسميت (الرعد) لما اشتملت عليه من تقديس الرعد لله تعالى . وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية ، وقد ابتدأت ببيان منزلة القرآن الكريم ، وأنه يوحى من الله ، ثم بينت سلطان الله تعالى فى الكون ونبهت إلى ما فيه من ابداع ومنافع ، ثم انتقلت من بيان قدرة الله تعالى فى الإنشاء الى قدرته على الإعادة والبعث ، وعلم الله تعالى بكل شىء ، وإلى بيان قدرته على العقاب فى الدنيا ، وعليه يقاس العقاب فى الآخرة . ثم وجهت الانظار إلى ما فى الكون من عجائب تبهر ، وبعد ذلك بين الله تعالى أحوال الناس فى تلقيهم للهدى القرآنى ، ثم ذكر أوصاف المؤمنين فى علاقتهم بالإنسانية ، وأخلاق الكافرين وتعنتهم فى طلب معجزات غير القرآن مع عظم منزلته ، وعظم استهزائهم برسولهم ، وبين للرسول انه قد استهزئ برسل من قبله ! وأن الله تعالى قائم على الأشياء والنفوس ، وأنه مجاز كلا بما يستحق ، وأن القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية إلى يوم القيامة ، وأن الله تعالى هو الذى يؤيد رسله بما يراه من معجزات ، وإذا كان المشركون ينكرون رسالة النبى فالله يشهد بصدقها وحسبه ذلك وكفى .

١ ـ (المر) هذه حروف صوتية تبدأ بها بعض سور القرآن ، وهى تشير إلى أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التى تتكون منها كلمات العرب ! وهذه الحروف الصوتية كانت تجذب العرب لسماع القرآن ! ذلك أن المشركين تواصوا فيما بينهم ألا يسمعوا هذا القرآن ، فكان المؤمنون إذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون .

ان تلك الآيات العظيمة هى هذا القرآن ، الكتاب العظيم الشأن الذى نزل عليك أيها النبى بالحق والصدق من الله الذى خلقك واصطفاك ، ولكن أكثر المشركين الذين كفروا بما جاء به من الحق ليس من شأنهم أن يذعنوا للحق ، بل هم يعاندون فيه .



ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ

٢ - ان الذى أنزل هذا الكتاب هو الله الذى رفع ما ترون من سموات تجرى فيها النجوم بغير أعمدة ترى ولا يعلمها الا الله، وان كان قد ربط بينها وبين الأرض بروابط لا تنقطع الا أن يشاء الله، وذلل الشمس والقمر بسلطانه ولمنفعتكم، وهما يدوران بانتظام لزمن قدره الله سبحانه وتعالى، وهو سبحانه يدبر كل شىء فى السموات والأرض، ويبين لكم آياته الكونية رجاء أن توقنوا بالوحدانية.

٣ - وهو سبحانه الذى بسط لكم الأرض، وجعلها ذلولا تسيرون فيها شرقا وغربا، وجعل فى هذه الأرض جبالا ثابتة وأنهارا تجرى فيها المياه العذبة، وجعل من هذه المياه الثمرات المختلفة التى تتوالد، وجعل منها الأنواع المتقابلة أصنافا، منها الحلو والحامض، ومنها الأبيض والأسود، وأنه سبحانه يستر النهار بالليل، وأن فى هذا الكون وعجائبه لعلامات بينة تثبت قدرة الله ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر[1].

٤ - وان الأرض ذاتها فيها عجائب، فيها قطع من الأرض يجاور بعضها بعضا، وهى مختلفة التربة مع ذلك، بعضها قاحل، وبعضها خصب، وان اتحدت التربة، ففيها حدائق مملوءة بكروم العنب، وفيها زرع يحصد، ونخيل مثمر، وهى مجتمعة ومتفرقة، ومع أنها تسقى بماء واحد يختلف طعمها، وأن فى هذه العجائب لدلائل واضحة على قدرة الله لمن له عقل يفكر به[2].

---

(١) النباتات الزهرية المثمرة جميعها ينتج من تزاوج عناصر الذكورة والأنوثة سواء أكانت تلك العناصر فى زهرة واحدة أو فى زهرتين مختلفتين.

(٢) تشير الآية الكريمة إلى علوم الأراضى والبيئة وأثرها على صفات النبات فن المعروف علميا أن التربة الزراعية تتكون من حبيبات معدنية مختلفة المصدر والحجم والترتيب ومن الماء ومصدره المطر ومن الهواء ومن المادة العضوية التى يرجع وجودها إلى بقايا النبات والأحياء الأخرى التى توجد على سطح التربة أو فى داخلها وفضلا عن ذلك فتوجد ملايين الكائنات الحية الدقيقة لا ترى بالعين المجردة لصغر حجمها وتختلف أعدادها من عشرات الملايين إلى مئاتها فى كل جرام من التربة السطحية الزراعية.

إن النظرة الشاملة لصفات التربة الطبيعية والكيميائية والحيوية إن دلت على شىء فإنما تدل على قدرة الخالق وروعة الخلق فالأرض كما يقول الزراعيون بحق تختلف من شبر إلى شبر.

ومعروف للعلماء أن أى نقص فى أحد المواد الأساسية للتغذية يتبعه تغيير مميز تظهر أعراضه على النبات ولذلك يعمد الزراعيون إلى تعويض النقص بالتسميد الملائم وعوامل البيئة أكثر من أن تحصى ولها أثر ملحوظ على الثمر والاثمار سواء أكان النبات متحد الأصل أو مختلفه فسبحان من بيده ملكوت كل شىء وهو على كل شىء قدير.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن

---

٥ - وان أمر المشركين مع هذه الدلائل لعجب ، فإن كنت يا محمد تعجب ، فالعجب هو قولهم : أبعد الموت وبعد أن نصير ترابا نكون أحياء من جديد ؟ وهذا شأن الذين يكفرون بخالقهم ، عقولهم قيدت بالضلال ، ومآلهم النار التي يخلدون فيها ، فهم جاحدون ، مع أن من يقدر على الإنشاء يقدر على الإعادة .

٦ - ويذهب بهم فرط ضلالهم أن يطلبوا انزال العذاب عاجلا بدل أن يطلبوا الهداية التي تنقذهم ويتوهمون أن الله لا ينزل بهم العقوبة في الدنيا ان أراد ، وقد مضت عقوبات أمثالهم على ذلك ، فيمن أهلكهم الله قبلهم ، وشأن الله أن يغفر الظلم لمن يتوب ويعود إلى الحق وينزل العقاب الشديد بمن يستمر على ضلاله .

٧ - ويقول هؤلاء الجاحدون غير معتدين بالمعجزة الكبرى ، وهى القرآن : هلا أنزل عليه ربه علامة على نبوته من الحس كتحريك الجبال ، فيبين الله لنبيه الحق في القضية ؟ ويقول له سبحانه : انما أنت أيها النبي منذر لهم بسوء العاقبة ، ان استمروا على ضلالهم ، ولكل قوم رسول يهديهم إلى الحق ، ومعجزة تبين رسالته ، وليس لهم أن يختاروا ، انما عليهم أن يجيبوا التحدى وأن يأتوا بمثله ! . .

٨ - الذى أعطى الرسول تلك المعجزة الكبرى هو الذى يعلم كل شيء ، ويعلم النفوس الإنسانية من وجودها نطفة في الرحم إلى موتها ، فيعلم ما تحمل كل أنثى من أجنة وحالها من ذكورة أو من أنوثة ، وما تنقصه الأرحام وما تزداد به وقتا بعد آخر ، حتى تنتهى مدة الحمل ويتكامل نمو الجنين ، ويظهر في الوجود . كل شيء عنده سبحانه بقدر معلوم ، وله زمان معلوم [1].

٩ - هو الذى يعلم ما يغيب عن حسِّنا ، ويعلم ما نشاهده علما أعظم مما نشاهد ونرى ، وهو سبحانه العظيم الشأن الذى يعلو كل ما في الوجود .

---

(١) الله يعلم ما تحمل كل أنثى فى رحمها من أجنة ويعلم حالة الرحم وهو فى حالة صغره بينا تغيب فيه النطفة ويعلم حاله وهو يزداد يوما بعد يوم حتى يصبح جنينا كامل النمو صالحا للنزول وكل شيء عند الله بمقدار وحساب صغيرا أو كبيرا .

جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

---

١٠ - يعلم كل أحوالكم فى حياتكم ، وكل أقوالكم وأعمالكم ، فيعلم ما تسرون ، وما تعلنون من أفعال وأقوال ، ويعلم استخفاءكم بالليل وبروزكم بالنهار ، والكل فى علمه سواء .

١١ - وان الله سبحانه هو الذى يحفظكم ، فكل واحد من الناس له ملائكة تحفظه بأمر الله وتتناوب على حفظه من أمامه ومن خلفه ، وان الله سبحانه لا يغير حال قوم من شدة إلى رخاء ومن قوة إلى ضعف حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التى يصيرون إليها ، وإذا أراد الله أن ينزل بقوم ما يسوءهم فليس لهم ناصر يحميهم من أمره ، ولا من يتولى أمورهم فيدفع عنهم ما ينزل بهم .

١٢ - وأن قدرة الله تعالى فى الكون بارزة آثارها ظاهرة ، فهو الذى يريكم البرق فترهبون منظره أو تخافون أن ينزل عليكم المطر من غير حاجة إليه فيفسد الزرع ، أو تطمعون من وراء البرق فى مطر غزير تحتاجون إليه ليصلح الزرع . وهو الذى يكون السحب المملوءة بالأمطار .

١٣ - وأن الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعا مطلقا ، حتى ان صوته الذى تسمعون كأنه تسبيح له سبحانه بالحمد على تكوينه دلالة على خضوعه ، وكذلك الأرواح الطاهرة التى لا ترونها تسبح حامدة له ، وهو الذى ينزل الصواعق المحرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه ، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون فى شأن الله سبحانه ، وهو شديد القوة والتدبير فى رد كيد الأعداء .

١٤ - وان الذين يدعونهم فى خوفهم وأمنهم من الأصنام دون أن يدعوا الله وحده ، لا يجيبون لهم نداء ولا دعاء ، وحالهم معهم كحال من يبسط كفه ويضعها ليحمل بهذه اليد المبسوطة الماء ليبلغ فمه فيرتوى ، وليس من شأن الكف المبسوطة أن توصل الماء إلى الفم ، وإذا كانت تلك حالهم ، فما دعاؤهم الأصنام الا ضياع وخسارة .

وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم

---

١٥ - والله سبحانه يخضع لإرادته وعظمته كل من فى السموات والأرض من أكوان وأناس وجن وملائكة طائعين، أو كارهين لما ينزل بهم، حتى ظلالهم من طول وقصر حسب أوقات النهار فى الظهيرة وفى الأصيل خاضعة لأمر الله ونهيه.

١٦ - أمر الله نبيه أن يجادل المشركين هاديا مبينا، فقال له: قل لهم أيها النبى: من الذى خلق السموات والأرض، وهو الحافظ لها، والمسير لما فيها؟ ثم بين لهم الجواب الصحيح الذى لا يحارون فيه، فقل لهم: هو الله المعبود بحق دون سواه، فكان حقا عليكم أن تعبدوه وحده. ثم قل لهم: أفترون بعد وضوح البراهين المثبتة لوحدانية الله فى كل شيء، وتتخذون مع ذلك أوثانا تعتبرونها آلهة من غير أن تقروا بوحدانيته! وهذه الأوثان لا تملك لذاتها نفعا ولا ضرا! فكيف تسوونها بالخالق المدبر، انكم تسوون بين الخالق لكل شيء ومن لا يملك شيئا! فكنتم كمن يسوى بين المتضادين! فهل يستوى من يبصر ومن لا يبصر؟ وهل تستوى الظلمة المتكاثفة الحالكة والنور المبين؟ أيسوغون تلك التسوية؟ أم ذهب بهم فرط ضلالهم إلى زعم أن أوثانهم شركاء له فى الخلق والتدبير، فتشابه عليهم أمر الخلق، كما ضلوا العبادة؟ قل لهم أيها النبى، الله وحده هو الخالق لكل ما فى الوجود، وهو المنفرد بالخلق والعبادة، الغالب على كل شيء.

١٧ - وأن نعمه تعالى مرئية لكم، وأصنامكم لا تأثير لها فى هذه النعم، فهو الذى أنزل عليكم الأمطار من السحاب، فتسيل بها الأنهار والوديان كل بالمقدار الذى قدره الله تعالى لإنبات الزرع، وإثمار الشجر. والأنهار فى جريانها تحمل مالا نفع فيه ويعلو على سطحها، فيكون فيها ما فيه نفع فيبقى، ومالا نفع فيه يذهب. ومثل ذلك الحق والباطل، فالاول يبقى والثانى يذهب، ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس، ومنها مالا نفع فيه يعلو السطح. وأن مالا نفع فيه يرمى وينبذ، وما فيه النفع يبقى، كذلك الأمر فى العقائد: ما هو ضلال يذهب، وما هو صدق يبقى. وبمثل هذا يبين الله سبحانه الحقائق، ويمثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بينة [1].

---

(١) بين الله هنا شبيهين بالحق هما الماء الصافى والمعدن الصافى ينتفع بهما وبين شبيهين للباطل هما زبد الماء وزبد المعادن المذابة لا نفع منها فقال: أنزل من السحاب مطرا فسالت مياه أودية بمقدارها فى الصغر والكبر فحمل الماء السائل زبدا عاليا على وجه الماء يسمى غثاء ومن بعض المعادن التى يوقد الناس عليها فى النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالبين عمل حلية أو متاع ينتفع به كالأوانى وغيرها زبد مثل زبد الماء فى كونه عاليا فوق سوائل المعادن يسمى خبيثا كهذا المذكور من الماء وزبده والمعدن وزبده بين الله =

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

---

١٨ - وأن الناس فى تلقيهم للهدى قسمان : قسم أجاب دعوة الله الخالق المدبر ، فلهم العاقبة الحسنى فى الدنيا والآخرة ، وقسم لم يجب دعوة الذى أنشأه ، وهؤلاء لهم العاقبة السيئة فى الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما فى الأرض جميعا ومثله معه ، ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ! ولكن أنى يكون لهم ذلك الملك ؟ ولذلك كان لهم حساب يسوءهم وينتهون به إلى جهنم وبئس القرار والمستقر .

١٩ - ان المهتدين والضالين لا يستوون ، فهل يكون الذى يعلم أن ما أنزل عليك من الله الذى رباك وكونك واصطفاك لأداء رسالته ، هو الحق الذى لا شك فيه . . هل يكون كمن ضل عن الحق ، حتى صار كالأعمى الذى لا يبصر ؟ أنه لا يدرك الحق ويتذكر عظمة الله الا أصحاب العقول التى تفكر .

٢٠ - أولئك الذين يدركون الحق ، هم الذين يوفون بعهد الله تعالى عليهم بمقتضى الفطرة والتكوين وبمقتضى توثيق عقودهم وعهودهم ، ولا يقطعون المواثيق التى عقدوها باسم الله بينهم وبين العباد ، ولا بالميثاق الأكبر الذى عقده بالفطرة والتكوين ، وجعلهم يدركون الحق. ويؤمنون ، الا أن يضلوا فى يقينهم .

٢١ - وأولئك المؤمنون من دأبهم المحبة والطاعة ، انهم يعقدون المودة مع الناس ويخصون ذوى أرحامهم ، ويؤيدون ولاتهم فى الحق ، وهم يعرفون حق الله ، فيخشونه ، ويخافون الحساب الذى يسوءهم يوم القيامة فيتوقون الذنوب ما استطاعوا .

٢٢ - وهم يصبرون على الأذى يطلبون رضا الله بتجمله فى سبيل اعلاء الحق ، ويؤدون الصلاة على وجهها تطهيرا لأرواحهم وتذكرا لربهم ، وينفقون من المال الذى أعطاهم الله فى السر والعلن من غير رياء ، ويدفعون السيئات بالحسنات يقومون بها ، وهم بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة ، بالإقامة يوم القيامة بأحسن دار وهى الجنة .

= للناس الحق والباطل فالحق كالماء الصافى والمعدن الصافى والباطل كالزبد الصافى والذى لا ينتفع به . فأما الزبد الناشىء عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به وأما ما ينفع الناس من الماء والمعادن فيبق فى الأرض للنفع كهذين المثلين فى الجلاء والوضوح يبين الله الأمثال للناس دائما فيبصرهم بالخير والشر .

ولما بين الله سبحانه وتعالى شأن كل من الحق والباطل شرع يبين حال أهل كل منها فقال للذين أجابوا ربهم بالطاعة المثوبة فى الآخرة وفى الجنة ونعيمها والذين لم يجيبوا لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله ولكنه لا يقبل منهم إذا فرض وملك .

وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِى الْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

---

٢٣ - تلك العاقبة الطيبة اقامة مستمرة فى الجنات والنعيم ، يكونون فيها هم وآباؤهم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، ومعهم أزواجهم وذرياتهم والأرواح الطاهرة الطيبة تحييهم وتجيء إليهم من كل ناحية .

٢٤ - وتقول لهم تلك الأرواح : الأمن الدائم لكم بسبب صبركم على الأذى ، وصبركم فى مكافحة أهوائكم ، وما أحسن هذه العاقبة التى صرتم إليها ، وهى الإقامة فى دار النعيم .

٢٥ - وان أوصاف المؤمنين الطيبة تقابلها أوصاف المشركين النميمة . . فالمشركون ينقضون عهد الله الذى أخذه عليهم بمقتضى الفطرة ووثقه ، فيخالفون فطرتهم وعقولهم بعبادتهم حجارة لا تنفع ولا تضر وينكثون فى عهودهم مع العباد ثم يقطعون مودتهم مع الناس وصلتهم بالله فلا يطيعون أوامره ولا يفردونه بالعبادة ويفسدون فى الأرض ، بالاعتداء فيها ، وعدم اصلاحها والانتفاع بها ! والله سبحانه لا يحب العبث والإفساد .

٢٦ - وإذا كان أولئك المشركون يرون أنهم قد أوتوا مالا وفيرا ، والمؤمنون فقراء ضعفاء ، فليعلموا أن الله تعالى يعطى الرزق الوفير لمن يشاء إذا أخذ فى الأسباب ، ويضيقه على من يشاء ، فهو يعطيه للمؤمن وغير المؤمن فلا تظنوا أن كثرة المال فى أيديهم دليل على أنهم على الحق ، ولكنهم يفرحون بما أوتوا من مال ، مع أن الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، وما الحياة الدنيا الا متع ضئيلة فانية ! .

٢٧ - وان أولئك المشركين تذهب بهم اللجاجة فيقولون : هلا أنزل على النبى من الله معجزة أخرى ؟ فقل أيها النبى أن السبب فى عدم ايمانكم ليس نقص المعجزة ، انما هو الضلال والله سبحانه وتعالى يضل من يريد ضلاله مادام يسير فى طريق الضلال ويهدى إلى الحق من يرجع إلى الله دائما .

٢٨ - وان هؤلاء الذين يرجعون إلى الله ، ويقبلون على الحق ، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره ، وأن القلوب لا تسكن وتطمئن الا بتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ

---

٢٩ ـ وان الذين أذعنوا للحق، وقاموا بالأعمال الصالحة، لهم العاقبة الطيبة والمآل الحسن.

٣٠ ـ كما أرسلنا إلى الماضين من الأمم رسلا بينوا لهم الحق، فضل من ضل واهتدى من اهتدى، وآتيناهم معجزات تدل على رسالتهم، أرسلناك فى أمة العرب وغيرهم، وقد مضت من قبلهم أمم، وكانت معجزتك القرآن، لتقرأه عليهم قراءة توضح معانيه وجلاله، وهم جاحدون برحمة الله عليهم بإنزال القرآن، فقل لهم أيها النبى: الله هو الذى خلقنى ويحمينى ويرحمنى، لا اله يعبد بحق غيره، أعتمد عليه وحده، وإليه مرجعى ومرجعكم.

٣١ ـ انهم يطلبون معجزة غير القرآن مع عظم تأثيره لو طلبوا الحق وأذعنوا له، فلو ثبت أن كتابا يقرأ فتتحرك به الجبال من أماكنها، أو تتصدع به الأرض، أو تخاطب به الموتى، لكان ذلك هو القرآن، ولكنهم معاندون، ولله وحده الأمر كله فى المعجزات وجزاء الجاحدين، وله فى ذلك القدرة الكاملة، وإذا كانوا فى هذه الحال من العناد، أفلا ييأس الذين أذعنوا للحق من إيمان هؤلاء الجاحدين، وأن جحودهم بإرادة الله، ولو أراد أن يهتدى الناس جميعا لاهتدوا! وأن قدرة الله ظاهرة بين أيديهم، فلا يزالون تصيبهم بسبب أعمالهم القوارع الشديدة التى تهلكهم، أو تنزل قريبا منهم، حتى يكون الموعد الذى وعد الله به، والله تعالى لا يخلف موعده.

٣٢ ـ وإذا كان أولئك الجاحدون قد استهزأوا بما تدعو إليه وبالقرآن فقد سخر بالرسل الذين أرسلوا قبلك أيها النبى، فلا تحزن لأنى أمهل الذين جحدوا ثم آخذهم فيكون العقاب الشديد الذى لا يقدر وصفه ولا تعرف حاله.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا

---

٣٣ - ان المشركين سفهوا فى جحودهم ، فجعلوا لله شركاء فى العبادة ، فهل من هو حافظ مراقب لكل نفس ، محص عليها ما تكسب من خير أو شر ، تماثله هذه الأوثان ؟ قل لهم أيها النبى ! صفوهم بأوصافهم الحقيقية ! أهم أحياء أهم يدفعون الضر عن أنفسهم ؟ فإن كانت حجارة لا تنفع ولا تضر ، فهل تخدعون أنفسكم بأن يخبروا الله بما تتوهمون أنه لا يعلمه فى هذه الأرض ، أم تضعونهم فى موضع العبادة بألفاظ تتلوى بها ألسنتكم ، بل الحقيقة أنه زين لهم تدبيرهم وتمويههم الباطل ، وبسبب ذلك صرفوا عن طريق الحق وتاهوا ! ومن يكن ضلالهم مثلهم ، فلن يهديه أحد ، لأنه صرف نفسه عن سبيل الهداية .

٣٤ - لهم العذاب فى الدنيا بالهزيمة والأسر والقتل ، ان سار المؤمنون فى سبيل الحق ، ولعذاب الآخرة النازل بهم لا محالة أشد وأدوم ، ومالهم أحد يقيهم من عذاب الله القاهر فوق كل شىء .

٣٥ - وإذا كان لهؤلاء هذا العذاب ، فللمؤمنين الجنة ونعيمها ، وقد وعدوا بها . وحال هذه الجنة التى وعد بها أولئك الذين استقاموا على الحق ، وجعلوا بينهم وبين الباطل وقاية من الإيمان أنها تجرى من تحت أشجارها المياه العذبة ثمراتها دائمة لا تنقطع ، وظلها دائم . وهذه عاقبة الذين اتقوا الشر أما الجاحدون فعاقبتهم دخول النار .

٣٦ - والذين أعطوا علم الكتب المنزلة من شأنهم أن يفرحوا بالكتاب الذى أنزل عليك : لأنه امتداد للرسالة الإلهية ، ومن يتخذون التدين تحزبا : ينكرون بعض ما أنزل إليك عداوة وعصبية ، فقل أيها النبى : انى ما أمرت الا بأن أعبد الله لا أشرك فى عبادته شيئا وإلى عبادته وحده أدعو ، وإليه وحده مرجعى .

٣٧ - ومثل الإنزال للكتب السماوية ، أنزلنا إليك القرآن حاكما للناس فيما بينهم ، وحاكما على الكتب السابقة بالصدق . وقد أنزلناه بلغة عربية ، فهو عربى ، ولا تساير المشركين أو أهل الكتاب بعد الذى جاءك من الوحى والعلم ، ولئن سايرتهم فما لك ناصر ينصرك من الله ، أو يقيك منه . والخطاب للنبى ، وهو بالأولى للمؤمنين ، والتحذير لهم حقيق ، وللنبى لبيان أنه مع اصطفائه وعلو منزلته قابل للتحذير .

مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

٣٨ - وإذا كان المشركون يثيرون العجب من أن لك أزواجا وذرية ، ويطلبون معجزة غير القرآن ، فقد أرسلنا من قبلك رسلا لهم أزواج وأولاد ، فالرسول من البشر له أوصاف البشر ، ولكنه خير كله ، وليس لنبى أن يأتى بمعجزة كما يحب أو يحب قومه ! بل الذى يأتى بالمعجزة هو الله ، وهو الذى يأذن له بها . لكل جيل من الأجيال أمر كتبه الله لهم يصلح به أمرهم ، فلكل جيل معجزته التى تناسبه .

٣٩ - يمحو الله ما يشاء من شرائع ومعجزات ، ويحل ما يشاء ويثبته وعنده أصل الشرائع الثابت الذى لا يتغير ، وهو الوحدانية وأمهات الفضائل ، وغير ذلك .

٤٠ - ولئن أريناك بعض الذى نعدهم من ثواب أو عقاب ، أو توفيناك قبل ذلك ، لرأيت هول ما ينزل بالمشركين ! ولرأيت نعيم المؤمنين ! وليس عليك هذا ، انما عليك أن تبلغ الرسالة والحساب علينا وحدنا .

٤١ - وان أمارات العذاب والهزيمة قائمة ! ألم ينظروا إلى أنا نأتى الأرض التى قد استولوا عليها ، يأخذها منهم المؤمنون جزءا بعد جزء ؟ وبذلك ننقص عليهم الأرض من حولهم ، والله وحده هو الذى يحكم بالنصر أو الهزيمة ، والثواب أو العقاب ، ولاراد لحكمه ، وحسابه سريع فى وقته ، فلا يحتاج الفصل إلى وقت طويل ، لأن عنده علم كل شىء ، فالبينات قائمة [1] .

---

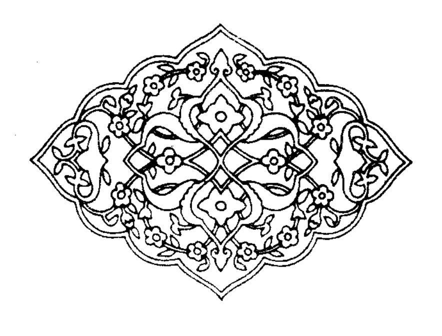
(١) تتضمن هذه الآية حقائق وصلت إليها البحوث العلمية الأخيرة إذ ثبت أن سرعة دوران الأرض حول محورها وقوة طردها المركزى يؤديان إلى تفلطح فى القطبين وهو نقص فى طرفى الأرض وكذلك عرف أن سرعة انطلاق جزئيات الغازات المغلفة للكرة الأرضية إذا ما جاوزت قوة جاذبية الأرض لها فإنها تنطلق إلى خارج الكرة الأرضية . وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الأرض فى نقص مستمر لأطرافها . لا أرض أعداء المؤمنين ، وهذا احتمال فى التفسير تقبله الآية الكريمة .

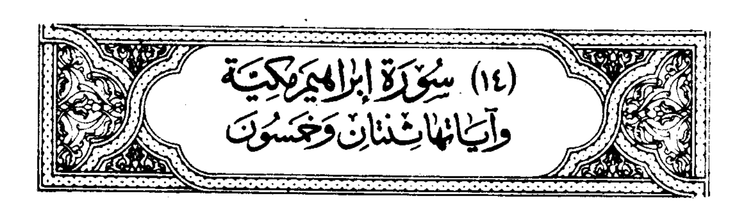
وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾

---

٤٢ ـ وقد دبر الذين من قبلهم التدبير السيىء لرسلهم ، ولله سبحانه تدبير الأمر كله فى حاضر الكافرين وقابلهم ، وسيكون الجزاء على ما يصنعون ، وهو يعلم ما تعلمه كل نفس . واذا كانوا يجهلون أن العاقبة الحسنة للمؤمنين ، فسيعلمون يوم القيامة بالرؤية لمن تكون العاقبة الحسنة بالإقامة فى دار النعيم .

٤٣ ـ والغاية من المراء الذى يقوم به الذين جحدوا ولم يذعنوا للحق أن يقولوا لك أيها النبى لست مرسلا من عند الله ! فقل لهم : حسبى أن الله هو الذى يحكم بينى وبينكم ، والذى يعلم حقيقة القرآن ، وما يدل عليه من اعجاز باهر تدركه العقول السليمة .





بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

---

١ - ألف . لام . راء : فى الابتداء بهذه الحروف تنبيه إلى اعجاز القرآن ، مع أنه مكون من حروف يتكلمون بها ، وتنبيه للاستماع . هذا المذكور فى السورة كتاب منزل اليك يا محمد من عندنا ، لتخرج الناس كافة من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الايمان والعلم بتيسير ربهم ، وذلك النور هو طريق الله الغالب بالانتقام المحمود على الانعام .

٢ - طريق الله الذى له كل ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا ، وإذا كان هذا هو حال الآله الحق ، فالهلاك بعذاب شديد للكافرين .

٣ - الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويمنعون الناس عن شريعة الله ويرغبون أن تصير الشريعة معوجة فى نظر الناس لينفروا منها . . أولئك الموصوفون بما ذكر قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق .

٤ - وما أرسلنا رسولا قبلك ، يأيها النبى ، الا متكلما بلغة قومه الذين بعثناه فيهم ليفهمهم ما أتى به ، فيفقهوه ويدركوه بسهولة ، وليس عليه هدايتهم ، فالله يضل من يشاء ، لعدم استعداده لطلب الحق ، ويهدى من يشاء لحسن استعداده ، وهو القوى الذى لا يغلب على مشيئته ، والذى يضع الأمور فى مواضعها ، فلا يهدى ولا يضل الا لحكمة .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ

---

٥ ـ ولقد أرسلنا موسى مؤيدا بمعجزاتنا ، وقلنا له : أخرج قومك بنى اسرائيل من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وذكرهم بالوقائع والنقم التى أوقعها الله بالأمم قبلهم . ان فى ذلك التذكير دلائل عظيمة على وحدانية الله ، تدعو إلى الإيمان كل من يتحقق به كمال الصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، وهذه صفة المؤمن .

٦ ـ واذكر أيها النبى لقومك ، لعلهم يعتبرون ، وقت قول موسى لقومه تنفيذا لأمر ربك : اذكروا نعمة الله عليكم ، حين أنجاكم من قوم فرعون وهم يذيقونكم العذاب السيىء ، بتكليفكم الأعمال الشاقة ، ويذبحون أبناءكم الذكور ، ويستبقون نساءكم بلا قتل ذليلات مستضعفات ، وفى كل ما ذكر من التعذيب والإنجاء اختبار من الله عظيم ، ليظهر مقدار الصبر والشكر .

٧ ـ واذكروا يا بنى اسرائيل حين أعلمكم ربكم وقال : والله ان شكرتم ما وهبتكم من نعمة الإنجاء وغيرها ، وبالثبات على الإيمان والطاعة لأزيدنكم من نعمى ، وان جحدتم نعمى بالكفر والمعصية ، لأعذبنكم عذابا مؤلما ، لأن عذابى شديد للجاحدين .

٨ ـ وقال موسى لقومه حينما عاندوا وجحدوا : ان تجحدوا نعم الله ولا تشكروها بالإيمان والطاعة ، أنتم وجميع من فى الأرض ، فإن ذلك لن يضر الله شيئا ، لأن الله غنى عن شكر الشاكرين ، مستوجب الحمد بذاته ، وان لم يحمده أحد .

أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

---

٩ - ألم يصل إليكم خبر الذين مضوا من قبلكم ، قوم نوح وعاد وثمود ، والأمم الذين جاءوا من بعدهم ، وهم لا يعلمهم الا الله لكثرتهم ، وقد جاءتهم رسلهم بالحجج الواضحة على صدقهم ، فوضعوا أيديهم على أفواههم استغرابا واستنكارا ، وقالوا للرسل : انا كفرنا بما جئتم به من المعجزات والأدلة ، وانا لفى شك مما تدعوننا إليه من الايمان والتوحيد ، لا نطمئن إلى شيء وفى حيرة منه !

١٠ - قالت الرسل لأقوامهم ! منكرين عليهم شكهم فى وجود الله ووحدانيته ، متعجبين من ذلك : أفى وجود الله وألوهيته وحده شك ، وهو خالق السموات والأرض على غير مثال يحتذيه ، وهو يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم التى وقعت منكم قبل الايمان ، ويؤخركم إلى انتهاء آجالكم ؟ ! قالت الأقوام لرسلهم تعنتا : ما أنتم إلا بشر مثلنا ، لا فضل لكم علينا يؤهلكم للرسالة . . تريدون أن تمنعونا بما تدعوننا إليه عما كان عليه آباؤنا من العبادة ! فأتونا بحجة واضحة مما نقترحه عليكم .

١١ - قالت لهم رسلهم : ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم ، ولكن الله يصطفى من يشاء من عباده فيخصهم بالنبوة والرسالة ، وما كان فى قدرتنا أن نأتيكم بحجة مما تقترحون إلا بتيسير منه ، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون ولنتوكل عليه بالصبر على معاندتكم .

١٢ - وأى عذر لنا فى ترك التوكل على الله ، وهو قد أرشد كلا منا إلى سبيله ومنهاجه الذى شرع له ، وأوجب عليه سلوكه فى الدين ؟ وانا لنؤكد توكلنا على الله ، ولنصبرن على أذاكم لنا بالعناد واقتراح المعجزات ، والله وحده هو الذى يتوكل عليه المتوكلون .

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ

---

١٣ ـ عمد أهل الحل والعقد من الكفار العاتين إلى القوة ، بعد أن عجزوا جميعا عن مقاومة الدليل ، وقالوا لرسلهم : ليكونن أحد أمرين : اما أن نخرجكم من أرضنا ، واما أن تدخلوا فى ديننا ، فأوحى الله إلى الرسل قائلا : لنهلكن الكافرين ، لظلمهم .

١٤ ـ ولنسكننكم أرضهم من بعد هلاكهم . وذلك الإسكان للمؤمنين حق لمن خاف موقف حسابى ، وخاف وعيدى بالعذاب ، فإن من غلب عليه الخوف أطاع .

١٥ ـ ان الرسل استنصروا على أقوامهم بما يئسوا من ايمانهم ، وطلبوا النصر من ربهم على الكافرين من أقوامهم ، فنصرهم الله وربحوا ، وخسر كل متكبر عن طاعة الله شديد العناد .

١٦ ـ وقد استقبل الهزيمة فى الدنيا ومن ورائه فى الآخرة عذاب جهنم ، ويسق فيها من ماء كريه ، وهو كالصديد يسيل من أهل النار .

١٧ ـ يتكلف شربه ، كأنه يبتلعه مرة بعد أخرى ، ولا يقرب من استساغته لأنه لا يمكن أن يستساغ لكراهته وقذارته ! ويحيط به أسباب الموت من الشدائد من كل جهة ، وما هو فى جهنم بميت فيستريح مما هو فيه ، بل يستقبل فى كل وقت عذابا أشد .

١٨ ـ ان حال أعمال الخيرين الكافرين الدنيوية وكسبهم فيها ، لبنائها على غير أساس من الإيمان ، كحال رماد اشتدت لتفريقه الريح فى يوم شديد العواصف ، لا يقدرون يوم القيامة على شىء مما كسبوا فى الدنيا من تلك الأعمال فلا يمكنهم الانتفاع بشىء منها إذ لا يرون لها أثرا من الثواب ، كما لا يقدر صاحب الرماد المتطاير فى الريح على امساك شىء منه ، وهؤلاء الضالون يحسبون أنهم محسنون ، مع أن أعمالهم بعيدة أشد البعد عن طريق الحق .

١٩ ـ ألم تعلم أيها المخاطب أن الله تعالى خلق السموات والأرض لتقوما على الحق بمقتضى حكمته ، ومن قدر على هذا كان قادرا على اهلاككم أيها الكافرون ، والإتيان بخلق جديد غيركم يعترفون بوجوده ووحدانيته إذا شاء .

٢٠ ـ وما ذلك الإذهاب والإتيان على الله بمتعذر ولا بمتعسر .

ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ

---

٢١ ـ وسيظهر الكفار جميعا من قبورهم للرائين، لأجل حساب الله تعالى، ظهورا لاشك فيه كأنه واقع الآن فعلا فيقول ضعفاء الرأى من الأتباع للقادة المستكبرين: انا كنا لكم تابعين فى تكذيب الرسل ومحاربتهم والإعراض عن نصائحهم، فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله بعض الشيء؟ قال المستكبرون: لو هدانا الله إلى طريق النجاة ووفقنا له لأرشدناكم ودعوناكم إليه، ولكن ضللنا فأضللناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا، ونحن وأنتم الآن سواء علينا الجزع والصبر، ليس لنا مهرب من العذاب!

٢٢ ـ ويقول ابليس، حين يقضى الله الأمر بتنعيم الطائعين وتعذيب العاصين، لمن اتبعه: ان الله تعالى وعدكم وعدا حقا بالبعث والجزاء فأنجزه، ووعدتكم وعدا باطلا بأن لا بعث ولا جزاء فأخلفتكم وعدى، وما كان لى عليكم قوة أقهركم بها على اتباعى، لكن دعوتكم بوسوستى إلى الضلالة فأسرعتم إلى طاعتى، فلا تلومونى بوسوستى، ولوموا أنفسكم على اجابتى وما أنا اليوم بمغيثكم من العذاب، وما أنتم بمغيثى! إنى جحدت اليوم اشراككم اياى مع الله فى الدنيا حيث أطعتمونى كما يطيع العبد ربه: ان الكافرين لهم عذاب مؤلم.

٢٣ ـ وأدخل فى الآخرة الذين صدقوا وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجرى من تحت قصورها الانهار خالدين فيها بإذن الله تعالى وأمره، تحيتهم فيها من الملائكة تفيد الأمن والاطمئنان.

٢٤ ـ ألم تعلم أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلا لكلمة الحق الطيبة، وكلمة الباطل الخبيثة، فجعل الكلمة الحسنة الفائدة مثل شجرة حسنة المنفعة، أصلها ضارب بجذورها فى الأرض، وأفنانها مرتفعة إلى جهة السماء.

أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

---

٢٥ ـ تعطى ثمرها كل وقت عينه الله لإثمارها بإرادة خالقها ، كذلك كلمة التوحيد ثابتة فى قلب المؤمن ، وعمله يصعد إلى الله ، وينال بركته وثوابه كل وقت . ويبين الله الأمثال للناس ، فيشبه المعانى بالمحسوسات ليتعظوا فيؤمنوا .

٢٦ ـ الكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة ، كأنها اقتلعت ، وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات فيها ، كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها ! لأنها لم تعاضد بحجة .

٢٧ ـ يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة ، ويبعد الله الكافرين عنه لسوء استعدادهم ، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه !

٢٨ ـ ألم تنظر أيها السامع إلى المشركين الذين وضعوا مكان شكر نعمة الله بمحمد ودينه كفرا بالله تعالى وأنزلوا أتباعهم بإضلالهم اياهم دار الهلاك .

٢٩ ـ وهى جهنم يقاسون حرها وقبح المقر جهنم .

٣٠ ـ وجعلوا لله الواحد الأحد أمثالا من الأصنام فى العبادة ، لتكون عاقبة عملهم اضلال الناس عن سبيل الله ! وقل أيها النبى لأولئك الضالين : تمتعوا بشهواتكم فإن مرجعكم إلى النار ! .

٣١ ـ قل يا محمد لعبادى الصادقين الذين آمنوا واحسنوا : أقيموا الصلاة ، وأنفقوا بعض ما رزقناكم فى وجوه البر ، مسرين ومعلنين ، وفى كل خير ، من قبل أن يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا صداقة .

رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ

---

٣٢ - الله وحده هو الذى أنشأ السموات وما فيها ، والأرض وما فيها ، وأنزل من السحاب ماء مدرارا ، فأخرج بسببه رزقا لكم . هو ثمرات الزرع أو الشجر ، وسخر لكم السفن لتجرى فى البحر تحمل أرزاقكم وتجارتكم بإذنه ومشيئته ، وسخر لكم الأنهار العذبة لتنتفعوا بها فى رى الأنفس والزروع .

٣٣ - وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، للإضاءة واصلاح النبات والحيوان ، وسخر لكم الليل للراحة ، والنهار للسعى .

٣٤ - وهيأ لكم كل ما تحتاجون إليه فى حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا . وان تعدوا ما أنعم الله به عليكم لا يمكنكم حصر أنواعه ، فضلا عن أفراده ! ان الجاحد الذى قابل النعم بالجحود لشديد الظلم والجحود .

٣٥ - واذكر ، أيها النبى ، لقومك ، ليعتبروا فيرجعوا عن اشراكهم ، قول أبيهم ابراهيم بعد بناء الكعبة : يارب اجعل هذا البلد الذى فيه الكعبة ذا أمن من الظالمين ، وأبعدنى وأبنائى عن عبادة الأصنام .

٣٦ - لأن الأصنام تسببت فى اضلال كثير من الناس بعبادتهم لها . فمن تبعنى من ذريتى ، وأخلص لك العبادة ، فإنه من أهل دينى ، ومن عصانى باقامته على الشرك فأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة .

٣٧ - يا ربنا انى اسكنت بعض ذريتى فى وادى مكة الذى لا ينبت زرعا ، عند بيتك الذى حرمت التعرض له والتهاون بشأنه ، وجعلت ما حوله آمنا . ربنا ، فأكرمهم ليقيموا الصلاة بجوار هذا البيت ، فاجعل قلوبا خيرة من الناس تميل إليهم لزيارة بيتك ، وارزقهم من الثمرات بإرسالها إليهم مع الوافدين ، ليشكروا نعمتك بالصلاة والدعاء .

وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ

---

٣٨ - ربنا ، إنه يستوى عند علمك سرنا وعلانيتنا ، فأنت أعلم بمصالحنا ، وأرحم بنا منا ، وما يخفى عليك شيء ولو كان صغيرا ، فى الأرض ولا فى السماء ، فلا حاجة بنا إلى الدعاء ، ولكننا ندعوك اظهارا للعبودية ، ونخشع لعظمتك ، ونفتقر إلى ما عندك .

٣٩ - الحمد لله الذى أعطانى ، مع كبر سنى ، واليأس من الولد ، اسماعيل ثم اسحاق ! ان ربى لسميع دعائى ، مجيب له .

٤٠ - رب وفقنى لأداء الصلاة على وجهها ، ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتى ، ربنا تقبل دعائى قبول المستجيب .

٤١ - ربنا اغفر لى ما فرط منى من الذنوب ، واغفر لوالدى وللمؤمنين . يوم يتحقق الحساب ، ويكون من بعده الجزاء .

٤٢ - ولا تظنن : أيها الرسول ، ربك غافلا عما يعمل الظالمون من محاربة الإسلام وأهله : بل هو عالم بمخالفتهم ، وقدر تأخير عقوبتهم ليوم عسير ، تبقى فيه أبصارهم مفتوحة ، لا يسيطرون عليها ، فلا ترتد إليهم من هول ما ترى .

٤٣ - وهم مسرعون نحو الداعى ، رافعى رءوسهم إلى السماء ، لا ترجع أعينهم إلى ارادتهم ، وقلوبهم خالية ليس فيها تفكير من شدة الخوف .

٤٤ - وبين أيها النبى ، للناس أهوال يوم القيامة الذى يأتيهم فيه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى : ربنا أخر العذاب عنا ، وردنا إلى الدنيا ، وأمهلنا إلى أجل من الزمان قريب ، نتدارك ما فرطنا بإجابة دعوتك إلى التوحيد واتباع الرسل . فيقال لهم : أتقولون اليوم هذا ونسيتم أنكم حلفتم من قبل فى الدنيا أنكم إذا متم لا تزول عنكم هذه النعمة ، ان كان بعث يوم القيامة .

ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

---

٤٥ - وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى من الأمم قبلكم، وظهر لكم بمشاهدة آثارهم كيف عاقبناهم فلم تنزجروا، وبينا لكم صفات ما فعلوا وما حل بهم، فلم تعتبروا.

٤٦ - وقد دبر هؤلاء المشركون تدبيرهم لابطال الدعوة، عند الله علم مكرهم، وما كان مكرهم، لتزول منه الشريعة الثابتة ثبات الجبال.

٤٧ - فلا تظن، أيها الرسول، أن الله تعالى مخلف رسله ما وعدهم به من النصر، لأنه غالب لا يمنعه أحد عما يريد، شديد الانتقام ممن كفر به وعصى رسله.

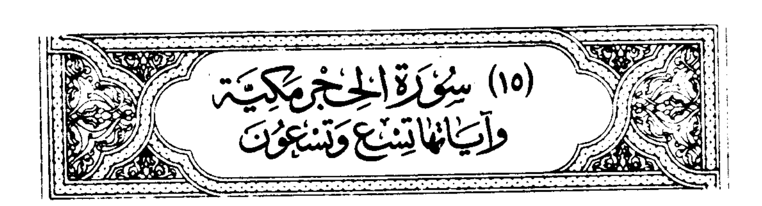
٤٨ - فينتقم منهم يوم القيامة حين نجعل الأرض الموجودة الآن ونجعل السموات غير السموات كذلك، ويخرج الخلائق من قبورهم لحكم الله الذى لا شريك له ولا غالب له.

٤٩ - وترى الكافرين يوم القيامة مشدودين بالقيود مع شياطينهم.

٥٠ - مطلية جلودهم بسائل من القطران، كالملابس على أجسادهم، وتعلو النار وجوههم وتجللها.

٥١ - يفعل بهم ذلك، ليجزى الله كل نفس منهم بما كسبته فى الدنيا والله سريع الحساب يوم القيامة ولا يشغله عنه شىء.

٥٢ - هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولإنذارهم وتخويفهم من عذاب الله، وليعلموا إذا خافوا وتأملوا أنه لا اله إلا اله واحد، وليتذكر أصحاب العقول عظمة ربهم، فيبتعدوا عما فيه هلاكهم.



بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ

سورة الحجر سورة مكية وهى تشتمل على تسع وتسعين آية ، ابتدأت بالحروف الصوتية تنبيها إلى أن القرآن مكون من الحروف التى تتكون منها كلماتكم ، ومع ذلك كان معجزا لكم ، لأن منزله هو الله سبحانه وتعالى ، وتتكون تلك الحروف بأصواتها الممدودة تنبيها للمعرضين عن القرآن يدعوهم إلى الاستماع ، فعساهم ينتفعون ويهديهم الله تعالى .

والسورة الكريمة تبين العبر بما نزل بالأمم السابقة والإشارة إلى أخبار الأنبياء السابقين ، وما لقيتهم به أممهم ، وتشير إلى آيات الله فى الكون من سماء مرفوعة ذات بروج محفوظة ، وأرض ممهدة مبسوطة ، وجبال راسيات ورياح حاملة للماء ، وما يلقح الأشجار ، وتشير إلى المعركة الأولى فى الخليقة بين ابليس اللعين وآدم وزوجه ، واستمرار هذه المعركة بين الخير والشر إلى أن تنتهى هذه الدنيا ، ثم عاقبة الشر يوم القيامة ، وعاقبة الخير . وبعد ذلك قص الله سبحانه قصص النبيين ابراهيم ولوط ، وأصحاب الحجر ، وتشير إلى منزلة القرآن ، وحال المشركين فى تلقيه ، وما يجب على النبى ازاء جحودهم وهو أن يعلن رسالته ، ويجهر بها ، ويعبد الله حتى يأتيه الأمر اليقين .

١ - تلك آيات الكتاب المنزل المقروء المبين الواضح .

٢ - يود ويتمنى الذين جحدوا بآيات الله سبحانه وتعالى كثيرا ، عندما يرون عذاب يوم القيامة ، أن لو كانوا قد أسلموا فى الدنيا وأخلصوا دينهم لله .

٣ - ولكنهم الآن غافلون عما يستقبلهم فى الآخرة من عذاب ! فدعهم بعد تبليغهم وانذارهم ، ليس لهم هم إلا أن يأكلوا ويستمتعوا بملاذ الدنيا ، ويصرفهم أملهم الكاذب ، فمن المؤكد أنهم سيعلمون ما يستقبلهم عندما يرونه رأى العين يوم القيامة .

٤ - وإذا كانوا يطلبون انزال العذاب الدنيوى ، كما أهلك الله الذين من قبلهم ، فليعلموا أن الله لا يهلك مدينة أو أمة الا لأجل قدره معلوم عنده .

مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْمَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا

---

٥ ـ لا يتقدمون عليه ، ولا يتأخرون عنه .

٦ ـ وان من قبح حالهم وشدة غفلتهم أن ينادوا النبي متهكمين قائلين : أيها الذى نزل عليه الكتاب المذكر ، ان بك جنونا مستمرا ، فليس النداء بنزول الذكر عليه الا للتهكم .

٧ ـ ولفرط جحودهم يقولون بعد ذلك الشتم والتهكم : هلا أتيتنا بدل الكتاب المنزل بملائكة تكون لك حجة ان كنت صادقا معدودا فى الصادقين .

٨ ـ وقد أجابهم الله تعالت كلماته : ما ننزل الملائكة الا ومعهم الحق المؤكد الثابت الذى لا مجال لإنكاره ، فإن كفروا به فإنهم لا يمهلون ، بل ينزل بهم العذاب الدنيوى فورا .

٩ ـ وانه لأجل أن تكون دعوة النبي بالحق قائمة إلى يوم القيامة ، لم ننزل الملائكة ، بل أنزلنا القرآن المستمر تذكيره ، وانا لحافظون له من كل تغيير وتبديل ، حتى تقوم القيامة .

١٠ ـ ولا تحزن أيها الرسول الأمين ، فقد أرسلنا قبلك رسلا فى طوائف تتعصب للباطل مثل تعصبهم ، ولقد مضوا مع الأولين الذين هلكوا لجحودهم !

١١ ـ وما كان شأن الذين سبقوهم فى تعصبهم للباطل إلا أن يستهزئوا برسلهم رسولا رسولا ، كما يستهزئون بك ! فتلك سنة المبطلين !

١٢ ـ كما أدخلنا القرآن فى قلوب المؤمنين فأضاءها ، أدخلنا الباطل فى قلوب الذين اتسموا بالإجرام ، فانقلبت الأوضاع فى قلوبهم ، إذ تأصل الباطل فى نفوسهم .

١٣ ـ لا يؤمن أولئك المجرمون به ، وقد مضت طريقة الله تعالى فى امهالهم حتى يروا عذاب يوم القيامة المؤلم .

عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

---

١٤ - ان هؤلاء يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ، ولا تظن أيها النبى أنهم يؤمنون لو نزلت ، بل لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ، يرون العجائب ويرون الملائكة !

١٥ - ما آمنوا ، ولقالوا : انما حبست أبصارنا عن النظر ، وغطيت ، بل ان ما كان هو السحر ، وقد سحرنا ، فلا جدوى فى أى آية مع الجحود فى قلوبهم .

١٦ - واننا قد جعلنا فى السماء نجوما ، تكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال والهيئات ، وزيناها بذلك للذين ينظرون متأملين معتبرين ، مستدلين بها على قدرة مبدعها .

١٧ - ولكن حفظناها من كل شيطان جدير بالرجم والطرد من رحمة الله تعالى .

١٨ - من يحاول من هؤلاء الشياطين أن يسترق الاستماع إلى الكلام الذى يجرى بين سكان هذه النجوم ، فإنا نلحقه بجرم سماوى واضح بين .

١٩ - وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كالبساط الممدود ، ووضعنا فيها جبالا ثابتة ، وأنبتنا لكم فيها من كل أنواع النبات ما يحفظ حياتكم ، وجعلناه مقدرا بأزمان معينة فى نموه ، وغذائه ، ومقدرا بمقدار حاجتكم ومقدار كميته ، وفى أشكاله فى الخلق والطبيعة[1] .

٢٠ - وجعلنا فى الأرض أسباب المعيشة الطيبة لكم ، ففيها الحجارة التى تبنون منها المساكن ، والحيوان الذى تنتفعون بلحمه أو جلده أو ريشه ، والمعادن التى تخرج من بطنها ، وغير ذلك ، وكما أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ففيها المعيشة أيضا لمن يكونون فى ولايتكم من عيال وأتباع ، فالله وحده هو يرزقهم واياكم .

---

(١) تقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات المعملية للنبات ، وهى أن كل صنف من النبات تماثل أفراده من الوجهة الظاهرية تماثلا تاما ، وفى التكوين الداخلى نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق فى كافة أجهزة النبات المختلفة وكذلك بين الخلايا لتحقيق الغرض الذى وجدت من أجله وقد تختلف من نوع لآخر ولكنها ثابتة للصنف الواحد .

مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا

٢١ - وما من شىء من الخير إلا عندنا كالخزائن المملوءة ، من حيث تهيئته وتقديره فى وقته ، وما تنزل إلى العباد إلا بقدر معلوم حددته حكمتنا فى الكون .

٢٢ - وقد أرسلنا الرياح حاملة بالامطار وحاملة بذور الإنبات ، وأنزلنا منها الماء وجعلناه سقيا لكم ، وان ذلك خاضع لإرادتنا ولا يتمكن أحد من التحكم فيه حتى يصير عنده كالخزائن[1] .

٢٣ - وانا وحدنا نمد الأشياء بالحياة ، ثم ننقلها إلى الموت إذ الوجود كله لنا .

٢٤ - وكل منكم له أجل محدود ، نعلمه نحن ، فنعلم الذين يتقدمون فى الموت والحياة ، والذين يتأخرون .

٢٥ - وان المتقدمين والمتأخرين سيجمعون فى وقت واحد ، وسيحاسبهم ويجازيهم الله وأن ذلك مقتضى حكمته وعلمه ، وهو الذى يسمى الحكيم العليم .

٢٦ - واننا فى خلقنا للعالمين فى هذه الأرض خلقنا طبيعتين : خلقنا الإنسان من طين يابس يصوت إذا نقر عليه[2] .

٢٧ - وعالم الجن خلقناه من قبل حين خلق أصله ابليس من النار ذات الحرارة الشديدة النافذة فى مسام الجسم الإنسانى .

٢٨ - واذكر أيها النبى أصل الخلق ، إذ قال خالقك رب العالمين للملائكة انى مبدع بشرا خلقته من طين يابس ، له صوت إذا نقر عليه ، وهو متغير اللون له صورة .

---

(١) سبقت هذه الآية بما وصل إليه العلم من أن الرياح عامل هام فى نقل حبوب اللقاح إلى الأعضاء المؤنثة فى النبات ليتم بذلك عقد الثمار ، كما أنه لم يعرف إلا فى أوائل القرن الحالى أن الرياح تلقح السحاب بما ينزل بسببه المطر إذ أن نويات التكاثف أو النويات التى تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطا من الماء نامية داخل السحب هى المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحاب وقوام هذه النويات أملاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض والأكاسيد والأتربة ونحوها كلها لازمة للأمطار .

لقد ثبت فى العلم حديثا أن للمطر دورة مائية ، تبدأ بتبخر المياه من سطح الأرض - والبحر ثم تعود إليه مرة ثانية على نحو ما سلف ذكره ، فإذا ما نزل المطر استق منه كل حى على الأرض كما تستق منه الأرض نفسها ، ولا يمكن التحكم فيه لأنه بعد ذلك يتسرب من الأحياء ومن الأرض إلى التبخر ، ثم تبدأ الدورة ثانية بالتبخر وهكذا دواليك .

ومن هذا يستبين معنى الآية فى قوله تعالى (وما أنتم له بخازنين) أى ما نعيه من النزول من السماء ولا التسرب إليها على صورة البخار .

(٢) الصلصال والحما صور من الطين تتفق معه فى التركيب ، لأنها تتكون كيانيا من عناصر التربة مضافا إليها الماء وهى المادة التى يتكون منها الإنسان ، كما ذكر فى الآيات المختلفة من القرآن الكريم .

سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا

---

٢٩ ـ فإذا أكملته خلقا، ونفخت فيه الروح التى هى ملكى، فانزلوا بوجوهكم ساجدين له تحية واكراما.

٣٠ ـ فسجدوا جميعا خاضعين لأمر الله.

٣١ ـ لكن ابليس أبى واستكبر أن يكون مع الملائكة الذين خضعوا لأمر الله.

٣٢ ـ عندئذ قال الله تعالى: يا ابليس، ما الذى سوغ لك أن تعصى ولا تكون مع الخاضعين الساجدين.

٣٣ ـ قال ابليس ما كان من شأنى أن أسجد لإنسان خلقته من طين يابس له صوت إذا نقر، وهو متغير اللون مصور.

٣٤ ـ قال الله تعالى: إذا كنت متمردا خارجا على طاعتى، فاخرج من الجنة فانك مطرود من رحمتى ومن مكان الكرامة.

٣٥ ـ وانى قد كتبت عليك الطرد من الرحمة والكرامة إلى يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء، وفيه يكون لك ولمن اتبعك العقاب.

٣٦ ـ قال ابليس، وهو المتمرد على طاعة الله، يا خالق أمهلنى ولا تقبضنى إلى يوم القيامة، يوم يبعث الناس أحياء بعد موتهم.

٣٧ ـ قال الله تعالى: انك من المؤجلين الممهلين.

٣٨ ـ إلى وقت قدرته وهو معلوم لى، ومهما يطل فهو محدود.

٣٩ ـ قال ابليس المتمرد العاصى: يا خالق الذى يبقينى: لقد أردت لى الضلال فوقعت فيه، وبسبب ذلك لأزينن لبنى آدم السوء، ولأعملن على ضلالهم أجمعين.

٤٠ ـ ولن ينجو من اضلالى إلا الذين أخلصوا لك من العباد، ولم أتمكن من الاستيلاء على نفوسهم لعمرانها بذكرك.

صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

---

٤١ - ان خلوص العباد الذين أخلصوا دينهم هو طريق مستقيم بحق على لا أتعداه ، لأنى لا أستطيع اضلالهم .

٤٢ - قال الله تعالى : ان عبادى الذين أخلصوا لى دينهم ليس لك قدرة على اضلالهم ، لكن من اتبعك من الضالين الموغلين فى الضلال لك سلطان على نفوسهم .

٤٣ - وان النار الشديدة العميقة هى ما يوعدون به أجمعين من عذاب أليم .

٤٤ - وليس للنار الشديدة باب واحد ، بل لها أبواب سبعة لكثرة المستحقين لها ، ولكل باب طائفة مختصة به ، ولكل طائفة مرتبة معلومة تتكافأ مع شرهم .

٤٥ - هذا جزاء الذين يتبعون الشيطان ، أما الذين عجز الشيطان عن اغوائهم لأنهم يجعلون بينه وبين نفوسهم حجابا ، فلهم حدائق عظيمة وعيون جارية .

٤٦ - يقول لهم ربهم ، ادخلوا هذه الجنات باطمئنان آمنين ، فلا خوف عليكم ، ولا تحزنون على أوقاتكم .

٤٧ - وان أهل الايمان يعيشون فى هذا النعيم طيبة نفوسهم ، فقد أخرجنا ما فيها من حقد ، فهم جميعا يكونون اخوانا يجلسون على أسرة تتقابل وجوههم بالبشر والمحبة ، ولا يتدابرون كل ينقب عما وراء الآخر .

٤٨ - لا يمسهم فيها تعب ، وهى نعيم دائم لا يخرجون منها أبدا .

٤٩ - أخبر أيها النبى الأمين عبادى جميعا أنى كثير الغفران والعفو لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، وأنى كثير الرحمة بهم .

٥٠ - وأخبرهم أن العذاب الذى أنزله بالعصاة الجاحدين هو العذاب المؤلم حقا ، وكل عذاب غيره لا يعد مؤلما بجواره .

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ

---

٥١ ـ ونبئهم ، أيها النبى ، فى بيان رحمتى الخاصة فى الدنيا ، وعذابى للعصاة فيها ، عن الضيف من الملائكة الذين نزلوا على ابراهيم .

٥٢ ـ اذكر أيها الأمين : إذ دخلوا عليه فخاف منهم ، فقالوا له : أمنا واطمئنانا . فقال لهم انا خائفون منكم إذ فاجأتمونا وجئتم فى غير وقت للضيف عادة ، ولا نعلم ما وراءكم !

٥٣ ـ قالوا : لا تخف واطمئن ، فانا نبشرك بمولود لك يؤتيه الله تعالى فى مستقبل حياته علما عظيما[1] .

٥٤ ـ قال : كيف تبشرونى بمولود يولد لى مع أنه قد أصابتنى الشيخوخة بضعفها ، فعلى أى وجه تبشرونى بهذا الأمر الغريب ؟ !

٥٥ ـ قالوا بشرناك بالأمر الثابت الذى لاشك فيه ، فلا تكن ممن ييأسون من رحمة الله .

٥٦ ـ قال ابراهيم : انى لا أيأس من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا الضالون الذين لا يدركون عظمته وقدرته .

٥٧ ـ قال ، وقد استأنس بهم : إذا كنتم قد بشرتمونى بهذه البشرى ، فماذا يكون من شأنكم بعدها ، أيها الذين أرسلكم الله ؟

٥٨ ـ قالوا : انا أرسلنا الله تعالى إلى قوم أجرموا فى حق الله وحق نبيهم وحق أنفسهم ، من شأنهم الإجرام ، هم قوم لوط ، فسنهلكهم .

٥٩ ـ ولم يسلم من الإجرام وعذابه إلا أهل لوط ، فإن الله تعالى قد أمرنا بأن ننجيهم أجمعين .

---

(١) واضح هنا أن التبشير ليس بإسماعيل عليه السلام ، إذ أن إسماعيل كان قد ولد من قبل وكان هو وأمه هاجر بمكة ، وما ذكر هنا من التبشير كان لإبراهيم ولامرأته وحينئذ كان بإسحاق لأنه ابن إبراهيم من زوجته سارة .

ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾

---

٦٠ ـ ولا يستثنى من أهله الا امرأته ، فانها لم تتبع زوجها ، بل كانت مع المجرمين الذين استحقوا العذاب .

٦١ ـ ولما نزل أولئك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لانزال ما توعد به ، بأرض لوط وآله .

٦٢ ـ قال لهم لوط : انكم قوم تنكركم نفسى وتنفر منكم ، مخافة أن تمسونا بشر .

٦٣ ـ قالوا : لا تخف منا ، فما جئناك بما تخاف ، بل جئناك بما يسرك ، وهو انزال العذاب بقومك الذين كذبوك وكانوا يشكون فى صدقه أو ينكرونه .

٦٤ ـ وجئناك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه ، وهو انزال العذاب ، وان صدق الوعد من صفاتنا بأمر الله .

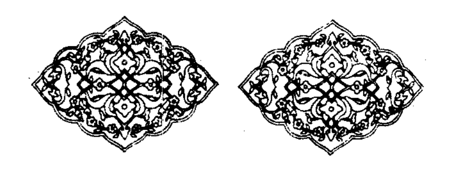
٦٥ ـ إذا كان العذاب نازلا بهم ، فسر ليلا مع أهلك الذين كتبت نجاتهم ، بعد مرور قطع من الليل .

٦٦ ـ وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى لوط : إنا حكمنا وقدرنا أن هؤلاء المجرمين هالكون ، يستأصلون عند دخول الصباح ، ولا يبق منهم أحد .

٦٧ ـ ولما أصبح الصباح رأوا الملائكة فى صورة جميلة من صور البشر : ففرحوا بهم رجاء أن يفعلوا معهم جريمتهم الشنيعة ، وهى اتيان الرجال .

٦٨ ـ خشى لوط أن يفعلوا فعلتهم الشنيعة فقال : ان هؤلاء ضيوفى فلا تفضحونى بفعلتكم القبيحة .

٦٩ ـ وخافوا الله تعالى ، فلا ترتكبوا فاحشتكم ، ولا توقعونى فى الخزى والذل أمامهم .



قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾

---

٧٠ - قال أولئك المجرمون : أو لم ننهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نفعل معهم ما نشتهى ؟ !

٧١ - قال نبى الله لوط ، ينبههم إلى الطريق الطبيعى الشرعى : هؤلاء بنات القرية ، وهن بناتى ، تزوجوهن ان كنتم راغبين فى قضاء الشهوة .

٧٢ - بحق حياتك أيها النبى الأمين ، انهم لفى غفلة عما سينزل بهم ، جعلتهم كالسكارى ! انهم لضالون متحيرون لا يعرفون ما يسلكون .

٧٣ - وبينما هم فى هذه السكرة الغافلة ، استولى على ألبابهم صوت شديد الإزعاج ، وقد أشرقت الشمس .

٧٤ - ولقد نفذ الله سبحانه حكمه فقال : جعلنا عالى مدائنهم سافلها بانقضاضها ، وأنزلنا عليهم طينا متحجرا كان ينزل كالمطر ، فدورهم تهدمت . وان خرجوا إلى العراء استقبلتهم تلك الأمطار من الحجارة ، وبذلك أحيط بهم .

٧٥ - ان فى هذا الذى نزل بقوم لوط لعلامة بينة تدل على تنفيذ الله وعيده ، يعرفها الذين يتعرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها . فكل عمل موصوف بالإجرام متسم به ، له مثل هذه النتيجة فى الدنيا وفى الآخرة .

٧٦ - وان هذه المدينة آثارها قائمة ثابتة ، وهى واقعة على طريق قائم ثابت يسلكه الناس ويعتبر بها من أراد الاعتبار .

٧٧ - وان فى بقائها قائمة على طريق واضح لدليلا على تنفيذ الله تعالى وعيده ، يدركه المؤمنون المذعنون للحق .

٧٨ - ومثل تكذيب قوم لوط ، كذب أصحاب الغيضة العظيمة ذات الثمرات رسولهم ، وكانوا ظالمين شديدى الظلم فى عقائدهم ومعاملاتهم .

فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ

---

٧٩ - فأنزلنا نقمتنا عليهم ، وان آثارهم بطريق واضح بين يعتبر بهم من يمر بديارهم ان كان من أهل الإيمان .

٨٠ - ولقد كذب مثل السابقين أصحاب الحجر رسولهم الذى أرسل إليهم . وكانوا لهذا مكذبين كل المرسلين ، لأن رسالة الله واحدة[1] .

٨١ - بينا لهم الحجج الدالة على قدرتنا ورسالة رسولنا ، فكانوا معرضين عنها لا يفكرون فيها .

٨٢ - وكانوا قوما ذوى منعة وعمران ، فكانوا يصنعون بيوتهم فى الجبال ومن الجبال ، وكانوا بها مطمئنين على أنفسهم وأموالهم .

٨٣ - فلما كفروا وجحدوا أتتهم أصوات مزعجة منذرة بالهلاك ، فأهلكوا فى وقت الصباح .

٨٤ - وما دفع عنهم الهلاك الذى نزل بهم ما كانوا يكسبون من أموال ، ويتحصنون به من حصون .

٨٥ - ما أنشأنا السموات والأرض وما بينهما من فضاء : وما فيها من أناس وحيوان ونبات وجماد ، وغيرهم مما لا يعلمه البشر ، الا بالعدل والحكمة والصلاح الذى لا يتفق معه استمرار الفساد وعدم نهايته ، ولذا كان اليوم الذى يكون فيه انتهاء الشر آتيا لا محالة ، واصفح أيها النبى الكريم عن المشركين بالنسبة للعقاب الدنيوى ، وعاملهم بالصبر على أذاهم ، والدعوة بالحكمة معاملة الصفوح الحليم .

٨٦ - ان الله الذى خلقك أيها النبى ورباك ، هو الكثير الخلق ، العليم بحالك وحالهم ، فهو حقيق بأن تكل إليه أمرك وأمرهم ، وهو الذى يعلم الأصلح لك ولهم .

٨٧ - ولقد آتيناك ، أيها النبى الأمين ، سبع آيات من القرآن ، هى الفاتحة التى تكررها فى كل صلاة ، وفيها الضراعة لنا ، وكمال طلب الهداية ، وأعطيناك القرآن العظيم كله ، وفيه الحجة والإعجاز ، فأنت بهذا القوى الذى يجدر منه الصفح .

---

(١) أصحاب الحجر هم ثمود ، والحجر واد بين المدينة والشام .
انظر التعليق العلمى على الآية رقم ٧٣ من سورة الأعراف .

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ

٨٨ـ لا تنظر أيها الرسول نظرة تمن ورغبة إلى ما أعطيناه من متع الدنيا أصنافا من الكفار المشركين واليهود والنصارى والمجوس، فانه مستصغر بالنسبة لما أوتيته من كمال الاتصال بنا ومن القرآن العظيم، ولا تحزن عليهم بسبب استمرارهم على غيهم وتطامن وتواضع، وارفق بالذين معك من المؤمنين، فإنهم قوة الحق وأهل الله.

٨٩ـ وقل أيها النبى، للجاحدين جميعا: انى أنا المنذر لكم بعذابى الشديد، والمبين انذارى بالأدلة القاطعة المعجزة.

٩٠ـ وان هذا مثل انذار أولئك الذين قسموا القرآن إلى شعر وكهانة وأساطير وغيرها، ولم يؤمنوا به مع قيام الحجة عليهم.

٩١ـ الذين جعلوا القرآن بهذا التقسيم قطعا متفرقة، وهو كل لا يقبل التجزئة فى اعجازه وصدقه.

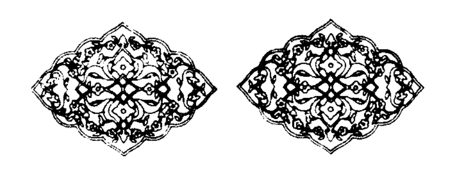
٩٢ـ وإذا كانت تلك حالهم، فوالذى خلقك وحفظك ورباك لنحاسبنهم أجمعين يوم القيامة.

٩٣ـ على أعمالهم من إيذاء وجحود واستهزاء.

٩٤ـ فاجهر بدعوة الحق ولا تلتفت إلى ما يفعله المشركون ويقولونه.

٩٥ـ وان أولئك المشركين، الذين يسخرون من دعوتك، لن يتمكنوا منك ولن يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين دعوتك.

٩٦ـ أولئك المشركون قد ضعفت مداركهم فجعلوا مع الله آلهة أخرى من الأوثان، وسوف يعلمون نتائج شركهم حين ينزل بهم العذاب الأليم.



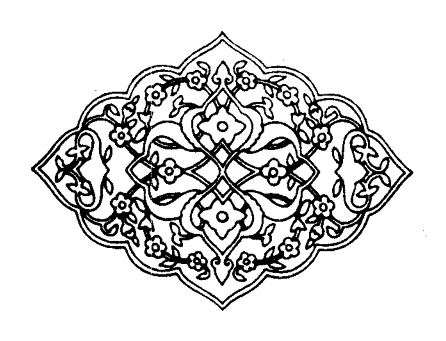
نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

---

٩٧ ـ وانا لنعلم ما يصيبك من ضيق وألم نفسى بما يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة .

٩٨ ـ فإذا أصابك ذلك الضيق فافزع إلى الله تعالى واتجه إليه ، وكن من الخاضعين الضارعين إليه ، واستعن بالصلاة فإن فيها الشفاء .

٩٩ ـ والتزم عبادة الله الذى خلقك وهو حافظك : حتى يأتى الأمر المستيقن . وهو يوم القيامة والميعاد .





بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ

هذه السورة مكية ، ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة منها فإنها مدنية . وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة . ابتدأت السورة الكريمة بتأكيد وعيد الله تعالى للمشركين ، وبيان قدرته سبحانه وتعالى على تنفيذه ، بدليل خلقه السموات والأرض ، ثم بيان نعمه على الناس كافة بخلقه الابل ، وإنباته الزرع ، وما خلق فى البحر من أسماك تؤكل ، وجواهر للزينة . ثم أشار إلى ما تستوجبه هذه النعم من شكره سبحانه ، ووجوب عبادته وحده ، واستقبال المشركين للدعوة إلى الوحدانية ، وافترائهم على القرآن الكريم ، وادعاء أنه من أساطير الأولين . ثم أشار سبحانه إلى عذاب المشركين يوم القيامة ، ونعيم المؤمنين ، ثم ذكر سبحانه انكار المشركين للبعث ولجاجتهم فى الإنكار ، ويستنكر سبحانه جحودهم ببيان قدرتهم ، ويؤكد وعده للمتقين ووعيده لهم ، ثم يقرب البعث ببيان قدرته عليهم ، وخضوع الوجود كله له سبحانه ، وبيان أنه سبحانه هو الذى يكشف ، وبيان خرافات المشركين فى اعتقادهم القدرة فيمن لا يملك نفعا ولا ضرا ، وسوء رأيهم فى المرأة طفلة وامرأة . وأشار سبحانه إلى الرسل السابقين وساق سبحانه العبر فى خلقه وتكوينه للأشياء وما فيها من نعم للإنسان ، وتفاوت الأرزاق من أن يكون للغنى فضل على الفقير ، ونعمه على الإنسان فى خلقه ذكرا أو أنثى والأنسال بالزواج منها . وأخذ يضرب سبحانه الأمثال لبيان قدرته ، ثم وجه الأنظار إلى عظم المخلوقات الدالة على عظمة الخالق وفائض نعمه ، ومقابلة المشركين لهذه النعم الجليلة . وبعد أن بين مطالب الإسلام فى العدل وصلة الرحم بالوفاء بالعهد واعجاز القرآن ، وكفر المشركين به وافترائهم عليه ، أشار سبحانه إلى حال المشركين يوم القيامة . وبين كيف كانوا يحلون ويحرمون من غير حجة ، وأشار إلى اليهود الذين يقاربون المشركين ، وبين أنه يجب ألا يعاقبوا الا بالمثل وأن على المؤمنين أن يصبروا وأن يلتزموا التقوى والإحسان .

١ ـ تأكدوا أيها المشركون أن ما توعدكم الله به يوم القيامة واقع قريب الوقوع لا شك فيه ، فلا تستهزئوا باستعجال وقوعه ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يعبد من دونه ، وعما تشركون به من آلهة لا تقدر على شىء .

مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ

---

٢ - ينزل الملائكة بما يحيى القلوب من وحيه على من يختاره للرسالة من عباده ، ليعلموا الناس أنه لا إله يعبد بحق إلا أنا . فابتعدوا عما يغضبنى ويعرضكم للعذاب ، والتزموا الطاعات لتكون وقاية لكم من العذاب .

٣ - خلق السموات والأرض بمقتضى الحكمة ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يتصرف فى شىء من ملكه ، أو يستحق أن يعبد مثله .

٤ - خلق كل فرد من أفراد الانسان من مادة سائلة لا تماسك فيها وهى النطفة ، فإذا به انسان قوى مجادل عن نفسه ، مكافح لخصومه ، مبين لحجته .

٥ - وقد تفضل الله عليكم أيها العباد ، فخلق لكم الابل والبقر والضأن والمعز لتتخذوا من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما تستدفئون به ، ومن لحومها تأكلون ما يحفظ حياتكم .

٦ - ولكم فيها بهجة وسرور ، حين ترونها راجعة من مراعيها ملأى البطون والضروع ، وحين تذهبون إلى الحقول والمراعى تسرع الخطا إلى غذائها .

٧ - وتحمل أمتعتكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه بدونها إلا بتحميل أنفسكم أقصى جهدها ومشقتها . . ان ربكم الذى هيأ ذلك لراحتكم لشديد الرأفة بكم ، واسع الرحمة لكم .

٨ - وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها ، فتتخذوا منها زينة تدخل السرور على قلوبكم ، وسيخلق ما لا تعلمون من وسائل الركوب وقطع المسافات ، مما سخره الله لبنى الانسان ، إذا استخدم عقله وفكر به واهتدى إلى استخدام كل القوى .

٩ - وعلى الله بمقتضى فضله ورحمته أن يبين لكم الطريق المستقيم الذى يوصلكم إلى الخير ، ومن الطريق ما هو مائل منحرف لا يوصل إلى الحق ، ولو شاء هدايتكم جميعا لهداكم وحملكم على الطريق المستقيم ، ولكنه خلق لكم عقولا تدرك ، وارادة توجه . وترككم لاختياركم .

لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا

---

١٠ ـ هو الذى أنزل من جهة السماء ماء لكم منه شراب ، وبعضه ينبت من الشجر ، وفى هذا الشجر ترسلون أنعامكم لتأكل منه ، وتمدكم باللبن واللحوم ، والأصواف والأوبار والأشعار .

١١ ـ ينبت لكم بالماء الذى ينزل من السماء الزرع الذى نخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعناب ، وغيرها من كل أنواع الثمرات التى تأكلونها غير ما ذكر ، ان فى ايجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بعقولهم ويفكرون فى القدرة التى أوجدتها .

١٢ ـ وسخر لكم الليل إذ جعله مهيأ لراحتكم . والنهار إذ جعله مناسبا لسعيكم وحركتكم وأعمالكم ، والشمس إذ تمدكم بالدفء والضوء ، والقمر لتعرفوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم مسخرات بأمر الله تهتدوا بها فى الظلمات ، ان فى ذلك لعلامات وأدلة لقوم ينتفعون بما وهبهم الله من عقل يدرك .

١٣ ـ وبجوار ما خلقه لكم فى السماء ، وهيأه لمنافعكم ، خلق لكم على سطح الأرض كثيرا من أنواع الحيوان والنبات والجماد ، وجعل فى جوفها كثيرا من المعادن المختلفة الألوان والأشكال والخواص ، وجعل كل ذلك لمنافعكم . ان فى ذلك كله لأدلة واضحة كثيرة لقوم يتدبرون فيها فيتعظون ، ويعرفون من خلالها قدرة خالقهم ورحمته بهم .

١٤ ـ وهو الذى ذلل البحر وجعله فى خدمتكم ، لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طريا طازجا ، وتستخرجوا منه ما تتحلون به كالمرجان واللؤلؤ . وترى أيها الناظر المتأمل السفن تجرى فيه شاقة مياهه تحمل الأمتعة والأقوات . سخره الله لذلك لتنتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها . ولتشكروه على ما هيأه لكم ، وذلله لخدمتكم .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

---

١٥ ـ وجعل الله فى الأرض جبالا ثابتة تحفظها أن تضطرب ، وجعل فيها أنهارا تجرى فيها المياه الصالحة للشرب والزرع ، وطرقا ممهدة لتهتدوا بها فى السير إلى مقاصدكم.

١٦ ـ وجعل علامات ترشد الناس فى أثناء سيرهم فى الأرض ، وهم فى ذلك يسترشدون فى أثناء سيرهم بالنجوم التى أودعها السماء إذا عميت عليهم السبل والتبست معالم الطرق[1].

١٧ ـ هل يستوى فى نظر العقل السليم التسوية بين القادر والعاجز فيجعل من يخلق هذه الأشياء كمن لا يستطيع خلق أى شىء ؟ أتعمون أيها المشركون عن آثار قدرة الله. فلا تعتبروا وتشكروا عليها الله ؟

١٨ ـ وان تحاولوا عد أنعم الله عليكم لا يمكنكم احصاؤها ، ان الله كثير المغفرة واسع الرحمة ، فتوبوا إليه وأخلصوا العبادة له ، يغفر لكم ويرحمكم.

١٩ ـ والله يدرك بعلمه الشامل ماتخفون ، وما تظهرون ، لا يخفى عليه شىء من سركم وجهركم.

٢٠ ـ هذا الخالق المنعم العالم بكل شىء ، هو وحده المستحق للعبادة ، أما الأصنام التى تعبدونها ، فهى عاجزة لا تستطيع أن تخلق شيئا ، ولو كان ذبابا .. بل هى نفسها مخلوقة ربما صنعتموها بأيديكم.

٢١ ـ وهى جمادات ميتة لا حس لها ولا حركة ، ولا تدرى متى تكون القيامة والبعث لعابديها ، فلا يليق بكم أيها العقلاء بعد هذا أن تظنوا أنها تنفعكم فتشركوها مع الله فى العبادة.

٢٢ ـ وقد وضح بكل هذه الدلائل أن الهكم الذى يجب أن تعبدوه وحده إله واحد لا شريك له ، ومع ذلك فالذين لا يؤمنون بالبعث والحساب قلوبهم منكرة لوحدانيته منعهم الاستكبار عن اتباع الحق والخضوع له.

---

(١) انظر التعليق العلمى على الآية ٩٧ من سورة الأنعام.

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ

---

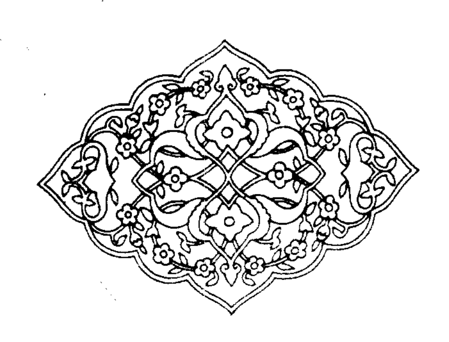
٢٣ - لا شك أن الله يعلم ما يسرون ومايعلنون ، من عقائد وأقوال وأفعال . وسيحاسبهم على كل ذلك ، ويعاقبهم على استكبارهم ، لأنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له .

٢٤ - وإذا سئل هؤلاء الكفار المستكبرون : أى شيء أنزله ربكم على محمد ؟ قالوا فى عناد : هذا الذى يزعم أن الله أنزله عليه ما هو إلا أباطيل وخرافات سطرها السابقون فنقلها وصار يرددها .

٢٥ - قالوا ذلك ، ليصدوا الناس عن اتباع رسول الله ، لتكون عاقبة أمرهم أنهم يعذبون يوم القيامة عذاب ضلالهم كاملا ، وعذاب بعض الناس الذين خدعوهم وغرروا بهم حتى ضلوا دون علم أو بحث ! . تنبه أيها السامع لقبح ما ارتكب هؤلاء من ذنوب ما أشد عقابهم عليها !

٢٦ - وقد سبق هؤلاء الكافرين المتكبرين أمثال لهم ، دبروا المكايد لأنبيائهم ، واحتالوا فى اضلال الناس فأبطل الله كيدهم ، ودمر بلادهم ونزل بهم عذاب النار فى الدنيا من حيث لا يتوقعون !

٢٧ - ثم فى الآخرة حيث يبعث الناس ويحاسبون على أعمالهم ، ويوقفهم الله موقف الخزى والعار ، حين يفضحهم ويظهر ما كانت تخفيه صدورهم . ويقول لهم : أين هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة ؟ وكنتم تحاربوننى ورسلى فى سبيلهم ؟ أين هم حتى يمدوا لكم العون كما كنتم تزعمون ، فلا يستطيعون جوابا ! وحينئذ يقول الذين يعلمون الحق من الأنبياء والمؤمنين والملائكة ان الخزى اليوم والعذاب المسيء واقعان على الجاحدين .



بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن

---

٢٨ - الخزى على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى قبضت الملائكة أرواحهم. وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وبارتكاب السوء، واستسلموا بعد طول العناد إذ علموا حقيقة جرمهم، وقالوا كذبا من شدة دهشتهم: ما كنا فى الدنيا نعمل شيئا من المعاصى !.. فتقول لهم الملائكة والأنبياء: كلا انكم كاذبون، وقد ارتكبتم أفظع المعاصى، والله سبحانه محيط بكل صغيرة وكبيرة مما كنتم تعملونه فى دنياكم، فلا يفيدكم انكاركم !

٢٩ - ويقال لهم بعد ذلك، مآلكم دخول النار والعذاب فيها عذابا مؤبدا لا ينقطع، وقبحت جهنم دارا ومقاما لكل متكبر على الانقياد إلى الحق والايمان بالله ورسله.

٣٠ - وقيل للذين آمنوا بالله واتقوا ما يغضبه من قول أو فعل أو عقيدة ما الذى أنزله ربكم على رسوله ؟ قالوا: أنزل عليه القرآن .. فيه خير الدنيا والآخرة للناس جميعا، فكانوا بذلك من المحسنين. والله سبحانه يكافىء المحسنين بحياة طيبة فى هذه الحياة الدنيا، ويكافئهم فى الآخرة بما هو خير وأحسن مما نالوه فى الدنيا. ولنعم الدار التى يقيم فيها المتقون فى الآخرة.

٣١ - وهى جنات ثابتة للاقامة، تجرى من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، لهم فيها ما يشاءون من النعيم، ومثل هذا الجزاء الحسن، يجزى الله كل المتقين الذين آمنوا به، واتقوا ما يغضبه، وأحسنوا عملهم.

٣٢ - وهم الذين تقبض أرواحهم الملائكة، وهم طاهرون من دنس الشرك والمعاصى، وتقول الملائكة تطمينا لهم: أمان من الله لكم، فلا يصيبكم بعد اليوم مكروه، وأبشروا بالجنة تدخلونها بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة فى دنياكم.

كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ

---

٣٣ - هؤلاء هم المتقون الذين استعدوا لآخرتهم، وذلك جزاؤهم. أما المشركون، فإنهم بعنادهم وبقائهم على شركهم، لا ينتظرون إلا الملائكة تقبض أرواحهم، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وعمل الشر، ويأتيهم عذاب ربك بإهلاكهم جميعا. ومثل ما فعل هؤلاء الكفار المعاندون، فعل الذين سبقوهم فى ذلك مع أنبيائهم فعاقبهم الله على فعلهم، ولم يكن ظالما لهم حين عاقبهم، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم حين عرضوها لعذاب الله بكفرهم.

٣٤ - فأصابهم جزاء ما عملوا من سيئات، وأحاط بهم العذاب الذى كانوا ينكرونه ويستهزئون به.

٣٥ - وقال الذين أشركوا عنادا ومغالطة: لو شاء الله أن نعبده وحده ونطيعه فيما يأمر به لما عبدنا غيره، ولما حرمنا من عندنا ما لم يحرمه، كالبحيرة والسائبة وهى حجة باطلة يستندون عليها فى كفرهم. وقد احتج بها من سبقوهم من الكفار، بعد ما أرسلنا إليهم رسلنا، فأمروهم بالتوحيد وطاعة الله، ونهوهم عن الشرك وعن تحريم ما لم يحرمه الله، فقامت عليهم الحجة، وأدى رسلنا ما أمرناهم بتبليغه، وعلينا نحن حسابهم، وليس على الرسل شىء بعد ذلك.

٣٦ - ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ليقول لهم: اعبدوا الله وحده. واجتنبوا كل طاغية مفسد، فبلغهم وأرشدهم: ففريق استمع إلى الارشاد وتقبله، فهداه الله بحسن استعداده إلى الطريق المستقيم، وفريق أعرض عن سماع الحق فحق عليه أن يسير فى الطريق المنحرف عن الصواب، فأنزل الله به العذاب. وإذا كنتم فى شك من هذا يا مشركى مكة، فسيروا فى الأرض، قريبا منكم، فانظروا وتأملوا كيف حل بالمكذبين، من عاد وثمود وقوم لوط، عذاب الله؟ وكيف كانت عاقبة أمرهم خسرانا وهلاكا؟!

٣٧ - ان تكن حريصا أيها النبى على هداية المشركين من قومك، باذلا معهم أقصى ما فى جهدك، فلا تهلك نفسك حزنا إذا لم يتحقق ما تريد، فقد تحكمت فيهم الشهوات، والله لا يجبر على الهداية من اختاروا الضلال وتمسكوا به لأنه يتركهم لما اختاروا لأنفسهم، وسيلقون جزاءهم عذابا عظيما، ولا يجدون لهم يوم القيامة من ينصرهم ويحميهم من عذاب الله.

بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

---

٣٨ - وقد أضاف المشركون إلى شركهم بالله انكارهم ليوم القيامة ، فأقسموا بالله غاية طاقتهم فى القسم ، وأكدوا أن الله لا يبعث من يموت ! وهم كاذبون فى قسمهم ، وسيبعثهم الله جميعا ، لأنه أخذ العهد على نفسه بذلك ، ولن يخلف الله عهده ، ولكن أكثر الناس من الكفار لا يعلمون حكمة الله فى خلق هذا العالم وأنه لم يخلقه عبثا ، ولا عن حسابه فى الآخرة ومجازاته .

٣٩ - وان من عدل الله فى خلقه أن يبعثهم جميعا بعد موتهم ، فيظهر لهم حقائق الأمور التى اختلفوا فيها ، ليعلم المؤمنون أنهم على حق ، ويعلم الكافرون أنهم كانوا مخطئين فى اتخاذهم شركاء لله ، كاذبين فى قسمهم أن الله لا يبعث من يموت ، وليلق كل من الفريقين جزاءه على علم به وبأسبابه .

٤٠ - وليس بعث الناس يوم القيامة بعسير علينا حتى يستبعده هؤلاء الكفار ، لأننا إذا أردنا شيئا لا يحتاج ايجاده إلا أن نقول له : كن ، فيكون كما نريد .

٤١ - والمؤمنون الذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى ، واخلاصا لعقيدتهم ، من بعد ما وقع عليهم الظلم والعذاب من المشركين ، لنعوضهم فى الدنيا على اخلاصهم واحتمالهم للعذاب ، حياة طيبة حسنة لا تأتى إلا بالجهاد ، وسيكون أجرهم يوم القيامة أكبر ، ونعيمهم فى الجنة أعظم ، لو كان المخالفون لهم يعلمون ذلك لما ظلموهم وظلموا أنفسهم . .

٤٢ - وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على ما تحملوه من عذاب فى سبيل عقيدتهم ، وفوضوا أمرهم إلى الله وحده ، غير مبالين بما سواه ، ومن أجل هذا أحسنا لهم الجزاء .

٤٣ - وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل ارسالك إلى أمتك ، أيها النبى ، إلا رجالا نوحى اليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك . فاسألوا أيها الكافرون أهل العلم بالكتب السماوية ، ان كنتم لا تعلمون ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعا ما كانوا إلا رجالا لا ملائكة .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

---

٤٤ - وقد أيدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم، وأنزلنا عليهم الكتب تبين لهم شرعهم الذى فيه مصلحتهم، وأنزلنا إليك أيها النبى القرآن لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام، وتدعوهم إلى التدبر فيه، رجاء أن يتدبروا فيتعظوا ويستقيم أمرهم.

٤٥ - فكيف يصح بعد كل هذا أن يتمادى المشركون فى عنادهم، ويدبروا المكايد للرسول؟ هل أغراهم حلم الله بهم، فاعتقدوا أنهم فى مأمن من عذاب الله. فلا يخسف بهم الأرض كما فعل بقارون؟ أو يأتيهم العذاب فجأة بصاعقة كما فعل بثمود وهم لا يدرون أين نزل!

٤٦ - أو يهلكهم فى أثناء تنقلهم فى الأرض للتجارة بعيدين عن مساكنهم فلا يستطيعون الافلات من عقاب الله، لأنه لا يعجزه شىء يريده.

٤٧ - أو ينزل بهم العذاب فى أنفسهم وأموالهم رويدا رويدا، وهم فى كل لحظة فى عذاب من الخوف منه والترقب لوقوعه، فلا تمادوا أيها المشركون وتغتروا بتأخير عقوبتكم، فقد اقتضت رأفة الله الشاملة ورحمته الواسعة ألا يعاجلكم بالعقوبة فى الدنيا، كى تتفكروا وتتدبروا لأنه سبحانه رءوف رحيم..

٤٨ - أغفل هؤلاء الكفار عن آيات الله حولهم، ولم ينظروا ويتدبروا فيما خلقه الله من الأشياء القائمة، تنتقل ظلالها، وتمتد تارة يمينا وتارة شمالا، تابعة فى ذلك لحركة الشمس نهارا والقمر ليلا، وكل ذلك خاضع لأمر الله، منقاد لأحكام تدبيره، لو تدبر المشركون هذا، لعلموا أن خالقه ومدبره هو وحده المستحق للعبادة والخضوع، القادر على اهلاكهم لو أراد.

٤٩ - ولله وحده - لا لغيره - يخضع وينقاد جميع ما خلقه فى السموات وما دب على الأرض ومشى على ظهرها من مخلوقات، وفى مقدمتهم الملائكة يخضعون له ولا يستكبرون عن طاعته[١].

---

(١) تسبق هذه الآية ركب العلم فى تقرير وجود أحياء تدب على بعض الكواكب فى مجموعتنا الشمسية أو خارج نطاقها، وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول إلى حقيقته.

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ

---

٥٠ - وحالهم أنهم دائما على خوف من ربهم القادر القاهر، ويفعلون ما يأمرهم به.

٥١ - وقال الله: لا تعبدوا اثنين، وتجعلوهما الهين، لأن الشركة فى العبادة تنافى وحدانية الخلق والتكون، إنما المعبود بحق إله واحد، فخافونى ولا تخافوا غيرى.

٥٢ - وله وحده ما فى السموات والأرض خلقا، وملكا وعبيدا. فحقه دون غيره أن يعبد ويحمد، ويخضع له وترجى رحمته ويخاف عذابه.

٥٣ - وأى شىء جاءكم من النعم فهو من الله وحده، ثم إذا لحقكم ما يضركم فلا تتضرعوا بأعلى أصواتكم إلا إليه.

٥٤ - ثم إذا استجاب لدعائكم ورفع ذلك الضر عنكم، نسى بعضكم حق الله عليه من التوحيد واخلاص العبادة له، فيشركون بخالقهم ومربيهم ويعبدون معه غيره.

٥٥ - ذلك يحدث منهم لتكون عاقبة أمرهم انكار فضلنا على ما أعطيناهم فتمتعوا أيها الكافرون بما لا تؤدون حق شكره، فسوف تعلمون عاقبة الكفر.

٥٦ - ويجعل المشركون لأوثانهم، التى يسمونها بغير علم آلهة، نصيبا يتقربون به إليها، من الرزق الذى أعطيناهم اياه من الحرث والأنعام وغيرها لأسألكم وعزتى، أيها المشركون، عما كنتم تختلقونه من الكذب وتفترونه من الباطل، وأجازيكم عليه.

٥٧ - ويجعلون لله ما يكرهون، فيزعمون أن الملائكة بنات، ويعبدونها تنزه الله عن ذلك! ويجعلون لأنفسهم ما يحبون، وهم الذكور من الأولاد.

أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ

---

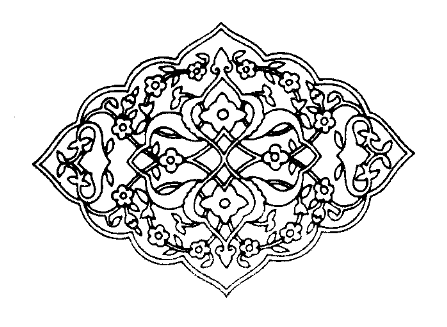
٥٨ ـ وهم إذا خبر أحدهم بأنه ولدت له أنثى ، صار وجهه مسودا من الحزن وهو مملوء غيظا يكظمه .

٥٩ ـ يحاول الاختفاء عن أعين الناس ، لئلا يروا كآبته من الألم الذى أصابه من وجود المولود الذى أخبروه به ، وتستولى عليه حيرة : أيبقيه حيا مع ما يلحقه من الهوان على ذلك فى زعمه ؟ ! أم يدفنه فى التراب وهو حى حتى يموت تحته ؟ تنبه أيها السامع لفظاعة عمل هؤلاء ألا قبح حكمهم الذى ينسبون فيه لله ما يكرهون أن ينسب إلى أنفسهم .

٦٠ ـ للذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب الحال التى تسوء ، وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الاناث ، ولله الصفة العليا ، وهو الغنى عن كل شىء ، فلا يحتاج إلى الولد ، وهو الغالب القوى الذى لا يحتاج إلى معين .

٦١ ـ ولو يعجل الله عقاب الناس بما ارتكبوا من ظلم ، ما ترك على ظهر الأرض دابة ، ولكنه بحلمه وحكمته يؤخر الظالمين إلى وقت عينه ، وهو وقت انتهاء آجالهم ، فإذا جاء هذا الوقت لا يتأخرون عنه لحظة كما لا يتقدمون عليه لحظة .

٦٢ ـ وينسب المشركون إلى الله ما يكرهون أن ينسب إليهم من البنات والشركة ، وتنطق ألسنتهم الكذب إذ يزعمون مع ذلك أنهم ، كما أن لهم فى الدنيا الغنى والسلطان ، لهم عند الله العاقبة الحسنى ، ان بعثوا ، وهى الجنة ! . لاشك أن لهم النار ، وأنهم مسوقون إليها قبل غيرهم .



أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

٦٣ - تأكد أيها النبى اننا أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك بمثل ما أرسلناك به إلى الناس جميعا ، فحسن لهم الشيطان الكفر والشرك والمعاصى فكذبوا رسلهم ، وعصوهم ، وصدقوا الشيطان وأطاعوه ، فهو متولى أمورهم فى الدنيا يزين لهم ما يضرهم ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد الألم .

٦٤ - وما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين به للناس الحق فيما كان موضع خلافهم من الدين ، وليكون هداية تامة ورحمة عامة لقوم يؤمنون بالله وبالكتاب الذى أنزله .

٦٥ - والله أنزل من السماء ماء يحمله السحاب ، فجعل الأرض منبتة فيها حياة ، بعد أن كانت قاحلة لا حياة فيها . ان فى ذلك لدليلا واضحا على وجود مدبر حكيم(١) .

٦٦ - وان لكم أيها الناس فى الابل والبقر والغنم لموعظة تعتبرون بها وتنتقلون فى هداها من الجهل إلى العلم بالصانع المبدع الحكيم ، ونسقيكم من بعض ما فى بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبنا صافيا لذيذا سهل التناول للشاربين(٢) .

٦٧ - ومن ثمرات النخيل والأعناب التى أنعمنا بها عليكم ومكناكم منها تتخذون عصيرا مسكرا غير حسن ، وطعاما طيبا حسنا ، ان فى ذلك لعلامة دالة على القدرة والرحمة لقوم ينتفعون بعقولهم .

٦٨ - وألهم ربك ، أيها النبى ، النحل أسباب حياتها ، ووسائل معيشتها ، بأن تتخذ من الجبال بيوتا فى كهوفها ، ومن فجوات الشجر ، ومن عرائش المنازل والكروم بيوتا كذلك .

---

(١) ينزل الماء من السماء إلى الأرض ليذيب عناصرها التى تمتصها النباتات وتتحول إلى خلايا حية وأنسجة .

(٢) توجد فى ضروع الماشية غدد خاصة لإفراز اللبن تمدها الأوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم ، والكيلوز ، وهو خلاصة الغذاء المهضوم ، وكلاهما غير مستساغ طعما ، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين : الدم والكيلوز ، وتفرز عليها عصارات خاصة تحيلها إلى لبن يختلف فى لونه ومذاقه اختلافا تاما عن كل منها .

لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

---

٦٩ - ثم هداها ، سبحانه ، للأكل من كل ثمرات الشجر والنبات ، وسهل لها أن تسلك لذلك طرقا هيأها لها ربها مذللة سهلة ، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود صانع قادر حكيم ، ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم بالتأمل فيفوزون بالسعادة الدائمة(١).

٧٠ - والله خلقكم ، وقدر لكم آجالا مختلفة ، منكم من يتوفاه مبكرا . ومنكم من يبلغ أرذل العمر فيرجع بذلك إلى حال الضعف ، إذ تأخذ حيويته فى الضعف التدريجى ، فيقل نشاط الخلايا وتهن العظام والعضلات والأعصاب فتكون عاقبته أن يفقد كل ما عليه ! . ان الله عليم بأسرار خلقه ، قادر على تنفيذ ما يريده .

٧١ - والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . فجعل رزق السيد المالك أفضل من رزق مملوكه ، فما الذين كثر رزقهم من السادة بمعطين نصف رزقهم لعبيدهم المملوكين لهم ، حتى يصيروا مشاركين لهم فى الرزق على حد المساواة ! . وإذا كان هؤلاء الكفار لا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فى الرزق الذى جاء من عند الله ، مع أنهم بشر مثلهم ، فكيف يرضون أن يشركوا مع الله بعض مخلوقاته فيما لا يليق إلا به تعالى ، وهو استحقاق العبادة ؟ فهل تستمر بعد كل هذا بصائر هؤلاء المشركين مطموسة ، فيجحدوا نعمة الله عليهم بإشراكهم معه غيره .

٧٢ - والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء بنين ، ورزقكم ما أباحه لكم مما تطيب به نفوسكم أبعد ذلك يشرك به بعض الناس ، فيؤمنون بالباطل ، ويجحدون نعمة الله المشاهدة ، وهى التى تستحق منهم الشكر ، واخلاص العبادة لله (٢).

---

(١) يتركب عسل النحل من كمية كبيرة من الجلوكوز والفرفتوز وهو أسهل أنواع السكريات فى الهضم ، وثبت فى آخر الأبحاث الطبية أن الجلوكوز مفيد فى كثير من الأمراض ويعطى بطريق الحقن والفم والشرج ، بصفته مقويا ، ويعطى ضد التسمم فى مختلف المعادن وضد التسمم الناشىء من أمراض الأعضاء ، مثل التسمم البولى والصفراء ، وغيرهما ، كما ثبت أنه يحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات خصوصا فيتامين ب المركب .

(٢) الزواج رابطة مقدسة ، وهو أصل الأسرة التى هى نواة الأمة والمجتمع ، والزواج ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت فى الإنسان كما أودعت فى غيره من أنواع الحيوان ، ولولا الزواج الذى هو تنظيم مقدرة الفطرة المشتركة بين الإنسان والحيوان لتساوى الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان فى سبيل تلبية الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع ، وعندئذ لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذى سواه الله وأودع فيه العقل والفكر وفضله على كثير من خلقه واستخلفه الأرض . =

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ

---

٧٣ - ويعبدون غير الله من الأوثان وهى لا تملك أن ترزقهم رزقا - أى رزق - ولو قليلا سواء كان هذا الرزق آتيا من جهة السماء كالماء أم خارجا من الأرض كثمر الأشجار والنبات ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل شيئا من ذلك ولا أقل منه!

٧٤ - وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم، فلا تذكروا لله تعالى أشباها، وتبرروا عبادتها بأقيسة فاسدة، وتشبيهات غير صحيحة، تعبدونها معه! ان الله يعلم فساد ما تعملون، وسيجازيكم عليه، وأنتم فى غفلة لا تعلمون سوء مصيركم!

٧٥ - جعل الله مثلا يوضح فساد ما عليه المشركون، هو عبد مملوك لا يقدر على فعل شىء، وحر رزقه الله رزقا طيبا حلالا، فهو يتصرف فيه، وينفق منه فى السر والجهر! هل يستوى العبيد الذين لا يقدرون على شىء، والأحرار الذين يملكون ويتصرفون فيما يملكون؟ ان الله مالك كل شىء، فهو يتصرف فى ملكوته كما يريد، وغيره لا يملك أى شىء فلا يستحق أن يعبد ويحمد، الثناء كله حق لله وحده، والتنزيه له وحده، وله العلو وحده، لأن كل خير صدر عنه، وكل جميل مرده إليه، ولا يفعل هؤلاء ما يفعلون عن علم، وإنما يفعلون ما يفعلون تقليدا لرؤسائهم، بل أكثرهم لا يعلمون، فيضيفون نعمه إلى غيره، ويعبدونه من دونه!

٧٦ - وجعل الله مثلا آخر هو رجلان: أحدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم غيره: كل على من يلى أمره، إذا وجهه سيده إلى جهة ما لايرجع بفائدة. هل يستوى هذا الرجل مع رجل فصيح قوى السمع. يأمر بالحق والعدل، وهو فى نفسه على طريق قويم لا عوج فيه؟ ان ذلك الأخرس الذى لا يسمع ولا يتكلم ولا يفهم ولا يفهم، هو مثل الأصنام التى عبدوها من دون الله، فإنها لاتسمع ولاتنطق ولاتنفع، فلا يمكن أن تستوى مع السميع العليم الداعى إلى الخير والحق، وإلى الطريق المستقيم.

= وإذا كان الوضع الإلهى للإنسان فى هذه الحياة يقضى بتنظيم الفطرة الخاصة بالزواج سموا به عن فوضى الحيوان، فإن الإنسان من جهة أخرى مطبوع على حب البقاء، وإذا كان لا سبيل له إلى بقائه بذاته وهو يؤمن بذلك من صنع الله فى آبائه وأجداده وسائر الأحياء فإنه يرى أن سبيله إلى البقاء إنما هو فى نسله المعروف، إليه يراه امتدادا لبقائه واستمرارا وخلودا.

ولعل من أوضح ما يملأ فطرته به قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات).

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ

---

٧٧ - ولله وحده علم ما غاب عن العباد فى السموات والأرض ، وما أمر مجىء يوم القيامة ، وبعث الناس فيه ، عند الله فى السرعة والسهولة ، إلا كرد طرف العين بعد فتحها ! بل هو أقرب سرعة من ذلك . ان الله عظيم القدرة لا يعجزه أى شىء .

٧٨ - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تدركون شيئا مما يحيط بكم ، جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وسائل للعلم والادراك ، لتؤمنوا به عن طريق العلم ، وتشكروه على ما تفضل به عليكم[١] .

٧٩ - ألم ينظر المشركون إلى الطير مذللات للطيران فى الهواء إلى السماء بما زودها الله به من أجنحة أوسع من جسمها تبسطها وتقبضها ، وسخر الهواء لها ، فما يمسكهن فى الجو إلا الله بالنظام الذى خلقها عليه ؟ ان فى النظر إليها والاعتبار بحكمة الله فى خلقها ، لدلالة عظيمة ينتفع بها المستعدون للايمان[٢] .

٨٠ - والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على انشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن ، وجعل لكم من جلود الابل والبقر والغنم وغيرها أخبية تسكنون فيها وتنقلونها فى حلكم وترحالكم ، وجعلكم تتخذون من صوفها وشعرها ووبرها فرشا تتمتعون بها فى هذه الدنيا إلى حين آجالكم .

---

(١) اثبت الطب الحديث أن حاسة السمع تبدأ مبكرة جدا فى حياة الطفل فى الأسابيع القليلة الأولى ، أما البصر فيبدأ فى الشهر الثالث ، ولا يتم تركيز الإبصار إلا بعد الشهر السادس ، أما الفؤاد وهو الإدراك والتمييز ، فلا يتم إلا بعد ذلك . وهكذا فالترتيب الذى جاءت به آيات القرآن الكريم هو ترتيب ممارسة هذه الحواس .

(٢) الطيور تطير لعدة أشياء فى تكوينها : أهمها شكل الجسم الانسيابى ، والبسطة فى الأجنحة المزودة بالريش ، والعظام الجوفة الخفيفة ، والأكياس الهوائية بين الأحشاء ، وهى متعلقة بالرئتين ، وتمتلىء بالهواء عند الطيران فيخف وزن الجسم .

يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى

---

٨١ ـ والله جعل لكم من الأشجار التى خلقها وغيرها ظلالا تقيكم شر الحر، وجعل لكم من الجبال كهوفا ومغارات تسكنون فيها كالبيوت، وجعل لكم ثيابا من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تصونكم من حرارة الشمس، ودروعا من الحديد تصونكم من قسوة حروب أعدائكم، كما جعل لكم هذه الأشياء، يتم عليكم نعمته بالدين القيم، لتنقادوا لأمره وتخلصوا عبادتكم له دون غيره!

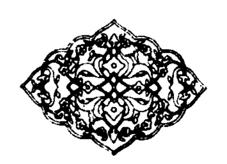
٨٢ ـ فإن أعرض عنك أيها النبى الذين تدعوهم إلى الاسلام، فلا تبعة عليك فى اعراضهم، فليس عليك إلا التبليغ الواضح، وقد فعلت..

٨٣ ـ ان اعراض هؤلاء الكفار ليس لأنهم يجهلون أن الله سبحانه هو مصدر كل النعم عليهم ولكنهم يعملون عمل من ينكرها حيث لم يشكروه عليها، وأكثرهم جد على تقليد الآباء فى الكفر بالله، حتى كان أكثرهم هم الجاحدون.

٨٤ ـ وحذر أيها النبى كل كافر بربه مما سيحصل، يوم نبعث من كل أمة نبيا ليشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها، وإذا أراد الكافر منهم أن يعتذر لا يؤذن له فى الاعتذار، ولا يوجد لهم شفيع يمهد لشفاعته، بأن يطلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم، لأن الآخرة ليست دار توبة.

٨٥ ـ وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم، وطلبوا أن يخففه الله عنهم، لا يجاب لهم طلب، ولا يؤخرون عن دخول جهنم لحظة.

٨٦ ـ وإذا رأى الذين أشركوا آلهتهم التى عبدوها وزعموا أنها شركاء لله قالوا: يا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مخطئين، فخفف عنا العذاب بالقاء بعضه عليهم، فيجيبهم شركاؤهم قائلين: انكم أيها المشركون لكاذبون فى دعواكم اننا شركاء، وأنكم عبدتمونا، إنما عبدتم أهواءكم ولسنا كما زعمتم شركاء.



ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن

---

٨٧ - حينئذ استسلم المشركون لله ، وخضعوا لقضائه ، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من أن معبوداتهم تشفع لهم ، وتدفع العذاب عنهم .

٨٨ - الذين كفروا ومنعوا غيرهم عن طريق الله ، وهو طريق الخير والحق ، زدناهم عذابا فوق العذاب الذى استحقوه بالكفر ، بسبب ما كانوا يتعمدونه من الافساد واضلال العباد .

٨٩ - وحذر أيها النبى ، كفار قومك مما سيحصل يوم نحضر من كل أمة شهيدا عليها ، هو نبيها الذى يكون بين أبنائها ، ليكون ذلك أقطع لعذرها ، ونجىء بك أيها النبى شهيدا على هؤلاء الذين كذبوك ، وعليهم أن يعتبروا من الآن قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شىء من الحق ، وفيه الهداية وفيه الرحمة والبشرى بالنعيم ، للذين يذعنون له ويؤمنون به .

٩٠ - ان الله يأمر عباده بأن يعدلوا فى أقوالهم وأفعالهم ، ويقصدوا إلى الأحسن من كل الأمور فيفضلوه على غيره ، كما يأمر بإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه لدعم روابط المحبة بين الأسر ، وينهى عن فعل كل خطيئة ، خصوصا الذنوب المفرطة فى القبح ، وكل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة ، كما ينهى عن الاعتداء على الغير ، والله سبحانه بهذا يذكركم ويوجهكم إلى الصالح من أموركم ؛ لعلكم تتذكرون فضله فى حسن توجيهكم ، فتمتثلوا كلامه .

٩١ - وأوفوا بالعهود التى تقطعونها على أنفسكم ، مشهدين الله على الوفاء بها ، مادام الوفاء متسقا مع ما شرعه الله ، ولا تنقضوا الأيمان بالحنث فيها ، بعد تأكيدها بذكر الله ، وبالعزم أو بالتصميم عليها ، وقد راعيتم فى عهودكم وحلفكم أن الله يكفل وفاءكم ، وأن الله رقيب ومطلع عليكم ، فكونوا عند عهودكم وأيمانكم ، لأن الله سبحانه يعلم ما يكون منكم من وفاء وخلف وبر وحنث ، فيجازيكم على ماتفعلون .

تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ

٩٢ - ولا تكونوا فى الحنث فى أيمانكم بعد توكيدها مثل المرأة المجنونة التى تغزل الصوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنقضه وتتركه محلولا ، متخذين أيمانكم وسيلة للتغرير والخداع لغيركم ، مع أنكم مصرون على الغدر بهم ، لأنكم أكثر وأقوى منهم ، أو تنوون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم ، أو لترجوا زيادة القوة بالغدر وإنما يختبركم الله ، فإن آثرتم الوفاء كان لكم الغنم فى الدنيا والآخرة ، وان اتجهتم إلى الغدر كان الخسران . . وليبين لكم يوم القيامة حقيقة ما كنتم تختلفون عليه فى الدنيا ، ويجازيكم حسب أعمالكم[1] .

٩٣ - ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة فى الجنس واللون والايمان ليس بينها تخالف ، وذلك بخلقكم خلقا آخر ، كالملائكة لا اختيار لها ، ولكن شاء الله أن تختلفوا فى الأجناس والألوان ، وأن يجعل لكم اختيارا ، فمن اختار شهوات الدنيا وآثرها على رضا الله تركه وما يريد ، ومن أراد رضا الله بالعمل الصالح سهل له ما أراد . وتأكدوا بعد ذلك أنكم ستسألون جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا ، وتجازون حسب أعمالكم .

---

(١) هاتان الآيتان تدلان على أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم مع العدالة الوفاء بالعهد وأن العلاقات الدولية لا تنظم إلا بالوفاء بالعهد وأن الدول الإسلامية إذا عقدت عهدا فإنما تعقده باسم الله فهو يتضمن يمين الله وكفالته ، وتدل الآية على ثلاثة معان لو نفذتها الدول لساد السلم .

أولها : أنه لا يصح أن تكون المعاهدات سبيلا للخديعة وإلا كانت غشا ، والغش غير جائز فى العلاقات الإنسانية سواء كانت علاقات آحاد أم علاقات جماعات ودول .

ثانيها : أن الوفاء بالعهد قوة فى ذاته وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بناه من أسباب القوة فيكون كالحمقاء التى تفك غزلها بعد تقويته وتوثيقه .

ثالثهما : أنه لا يصح أن يكون الباعث على نكث العهد الرغبة فى القوة أو الزيادة فى رقعة الأرض أو نحو ذلك .

عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ

---

٩٤ - ولا تسلكوا سبيل الغدر، فتتخذوا الأيمان سبيلا للتغرير والخديعة، فإنه بسبب ذلك تزل الأقدام فتبتعدوا عن المحجة المستقيمة ويكون فى ذلك اعراض عن سبيل الله فى الوفاء، وتكونون قدوة سيئة فى الغدر، ويرى الناس فيكم صورة مشوهة للاسلام، فيعرضون عنه، وينزل السوء بكم فى الدنيا لعدم الثقة فيكم بسبب صدكم عن طريق الحق، وينزل بكم عذاب مؤلم شديد الإيلام.

٩٥ - ولا تستبدلوا بالوفاء بالعهود المؤكدة متاع الدنيا، فهو قليل مهما كان كثيرا، لأن ما عند الله، من جزاء المحافظين على العهد فى الدنيا، ومن نعيم الآخرة الدائم، خير لكم من كل ما يغريكم بنقض العهود، فتدبروا ذلك وافهموه ان كنتم من أهل العلم والتمييز بين الصالح وغير الصالح، ولا تفعلوا إلا ما فيه صلاح لكم فى دنياكم وأخراكم.

٩٦ - فإن ما عندكم أيها الناس من نعيم ينفد وينتهى مهما طال زمنه، وما عند الله من نعيم الآخرة خالد لا ينقطع، ولنكافئن الذين صبروا على مشاق التكاليف بما وعدناهم به. من حسن الثواب المضاعف على أعمالهم، ينعمون به نعيما دائما فى الآخرة.

٩٧ - ان من عمل عملا صالحا فى هذه الدنيا، سواء أكان ذكرا أم أنثى، مندفعا إلى هذا العمل الصالح بقوة الايمان، بكل ما يجب الايمان به، فإننا لابد أن نحييه فى هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنغيص فيها، تغمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا والشكر على نعم الله فيها، وفى الآخرة لابد أن نجزى هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على أعمالهم فى الدنيا.

٩٨ - وان الذى يحمى النفس من نزعات الهوى هو القرآن، فإذا تدبرت هذا أيها المؤمن وأردت أن تحيا بعيدا عن تلاعب الشيطان، وتفوز بطيب الحياة فى الدارين، فانى أرشدك إلى أمر يعينك على هذا، وهو قراءة القرآن، وإذا أردت قراءة القرآن، فاستفتح قراءته بالدعاء الخالص إلى الله أن يمنع عنك وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله، الذى يطيب له أن يغرر بالناس ويوقعهم فى عصيان الله.

٩٩ - فإنك ان فعلت هذا مخلصا لله، حماك الله منه، وبعدت عنك وساوسه، لأنه ليس له تأثير على الذين عمرت قلوبهم بالإيمان بالله، واستمداد العون منه وحده، والاعتماد عليه.

عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا

---

١٠٠ - إنما تأثيره وخطره على الذين خلت قلوبهم من التعلق بالله وحبه فلم يكن لهم عاصم من تأثيره ، فانقادوا له كما ينقاد الصديق لصديقه ، حتى أوقعهم فى أن يشركوا بالله فى العبادة آلهة لا تضر ولا تنفع .

١٠١ - وإذا جعلنا معجزة لك بدل معجزة مساوية لنبى سابق ، فجئناك بالقرآن معجزة ، رموك بالافتراء والكذب على الله . والله وحده هو العليم علما ليس فوقه علم بما ينزل على الأنبياء من معجزات ، ولكن أكثرهم ليسوا من أهل العلم والمعرفة الصادقة .

١٠٢ - قل لهم مبينا منزلة معجزتك أيها النبى ، ان القرآن قد نزل على من ربى مع جبريل الروح الطاهر ، مقترنا بالحق ، مشتملا عليه ، ليثبت به قلوب المؤمنين ، وليكون هاديا الناس إلى الصواب ومبشرا بالنعيم كل المسلمين .

١٠٣ - اننا لنعلم ما يقوله كفار مكة : انه لا يعلم محمدا هذا القرآن إلا رجل من البشر نعرفه ، هو شاب رومى ، وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول ، قولهم هذا باطل ، لأن الشاب الذى يقولون عنه أنه يعلمك هذا التعليم أعجمى لا يحسن العربية ، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة ، إلى حد أنكم عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها . فكيف يصح بعد ذلك اتهامكم ؟ .

١٠٤ - ان الذين لا يذعنون لآيات الله التى عجزوا عن محاكاتها ، وأصروا مع عجزهم على كفرهم بها ، لا يهديهم الله ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم .

١٠٥ - إنما يجرؤ على افتراء الكذب على الله من لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم وحدهم البالغون فى الكذب نهايته . ولست أيها النبى من هؤلاء حتى يتهموك بما اتهموك به .

مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ

---

١٠٦ - ان الذين ينطقون بالكفر بعد الايمان ، عليهم غضب من الله ، إلا من أكره على النطق بكلمة الكفر ، وهو عامر القلب بالايمان ، فإنه ناج من غضب الله أما الذين تنشرح قلوبهم للكفر ، وتتجاوب مع قلوبهم ألسنتهم فأولئك عليهم غضب شديد من الله الذى أعد لهم عذابا عظيما فى الآخرة .

١٠٧ - وذلك الذى استحقوه من غضب الله وعذابه ، انما كان بسبب حبهم الشديد لنعيم الدنيا ومتاعها الزائل ، حتى صرفهم هذا الحب عن الحق ، وأعماهم عن الخير ، فتركهم الله وما يحبون من الكفر ، لأنه قد جرت سنته فى خلقه بترك أمثال هؤلاء ، وعدم هدايتهم لفسادهم ، وتماديهم فى الباطل .

١٠٨ - هؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فصارت لا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم فلم يعودوا يسمعون سماع فهم وتدبر ، كأنهم صم ، وعلى أبصارهم فلا ترى ما فى الكون أمامهم من عبر ودلالات ، وأولئك هم الغارقون فى الغفلة عن الحق ، فلا خير فيهم إلا إذا أزالوا الغفلة عن عقولهم .

١٠٩ - وهؤلاء لاشك أنهم وحدهم هم الخاسرون لكل خير فى الآخرة .

١١٠ - ثم اعلم أيها النبى أن ربك معين وناصر للذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم من الضغط ، وبأنفسهم من عذاب المشركين ، ثم جاهدوا بما يملكون الجهاد به من قول أو فعل ، وصبروا على مشاق التكاليف ، وعلى مايلاقونه فى سبيل دينهم ، ان ربك من بعد ما تحملوا ذلك لغفور لما حصل منهم ان تابوا ، رحيم بهم فلا يؤاخذهم على ما أكرهوا عليه .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟

---

١١١ ـ اذكر لقومك أيها النبى ، محذرا اياهم ، يوما يأتى فيه كل انسان لا يهمه إلا الدفاع عن نفسه ، لا يشغله عنها والد ولا ولد ، وهو يوم القيامة ، ويوفى الله فيه كل نفس جزاء ما كسبت من أعمال ، خيرا كانت أم شرا ، ولايظلم ربك أحدا .

١١٢ ـ وجعل الله سبحانه لأهل مكة مثلا يعتبرون به هو قصة قرية من القرى ، كان أهلها فى أمن من العدو ، وطمأنينة من ضيق العيش ، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان ، فجحدوا نعم الله عليهم ، ولم يشكروه بطاعته وامتثال أمره ، فعاقبهم الله بالمصائب التى أحاطت بهم من كل جانب ، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن ، وذلك بسبب تماديهم فى الكفر والمعاصى .

١١٣ ـ ولقد جاءهم رسول منهم ، فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك ، ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا ، فأخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم ، وبسبب هذا الظلم .

١١٤ ـ إذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبدلها بؤسا ، فاتجهوا أيها المؤمنون إلى الشكر ، وكلوا مما رزقكم الله وجعله حلالا طيبا لكم ولا تحرموه على أنفسكم ، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته وحده ان كنتم تخصونه حقا بالعبادة .

١١٥ ـ فإن الله لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة ، والدم الذى ينزل من الحيوان عند ذبحه ، ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله ، فمن ألجأته ضرورة الجوع إلى تناول شىء مما حرمه الله عليكم ، غير طالب له ، ولا يتجاوز فى أكله حد ازالة الضرورة ، فإن الله لا يؤاخذه على ذلك ، لأنه سبحانه غفور لعباده يغفر لهم ما يقعون فيه من أخطاء لا يصرون عليها ، رحيم بهم حين منعهم مما يضرهم ، وأباح لهم ما يحفظ حياتهم .

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ

---

١١٦ - وإذا كان الله قد بين حكم الحلال والحرام ، فالتزموا ما بين لكم ، ولا تجرءوا على التحليل والتحريم انطلاقا وراء ألسنتكم ، فتقولوا : هذا حلال ، وهذا حرام ، فتكون عاقبة قولكم هذا أنكم تفترون على الله الكذب ، وتنسبون إليه ما لم يقله ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بخير ولا فلاح .

١١٧ - وإذا كانوا يجرون بذلك وراء شهواتهم ومنافعهم الدنيوية ، فإن تمتعهم بها قليل زائل ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد .

١١٨ - ولم تحرم إلا على اليهود وحدهم ما قصصناه عليك أيها النبى من قبل نزول هذه الآيات ، وهو كل ذى ظفر ، وشحوم البقر والغنم ، الا ما حملت ظهورها ، أو الحوايا أو ما اختلط بالعظام . وما ظلمناهم بهذا التحريم ، ولكنهم الذين ظلموا أنفسهم ، لتسببهم فيه بسبب تماديهم وشرهم وعدم وقوفهم عند الحلال .

١١٩ - ثم ان الذين عملوا السوء تحت تأثير طيش وغفلة عن تدبر العواقب ، ثم تابوا من ذلك الذنب ، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم ، فإن ربك أيها النبى يغفر لهم ذنوبهم ، لأنه سبحانه بعد هذه التوبة كثير التجاوز عن السيئات ، واسع الرحمة بالعباد .

١٢٠ - ان ابراهيم الذى تفخرون أيها المشركون أنتم واليهود كان جامعا لكل الفضائل ، بعيدا عما أنتم عليه من باطل ، خاضعا لأمر ربه ولم يكن مثلكم مشركا به .

١٢١ - وكان شاكرا لنعم ربه عليه ، ولهذا كله اختاره الله لحمل رسالته ، ووفقه لسلوك طريق الحق المستقيم الموصل للنعيم الدائم .

١٢٢ - وجعلنا له فى الدنيا ذكرا حسنا على كل لسان ، وسيكون قطعا فى الآخرة فى زمرة الصالحين المنعمين بجنات الله ورضوانه .

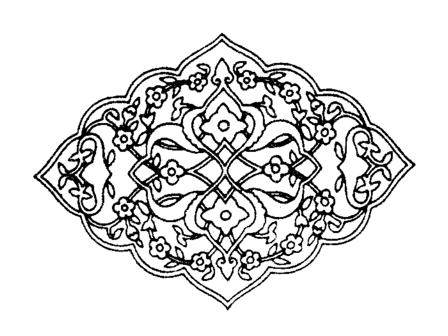
ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

---

١٢٣ ـ ثم أوحينا إليك ـ أيها النبى ـ بعد ابراهيم بقرون عديدة ، وأمرناك باتباع ابراهيم فيما دعا إليه من التوحيد والفضائل والبعد عن الأديان الباطلة ، فإنه لم يكن من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون .

١٢٤ ـ وليس تعظيم يوم الجمعة ، وترك تعظيم يوم السبت فى الاسلام ، مخالفا لما كان عليه ابراهيم كما يدعى اليهود ، فإن تحريم الصيد يوم السبت احتراما له لم يكن من شريعة ابراهيم ، وانما فرض على اليهود فقط ، ومع ذلك لم يحترموه ، بل خرج بعضهم على هذا التعظيم ، وخالفوا أمر ربهم فكيف يعيبون على غيرهم ممن لم يكلف بتعظيمه عدم تعظيمه ، مع أنهم وهم المكلفون بذلك خرجوا عليه ؟ وتأكد أيها النبى أن ربك سيقضى بينهم يوم القيامة فى الأمور التى اختلفوا فيها ، ويجازى كلا منهم بعمله .

١٢٥ ـ أيها النبى : ادع إلى طريق الحق الذى شرعه ربك مع قومك ، واسلك فى دعوتهم الطريق الذى يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لقولهم ، وادع عوامهم منهم بما يناسبهم من ايراد المواعظ ، وضرب الأمثال التى توجههم إلى الحق ، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالمنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التى لا يشوبها عنف ولاسباب حتى تتمكن من اقناعهم واستمالتهم . هذا هو الطريق لدعوة الناس إلى الله على اختلاف ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، واترك أمرهم بعد ذلك إلى ربك الذى يعلم من غرق فى الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، ومن سلم طبعه فاهتدى وآمن بما جئتم به .



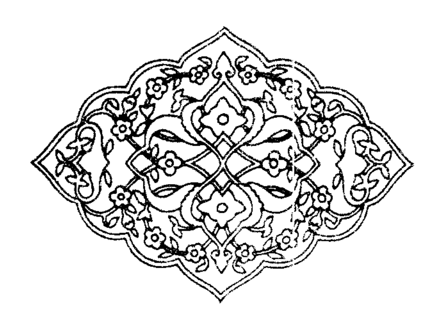
فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

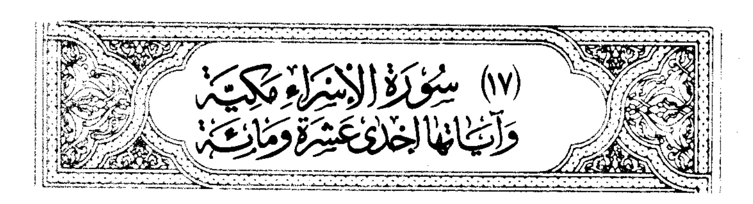
---

١٢٦ - وان أردتم عقاب من يعتدى عليكم أيها المسلمون ، فعاقبوه بمثل ما فعل بكم ، ولاتتجاوزوا هذا المثل ، وتأكدوا أنكم لو صبرتم ، ولم تقتصوا لأنفسكم ، لكان خيرا لكم فى الدنيا والآخرة ، فعاقبوا لأجل الحق ، ولا تعاقبوا لأجل أنفسكم .

١٢٧ - واصبر أنت - أيها النبى - فإن ذلك يسهل عليك كثيرا من مشقات الحياة ، ويعالج مشاكلها ، ولا تحزن على عدم استجابة قومك لدعوتك ، وايمانهم بك ، ولا يضيق صدرك من مكرهم وتدبيراتهم لخنق دعوتك ، فإنك لن يضرك شىء من فعلهم ، وقد أديت ما عليك واتقيت ربك .

١٢٨ - فإن ربك مع الذين اتقوا غضب الله باجتناب نواهيه ، وأحسنوا لله أعمالهم بالاقبال على طاعته ، يعينهم وينصرهم فى الدنيا ويجزيهم خير الجزاء فى الآخرة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى

تشتمل هذه السورة الكريمة على احدى عشرة آية ومائة ، وهى سورة مكية ماعدا الآيات ٢٦ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ومن آية ٧٣ إلى ٨٠ ، فمجموع الآيات المدنية اثنتا عشرة آية ، ابتدأت السورة بتسبيح الله تعالى ، ثم ذكرت الاسراء ، ثم رسالة موسى ، وما كان من بنى اسرائيل . ثم أشارت إلى منزلة القرآن الكريم فى الهداية ، وإلى الآيات الكونية فى الليل والنهار . وما يكون للناس يوم القيامة من جزاء على ما يقدمون من أعمال فى الدنيا . وبين سبحانه أسباب فساد الأمم ، وحال الأفراد فى مساعيهم ونتائج أعمالهم فى الآخرة ، وجاءت الآيات من بعد ذلك باكرام الوالدين ، وحال الناس بالنسبة لأموالهم ، وجاءت بأوامر عشرة فيها بناء المجتمع الفاضل ، ثم رد سبحانه مفتريات المشركين بالنسبة للملائكة ثم بين القرآن تصريفه فى الحجج .

ثم أشار سبحانه إلى ما يستحق من تحميد ، وإلى جحود المشركين ، وقدم سبحانه وصايا للمؤمنين ، وبين معاملته تعالى للكافرين فى الدنيا وفى الآخرة . ثم بين سبحانه أصل الخليقة الانسانية والشيطانية وهدد سبحانه المشركين بآياته ، وبين بعد هذا سبحانه الكرامة الانسانية ، وذكر سبحانه بعذاب يوم القيامة ثم ذكر محاولة المشركين لصرف النبى عن دعوته وتثبيت الله تعالى له وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك النبى بعدة وصايا هادية ، وأدعية ضارعة ، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى منزلة القرآن الكريم ، وتكلم سبحانه عن الروح وأشار إلى أسرارها ، ثم ذكر سبحانه اعجاز القرآن وعجز الجن والانس عن أن يأتوا بمثله ، وموقف الناس منه . وبين سبحانه قدرته على أن يأتى بآيات أخرى ، ثم بين منزلة القرآن فيما اشتمل عليه من الحق وحال المؤمنين الصادقين فى ايمانهم ، وما ينبغى من أن يحمدوا الله دائما ويكبروه .

١ - تنزيها لله عما لا يليق به ، وهو الذى سار بعبده محمدا فى جزء من الليل من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، الذى باركنا حوله لسكانه فى أقواتهم ، لنريه من أدلتنا ما فيه البرهان الكافى على وحدانيتنا وعظم قدرتنا ، ان الله وحده هو السميع البصير .

وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ

٢ - وان بيت المقدس كان يسكنه بنو اسرائيل من بعد موسى ، حتى أفسدوا فيه ، فشردوا منه من قبل ، مع أننا أعطينا موسى التوراة ، وجعلنا فيها هداية لهم ، وقلنا لهم لا تتخذوا غير الله من تفوضون إليه أموركم .

٣ - أنتم أيها الاسرائيليون ذرية المخلصين الذين كانوا مع نوح فى الفلك بعد ايمانهم ونجيناهم من الغرق . اجعلوا نوحا قدوتكم كما جعله أسلافكم ، فإنه كان عبدا كثير الشكر لله على نعمته .

٤ - وأنفذنا بقضائنا إلى بنى اسرائيل فيما كتبناه فى اللوح المكنون أنهم يفسدون فى بيت المقدس لا محالة مرتين ، فى كل مرة منها كان الظلم والطغيان ، وترك أحكام التوراة ، وقتل النبيين ، والتعاون على الاثم . وأنه ليبسط سلطانكم وتعلون مستكبرين ظالمين .

٥ - فإذا جاء وقت عقاب أولاهما سلطنا عليكم ، بسبب افسادكم عبادا لنا أصحاب بطش شديد ، فأخذوا يسيرون فى داخل الديار ، لم يتركوا جزءا منها ، ليقتلوكم . وكان وعد العقاب وعدا لابد أن يكون .

٦ - ثم لما استقام أمركم ، واهتديتم ، وجمعتم شملكم ، ورجعتم عن الفساد ، رددنا لكم الغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ورزقناكم أموالا وبنين ، وجعلناكم أكثر مما كنتم عددا .

٧ - وقلنا لهم : ان أحسنتم فأطعتم الله ، كان احسانكم لأنفسكم فى الدنيا والآخرة ، وان أسأتم بالعصيان ، فإلى أنفسكم تسيئون . فإذا جاء وقت عقاب المرة الآخرة من مرتى افسادكم فى الأرض ، بعثنا عليكم أعداءكم ، ليجعلوا آثار المساءة والذلة والكآبة بادية على وجوهكم ، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس ، فيخربوه كما دخلوه وخربوه أول مرة ، وليهلكوا ما غلبوا عليه اهلاكا شديدا .

وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ

---

٨ - عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية ، ان تبتم ، وان عدتم إلى الفساد عدنا إلى العقوبة ، وجعلنا جهنم للكافرين سجنا ومحبسا .

٩ - ان هذا القرآن يرشد الناس للسبيل التى هى أقوم السبل وأسلمها . فى الوصول إلى السعادة الحقيقية فى الدنيا ، ويبشر المؤمنين بالله ورسوله ، الذين يذعنون للحق ويعملون الأعمال الصالحات ، بالأجر العظيم يوم القيامة .

١٠ - وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعددنا لهم فى جهنم عذابا شديد الألم .

١١ - وأن فى طبع الانسان تعجلا فى الحكم على ما يقع من الناس ، وفى أقواله وأفعاله ، فهو يسارع بالدعوة إلى الشر مسارعته فى الدعوة إلى الخير ، ويسارع فى دعاء الله تعالى بأن ينزل الشر على من يبادر بالغضب عليه مسارعته بالدعاء له بالخير .

١٢ - وجعلنا الليل والنهار بهيئاتها وتعاقبهما علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا فأزلنا من الليل الضوء فلا يستبان فيه شىء ، وكانت علامته ظلاما لا ترى فيه الشمس ، تلك العلامة الكبرى ، وجعلنا النهار مبصرا ، وترى فيه الشمس الآية الكبرى للتتجهوا فى ضوء النهار إلى التصرف فى معاشكم ، ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين وحساب الأشهر والأيام وكل شىء لكم فيه مصلحة بيناه لكم بيانا واضحا ، لتقوم عليكم الحجة بعد تمام النعمة .

١٣ - وألزمنا كل انسان عمله لزوم القلادة للعنق ، ونخرج له يوم القيامة كتابا فيه أعماله ، يلقاه مفتوحا ، ليسرع فى قراءته .

١٤ - ويقال له : اقرأ بقدرة الله - ولو لم يكن فى الدنيا قارئا - كتاب أعمالك تكفيك نفسك اليوم حاسبة ومحصية عليك عملك .

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

---

١٥ - من اتبع طريق الحق فإنما ينفع نفسه، ومن حاد عنه فإنما اثم ضلاله على نفسه، ولا تتحمل نفس مذنبة فوق ذنبها ذنب نفس أخرى، وما صح لنا أن نعذب أحدا على فعل شىء قبل أن نبعث إليه رسولا من لدنا يهدى إلى الحق ويردع عن الباطل.

١٦ - وإذا قدرنا فى اللوح المحفوظ أهلاك اهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا، سلطنا المترفين فيها فأفسدوا فيها، وخرجوا عن جادة الحق، واتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا، وبذلك يحق عليها كلها العقاب، فندمرها تدميرا شديدا.

١٧ - وكثيرا من أهل القرون من بعد نوح أهلكناهم بتمردهم على أنبيائهم، ويكفيك بيان ربك واعلامه، لأنه العالم بكل شىء علما دقيقا كعلم من يبصر، وهو الخبير بذنوب عباده البصير بها، فلا يخفى عليه أفعال أحد من العباد وسيجازيهم بما يستحقون.

١٨ - من كان يطلب متاع الدنيا العاجلة ويعمل له، متخذا الأسباب، ولا يوقن بميعاد، ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة، عجلنا له فى الدنيا ما نشاء تعجيله من البسط والسعة، وكان هذا لمن نريد التعجيل له، ثم أعددنا له فى الآخرة جهنم يقاسى حرها وهو مذموم بما قدم، هالك مطرود من رحمة الله.

١٩ - ومن أراد بعمله الآخرة، ولها عمل، وهو مصدق بالله وجزائه، فأولئك كان عملهم مقبولا عند الله ينالون الثواب عليه.

٢٠ - وانا نمد كلا الفريقين إذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك فى الدنيا، وما كان عطاء ربك فيها ممنوعا من أحد، مؤمنا كان أو كافرا، ما داموا قد اتخذوا الأسباب.

عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

---

٢١ - انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعض عبادنا على بعض ، فى المال والحياة والسعة ، إذا اتخذوا أسباب ذلك فى الدنيا ، لحكمة نعلمها وأن تفاوتهم فى الدار الآخرة أكبر درجات من تفاوتهم فى الدنيا ، فينبغى الاعتناء بها ، فالآخرة هى التى تكون فيها الرفعة الحقيقية والتفاضل الحقيق .

٢٢ - لا تجعل أيها المكلف مع الله شريكا ، فتصير موصوما بالاهانة ، ويكون الخذلان مكتوبا عليك .

٢٣ - وحكم ربك بألا تعبدوا إلا اياه ، وبأن تبروا الوالدين برا تاما ، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عندك أيها المخاطب حال الضعف وصارا فى آخر العمر ، فلا تتأفف لما يصدر منهما بصوت يدل على الضجر ، ولا تزجرهما ، وقل لهما قولا جميلا لينا فيه احسان وتكريم لهما .

٢٤ - وألن لهما جانبك وتواضع لهما وكن شفيقا عليهما ، وقل فى شأنهما : رب ارحمهما كما رحمانى حين ربيانى صغيرا .

٢٥ - ربكم أيها الناس أعلم منكم بما فى ضمائركم ، ويحاسبكم عليه بالثواب أو العقاب فإن تكونوا قاصدين الصلاح فاعلين له ، ثم كانت منكم هفوة ، ثم أنبتم إلى الله ، فإن الله سبحانه يغفر لكم ، لأنه دائم المغفرة للراجعين إليه .

٢٦ - وأعط ذا القربى حقه من البر والصلة ، وذا الحاجة المسكين ، والمسافر الذى انقطع عن ماله ، حقهما من الزكاة والصدقة ، ولا تبعثر مالك فى غير المصلحة تبذيرا كثيرا .

٢٧ - لأن المبذرين كانوا قرناء الشياطين ، يقبلون وسوستهم حين يسخرونهم للفساد والانفاق فى الباطل ، ودأب الشيطان أنه يكفر بنعمة ربه دائما ، وصاحبه مثله .

٢٨ - وان أرغمتك أحوالك المالية على الاعراض عن هؤلاء المذكورين ، فلم تعطهم لعدم وجود ما تعطيهم فى الحال ، مع رجاء أن يفتح الله عليك به ، فقل لهم قولا حسنا يؤملهم فيك .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

---

٢٩ ـ ولا تمسك يدك عن الانفاق فى الخير، وتجعلها كأنها مربوطة فى عنقك بغل من الحديد لا تقدر على مدها، ولا تبسطها كل البسط بالاسراف فى الانفاق، فتصير مذموما على الامساك نادما أو منقطعا لا شىء عندك، بسبب التبذير والاسراف.

٣٠ ـ ان ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، لأنه خبير بطبائعهم بصير بحوائجهم، فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب.

٣١ ـ وإذا كان أمر الأرزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع، لأنا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم، ان قتلهم كان اثما عظيما.

٣٢ ـ ولا تقربوا الزنى، بمباشرة أسبابه ودواعيه، لأنه رذيلة واضحة القبح، وبئس طريقا طريقه.

٣٣ ـ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا قتلا يكون للحق، بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصا أو عقوبة، ومن قتل مظلوما، فقد جعلنا لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص من القاضى، فلا يجاوز الحد فى القتل، بأن يقتل غير القاتل، أو يقتل اثنين بواحد، فإن الله نصره وأوجب له القصاص أو الدية، فلا يصح أن يتجاوز الحد.

٣٤ ـ ولا تتصرفوا فى مال اليتيم الا بالطريقة التى هى أحسن الطرق لتنميته وتثميره، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده، وإذا بلغ فسلموه له، وحافظوا على كل عهد التزمتموه، فإن الله سيسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليه.

٣٥ ـ وأوفوا الكيل إذا كلتم للمشترى، وزنوا له بالميزان العدل، فإن ايفاء الكيل والوزن خير لكم فى الدنيا، لأنه يرغب الناس فى معاملتكم، وأجمل عاقبة فى الآخرة.

عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ

---

٣٦ ـ ولا تتبع أيها المرء مالا علم لك به من قول أو فعل ، فلا تقل : سمعت ، وأنت لم تسمع ، أو علمت ، وأنت لم تعلم ، فإن نعم السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة .

٣٧ ـ ولا تمش فى الأرض متكبرا مختالا ، فإنك مهما فعلت فلن تخرق الأرض بشدة وطأتك ، ولن تبلغ مهما تطاولت أن تحاذى بطولك قمم الجبال .

٣٨ ـ كل ذلك المذكور من الوصايا ، كان القبيح منه من المنهيات مكروها مبغوضا عند ربك .

٣٩ ـ وهو مما أوحاه إليك ربك من معرفة الحق بذاته ، والخير للعمل به ، ولا تجعل مع الله إلها غيره فتلقى فى جهنم ملوما عند نفسك وعند غيرك هالكا مطرودا من رحمة ربك .

٤٠ ـ أنكر سبحانه على من قالوا : الملائكة بنات الله ، فقال : أفضلكم ربكم على نفسه ، فخصكم بأقوى الأولاد ، وهم البنون ، واتخذ هو لنفسه من الملائكة بنات بزعمكم ، انكم فى قولكم هذا تفترون بهتانا عظيما .

٤١ ـ لقد بينا فى هذا القرآن أحسن بيان ضروبا من الأمثال والمواعظ والأحكام ، ليتعظ هؤلاء المشركون ، ولكنهم لتحجر قلوبهم لا يزيدهم ذلك التبيين إلا شرودا عن الحق .

٤٢ ـ قل أيها النبى ، اظهارا لابطال زعمهم الشركاء لله : لو كان مع الله آلهة فى الوجود كما يقولون ، لطلب هؤلاء الآلهة طريقا يصلون منه إلى صاحب الملك المطلق لينازعوه عليه .

٤٣ ـ تنزه الله تنزها لائقا به ، وتعالى جل شأنه عما يزعمون من أنه معه آلهة .

وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

---

٤٤ - ان السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المخلوقات ، تنزهه وتقدسه ، وتدل باتقان صنعها على كمال ملك الله وتنزيهه سبحانه عن كل نقص وأنه لا شريك له من شىء من المخلوقات فى ملكه الواسع الا ينزهه كذلك مع الثناء عليه ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة لاستيلاء الغفلة على قلوبهم ، وكان الله حليما عليهم ، غفورا لمن تاب فلم يعاجلهم بالعقوبة .

٤٥ - وإذا قرأت أيها النبى القرآن الناطق بدلائل الحق ، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء ، حين ارادة الفتك بك ، حجابا ساترا لك عنهم ، فلا يرونك .

٤٦ - وجعلنا بمقتضى حكمتنا فى الاضلال والهداية على قلوبهم أغطية ، كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ، وفى آذانهم صمما ، فلا يسمعونه سماع انتفاع ، لأنهم اسرفوا فى العناد والمكابرة ، وإذا ذكرت ربك فى القرآن منفردا عن ذكر آلهتهم ، رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه .

٤٧ - نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من الاستهزاء والسخرية حين استماعهم اليك ، وهم ذوو مسارة بما ذكر ، وذلك قول الظالمين لغيرهم فى مسارتهم : ان اتبعتم فأنتم لا تتبعون إلا رجلا مغلوبا على عقله .

٤٨ - انظر كيف ذكر لك الأشباه ، فشبهوك بالمسحور ، والكاهن ، والشاعر ، فضلوا بذلك عن منهاج الحجة فلا يستطيعون طريقا إلى الطعن يمكن قبوله ، أو فضلوا بذلك عن الهدى فلا يجدون طريقا إليه .

٤٩ - قال المنكرون للبعث : أنبعث إذا صرنا عظاما نخرة ، وقطعا متفرقة ، فنكون خلقا جديدا فيه حياة ؟ ان هذا مالا يدخل العقول .

٥٠ - فقل لهم يأيها النبى : لو كنتم حجارة لا تقبل الحياة بحال ، أوحديدا وهو أصلب من الحجارة .

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ

---

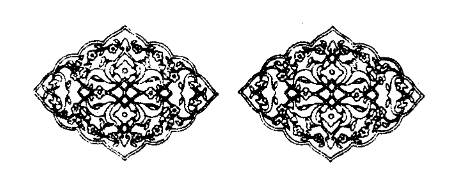
٥١ ـ أو خلقا آخر غيرها ، مما تنكر قلوبكم قبوله الحياة ، لبعثتم ، فسيقولون مستبعدين : من يعيدنا ؟ فقل لهم : يعيدكم الله الذى أوجدكم أول مرة فسيحركون إليك رءوسهم تعجبا ، ويقولون استهزاء : متى البعث الذى تعدنا به ؟ فقل لهم : أرجو أن يكون قريبا .

٥٢ ـ وسيكون يوم يبعثكم الله فيه من قبوركم ، فتبعثون حامدين ربكم على كمال قدرته وتظنون أنكم ما لبثتم فى قبوركم إلا زمنا قليلا ، تستقصرون المدة الطويلة فى جنب ما أنتم قادمون عليه .

٥٣ ـ وقل يأيها النبى لعبادى المؤمنين ، أن يقولوا عند محاربتهم المشركين العبارات التى هى أحسن للاقناع ، ويتركوا الكلام الخشن الذى يتسبب عنه الشر والفساد ، فإن الشيطان يفسد بين المؤمنين والكافرين ، لأنه دائما عدو للانسان بين العداوة .

٥٤ ـ ربكم أعلم بعاقبة أمركم ، ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان ، أو ان يشأ يعذبكم بعدمه ، وما أرسلناك موكولا إليك أمرهم فتجبرهم على الايمان ، وانما أرسلناك بشيرا للمصدقين ونذيرا للمكذبين ، فدارهم ، ومر أصحابك بالاحتمال منهم .

٥٥ ـ وربك أعلم بكل من فى السموات والأرض وبأحوالهم ، فيختار منهم لنبوته من يشاء ، وقد اختارك لرسالته ، فلا يصح أن يستكثروا عليك النبوة ، وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء فى الفضل عنده ، جل شأنه ، بل بعضهم أفضل من بعض ، ولقد فضل النبيين على بعض بالمعجزات وكثرة التابعين ، لا بالملك ، ففضل داود أنه أوتى الزبور ، لا لأنه أوتى الملك ، فلا عجب أن تنال الفضل العظيم بما أوتيت من القرآن .



زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

---

٥٦ ـ قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين، ويزعمونهم آلهـة من دون الله، ادعوا من تعبدونه إذا نزلت بكم شدة، أو خفتم نزولها، وسلوهم فى شأنها، فلن تجدوا منهم كشفا لضركم، ولا تحويلا له عنكم.

٥٧ ـ وان هؤلاء المخلوقين الذين يدعوهم من يعبدهم يعبدون الله، ويطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة ويحرص كل منهم أن يكون أقرب إلى الله، ويطمعون فى رحمته، ويرهبون عذابه، ان عذاب الله ينبغى أن يحذر ويخاف.

٥٨ ـ وقد جرت سنتنا أن نهلك كل قرية ظالمة بمن فيها، أو نعذب أهلها عذابا شديدا بالقتل وغيره، فليحذر ذلك قومك، فقد جرى بذلك قضاؤنا، وسطر فى كتابنا.

٥٩ ـ لقد اقترح عليك قومك أن تأتيهم بالآيات والمعجزات، ولم يقنعوا بما أتاهم مما يقنع ذوى الألباب، وقد جرت سنتنا مع من يقترح الآيات، ثم يجاب إليها ولا يؤمن بها، أن نستأصله بالعذاب كما فعلنا بالأولين. ومنهم ثمود، إذ اقترحوا آيات، فكانت الناقة معجزة مضيئة نيرة واضحة مجلية للشك والريب، فكفروا بها، فكان ما كان من أمرهم، وكان من حكمة الله ألا يجيب قومك إلى ما طلبوا، خشية أن يكفروا بها، ويرجى منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن. والآيات انما نرسل بها إلى الناس تخويفا وارهابا.

٦٠ ـ واذكر أيها النبى حين قلنا لك: ان ربك أحاط بالناس، فهم فى قبضة قدرته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم، وماجعلنا ما عاينته ليلة الاسراء من العجائب إلا امتحانا واختبارا للناس، يزداد به ايمان المؤمن وكفر الكافر، وما جعلنا الشجرة المذمومة فى القرآن، وهى شجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم، الا اختبارا لهم أيضا، إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟ ونخوفهم بها، فما يزيدهم تخويفنا إلا تجاوزا للحد الكبير.

قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ الَّذِى يُزْجِى لَكُمُ الْفُلْكَ فِى الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

---

٦١ ـ وان الله ليذكر بأصل الخلق والعداوة بين ابن آدم وابليس ، إذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء ، فسجدوا على الفور ، الا ابليس امتنع وقال منكرا : كيف أسجد لمن خلقته من طين وأنا من نار فأنا خير منه .

٦٢ ـ قال ابليس : أخبرنى يارب عن هذا الذى كرمته على ، بأن أمرتنى بالسجود له لم كرمته على وأنا خير منه ؟ وعزتك لئن أخرتن حيا إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالاغواء ، إلا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته .

٦٣ ـ قال له المولى تهديدا واستدراجا : امض لشأنك الذى اخترته لنفسك ، فمن أطاعك من ذرية آدم فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرا كاملا .

٦٤ ـ واستخف واستنزل بدعائك إلى معصية الله من استطعت منهم ، وأفرغ جهدك فى جميع أنواع الاغراء ، وشاركهم فى كسب الأموال من الحرام وصرفها فى الحرام ، وتكفير الأولاد واغرائهم على الافساد ، وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة آلهتهم ، والكرامة عند الله بأنسابهم ، وما يعد الشيطان أتباعه الا بالتغرير والتمويه .

٦٥ ـ أما عبادى المخلصون لى ، فليس لك على اغوائهم قدرة ، لتوكلهم على ربهم ، وكفى به ناصرا يستمدون منه العون فى الخلاص منك .

٦٦ ـ ربكم هو وحده الذى يجرى لكم السفن فى البحر ، لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها . انه دائم الرحمة بكم .

٦٧ ـ وإذا أصابكم الأذى وتعرضتم للمخاطر فى البحر ، غاب عنكم كل من تدعونه فى حوائجكم من الأصنام ، إلا الله وحده ، فانكم لا تذكرون سواه ، فلما نجاكم من الغرق ، وأخرجكم إلى البر ، أعرضتم عن توحيده وكفرتم النعمة ، وشأن الانسان دائما جحد النعمة .

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

---

٦٨ - وإذا نجوتكم بخروجكم إلى البر، أفأمنتم من عذاب الله ؟ كلا ان شاء قلب بكم جانبا من البر فهلكتم تحته، وان شاء أرسل عليكم ريحا شديدة ترميكم بالحصى والحجر، فلا تجدون حافظا مما يصيبكم.

٦٩ - أم أمنتم أن يعيدكم ربكم فى البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم قاصفا من الريح يكسر فلككم ؟ فيغرقكم بسبب جحودكم نعمته حين أنجاكم أولا، ثم لا تجدوا لكم علينا من يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم.

٧٠ - ولقد كرمنا أولاد آدم بحسن القوام والنطق وتخير الأشياء، وأعطيناهم الكرامة والعزة ان أطاعوا، وحملناهم فى البر على الدواب، وفى البحر على السفن، ورزقناهم من المستلذات، وفضلناهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلا عظيما.

٧١ - واذكر أيها النبى لقومك، يوم ندعو كل جماعة بشعارهم الذى يعرفون به، أو زعيمهم من رئيس اتبعوه، أو نبى، أو كتاب، فيقال : يا أهل موسى، يا أهل القرآن، وهكذا ليتسلموا كتب أعمالهم، فمن أعطى كتاب أعماله بيمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرءون كتابهم مبتهجين ولا ينقصون من أجورهم أدنى شىء.

٧٢ - وأما الفريق الآخر، فيعمه ما يرى، وتسد عليه مسالك النجاة، ويعمى عن كشف ضره، كما كان أعمى فى الدنيا عن طريق الحق والرشاد، ومن كان فى الدنيا أعمى، فهو أشد فى الآخرة، وأبعد عن سبيل الخير.

٧٣ - وان المشركين يتفننون فى محاولة صرفك عن القرآن لتطلب غيره من المعجزات، وتكون كالمفترى علينا، وحينئذ يتخذونك صاحبا لهم، وان هذه المحاولات قد تكررت وكثرت، وكان من شأنها أن تقربك مما يريدون، ولكنك رسولنا الأمين.

٧٤ - وقد شملك لطفنا، فصرفناك عن الاستجابة لهم، وثبتناك على الحق، ولولا ذلك لأوشكت أن تميل إلى استجابتهم، طمعا فى أن يكمل ايمانهم يوما إذا دخلوا فى أوائل الاسلام.

ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

٧٥ ـ ولو قاربت الركون اليهم ، لجمعنا عليك عذاب الدنيا ، وضاعفناه ، وعذاب الآخرة وضاعفناه ، ثم لا تجد لك نصيرا علينا يمنع عنك العذاب ، ولكن لا يكون ذلك أبدا لأنه ممتنع على رسولنا الأمين.

٧٦ ـ ولقد حاول كفار مكة ، وكادوا أن يزعجوك من أرض مكة بعداوتهم ومكرهم ، ليخرجوك منها ، ولو تحقق منهم ذلك لا يبقون بعد خروجك منها إلا زمنا قليلا ، ثم يغلبون على أمرهم وتكون الكلمة لله .

٧٧ ـ وذلك كطريقتنا فى الرسل قبلك ، من اهلاك من أخرجوا نبيهم ، ولن تجد لطريقتنا تبديلا .

٧٨ ـ أقم الصلاة المفروضة ، من أول زوال الشمس من وسط السماء نحو الغرب ، إلى ظلمة الليل ، وهذه صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر التى تشهدها الملائكة .

٧٩ ـ وتيقظ من نومك فى بعض الليل ، فتهجد بالصلاة عبادة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك ، رجاء أن يقيمك ربك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخلائق .

٨٠ ـ وقل : يارب أدخلنى ادخالا مرضيا كريما فى كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان ، واخرجنى منه اخراجا مرضيا كريما ، واجعل من فضلك قوة تنصرنى بها على أعدائى .

٨١ ـ وقل منذرا قومك المشركين : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح والعدل ، وذهب الباطل والشرك والدين الفاسد والظلم ، ان الباطل مضمحل زائل دائما .

٨٢ ـ وكيف لا يقوى الحق ، ونحن ننزل من القرآن ما هو شفاء لما فى الصدور من الشك والريب ، وسبب رحمة لمن آمن به ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لكفرهم به .

ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ

---

٨٣ - وان فى طبع الانسان الغرور والقنوط . فإذا أنعمنا عليه بالصحة والسعة ، أعرض عن ذكرنا ودعائنا ، وبعد عنا بنفسه تكبرا وتعاظما ، وإذا مسه الشر كالمرض والفقر ، كان شديد القنوط من رحمة الله .

٨٤ - قل أيها النبي لكفار قريش ، رغبة عن اثارة الشر والجدال : كل منا ومنكم يعمل ويسير على طريقته ، فربكم عليم علما ليس فوقه علم بمن هو أوضح طريقا واتباعا للحق فيؤتيه أجره موفورا ، ومن هو أضل سبيلا فيعاقبه بما يستحق .

٨٥ - ويسألك يا محمد قومك ، بإيعاز من اليهود ، عن حقيقة الروح ، قل : الروح من علم ربى الذى استأثر به ، وما أوتيتم من العلم إلا شيئا قليلا فى جنب علم الله تعالى .

٨٦ - ولئن أردنا أن نمحو من صدرك القرآن الذى أوحينا اليك ، لفعلنا ثم لا تجد من يقوم لك وينصرك .

٨٧ - ولكن أبقينا رحمة من ربك لأن فضله فى هذه المعجزة كان عليك عظيما .

٨٨ - قل لهم متحديا أن يأتوا بمثله ، وانهم ليعجزون ، لئن اجتمعت الانس والجن ، وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى نظمه ومعانيه ، لا يستطيعون ، ولو كانوا متعاونين بعضهم يظاهر بعضا .

٨٩ - ولقد نوعنا مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس فى هذا القرآن ، من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ، فأبى أكثر الناس الا الجحود والانكار .

٩٠ - ولما ظهر اعجاز القرآن ، ولزمتهم الحجة ، اقترحوا الآيات والمعجزات ، فعل المحجوج المبهوت المتحير ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من أرض مكة عينا لا ينقطع ماؤها .

خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

---

٩١ ـ أو يكون لك بمكة بستان من نخيل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيرا كثيرا .

٩٢ ـ أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعا كما زعمت أن الله توعدنا بذلك ، أو تأتى بالله والملائكة نقابلهم معاينة ومواجهة .

٩٣ ـ أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب ، أو تصعد فى السماء ولن نصدقك فى هذه الحال إلا إذا جئتنا بكتاب من الله يقرر فيه صدقك نقرؤه ، قل لهم : أنزه ربى عن أن يتحكم فيه أحد ، أو يشاركه فى قدرته ، ما كنت إلا بشرا كسائر الرسل ، ولم يأتوا قومهم بآية إلا باذن الله .

٩٤ ـ وما منع مشركى مكة أن يذعنوا للحق حين جاءهم الوحى مقرونا بالمعجزات الا زعمهم جهلا منهم أن الله تعالى لا يبعث رسله من البشر بل من الملائكة .

٩٥ ـ قل ردا عليهم : لو كان فى الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيها كالآدميين مستقرين فيها ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم ، ولكن الملائكة لا يكونون كالبشر ، ولو كانوا لجاءوا فى صورة البشر .

٩٦ ـ وقل ان أنكرتم رسالتى فكفى الله حاكما بينى وبينكم مقررا صدق رسالتى إليكم انه كان بعباده عالما بأهوائهم بصيرا بأفعالهم وهو مجازيهم عليها .

٩٧ ـ وقل لهم : من يهده الله لحسن استعداده فهو المهتدى ، ومن يضلله لفساد طبعه ، فلن تجد له أنصارا غيره يهدونهم فى الدنيا ، ونحشرهم فى الآخرة مسحوبين على وجوههم لا ينظرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، ومكانهم الذى يأوون إليه جهنم ، كلما ضعف لهيبها زادها الله تلهبا واشتعالا .

٩٨ ـ ذلك العذاب جزاؤهم ، بسبب كفرهم بالأدلة التى أقناها لهم على الحق ، وقولهم : أنبعث خلقا جديدا بعد أن نصير عظاما ورفاتا ؟ .

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ

٩٩ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ، مع عظمها ، قادر على أن يخلق مثلهم من الانس والجن ، ومن هو قادر على ذلك ، كيف لا يقدر على اعادتهم ، وهى أهون عليه ، وقد جعل سبحانه لإعادتهم بعد الموت أجلا محددا لاشك فى حصوله ، وهو يوم القيامة ، ومع ذلك أبى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، بعد اقامة هذه الحجة إلا جحودا .

١٠٠ - قل لهؤلاء المشركين : لو كنتم تملكون خزائن رزق ربى ، لبخلتم خشية الفقر ، لأن الانسان مطبوع على شدة الحرص والبخل ، والله هو الغنى الجواد ، يمنح ما شاء لمن يشاء ، وينزل من المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس ؟ وهو فى ذلك كله حكيم عليم .

١٠١ - ولو أوتى هؤلاء من الآيات ما اقترحوا ، لصرفوها عن وجهها ، ولم يؤمنوا بها ، ولقد آتينا موسى تسع آيات واضحات[1] ومع ذلك كفروا ، وقال فرعون : انى لأظنك مسحورا يا موسى .

١٠٢ - قال موسى : لقد علمت يا فرعون أن الذى أنزل هذه الآيات هو رب السموات والأرض لأنه هو الذى يقدر عليها وهى واضحات تبصرك بصدق ، ولكنك تكابر وتعاند ، وانى لأظنك يا فرعون هالكا إذا لم ترجع عن عنادك .

١٠٣ - فتمادى فرعون فى طغيانه ، فأراد أن يخرج موسى وبنى اسرائيل من أرض مصر ، فأغرقناه مع جنوده جميعا .

١٠٤ - ونجينا موسى وقومه ، وقلنا ، من بعد اغراق فرعون ، لبنى اسرائيل : اسكنوا الأرض المقدسة بالشام ، فإذا جاء وقت الحياة الأخرى ، جئنا بكم من قبوركم مختلطين ثم نحكم بينكم بالعدل .

---

(١) هذه الآيات التسع : ١ - العصا - ٢ - اليد البيضاء - ٣ - الطوفان - ٤ - الجراد والضفادع والقمل والدم - ٥ - الجدب ونقص الثمار - ٦ - فلق البحر - ٧ - انبجاس الماء من الحجر - ٨ - نتق الجبل كأنه ظلة - ٩ - خطابه لربه .

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

---

١٠٥ - وما أنزلنا القرآن الا مؤيدا بالحكمة الالهية : التى اقتضت انزاله ، وهو فى ذاته وما نزل إلا مشتملا على الحق كله ، فعقائده هى الصحيحة ، وأحكامه هى المستقيمة . وما أرسلناك أيها النبى إلا مبشرا من آمن بالجنة ، ونذيرا لمن كفر بالنار ، فليس عليك شىء إذا لم يؤمنوا .

١٠٦ - وقد فرقنا هذا القرآن ، ونزلناه منجما على مدة طويلة ، لتقرأه على الناس على مهل ليفهموه . نزلناه شيئا بعد شىء تنزيلا مؤكدا لا شبهة فيه .

١٠٧ - قل لكفار مكة تهديدا لهم : اختاروا لأنفسكم ما تحبون ، من الايمان بالقرآن أو عدمه ، فإن الذين أوتوا العلم الصحيح والادراك السليم من قبل نزوله ، إذا يتلى عليهم يقعون على الوجوه سجدا ، شكرا لله على نعمته .

١٠٨ - ويقولون تنزه ربنا عن خلف الوعد الذى وعد به من نعيم وعذاب ، ان وعده كان حاصلا لا محالة .

١٠٩ - ويقعون ثانيا على الوجوه سجدا باكين من خوف الله ، ويزيدهم القرآن تواضعا لله .

١١٠ - قل لهؤلاء المشركين : سموا الله باسم الله أو اسم الرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسنى ، ولا شبهة لكم فى أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى . وإذا قرأت القرآن فى صلاتك ، فلا ترفع صوتك به ، لئلا يسمع المشركون فيسبوك ويؤذوك ، ولا تسر به فلا يسمع المؤمنون ، وكن وسطا فى قراءتك .

١١١ - وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ، لعدم حاجته إليه ، ولم يكن له شريك فى الملك ، لأنه وحده منشئه ، ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من ذل لحقه ، وعظم ربك تعظيما يليق به .



بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ

هذه السورة مكية ، ما عدا الآية ٣٨ والآيات التى تبتدىء من ٨٣ إلى ١٠١ ففيها عشرون آية مدنية . وقد ابتدأت بحمد الله تعالى لانزاله القرآن الكريم ، وبيان أن القرآن هو الانذار والتبشير ، وفيه انذار الذين ادعوا أن لله ولدا ، وفيها ذكر حرص النبى ﷺ على ايمان الذين يدعوهم بدعاية الله ثم ذكر قصة أهل الكهف الذين رقدوا ثم بعثوا بعد أن لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وهو عدد من النصارى فروا من ظلم الحاكم الرومانى ، ورقدوا فى الكهف تلك المدة ثم بعثوا للدلالة على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت .

ثم بعد ذلك أمره الله بأن يتلو القرآن ، وينذر به ويبشر ، ثم بيان حال أهل الجنة فيها وأهل النار ، وضرب الله مثلا لرجلين أحدهما غنى يعتز بماله وبنيه ، والثانى يعتز بالله ، وبين سبحانه أن ولايته هى الحق ، ثم بين سبحانه زينة الحياة الدنيا الفانية ، ثم ما يكون يوم القيامة من نعيم مقيم أو عذاب أليم ، ثم ذكر سبحانه قصة موسى مع العبد الصالح الذى أوتى علما من الله . وفى هذه القصة يصور ما يجهله الانسان ولو كان نبيا مرسلا من أولى العزم من الرسل من قدرة الله إلا إذا آتاه الله علمه . ثم يجىء ذكر ذى القرنين ووصوله إلى أقصى الشرق وبنائه للسد ، ثم يوم القيامة ومايكون فيه ، وجزاء المؤمنين ، وعلم الله تعالى وكلماته التى لا تنفد ، وختمت السورة ببيان الطريق لارضائه سبحانه .

١ ـ الثناء الجميل مستحق لله تعالى الذى أنزل على عبده محمد القرآن ، ولم يجعل فيه شيئا من الانحراف عن الصواب ، بل كان فيه الحق الذى لا ريب فيه .

٢ ـ وجعله قيما مستقيما فى تعاليمه لينذر الجاحدين بعذاب شديد صادر من عنده ، ويبشر المصدقين الذين يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثوابا جزيلا .

٣ ـ هو الجنة خالدين فيها أبدا .

ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾
فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا
لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ
لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ

---

٤ - وينذر على وجه الخصوص الذين قالوا عن الله انه اتخذ ولدا ، وهو المنزه عن أن يكون كالحوادث يلد أو يولد له.

٥ - وليس عندهم علم بذلك ولا عند آبائهم من قبل ، فما أعظم الافتراء فى هذه الكلمة التى تجرءوا على اخراجها من أفواههم ! ما يقولون إلا افتراء ليس بعده افتراء.

٦ - لا تهلك نفسك - أيها النبى - أسفا وحزنا على اعراضهم عن دعوتك غير مصدقين بهذا القرآن.

٧ - انا قد خلقناهم للخير والشر ، وصيرنا ما فوق الأرض زينة لها ومنفعة لأهلها ، لنعاملهم معاملة المختبر ليظهر منهم الأصلح عملا ، فمن استهوته الدنيا ولم يلتفت إلى الآخرة ضل ، ومن آمن بالآخرة اهتدى.

٨ - وانا لمصيرون عند انقضاء الدنيا ما فوقها مثل أرض مستوية لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء عامرة بمظاهر الحياة.

٩ - لقد أنكر الذين استهوتهم الدنيا بزينتها البعث ، مع أن الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه قصة أهل الكهف فى الجبل واللوح الذى رقمت فيه أسماؤهم بعد موتهم لم تكن عجبا وحدها دون سائر الآيات ، وان كان شأنها خارقا للعادة ، فليس أعجب من آياتنا الدالة على قدرتنا.

١٠ - اذكر حين صار هؤلاء الفتيان إلى هذه المغارة ، وجعلوها مأوى لهم ، فرارا بدينهم من الشرك والمشركين ، فقالوا : يا ربنا آتنا من عندك مغفرة وأمنا من عدونا ، ويسر لنا من شأننا هداية وتوفيقا.

١١ - فاستجبنا دعاءهم فأنمناهم آمنين فى الكهف سنين عديدة.

١٢ - ثم أيقظهم الله بعد أن ظلوا نياما أمدا طويلا ، لتكون عاقبة ذلك اظهار علمنا من أصاب من الفريقين فى تقدير مدة مكثهم.

١٣ - نحن نقص عليك أيها الرسول خبرهم بالصدق : انهم فتيان كانوا قبل العهود السابقة على دين الحق ، صدقوا بوحدانية ربهم وسط قوم مشركين ، وزدناهم يقينا.

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ

١٤ - وثبتنا قلوبهم على الايمان والصبر على الشدائد، حين قاموا فى قومهم، فقالوا متعاهدين: ربنا أنت الحق رب السموات والأرض، لن نعبد من غيره إلها، ولن نتحول عن هذه العقيدة. والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيدا عن الصواب.

١٥ - ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره، هلا يأتون على ألوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة، انهم لظالمون فيما فعلوا، ولا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه.

١٦ - وقال بعضهم لبعض: ما دمنا قد اعتزلنا القوم فى كفرهم وشركهم، فالجأوا إلى الكهف فرارا بدينكم، يبسط لكم ربكم من مغفرته، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به[1] من مرافق الحياة.

---

(١) لم يكن على وجه التحقيق معرفة أصحاب الكهف، ولا زمانهم ولا مكان الكهف الذى آوى إليه هؤلاء الفتية، ومع ذلك فلا بأس من القيام بمحاولة قد تلقى ضوءا ولو خافتا عليهم. ولما كان القرآن الكريم قد نص على أنهم فتية آمنوا بربهم فلابد أنهم وشعبهم قد تعرضوا لاضطهاد دينى رأى معه هؤلاء الفتية الاعتصام بالكهف. ويشير التاريخ القديم إلى وقوع اضطهادات دينية فى الشرق القديم، حدثت فى أوقات مختلفة - ونذكر فيما يلى اضطهادين قد يكون أحدهما مناسبا للمقام:

أما أولهما فقد حدث فى عهد الملك السلوقى انتيوخوس الرابع الملقب بنابيفانيس (حوالى ١٧٦ - ٨٤ ق.م) فإنه لما أعتلى هذا الملك عرش سوريا، وكان مولعا أشد الولوع بالثقافة الإغريقية وحضارتها، فرض على اليهود بفلسطين - وكانت فى قبضة سوريا منذ عام ١٩٨ ق.م - التدين بديانة الإغريق وأبطل شريعتهم، ودنس «الهيكل» بوضعه تمثال زوس معبود الإغريق الأعظم على المذبح، وتقديم الخنازير ذبائح له، ثم أنه أحرق ما وجده من نسخ التوراة.

ففى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود ويكون مكانهم فى فلسطين عامة أو فى أورشليم ذاتها، ويكونون قد بعثوا حوالى عام ١٢٦ م أبان حكم الروم للشرق، أى قبل مولد النبى ﷺ (حوالى ٥٧١ م) بأربعمائة وخمسة وأربعين عاما تقريبا.

أما الاضطهاد الثانى فقد حدث فى عهد الإمبراطور الرومانى هادريانوس (١١٧ - ١٣٨)، فهذا الإمبراطور قد فعل باليهود مثل ما فعل انتيوخوس السالف الذكر تماما، وتفصيل ذلك أنه حدث فى عهده أن أعلن اليهود العصيان على الإمبراطورية الرومانية (الروم) عام ١٣٢ م، فطردوا الحاميات الرومانية واستولوا على أورشليم، وصكوا نقودهم ذكرى لتحرير المدينة المقدسة، وقبضوا على زمام الأمور طوال ثلاث سنوات، وأخيرا تحرك هادريانوس وجيشه، وقمع الثورة، وأخضع فلسطين، واستعاد أورشليم، وقضى على القومية اليهودية قضاء تاما، وقد لاقى قوادها حتفهم، وبيع اليهود فى سوق النخاسة، وكان من نتائج ذلك أن عطل هادريانوس الشعائر اليهودية، وأبطل تعاليم اليهود وقوانينهم.

وفى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود، ويكون مكانهم فى أى مكان فى الشرق القديم أو فى أورشليم نفسها، ويكون قد بعثوا حوالى عام ٤٣٥ م، أى قبل مولد النبى ﷺ بمائة وثلاثين عاما.

ويبدو أن الاضطهاد الأول أكثر تلاؤما مع أصحاب الكهف، لأنه كان أشد قوة، أما الاضطهادات المسيحية فلا تتلاءم مع مولد النبى ﷺ

ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ

---

١٧ - وقد كان الكهف فتحة متسعة فى الجبل ، وهى متجهة إلى الشمال يجيئهم فيها النسيم العليل ، وإذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أشعتها عنهم ، وإذا غربت عن يسارهم تجاوزتهم ولم تدخل أشعتها فى كهفهم ، فحرارة الشمس لا تؤذيهم . ونسيم الهواء يأتيهم ، وذلك كله من دلائل قدرة الله ، ومن يوفقه الله لإدراكها يهتدى ، ومن لا يوفقه فلا مرشد له من بعد .

١٨ - وتظنهم أيها الناظر منتبهين . وفى الحقيقة هم نيام ، ونقلبهم فى نومهم يمينا مرة ويسارا مرة لنحفظ أجسامهم من تأثير الأرض ، وكلبهم الذى صاحبهم مادا ذراعيه بالفناء وهو نائم أيضا فى شكل اليقظان ، لو اطلعت أيها المخاطب عليهم وهم على تلك الحال لفررت منهم هاربا ، ولملىء قلبك منهم فزعا لهيبتهم فى منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم ، كيلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد حتى تنتهى المدة .

١٩ - وكما أنمناهم أيقظناهم ليسأل بعضهم بعضا عن مدة مكثهم نائمين ، فقال واحد منهم : ما الزمن الذى مكثتموه فى نومكم ؟ . فقالوا : مكثنا يوما أو بعض يوم . ولما لم يكونوا مستيقنين من ذلك ، قالوا : اتركوا الأمر لله ، فهو الأعلم به ، ولينهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فيأتيكم بطعام منه ، وليكن حسن التفاهم ، ولا يظهرن أمركم لأحد من الناس .

٢٠ - انهم ان رأوكم يقتلونكم رجما بالحجارة أو يعيدوكم إلى الشرك بالقوة ، وإذا عدتم إليه فلن تفلحوا فى الدنيا والآخرة .

أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ

٢١ ـ وكما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا أهل المدينة عليهم ليعلم المطلعون أن وعد الله بالبعث حق، وأن القيامة لا شك فى اتيانها. فآمن أهل المدينة بالله واليوم الآخر، ثم أمات الله الفتية فتنازعوا فى شأنهم: فقال بعضهم ابنوا على باب الكهف بنيانا ونتركهم وشأنهم فربهم أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة فى القوم لنتخذن على مكانهم مسجدا للعباد؟.

٢٢ ـ سيقول فريق من الخائضين فى قصتهم من أهل الكتاب: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول آخرون: هم خمسة سادسهم كلبهم. ظنا خاليا من الدليل، ويقول آخرون: هم سبعة وثامنهم كلبهم. قل لهؤلاء المختلفين: ربى عليم علما ليس فوقه علم بعددهم. ولا يعلم حقيقته إلا قليل من الناس أطلعهم الله على عددهم، فلا تجادل هؤلاء المختلفين فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا لينا دون محاولة اقناعهم، فإنهم لا يقتنعون. ولا تسأل أحدا منهم عن نبئهم، فقد جاءك الحق الذى لا مرية فيه.

٢٣ ـ ولا تقولن لشىء تقدم عليه وتهتم به: إنى فاعل ذلك فيما يستقبل من الزمان.

٢٤ ـ الا قولا مقترنا بمشيئة الله بأن تقول: ان شاء الله، وإذا نسيت أمرا فتدارك نفسك بذكر الله، وقل عند اعتزامك أمرا وتعليقه على مشيئة الله: عسى أن يوفقنى ربى إلى أمر خير مما عزمت عليه وأرشد منه.

٢٥ ـ وان الفتية مكثوا فى كهفهم نياما ثلاثمائة سنين زادت تسعا [1].

٢٦ ـ وقل أيها الرسول للناس: ان الله وحده هو العالم بزمنهم كله، انه سبحانه هو المختص بعلم الغيب فى السموات والأرض، فما أعظم بصره فى كل موجود، وما أعظم سمعه لكل مسموع، وما لأهل السموات والأرض من يتولى أمورهم غيره، ولا يشرك فى قضائه أحدا من خلقه.

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة فلكية، وهى أن ثلاثمائة سنة شمسية تقابلها ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية، وقد سبقت الآية علم الفلك.

وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ

---

٢٧ ـ واقرأ ـ أيها الرسول ـ ما أوحى إليك من القرآن ، ومنه ما أوحى اليك من نبأ الفتية ، ولا تستمع لما يهزءون به من طلب تبديل معجزة القرآن بمعجزة أخرى ، فإنه لا مغير لما ينبئه الله بكلمة الحق فى معجزاته ، فإنه لا يقدر أحد على تبديله ، ولا تخالف أمر ربك فإنك حينئذ لن تجد غيره ملجأ يحفظك منه .

٢٨ ـ واحتفظ ـ أيها الرسول ـ بصحبة صحابتك من المؤمنين الذين يعبدون الله وحده فى الصباح وفى العشى دائما ، يريدون رضوانه ، ولا تنصرف عيناك عنهم إلى الجاحدين من الكفار لارادة التمتع معهم بزينة الحياة الدنيا ، ولا تطع فى طرد فقراء المؤمنين من مجلسك من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا ، لسوء استعداده ، وصار عبداً لهواه ، وصار أمره فى جميع أعماله بعيدا عن الصواب ! والنهى للنبى نهى لغيره ، وأن النبى ﷺ لا يريد الحياة الدنيا وزينتها ، ولكن كان اتجاه النهى إليه لكى يحترس غيره من استهواء الدنيا ، فإنه إذا فرض فيه ارادة الزينة للأبدان لفرض كل انسان فى نفسه ذلك ليحترس .

٢٩ ـ وقل أيها الرسول : ان ما جئت به هو الحق من عند ربكم ، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن ، فذلك خير له ، ومن شاء أن يكفر فليكفر فإنه لم يظلم الا نفسه . اننا أعددنا لمن ظلم نفسه بالكفر نارا تحيط بهم كالسرادق . وان يستغث الظالمون بطلب الماء وهم فى جهنم . يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة ، يحرق الوجوه بلهيبه ! قبح هذا الشراب لهم ، وقبحت جهنم مكانا لراحتهم ! !

٣٠ ـ أما الذين آمنوا بالله وبدينه الحق الذى يوحى إليك ، وعملوا ما أمرهم به ربهم من الأعمال الصالحة ، فانا لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من الأعمال . .



ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ

---

٣١ - هؤلاء لهم جنات يقيمون فيها منعمين أبدا ، تنساب الأنهار من بين أشجارها وقصورها يتحلون فيها بمظاهر السعادة فى الدنيا ، كالأساور الذهبية ، وملابسهم فيها الثياب الخضر من الحرير على اختلاف أنواعه ، متكئين فيها على السرر بين الوسائد والستائر ، نعم الثواب لهم ، وحسنت الجنة دار مقام وراحة ، يجدون فيها كل مايطلبون .

٣٢ - بين أيها الرسول فى شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلا وقع فيا سلف بين رجلين : كافر ومؤمن ، وللكافر حديقتان من أعناب ، وأحطناهما بالنخيل زينة وفائدة ، وجعلنا بين الجنتين زرعا نضرا مثمرا .

٣٣ - وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجا موفورا ، ولم تنقص منه شيئا ، وفجرنا نهرا ينساب خلالهما .

٣٤ - وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة ، فداخله الزهو بتلك النعم ، فقال لصاحبه المؤمن فى غرور ، وهما يتناقشان : أنا أكثر منك مالا وأقوى عشيرة ونصيرا .

٣٥ - ثم دخل احدى جنتيه مع صاحبه المؤمن ، وهو مأخوذ بغروره فقال : ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدا ! .

٣٦ - وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت إلى ربى بالبعث كما تزعم ، والله لأجدن خيرا من هذه الجنة عاقبة لى ، لأننى أهل للنعيم فى كل حال ، فهو يقيس الغائب على الحاضر ، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء على الايمان وفعل الخير .

٣٧ - قال صاحبه المؤمن مجيبا له : أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذى خلق أصلك آدم من تراب ، ثم من نطفة مائية ، ثم صورك رجلا كاملا ، فإن اعتززت بمالك وعشيرتك ، فاذكر ربك وأصلك الذى هو من الطين .

لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

٣٨ ـ لكن أقول : ان الذى خلقنى وخلق هذا العالم كله هو الله ربى ، وأنا أعبده وحده ، ولا أشرك معه أحدا .

٣٩ ـ ولولا قلت عند دخول جنتك والنظر الى ما فيها : هذا ما شاء الله ولا قوة لى على تحصيله إلا بمعونة الله ، فيكون ذلك شكرا كفيلا بدوام نعمتك . ثم قال له : إن كنت ترانى أقل منك مالا وأقل ولدا ونصيرا ؟

٤٠ ـ فلعل ربى يعطينى خيرا من جنتك فى الدنيا أو الآخرة ، ويرسل على جنتك قدرا قدره لها كصواعق من السماء ، فتصير أرضا ملساء لا ينبت فيها شئ ، ولا يثبت عليها قدم .

٤١ ـ أو يصير ماؤها غائرا فى الأرض لا يمكن الوصول اليه ، فلا تقدر على اخراجه لسقيها .

٤٢ ـ قد عاجل الله الكافر ، وأحاطت المهلكات بثمار جنته ، وأهلكتها ، وأبادت أصولها . فأصبح يقلب كفيه ندما وتحسرا على ما أنفق فى عمارتها ، ثم عاجلها الخراب ، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدا .

٤٣ ـ عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز ، وما كان هو بقادر على نصرة نفسه .

٤٤ ـ فإن النصرة فى كل حال ثابتة لله الحق وحده وهو سبحانه خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له العاقبة .

مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

---

٤٥ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ للناس مثلا للحياة الدنيا فى نضرتها وبهجتها ثم سرعة فنائها ، بأنها كماء أنزل من السماء فارتوى به نبات الأرض فاخضر وأينع ، ثم لم يلبث طويلا حتى جف وصار يابسا متكسرا تفرقه الرياح والله قادر على كل شئ انشاء وافناء .

٤٦ ـ المال والبنون جمال ومتعة لكم فى الحياة الدنيا وهى قوتها ، ولكن لا دوام لها ، بل هى فانية غير باقية ، والأعمال الصالحة الباقية خير لكم عند الله ، يجزل ثوابها ، وخير أمل يتعلق به الانسان .

٤٧ ـ وأنذر الناس أيها الرسول بيوم يفنى هذا الوجود فيزيل فيه الجبال وتبصر فيه الأرض ظاهرة مستوية لا يسترها شئ مما كان عليها ، ونحشر فيه الناس للحساب فلا نترك منهم أحدا .

٤٨ ـ ويعرض الناس فى هذا اليوم على الله فى جموع مصفوفة للحساب ، ويقول الله تعالى : لقد بعثناكم بعد الموت كما أحييناكم أول مرة ، وجئتمونا فرادى بلا مال ولا بنين ، وكنتم فى الدنيا تكذبون بالبعث والحساب .

٤٩ ـ ووضع فى يد كل واحد كتاب أعماله ، فيبصره المؤمنون فرحين مما فيه ، ويبصره الجاحدون خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ، ويقولون إذا رأوها : ياهلاكنا ، إنا نعجب لهذا الكتاب الذى لم يترك من أعمالنا صغيرة ولا كبيرة إلا سجلها علينا ! ووجدوا جزاء ما عملوا حقا ولا يظلم ربك أحدا من عباده .

٥٠ ـ واذكر أيها الرسول لهم بدء خلقهم ، ليعلموا أنهم من الطين ، وليس لهم أن يغتروا بما هم فيه ويخضعوا بعدو أبيهم ابليس ، لأنه كان من الجن فاستكبر وتمرد على الله ، فكيف بعد ما عرفتم من شأنه تتخذونه وذريته أنصارا لكم من دون الله ، وهم لكم أعداء ؟ ! قبح هذا البدل لمن ظلم نفسه فأطاع الشيطان .

* مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ

---

٥١ - ما أحضرت ابليس ولا ذريته خلق السموات والأرض. ولا أشهدت بعضهم خلق بعض لأستعين بهم، وما كنت فى حاجة الى معين فضلا عن أن اتخذ المفسدين أعوانا، فكيف تطيعون الشيطان وتعصونني.

٥٢ - واذكر لهم يوم يقول الله للمشركين: نادوا الذين ادعيتم فى الدنيا انهم شركائى فى العبادة ليشفعوا لكم بزعمكم، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم وجعلنا الآن ما كان بينهم هلاكا للكفار، بعد أن كان فى الدنيا تواصل عبادة ومحبة.

٥٣ - وعاين المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها، ولم يجدوا بديلا عنها مكانا يحلون فيه.

٥٤ - ولقد ذكر الله للناس فى هذا القرآن الذى كفروا به. وطلبوا معجزة أخرى غيره، مثلا متنوعة ليعظهم بما فيها، ولكن الانسان فى طبيعته حب الجدل فإذا كان جاحدا جادل بالباطل.

٥٥ - وما منع المشركين من الايمان حين جاءهم سبب الهدى، وهو الرسول والقرآن ليؤمنوا ويستغفروا الله، إلا تعنتهم وطلبهم من الرسول أن تأتيهم سنة الله فى الأولين. وهى الهلاك المستأصل الذى أتى الأولين، أو يأتيهم العذاب عيانا.

٥٦ - ولكن الله لا يرسل رسله إلا للتبشير والانذار، ولم يرسلهم ليقترح عليهم المعاندون معجزات معينة، ولكن الذين كفروا يعرضون عن الحجة، ويجادلون المرسلين بالباطل ليبطلوا الحق وقد وقفوا من القرآن والنذر موقف المستهزئ الساخر الذى يعنى بطلب الحقائق.

فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ

---

٥٧ - وليس أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه فلم يتدبرها ، ونسى عاقبة ما عمل من المعاصى ! إنا بسبب ميلهم الى الكفر جعلنا على قلوبهم أغطية ، فلا تعقل ولا يصل اليها النور ، وفى آذانهم صمما فلا تسمع سماع فهم ! وان تدعهم أيها الرسول الى الدين الحق فلن يهتدوا ما دامت هذه طبيعتهم البتة .

٥٨ - وربك العظيم المغفرة لذنوب عباده ، صاحب الرحمة الواسعة لمن أناب إليه منهم ، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من السيئات لعجل لهم العذاب كما سلف لغيرهم ، ولكنه لحكمة قدرها أخرهم لموعد يذوقون فيه أشد العقاب ولن يجدوا ملجأ يحفظهم منه .

٥٩ - وها هى ذى القرى الماضية التى دمرناها لما ظلم أهلها بتكذيب رسلهم ، وجعلنا لهلاكهم موعدا لا يتخلف ، فكذلك حال المكذبين من قومك إذا لم يؤمنوا .

٦٠ - وان علم الله لا يحيط به أحد ، الا أن يعطيه نبيا أو صالحا ، واذكر أيها الرسول أن موسى بن عمران قال لفتاه خادمه وتلميذه : لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أسير زمنا طويلا .

٦١ - فلما بلغ موسى وفتاه المكان الجامع بين البحرين نسيا فيه حوتهما الذى حملاه بأمر الله ، فانحدر فى البحر واتخذ طريقه فى الماء .

٦٢ - فلما ابتعد موسى وفتاه عن المكان ، وأحسا بالجوع والتعب ، قال موسى لفتاه : آتنا ما نتغذى به ، لقد لقينا فى سفرنا هذا تعبا ومشقة .

٦٣ - قال له فتاه : اتذكر حين التجأنا الى الصخرة ، فانى نسيت الحوت ، وما أنسانى ذلك إلا الشيطان ، ولابد أن يكون الحوت اتخذ سبيله فى البحر ، وانى لأعجب من نسيانى هذا .

٦٤ - قال له موسى : إن هذا الذى حدث هو ماكنا نطلبه لحكمة ارادها الله ، فرجعا فى الطريق الذى جاءا منه يتتبعان أثر سيرهما .

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

---

٦٥ ـ حتى وصلا الصخرة ، فوجدا عبدا من عبادنا الصالحين ، أعطيناه الحكمة ، وعلمناه من عندنا علما غزيرا .

٦٦ ـ قال موسى للعبد الصالح : هل أسير معك على أن تعلمنى مما علمك الله ؟

٦٧ ـ قال له : انك لن تستطيع الصبر على مصاحبتى .

٦٨ ـ وكيف يمكنك الصبر على شئ لا خبرة لك بمثله . ؟

٦٩ ـ قال موسى : سترانى ان شاء الله صابرا مطيعا فيما تأمر به .

٧٠ ـ قال العبد الصالح : فإن اتبعتنى ورأيت ما تنكره ، فلا تفاتحنى بالسؤال عنه حتى أحدثك عنه .

٧١ ـ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى وجدا سفينة ، فركباها ، فخرقها العبد الصالح فى أثناء سيرها ، فاعترض موسى قائلا : أخرقتها قاصدا اغراق أهلها ، لقد ارتكبت أمرا منكرا ! .

٧٢ ـ قال العبد الصالح : انى قلت لك انك لن تستطيع الصبر على مصاحبتى .

٧٣ ـ قال له موسى : لا تؤاخذنى على نسيان وصيتك ، ولا تكلفنى مشقة فى تحصيل العلم منك وتجعله عسيرا .

٧٤ ـ وبعد أن خرجا من السفينة ذهبا منطلقين ، فلقيا فى طريقهما صبيا فقتله العبد الصالح ، فقال موسى مستنكرا : أتقتل نفسا طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحدا ؟ . لقد أتيت فعلا مستنكرا ! .

* قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا

---

٧٥ ـ قال العبد الصالح لموسى : لقد قلت لك : انك لن تستطيع صبرا على السكوت عن سؤالى .

٧٦ ـ قال موسى : إن سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبنى ، لأنك قد بلغت الغاية التى تعذر بها فى فراق .

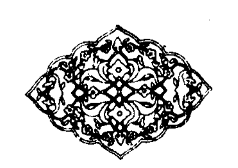
٧٧ ـ فسارا حتى أتيا قرية ، فطلبا من أهلها طعاما ، فأبوا ضيافتهما ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط ، فنقضه العبد الصالح ، وبناه حتى أقامه ، قال موسى : لوشئت طلب أجر على النقض والبناء لفعلت .

٧٨ ـ قال العبد الصالح : هذا التعرض منك مرارا لما أفعل سبب الفراق بينى وبينك . وسأخبرك بحكمة هذه التصرفات التى خفى عليك أمرها ، ولم تستطع صبرا على ما خفى حتى تعرف حقيقته وسره .

٧٩ ـ أما السفينة التى خرقتها ، فهى لضعفاء محتاجين يعملون بها فى البحر لتحصيل رزقهم ، فأردت أن أحدث بها عيبا يزهد فيها ، لأن خلفهم ملكا يغتصب كل سفينة صالحة .

٨٠ ـ وأما الغلام الذى قتلته ، فكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا ـ ان عاش ـ أنه سيصير سببا لكفرهما .

٨١ ـ فأردنا بقتله أن يعوضهما الله عنه خيرا منه دينا وأعظم برا وعطفا .



رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

٨٢ ـ وأما الجدار الذى أقمته ـ دون أجر ـ فكان لغلامين يتيمين من أهل المدينة ، وكان تحته كنز تركه أبوهما لهما ، وكان رجلا صالحا ، فأراد الله أن يحفظ لهما الكنز حتى يبلغا رشدهما ، ويستخرجاه ، رحمة بهما ، وتكريما لأبيهما فى ذريته . وما فعلت ما فعلت باجتهادى انما فعلته بتوجيه من الله ، هذا تفسير ما خفى عليك ياموسى ولم تستطع الصبر عليه .

٨٣ ـ يسألك ـ أيها الرسول ـ بعض الكفار عن نبأ ذى القرنين ، فقل لهم سأقص عليكم بعض أخباره .

٨٤ ـ لقد مكنا لأمره فى الأرض ، يتصرف فيها بتدبيره وسلطانه ، وآتيناه الكثير من العلم بالأسباب ما يستطيع به توجيه الأمور .

٨٥ ـ فاستعان بهذه الأسباب على بسط سلطانه فى الأرض ، واتخذ سببا يوصله الى بلوغ المغرب .

٨٦ ـ وسار حتى وصل الى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس فى رأى العين تغرب فى مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه العين وجد ذو القرنين قوما كافرين ، فألهمه الله أن يتخذ فيهم أحد أمرين : اما أن يدعوهم الى الايمان ، وهذا أمر حسن فى ذاته ، واما أن يقاتلهم إن لم يجيبوا داعى الايمان .

٨٧ ـ فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك ، استحق العذاب الدنيوى على يديه ، ثم يرجع الى ربه فيعذبه عذابا شديدا ليس معروفا لهم .

٨٨ ـ وأن من استجاب له وآمن بربه وعمل صالحا ، فله العاقبة الحسنى فى الآخرة ، وسنعامله فى الدنيا برفق ويسر . .

٨٩ ـ ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعينا بتوفيق الله ، واتبع سببا للوصول الى مطلع الشمس مشرقا .

بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

---

٩٠ - حتى بلغ مشرق الشمس - فى رأى العين - فى نهاية ما وصل اليه من العمران فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى، لا يسترهم من حرها ساتر.

٩١ - وكما دعا ذو القرنين السابقين من أهل المغرب إلى الايمان، دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الاولى.

٩٢ - ثم سار كذلك مستعينا بما هيأ الله من أسباب التوفيق، سالكا طريقا بين الشرق والغرب.

٩٣ - حتى وصل - فى رحلته الثالثة - إلى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين .. وهناك وجد قوما لا يفقهون ما يقال لهم إلا فى عسر ومشقة[1].

٩٤ - فلما آنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سدا فى وجه يأجوج ومأجوج، وهم قوم كانوا يغيرون عليهم، فيفسدون فى أرضهم ويخربون، على أن يجعلوا له ضريبة فى نظير هذا العمل.

٩٥ - فرد عليهم قائلا: إن ما منحنيه الله من الثروة والسلطان خير مما تعرضون على . وشرع يقيم السد، طالبا منهم أن يعينوه بكل ما يقدرون عليه من رجال وأدوات، ليحقق لهم ما أرادوه.

٩٦ - وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد فجمعوا له منها ما أراد، فأقام به سدا عاليا ساوى به بين حافتى الجبلين، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه النار، فأوقدوها حتى انصهر الحديد، فصب عليه النحاس المذاب فأصبح سدا صلبا منيعا.

---

(١) السد بين الجبلين المذكورين فى التفسير، هما جبلان: أذربيجان وأرمينية، وقيل هما جبلان فى أواخر الشمال منقطع أرض التركستان.

فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

٩٧ - فما استطاع هؤلاء المغيرون أن يتسلقوا السد لارتفاعه، ولا أن ينقبوه لصلابته.

٩٨ - وبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد، قال شاكرا لله : هذا السد رحمة من ربى بعباده، وسيظل قائما حتى يجئ أمر الله بهدمه، فيصير أرضا مستويا، وأمر الله نافذ لا محالة.

٩٩ - ومنذ إتمام السد، ظل يأجوج وماجوج من ورائه يضطربون فيما بينهم، وحبس شرهم عن الآخرين، فاذا كان يوم القيامة ونفخ فى الصور، جمع الله الخلائق جميعا للحساب والجزاء.

١٠٠ - وعند ذلك يبرز الله جهنم للكافرين ابرازا يروعهم ويحشرهم فيها.

١٠١ - وذلك لأن أعينهم فى الدنيا كانت فى غفلة عن التبصر فى آيات الله كأن عليها غطاء وكانوا لضلالهم لا يستطيعون سماع دعوة الحق كفاقدى حاسة السمع[1].

١٠٢ - هل عميت بصائر الذين كفروا، فظنوا أن اتخاذهم آلهة من عبادى كالملائكة وعيسى يعبدونها من دونى، نافع لهم وصارف عنهم العذاب!؟ انا اعتدنا لهم جهنم مقرا ينالون فيه ما يستحقون من جزاء..

١٠٣ - قل أيها الرسول لهؤلاء الكافرين : هل أخبركم بأشد الناس خسرانا لأعمالهم، وحرمانا من ثوابها؟.

١٠٤ - هم الذين بطل عملهم فى الحياة الدنيا لفساد اعتقادهم، وهم يعتقدون أنهم يحسنون بعملهم صنيعا!

---

(١) «الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا»: الذين كانت أعينهم فى غفلة عن تدبير مواضع التذكير بى فى السموات والأرض، وبذلك تدعو الآية الكريمة إلى دراسة كل ما يحيط بالإنسان من شواهد دالة على وجود الله.

وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

---

١٠٥ ـ هؤلاء هم الذين كفروا بدلائل قدرة الله ، وأنكروا يوم البعث والحساب ، فضاعت أعمالهم واستحقوا يوم القيامة التحقير والاهمال ، إذ ليس لهم عمل يعتد به !

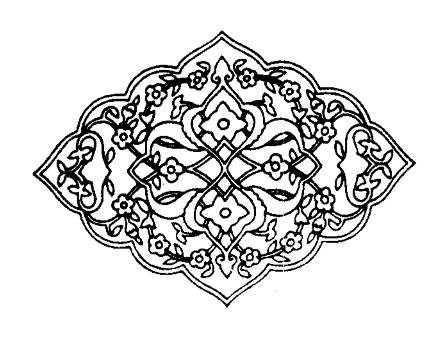
١٠٦ ـ ذلك الذى بيناه وفصلناه شأن هؤلاء وجزاؤهم عليه جهنم ، بسبب كفرهم وسخريتهم بما أنزل الله من آيات وما أرسل من رسل .

١٠٧ ـ ان الذين صدقوا فى الايمان وعملوا الأعمال الصالحة ، جزاؤهم جنات الفردوس ينزلون فيها .

١٠٨ ـ وينعمون أبدا لا يبغون عنها بديلا .

١٠٩ ـ قل أيها الرسول للناس : ان علم الله محيط بكل شئ ، ولو كان ماء البحر مدادا يسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته ، لنفد هذا المداد ، ولو مد بمثله قبل أن تنفد كلمات الله !.

١١٠ ـ قل أيها الرسول للناس : انما أنا انسان مثلكم ، مرسل اليكم أعلمكم ما علمنى الله اياه ويوحى الى انما الهكم اله واحد لا شريك له ، فمن كان يطمع فى لقاء الله وثوابه فليعمل الأعمال الصالحة مخلصا وليتجنب الاشراك بالله فى العبادة .





بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ

هذه السورة مكية ، وليس فيها مدنى إلا آية ٥٨ ، ٧١ ، وعدد آياتها ٩٨ آية ، وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ككثير من السور ، وفيها قصة ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وطلب زكريا الولد بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، ومع أن امرأته عاقر ، ولقد ذكر من بعد ذلك قصة السيدة البتول مريم عليها السلام ، وولادتها للمسيح عليه السلام ، ثم ذكرت قصة ابراهيم عليه السلام ، ودعوته الى الوحدانية وطلبه من أبيه أن يهجر عبادة الأوثان ، وما كان بينهما من محاورات حول الأوثان وسيطرة الشيطان .

وفيها اشارة الى الأنبياء من ذرية ابراهيم : اسماعيل واسحق وذرية اسحق ثم اشارة الى قصة ادريس عليه السلام وذكر بعد ذلك سبحانه الأخلاف الذين جاءوا بعد النبيين من طائعين وعصاة وذكر أن الجنة هى جزاء المؤمنين ، والنار هى جزاء الكافرين ، واحوال الكافرين فى جهنم وأشار سبحانه الى المنحرفين الذين يقولون : ان الله اتخذ ولدا . .

وقد بين سبحانه منزلة القرآن ، وأنذر الكافرين . وضرب الأمثال على هلاك العاصين للأنبياء وأشار إلى أنهم لا آثار لهم .

١ ـ حروف صوتية لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعون .

٢ ـ هذا أيها الرسول قصص ربك عن رحمته لعبده ونبيه زكريا .

٣ ـ حين التجأ الى الله ودعاه فى خفية عن الناس .

٤ ـ فقال : رب انى قد ضعفت وشاب رأسى ، وكنت بدعائك غير شقى يارب ، بل كنت سعيدا مستجاب الدعوة .

ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ

---

٥ ـ وانى خفت أقاربى ألا يحسنوا القيام على أمر الدين بعد موتى ، وكانت ولا تزال امرأتى عقيا ، فارزقنى من فضلك غلاما يخلفنى فى قومى .

٦ ـ يرثنى فى العلم والدين ، ويرث من آل يعقوب الملك ، واجعله يارب مرضيا عندك وعند الناس .

٧ ـ فنودى : يازكريا انا نبشرك بغلام سميناه يحيى ، ولم نسم به أحدا قبل .

٨ ـ قال زكريا متعجبا : يارب كيف يكون لى ولد وزوجى عقيم وأنا فى سن الشيخوخة ؟ .

٩ ـ فأوحى الله لعبده زكريا ، أن الأمر كما بشرت به ، وأن منحك الولد مع كبر السن وعقم الزوج هين على ولا تستبعد ذلك فقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا موجودا .

١٠ ـ قال زكريا : رب اجعل لى علامة تدل على حصول ما بشرت به . قال الله تعالى : علامتك أن تحبس عن الكلام ثلاث ليال ، وأنت سليم الحواس واللسان .

١١ ـ فخرج زكريا على قومه من مصلاه ، فأشار اليهم أن سبحوا الله صباحا ومساء . .

١٢ ـ ولد يحيى ، وشب ثم نودى ، وأمر بأن يعمل بما فى التوراة ، فى جد وعزم ، وقد آتاه الله فى طور الصبا فقه الدين وفهم الأحكام .

١٣ ـ وطبعه الله على الحنان ، وسمو النفس ونشأه على التقوى .

١٤ ـ وجعله الله كثير البر بوالديه ، والاحسان اليها ولم يجعله متجبرا على الناس ، ولا عاصيا لله .

يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ

---

١٥ ـ وسلامة له وأمان، أن يمسه ضر أو أذى يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه حيا.

١٦ ـ واذكر أيها الرسول ما فى القرآن من قصة مريم، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس، وذهبت الى مكان جهة الشرق من مقامها.

١٧ ـ وضربت بينها وبينهم حجابا، فأرسل الله اليها جبريل فى صورة انسان تم الخلق، حتى لا تفزع من رؤيته، فى هيئته الملكية التى لا تألفها..

١٨ ـ قالت: مريم انى التجىء الى الرحمن منك، أن يرجى منك أن تتق الله، وتخشاه.

١٩ ـ قال الملك: ما أنا الا رسول من ربك لاكون سببا فى أن يوهب لك غلام طاهر خير.

٢٠ ـ قالت مريم: كيف يكون لى غلام ولم يقربنى انسان، ولست فاجرة؟.

٢١ ـ قال الملك: الأمر كما قلت: لم يمسك رجل. قال ربك: اعطاء الغلام بلا أب على سهل، وليكون ذلك آية للناس تدل على عظيم قدرتنا، كما يكون رحمة لمن يهتدى به. وكان خلق عيسى أمرا مقدرا لابد منه.

٢٢ ـ وتحققت ارادة الله، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذى اراده الله، وذهبت بحملها الى المكان البعيد عن الناس.

٢٣ ـ فألجأها ألم الولادة، الى أن تركن الى جذع نخلة لتستند اليه وتستتر به، وتخيلت ما سيكون من انكار أهلها هذا الأمر، وتمنت لو أدركها الموت، وكانت شيئا منسيا لا يذكر.

٢٤ ـ فناداها الملك من مكان منخفض عنها: لا تحزنى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس، قد جعل ربك بالقرب منك نهرا صغيرا.

ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ
لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ
فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ
أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ

٢٥ - وهزى النخلة نحوك يتساقط عليك الرطب الطيب[١].

٢٦ - فكلى منه واشربى، وطيبى نفسا. فإن رأيت احدا من البشر ينكر عليك أمرك.. فأشيرى اليه انك صائمة عن الكلام ولن تتحدثى اليوم إلى أحد.

٢٧ - فأقبلت مريم على أهلها تحمل عيسى، فقالوا لها فى دهشة واستنكار: لقد أتيت أمرا فظيعا منكرا.

٢٨ - يا سلالة هارون النبى التقى الورع، كيف تأتين ما أتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق وما كانت أمك فاجرة[٢].

٢٩ - فأشارت الى ولدها عيسى ليكلموه. فقالوا: كيف نتحدث مع طفل لا يزال فى المهد.

٣٠ - فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله فقال: انى عبد الله سيؤتينى الانجيل، ويختارنى نبيا.

٣١ - ويجعلنى مباركا معلما للخير نفاعا للناس، ويأمرنى بإقامة الصلاة وأداء الزكاه مدة حياتى.

٣٢ - كما يأمرنى أن أكون بارا بوالدتى، ولم يجعلنى متجبرا فى الناس، ولا شقيا بمعصيته.

٣٣ - والأمان من الله على يوم ولادتى ، ويوم موتى، ويوم بعثى حيا.

٣٤ - ذلك الموصوف بهذه الصفات، هو عيسى ابن مريم، وهذا هو القول الحق فى شأنه، الذى يجادل فيه المبطلون ويشك فى أمر نبوته الشاكون.

---

(١) «وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا»: ثبت أن البلح الرطب يحتوى على المواد الغذائية الرئيسية فى صورة مركزة سهلة الهضم وأنه بذلك يناسب النفساء.

(٢) «يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا»: ذكر فى دائرة المعارف الإنجليزية أن القرآن غلط غلطا تاريخيا حين قال: يا أخت هارون فى سورة مريم مع أن بين مريم وهارون أخى موسى مئات السنين، وقد غفلوا عن أن الاخوة تطلق فى لسان العرب على الاخوة الشبيهة، فالمراد يا من اشبهت هارون فى الصلاح والتقوى، ما الذى غير حالك من الصلاح إلى ضده، وما كان أبوك أمرأ سوء يأتى الخنا، وما كانت أمك امرأة فحش.

سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ

---

٣٥ ـ وما صح ولا استقام فى العقل أن يتخذ الله ولدا ـ تنزه الله عن ذلك ـ وشأنه سبحانه أنه اذا قضى أمرا من الأمور نفذت ارادته لا محالة . . بكلمة ـ كن ـ فيتحقق فى الوجود كائنا .

٣٦ ـ وإن الله سيدى وسيدكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به أحدا ، وهذا الذى دعوتكم اليه طريق يوصلكم الى السعادة .

٣٧ ـ ومع ما تقدم من قول الحق فى عيسى ، قد اختلف أهل الكتاب فيه وذهبوا مذاهب شتى . والعذاب الشديد يوم يحضرون موقف الحساب ، ويشهدون موقف القيامة ويلقون سوء الجزاء .

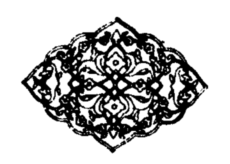
٣٨ ـ ما أشد سمعهم وأقوى بصرهم يوم يلقون الله ! ! لكنهم اليوم فى الدنيا بظلمهم أنفسهم ، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر ، فى ضلال عن الحق ، ظاهر لا يخفى .

٣٩ ـ وحذر أيها الرسول هؤلاء الظالمين ، يوما يتحسرون فيه على تفريطهم فى حق الله وحق أنفسهم ـ وقد فرغ من حسابهم ، ونالوا جزاءهم ـ وقد كانوا فى الدنيا غافلين عن ذلك اليوم ، لا يصدقون بالبعث ولا بالجزاء .

٤٠ ـ الا فليعلم الناس أن الله هو الوارث لهذا الكون وما فيه ، وحسابهم على الله .

٤١ ـ واذكر أيها الرسول للناس ، ما فى القرآن من قصة ابراهيم ، أنه كان عظيم الصدق ، قولا وعملا ، مخبرا عن الله تعالى .

٤٢ ـ واذكر حين وجه ابراهيم الخطاب الى أبيه فى رفق قائلا له : يا أبى كيف تعبد أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تجلب لك خيرا ، ولا تدفع عنك شرا ؟ !



إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا

---

٤٣ ـ يا أبى ، لقد جاءنى من طريق الوحى الالهى ما لم يأتك من العلم بالله ، والمعرفة بما يلزم الانسان نحو ربه ، فاتبعنى فيما ادعوك اليه من الايمان ، أدلك على الطريق المستقيم ، الذى يوصلك الى الحق والسعادة .

٤٤ ـ يا أبت : لاتطع الشيطان فيما يزين لك من عبادة الأصنام ، فإن الشيطان دائب على معصية الرحمن ومخالفة أمره .

٤٥ ـ يا أبت : انى أخشى إن أصررت على الكفر أن يصيبك عذاب شديد من الرحمن ، فتكون قرينا للشيطان فى النار تليه ويليك .

٤٦ ـ قال الأب لابراهيم منكرا عليه ، مهددا له : كيف تنصرف عن آلهتى يا ابراهيم وتدعونى الى عبادة الهك ؟ لئن لم تكف عن شتم الأصنام لاضربنك بالحجارة ، فاحذرنى واتركنى زمانا طويلا ، حتى تهدأ ثائرتى عنك .

٤٧ ـ تلطف ابراهيم مع ابيه وودعه قائلا : سلام عليك منى ، وسأدعو لك ربى بالهداية والمغفرة ، وقد عودنى ربى أن يكون رحيما بى وقريبا منى .

٤٨ ـ وهأنذا أهجركم وأبتعد عما تعبدون من دون الله ، وأعبد ربى وحده ـ راجيا أن يقبل طاعتى ولا يخيب رجائى .

٤٩ ـ فلما فارق ابراهيم اباه وقومه وآلهتهم ، أكرمه الله بالذرية الصالحة ، على يأس منها ، إذ بلغ هو وزوجه حد الكبر ، الذى لا ينجب ، فوهب له اسحق ، ورزقه من اسحق يعقوب ، واختار منهما نبيا .

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

---

٥٠ - وأعطيناهم فوق منزلة النبوة كثيرا من خير الدين والدنيا برحمتنا ، وأورثناهم فى الدنيا ذكرى طيبة خالدة بلسان صدق على يتحدث بذكرهم .

٥١ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافى القرآن من قصة موسى ، انه كان خالصا بنفسه وقلبه وجسمه لله ، وقد اصطفاه الله للنبوة والرسالة .

٥٢ - وكرمناه ، فناديناه عند جبل الطور ، وسمع موسى النداء الالهى من الجهة اليمنى ، وقربناه تقريب تشريف ، واصطفيناه لمناجاتنا .

٥٣ - ومنحناه من رحمتنا ونعمنا ، واخترنا معه أخاه هارون نبيا ، يعاونه فى تبليغ الرسالة .

٥٤ - واتل - ايها الرسول - على الناس مافى القرآن من قصة اسماعيل . . انه كان يصدق فى وعده ، وقد وعد أباه بالصبر على ذبحه له ، ووفى بوعده ففداه الله وشرفه بالرسالة والنبوة .

٥٥ - وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وكان فى المقام الكريم من رضا ربه .

٥٦ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافى القرآن من قصة ادريس ، انه كان شأنه الصدق قولا وفعلا وعملا . وقد منحه الله شرف النبوة .

٥٧ - وقد رفعه الله بذلك مكانا ساميا .

٥٨ - أولئك الذين سلف ذكرهم ، ممن أنعم الله عليهم من النبيين ، بنعم الدنيا والآخرة ، من ذرية آدم ومن ذرية من نجاه الله مع نوح فى السفينة ، ومن ذرية ابراهيم كاسماعيل ، ومن ذرية يعقوب كأنبياء بنى اسرائيل ، وممن هديناهم الى الحق ، واخترناهم لاعلاء كلمة الله . . هؤلاء اذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم ، خشعوا وخروا ساجدين لله متضرعين له .

ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ

---

٥٩ ـ ثم جاء بعد هؤلاء الاخيار أجيال على غير هديهم، تركوا الصلاة، وأهملوا الانتفاع بهديها، وانهمكوا فى المعاصى، وسيلق هؤلاء جزاء غيهم وضلالهم فى الدنيا والآخرة.

٦٠ ـ لكن من تداركوا أنفسهم بالتوبة، وصدق الايمان، والعمل الصالح، فان الله يقبل توبتهم، ويدخلهم الجنة، ويوفيهم اجورهم.

٦١ ـ هذه الجنات دار خلود، وعد الرحمن بها عباده التائبين، فآمنوا بها بالغيب، فهم داخلوها لامحالة، فان وعد الله لايتخلف.

٦٢ ـ وهم فى تلك الجنات لايجرى بينهم لغو الحديث، ولا يسمعون الا خيرا وأمنا، ورزقهم فيها رغد مكفول دائما.

٦٣ ـ وانما يؤتى الله تلك الجنة، ويملكها لمن كان تقيا فى الدنيا، بترك المعاصى وفعل الطاعات.

٦٤ ـ وحين دخولهم، واستقرارهم فيها، يقولون حامدين لله: مادخلنا فى الجنة، ولانتقل فيها من منزل الى منزل، الا بأمر الله وفضله، فهو سبحانه المالك والمدبر، العالم بمستقبلنا وماضينا، وما بين ذلك، ولا ينسى الله تحقيق وعده لمن وعده من عباده المتقين.

٦٥ ـ فهو سبحانه الخالق المالك للسموات والارض وما بينها، والمدبر لشئونها، والمستحق وحده للعبادة، فاعبده أيها المخاطب، وثابر على عبادته صابرا مطمئنا، فهو سبحانه المستحق ـ وحده ـ للعبادة، وليس له نظير يستحق العبادة، أو يسمى باسم من أسمائه..

٦٦ ـ ويقول الانسان مستغربا البعث: كيف أبعث حيا بعد الموت والفناء؟!!.

٦٧ ـ كيف يستغرب قدرة الله على البعث فى الآخرة، ولايذكر انه تعالى خلقه فى الدنيا من عدم، مع أن اعادة الخلق أهون من بدئه فى حكم العقل.

لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ

---

٦٨ - واذا كان أمر البعث غريبا ينكره الكافرون ، فوالذى خلقك ورباك ونماك ، لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع شياطينهم ، الذين زينوا لهم الكفر ، وسنحضرهم جميعا حول جهنم ، جاثين على ركبهم فى ذلة ، لشدة الهول والفزع .

٦٩ - ثم لننزعن من كل جماعة أشدهم كفرا بالله ، وتمردا عليه ، فيدفع بهم قبل سواهم الى أشد العذاب .

٧٠ - ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم الى دخول جهنم والاصطلاء بلهيبها .

٧١ - وان منكم معشر الخلق الا حاضر لها ، يراها المؤمن ويمر بها ، والكافر يدخلها ، وتنفيذ هذا أمر واقع حتما ، جرى به قضاء الله .

٧٢ - ثم اننا نشمل المتقين برحمتنا ، فننجيهم من جهنم ، ونترك بها الذين ظلموا انفسهم جاثين على ركبتهم ، تعذيبا لهم .

٧٣ - وكان الكافرون فى الدنيا ، اذا تليت عليهم آيات الله واضحة الدلالة ، أعرضوا عنها ، وقالوا للمؤمنين - معتزين بمالهم وجمعهم - : لستم مثلنا حظا فى الدنيا ، فنحن خير منكم منزلا ومجلسا ، فكذلك سيكون حظنا فى الآخرة التى تؤمنون بها .

٧٤ - وكان على هؤلاء الكافرين أن يتعظوا بمن سبقهم من أمم كثيرة ، كفرت بالله وكانوا أحسن منهم حظا فى الدنيا ، وأكثر متاعا ، وأبهى منظرا ، فأهلكهم الله بكفرهم - وهم كثيرون - وفى آثارهم عبر لكل معتبر .

جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ

سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ

ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

---

٧٥ ـ قل ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء : من كان فى الضلالة والكفر أمهله الرحمن ، وأملى له فى العمر ، ليزداد طغيانا وضلالا ، وسيرتد الكفار قولهم للمؤمنين : أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ الى أن يشاهدوا مايوعدون ، اما تعذيب المسلمين اياهم فى الدنيا بالقتل والاسر واما خزى القيامة لهم ، فحينئذ يعلمون أنهم شر منزلا وأضعف انصارا .

٧٦ ـ أما المؤمنون بآيات الله ، فحينما يسمعونها ، يقبلون عليها ، ويزيدهم الله بها توفيقا لحسن العمل ، والاعمال الصالحة خير وأبقى عند الله ثوابا وعاقبة .

٧٧ ـ تعجب أيها الرسول من أمر الكافر بآيات الله ، الذى فتنته دنياه ، فأنكر البعث وقال ـ مستهزئا ـ : ان الله سيعطينى فى الآخرة التى تزعمونها مالا وولدا أعتز بها هناك ، وظن ان الآخرة كالدنيا ، تقاس عليها ، ونسى أنها جزاء الخير والشر ، وان الفضل فيها بالعمل الصالح .

٧٨ ـ فهل اطلع ذلك الكافر على الغيب ، حتى يخبر عن صدق ، وهل أخذ من الله عهدا بذلك حتى يتعلق بأمل ؟ .

٧٩ ـ فليرتدع عما يفتريه ، فاننا نحصى عليه افتراءه ، وسيصل عذابه ممدودا مدا طويلا لايتصوره .

٨٠ ـ سيسلبه الله مايعتز به فى الدنيا ، من مال وولد ، ويهلكه ، ويأتى فى الآخرة وحيدا منفردا ، دون مال أو ولد أو نصير .

٨١ ـ أولئك الكافرون اتخذوا غير الله الهة مختلفة عبدوها ، لتكون لهم شفعاء فى الآخرة .

٨٢ ـ عليهم ان يرتدعوا عما يظنون ، سيجحد الآلهة عبادتهم وينكرونها . ويكون هؤلاء المعبودون خصما للمشركين ، يطالبون بتعذيبهم .

عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

---

٨٣ ـ ألم تعلم ، أيها الرسول ، أننا مكنا الشياطين من الكافرين ـ وقد استحوذت على هؤلاء الكافرين ـ تغريهم وتدفعهم الى التمرد على الحق فانقادوا لها . .

٨٤ ـ فلا يضيق صدرك ـ أيها الرسول ـ بكفرهم ، ولاتستعجل لهم العذاب ، فانما نتركهم فى الدنيا امدا محدودا ونحصى عليهم اعمالهم وذنوبهم ، لنحاسبهم عليها فى الآخرة . .

٨٥ ـ اذكر ـ أيها الرسول اليوم الذى نجمع فيه المتقين الى جنة الرحمن وفودا وجماعات مكرمين .

٨٦ ـ وندفع فيه المجرمين الى جهنم عطاشا ، كاندفاع الدواب العطاش الى الماء .

٨٧ ـ ولايملك الشفاعة فى هذا اليوم أحد الا من يأذن الله تعالى له ، لعهد كان له .

٨٨ ـ لقد قال المشركون واليهود والنصارى : ان الله اتخذ ولدا ، من الملائكة أو من الناس .

٨٩ ـ لقد أتيتم أيها القائلون ذلك القول أمرا منكرا ، تنكره العقول المستقيمة .

٩٠ ـ تكاد السموات يتشققن منه ، وتنخسف الارض ، وتسقط الجبال قطعا مفتتة .

٩١ ـ وانما تقرب حوادث السموات والارض والجبال ان تقع ، لانهم سموا لله ولدا .

٩٢ ـ وما يستقيم فى العقل ان يكون لله ولد ، لان اثبات الولد له يقتضى حدوثه وحاجته .

٩٣ ـ ما كل من فى السموات والارض الا سيأتى الله سبحانه يوم القيامة عبدا خاضعا لألوهيته .

٩٤ ـ لقد أحاط علمه بهم جميعا وبأعمالهم ، فلايخفى عليه أحد منهم ولاشىء من أعمالهم .

٩٥ ـ وهم جميعا يجيئون اليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد والمال .

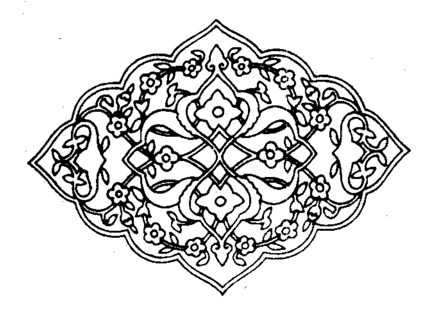
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

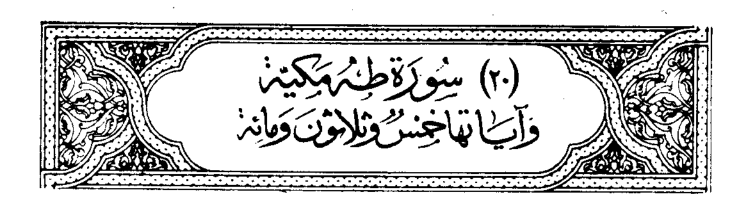
---

٩٦ - ان المؤمنين العاملين الصالحات يحبهم الله، ويحببهم الى الناس.

٩٧ - فانما يسرنا القرآن بلغتك لتبشر برضا الله ونعيمه من اتبع أوامره واجتنب نواهيه. وتنذر بسخط الله وعذابه من كفر به واشتد فى خصومته.

٩٨ - فلا يحزنك - أيها - الرسول - عنادهم لك، فقد أهلك الله قبلهم كثيرا من الأمم والأجيال، لعنادهم ولكفرهم، ولقد اندثروا، فلا ترى منهم أحدا، ولا تسمع لهم صوتا..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ

هذه السورة سورة مكية الا آيتين : هما الآية رقم ١٣٠ . ١٣١ . وعدد آياتها ١٣٥ ، وقد ابتدات السورة بحرفين صوتيين للتنبيه على اعجاز القرآن ، ولحمل السامعين على الانصات . وقد ذكرت منزلة القرآن بعد هذين الحرفين ، وشرفه بشرف منزله ، وهو الله سبحانه وتعالى ، مالك السموات والارض ، والذى يعلم السر ، وما هو أخفى من السر ، ثم ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وكيف ابتدأ بعث موسى عليه السلام ، وطلبه ان يكون اخوه هارون عليهما السلام عونا له ومؤازرا ، ثم كيف التقيا بفرعون بعد الهيبة من لقائه لعظم طغيانه ، وفى هذه الاثناء بين الله تعالى نشأة موسى عليه السلام .

وفيها المجاوبة بين موسى وفرعون ، ثم بين موسى عليه السلام والسحرة ، وحال موسى من خوف الهزيمة أمام السحرة ، والتقاف عصاه لما ألقوا من حبال ، ثم فيها كيف انتهى أمر السحرة ، وايمانهم ، وتعذيب فرعون لهم ، ثم نجاة موسى مع بنى اسرائيل من فرعون ، وكيف غرق فرعون ، وقد تبعهم بعد انفلاق البحر ، وكيف نجا موسى الى الطور ، وقد ترك قومه ليذهب لمناجاة ربه ، ففتنهم السامرى ، ووسوس لهم أن يعبدوا هيكل عجل عمل من الذهب ، وكان مرور الهواء فى جوفه يحدث خوارا ، وقد غضب موسى لما حدث ، واخذ برأس اخيه يجره اليه .

ثم جاء فى السورة الكريمة ما أصاب السامرى ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى العبر فى قصص موسى وغيره ، وجاء فى آخر السورة بوصايا كريمة بالصبر والعفة والصلاة ، ثم بيان تهافت المشركين فى طلبهم معجزة غير القرآن ، وأشار سبحانه الى حكمة ارسال الرسل ، ثم ختمت السورة الكريمة بالاشارة الى ما يكون للكافرين من عذاب ، وما يكون للمؤمنين من ثواب . .

١ ـ بدأ الله تعالى السورة بهذه الحروف ، لتحدى المنكرين والاشارة الى ان القرآن مكون من هذه الحروف التى تتكلمون بها ، ومع ذلك عجزتم عن الاتيان بسورة قصيرة او آيات من مثله .

٢ ـ انا ماأوحينا اليك ـ أيها الرسول ـ هذا القرآن ليكون سببا فى ارهاق نفسك اسفا على اعراض المعرضين عنك .

٣ ـ لكن أنزلناه تذكرة لمن يخاف الله فيطيعه .

وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾

---

٤ - قد نزل عليك هذا القرآن من عند الله القادر خالق الارض والسموات الرفيعة العالية.

٥ - عظيم الرحمة على ملكه استولى.

٦ - له - وحده - سبحانه ملك السموات ومافيها والارض وماعليها، وملك ما بينهما، وما اختبأ فى الارض من معادن وخيرات.

٧ - وكما شملت قدرة الله كل شىء قد أحاط علمه بكل شىء، وان ترفع صوتك أيها الانسان بالقول، فان الله يعلمه، لانه يعلم حديثك مع غيرك ويعلم حديث نفسك.

٨ - هو الله الاله الواحد المستحق للعبادة دون سواه، اذ هو المتصف بصفات الكمال، وله الصفات الحسنى.

٩ - هل علمت أيها النبى خبر موسى مع فرعون؟

١٠ - حين أبصر نارا فى مسيره ليلا من مدين الى مصر، فقال عند ذلك لزوجه ومن معها: انتظروا فى مكانكم، انى ابصرت نارا، ارجو ان احمل لكم منها جمرة تدفئكم، او اجد حول النار من يهدينى الى الطريق.

١١ - فلما بلغ مكانها، سمع صوتا علويا يناديه: ياموسى.

١٢ - انى انا الله ربك، فانزع نعليك تكريما للموقف، فانك بالوادى المطهر المبارك وهو «طوى».

١٣ - وأنا الله اصطفيتك بالرسالة، فاصغ لما أوحيه اليك لتعلمه وتبلغه قومك.

١٤ - اننى انا الله الاله الواحد، لامعبود بحق سواى، فآمن بى واعبدنى، وداوم على اقامة الصلاة لتظل فى ذكر دائم بى.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾

---

١٥ ـ ان الساعة التى هى موعد لقائى وقد أخفيت موعدها عن عبادى ، وأظهرت لهم دلائلها ، آتية لامحالة ، لتحاسب كل نفس على ماعملت وتجزى به .

١٦ ـ فلايصرفنك ياموسى عن الايمان بالساعة والاستعداد لها من لايصدق بها ، ومال مع هواه فتهلك .

١٧ ـ وماتلك التى تمسكها بيدك اليمنى ؟

١٨ ـ وأجاب موسى : انها عصاى أعتمد عليها فى سيرى ، وأسوق بها غنمى ، ولى فيها منافع أخرى ، كدفع أذى الحيوان .

١٩ ـ قال الله سبحانه لموسى : ارم بها على الأرض .

٢٠ ـ فرمى بها موسى ، ففوجىء بها تنقلب حية تمشى !

٢١ ـ فارتاع منها ، فطمأنه الله قائلا : تناولها دون خوف ، فاننا سنعيدها عصا كما كانت .

٢٢ ـ وأدخل يدك فى جيب ثوبك مضمومة الى جنبك ، تخرج بيضاء ناصعة من غير داء وقد جعلناها لك معجزة ثانية على رسالتك .

٢٣ ـ لنريك بعض معجزاتنا الكبرى لتكون دليلا على صدقك فى الرسالة .

٢٤ ـ اذهب الى فرعون وادعه الى الايمان بالله الواحد الأحد ، فانه قد تجاوز الحد فى كفره وطغيانه

٢٥ ـ فتضرع موسى إلى ربه أن يشرح له صدره ، ليذهب عنه الغضب ، وليؤدى رسالة ربه . .

٢٦ ـ وسهل لى أمر الرسالة لأؤدى حقها . .

وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ

---

٢٧ - وفك عقدة لسانى لأبين .

٢٨ - ليفهم الناس فهما دقيقا ماأقول لهم .

٢٩ - واجعل لى مؤازرا من أهلى .

٣٠ - هو أخى هارون .

٣١ - أشدد به قوتى .

٣٢ - وأشركه معى فى تحمل أعباء الرسالة وتبليغها .

٣٣ - كى ننزهك كثيرا عما لا يليق بك .

٣٤ - ونردد أسماءك الحسنى كثيرا . .

٣٥ - ياربنا : انك دائما بصير بنا ، ومتكفل بأمرنا . .

٣٦ - نادى الله رسوله موسى قائلا : قد أعطيتك ماسألت ، وهذه منة عليك .

٣٧ - ولقد سبق ان تفضلنا عليك بمنة اخرى دون سؤال منك .

٣٨ - حين الهمنا أمك الهاما كريما كانت فيه حياتك .

٣٩ - الهمناها ان تضعك - طفلا رضيعا - فى الصندوق ، وأن تلق به فى النيل ، لننجيك من قتل فرعون ، اذ كان يقتل من يولد فى بنى اسرائيل من الذكور ، وسخرنا الماء ليلق الصندوق بالشاطىء ، وشاءت ارادتنا أن يأخذ الصندوق فرعون عدوى وعدوك ، وأحببتك حب رحمة وولاية ، ليحبك كل من يراك ، ولتربى تربية كريمة ملحوظا برعايتى .

جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾
ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن
يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ
إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ

---

٤٠ ـ واعلم ياموسى سابق عنايتنا بك حين مشت أختك ترقب أمرك ، فلما صرت فى قصر فرعون ، ورأتهم يبحثون لك عن مرضع ، دلتهم على أمك ، فرددناك اليها لتفرح بحياتك وعودتك ، ولتكف عن الحزن والبكاء ، ولما كبرت وقتلت خطأ رجلا من قوم فرعون ، نجيناك من الغم الذى لحق بك ، وخلصناك من شرهم ، فذهبت الى مدين ومكثت فيها سنين عدة ، ثم عدت من مدين فى الموعد الذى قدرناه لارسالك . .

٤١ ـ واصطفيتك لوحيى وحمل رسالتى .

٤٢ ـ اذهب مع اخيك مؤيدين بمعجزاتى الدالة على النبوة والرسالة ولاتضعفا فى تبليغ رسالتى ، ولا تغفلا عن ذكرى والاستعانة بى .

٤٣ ـ اذهب مع أخيك هارون الى فرعون ، انه كافر تجاوز الحد فى كفره وطغيانه .

٤٤ ـ فادعواه الى الايمان بى فى رفق ولين ، راجيين أن يتذكر ماغفل عنه من الايمان ، ويخشى عاقبة كفره وطغيانه .

٤٥ ـ فتضرع موسى وهارون الى الله قائلين : ياربنا اننا نخشى ان يبادرنا فرعون بالاذى ، ويتجاوز الحد فى الاساءة .

٤٦ ـ فطمأنهما الله بقوله : لاتخافا فرعون ، اننى معكما بالرعاية والحفظ ، سميع لمايقول ، مبصر لما يفعل ، فلا أمكنه من ايذائكما .

٤٧ ـ فاذهبا الى فرعون فقولا له : اننا رسولان اليك من ربك ، جئنا ندعوك الى الايمان به ، وان تطلق بنى اسرائيل من الاسر والعذاب ، قد أتيناك بمعجزة من الله تشهد لنا بصدق مادعوناك اليه ، وبالامان من عذاب الله وغضبه لمن اتبع هداه .

٤٨ ـ وان الله قد أوحى الينا ان عذابه الشديد واقع على من كذبنا وأعرض عن دعوتنا .

٤٩ ـ قال فرعون فى طغيانه وجبروته : فمن ربكما ياموسى ؟

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ

---

٥٠ - فأجابه موسى : ربنا الذى منح نعمة الوجود لكل موجود ، وخلقه على الصورة التى اختارها سبحانه له ، ووجهه لما خلق [١] .

٥١ - قال فرعون : فما شأن القرون الماضية وما جرى لها ؟

٥٢ - قال موسى : علم هذه القرون عند ربى وحده ، وهى مسجلة فى صحائف اعمالهم ، لا يغيب عن علمه شىء منها ولا ينساه . .

٥٣ - هو الاله المتفضل على عباده بالوجود والحفظ ، مهد لكم الارض فبسطها بقدرته ، وشق لكم فيها طرقا تسلكونها ، وأنزل المطر عليها تجرى به الانهار فيها ، فأخرج سبحانه أنواع النبات المختلفة المتقابلة فى ألوانها وطعومها ومنافعها ، فنها الابيض ، ومنها الاسود ، ومنها الحلو ، ومنها المر . .

٥٤ - ووجه - سبحانه - عباده الى الانتفاع بما أخرج من النبات ، بالاكل ورعى الانعام ، ونحو ذلك . فذكر ان فى هذا الخلق وابداعه والإنعام به دلائل واضحة ، يهتدى بها ذوو العقول الى الايمان بالله ورسالاته .

٥٥ - ومن تراب هذه الارض خلق الله آدم وذريته ، واليها يردهم بعد الموت لمواراة أجسامهم ، ومنها يخرجهم أحياء مرة أخرى للبعث والجزاء .

٥٦ - ولقد أرينا فرعون على يد موسى المعجزات البينة المؤيدة لرسالته وصدقه فى كل ما أخبره به عن الله وعن آثار قدرته ، ومع هذا فقد تمادى فرعون فى كفره ، فكذب بكل ذلك ، وأبى أن يؤمن به .

٥٧ - قال فرعون لموسى : أجئتنا لتخرجنا من ارضنا ، وتجعلنا فى يد قومك بسحرك الذى قتلت الناس به ؟ !

---

(١) أودع الله سبحانه وتعالى فى كل شىء صفاته الخاصة التى تؤهله لأداء وظيفته التى خلق لها فى هذه الحياة كما أنها سبيل هداية الإنسان .

مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

---

٥٨ ـ وانا سنبطل سحرك من عندنا ، فاجعل بيننا وبينك موعدا نلتق فيه ، ولا يختلف منا أحد .

٥٩ ـ فأجابه موسى : موعدنا يوم عيدكم الذى تتزينون فيه مبتهجين به ، فيجتمع الناس فى ضحى ذلك اليوم ، ليشهدوا ما يكون بيننا وبينكم .

٦٠ ـ فانصرف فرعون ، وتولى الامر بنفسه ، فجمع وسائل تدبيره ، وعلية من السحرة ، وأدوات السحر ، ثم حضر فى الموعد بكل ذلك .

٦١ ـ قال لهم موسى : يحذرهم هلاك الله وعذابه ، وينهاهم عن اختلاق الكذب ، بزعمهم الوهية فرعون ، وتكذيبهم رسل الله ، وانكارهم المعجزات ، وهددهم بأن الله يستأصلهم بالعذاب ان استمروا على هذا ، ويؤكد خسران من افترى الكذب على الله .

٦٢ ـ فذعروا من تحذير موسى ، وتفاوضوا سرا فيما بينهم متجاذبين وكل يشير برأى فيما يلقون به موسى .

٦٣ ـ وأجمعوا فيما بينهم على أن موسى وهارون ساحران ، يعملان على اخراجهم من بلادهم ، باخراج السلطان من أيديهم ، وذلك بالسحر ليتمكن بنو اسرائيل فيها ، وليبطلا عقيدتهم الطيبة فى زعمهم ! .

٦٤ ـ فاجعلوا ماتكيدون به موسى أمرا متفقا عليه ، ثم احضروا مصطفين ، لتكون لكم فى نفوس الرائين الهيبة والغلبة ، وقد فاز اليوم من غلب .

٦٥ ـ واجه السحرة موسى برأى واحد ، وخيروه فى شموخ واعتزاز ، بين ان يبدأ فيلق عصاه ، أو أن يكونوا هم البادئين .

تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾

---

٦٦ ـ قال موسى : بل ابتدئوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، فتخيل موسى من السحر انها انقلبت ثعابين تتحرك وتسير .

٦٧ ـ فأحس موسى بالخوف لما رآه من اثر السحر ، ومن احتمال أن يلتبس السحر على الناس بالمعجزة ! .

٦٨ ـ فأدركه الله بلطفه قائلا : لاتخش شيئا ، انك الغالب المنتصر على باطلهم .

٦٩ ـ وألق العصا التى بيمينك لتبتلع مازوروا من السحر ، ان صنيعهم لايجاوز تمويه السحرة ، وان الساحر لا يفوز أينما كان .

٧٠ ـ فألقى موسى عصاه فاذا بها تنقلب حقا بقدرة الله حية كبيرة مخيفة ، وابتلعت كل ماأعدوه ، فلما رأى السحرة تلك المعجزة بادروا الى السجود ، موقنين بصدق موسى ، قائلين : آمنا بالله ـ وحده ـ رب هارون وموسى ، ورب كل شىء .

٧١ ـ قال فرعون : كيف تؤمنون به دون اذن منى ؟ انه لرئيسكم الذى علمكم السحر ، وليس عمله معجزة كما توهمتهم ! ! وهددهم : لأقطعن ايديكم وارجلكم مختلفات بقطع اليمنى من واحدة واليسرى من الاخرى ، ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، وستعلمون أى الالهين أشد عذابا وأدوم زمنا ، أنا أم اله موسى .

٧٢ ـ ثبت السحرة على ايمانهم ، ودفعوا تهديد فرعون بقولهم : لن نبقى على الكفر معك بعد ما تبين لنا الحق فى معجزة موسى ، ولن نختارك على اله موسى الذى خلقنا ، فافعل ماتريد ان تفعله ! ! ان سلطانك لا يتجاوز هذه الحياة القصيرة .

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ

---

٧٣ - فاننا مقيمون على الايمان بربنا الحق ، ليتجاوز لنا عما سلف من السيئات ، وليغفر لنا ممارسة السحر الذى أكرهتنا على تعلمه ، والعمل به وربنا خير منك ثوابا ، اذا أطيع ، وابقى منك سلطانا وقدرة على الجزاء .

٧٤ - ان من يموت على الكفر ويلق الله مجرما فجزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يحيا حياة يتمتع فيها بنعيم .

٧٥ - ومن يلاق ربه على الايمان وصالح العمل ، فله المنازل السامية .

٧٦ - تلك المنازل هى جنات الاقامة فى النعيم ، تجرى بين أشجارها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء لمن طهر نفسه من الكفر بالايمان ، والطاعة بعد الكفر والمعصية .

٧٧ - ثم تتابعت الاحداث بين موسى وفرعون ، وأوحى الله إلى رسوله موسى أن يخرج ببنى اسرائيل من مصر ليلا ، وأن يضرب البحر بعصاه فتحدث معجزة أخرى ، اذ يفتح له الطريق يبسا فى الماء ! . وطمأنه ألا يخاف من ادراك فرعون لهم ، ولا أن يغرقهم الماء ! .

٧٨ - فنفذ موسى ما أمر الله به ، فخرج فرعون بجنوده وراءه ، فأدركهم عند البحر . وسار وراءهم فى الطريق التى تفتحت فى البحر لموسى وقومه ، وهنا تحققت المعجزة الاخرى ، وهى انطباق مياه البحر على فرعون وقومه ، فأغرقتهم جميعا .

٧٩ - وهكذا انحرف بقومه عن طريق الحق ، وغرر بهم فهلكوا جميعا ! .

٨٠ - يابنى اسرائيل ، قد أنجيناكم من عدوكم فرعون ، وواعدناكم بالنجاة من عدوكم على لسان موسى ، أن تصلوا آمنين الى جانب الطور ، ونزلنا عليكم المن والسلوى ، رزقا طيبا ، من الحلو ولحم الطير الشهى .

مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا

---

٨١ - كلوا من هذه الطيبات التى رزقتم بها دون مجهود ، ولاتظلموا ، ولاترتكبوا معصية الله فى هذا العيش الرغيد ، حتى لاينزل بكم غضبى ، فان من ينزل عليه غضبى ينحدر الى أسفل الطبقات من عذاب الله .

٨٢ - وانى عظيم الغفران لمن رجع عن كفره ، وأحسن الايمان ، وأصلح العمل ، واستمر على ذلك حتى يلق الله .

٨٣ - سبق موسى قومه الى الطور ، ليظفر بمناجاة ربه ، فسأله الله عن السبب الذى أعجله بالحضور دون قومه .

٨٤ - قال موسى : ان قومى قريبون منى ، لاحقون بى ، وانما سبقتهم اليك يارب رغبة فى رضاك .

٨٥ - قال الله له : انا قد امتحنا قومك من بعد مغادرتك لهم ، فوقعوا فى فتنة ، اذ أضلهم السامرى .

٨٦ - فعاد موسى الى قومه فى غضب شديد وحزن مؤلم ، وخاطب قومه منكرا عليهم بقوله : لقد وعدكم ربكم النجاة والهداية ، بنزول التوراة ، والنصر بدخول الارض المقدسة ، ولم يطل عليكم العهد حتى تنسوا وعد الله لكم ، أردتم بسوء صنيعكم أن ينزل بكم غضب الله بطغيانكم الذى حذركم منه فأخلفتم عهدكم لى بالسير على سنتى والمجىء على أثرى .

فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ

---

٨٧ - قال قوم موسى معتذرين : لم نتخلف عن موعدك باختيارنا ، ولكننا حملنا حين خرجنا من مصر أثقالا من حلى القوم ، ثم رأينا - لشؤمها علينا - أن نتخلص منها ، فأشعل السامرى النار فى حفرة ورمينا فيها هذه الاثقال ، فكذلك رمى السامرى مامعه من الحلى .

٨٨ - فصنع السامرى لهم عجلا مجسما من الذهب ، يمر الريح فى جوفه فيكون له صوت يسمع كخوار البقر ، لتتم الخديعة به ، ودعاهم الى عبادته فاستجابوا ، وقال هو واتباعه ، هذا معبودكم ومعبود موسى فنسى ، انه يسهل بالتأمل والاستدلال على ان العجل لا يكون الها .

٨٩ - لقد عميت بصائرهم حين يعتبرون هذا العجل الها ! أفلا يرون انه لايرد على اقوالهم ، ولا يستطيع ان يدفع عنهم ضرا ، ولا أن يجلب لهم نفعا ! ؟

٩٠ - وكان هارون مقيما فيهم ، حين قيام هذه الفتنة ، ولقد قال لهم قبل رجوع موسى عليه السلام : ياقوم ، لقد وقعتم فى فتنة السامرى بهذا الباطل ! وان الهكم الحق هو الله الرحمن دون سواه ، فاتبعونى فيما أنصحكم به ، وامتثلوا رأيى بالامتناع عن هذه الضلالة .

٩١ - قالوا : سنظل مستمرين على عبادة هذا العجل الى أن يعود موسى الينا ! .

٩٢ - قال موسى متأثرا بماعلمه ورآه من قومه : ياهارون ، أى سبب منعك أن تكفهم عن الضلالة اذ رأيتهم وقعوا فيها ؟

٩٣ - ولم تقم مقامى بنصحهم كما عهدت اليك ، أفلا تتبعنى فيما عهدت به اليك أم هل عصيت أمرى ؟ .

٩٤ - قال هارون لموسى : ياابن أمى ، لاتعاجلنى بغضبك ، ولا تمسك بلحيتى ولا برأسى لقد خفت ان شددت عليهم فتفرقوا شيعا وأحزابا أن تقول لى : فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم تخلفنى فيهم كما عهدت اليك .

يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي
نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ
ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ
كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ
عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ

---

٩٥ ـ قال موسى عليه السلام للسامرى : ماهذا الامر الخطير الذى يعد خطبا ووقعت فيه ؟ !

٩٦ ـ قال السامرى لموسى : عرفت من حذق الصناعة وحيلها ما لم يعلمه بنو اسرائيل ، وصنعت لهم صورة عجل له هذا الصوت ، وقبضت قبضة من التوراة فألقيتها فى جوف العجل ، تمويها على الناس ، وكذلك زينت لى نفسى أن أفعل مافعلت .

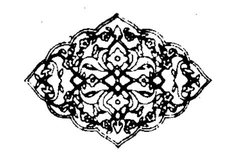
٩٧ ـ قال موسى للسامرى : اخرج من جماعتنا ، وابعد عنا ، وان جزاءك فى الدنيا أن تهيم على وجهك ، وينفر الناس منك ، حتى لا تكون بينك وبينهم صلة ، فلا يقربك أحد ، ولاتقترب أنت من أحد ، وان لعذابك فى الآخرة موعدا محددا لاتستطيع الفرار منه ! ! وندد موسى به وبإلهه قائلا : أنظر الآن ماذا نصنع بالهك الذى عكفت على عبادته ، وفتنت الناس به ، لنحرقنه ثم لنذروه فى البحر ذروا ! !

٩٨ ـ وقام موسى بانجاز ماقال ، ثم اتجه الى بنى اسرائيل بعد هذه العبرة قائلا لهم : ان الهكم الواحد ، هو الذى لا يعبد بحق سواه ، وقد أحاط علمه بكل شىء مما كان ومما سيكون .

٩٩ ـ كما قصصنا عليك أيها الرسول نبأ موسى ، نخبرك بالحق عن الامم السابقة وقد أنزلنا عليك من عندنا كتابا فيه تذكير لك ولأمتك ، بمافيه صلاح دينكم ودنياكم .

١٠٠ ـ من انصرف عن تصديقه والاهتداء به ، فانه يضل فى حياته ، ويأتى يوم القيامة حاملا اثم ماصنع ، ويجازى بالعذاب الشديد .

١٠١ ـ ويخلد فى هذا العذاب ، وبئس هذا الحمل السىء يوم القيامة ! .



وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ

---

١٠٢ ـ اذكر أيها الرسول لامتك اليوم الذى تأمر فيه الملك ان ينفخ فى الصور نفخة الاحياء والبعث من القبور. وندعوهم الى المحشر، ونسوق المجرمين الى الموقف زرق الوجوه رعبا وفزعا !

١٠٣ ـ يتهامسون فيما بينهم فى ذلة واضطراب عن قصر الحياة الدنيا، حتى كأنهم لم ينعموا بها، ولم يلبثوا فيها الاعشرة أيام !

١٠٤ ـ وليس تهامسهم خافيا، فنحن اعلم بما يتهامسون به، وبما يقول اقربهم الى تصوير شعورهم نحو الدنيا بأنها لم تكن الا كيوم واحد !

١٠٥ ـ ويسألك المنكرون للبعث ـ أيها الرسول ـ عن مصير الجبال يوم القيامة التى تتحدث عنه، فأجبهم بأن الله يفتتها كالرمل، ثم يطيرها بالرياح فتكون هباء !

١٠٦ ـ فيدع أماكنها من الأرض بعد نسفها ملساء مستوية.

١٠٧ ـ لاتبصر فى الأرض انخفاضا ولاارتفاعا، كأنها لم تكن معمورة من قبل.

١٠٨ ـ يوم القيامة يتبع الناس بعد قيامهم من قبورهم، دعوة الداعى الى المحشر مستسلمين، لا يستطيع أحد منهم أن يعدل عنه يمينا ولا شمالا، وتخشع الاصوات بالسكون والرهبة لعظمة الرحمن، فلا يسمع الا صوت خفى.

١٠٩ ـ يومئذ لاتنفع الشفاعة من أحد، الا من أكرمه الله فأذن الله بالشفاعة ورضى قوله فيها، ولاتنفع الشفاعة فى أحد الا من اذن الرحمن فى أن يشفع له، وكان مؤمنا، ورضى الله قوله بالتوحيد والايمان.

١١٠ ـ والله ـ جل شأنه ـ يعلم ماتقدم من أمورهم فى دنياهم، وما يستقبلونه منها فى اخراهم، فهو سبحانه يدبر الامر فيهم بمقتضى علمه، وهم لا يحيطون علما بتدبيره وحكمته..

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ

---

١١١ - وذلت وجوه فى هذا اليوم، وخضعت للحى الذى لا يموت، القائم بتدبير أمور خلقه. وقد خسر النجاة والثواب فى اليوم الآخر من ظلم نفسه فى الدنيا فأشرك بربه!.

١١٢ - ومن يعمل من الطاعات وهو مصدق بما جاء به محمد ﷺ فهو لا يخاف ان يزاد فى سيئاته، أو ينقص من حسناته.

١١٣ - ومثل هذا البيان الحق الذى سلف فى هذه السورة - فى تمجيد الله وقصة موسى، وأخبار القيامة - أنزل الله هذا الكتاب قرآنا عربى البيان، وصرف القول فى أساليب الوعيد ووجوهه، لينتهوا عما هم فيه من العصيان، وليجدد القرآن لهم عظة واعتبارا.

١١٤ - فارتفع عن الظنون، وتنزه عن مشابهة الخلق الملك الذى يحتاج اليه الحاكمون والمحكومون، المحق فى الوهيته وعظمته، ولاتعجل يامحمد بقراءة القرآن من قبل ان يفرغ الملك من القائه اليك، وقل: رب زدنى علما بالقرآن ومعانيه.

١١٥ - ولقد وصينا آدم - أيها الرسول - من أول أمره، ألا يخالف لنا أمرا، فنسى العهد وخالف، ولم نجد له أول أمره عزما وثيقا، وتصميما قويا يمنع من أن يتسلل الشيطان الى نفسه بوسوسته!.

١١٦ - واذكر، ايها الرسول، حين أمر الله الملائكة بتعظيم آدم على وجه أراده سبحانه، فامتثلوا، لكن ابليس وهو معهم - وكان من الجن - خالف وامتنع، فأخرج وطرد!

١١٧ - فخاطب الله آدم قائلا: ان هذا الشيطان الذى خالف امرنا فى تعظيمك عدو لك ولحواء زوجتك، فاحذروا وسوسته بالمعصية، فيكون سببا فى خروجكما من الجنة، فتشق ياآدم فى الحياة بعد الخروج من الجنة.

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ

---

١١٨ - ان علينا أن نكفل لك مطالب حياتك فى الجنة ، فلن يصيبك فيها جوع ولا عرى .

١١٩ - وأنه لن يصيبك فيها عطش ، ولن تتعرض فيها لحر الشمس كما هو شأن الكادحين فى خارج الجنة .

١٢٠ - فاحتال عليه الشيطان يهمس فى نفسه ، مرغبا له ولزوجه فى الأكل من الشجرة المنهى عنها ، قائلا : أنا أدلك ياآدم على شجرة ، من أكل منها رزق الخلود ، ورزق ملكا لا يفنى !

١٢١ - ودله على الشجرة المحرمة فخدع آدم وزوجه باغراء ابليس ، ونسيا نهى الله ، واكلا منها ! فظهرت لهما عوراتها ، جزاء طمعهما ، حتى نسيا ووقعا فى مخالفتها ، وصارا يقطعان من ورق شجر الجنة ويستران مابدا منها ، وخالف آدم ربه ، وكان ذلك قبل النبوة ، فحرم الخلود الذى تمناه وفسد عيشه !

١٢٢ - ثم اصطفاه الله للرسالة ، فقبل توبته ، وهداه الى الاعتذار والاستغفار .

١٢٣ - أمر الله آدم وزوجه أن يخرجا من الجنة ويهبطا الى الأرض وأخبرهما سبحانه بان العداوة ستكون فى الأرض بين ذريتهما ، وأنه سبحانه سيمدهم بالهدى والرشاد ، فمن اتبع منهم هدى الله فلايقع فى المآثم فى الدنيا ، ولا يشقى بالعذاب .

١٢٤ - ومن أعرض عن هدى الله وطاعته ، فانه يحيا حياة لا سعادة فيها ، فلا يقنع بما قسم الله ، ولا يستسلم الى قضاء الله وقدره ، حتى اذا كان يوم القيامة جاء الى موقف الحساب مأخوذا بذنبه ، عاجزا عن الحجة التى يعتذر بها ، كما كان فى دنياه أعمى البصيرة عن النظر فى آيات الله .



بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا

---

١٢٥ - وفى هذا الموقف يسأل ربه ، فى فزع : يارب ، كيف انسيتنى الحجة ، وأعجزتنى عن المعذرة ، ووقفتنى كالأعمى ؟ ! وقد كنت فى الدنيا أبصر ماحولى واجادل وادافع ! !

١٢٦ - الأمر فى شأنك كما وقع : جاءتك دلائلنا ورسلنا فى الدنيا فنسيتها ، وتعاميت عنها . ولم تؤمن بها ، وكذلك اليوم تترك منسيا فى العذاب والهوان !

١٢٧ - ومثل هذا الجزاء السيء ، نجزى فى الدنيا من أقبل على المعصية ، وكذب بالله وآياته ، وان عذاب الآخرة لأشد ألما ، وأدوم مما كان فى الدنيا . .

١٢٨ - كيف يتعامون عن آيات الله ، وقد تبين لهم اهلاكنا لكثير من الامم السالفة بسبب كفرهم ، ولم يتعظوا بهم مع أنهم يمشون فى ديارهم ومساكنهم ، ويشهدون آثار ماحل بهم من العذاب ؟ ! وان فى تلك المشاهد لعظات لأصحاب العقول الراجحة .

١٢٩ - ولولا حكم سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم الى أجل مسمى هو القيامة ، لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كمالزم كفار القرون الماضية .

١٣٠ - فاصبر - أيها الرسول - على مايقولونه فى رسالتك من تكذيب واستهزاء . ونزه ربك عما لا يليق به ، بالثناء عليه ، وعبادته وحده دائما ، وخاصة قبل أن تشرق الشمس وقبل أن تغرب ، ونزهه واعبده فى ساعات الليل ، وفى أطراف النهار بالصلاة ، حتى تدوم صلتك بالله ، فلتطمئن الى ما أنت عليه ، وترضى بما قدر لك .

١٣١ - ولاتتعد بنظرك الى مامتعنا به أصنافا من الكافرين ، لأن هذا المتاع زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، يمتحن الله به عباده فى الدنيا ، ويدخر الله لك فى الآخرة ماهو خير وأبقى من هذا المتاع .

نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

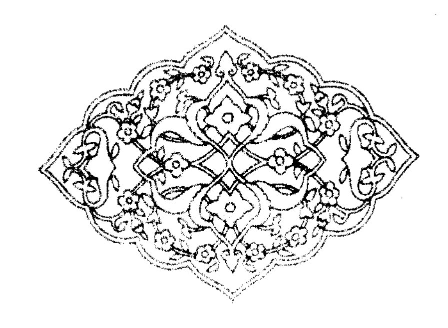
---

١٣٢ ـ ووجه أهلك الى أن يؤدوا الصلاة فى أوقاتها ، فالصلاة أقوى مايصلهم بالله ، وداوم على اقامتها كاملة ، لانكلفك رزق نفسك ، فنحن متكفلون برزقك ، وان العاقبة الحميدة فى الدنيا والآخرى مكفولة لاهل الصلاح والتقوى .

١٣٣ ـ وقال الكافرون فى عنادهم : لماذا لا يأتينا محمد بدليل من ربه ، يلزمنا الايمان به ؟ ! فكيف يجحدون القرآن ـ وقد جاءهم به مشتملا على مافى الكتب السابقة من أنباء الامم الماضية ، واهلاكهم بسبب تكذيب الرسل ، وليس محمد بدعا فى ذلك ؟ !

١٣٤ ـ ولو عاجل الله هؤلاء الكافرين بالاهلاك ، قبل أن يرسل اليهم محمدا ، لاعتذروا يوم القيامة قائلين : ياربنا لم ترسل الينا رسولا فى الدنيا مؤيدا بالآيات لنتبعه ، قبل أن ينزل بنا العذاب والخزى فى الآخرة . . ولكن لاعذر لهم الآن بعد ارسال الرسول !

١٣٥ ـ قل أيها الرسول لهؤلاء المعاندين : اننا جميعا منتظرون لما يؤول اليه أمرنا وأمركم ، وستعلمون حقا ، أى الفريقين صاحب الدين الحق والمهتدى بهدى الله ؟





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ

سورة مكية نزلت بعد سورة ابراهيم وآياتها ١١٢ آية وهى تبين قرب الساعة ، مع غفلة المشركين عنها . وقد دعوا أن الرسول لايكون بشرا ، وقالوا مرة عن القرآن سحر ، ومرة شعر ، ومرة أضغاث أحلام . والنذر بين أيديهم قائمة . وما كان الرسل الا رجالا مثل محمد ﷺ ، وان السابقين قبلهم كذبوا . كما كذبت قريش فقصم الله قراهم . وهو القادر على الاهلاك والابقاء ، وله كل مافى السموات والارض ، والملائكة فى معارجهم يسبحون الله تعالى ولا يفترون وان صلاح السموات والأرض دليل على أن منشئهما واحد ، فلو شاركه أحد لفسدتا والرسل جميعا جاءت بعبادة الله وحده ، وليس له ولد . ولايقول أحد انه اله مع الله ، والا فجزاؤه جهنم ، . . وبين سبحانه شأن عظمة خلقه ، وعجائب التكوين فى السموات والارض ، وبين حال المشركين والكافرين ، ونبه سبحانه وتعالى الى حفظ الله تعالى للناس ، وأشار سبحانه الى مايكون من جزاء يوم القيامة للكافرين . وذكر قصة موسى وهارون مع فرعون وقصة ابراهيم مع قومه وانعامه عليه بالذرية الطيبة ، وذكر سبحانه قصة لوط وقومه وهلاكهم وقصة نوح عليه السلام وكفر قومه ، وابادتهم الا من آمن ثم أشار سبحانه وتعالى الى قصص سليمان . وداود . وأيوب واسماعيل . وادريس . وذى الكفل . وذى النون . ومريم . وتحدث عن يأجوج ومأجوج . وبين سبحانه العمل الصالح وثمرته . ومايجازى به الذين اتقوا واحسنوا . وحالهم يوم القيامة ، ورحمة الله فى الرسالة المحمدية . وانذار الله للمشركين ، وأن الامر له يحكم وهو خير الحاكمين .

١ - دنا للمشركين وقت حسابهم يوم القيامة ، وهم غافلون عن هوله ، معرضون عن الايمان به .

٢ - مايأتيهم قرآن من ربهم مجدد نزوله . مذكر لهم بما ينفعهم ، الا استمعوه وهم مشغولون عنه بما لا نفع فيه . يلعبون كما يلعب الاطفال .

تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا

---

٣ ـ لاهية قلوبهم عن التأمل فيه ، وبالغوا في اخفاء تآمرهم على النبي وعلى القرآن ، قائلين فيما بينهم : مامحمد الا بشر مثلكم والرسول لا يكون الا ملكا ، اتصدقون محمدا فتحضرون مجلس السحر وأنتم تشاهدون أنه سحر ؟ !

٤ ـ قال الرسول لهم وقد أطلعه الله على حديثهم الذى أسروه : ربى يعلم كل ما يقال فى السماء والارض ، وهو الذى يسمع كل ما يسمع ، ويعلم كل ما يقع . .

٥ ـ بل قالوا : انه اخلاط احلام رآها فى المنام ، بل اختلقه ونسبه كذبا الى الله . . ثم اعرضوا عن ذلك وقالوا : بل هو شاعر يستولى على نفوس سامعيه ، فليأتنا بمعجزة مادية دالة على صدقه ، كما أرسل الأنبياء الاولون مؤيدين بالمعجزات .

٦ ـ لم تؤمن قبلهم أمة من الأمم التى أهلكناها بعد أن كذبت بالمعجزات المادية ، فهل يؤمن هؤلاء اذا جاءهم ما يطلبون ؟ !

٧ ـ ومأأرسلنا الى الناس قبلك أيها النبى الا رجالا من البشر ، نوحى اليهم الدين ليبلغوه الناس . فاسألوا أيها المنكرون أهل العلم بالكتب المنزلة ان كنتم لا تعلمون ذلك .

٨ ـ وما جعلنا الرسل اجسادا تخالف اجساد البشر يعيشون دون طعام ، ويبقون على الايام ، وماكانوا باقين مخلدين . .

٩ ـ ثم صدقناهم ، وحققنا لهم الوعد ، فأنجيناهم وانجينا معهم من أردنا نجاتهم من المؤمنين ، وأهلكنا الكافرين المسرفين فى تكذيبهم وكفرهم برسالة انبيائهم .

١٠ ـ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه تذكير لكم اذا علمتموه وعملتم بما فيه ، فكيف تعرضون وتكفرون به ؟ ! ايبلغ بكم العناد والحمق الى ماأنتم عليه فلا تعقلون ما ينفعكم فتسارعون اليه ؟

قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

---

١١ - وكثير من أهل القرى اهلكناهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم وأنشأنا بعد كل قوم منهم قوما غيرهم أحسن منهم حالا ومالا .

١٢ - فلما أردنا اهلاكهم ، واحسوا بمايقع عليهم من شدة عذابنا وقدرتنا على انزاله سارعوا الى الهرب ، والتماس النجاة بمايشبه عمل الدواب .

١٣ - لاتسرعوا أيها المنكرون ، فلن يعصمكم من عذاب الله شيء ، وارجعوا الى ماكنتم فيه من نعيمكم ومساكنكم ، لعل خدمكم وأشياعكم يسألونكم المعونة والرأى كما كان شأنكم ، وانى تستطيعون ؟ ؟

١٤ - قالوا - وقد سمعوا الاستهزاء بهم منادين هلاكهم موقنين به - : انا كنا ظالمين حين اعرضنا عما ينفعنا ، ولم نؤمن بآيات ربنا .

١٥ - فمازالت هذه الكلمات يرددونها . ويصيحون بها . حتى جعلناهم - بالعذاب - كالزرع المحصود خامدين لاحياة فيهم .

١٦ - وماخلقنا السماء والارض وما بينهما بهذا النظام المحكم ، والصنع البديع نلعب بهما ، بل جعلناها لحكم عالية يدركها المتأملون .

١٧ - لو أردنا أن نتخذ مانلهو به لما أمكن أن نتخذه الا من ملكنا الذى ليس فى الوجود ملك غيره ، ان كنا ممن يفعل ذلك . ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقنا .

١٨ - بل أمرنا الذى يليق بنا هو أن نقذف الحق فى وجه الباطل فيذهبه ، ولكم أيها الكافرون الهلاك ، بسبب افترائكم على الله ورسوله .

١٩ - ولله وحده كل من فى السموات والارض خلقا وملكا ، فمن حقه وحده أن يعبد ، والمقربون اليه من الملائكة لايستكبرون عن عبادته والخضوع له ، ولا يشعرون بالاعياء والملل من طول عبادته بالليل والنهار .

يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

---

٢٠ - ينزهونه جل شأنه عما لايليق به . لايتخلل تنزيههم هذا فتور ، بل هو تنزيه دائم لايشغلهم عنه شاغل . .

٢١ - لم يفعل المشركون مايفعله المقربون من اخلاص العبادة لله . بل عبدوا غيره واتخذوا من الأرض آلهة لاتستحق أن تعبد ، وكيف يعبد من دون الله من لا يستطيع اعادة الحياة ؟ !

٢٢ - لوكان فى السماء والأرض آلهة غير الله تدبر أمرهما ، لاختل النظام الذى قام عليه خلقهما ، وبلغ غاية الدقة والاحكام ، فتنزيها لله صاحب الملك عما ينسبه اليه المشركون .

٢٣ - لايحاسب - سبحانه - ولايسأل عما يفعل ، لأنه الواحد المتفرد بالعزة والسلطان ، الحكيم العليم ، فلا يخطىء فى فعل أى شىء ، وهم يحاسبون ويسألون عما يفعلون لأنهم يخطئون لضعفهم وجهلهم وغلبة الشهوة عليهم .

٢٤ - لم يعرفوا حق الله عليهم ، بل اتخذوا من غيره آلهة يعبدونها دون دليل معقول أو برهان صادق . قل أيها النبى : هاتوا برهانكم على أن لله شريكا فى الملك يبرر اشراكه فى العبادة . هذا القرآن الذى جاء مذكرا لأمتى بما يجب عليها ، وهذه كتب الانبياء التى جاءت لتذكر الامم قبلى تقوم كلها على توحيد الله . بل أكثرهم لايعلمون ماجاء فى هذه الكتب لأنهم لم يهتموا بالتأمل فيها . فهم معرضون عن الايمان بالله .

٢٥ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبى رسولا ما ، الا اوحينا اليه أن يبلغ امته انه لايستحق العبادة غيرى ، فأخلصوا لى العبادة .

٢٦ - وقال بعض كفار العرب : اتخذ الرحمن ولدا ، بزعمهم أن الملائكة بناته . تنزه عن أن يكون له ولد . بل الملائكة عباد مكرمون عنده ، بالقرب منه ، والعبادة له .

٢٧ - لايسبقون الله بكلمة يقولونها ، قبل أن يأذن لهم بها ، وهم بأمره دون غيره يعملون ، ولا يتعدون حدود ما يأمرهم به .

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ

---

٢٨ - يعلم الله كل أحوالهم وأعمالهم - ماقدموه وما اخروه - ولا يشفعون عنده الا لمن رضى الله عنه ، وهم من شدة خوفهم من الله تعالى ، وتعظيمهم له ، فى حذر دائم . .

٢٩ - ومن يقل من الملائكة : انى اله يعبد من دون الله ، فذلك نجزيه جهنم . مثل هذا الجزاء نجزى كل الذين يتجاوزون حدود الحق ، ويظلمون أنفسهم بادعاء الربوبية والشرك .

٣٠ - أعمى الذين كفروا ، ولم يبصروا أن السموات والارض كانتا فى بدء خلقهما ملتصقتين ، فبقدرتنا فصلنا كلا منهما عن الاخرى ، وجعلنا من الماء الذى لاحياة فيه كل شىء حى ؟ ! فهل بعد كل هذا يعرضون ، فلا يؤمنون بانه لا اله غيرنا ؟ !(١) .

---

(١) « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى » . تقرر هذه الآية معانى علمية أيدتها النظريات الحديثة فى تكوين الكواكب والأرض ، إذ أن السموات والأرض كانتا فى الأصل متصلة بعضها ببعض على شكل كتلة متصلة متماسكة . . والحقيقة العلمية التى اتفق عليها هى أن السموات والأرض كانتا متصلتين ، واستدل على ذلك بأدلة علمية عديدة . أما الفتق فمعناه الانفصال ، وهو ما قررته الآية الشريفة وأيده العلم بعد ذلك . وهناك نظريات عديدة تفسر بعض الظواهر فى هذا الشأن وتعجز عن تفسير الأخرى ، لذلك فليس بين هذه النظرية ما هو مقطوع به لدى العلماء بالإجماع . وسنذكر فيما يلى على سبيل المثال نظريتين :

النظرية الأولى : الخاصة بتكوين المجموعة الشمسية - مثلا - تقرر أن الغيم الكونى حول الشمس بدأ فى التمدد فى الفضاء البارد ، وأخذت حبيبات الغاز الذى يتألف منه الغيام بالتكثف على الذرات الغبارية ذات الحركة السريعة ، ثم تجمعت هذه الذرات بالتصادم والتراكم ، وهى تحبس فى داخلها كميات من الغاز الثقيلة ، وازداد التراكم والتجمع على مر الأحقاب حتى تكونت الكواكب والأقمار والأرض على أبعاد مناسبة ، ومن المعروف أن التجمع والتراكم يؤدى إلى زيادة فى الضغط الذى يؤدى بدوره إلى زيادة شديدة فى الحرارة ، وعندما تبلورت القشرة الأرضية بالبرودة وخلال عمليات الإنفجارات البركانية العديدة التى أعقبت ذلك حصلت الأرض على كميات هائلة من بخار الماء وثانى أكسيد الكربون بالانفصال عن الطفوح البركانية السائلة . . ومما ساعد على تكوين الأكسوجين الطليق فى الهواء بعد ذلك نشاط وتفاعل أشعة الشمس عن طريق التمثيل الضوئى مع النباتات الأولية والأعشاب .

أما النظرية الثانية : الخاصة بنشأة الكون عامة فتتلخص فى أن قوله تعالى : « كانتا رتقا » أى مضمومتين ملتحمتين فى صورة كتلة واحدة ، وهذا آخر ما وصل إليه البحث العلمى فى نشأة الكون ، وهو أنه قبل أن يأخذ صورته الحالية كان حشدا هائلا متجمعا فى أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل ، وأن جميع أجرام السماء اليوم ومحتوياتها بما فيها المجموعة الشمسية والأرض كانت مكدسة تكديسا شديدا فى كرة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال . وقوله تعالى « ففتقناهما » إشارة لما حدث لذلك السائل النووى الأولى من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء . انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية والأرض .

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » : تقرر هذه الآية حقيقة علمية أثبتها أكثر من فرع من فروع العلم ، وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام فى تركيب مادة الخلية ، وهى وحدة البناء فى كل كائن حى نباتا كان أو حيوانا ، وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التى تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو إما وسط أو عامل مساعد أو داخل فى التفاعل أو ناتج عنه .

وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضرورى لقيام كل عضو بوظائفه التى بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها .

بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

---

٣١ ـ ومن دلائل قدرتنا ، انا جعلنا فى الأرض جبالا ثوابت ، لئلا تضطرب بهم ، وجعلنا فيها طرقا فسيحة ، ومسالك واسعة ، لكى يهتدوا بها فى سيرهم الى اغراضهم .

٣٢ ـ وجعلنا السماء فوقهم كالسقف المرفوع ، وحفظناها من أن تقع ، أو يقع مافيها عليهم . وهم مع ذلك منصرفون عن النظر والاعتبار بآياتنا الدالة على قدرتنا ، وحكمتنا ورحمتنا .

٣٣ ـ والله هو الذى خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كل من هذه يجرى فى مجاله الذى قدره الله له ، ويسبح فى فلكه لا يحيد عنه .

٣٤ ـ وما جعلنا لأحد من البشر قبلك ـ أيها انبى ـ الخلود فى هذه الحياة حتى يتربص بك الكفار الموت . فكيف ينتظرون موتك ليشمتوا بك وهم سيموتون كما تموت ؟ ! أفإن مت يبقى هؤلاء احياء دون غيرهم من سائر البشر ؟ .

تعليق الخبراء على الآية ٣١ :

« وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون » : لما كان باطن الأرض منصهرا سائلا ، فلو فرضنا أن الجبال وضعت فى بعض نواحى الكرة الأرضية كأنها صخور هائلة مرتفعة فإن ثقلها قد يؤدى بالقشرة الأرضية أن تميد أو تنثنى أو تتصدع . لذلك جعل ـ جل شأنه ـ الجبال رواسى : أى ذات جذور ممتدة فى داخل القشرة الأرضية إلى أعماق كبيرة تتناسب مع ارتفاعها ، فهى كأنها أوتاد كما جعل كثافة هذه الارتفاعات والجذور أقل من كثافة القشرة المحيطة بها . كل ذلك حتى يتوزع الضغط على القشرة العميقة بحيث يكون مساويا فى جميع أنحائها فلا تميد أو تتصدع لأن التوزيع التماثلى للأثقال على سطح كروى يكاد لا يحدث تأثيرا يذكر .

وقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماء على الأرض ووجود سلاسل الجبال عليها مما يحقق الوضع الذى عليه الأرض وقد ثبت أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد هشة وخفيفة ، وأن تحت ماء المحيطات توجد المواد الثقيلة الوزن ، وبذلك تتوزع الأوزان على مختلف الكرة الأرضية . وهذا التوزيع الذى أساسه الجبال دائما قصد به حفظ توازن الكرة الأرضية ، ولما ارتفعت الجبال حدثت السهول والوديان والممرات بين الجبال وشواطىء البحار والمحيطات والهضبات ، وكانت سبلا وطرقا .

تعليق الخبراء على الآية ٣٢ :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » : تقرر هذه الآية الكريمة أن السموات وما فيها من أجرام محفوظة بكيانها متماسكة لا خلل فيها ، ومحفوظة من أن تقع على الأرض . والسماء هى كل ما علانا . . تبدأ بالغلاف الهوائى الذى يحمى أهل الأرض من كثير من أهوال الفضاء التى لا تستقيم معها الحياة بحال ، مثل الشهب والنيازك والأشعة الكونية ، وفوق الأرض الغلاف الهوائى الذى تحتفظ به الأرض بقوة الجاذبية ولا سبيل إلى فقده فى خضم الفناء المتناهى وفوق الغلاف الهوائى أجرام السماء على أبعاد مختلفة تحتفظ بنظام دورانها وكيانها منذ القدم كذلك .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا » : أى أن الغلاف الجوى وسائر الأجرام السماوية التى تشاهد بمساقطها على القبة التى تبدو لانظارنا كأنها على سطح هذه القبة السماوية وتظهر لنا كأنها متسعة اتساعا كبيرا أفقيا ، بينما يظهر الاتساع الرأسى أقل بكثير من الاتساع الأفق ، وتتمثل هذه الظاهرة عند مشاهدة قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب حيث يظهر أكبر مما هو عليه عندما تكون الشمس فى سمت الرأس ، ومصدر ذلك هو الخداع البصرى الذى يجعلنا نقدر المسافات الأفقية بدقة أكثر من المسافات الرأسية . . وهذه القبة السماوية تشمل الغلاف الجوى للأرض الذى له مميزات وخصائص تختلف كلما زاد الارتفاع على الأرض كما تشمل أيضا سائر الأجرام السماوية التى يقطعها الخط البصرى على القبة السماوية .

= تعليق الخبراء على الآية ٣٣ :

« وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » : لكل جرم سماوى مداره الخاص الذى يسبح فيه ، وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون ، كما أنها تتحرك فى مسارات خاصة هى الأفلاك ، ونحن نرى هذه الحقيقة ممثلة واضحة فى الشمس والقمر . كما أن دوران الأرض حول محورها يجعل الليل والنهار يتعاقبان عليها كأنها يسبحان .

تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ

---

٣٥ - كل نفس لابد ان تذوق الموت . ونعاملكم فى هذه الحياة معاملة المختبر بما يصيبكم من نفع وضر ، ليتميز الشاكر للخير والصابر على البلاء ، من الجاحد للنعم والجازع عند المصيبة . والينا ترجعون لنحاسبكم على أعمالكم .

٣٦ - واذا رآك - أيها النبى - الذين كفروا بالله وبما جئت به لايضعونك الا فى موضع السخرية والاستهزاء . يقول بعضهم لبعض : أهذا الذى يذكر آلهتكم بالعيب ؟ وهو بذكر الله الذى يعمهم برحمته هم لايصدقون .

٣٧ - واذا كانوا يطلبون التعجيل بالعذاب فان طبيعة الانسان التعجل سأريكم - أيها المستعجلون - نعمتى فى الدنيا وعذابى فى الآخرة فلا تشغلوا أنفسكم باستعجال مالابد منه .

٣٨ - ويقول الكافرون مستعجلين العذاب مستبعدين وقوعه . متى يقع هذا الذى تعدوننا به أيها المؤمنون ان كنتم صادقين فيما تقولون ؟

٣٩ - لو يعلم الذين كفروا بالله حالهم حين لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ، ولايجدون من ينصرهم بدفعها ، ماقالوا هذا الذى يقولونه .

٤٠ - لاتأتيهم القيامة على انتظار وتوقع ، بل تأتيهم فجأة فتحيرهم ، فلا يستطيعون ردها . ولاهم يمهلون ليتوبوا ويعتذروا عما قدموا . .

٤١ - ولقد حدث للرسل قبلك أن استهزأ بهم الكفار من أممهم ، فحل بالذين كفروا وسخروا من رسلهم العذاب الذى جعلوه مثار السخرية والاستهزاء .

٤٢ - قل أيها النبى لهم : من يحفظكم فى الليل والنهار من نقمته ويرحمكم وينعم عليكم ؟ لاأحد يستطيع ذلك . بل هم عن القرآن الذى يذكرهم بما ينفعهم ويدفع العذاب عنهم منصرفون .

٤٣ - ألهم آلهة تمنع العذاب من دوننا ؟ كلا : انهم لا يستطيعون أن يعينوا أنفسهم حتى يعينوا غيرهم . ولا أحد يستطيع أن يحفظ واحدا منهم فى جواره وصحبته اذا أردنا بهم العذاب والهلاك .

تعليق الخبراء على الآية ٣٧ :

« خلق الإنسان من عجل . سأريكم آياتى فلا تستعجلون » : أن المقصود بالآيات هى الكونية الدالة على وجود الله وقدرته . وسيكشف العلم عنها تباعا بحكم ارتقاء العقل البشرى ، وذلك فى مواعيد موقوتة ، كلما حل أجل آية أظهرها الله أو يسر الله للبشر الوصول إلى إحدى هذه الآيات .

أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ

٤٤ - لم نعجل عقاب هؤلاء بكفرهم، بل استدرجناهم ومتعناهم فى الحياة الدنيا كما متعنا آباءهم قبلهم حتى طال عليهم العمر. أيتعامون عما حولهم فلا يرون أنا نقصد الارض فننقصها من أطرافها بالفتح ونصر المؤمنين ؟ ! أفهم الغالبون أم المؤمنون الذين وعدهم الله بالنصر والتأييد ؟.

٤٥ - قل أيها النبى: لا أحذركم بكلام من عندى، وانما أحذركم بالوحى الصادر عن الله لى، وهو حق وصدق، وهم لطول إعراضهم عن صوت الحق ختم الله على سمعهم حتى صاروا كالصم، ولايسمع الصم الدعاء حين يخوفون بالعذاب.

٤٦ - وتأكد أنهم ان اصابتهم اصابة خفيفة من العذاب الذى يسخرون منه يصيحون من الهول قائلين: ياويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا وغيرنا، اذ كفرنا بما أخبرنا به.

٤٧ - ونضع الموازين التى تقيم العدل يوم القيامة، فلاتظلم نفس بنقص شىء من حسناتها أو زيادة شىء من سيئاتها، ولو كان وزن حبة صغيرة أتينا بها وحاسبنا عليها، وكفى ان نكون الحاسبين فلا تظلم نفس شيئا.

٤٨ - ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة التى تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام. وهى الى ذلك نور يهدى الى طرق الخير والرشاد، وتذكير ينتفع به المتقون.

٤٩ - الذين يخافون خالقهم ومالك أمرهم فى حال بعد الناس عنهم، لايراءون أحدا، وهم من أهوال يوم القيامة فى خوف دائم.

٥٠ - وهذا القرآن تذكير كثير الخير، أنزلناه لكم كما أنزلنا الذكر على موسى، فكيف يكون منكم انكاره وأنتم أولى الناس بالايمان به ؟ !

٥١ - ولقد أعطينا ابراهيم الرشد والتفكير فى طلب الحق مخلصا من قبل موسى وهارون، وكنا بأحواله وفضائله التى تؤهله لحمل الرسالة عالمين.

تعليق الخبراء على الآية ٤٤:

« أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها، أفهم الغالبون » هذه الآية من آيات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم، فهى تشير إلى أن الأرض ليست كاملة الأستدارة. ولم يتمكن العلماء من قياس أبعاد الأرض بالدقة إلا منذ ٢٥٠ سنة تقريبا، عندما قامت بعثة من الإخصائيين فى علم المساحة لقياس المسافة الطولية بين عرضين متساويين فى الطول تفصلها درجة واحدة قوسية، وذلك فى مختلف أنحاء العالم، وتبين من هذه القياسات أن نصف القطر الاستوائى يزيد على نصف القطر القطبى بمقدار ٢١,٥ كيلو متر تقريبا، أى أن الأرض انقصت من أطرافها ممثلة فى القطبين، ومن المعلوم أن شكل الأرض وأبعادها هو الأساس فى رسم الخرائط.

تعليق الخبراء على الآية ٤٧:

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »: تشير هذه الآية الكريمة إلى أن حبة الخردل تتناهى فى صغر الوزن. وأثبتت التجارب العلمية أن الكيلو جرام من حبوب الخردل يحتوى على ٩١٢ ألف حبة، وتكون الحبة بذلك حوالى جزء من ألف جزء من الجرام، أى مللیجرام تقريبا، وهذا أصغر وزن لحبة نبات عرف حتى الآن، وهى تستعمل لذلك فى مقارنة المكاييل بالموازين الدقيقة نوعا.

مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾

---

٥٢ ـ واذكر أيها النبى حين قال ابراهيم لأبيه وقومه مستخفا بالأصنام التى كانوا يعظمونها ويعكفون على عبادتها : ما هذه التماثيل التى أنتم مقيمون على عبادتها ؟

٥٣ ـ قالوا : وجدنا آباءنا يعظمونها ويخصونها بعبادتهم ، فاتبعناهم .

٥٤ ـ قال : لقد كنتم فى هذه العبادة وكان آباؤكم من قبلكم فى بعد عن الحق واضح . .

٥٥ ـ قالوا : أجئتنا فى هذا الذى تقوله بما تعتقد أنه الحق ، أم أنت بهذا الكلام من الذين يلهون ويلعبون ، غير متحملين أى تبعة ؟

٥٦ ـ قال : لاهزل فيما قلته ، بل ربكم الذى يستحق دون غيره التعظيم والخشوع والعبادة ، هو الذى خلق السموات والأرض وأوجدهن على غير مثال سابق . فحقه وحده أن يعبد ، وأنا على ذلك الذى اقوله من المتحققين الذين يقولون ما يشاهدونه ويعلمونه .

٥٧ ـ وقال فى نفسه : أقسم بالله لأدبرن تدبيرا أكسر به أصنامكم بعد ان تبتعدوا عنها ، ليظهر لكم ضلال ما أنتم عليه .

٥٨ ـ ذهب ابراهيم بعد انصرافهم الى الأصنام فحطمها وجعلها قطعا ، الا صنما كبيرا تركه ليرجعوا اليه ، ويسألوه عما وقع لآلهتهم فلا يجيبهم فيظهر لهم بطلان عبادتهم .

٥٩ ـ قالوا بعد أن رأوا ماحصل لأصنامهم : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه دون شك من الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب . .

٦٠ ـ قال بعضهم : سمعنا شابا يذكرهم بالسب يدعى ابراهيم .

٦١ ـ قال كبارهم : اذهبوا اليه فاحضروه ، ليحاسب على مرأى من الناس ، لعلهم يشهدون بما فعل .

٦٢ ـ قالوا بعد أن أحضروه : أأنت الذى فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ .

٦٣ ـ قال منبها لهم على ضلالهم متهكما بهم ، بل فعله كبيرهم هذا . فاسألوا الآلهة عمن فعل بها هذا ان كانوا يستطيعون أن يردوا جواب سؤالكم .

٦٤ ـ فعادوا الى أنفسهم يفكرون فيما هم عليه من عبادة مالا ينفع غيره ولا يدفع عن نفسه الشر ، فاستبان لهم خطؤهم . وقال بعضهم : ليس ابراهيم من الظالمين . بل أنتم بعبادة مالا يستحق العبادة الظالمون .

٦٥ ـ ثم انقلبوا من الرشاد الطارىء الى الضلال ، وقالوا لابراهيم . انك قد علمت ان ليس هؤلاء الذين نعبدهم ينطقون ، فكيف تطلب منا أن نسألهم ؟

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ

---

٦٦ - قال : أيكون هذا حالهم من العجز ويكون هذا حالكم معهم ، فتعبدون من غير الله مالا ينفعكم أقل نفع ان عبدتموه ولايضركم ان اهملتموه ؟ !

٦٧ - قبحا لكم ولآلهتكم : أتعطلون تفكيركم وتهملون الاعتبار بما تدركون ؟ . ان هذه الأصنام لا تستحق العبادة .

٦٨ - قال بعضهم لبعض : احرقوه بالنار وانصروا آلهتكم عليه بهذا العقاب ، ان كنتم تريدون أن تفعلوا ما تنصرون به آلهتكم .

٦٩ - فجعلنا النار باردة وسلاما لا ضرر فيها على ابراهيم .

٧٠ - وأرادوا أن يبطشوا به ، فأنجيناه ، وجعلناهم أشد الناس خسرانا .

٧١ - ونجيناه ولوطا من كيد الكائدين ، فاتجها إلى الأرض التى أكثرنا فيها الخير للناس جميعا ، وأرسلنا فيها كثيرا من الأنبياء .

٧٢ - ووهبنا له اسحق ، ومن اسحق يعقوب هبة زائدة على ما طلب . وكلا من اسحق ويعقوب جعلناه أهل صلاح .

٧٣ - وجعلناهم أنبياء يدعون الناس ، ويهدونهم إلى الخير بأمرنا لهم أن يكونوا مرشدين ، وألهمناهم فعل الخيرات وادامة القيام بالصلاة على وجهها واعطاء الزكاة ، وكانوا لنا دون غيرنا خاضعين مخلصين .

٧٤ - وآتينا لوطا القول الفصل والسداد فى الحكم والعلم النافع ، ونجيناه من القرية التى كان أهلها يعملون الأعمال الشاذة فى سوئها ، انهم كانوا قوما ملتزمين لما يسوء المنكرات خارجين عن طاعة الله ومألوف الطباع .

٧٥ - وسلكناه فى أهل رحمتنا ، انه من الصالحين الذين يشملهم الله برحمته ويمدهم بنصره .

٧٦ - ولنذكر هنا نوحا من قبل ابراهيم ولوط ، حين دعا ربه أن يطهر الأرض من الفاسقين . فاستجبنا دعاءه ونجيناه هو ومن آمن من أهله من كرب الطوفان العظيم .

ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا

٧٧ ـ ومنعناه بنصرنا من كيد قومه الذين كذبوا بآياتنا الدالة على رسالته . انهم كانوا أصحاب شر ، فأغرقناهم أجمعين .

٧٨ ـ واذكر أيها النبى داود وسليمان حين كانا يحكمان فى الزرع ، اذ انتشرت فيه غنم القوم من غير أصحابه وأكلته ليلا ، وكنا لحكمهما فى القضية المتعلقة به عالمين[1] .

٧٩ ـ ففهمنا الفتوى سليمان ، وكلا منهما أعطيناه حكمة وعلما بالحياة وشئونها ، وسخرنا مع داود الجبال ينزهن الله كما ينزهه داود عن كل ما لا يليق به ، وسخرنا الطير كذلك يسبحن الله معه ، وكنا فاعلين ذلك بقدرتنا التى لا تعجز .

٨٠ ـ وعلمنا داود صنعة نسج الدروع ، لتكون لباسا يمنعكم من شدة بأس بعضكم لبعض ، فاشكروا الله على هذه النعم التى أنعم بها عليكم . .

٨١ ـ وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ، تجرى بحسب رغبته وأمره إلى الأرض التى زدنا فيها الخير ، وكنا بكل شىء عالمين ، لا تغيب عنا كبيرة ولا صغيرة .

٨٢ ـ وسخرنا له من الشياطين من يغوصون فى الماء إلى أعماق البحار ، ليستخرجوا اللؤلؤ والمرجان ، ويعملون عملا غير ذلك ، كبناء الحصون والقصور ، وكنا لهم مراقبين لاعمالهم ، فلا ينالون أحدا بسوء ، ولا يتمردون على أمر سليمان .

٨٣ ـ واذكر أيها النبى أيوب حين دعا ربه ـ وقد أضناه المرض ـ وقال : يارب . أنى قد أصابنى الضر والمنى ، وأنت أرحم الراحمين . .

---

(١) قصة الحكم : أن الغنم رعت ليلا زرع صاحب حرث . فلم يبق منه شىء ، فحكم داود بأن الغنم لصاحب الحرث فى نظير زرعه ، فخالفه سليمان ، وقال : تبق الغنم فى يد صاحب الزرع حتى ينبت زرعه ، ويصير إلى ما كان عليه ، ويترادان من بعد .

مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا

---

٨٤ - فأجبناه إلى ما كان يرجوه ، فرفعنا عنه الضر وأعطيناه أولادا بقدر من مات من أولاده وزدناه مثلهم رحمة به من فضلنا ، وتذكيرا لغيره ممن يعبدوننا ليصبروا كما صبر ، ويطمعوا فى رحمة الله كما طمع .

٨٥ - واذكر أيها النبى لقومك اسماعيل وادريس وذا الكفل ، كل منهم من الصابرين على احتمال التكاليف والشدائد .

٨٦ - وجعلناهم من أهل رحمتنا ، أنهم من عبادنا الصالحين .

٨٧ - واذكر أيها النبى قصة يونس صاحب الحوت ، اذ ضاق بأعراض قومه عن دعوته ، فهجرهم ورحل عنهم بعيدا غاضبا عليهم ، ظانا أن الله أباح له أن يهجرهم وأنه لن يقضى عليه الأمر ، فأبتلعه الحوت ، وعاش وهو فى ظلمات البحر ، ونادى ربه ضارعا إليه معترفا بما كان منه قائلا : يارب ، لا معبود بحق إلا أنت . أنزهك عن كل ما لا يليق بك ، أعترف أنى كنت من الظالمين لنفسى بعمل ما لا يرضيك .

٨٨ - فأجبناه إلى ما كان يرجوه ونجيناه من الغم الذى كان فيه ، ومثل هذا الإنجاء من البلاء ننجى المؤمنين الذين يعترفون بأخطائهم ويدعوننا مخلصين .

٨٩ - واذكر قصة زكريا ، حين نادى ربه بعد أن رأى من قدرته سبحانه ما بعث فى نفسه الأمل فى رحمته ، فقال : يا رب ، لا تتركنى وحيدا دون وارث ، وأنت خير الذين يرثون غيرهم ، فإنك الباقى بعد فناء الخلق .

٩٠ - فحققنا رجاءه ، وأجبنا دعاءه ، ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى ، وجعلنا زوجه العقيم صالحة للولد ، أن هؤلاء الأصفياء الأنبياء كانوا يسارعون فى عمل كل خير ندعوهم إليه ، ويدعوننا طمعا فى رحمتنا وخوفا من عذابنا . وكانوا لا يعظمون ولا يهابون أحدا غيرنا .

وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا

---

٩١ - واذكر مع هؤلاء قصة مريم التى صانت فرجها ، فألقينا فيها سرا من أسرارنا ، وجعلناها تحمل دون زوج ، وجعلنا ابنها دون أب ، فكانت هى وابنها دليلا ظاهرا على قدرتنا فى تغيير الأسباب والمسببات ، وأننا قادرون على كل شيء .

٩٢ - ان هذه الملة التى هى الإسلام هى ملتكم الصحيحة التى يجب أن تحافظوا عليها ، حال كونها ملة واحدة متجانسة لا تنافر بين أحكامها . . فلا تتفرقوا فيها شيعا وأحزابا ، وأنا خالقكم ومالك أمركم ، فاخلصوا لى العبادة ولا تشركوا معى غيرى .

٩٣ - ومع هذا الإرشاد تفرق أكثر الناس بحسب شهواتهم ، جاعلين أمر دينهم قطعا . فصاروا به فرقا مختلفة ، وكل فريق منهم راجع الينا يحاسب على أعماله .

٩٤ - فمن يعمل عمله من الأعمال الصالحة ، وهو يؤمن بالله وبدينه الذى ارتضاه فلا نقص لشيء من سعيه ، بل سيوفى جزاءه كاملا ، وانا لهذا السعى كاتبون ، فلا يضيع شيء منه .

٩٥ - وممتنع على أهل كل قرية أهلكناهم بسبب ظلمهم أنهم لا يرجعون الينا يوم القيامة ، بل لابد من رجوعهم وحسابهم على سوء أعمالهم . .

٩٦ - حتى إذا فتحت أبواب الشر والفساد ، وأخذ أبناء يأجوج ومأجوج يسرعون خفافا من كل مرتفع فى الجبال والطرق بعوامل الفوضى والقلق .

٩٧ - واقترب الموعود به الذى لابد من تحققه وهو يوم القيامة ، فيفاجأ الذين كفروا بأبصارهم لا تغمض أبدا من شدة الهول ، فيصيحون قائلين : يا خوفنا من هلاكنا ، قد كنا فى غفلة من هذا اليوم ، بل كنا ظالمين لانفسنا بالكفر والعناد .

٩٨ - ويقال لهؤلاء الكفار : انكم والالهة التى عبدتموها من غير الله وقود نار جهنم ، أنتم داخلون فيها معذبون بها .

خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ

---

٩٩ - لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله آلهة تستحق أن تعبد ما دخلوها معكم، وكل من العابدين والمعبودين باقون فى النار.

١٠٠ - لهم فيها نفس يخرج من الصدور بصوت مخنوق، لما يلاقونه من الضيق، وهم فيها لا يسمعون شيئا يسرهم.

١٠١ - ان الذين وفقناهم لاتباع الحق وعمل الخير، ووعدناهم بالعاقبة الحسنة. أولئك من جهنم وعذابها مبعدون.

١٠٢ - لا يسمعون صوت فوران نارها، وهم فيما تشتهيه أنفسهم خالدون.

١٠٣ - لا يحزنهم الهول الأكبر الذى يفزع منه الكفار، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة، يقولون: هذا يومكم الذى وعدكم ربكم النعيم فيه.

١٠٤ - يوم نطوى السماء كما تطوى الورقة فى الكتاب، ونعيد الخلق إلى الحساب والجزاء، لا تعجزنا اعادتهم، فقد بدأنا خلقهم، وكما بدأناهم نعيدهم، وعدنا بذلك وعدا حقا، انا كنا فاعلين دائما ما نعد به.

١٠٥ - ولقد كتبنا فى الزبور - وهو كتاب داود من بعد التوراة - أن الأرض يرثها عبادى الصالحون لعمارتها، وتيسير أسباب الحياة الطيبة فيها.

١٠٦ - ان فى هذا الذى ذكرناه من أخبار الانبياء مع أقوامهم وأخبار الجنة والنار لكفاية فى التذكير والاعتبار، لقوم مستعدين لعبادة الله وحده، لا تفتنهم زخارف الدنيا.

١٠٧ - وما أرسلناك أيها النبى الا لتكون رحمة عامة للعالمين.

وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

---

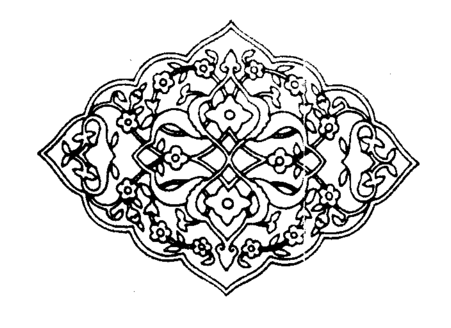
١٠٨ - قل أيها النبى للناس كافة : ان لب الذى أوحى الله به إلى هو : أنه لا اله لكم الا هو وأن بقية ما يوحى به بعد ذلك تابع لهذا الأصل ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن تستسلموا وتخضعوا لله وحده .

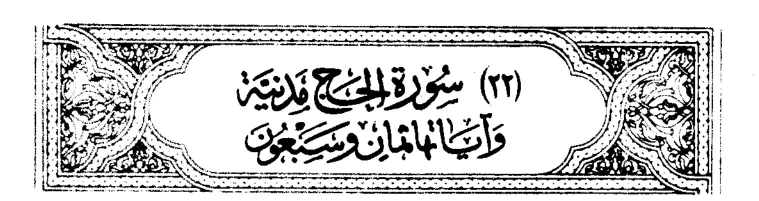
١٠٩ - فإن أعرضوا عن دعوتك ، فقل لهم : لقد أعلمتكم جميعا بما أمرنى به ربى ، وبذلك استوينا فى العلم ، ولا أدرى ما توعدون به من البعث والحساب ، أهو قريب أم بعيد ؟

١١٠ - ان الله يعلم كل ما يقال مما تجهرون به ، وما تكتمون فى أنفسكم .

١١١ - وما أدرى لعل امهالكم وتأخير العذاب عنكم اختبار يمتحنكم الله به ، ويمتعكم فيه بلذائذ الحياة إلى حين قدره الله بحسب حكمته .

١١٢ - قل أيها النبى : يارب احكم بينى وبين من بلغتهم الوحى بالعدل حتى لا يستوى المؤمنون والكافرون وربنا المنعم بجلائل النعم . المستحق للحمد والشكر . وهو المستعان به على إبطال ما تزخرفون افتراءه أيها الكافرون . .





بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

سورة مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، وآياتها ثمان وسبعون آية .

بدأت بالتخويف من الله ، والتذكير بأهوال القيامة ، والتعريف بالمجادلين بالباطل والجهل . وعقبت ذلك بسوق دليل البعث ، مصورا فى تطور خلق الإنسان وخروج النبات ، وتعرضت للمخاصمة فى الله ونتيجتها . وذكرت الحج وتعظيم الشعائر . وبعد ذلك اذن الله فيها للمؤمنين بالقتال الدفاعى . واتبع ذلك بتسلية الرسول ﷺ عما أصابه من قومه ، بذكر ما أصاب الرسل قبله من عنت واضطهاد . وبين آيات السورة أدلة على قدرته تعالى ووحدانيته ، وتحديد لوظيفة الرسل . وأنها الإنذار دون الالجاء . وفى ختام السورة ، تحدى الشركاء المزعومون ، تسفيها لعقول المشركين ، بأنهم عاجزون عن خلق أضعف مخلوق . وهو الذباب ، وان يسلبهم الذباب شيئًا لا يستخلصونه منه . ودعت إلى الصلاة ، والزكاة ، والعبادة والجهاد . فى غير حرج يقصد ، فهو دين أبيكم ابراهيم والد اسماعيل ، الذى توالدت منه العدنانية ، وعاقبة أمركم أن يشهد عليكم رسولكم بالتبليغ ، وتشهدون على الأمم السابقة أن رسلها بلغتها كما جاءكم به القرآن . وختمت السورة بطلب الاعتصام بالله ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

١ - يأيها الناس : احذروا عقاب ربكم ، وضعوا فى قلوبكم ذكر يوم القيامة ، لأن الاضطراب الذى يحدث فيه شديد مزعج ترتجف منه الخلائق .

٢ - يوم تشاهدون القيامة ترون هولا يبلغ من شدته أنه لو كانت هناك مرضعة ثديها فى فم رضيعها لذهلت عنه وتركته . ولو كانت هناك امرأة ذات حمل اسقطت جنينها فى غير أوانه فزعا ورعبا ، وتشاهد أيها الناظر حال الناس فى ذلك اليوم من نظراتهم الذاهلة ، وخطواتهم المترنحة ، فتظنهم سكارى وما بهم من سكر ، ولكن الهول الذى شاهدوه ، والخوف من عذاب الله الشديد هو الذى أفقدهم توازنهم .

يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

---

٣ - ومع هذا التحذير الشديد الصادق فإن بعض الناس دفعه العناد أو التقليد إلى الجدل فى الله وصفاته، فأثبت له الشركاء أو أنكر قدرته على البعث ومجازاة الناس على أعمالهم، غير مستند فى جدله وانكاره إلى علم صحيح أو حجة صادقة ولكنه يقلد ويتبع خطوات كل شيطان متمرد على ربه بعيد عن هديه.

٤ - قضى الله أن كل من اتبعه واتخذه وليا وهاديا أضله عن طريق الحق، ووجهه إلى الباطل المفضى به إلى عذاب النار المسعرة المتأججة.

٥ - يأيها الناس ان كنتم فى شك من بعثنالكم بعد الموت ففى خلقكم الدليل على قدرتنا على البعث، فقد خلقنا أصلكم من تراب، ثم جعلنا منه نطفة حولناها بعد مدة الى قطعة دم متجمدة، ثم جعلناها قطعة من اللحم مصورة، فيها معالم الإنسان، أو غير مصورة، لنبين لكم قدرتنا على الإبداع والتدرج فى التكوين، والتغيير من حال إلى حال، ونسقط من الارحام ما نشاء، ونقر فيها ما نشاء، حتى تكمل مدة الحمل، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة، ومنكم بعد ذلك من يتوفاه الله، ومنكم من يمد له عمره حتى يصير إلى الهرم والخرف فيتوقف علمه وادراكه للاشياء، ومن بدأ خلقكم بهذه الصورة لا تعجزه اعادتكم. وأمر آخر يدلك على قدرة الله على البعث أنك ترى الأرض قاحلة يابسة، فإذا أنزلنا عليها الماء دبت فيها الحياة وتحركت وزادت وارتفع سطحها بما تخلله من الماء والهواء، وأظهرت من أصناف النباتات ما يروق منظره، ويبهر حسنه، وتبتهج لمرآه.

٦، ٧ - ذلك الذى تقدم من خلق الإنسان وانبات الزرع شاهد بأن الله هو الاله الحق، وأنه الذى يحيى الموتى عند بعثهم كما بدأهم، وأنه القادر على كل شىء، وأن القيامة آتية لا شك فيها تحقيقا لوعده، وأن الله يحيى من فى القبور ببعثهم للحساب والجزاء.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ

---

٨ ـ ومع ما تقدم فبعض الناس يجادل فى الله وقدرته ، وينكر البعث على غير أساس علمى أو إلهام صادق ، أو كتاب منزل من الله يستبصر به . فجداله لمجرد الهوى والعناد .

٩ ـ وهو مع ذلك يلوى جانبه تكبرا واعراضا عن قبول الحق . وهذا الصنف من الناس سيصيبه خزى وهوان فى الدنيا بنصر كلمة الحق ، ويوم القيامة يعذبه الله بالنار المحرقة .

١٠ ـ ويقال له : ذلك الذى تلقاه من خزى وعذاب انما كان بسبب افترائك وتكبرك ، لأن الله عادل لا يظلم ، ولا يسوى بين المؤمن والكافر ، والصالح ، والفاجر ، بل يجازى كلا منهم بعمله .

١١ ـ ومن الناس صنف ثالث لم يتمكن الإيمان من قلبه . بل هو مزعزع العقيدة ، تتحكم مصالحه فى ايمانه ، ان أصابه خير فرح به واطمأن ، وان أصابته شدة فى نفسه أو ماله أو ولده ارتد إلى الكفر ، فخسر فى الدنيا راحة الاطمئنان إلى قضاء الله ونصره ، كما خسر فى الآخرة النعيم الذى وعده الله للمؤمنين الثابتين الصابرين ، ذلك الخسران المزدوج هو الخسران الحقيق الواضح .

١٢ ـ يعبد هذا الخاسر من دون الله أصناما لا تضره ان لم يعبدها ، ولا تنفعه ان عبدها ذلك الفعل منه هو الضلال البعيد عن الحق والصواب .

١٣ ـ يدعو من دون الله من ضره بإفساد العقول وسيطرة الاوهام أقرب للنفس من اعتقاد مناصرته ، فلبئس ذلك المعبود نصيرا ، ولبئس ذلك المعبود عشيرا .

١٤ ـ ان المؤمنين بالله ورسله ايمانا اقترن بالعمل الصالح يدخلهم ربهم يوم القيامة جنات تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، ان الله يفعل ما يريد من عقاب المفسد واثابة المصلح .

أن لّن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴿١٥﴾ وكذلك أنزلناه ءايات بينات وأن الله يهدى من يريد ﴿١٦﴾ إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد ﴿١٧﴾ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴿١٨﴾ * هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ﴿١٩﴾ يصهر به ما فى بطونهم والجلود ﴿٢٠﴾ ولهم مقامع من حديد ﴿٢١﴾ كلما أرادوا أن يخرجوا

---

١٥ - من كان من الكفار يظن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بحبل إلى سقف بيته ، ثم ليختنق به وليقدر فى نفسه وينظر ، هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله لرسوله ؟ .

١٦ - ومثل ما بينا حجتنا واضحة فيما سبق أن أنزلنا على الرسل ، أنزلنا القرآن كله على محمد آيات واضحات لتقوم الحجة على الناس . وان الله يهدى من أراد هدايته لسلامة فطرته وبعده عن العناد وأسبابه .

١٧ - ان الذين آمنوا بالله وبرسله جميعا ، واليهود المنتسبين إلى موسى ، وعباد النجوم ، والملائكة ، والنصارى المنتسبين الى عيسى ، والمجوس عباد النار ، والمشركين عباد الأوثان . . ان هؤلاء جميعا سيفصل الله بينهم يوم القيامة بإظهار المحق من الباطل منهم ، لأنه مطلع على كل شىء عالم بأعمال خلقه ، وسيجازيهم على أعمالهم .

١٨ - ألم تعلم أيها العاقل أن الله يخضع لتصريفه من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس يؤمن بالله ويخضع لتعاليمه فاستحقوا بذلك الجنة ، وكثير منهم لم يؤمن به ولم ينفذ تعاليمه فاستحقوا بذلك العذاب والإهانة ، ومن يطرده الله من رحمته لا يقدر أحد على اكرامه ، ان الله قادر على كل شىء ، فهو يفعل ما يريد .

١٩ - هذان فريقان من الناس تنازعوا فى أمر ربهم ، وما يليق به ، وما لا يليق ، فآمن به فريق وكفر فريق ، فالذين كفروا أعد الله لهم يوم القيامة نارا تحيط بهم من كل جانب ، كما يحيط الثوب بالجسد ، ولزيادة تعذيبهم تصب الملائكة على رءوسهم الماء الشديد الحرارة !

٢٠ - فينفذ إلى ما فى بطونهم فيذيبها كما يذيب جلودهم .

٢١ - وأعدت لهم أعمدة من حديد .

مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ

---

٢٢ ـ كلما حاولوا الخروج من النار من شدة الغم والكرب ضربتهم الملائكة بها وردتهم حيث كانوا ، وقالت لهم : ذوقوا عذاب النار المحرقة جزاء كفركم .

٢٣ ـ أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة ، فإن الله يدخلهم جنات تجرى من تحت قصورها وأشجارها الانهار ، ينعمون بما ينعمون فيها من صنوف النعيم ، وتزينهم الملائكة بأساور الذهب وباللؤلؤ . أما لباسهم المعتاد فمن حرير .

٢٤ ـ وزيادة فى تنعيمهم بالجنة الهمهم الله فيها الطيب من القول ، والحميد من الفعل ، فيسبحون الله ويقدسونه ويشكرونه ، ويعاشر بعضهم بعضا بمحبة وسلام .

٢٥ ـ ان الذين كفروا بالله ورسله واعتادوا مع ذلك منع الناس من الدخول فى الإسلام ، ومنع المؤمنين من دخول المسجد الحرام فى مكة ـ وقد جعله الله حرما آمنا للناس جميعا ، المقيم والطارىء ـ يجازيهم على ذلك بالعذاب الشديد ، وكذلك كل من ينحرف عن الحق ، ويرتكب أى ظلم فى الحرم عذبه عذابا أليما .

٢٦ ـ واذكر أيها النبى لهؤلاء المشركين الذين يدعون اتباع ابراهيم عليه السلام ، ويتخذون من البيت الحرام مكانا لاصنامهم ، اذكر لهم قصة ابراهيم والبيت الحرام حين أرشدناه إلى مكانه ، وأمرناه ببنائه وقلنا له : لا تشرك بى شيئا ما فى العبادة ، وطهر بيتى من الأصنام والأقذار ليكون معدا لمن يطوف به ، ويقيم بجواره ، ويتعبد عنده .

٢٧ ـ وأعلم الناس أيها النبى أن الله فرض على المستطيعين منهم أن يقصدوا هذا البيت ، فيلبوا نداءك ، ويأتون إليه مشاة وركبانا على ابل يضمرها السفر من كل مكان بعيد .

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

---

٢٨ - ليحصلوا منافع دينية لهم بأداء فريضة الحج ، ومنافع دنيوية بالتعارف مع اخوانهم المسلمين والتشاور معهم فيما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وليذكروا اسم الله فى يوم عيد النحر والأيام الثلاثة بعده على ذبح ما رزقهم ويسر لهم من الابل والبقر والغنم ، فكلوا منها ما شئتم وأطعموا الذى أصابه البؤس والفقر .

٢٩ - ثم عليهم بعد ذلك أن يزيلوا من أجسامهم ما علق بها أثناء الإحرام ، من آثار العرق وطويل السفر ، ويصرفوا ما نذروه لله ان كانوا قد نذروا شيئا ، ويطوفوا بأقدم بيت بنى لعبادة الله فى الأرض .

٣٠ - ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه فى حجه تعظيما لها فى نفسه كان ذلك خيرا له فى دنياه وآخرته ، وقد أحل الله لكم أكل لحوم الابل والبقر والغنم ، الا فى حالات تعرفونها مما يتلى عليكم فى القرآن كالميتة وغيرها ، فاجتنبوا عبادة الاوثان ، لأن عبادتها قذارة عقلية ونفسية لا تليق بالإنسان ، واجتنبوا قول الزور على الله وعلى الناس !

٣١ - وكونوا مخلصين لله حريصين على اتباع الحق . غير متخذين أى شريك لله فى العبادة فإن من يشرك بالله فقد سقط من حصن الإيمان ، وتنازعته الضلالات ، وعرض نفسه لأبشع صورة من صور الهلاك ، وكان حاله حينئذ كحال الذى سقط من السماء فتمزق قطعا تخاطفتها الطيور فلم يبق له أثر ، أو عصفت به الريح العاتية فشتتت أجزاءه وهوت بكل جزء منه فى مكان بعيد .

٣٢ - ان من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله والهدايا التى يسوقها الى فقراء الحرم ، فيختارها عظيمة سمانا صحاحا لا عيب فيها فقد اتق الله ، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب المؤمنة ، وعلامة من علامات الإخلاص .

٣٣ - لكم فى هذه الهدايا منافع دنيوية ، فتركبونها وتشربون لبنها إلى وقت ذبحها ، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حينما تذبحونها عند البيت الحرام تقربا إلى الله .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ

---

٣٤ ـ ليست هذه الفرائض التى تتعلق بالحج خاصة بكم ، فقد جعلنا لكل جماعة مؤمنة قرابين يتقربون بها إلى الله ، ويذكرون اسمه ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم ، ويسره لهم من بهائم الابل والبقر والغنم ، والله الذى شرع لكم ولهم اله واحد ، فاسلموا له وحده أمركم وأخلصوا له عملكم ولا تشركوا معه أحدا ، وبشر أيها النبى بالجنة والثواب الجزيل المخلصين الخاضعين لله من عباده .

٣٥ ـ الذين إذا ذكر الله اضطربت قلوبهم من خشيته وخشعت لذكره والذين صبروا على ما أصابهم من المكاره والمتاعب استسلاما لأمره وقضائه ، وأقاموا الصلاة على أكمل وجوهها ، وأنفقوا بعض أموالهم التى رزقهم الله إياها فى سبيل الخير .

٣٦ ـ وقد جعلنا ذبح الابل والبقر فى الحج من أعلام الدين ومظاهره ، وانكم تتقربون بها إلى الناس ، ولكم فيها خير كثير فى الدنيا بركوبها وشرب لبنها ، وفى الآخرة بالأجر والثواب على ذبحها واطعام الفقراء منها ، فاذكروا اسم الله حال كونها مصطفة معدة للذبح خالية من العيب . . فإذا تم لكم ذبحها فكلوا بعضها ، ان اردتم ، واطعموا الفقير القانع المتعفف عن السؤال ، والذى دفعته حاجته إلى ذل السؤال ، وكما سخرنا كل شىء لما نريده منه سخرناها لنفعكم ، وذللناها لإرادتكم لتشكرونا على نعمنا الكبيرة عليكم .

٣٧ ـ واعلموا أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، ولا يريد منكم مجرد التظاهر بالذبح واراقة الدماء ، ولكنه يريد منكم القلب الخاشع ، فلن ينال رضاه من وزع تلك اللحوم ولا الدماء ، ولكن الذى ينال رضاه هو تقواكم واخلاص نواياكم . مثل هذا التسخير سخرناها لننفعكم فتعظموا الله على ما هداكم إليه من اتمام مناسك الحج ، وبشر أيها النبى المحسنين الذين أحسنوا أعمالهم ونواياهم بثواب عظيم .

٣٨ ـ ان الله يدافع عن المؤمنين ويحميهم وينصرهم بإيمانهم ، لأنه لا يحب الخائنين لأماناتهم المبالغين فى كفرهم بربهم ، ومن لا يحبه الله لا ينصره .

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ

---

٣٩ ـ أذن الله للمؤمنين الذين قاتلهم المشركون أن يردوا اعتداءهم عليهم ، بسبب ما نالهم من ظلم صبروا عليه طويلا ، وإن الله لقدير على نصر أوليائه المؤمنين[١] .

٤٠ ـ الذين ظلمهم الكفار وأرغموهم على ترك وطنهم مكة والهجرة منها ، وما كان لهم من ذنب عندهم الا أنهم عرفوا الله فعبدوه وحده . ولولا أن الله سخر للحق أعوانا ينصرونه ويدفعون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل ، وتمادى الطغاة فى طغيانهم ، واخمدوا صوت الحق . ولم يتركوا للنصارى كنائس ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود معابد ، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله ذكرا كثيرا وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه ، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق فى الأرض . . ووعد الله لا يتخلف ، لأنه قوى على تنفيذ ما يريد عزيز لا يغلبه غالب .

٤١ ـ هؤلاء المؤمنون الذين وعدنا بنصرهم هم الذين ان مكنا سلطانهم فى الأرض حافظوا على حسن صلتهم بالله وبالناس ، فيؤدون الصلاة على أتم وجوهها ، ويعطون زكاة أموالهم مستحقيها ، وأمروا بكل ما فيه خير ، ونهوا عن كل ما فيه شر ، ولله وحده مصير الأمور كلها ، فيعز من يشاء ، ويذل من يشاء حسب حكمته .

٤٢ ـ وإذا كنت تلاقى أيها النبى تكذيبا وإيذاء من قومك فلا تحزن ، وتأمل فى تاريخ المرسلين قبلك تجد أنك لست أول رسول كذبه قومه وآذوه ، فمن قبل هؤلاء الذين كذبوك ، كذبت قوم نوح رسولهم نوحا ، وكذبت قوم عاد رسولهم هودا ، وكذبت ثمود رسولهم صالحا .

٤٣ ـ وكذب قوم ابراهيم رسولهم ابراهيم ، وقوم لوط رسولهم لوطا .

---

(١) « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » : أن ما ذكره القرآن الكريم من الحكم فى الآية « ٣٩ » سبق به القوانين الوضعية ، وهو أن الدفاع عن النفس أمر مشروع مهما كانت نتائجه ، وأن المدافع عن نفسه وماله ووطنه ، لا يؤاخذ أمام الله وأمام العدالة ولو قتل نفسا وأزهق أرواحا . إن هذه الآية قررت أن المسلمين مأذون لهم فى الدفاع عن أنفسهم إذا أعتدى عليهم . ومن ذلك نأخذ أن حروب المسلمين كانت حروب دفاع لا حروب هجوم ، وأنهم أقاموا الإسلام ودعموه بالحجة البينة والأدلة الواضحة .

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا

٤٤ ـ وكذب أهل مدين رسولهم شعيبا ، وكذب فرعون وقومه رسول الله موسى ، لقى هؤلاء المرسلون ما لاقيت ، وقد أمهلت هؤلاء المكذبين مدة لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويستجيبون لدعوة الحق ، ولكنهم افتروا وتمادوا فى تكذيب رسلهم وايذائهم ، ازدادوا اثما على آثامهم ، فعاقبتهم بأشد أنواع العقاب ، فانظر فى تاريخهم تجد كيف كان عقابى لهم شديدا ، حيث أبدلتهم بالنعمة نقمة ، وبالعافية هلاكا ، وبالعمارة خرابا .

٤٥ ـ فأهلكنا كثيرا من أهل القرى بأهلها الذين يعمرونها ، بسبب ظلمهم وتكذيبهم لرسلهم فأصبحت ساقطة سقوفها على جدرانها ، خالية من سكانها ، كأن لم تكن موجودة بالأمس ، فكم من بئر تعطلت من روادها واختفى ماؤها ، وقصر عظيم مشيد مطلى بالجص خلا من سكانه

٤٦ ـ أيقولون ما يقولون ويستعجلون العذاب ، ولم يسيروا فى الأرض ليشاهدوا بأعينهم مصرع هؤلاء الظالمين المكذبين ؟ فربما تستيقظ قلوبهم من غفلتها ، وتعقل ما يجب عليهم نحو دعوة الحق التى تدعوهم إليها ، وتسمع آذانهم أخبار مصارع هؤلاء الكفار فيعتبروا بها ، ولكن من البعيد أن يعتبروا بما شاهدوا أو سمعوا ما دامت قلوبهم متحجرة ، إذ ليس العمى الحقيق عمى الأبصار ، ولكنه فى القلوب والبصائر .

٤٧ ـ ويأخذ الغرور كفار مكة فلا يبالون مع قيام هذه العبر . فيستعجلونك ـ أيها النبى ـ بوقوع ما توعدتهم به من العذاب تحديا واستهزاء ، وهو لا محالة واقع بهم ، ولكن فى موعد قدره الله فى الدنيا أو فى الآخرة ، ولن يخلف وعده بحال ولو طالت السنون ، فإن يوما واحدا عنده يماثل ألف سنة مما تقدرون وتحسبون[1] .

---

(١) « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » . يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة ركب العلم بتقرير أن الزمن نسبى . وأن فكرة الزمن العالمى المطلق الذى كان يسلم به الأقدمون قبل ظهور النسبية هى فكرة خاطئة .

وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ

---

٤٨ - وكثير من أهل القرى كانوا مثلهم ظالمين ، فأمهلتهم ولم أعاجلهم بالعقاب ثم أنزلته بهم ، وإلى وحدى مرجع الجميع يوم القيامة فأجازيهم بما يستحقون ، فلا تغتروا - أيها الكفار - بتأخير العذاب عنكم .

٤٩ - قل أيها النبى لهؤلاء المكذبين الذين يطلبون منك التعجيل بعذابهم : ليس من مهمتى أن أجازيكم على أعمالكم ، وإنما أنا محذر من عقاب الله تحذيرا واضحا ، والله هو الذى يتولى حسابكم ومجازاتكم .

٥٠ - فالذين آمنوا بالله وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحة لهم مغفرة من الله لذنوبهم التى وقعوا فيها ، كما أن لهم رزقا كريما فى الجنة .

٥١ - والذين أجهدوا أنفسهم فى محاربة القرآن مسابقين المؤمنين معارضين لهم ، شاقين زاعمين - خطأ - أنهم بذلك يبلغون ما يريدون ، أولئك يخلدون فى عذاب الجحيم .

٥٢ - لا تحزن - أيها النبى - من محاولات هؤلاء الكفار ، فقد جرت الحوادث من قبلك مع كل رسول من رسلنا ونبى من أنبيائنا أنه كلما قرأ عليهم شيئا يدعوهم به إلى الحق تصدى له شياطين الإنس المتمردون ، لإبطال دعوته وتشكيك الناس فيما يتلوه عليهم ، لكى يحولوا بين النبى وبين أمنيته فى اجابة دعوته ، فيزيل الله ما يدبرون ، ثم تكون الغلبة فى النهاية للحق حيث يثبت الله شريعته وينصر رسوله ، وهو عليم بأحوال الناس ومكائدهم ، حكيم فى أفعاله يضع كل شىء فى موضعه .

٥٣ - وانما مكن الله المتمردين على الحق من القاء الشبه والعراقيل فى سبيل الدعوة ليكون فى ذلك امتحان واختبار للناس ، فالكفار الذين تحجرت قلوبهم ، والمنافقون ومرضى القلوب ، يزدادون ضلالا بترويج هذه الشبه ومناصرتها ، ولا عجب فى أن يقف هؤلاء الظالمون هذا الموقف فإنهم لجوا فى الضلال وأوغلوا فى العناد والشقاق .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ

---

٥٤ ـ وليزداد الذين أوتوا علم الشرع والايمان به ايمانا وعلما بان مايقوله الرسل والانبياء انما هو الحق المنزل من عند الله . وان الله ليتولى المؤمنين دائما بعنايته فى المشاكل التى تمر بهم ، فيهديهم الى معرفة الطريق المستقيم فيتبعونه .

٥٥ ـ والذين كفروا لايوفقون فيستمرون على شكهم فى القرآن حتى يأتيهم الموت ، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير لهم فيه ولا رحمة وهو يوم القيامة .

٥٦ ـ حيث يكون السلطان القاهر ، والتصرف المطلق لله وحده فى هذا اليوم الذى يحكم فيه بين عباده ، فالذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة يخلدون فى جنات تتوافر لهم فيها كل صنوف النعيم .

٥٧ ـ والذين كفروا وكذبو بآيات القرآن التى أنزلناها على محمد ، فأولئك لهم عذاب يلقون فيه الذل والهوان .

٥٨ ـ والذين تركوا أوطانهم لإعلاء شأن دينهم يبتغون رضا الله ، ثم قتلوا فى ميدان الجهاد ، أو ماتوا على فراشهم ، يجزيهم الله أحسن الجزاء ، وان الله لهو خير من يعطى الثواب الجزيل .

٥٩ ـ وليدخلنهم فى الجنة درجات يرضونها ويسعدون بها ، وان الله لعليم بأحوالهم فيجزيهم الجزاء الحسن ، حليم يتجاوز عن هفواتهم .

٦٠ ـ ذلك شأننا فى مجازاة الناس : لا نظلمهم ، والمؤمن الذى يقتص ممن جنى عليه ، ويجازيه بمثل اعتدائه دون زيادة ، ثم يتمادى الجانى فى الاعتداء عليه بعد ذلك ، فان الله يعطى عهدا مؤكدا بنصره على من تعدى عليه ، وان الله لكثير العفو عمن جازى بمثل ما وقع عليه ، فلا يؤاخذه به ، كثير المغفرة فيستر هفوات عبده الطائع ولايفضحه يوم القيامة .

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ

٦١ ـ ذلك النصر هين على الله لأنه قادر على كل شيء ، ومن آيات قدرته البارزة أمامكم هيمنته على العالم ، فيداول بين الليل والنهار بأن يزيد فى أحدهما ماينقصه من الآخر ، فتصير بعض ظلمة الليل مكان بعض ضوء النهار ، وينعكس ذلك ، وهو سبحانه مع تمام قدرته سميع لقول المظلوم ، بصير بفعل الظالم ، فينتقم منه .

٦٢ ـ ذلك النصر للمظلومين منه تعالى ، وتصرفه المطلق فى الكون كما تلمسون مرجعه انه هو الاله الحق الذى لا اله معه غيره ، وان مايعبده المشركون من الأصنام هو الباطل الذى لاحقيقة له وأن الله وحده هو العلى على ماعداه شأنا ، الكبير سلطانا .

٦٣ ـ الا تعتبر ايها العاقل بما ترى حولك من مظاهر قدرة الله فتعبده وحده ؟ فهو الذى أنزل ماء الأمطار من السحاب فأصبحت الأرض به مخضرة بما ينبت فيها من النبات ، بعد أن كانت مجدبة ، ان الله كثير اللطف بعباده ، خبير بما ينفعهم فيهيئه لهم بقدرته .

٦٤ ـ كل مافى السموات ومافى الارض ملك له ، وعبيد له وحده ، ويتصرف فيه كما يشاء ، وهو الغنى عن عباده ، وهم المفتقرون اليه ، وهو الحقيق وحده بالحمد والثناء عليه ، من جميع خلقه .

٦٥ ـ ألا تنظر أيها العاقل الى مظاهر قدرة الله فتراه ييسر للناس جميعا الانتفاع بالأرض ومافيها ، وهيأ لهم البحر تسير فيه السفن بمشيئته وأمسك الكواكب فى الفضاء بقدرته حتى لايختل نظامها ، أو تقع على الأرض الا اذا اقتضت ارادته ذلك ، ان الله سبحانه شديد الرأفة والرحمة بعباده فيهيىء كل سبل الحياة الطيبة لهم ، فكيف بعد ذلك كله لا يخلصون فى شكره وعبادته ؟[1] .

٦٦ ـ وهو الذى أوجد فيكم الحياة ، ثم يميتكم حين تنقضى آجالكم ، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء ، ان الانسان مع كل هذه النعم والدلائل لشديد الجحود بالله وبنعمه عليه .

تعليق الخبراء على الآية ٦٥ :

(١) « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض ، والفلك تجرى فى البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم » : تتضمن هذه الآية الكريمة معانى علمية دقيقة ، فالسماء ـ وهى كل ما علانا ـ تبدأ بغلاف الأرض الهوائى ، فالفضاء ، فأجرام السماء المشع منها لذاته مثل النجوم والمجموعات النجمية والسدم ، والمجرات . وغير المشع لذاته كالأقمار ، والكواكب والمذنبات ، النيازك ، الجزئيات ، الذرات ، والغبار الكونى . جميع هذه العوالم تحتفظ بكيانها وتماسكها تحت تأثير عدة قوى ، أهمها الجاذبية والقوى الناشئة عن الحركة .

ولقد تجلت مشيئة الله ورأفته بالعباد بأن هيأ غلافا جويا يحتوى على العناصر الغازية التى لا غنى للحياة عنها ، كما أنه يحمى سكان الأرض من الاشعاعات الكونية وأسراب الشهب والنيازك التى تهيم فى الفضاء والتى عندما تدنو من الأرض تحترق فى جوها العلوى قبل أن تصل إلى السطح .

ومن أرادته تعالى ورحمته أن سقوط النيازك التى تدمر سطح الأرض نادر الحدوث جدا ، وهو يتم فى الأماكن الخالية من السكان ، وهذه الظاهرة تدل على عناية الله تعالى ورحمته بعباده ، وفى هذا تأييد وتصديق لقوله تعالى : « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

---

٦٧ - وقد جعلنا لكل أمة من أصحاب الشرائع السابقة شريعة خاصة بهم لائقة بعصرهم يعبدون الله عليها الى ان ينسخها مايأتى بعدها . ومن أجل هذا جعلنا لأمتك - أيها النبى - شريعة يعبد الله عليها الى يوم القيامة . واذا كان هذا امرنا ووضعنا ، فلايجوز ان يشتد فى منازعتك فيه هؤلاء المتعبدون بأديانهم السابقة عليك ، فقد نسخت شريعتك شرائعهم ، فلاتلتفت لمجادلتهم ، واستمر فى الدعوة الى ربك حسبما يوحى اليك . انك لتسير على هدى ربك المستقيم .

٦٨ - وان أصروا على الاستمرار فى مجادلتك . فأعرض عنهم ، وقل لهم : الله أعلم بأعمالكم ، وبما تستحقون عليها من الجزاء .

٦٩ - الله يحكم بينى وبينكم يوم القيامة ، فيما كنتم تختلفون فيه معى ، فيثيب المهتدى ويعاقب الضال .

٧٠ - واعلم أيها العاقل أن علم الله محيط بكل مافى السماء ومافى الأرض ، فلا يخفى عليه شىء من أعمال هؤلاء المجادلين ، فكل ذلك ثابت عند الله فى لوح محفوظ ، لأن احاطته بذلك واثباته وحفظه يسير عليه كل اليسر .

٧١ - ويعبد المشركون من دون الله أوثانا وأشخاصا لم ينزل بعبادتها حجة فى كتاب سماوى ، وليس لديهم عليها دليل عقلى ، ولكن لمجرد الهوى والتقليد ، وليس لهؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وامتهنوا عقولهم نصير ينصرهم ، ويدفع عنهم عذاب النار يوم القيامة كما يزعمون .

٧٢ - هؤلاء المشركون اذا تلا أحد عليهم آياتنا الواضحات ، وفيها الدليل على صحة ما تدعو اليه - أيها النبى - وفساد عبادتهم ، تلحظ فى وجوههم الحنق والغيظ الذى يستبد بهم ، حتى ليكاد يدفعهم الى الفتك بالذين يتلون عليهم هذه الآيات . قل لهم أيها النبى ، تبكيتا وانذارا : هل تستمعون الى فأخبركم بشىء هو أشد عليكم شرا من الغيظ الذى يحرق نفوسكم ؟ انه هو النار التى توعد الله بها الذين كفروا أمثالكم يوم القيامة وما أسوأها مصيرا ومقاما .

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

---

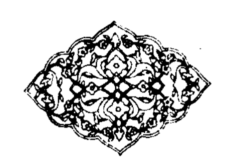
٧٣ - يأيها الناس : انا نبرز أمامكم حقيقة عجيبة فى شأنها . فاستمعوا اليها وتدبروها : ان هذه الأصنام لن تستطيع أبدا خلق شىء ، مهما يكن تافها حقيرا كالذباب ، وان تضافروا جميعا على خلقه ، بل ان هذا المخلوق التافه ، لو سلب من الأصنام شيئا من القرابين التى تقدم اليها فانها لاتستطيع بحال من الاحوال ان تمنعه عنه أو تسترده منه ، وما أضعف الذى يهزم أمام الذباب عن استرداد ما سلبه منه ، وما أضعف نفس الذباب ، كلاهما شديد الضعف ، بل الأصنام كما ترون أشد ضعفا فكيف يليق بانسان عاقل أن يعبدها ويلتمس النفع منها ؟ .

٧٤ - هؤلاء المشركون ماعرفوا الله حق معرفته ولاعظموه حق تعظيمه حين أشركوا به فى العبادة أعجز الاشياء ، مع أن الله هو القادر على كل شىء العزيز الذى لا يغلبه غالب .

٧٥ - وقد اقتضت ارادة الله وحكمته ان يختار من الملائكة رسلا ، ويختار من البشر كذلك رسلا ، ليبلغوا شرعه الى خلقه ، فكيف تعترضون على من اختاره رسولا اليكم ؟ ان الله سميع لأقوال عباده ، بصير بما يفعلون ومجازيهم عليه .

٧٦ - وهو سبحانه يعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة لاتخفى عليه منهم خافية واليه وحده مرجع الأمور كلها .

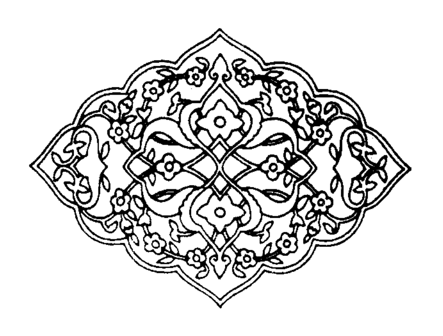
٧٧ - يأيها الذين آمنوا لاتلتفتوا الى تضليل الكفار ، واستمروا على أداء صلاتكم تامة وافية راكعين ساجدين ، واعبدوا ربكم الذى خلقكم ورزقكم ، ولا تشركوا به أحدا ، واعملوا كل مافيه خير ونفع ، كى تكونوا من المصلحين السعداء فى أخراكم ودنياكم .

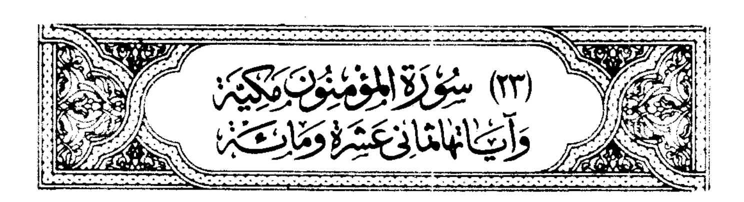


وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٧٨ ـ وجاهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته حتى تنتصروا على اعدائكم وشهواتكم لأنه سبحانه قربكم اليه ، واختاركم لنصرة دينه ، وجعلكم أمة وسطا ، ولم يكلفكم فيما شرعه لكم مافيه مشقة عليكم لاتحتملونها ويسر عليكم ما يعترضكم من مشقة لاتطيقونها مما جعله لكم من أنواع الرخص ، فالزموا هذا الدين ، فهو دين أبيكم ابراهيم فى مبادئه وأسسه ، وهو سبحانه الذى سماكم المسلمين فى الكتب المنزلة السابقة ، وفى هذا القرآن لاذعانكم لما شرعه لكم ، فكونوا كما سماكم الله لتكون عاقبتكم أن يشهد رسولكم بأنه بلغكم وعملتم بما بلغكم به فتسعدوا وتكونوا شهداء على الأمم السابقة بما جاء فى القرآن من أن رسلها بلغتها ، واذا كان الله قد خصكم الطاعة له ، فتقيموا الصلاة على أتم الميزات كلها ، فمن الواجب عليكم أن تقابلوها بالشكر والطاعة له فتقيموا الصلاة على أتم وجوهها ، وتعطوا الزكاة لمستحقيها وتتوكلوا على الله فى كل أموركم وتستمدوا منه العون فهو معينكم وناصركم .

فنعم المولى ونعم النصير .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

سورة مكية ، وآياتها مائة وثمان عشرة آية ، ابتدأت باثبات الفلاح للمؤمنين ، وأتبعت ذلك ببيان صفاتهم . ثم ذكرت أصل خلق الانسان ، وتطور أصله ، وتسلسل سلالاته ، وبعض مظاهر قدرة الله تعالى وعقبت ذلك بقصص الأنبياء ، المردفة باتحاد الرسالات ووحدة الانسان ، وان اختلف الناس الى معترف ومنحرف ، ووصفت طالب الهدى وصاحب الضلال ، وبينت موقف المشركين من النبي ﷺ ، وانتقلت من ذلك الى مظهر قدرة الله فى أحكام خلق الانسان ، وأخذ سبحانه فيها يسأل الناس ليجيبوه بفطرهم ، بما يقرر وجوده ، ويثبت ألوهيته ، ثم بينت السورة أحوال الناس فى القيامة ، وانهم سيحاسبون ، ويؤخذون بالعدل ، وتختم السورة ببيان جلاله سبحانه وتعالى ، وتنبيه رسوله الى طلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين .

١ - تحقق الفلاح للمؤمنين بالله وبما جاءت به الرسل ، وفازوا بأمانيهم .

٢ - الذين ضموا الى ايمانهم العمل الصالح ، فهم فى صلاتهم متوجهون الى الله بقلوبهم خائفون منه متذللون له ، يحسون بالخضوع المطلق له .

٣ - هم مؤثرون للجد ، معرضون عما لا خير فيه من قول وعمل .

٤ - وهم محافظون على اداء الزكاة الى مستحقيها ، وبذلك يجمعون بين العبادات البدنية والعبادات المالية ، وبين تطهير النفس وتطهير المال(١) .

٥ - وهم يحافظون على أنفسهم من أن تكون لها علاقة بالنساء(٢) .

---

(١) « والذين هم للزكاة فاعلون » : هدفت فريضة الزكاة إلى توثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين ، وإشعار كل فرد منهم بأنه مسئول عن أخيه ، يحس بإحساسه ، ويتألم لألمه ، فيعمل ما استطاع ليقيه نائبات الزمان ومرارة الحرمان ، فلا يحقد فقير أو مسكين على غنى ، بل يشعر الجميع بأنهم أسرة واحدة متعاونة معتصمة بحبل الله ، ولا ييأس مدين من أن يعطى ما يفى به دينه إذا كان لا يملك ما يوفى به هذا الدين . . ولا توهن عزيمة غاز فى سبيل الله لنصرة دينه وتحرير وطنه حاجة إلى مال يعينه على تحقيق غايته ، ولا يعدم مسافر أو غريب محتاج أو منقطع عن ماله من يبذل له نفقة يستعين بها حتى يصل إلى وطنه والزكاة بجانب هذا كله كانت وسيلة من الوسائل الفعالة التى اتخذها الإسلام لفك الرقاب وإلغاء الرق ، ولقد توسع الإسلام فى تحقيق أهدافه الاجتماعية العالمية ، ونبذ التعصب الدينى الممقوت ، فأباح أن يعطى الكفار من الزكاة إذا دعت الحاجة إلى استلافهم ، وكذلك العاملون عليها ، والمكاتبون ، وأبناء السبيل والغارمون لإصلاح ذات البين ، والذين يعاونون المسلمين فى القتال . أما الهدف الاقتصادى للزكاة فهو القضاء على الفقر اينما حل ، ومعاونة كل ذى حاجة على النحو الذى تقدم .

(٢) « والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » : تتصل هذه الآيات بآيات أخرى فى سورة النور أولها : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» . . ان الآيات الكريمة المذكورة تشير إلى ما ينتج عن الزنا من آثار اجتماعية . . . أما الناحية الاجتماعية فيؤدى الزنا إلى اختلاط الأنساب . كما أنه من الناحية الطبية ينقسم تأثير الزنا إلى ناحيتين :

الأولى : هى الناحية الجسمانية وما ينتج عنها ، مثل السيلان والزهرى والقرحة والزفرة ، ومن مضاعفاتها أن السيلان ينتهى بمضاعفات بولية تناسلية أو مفصلية أو رمدية قد ينتج عنها فقد الإبصار ، أما الزهرى فينتشر فى الجسم كله ويصيب الأنسجة والشرايين والجهاز العصبى ، وقد ينتهى بصاحبه إلى الجنون ، كما يؤثر على النسل ، فيموت الجنين أو يشوه .

الثانية : التأثير العصبى . فإن الزناة منهم من قد يصاب بتأنيب الضمير والشعور بالاثم ، وفى النهاية يصاب بانهيار عصبى ، ومن كثرة الافراط قد يؤدى به إلى طريق الجنون .

أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ

٦ ـ الا بطريق الزواج الشرعى أو بملكية الجوارى[1] فلا مؤاخذة عليهم فيه.

٧ ـ فمن أراد الاتصال بالمرأة عن غير هذين الطريقين فهو متعد للحدود المشروعة غاية التعدى.

٨ ـ وهم محافظون على كل ما ائتمنوا عليه من مال أو قول أو عمل أو غير ذلك، وعلى كل عهد بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس، فلا يخونون الأمانات ولا ينقضون العهود.

٩ ـ وهم مداومون على أداء الصلاة فى أوقاتها، محققون لأركانها وخشوعها، حتى تؤدى الى المقصود منها، وهو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر.

١٠ ـ هؤلاء الموصوفون الذين يرثون الخير كله وينالونه يوم القيامة.

١١ ـ هم الذين يتفضل الله عليهم بالفردوس، أعلى مكان فى الجنة، يتمتعون فيه دون غيرهم.

١٢ ـ وان على الناس أن ينظروا الى أصل تكوينهم، فانه من دلائل قدرتنا الموجبة للايمان بالله وبالبعث، فاننا خلقنا الانسان من خلاصة الطين.

١٣ ـ ثم خلقنا نسله فجعلناه نطفة ـ أى ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى ـ تستقر فى الرحم وهو سكان مستقر حصين.

١٤ ـ ثم صيرنا هذه النطفة بعد تلقيح البويضة والاخصاب دما. ثم صيرنا الدم بعد ذلك قطعة لحم، ثم صيرناها هيكلا عظميا، ثم كسونا العظام باللحم، ثم أتممنا خلقه فصار فى النهاية بعد نفخ الروح فيه خلقا مغايرا لمبدأ تكوينه، فتعالى شأن الله فى عظمته وقدرته، فهو لا يشبهه أحد فى خلقته وتصويره وابداعه.

١٥ ـ ثم انكم، يابنى آدم، بعد ذلك الذى ذكرناه من أمركم صائرون الى الموت لا محالة.

١٦ ـ ثم انكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء.

١٧ ـ واننا قد خلقنا سبع سموات مرتفعة فوقكم فيها مخلوقات لم نغفل عنها فحفظناها ودبرناها، ونحن لانغفل عن جميع المخلوقات، بل نحفظها كلها من الزوال والاختلال وتدبر كل أمورها بالحكمة[2].

---

(١) كان الرق فى الماضى ثابتا، وكان للرجل أن يصطفى من جواريه من يتخذها كزوجة، والإسلام أباح الرق فى القتال المشروع إذا كان الأعداء يسترقون من قبيل المعاملة، فإن لم يسترق الأعداء فإن المسلمين لا يسترقون.

(٢) «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين»، الطرائق السبع فى الآية كناية عن عدد السموات، وانها ليست بسماء واحدة، وهو ـ عز وجل ـ لا يغفل عن هذه السموات وما فيها من خلق.

فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

---

١٨ - وأنزلنا من السماء مطرا بحكمة وتقدير فى تكوينه وانزاله ، وتيسيرا للانتفاع به جعلناه مستقرا فى الأرض على ظهرها وفى جوفها ، وانا لقادرون على ازالته وعدم تمكينهم من الانتفاع به ، ولكنا لم نفعل رحمة بكم ، فآمنوا بخالقه وأشكروه[١] .

١٩ - فخلقنا لكم بهذا الماء حدائق من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة . ومنها تأكلون .

٢٠ - وخلقنا لكم شجرة الزيتون التى تنبت فى منطقة طور سيناء ، وفى ثمارها زيت تنتفعون به ، وهو ادام للآكلين[٢] .

٢١ - وان لكم فى الأنعام وهى الابل والبقر والغنم مايدل على قدرتنا وتفضلنا عليكم بالنعم ، نسقيكم لبنا مستخرجا مما فى بطونها خالصا سائغا سهلا للشاربين ، ولكم فيها سوى اللبن منافع كثيرة كاللحوم والأصواف والأوبار ومنها تعيشون وترزقون .

٢٢ - وعلى هذه الأنعام ، وعلى السفن تركبون وتحملون الأثقال ، فخلقنا لكم وسائل الانتقال والحمل فى البر والبحر ، وبها يكون الاتصال بينكم .

٢٣ - وفى قصص الأولين عبرة لكم لتؤمنوا ، فقد أرسلنا نوحا الى قومه ، فقال لهم : ياقوم اعبدوا الله وحده ، فليس لكم اله يستحق العبادة غيره ، ألا تخافون عقابه ، وزوال نعمه ان عصيتم .

---

(١) « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض ، وإنا على ذهاب به لقادرون » : تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية خاصة بالدورة المائية فى الأرض ، فمن المعلوم أن عمليات البخر من المحيطات والبحار تنشأ عنها إثارة السحب التى ينزل منها المطر الذى هو أساس المياه العذبة على سطح الأرض ، والعنصر الأساسى للحياة عليها . ومن الأمطار تفيض الأنهار التى تهب الحياة للمناطق القاحلة والنائية ، ثم هى أخيرا تصب فى البحار ، وتعيد الطبيعة الكرة من البحر إلى الجو إلى البر ثم إلى البحر ثانية . . غير أن بعض مياه الأمطار فى أثناء هذه الدورة الطبيعية يتسرب إلى باطن القشرة الأرضية مكونا المياه الجوفية التى ينتقل فيها من مكان إلى آخر ، وكثيرا ما تستقر وتظل مختزنة فى أحواض تركيبية شاسعة تحت السطح تقيدها فى مكانها آمادا طويلة ، كتلك التى توجد تحت الصحراء الغربية الليبية ، والتى كشفت البحوث الحديثة عن أصلها القديم ، وقد تعترى مثل هذه التراكيب الجيولوجية الخازنة تغييرات حرارية يسميها العلماء بالثورات الجيولوجية ، فتذهب بها وما بها من ماء إلى أمكنة أخرى قاحلة ، فتحييها بعد موتها .

وتشير هذه الآية إلى الحكمة العالية فى توزيع الماء بقدر أى بتقدير لائق حكيم ، لاستجلاب المنافع ودفع المضار . . وثم معنى آخر للآية الكريمة يفيد أن مشيئة الخالق - جل وعلا - اقتضت أن يسكن فى الأرض كمية معلومة من المياه فى محيطاتها وبحارها تكفى لحدوث التوازن الحرارى المناسب فى هذا الكوكب ، وعدم وجود فروق عظيمة بين درجات حرارة الصيف والشتاء لا تلائم الحياة ، كما فى بعض الكواكب والتوابع ، كالقمر . . كما أن مياه الأرض أنزلت بقدر معلوم ، لا يزيد فيغطى كل سطحها ، ولا يقل فيقصر دون رى الجزء البرى منها .

(٢) « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » : تقرر هذه الآية الكريمة أن شجرة الزيتون من ضمن النعم التى أنعم الله بها على الإنسان وعدد بعضها فى الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية إذ أنها من الأشجار الخشبية التى تعمر طويلا لمدد تزيد على مئات السنين ، فلا يأخذ أمرها جهدا من الإنسان إنما تثمر أثمارا مستمرة طبيعية . . كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر .

=

فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ

---

٢٤ ـ فقال الكبراء من قومه الذين كفروا منكرين لدعوته صادين العامة عن اتباعه : لافرق بين نوح وبينكم . فهو مثلكم فى البشرية ، ولكنه يريد أن يتميز عليكم بهذه الدعوة . ولو كان هناك رسل من الله كما يزعم ، لأرسلهم ملائكة ماسمعنا فى تاريخ آبائنا السابقين بهذه الدعوة ولا بإرسال بشر رسولا .

٢٥ ـ ماهو إلا رجل به جنون ولذلك قالوا . فانتظروا واصبروا عليه حتى ينكشف جنونه ، أو يحين هلاكه .

٢٦ ـ دعا نوح ربه بعد مايئس من ايمانهم فقال : يارب انصرنى عليهم . وانتقم منهم بسبب تكذيبهم لدعوتى .

٢٧ ـ فقلنا له عن طريق الوحى : اصنع السفينة ، وعنايتنا ترعاك ، فتدفع عنك شرهم ونرشدك فى عملك ، فاذا حل ميعاد عذابهم ، ورأيت التنور يفور ماء بأمرنا ، فأدخل فى السفينة من كل نوع من الكائنات الحية ذكرا وأنثى ، وأدخل أهلك أيضا ، الا من تقرر تعذيبهم لعدم ايمانهم ، ولاتسألنى نجاة الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بالكفر والطغيان ، فانى حكمت باغراقهم لظلمهم بالاشراك والعصيان[1] .

٢٨ ـ فاذا ركبت واستقررت أنت ومن معك فى السفينة فقل شاكرا ربك ، الحمد لله الذى نجانا من شر القوم الكافرين الطاغين .

٢٩ ـ وقل يارب مكنى من النزول فى منزل مبارك تطيب الاقامة فيه عند النزول الى الأرض ، وهب لى الأمن فيه ، فأنت وحدك الذى تنزل فى مكان الخير والأمن والسلام .

٣٠ ـ ان فى هذه القصة عبرا ومواعظ ، وانا نختبر العباد بالخير والشر ، وفى أنفسهم الاستعداد لكل منها .

= وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة ، ففيه نسبة كبيرة من البروتين ، كما تتميز بوجود الأملاح الكلسية والحديدية والفسفورية ، وهو مواد هامة وأساسية فى غذاء الإنسان ، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوى على فيتامين « ا » ، وفيتامين ب ويستخرج من الثمار زيت الزيتون الذى يحتوى على نسبة عالية من الدهون السائلة ، وهذا الزيت يستعمل بكثرة فى التغذية .

وتضيف الأبحاث الطبية إلى زيت الزيتون فوائد عديدة ، فهو يفيد الجهاز الهضمى عامة . . والكبد خاصة . وهو يفضل كافة أنواع الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية ، إذ لا يسبب أمراضا للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهن ، كما أنه ملطف للجلد ، إذ يجعله ناعما ومرنا . ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة صناعية ، إذ يحضر منه بعض الصناعات ويدخل فى تركيب أفضل وأحسن أنواع الصابون وغير ذلك من مختلف الصناعات الغذائية والصناعية .

(١) « فأوحينا إليه أن آصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين آثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون » : أن ما جاء فى وصف حدوث الطوفان فى الآيات الكريمة رغم أنه موجز ، إلا أنه بالنسبة للعقل المفكر يتضمن من المعانى والحقائق العلمية ما يعزب عن كثير من البشر . . والتنور لغة : هو الكانون يخبز فيه . أو هو وجه الأرض وكل مفجر ماء ، وكل محفل ماء .

=

قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾

---

٣١ ـ ثم خلقنا من بعد نوح طبقة من الناس غيرهم وهم عاد.

٣٢ ـ فأرسلنا اليهم هودا وهو منهم. وقلنا لهم على لسانه: اعبدوا الله وحده فليس لكم اله يستحق العبادة غيره، وهو وحده الجدير بان تخافوه، فهلا خفتم عقابه ان عصيتموه؟.

٣٣ ـ وقال الكبراء من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الله وما فى الآخرة من حساب وجزاء، وأعطيناهم أكبر حظ من الترف والنعيم، قالوا منكرين عليه دعوته، صادين العامة عن اتباعه: لافرق بين هود وبينكم، فما هو الا بشر مماثل لكم فى البشرية، يأكل من جنس ما تأكلون منه، ويشرب من جنس ما تشربون، ومثل هذا لا يكون رسولا لعدم تميزه عليكم.

٣٤ ـ وحذروهم فى قوة وتأكيد، فقالوا: ان أطعتم رجلا يماثلكم فى البشرية، فأنتم حقا خاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته.

٣٥ ـ وقالوا لهم أيضا منكرين للبعث: أيعدكم هود أنكم تبعثون من قبوركم بعد ان تموتوا وتصيروا ترابا وعظاما مجردة من اللحوم والأعصاب.

٣٦ ـ ان ماوعدكم به بعيد جدا ولن يكون أبدا.

٣٧ ـ ليس هناك الا حياة واحدة هى هذه الحياة الدنيا التى نجد فيها الموت والحياة يتواردان علينا، فمولود يولد وحى يموت، ولن نبعث بعد الموت أبدا.

٣٨ ـ ما هو ألا رجل كذب على الله، وادعى ان الله أرسله، وكذب فيا يدعو اليه، ولن نصدقه ابدا.

٣٩ ـ قال هود، بعد مايئس من ايمانهم: يارب انصرنى عليهم وانتقم منهم، بسبب تكذيبهم لدعوتى.

٤٠ ـ قال الله له مؤكدا وعده: سيندمون بعد قليل من الزمن على مافعلوا عندما يحل بهم العذاب.

٤١ ـ فأخذتهم صيحة شديدة أهلكتهم لاستحقاقهم ذلك الهلاك، وجعلناهم فى الحقارة والضعف كالشىء الذى يجرفه السيل أمامه من أعواد الشجر وأوراقه وهلاكا وبعدا عن الرحمة للظالمين بكفرهم وطغيانهم.

٤٢ ـ ثم خلقنا من بعدهم أقواما غيرهم، كقوم صالح ولوط وشعيب.

٤٣ ـ لكل أمة زمنها المعين لها لا تتقدم عنه ولاتتأخر.

= ونحن عندما نحاول تحديد تاريخ حدوث الطوفان نجد أنه ليس بالأمر السهل، فقد حدثت طوفانات عديدة فى أزمنة غير سحيقة فى عهد البشرية، كما حدث فى أرض بابل وفى الهند وفى الصين وفى الأمريكتين. =

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

٤٤ ـ ثم أرسلنا رسلنا متتابعين كلا الى قومه ، وكلما جاء رسول الى قومه كذبوه فى دعوته ، فأهلكناهم متتابعين ، وجعلنا أخبارهم أحاديث يرددها الناس ويعجبون منها ، فبعدا عن الرحمة ، وهلاكا لقوم لا يصدقون الحق ولا يذعنون له .

٤٥ ـ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالدلائل القاطعة الدالة على صدقها ، وبحجة واضحة تبين أنهما قد أرسلا من عندنا .

٤٦ ـ أرسلناهما الى فرعون وقومه فامتنعوا فى تكبر عن الايمان ، وهم قوم موصوفون بالكبر والتعالى والقهر .

٤٧ ـ وقالوا فى تعجب وانكار : أنؤمن بدعوة رجلين مماثلين لنا فى البشرية ، وقومهما بنو اسرائيل خاضعون لنا ومطيعون كالعبيد .

٤٨ ـ فكذبوهما فى دعوتهما فكانوا من المهلكين بالغرق .

٤٩ ـ ولقد أوحينا الى موسى بالتوراة ، ليهتدى قومه بما فيها من ارشادات الى الاحكام واسباب السعادة .

٥٠ ـ وجعلنا عيسى بن مريم وأمه فى حملها به من غير أن يمسها بشر ، وولادته من غير أب دلالة قاطعة على قدرتنا البالغة ، وانزلناهما فى أرض مرتفعة منبسطة تستقر فيها الاقامة ويتوافر الماء الذى هو دعامة العيش الرغيد .

٥١ ـ وقلنا للرسل ليبلغوا أقوامهم : كلوا من أنواع الحلال الطيب ، وتمتعوا واشكروا نعمتى بعمل الصالحات ، انى عليم بما تعملون ومجاز لكم عليه .

= وجاء ذكر بعض هذه الطوفانات فى القصص الشعبى ، إلا أنه من المستبعد أن يكون لها علاقة بالطوفان العظيم أو طوفان نوح .

وقد ثبت من البحث والمشاهدة أن العالم انتابته طوفانات عالمية كثيرة ، وأن آخر الطوفانات العالمية كان سببه انقضاء عصر الجليد الأخير وانصهار معظم الثلوج المتجمدة فى القطبين ، ونحن لا نعلم علم اليقين متى انقلب الميزان وفار التنور ـ وجه الأرض ـ نتيجة للارتفاع المفاجىء فى سرعة انصهار الجليد حتى علا منسوب الماء العام للبحار ، وطفت المياه .

وجدير بالذكر أنه قد صاحب انصهار ثلوج العصر الجليدى الأخير مناخ شديد المطر فى مناطق نائية عن القطبين ، مثل حوض البحر الأبيض المتوسط .

ومهما يكن من شىء فمن المسلم به أنه ليس لدينا من الوثائق ما يمكننا من تحديد عصر نوح وقومه ، فالظاهرة كلها معجزة إلهية . ومن الإعجاز أن ينصح نوح قومه ويحذرهم من غضب الله ، ويوحى الله أنه مغرقهم إذا لم ينتصحوا . . ثم يوحى إليه أن يصنع الفلك ، ثم يأتى أمر الله ، وينقلب الميزان ، ويفور التنور ، وينهمر المطر تحقيقا لما أخبر الله به نوحا من أن الله يعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

---

٥٢ ـ وقلنا لهم ليبلغوا أقوامهم : ان هذا الدين الذى أرسلتكم به دين واحد فى العقائد وأصول الشرائع . وانكم أمة واحدة فى كل الاجيال ، منهم المهتدى ومنهم الضال . وانا ربكم الذى امرتكم باتباعه فخافوا عقابى ان عصيتم .

٥٣ ـ فقطع الناس أمر دينهم . فنهم المهتدون ومنهم الضالون الذين اتبعوا اهواءهم فتفرقوا بسبب ذلك جماعات مختلفة متعادية . كل جماعة فرحة بما هى عليه . ظانة أنه وحده الصواب .

٥٤ ـ فاترك الكافرين يامحمد فى جهالتهم وغفلتهم مادمت قد نصحتهم حتى يقضى الله فيهم بالعذاب بعد حين .

٥٥ ـ أيظن هؤلاء العاصون انا اذ نتركهم يتمتعون بما أعطيناهم من المال والبنين .

٥٦ ـ نكون قد رضينا عنهم ، فتفيض عليهم الخيرات بسرعة وكثرة ، انهم كالبهائم لايشعرون لعدم استخدامهم عقولهم . انى غير راض عنهم ، وان هذه النعم استدراج منا لهم .

٥٧ ـ ان الذين هم يخشون الله ويهابونه وقد تربت فيهم المخافة منه سبحانه .

٥٨ ـ والذين هم يؤمنون بآيات ربهم الموجودة فى الكون والمتلوة فى الكتب المنزلة .

٥٩ ـ والذين هم لايشركون بالله أحدا .

٦٠ ـ والذين يعطون ممارزقهم الله . ويؤدون عملهم وهم خائفون من التقصير ، لأنهم راجعون الى الله بالبعث ومحاسبون .

٦١ ـ أولئك يسارعون بأعمالهم الى نيل الخيرات ، وهم سابقون غيرهم فى نيلها .

٦٢ ـ ونحن لانكلف أحدا الا بما يستطيع ان يؤديه ، لأنه داخل فى طاقته ، وكل عمل من أعمال العباد مسجل عندنا فى كتاب ، وسنخبرهم به كما هو ، وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقص ثواب .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ

٦٣ - لكن الكافرين بسبب عنادهم وتعصبهم غافلون عن عمل الخير والتكليف بالمستطاع ودقة الحساب، والى جانب ذلك لهم أعمال اخرى خبيثة مداومون عليها.

٦٤ - فاذا أوقعنا العذاب بالأغنياء المترفين ضجوا وصرخوا مستغيثين.

٦٥ - فنقول لهم : لا تصرخوا ولا تستغيثوا الآن، فلن تفلتوا من عذابنا، ولن ينفعكم صراخكم شيئا.

٦٦ - لاعذر لكم، فقد كانت آياتى الموحى بها تقرأ عليكم فكنتم تعرضون عنها اعراضا يقلب احوالكم، ولا تصدقونها ولا تعملون بها.

٦٧ - وكنتم فى اعراضكم متكبرين مستهزئين، تصفون الوحى بالأوصاف القبيحة عندما تجتمعون للسمر.

٦٨ - أجهل هؤلاء المعرضون فلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه حق ؟ ام كانت دعوة محمد لهم غريبة عن الدعوات التى جاء بها الرسل الى الأقوام السابقين الذين أدركهم آباؤهم ؟.

٦٩ - أم لم يعرفوا رسولهم محمدا الذى نشأ بينهم فى أخلاقه العالية التى لا يعهد معها الكذب. فهم ينكرون دعوته الآن بغيا وحسدا ؟.

٧٠ - أم يقولون : انه مجنون ؟ كلا : انه جاءهم بالدين الحق وأكثرهم كارهون للحق. لأنه يخالف شهواتهم واهواءهم فلا يؤمنون به.

٧١ - ولو كان الحق تابعا لأهوائهم لشاع الفساد فى الأرض ولتنازعت الأهواء، ولكنا ارسلنا اليهم القرآن الذى يذكرهم بالحق الذى يجب ان يجتمع عليه الجميع، ومع ذلك هم معرضون عنه(١).

٧٢ - بل أتطلب منهم أيها النبى أجرا على اداء الرسالة ؟ لم يكن ذلك، فان اجر ربك خير مما عندهم، وهو خير المعطين.

---

(١) « ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون » : كلمة « الحق » من الألفاظ المشتركة . قد يراد منها « الله » سبحانه وتعالى نحو قوله تعالى « فتعالى الله الملك الحق » يراد منها « القرآن » نحو قوله تعالى « إنا أرسلناك بالحق » ويراد منها« الدين كله » بما فيه من قرآن وسنة صحيحة نحو قوله : « وقل جاء الحق وزهق الباطل » والأظهر فى كلمة الحق هنا هو أن المراد المعنى الأول « الله » سبحانه وتعالى . ويكون المراد من الآية : لوجرت سنة الله على مسايرة الكافرين فيا يشتهونه ويقترحونه لما استقام النظام الذى قام عليه شأن السموات والأرض، وما فيها من خلائق . ولكن الله ذو حكمة عالية وقدرة نافذة وقد أحاط علمه بما خلق، وتكفلت حكمته بالتدبير المحكم . وتصريح القرآن بأن السموات فيها خلائق إنما يوجهنا هذا :

أولا : إلى أن الإيمان بذلك على وجه الإجمال يقينى . تاركين التعرض إلى التفصيل إلى أن يشاء الله ـ سبحانه بيانه بمقتضى قوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ».

ثانيا : يوجهنا أيضا إلى محاولة البحث العلمى إن استطعنا، « لأن الوصول إلى هذه الحقيقة يؤكد إيماننا . . والإيمان هو الهدف الهام من توجيهنا إلى تلك الآيات ».

لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ

٧٣ - وانك يامحمد ، لتدعوهم الى الدين الذى هو الطريق المستقيم الموصل الى السعادة .

٧٤ - وان الذين لايؤمنون بالآخرة وما فيها من نعيم أو جحيم يعدلون عن الطريق المستقيم الذى يأمن السائر فيه الى طريق الحيرة والاضطراب والفساد .

٧٥ - ولو رحمناهم وأزلنا عنهم مانزل بهم من ضرر فى أبدانهم وقحط فى أموالهم ونحو ذلك لزادوا كفرا ، وتمادوا فى الطغيان .

٧٦ - ولقد عذبناهم بعذاب أصابهم كالقتل أو الجوع فما خضعوا بعده لربهم ، بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم بمجرد زواله .

٧٧ - سيستمرون على إعراضهم ، حتى اذا عذبناهم عذابا شديدا بالجوع أو القتل فى الدنيا صاروا حيارى يائسين من كل خير ، لا يجدون مخلصا .

٧٨ - وكيف تكفرون بالله ، وهو الذى أنشألكم السمع لتسمعوا الحق ، والأبصار لتروا الكون ومافيه ، والعقول لتدركوا عظمته فتؤمنوا ؟ انكم لم تشكروا خالقها بالايمان والطاعة الا قليلا أى قلة .

٧٩ - وهو الذى خلقكم فى الأرض ، واليه وحده تجمعون للجزاء يوم القيامة .

٨٠ - وهو الذى يحيى ويميت وبأمره وقوانينه تعاقب الليل والنهار واختلافهما طولا وقصرا الا تعقلون دلالة ذلك على قدرته ووجوب الايمان به وبالبعث ؟[1] .

٨١ - لم يفعلوا ذلك ، بل قلدوا السابقين المكذبين ، فقالوا مثل قولهم .

٨٢ - قالوا منكرين للبعث : أنبعث بعد الموت وبعد ان نصير ترابا وعظاما ؟

٨٣ - لقد وعدنا ووعد آباؤنا من قبلنا بذلك ، وما هذا الوعد الا أكاذيب السابقين التى سطروها .

---

(١) «وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون» وردت آيات الليل والنهار فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم مما يدل على أن الحق - سبحانه وتعالى - يذكر عباده بهذه الآية الكونية ، وبما تتضمنه من معان عميقة تحفز المفكرين إلى التأمل والبحث .
واختلاف الليل والنهار ينصب على ناحيتين رئيسيتين :

الأولى : الاختلاف الزمنى طولا وقصرا . والثانية : الاختلاف فى الظواهر الطبيعية وغير المرئية .

أولا - الاختلاف الزمنى :

النهار هو الفترة الزمنية بين ظهور حاجب الشمس واختفائها من أفق المكان حيث يلامس سطح الأرض . وكما نشاهدها بالعين . وحيث أن موقع الحافة العليا للشمس فى الحقيقة ليس عند الأفق . وإنما نشاهده كذلك لأن الإشعاع المنبعث منها يتقوس لدى انكساره أثناء مروره فى طبقات الجو ، حتى يصل إلى عين الراصد ، فيشاهدها كما لو كانت عند الأفق . والواقع أن هذه الحافة منخفضة عند الأفق بمقدار ٣٥ دقيقة قوسية .

والليل هو الفترة الزمنية المتممة لفترة النهار . حتى يبلغ مجموعها فترة دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق .=

وفيا بين الليل والنهار فترتان زمنيتان : هما فترة الشفق الغربى ، وفترة الشفق الشرق . وفترة النهار تختلف باختلاف عرض المكان وفصول السنة . وتختلف أيضا فترة الليل تبعا لذلك . وتحدد مواقيت الصلاة والصوم تبعا لوضع قرص الشمس بالنسبة للأفق .

ثانيا ـ الاختلاف فى الظواهر الطبيعية :

وهذه هى الظواهر العديدة المختلفة الألوان ، والتى تنشأ من تفاعل الإشعاع الشمسى ـ بما يحتويه من اشعاعات موجية مرئية وغير مرئية . وجسيات تحمل شحنات كهربائية مع الغلاف الجوى وأسطح البحار والصحارى . . إلخ . كما أن هناك مشاهدات فلكية كالخسوف والكسوف والمذنبات والنجوم والكواكب السيارة والشهب والنيازك التى قد تحجبها شدة أضاءة الشمس أثناء النهار ، بينا تظهر واضحة أثناء الليل .

وأهم الظواهر الفيزيائية التى يختلف فيها الليل عن النهار هى الضوء بالنهار ، وسببه أن الإشعاع المباشر للشمس عندما يسقط على الغلاف الجوى الذى يتألف من جزئيات صغيرة ويحمل الذرات الغبارية ، فإنه ينعكس فى مختلف الاتجاهات ويتشتت .

فإذا كان الجو نقيا ، وأحجام الذرات الغبارية صغيرة جدا ، والشمس مرتفعة عن الأفق ، فإن اللون الأكثر تشتتا وحساسية للعين هو اللون الأزرق ، فتظهر السماء زرقاء . أما عند شروق الشمس أو غروبها فإن الأفق يظهر بلون برتقالى متدرجا إلى الأحمر ، بينا يكون الضوء الأزرق المشتت قليلا نسبيا ، ولذلك يميل لون السماء عند السمت إلى الزرقة الخافتة .

وفى لحظة غروب الشمس عند الأفق نشاهد لونا أخضر عند حافتها العليا لمدة ثانية أو أقل ، وهذه الظاهرة تسمى بالوميض الأخضر . وتشاهد عادة على سطح البحر أو وراء قم الجبال أو حتى جدران المنازل . وترجع هذه الظاهرة إلى حيود الأشعة الشمسية الذى ينتج عنه تحلل طيفها إلى ألوان منها الضوء الأخضر .

والخلاصة أن الإشعاع الشمسى يتألف من مجموعة من الألوان المرئية وغير المرئية ، ويتميز بعضها عن بعض بطول الموجة وتخضع هذه الموجات لخصائص عديدة كالإنكسار والإنعكاس والتشتت والتداخل والأستقطاب والحيود . فإذا ما تفاعلت مع الغلاف الجوى فى حالات خاصة فإننا نشاهد نتيجة لهذا التفاعل ضوء النهار والسراب وأقواس قزح والهالة الشمسية إلى غير ذلك من آيات السماء من الظواهر الكونية وعندما تغيب الشمس وراء الأفق تظهر السماء بألوان مختلفة نظرا لتشتت الضوء فى طبقات الجو العليا ، وكلما انخفض قرص الشمس خفت ضوء الشفق ، وقلت ألوانه الطبيعية ، حتى إذا ما بلغ ١٨,٥ درجة قوسية أصبحت السماء قاتمة ، وقد اصطلح الميقاتيون على أن تلون هذه اللحظة غسق الليل إيذانا بصلاة العشاء ، وتلك اللحظة يبدأ عندها الضوء البروجى على شكل مخروط قاعدته عند الأفق الغربى ، ويمتد فى ليالى الشتاء الصافية حتى تبلغ قمة المخروط السمت ، وفى منتصف الليل تظهر الأضواء البروجية عند الشروق أولا كراس قمة لمخروط ضوئى خافت ، تزداد قمته فى الارتفاع ، وتمتد قاعدته عند الأفق الشرق ، حتى إذا بزغ الفجر ، أى عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرق بمقدار ١٨,٥ درجة ، وهى إيذان بصلاة الفجر ، وتبدأ ألوان الشفق الشرق فى الظهور تدريجيا وعكسيا للشفق الغربى ، وما الفجر الكاذب سوى الضوء البروجى الذى يبلغ أقصى شدته عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرق بأكثر من ١٨,٥ درجة قوسية . ولقد تبين حديثا أن للشمس غلافا رقيقا يمتد امتدادا هائلا فى الفضاء حتى يكاد يلامس جو الأرض . هذا هو الغلاف الرقيق الذى يسبب الأضواء البروجية بأشكالها المختلفة .

هذه الظواهر العديدة التى ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر تتكشف لنا إذا كانت السماء خالية من السحب والأعاصير المحملة بالتراب ، لأنها تظهر عندئذ وهى قاتمة اللون ، وإذا كانت السحب محملة بقطرات ماء المطر فهى تتفاعل مع الأشعة الشمسية ، وتحدث أقواس قزح فى أحوال مناسبة .

وإذا كان السحاب من نوع السمحاق الذى يحمل حبيبات بلورية مسدسة من الماء المتجمد ، فإن هذه البلورات تتفاعل مع الإشعاع الشمسى فتنكسر من سطحها إلى داخلها ، وينعكس على الأسطح الداخلية ، ثم تنكسر إلى الخارج . وقد نشاهد فى ظروف وأحوال مناسبة الهالة الشمسية بمظاهرها الجميلة وهى دائرة ملونة كبرى حول الشمس . وعند سواد الليل تظهر النجوم متلألئة على سطح القبة السماوية كما لو كانت على مسافة قريبة منا ، وفى الواقع هى على مسافات شاسعة . تقاس بالسنين الضوئية كما تظهر على هذه القبة أيضا الكواكب السيارة والمذنبات والشهب والنيازك وهى تبدو قريبة جدا نسبيا ، كما لو كانت فروق المسافات قد أنعدمت . وهذا ما يجعلنا ندرك المعنى الحق فى قوله تعالى : وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون . وكما بينا سابقا بالإضافة إلى الاشعاعات الموجية من الشمس هناك إشعاع من الجسيات ، ينبعث من مناطق شمسية شديدة النشاط ، وتحمل شحنات كهربائية ، كما تنبعث منها إشعاعات شديدة فوق البنفسجية ، هذه الجسيات والاشعاعات تتفاعل مع الطبقات الجوية العليا ، وتتأثر بالمجال المغناطيسى حول الأرض ، فتثير الأضواء الشمالية أو الجنوبية ، وتظهر قاتمة فى السماء الشمالية كأنها ستائر من الإضاءة الجميلة الألوان خضراء اللون ، وتميل إلى الإحمرار والزرقة عند الحواف . هذه الأشكال قد تستمر ساعات طويلة فى السماء الشمالية وتكاد تشاهدها فى ليالى عديدة عندما تكون الشمس فى أوج نشاطها ، نرى هذه الستائر ليس فقط فى العروض الشمالية بل أيضا فى العروض المتوسطة الاستوائية .

وهناك شحنات كهربائية فى السحب والجو يتولد عنها البروق وإضاءة بعض السحب العالية . جميع هذه الظواهر العديدة التى نشاهدها تجعلنا ندرك المعنى الحق فى قوله سبحانه وتعالى: إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب .

ومما سبق يتضح أن الاختلاف فى الظواهر الفيزيائية إنما لأسباب لا يمكن للإنسان أن يتدخل فيها ، وإن الله ـ جل شأنه ـ هو الذى له اختلاف الليل والنهار ، ولا سبيل اطلاقا إلى تحكم الإنسان فى أى يوم على الليل والنهار . وهو ـ جل شانه ـ بما وضع من موازين دقيقة وتقديرات محددة يتعاقب الليل والنهار ، ويختلف على مدار السنة طولا وقصرا .

ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

٨٤ـ قل لهم يامحمد : من الذى ملك الأرض ومن فيها من الناس وسائر المخلوقات ، ان كان لكم علم فأجيبونى ؟ .

٨٥ـ سيقرون بأن الأرض لله . قل لهم اذن : فلم تشركون به ؟ ألا تذكرون ان من يملك ذلك جدير بأن يعبد وحده ؟ .

٨٦ـ قل لهم أيضا : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟

٨٧ـ سيقرون بأنه هو الله . قل لهم اذن : ألا تخافون عاقبة الشرك والكفر والعصيان لصاحب هذا الخلق العظيم .

٨٨ـ قل لهم أيضا : من بيده ملك كل شىء ومن له الحكم المطلق فى كل شىء ، وهو يحمى بقدرته من يشاء ، ولا يمكن لأحد أن يحمى أحدا من عذابه ؟ ان كنتم تعلمون جوابا فأجيبوا ؟ .

٨٩ـ سيقرون بأنه هو الله . قل لهم :
اذن كيف تخدعون بالهوى ووحى الشياطين ، وتنصرفون عن طاعة الله ؟ .

٩٠ـ لقد بينا لهم الحق على لسان الرسل . وانهم لكاذبون فى كل مايخالف هذا الحق .

٩١ـ ما اتخذ الله له ولدا ، وقد تنزه عن ذلك ، وماكان له شريك . اذ لو كان له شريك لاستبد كل بماخلق ، وصار له ملكه ، ولتناحر بعضهم مع بعض كما يرى بين الملوك ، ولفسد الكون بهذا التنازع ، فتنزه الله عما يقوله المشركون مما يخالف الحق .

٩٢ـ هو محيط بكل شىء علما . يعلم مايغيب عنا وما يظهر لنا فتنزه الله عما ينسبه الكافرون اليه من وجود الشريك له .

٩٣ـ قل يأيها النبى : يارب : ان أنزلت بهم ما أوعدتهم من العذاب فى الدنيا وأنا موجود بينهم .

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا

---

٩٤ ـ فأتوسل اليك ألا تجعلنى معذباً مع القوم الكافرين الطاغين .

٩٥ ـ ونحن قادرون تماماً على أن نريك ما أوعدناهم به من العذاب نازلاً بهم ، فاطمئن لنصرنا .

٩٦ ـ استمر فى دعوتك وقابل اساءتهم بالعمل الذى هو أحسن من العفو أو غيره ، ونحن عالمون تماماً بما يصفونك به ، ويصفون به دعوتك من سوء وافتراء ، وسنجازيهم عليه .

٩٧ ـ وقل : يا رب : استعيذ بك من أثر وساوس الشياطين على نفسى بعملى مالا يرضيك .

٩٨ ـ وأستعيذ بك يا رب . أن يكونوا معى فى أى عمل من الأعمال ، ليكون سليماً خالصاً لوجهك الكريم .

٩٩ ـ سيستمرون على تكذيبهم ، حتى اذا حل موعد موت أحدهم ندم وقال : يارب ردنى الى الدنيا .

١٠٠ ـ لأعمل عملاً صالحاً فيما تركته من مالى أو زمنى ، ولن يجاب الى طلبه ، فهذا كلام يقوله دون فائدة لا يقبل منه ، ولو استجيب له لم يعمل به ، ومع ذلك فلن يعود أبداً ، فالموت حاجز بينهم وبين ما يتمنون الى أن يبعثهم الله .

١٠١ ـ فاذا جاء موعد البعث بعثناهم بدعوتهم الى الخروج من مقابرهم ، وذلك بما يشبه النفخ فى البوق فيجيئون متفرقين ، لا تنفع أحداً قرابة أحد ، ولا يسأل بعضهم بعضاً شيئاً ينفعه ، فلكل منهم يومئذ ما يشغله .

١٠٢ ـ فالعمل هو ميزان التقدير ، فمن كانت لهم عقائد سليمة وأعمال صالحة لها وزن فى ميزان الله ، فأولئك هم الفائزون .

١٠٣ ـ ومن لم يكن لهم حسنات أو أعمال لها وزن عند الله ، فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم ببيعها للشيطان ، وهم معذبون فى النار ، خالدون فيها .

١٠٤ ـ تحرق النار فى وجوههم ، وهم فيها عابسون من سوء مصيرهم .

تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾
قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ
هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِنْ
لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ

---

١٠٥ - يؤنبهم الله ويقول لهم، قد كانت آياتى المنزلة تقرأ عليكم فى الدنيا، فكنتم تكذبون بما فيها.

١٠٦ - قالوا مقرين بخطئهم : ربنا كثرت معاصينا التى أورثتنا الشقاء، وكنا بذلك ضالين عن طريق الثواب.

١٠٧ - وقالوا : ربنا، أخرجنا من النار وأعدنا الى الدنيا، فان عدنا الى الكفر والعصيان كنا ظالمين لأنفسنا.

١٠٨ - قال الله لهم تحقيراً : اسكتوا اذلاء مهانين، ولا تكلمونى مطلقاً.

١٠٩ - ما ظلمتكم بل ظلمتم أنفسكم، اذ كان المؤمنون الصالحون من عبادى يقولون فى الدنيا : ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين.

١١٠ - فكنتم تسخرون منهم دائماً، حتى أنساكم الاشتغال بالسخرية منهم ذكرى وعبادتى فلم تؤمنوا وتطيعوا، وكنتم منهم تضحكون استهزاء.

١١١ - انى جزيتهم اليوم بالفلاح، لأنهم صبروا على سخريتكم وايذائكم.

١١٢ - قال الله للكافرين : كم سنة عشتموها فى الدنيا ؟

١١٣ - قالوا : استقصاراً لمدة معيشتهم بالنسبة لطول مكثهم فى العذاب : عشنا يوماً أو بعض يوم، فاسأل من يتمكنون من العد، لأنا مشغولون بالعذاب.

١١٤ - فيقول الله لهم، ما عشتم فى الدنيا الا زمناً قليلاً. ولو انكم كنتم تعلمون عاقبة الكفر والعصيان وأن متاع الدنيا قليل، لآمنتم وأطعتم.

١١٥ - أظننتم أننا خلقناكم بغير حكمة فافسدتم فى الأرض. وظننتم أنكم لا تبعثون لمجازاتكم ؟ كلا.

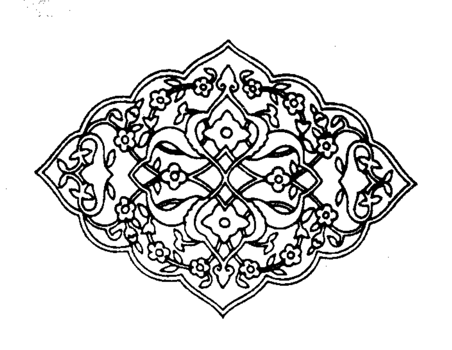
ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

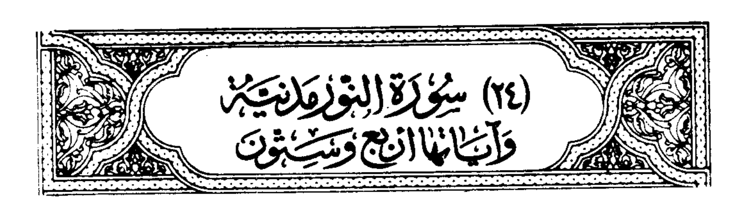
---

١١٦ ـ العظمة لله وحده ، هو مالك الملك كله ، لا معبود بحق سواه ، هو صاحب العرش العظيم .

١١٧ ـ ومن يعبد مع الله الهاً آخر لا دليل له على استحقاقه العبودية . فان الله يعاقبه على شركه لا محالة ، ان الكافرين لا يفلحون ، وانما الذى يفلح هم المؤمنون .

١١٨ ـ وقل ـ يأيها النبى داعياً الله ضارعاً اليه ـ : يا رب اغفر لى ذنبى وارحمنى فأنت خير الراحمين ، لأن رحمتك واسعة وقريبة من المحسنين .





بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى

سورة النور مدنية ، وآياتها ٦٤ ، بين الله فيها وجوب تطهير المجتمع من الزنا ، واشاعة الفاحشة بالفعل وبالقول بين المؤمنين ، وشرع لذلك عقوبات رادعة ، كما شرع فى زنا الزوج تشريعا خاصاً لتوفر الثقة بين الزوجين . واستطرد الحديث فى الزنا الى ذكر الكذب فى هذه المواقف ، وما يجب على المؤمنين ازاء قولة السوء التى يعوزها الدليل ، ويتبع ذلك بآداب دخول البيوت ، ومن له حق الاطلاع على زينة المرأة ، ويردف بعد الحكم بالدعوة العامة الى العفة المطلقة . ثم يأتى نور الله ، وتذكر المساجد ، وتعرض أعمال الكافرين ، وأحوال المعاندين ، وبجانبهم تظهر أحوال المؤمنين . وبعد ذلك تعرض السورة آداب الأسر ، وأصحاب القرابات والأطفال والكبار فى شأن المخالطة ، ومن يحق للمرء أن يأكل على موائدهم . وفى ختامها ذكرت أوصاف المؤمنين اذا دعاهم الرسول لأمر جامع ، وبينت كبير سلطانه تعالى وواسع علمه .

١ ـ هذه سورة أوحينا بها وأوجبنا أحكامها . ونزلنا فيها دلائل واضحة على قدرة الله ووحدانيته . وعلى أن هذا الكتاب من عند الله ، لتتعظوا بها .

٢ ـ ومن تلك الأحكام حكم الزانية والزانى فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا يمنعكم شىء من الرأفة بهما عن تنفيذ الحكم ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . لأن مقتضى الايمان ايثار رضا الله على الناس ، وليحضر تنفيذ الحكم فيهما جماعة من المؤمنين . ليكون العقاب فيه ردع لغيرهما .

تعليق الخبراء على الآية ٢ - ٤ .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » : الجرائم فى الشريعة الإسلامية هى محظورات زجر الله عنها بحد أو تعزير ، وهذه المحظورات تقع أما بارتكاب فعل نهى الشرع عن ارتكابه ، أو بترك فعل أمر الشرع باتيانه . وعلة تحريم هذه المحظورات تقع أما بارتكاب فعل نهى الشرع باتيانه . وعلة تحريم هذه المحظورات انها اعتداء على إحدى المصالح المعتبرة فى الإسلام . ومصالح الإسلام المعتبرة خمس وهى :

١ ـ المحافظة على النفس .

٢ ـ المحافظة على الدين .

٣ ـ المحافظة على العقل .

٤ ـ المحافظة على المال .

٥ ـ المحافظة على العرض .

فالقتل مثلا اعتداء على النفس ، والردة اعتداء على الدين ، وتعاطى الخمر اعتداء على العقل ، والسرقة اعتداء على المال ، والزنا اعتداء على العرض .

وقسم الفقهاء الجرائم إلى تقسيمات عدة تختلف باختلاف وجهات النظر إليها . ويهمنا بصدد التعليق على هذه الآية التقسيم من حيث جسامة العقوبة وكيفية تقديرها ، وهى تنقسم إلى أقسام ثلاثة :

١ ـ الحدود .

٢ ـ القصاص أو الدية .

٣ ـ التعزير .

أما الحدود فهى الجرائم التى تعتبر فى حد ذاتها اعتداء على حق الله ، أو يغلب فيها حق الله على حقوق العباد . وذلك حددها الله ، وحددت عقوبتها بنص فى القرآن أو فى السنة أما جرائم القصاص والدية فهى جرائم تغلب فيها حقوق العباد . وتولى الله تحديد عقوبات بعضها بالنص ، وترك البعض لتقدير ولى الأمر . ومثلها جرائم الدماء . مثل جريمة القتل وقطع الأطراف والجراح .

أما جرائم التعزير فاكتفى الإسلام فيها بتقرير مجموعة من العقوبات بحديها الأخف والأشد وترك للوالى اختيار العقوبة فى كل جريمة بما يلائم ظروفها وحال الجماعة التى وقعت بها .

جرائم الحدود سبع :

١ ـ الزنا .　　　　٥ ـ قطع الطريق .

٢ ـ قذف المحصنات .　　　　٦ ـ شرب الخمر .

٣ ـ البغى .　　　　٧ ـ الردة .

٤ ـ السرقة .

وقد حددها الله وجاء تعدادها جميعا فى نصوص القرآن كما حدد العقوبات عليها القرآن أيضا . عدا عقوبة الزانى المحصن « المتزوج » وهى الرجم ، وعقوبة شارب الخمر وهى ثمانون جلدة ، وعقوبة الردة وهى القتل ، فقد نصت عليها السنة .

وقد درجت القوانين الوضعية على الزجر فى جريمة الزنا بتوافه العقوبات كالحبس . فشاعت الفاحشة بين الناس ، وانتشر الفسق والفجور ، وهانت الأعراض ، وكثرت الأمراض واختلطت الأنساب . ومن عجب أن الشرائع الحديثة للبلاد المتمدينة تحمى هذه الجرائم ، فى قانون العقوبات الفرنسى مثلا : الزانى والزانية غير المحصنين لا عقوبة عليهما ، ماداما قد بلغا سن الرشد . إذ حريتهما الشخصية تقتضى تركهما يفعلان بأنفسهما ما يشاءان . أما الزنا بالنسبة للمحصن من الرجال أو النساء فعقوبتهم الحبس . وليس للهيئة الاجتماعية متمثلة فى النيابة العامة أن تتصدى للجريمة بالتحقيق ، إلا بناء على طلب أحد الزوجين ، وترتب على اعتبار الجريمة واقعة على حق الزوج وحده إنه إذا أبلغ الحادث فله أن يسحب بلاغه ، فيقف التحقيق ، وله أن يعفو عن زوجته فتخرج من السجن قبل انقضاء العقوبة ولو صار الحكم عليها نهائيا .

ويعيب البعض على الإسلام التشدد فى عقوبة الزنا ، وكان أحرى بهم أن يدركوا أنه بقدر تغليظ العقوبة فى الإسلام تشدد فى طريق الإثبات . فبينما اكتفى فى ثبوت جريمة القتل بشهادة شاهدين عدلين ، حتم فى ثبوت جريمة الزنا شهادة أربعة شهود عدول ، رأوا الواقعة رأى العين . أو اعتراف الجانى .

هذا . ونلاحظ أن القرآن الكريم أوجب علانية عقوبة الجلد ، لما فى ذلك من تشهير بالجانى وتخويف لغيره .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ

---

٣ - الخبيث الذى من دأبه الزنا . لا يرغب الا فى نكاح خبيثة عرفت الزنا أو الشرك[1] والخبيثة التى من دأبها الزنا لا يرغب فى نكاحها الا خبيث عرف بالزنا أو الشرك . ولا يليق هذا النكاح بالمؤمنين لما فيه من التشبه بالفسق والتعرض للتهم .

٤ - والذين يتهمون العفيفات النزيهات بالزنا ، ثم لم يأتوا بأربعة شهود يثبتون صدق الاتهام ، فعاقبوهم بالضرب ثمانين جلدة وبعدم قبول شهادتهم على أى شىء كان مدى الحياة . فهؤلاء هم الجديرون باسم الخارجين خروجاً شنيعاً على حدود الدين .

٥ - لكن من تاب منهم فندم على هذه المعصية ، وعزم على الطاعة وظهر صدق توبته بصدق سلوكه ، فان الله يتجاوز عن عقابه .

٦ - والذين يتهمون زوجاتهم بالزنا ، ولم يكن هناك عدد يشهد بصدق اتهامهم ، فيطالب الواحد منهم ليدفع عن نفسه الحد والعقوبة ، بأن يشهد بالله أربع مرات أنه صادق فى هذا الاتهام .

٧ - ويذكر فى المرة الخامسة أنه يستحق الطرد من رحمة الله ان كان من الكاذبين فى ذلك .

٨ - ولو سكتت الزوجة بعد ذلك أقيم عليها عقوبة الزنا ، ولكى تدفع عنها العقوبة يجب عليها أن تشهد بالله اربع مرات أن الزوج كاذب فى اتهامه اياها بالزنا .

٩ - وتذكر فى المرة الخامسة انها تستحق أن ينزل بها غضب الله ان كان من الصادقين فى هذا الاتهام .

١٠ - ولولا تفضل الله عليكم ورحمته بكم ، وانه كثير قبول التوبة من عباده ، وحكيم فى كل أفعاله ، لما شرع لكم هذه الأحكام ، ولعجل عقوبتكم فى الدنيا على المعصية .

---

(١) هذا إذا لم يكن توبة ، والتفسير على هذا يكون لبيان طبائع أهل الشرك أو الزنا فى أنهم لا يرغبون إلا فى المفاسد . ورأى الحنابلة والظاهرية عدم صحة الزواج من الزانى أو الزانية قبل التوبة .

عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ

---

١١ - ان الذين اخترعوا الكذب الصارف عن كل هداية بالنسبة لعائشة زوج النبي ﷺ - اذ أشاعوا حولها الافك والكذب - هم جماعة ممن يعيشون معكم ، لا تظنوا هذه الحادثة شراً لكم بل هى خير لكم ، لأنها ميزت المنافقين من المؤمنين الخالصين ، وأظهرت كرامة المبرئين منها ، والمتألمين ، ولكل شخص من هذه الجماعة المتهمة جزاؤه على مقدار اشتراكه فى هذا الاتهام ، ورأس هذه الجماعة له عذاب عظيم لعظم جرمه .

١٢ - كان مقتضى الايمان انكم عند سماع خبر التهمة ، أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً من العفاف والطهر وأن يقولوا فى انكار : هذا كذب واضح البطلان ، لتعلقه بأكرم المرسلين وأكرم الصديقات .

١٣ - هلا أحضر القائمون بالاتهام اربعة شهود يشهدون على ما قالوا ؟ انهم لم يفعلوا ذلك . . واذا لم يفعلوا فأولئك فى حكم الله هم الكاذبون .

١٤ - ولولا تفضل الله عليكم ببيان الأحكام ، ورحمته لكم فى الدنيا بعدم التعجيل بالعقوبة وفى الآخرة بالمغفرة لنزل بكم عذاب عظيم بسبب الخوض فى هذه التهمة .

١٥ - فقد تناقلتم الخبر بألسنتكم وأشعتموه بينكم ، ولم يكن عندكم علم بصحته وتظنون ان هذا العمل هين ، لا يعاقب الله عليه ، أو يكون عقابه يسيراً مع أنه خطير يعاقب الله عليه أشد العقاب .

١٦ - وكان ينبغى عند سماع هذا القول الباطل ، أن تنصحوا بعدم الخوض فيه ، لأنه غير لائق بكم ، وأن تتعجبوا من اختراع هذا النوع القبيح الخطير من الكذب .

١٧ - وأن الله ينهاكم أن تعودوا لمثل هذه المعصية البتة ان كنتم مؤمنين حقاً لأن وصف الايمان يتنافى معها .

١٨ - وينزل الله لكم الآيات الدالة على الأحكام واضحة جلية . . والله واسع العلم لا يغيب عنه شىء من أعمالكم ، وهو الحكيم فى كل ما يشرع ويخلق ، فكل شرعه وخلقه على مقتضى الحكمة .

أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

---

١٩ - ان الذين يحبون أن يفشوا ذكر القبائح ، فيفشوا معه القبائح نفسها بين المؤمنين ، لهم عذاب مؤلم فى الدنيا بالعقوبة المقررة ، وفى الآخرة بالنار ان لم يتوبوا . والله عليم بجميع أحوالكم الظاهرة والباطنة ، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه .

٢٠ - ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ، وأنه شديد الرأفة واسع الرحمة ، لما بين لكم الأحكام ، لعجل عقوبتكم فى الدنيا بالمعصية .

٢١ - يأيها الذين آمنوا حصنوا أنفسكم بالايمان ، ولا تسيروا وراء الشيطان الذى يجركم الى إشاعة الفاحشة والمعاصى بينكم . ومن يتبع الشيطان فقد عصى ، لأنه يأمر بكبائر الذنوب وقبائح المعاصى ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ببيان الأحكام وقبول توبة العصاة ما طهر أحد منكم من دنس العصيان . ولكن الله يطهر من يتجه الى ذلك بتوفيقه للبعد عن المعصية ، أو مغفرتها له بالتوبة ، والله سميع لكل قول ، عليم بكل شىء ، ومجازيكم عليه .

٢٢ - ولا يحلف الصالحون وذوو اليسار منكم ، على أن يمنعوا احسانهم ممن يستحقونه من الأقارب والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وغيرهم لسبب من الأسباب الشخصية ، كاساءتهم اليهم ، ولكن ينبغى أن يسامحوهم ويعرضوا عن مجازاتهم ، واذا كنتم تحبون أن يعفو الله عن سيئاتكم ، فافعلوا مع المسىء اليكم مثل ما تحبون أن يفعل بكم ربكم ، وتأدبوا بأدبه فهو واسع المغفرة والرحمة[1] .

٢٣ - ان الذين يتهمون بالزنا المؤمنات العفيفات الطاهرات ، اللاتى لا يظن فيهن ذلك ، بل هن لفرط انصرافهن الى الله غافلات عما يقال عنهن ، يبعدهم الله عن رحمته فى الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم ان لم يتوبوا .

---

(١) نزلت هذه الآية عندما حلف أبو بكر الصديق أن يمنع معونته عن قريبه مسطح بن أثاثه لخوضه فى حديث الأفك حول السيدة عائشة رضى الله عنها .

أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ

---

٢٤ - ذلك العذاب يكون يوم القيامة حيث لا سبيل للانكار ، بل يثبت عليهم ما ارتكبوا اذ تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بجميع ما ارتكبوا من آثام ، وذلك بظهور آثار مما عملوه عليها ، أو بأن ينطقها الله الذى أنطق كل شىء .

٢٥ - فى ذلك اليوم يعاقبهم الله العقاب المقرر لهم كاملاً غير منقوص ، وهنا يعلمون علم اليقين ألوهية الله وأحكام شريعته ، وصدق وعده ووعيده ، لأن كل ذلك واضح دون خفاء .

٢٦ - الخبيثات من النساء يكن للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال يكونون للخبيثات من النساء ، وكذلك الطيبات من النساء يكن للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال يكونون للطيبات من النساء ، فكيف يتصور السوء فى الطيبة المصونة زوج الطيب الأمين ، والرسول الكريم ﷺ ؟ وهؤلاء الطيبون مبرأون من التهم التى يصفهم بها الخبيثون ، ولهم مغفرة من الله ما لا يخلو منه البشر من صغار الذنوب ، واكرام عظيم بنعيم الجنة ، وطيباتها .

٢٧ - يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً ليست لكم ، الا بعد أن تطلبوا الاذن من ساكنيها ويسمح لكم بالدخول ، وبعد أن تلقوا تحية السلام على ساكنيها ذلك الاستئذان والسلام خير لكم من الدخول بدونهما ، وشرعه الله لكم لتتعظوا وتعملوا به .

٢٨ - فان لم تجدوا فى هذه البيوت أحداً يأذن لكم ، فلا تدخلوا حتى يجىء من يسمح لكم به . وان لم يسمح لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا ، ولا تلحوا فى طلب السماح بالدخول ، فان الرجوع أكرم بكم وأطهر لنفوسكم ، والله مطلع على كل أحوالكم ومجازيكم عليها فلا تخالفوا ارشاداته .

٢٩ - واذا أردتم دخول بيوت عامة غير مسكونة بقوم مخصوصين ، ولكم فيها حاجة كالحوانيت والفنادق ودور العبادة ، فلا حرج عليكم ان دخلتم بدون استئذان . والله عالم أتم العلم بجميع أعمالكم الظاهرة والباطنة فاتقوا مخالفته .

أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ

---

٣٠ - قل يأيها النبى للمؤمنين - محذراً لهم مما يوصل الى الزنا ويعرض للتهم : أنهم مأمورون ألا ينظروا الى ما يحرم النظر اليه من عورات النساء ومواطن الزينة منهن ، وأن يصونوا فروجهم بسترها وبعدم الاتصال غير المشروع ، ذلك الأدب أكرم بهم وأطهر لهم وأبعد عن الوقوع فى المعصية والتهم . ان الله عالم أتم العلم بجميع ما يعملون ومجازيهم على ذلك .

٣١ - قل أيضاً يأيها النبى للمؤمنات : انهن مأمورات بكف نظرهن عما يحرم النظر اليه ، وأن يصن فروجهن بالستر وعدم الاتصال غير المشروع ، والا يظهرن للرجال ما يغريهم من المحاسن الخلقية والزينة كالصدر والعضد والقلادة ، الا ما يظهر من غير اظهار كالوجه واليد ، واطلب منهن يأيها النبى أن يسترن المواضع التى تبدو من فتحات الملابس ، كالعنق والصدر ، وذلك بأن يسترن عليها أغطية رؤوسهن ، والا يسمحن بظهور محاسنهن ، الا لأزواجهن والأقارب الذين يحرم عليهم التزوج منهن تحريماً مؤبداً كآبائهن أو آباء أزواجهن ، أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن من غيرهن ، أو اخوانهن أو أبناء اخوانهن أو أبناء اخواتهن ، ومثل هؤلاء صواحبهن ، وسواء منهن الحرائر والمملوكات ، والرجال الذين يعيشون معهن ، ولا يوجد عندهم الحاجة والميل للنساء كالطاعنين فى السن ، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا حد الشهوة ، واطلب منهن أيضاً الا يفعلن شيئاً يلفت انظار الرجال الى ما خفى من الزينة ، وذلك كالضرب فى الأرض بأرجلهن ، ليسمع صوت خلاخيلهن المستترة بالثياب ، وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون فيما خالفتم فيه أمر الله ، والتزموا آداب الدين لتسعدوا فى دنياكم وأخراكم .

يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ

---

٣٢ ـ وأعينوا على الابتعاد عن الزنا وما يوصل اليه ، بتزويج من لم يتزوج من رجالكم ونسائكم ، ومن كان صالحاً من مماليككم لذلك ، ولا تكن رقة الحال مانعة من الزواج ، فان الله سيهيء وسائل العيش الكريم لمن أراد إعفاف نفسه ، وفضل الله واسع لا يثقله اغناء الناس ، وهو عالم أتم العلم بالنيات وبكل ما يجرى فى الكون .

٣٣ ـ والذين لا يجدون القدرة على مئونات الزواج ، فعليهم أن يسلكوا وسيلة أخرى كالصوم والرياضة(١) . والأعمال العقلية ، يعفون بها أنفسهم ، حتى يهيء الله لهم من فضله ما يستطيعون به الزواج ، والارقاء الذين يطلبون منكم تعاقداً على دفع عوض مقابل عتقهم ، عليكم أن تجيبوهم الى ما طلبوا ، ان علمتم أنهم سيصدقون فى الوفاء ويستطيعون الأداء وعليكم أن تساعدوهم على الوفاء بما تعاقدوا عليه وذلك مثلاً بتخفيض ما اتفقتم عليه أو اعطائهم بعض المال الذى أنعم الله به عليكم بالزكاة أو الصدقة . ويحرم عليكم أن تجعلوا جواريكم وسيلة للكسب الدنيوى الرخيص باحتراف البغاء وتكرهوهن عليه . كيف تكرهوهن وهن يردن العفاف ؟ ومن يكرههن عليه فان الله يغفر لمن يكرهوهن بالتوبة عن الاكراه . لأن الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٤ ـ ولقد أنزلنا اليكم فى هذه السورة وغيرها آيات واضحة مبينة للأحكام ، وأنزلنا إليكم أمثلة من أحوال السابقين وارشادات ومواعظ يفيد منها الخائفون من الله .

---

(١) يفسر هذا قول النبى ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ـ أى مئونات الزواج ـ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ

---

٣٥ - الله مصدر النور فى السموات والأرض، فهو منورهما بكل نور حسى نراه ونسير فيه، وبكل نور معنوى، كنور الحق والعدل، والعلم والفضيلة، والهدى والايمان، وبالشواهد والآثار التى أودعها مخلوقاته، وبكل ما يدل على وجود الله ويدعو الى الايمان به سبحانه، ومثل نوره العظيم وأدلته الباهرة فى الوضوح، كمثل نور مصباح شديد التوهج، وضع فى فجوة من حائط تساعد على تجميع نوره ووفرة اضاءته، وقد وضع المصباح فى قارورة صافية لامعة لمعان كوكب مشرق، يتلألأ كالدر ويستمد المصباح وقوده من زيت شجرة كثيرة البركات، طيبة التربة والموقع، هى شجرة الزيتون المغروسة فى مكان معتدل متوسط، فلا هى شرقية فتحرم حرارة الشمس آخر النهار، ولا هى غربية فتحرمها أول النهار، بل هى على قمة الجبل، أو فى فضاء الأرض تفيد من الشمس فى جميع أجزاء النهار، يكاد زيت هذه الشجرة لشدة صفائه يضىء، ولو لم تمسسه نار المصباح، فهذه العوامل كلها تزيد المصباح اضاءة فوق اضاءة، ونوراً على نور.

وهكذا تكون الشواهد المنبثة فى الكون حسيها ومعنويها، آيات واضحة لا تدع مجالاً للشك فى وجود الله، وفى وجوب الايمان به وبرسالاته وما جاءت به. والله يوفق من يشاء الى الايمان عن طريقها، اذا حاول الانتفاع بنور عقله. وقد أتى الله بالأمثلة المحسوسة ليسهل ادراك الأمور المعقولة، وهو سبحانه واسع العلم، يعلم من نظر فى آياته، ومن أعرض واستكبر، ويجازيهم على ذلك.

٣٦ - ان هناك قوماً يسبحون الله ويعبدونه فى المساجد التى أمر الله أن تبنى وتعظم وتعمر بذكر الله، وهم يترددون عليها صباحاً ومساء.

٣٧ - لا تشغلهم الدنيا بما فيها من بيع وشراء عن تذكر الله ومراقبته فهم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة خائفين من يوم القيامة الذى لا تستقر فيه القلوب من القلق والهم، وترقب المصير فيه وتتلفت فيه الأنظار فى حيرة ودهشة من غرابة المنظر وشدة الهول.

٣٨ - وستكون عاقبة عملهم مكافأة الله لهم أحسن مكافأة على أعمالهم الطيبة، وأن يتفضل عليهم بأكثر مما يستحقون، فهو سبحانه واسع الفضل يعطى من يشاء من عباده الصالحين عطاء كبيراً، لا يحاسبه عليه أحد ولا يستطيع العادون احصاءه.

كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا

---

٣٩ ـ والذين جحدوا وأنكروا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وأن أعمالهم الحسنة ستفيدهم يوم القيامة ، ولكنهم مخطئون فى ظنهم هذا ، فمثل أعمالهم فى بطلانها وعدم جدواها كمثل اللمعان الذى يحدث من سقوط أشعة الشمس وقت الظهيرة على أرض مستوية فى بيداء ، فيظنه العطشان ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً نافعاً كما كان يظن ، كذلك أعمال الكفار يوم الجزاء ستكون هباء منثوراً ، وسيجد الكافر عقاب الله ينتظره واقعاً تاماً لا نقص فيه ، ان حساب الله آت لا ريب فيه ، وهو سبحانه سريع فى حسابه لا يبطىء ولا يخطىء[1] .

٤٠ ـ وهذا مثل آخر لأعمال الكفار ، فمثلها كمثل ظلمات البحر الواسع العميق ، الذى تتلاطم أمواجه عند هياجه ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطيها سحاب كثيف قاتم يحجب النور عنها ، فهذه ظلمات متراكمة ، لا يستطيع راكب البحر معها أن يرى يده ولو أدناها الى بصره ، فوقف حائراً مبهوتاً ، وكيف يرى شيئاً ويخلص من هذه الحيرة بدون نور يهديه فى مسيره ويقيه الارتطام والهلاك ؟ وكذلك الكافرون لا يفيدون من أعمالهم ، ولا يخرجون من عمايتهم وضلالهم ، ولا ينجون بأنفسهم الا بنور الايمان ، ومن لم يوفقه الله لنور الايمان ، فليس له نور يهديه الى الخير ويدله على الطريق المستقيم ، فيكون من الهالكين .

٤١ ـ ألم تعلم يأيها النبى علماً يقيناً ان الله يخضع له كل من يسكن السموات والأرض ، ويخضع له الطير كذلك ، وهى باسطة أجنحتها . فهذه المخلوقات كلها خاضعة لأمر الله وتدبيره ، تنزهه عن الشريك وعن كل ما لا يليق ، وكل منها قد علم بالهام الله ما وجب عليه من خضوع وتنزيه وأداء لوظيفته فى الحياة . والله من ورائهم عالم أتم العلم بصلاة كل مصل ، وتسبيح كل مسبح ، وجميع ما يفعله العباد فكيف لا يؤمن به الكافرون ؟

٤٢ ـ والله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيهن ، وصاحب السلطان عليها وكلهم راجع اليه يوم القيامة للحساب والجزاء .

---

(١) « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » : السراب مجرد ظاهرة ضوئية سببها انعكاس الشعاع المنبعث من الأجسام المضيئة ، وارتداده من سطح أرض فسيحة جرداء عندما على التدريج بحذاء سطح الأرض ، متباعدا عنها قليلا قليلا ترتفع درجة حرارتها أثناء النهار ، فيتجه الشعاع المنعكس حتى يصل إلى الراصد . وعندها ترى صور الأجسام المضيئة مقلوبة كما لو كانت مرآة كبيرة ممتدة . وكذلك ترى صورة السماء الزرقاء الصافية كأنها بحيرة من الماء على أديم الأرض ، بينما تظهر باقى الأجسام مثل الأشجار والنخيل مقلوبة مؤكدة وجود الماء ظاهريا . وتبدو ظاهرة السراب هذه بأجلى معانيها إذا ما بلغ الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والهواء الملامس له بضع درجات مئوية . وهى تشاهد عادة فى الصحارى والمناطق المنبسطة والطرق الصحراوية المستقيمة المعبدة بالأسفلت . ومما سبق يتضح أن السراب مجرد وهم .

تعليق الخبراء على الآية ٤٠ :

« أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » . تجمع هذه الآية الكريمة أهم ظواهر عواصف البحر ، فالمعروف أن عواصف البحار العميقة أو المحيطات تنطلق فيها أمواج مختلفة الطول أو السعة أو الارتفاع ، بحيث يبدو الموج منطلقا فى طبقات بعضها فوق بعض ، فيحجب ضياء الشمس ، =

فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ

٤٣ - ألم تر أيها النبي أن الله يسوق بالريح سحاباً، ثم يضم بعضه الى بعض ويجعله متراكماً، فترى المطر يخرج من خلال السحاب، والله ينزل من مجموعات السحب المتكاثفة التي تشبه الجبال[1] في عظمتها برداً، كالحصى ينزل على قوم فينفعهم أو يضرهم تبعاً لقوانينه وارادته ولا ينزل على آخرين كما يريد الله فهو سبحانه الفاعل المختار، ويكاد ضوء البرق الحادث من اصطكاك السحب يذهب بالأبصار لشدته، وهذه الظواهر دلائل قدرة الله الموجبة للايمان به[2].

٤٤ - يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر والبدء والانتهاء بدوران الفلك، إن فى ذلك لعبرة لذوى العقول السليمة المتبصرة، يؤمنون عن طريقها بالله.

٤٥ - الله خالق كل شيء، وأبدع الأشياء بارادته، وخلق كل حي يدب من أصل مشترك هو الماء، لذلك لا يخلو الحي منه، ثم يخالف بينها فى الأنواع والاستعدادات ووجوه الاختلاف الأخرى، فمن الدواب نوع يزحف على بطنه كالأسماك والزواحف، ومنها نوع يمشى على رجليه كالانسان والطير، ومنها نوع يمشى على أربع كالبهائم، يخلق الله ما يشاء من خلقه على أية كيفية تكون للدلالة على قدرته وعلمه، فهو المريد المختار، وهو القادر على كل شيء.

لما تثيره هذه العواصف من سحب ركامية سميكة تحجب بدورها ضوء الشمس ويخيم معها الظلام فى سلسلة من عمليات الاعتام التى تصل إلى حد انعدام رؤية الأجسام رغم سلامة النظر. ولما كانت نشأة الرسول - ﷺ - فى البادية.. فإن ورود الدقائق العلمية على لسانه وحيا من الله، دليل على أن القرآن الكريم من عند الله، وعلى أنه معجزة هذا الرسول الكريم.

(١) لا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تعلو به فوق السحاب، فيراها من فوقه كأنها الجبال والآكام، وإذا لم تكن تلك الطائرات فى عصر النبى ﷺ فإنه يكون ذلك دليلا على أن هذا الكلام من عند الله الذى يعلم ما علا، وما انخفض.

(٢) « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار »: تسبق هذه الآية الكريمة ركب العلم. فإنها تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها. وما عرف علميا فى العهد الأخير من أن السحب المطرة تبدأ على هيئة وحدات يتآلف عدد منها فى مجموعات هى السحب الركامية: أى السحب التى تنمو فى الاتجاه الرأسى، وترتفع قممها إلى علو ١٥ أو ٢٠ كيلو مترا، فتبدو كالجبال الشامخة.

والمعروف علميا أن السحابة الركامية الممطرة تمر بمراحل ثلاث هى:

١ - مرحلة الالتحام والنمو.

٢ - ثم مرحلة المطول.

٣ - وأخيرا مرحلة الانتهاء.

كما أن هذه السحب هى - وحدها - التى تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء. وقد يتلاحق حدوث البرق فى سلسلة تكاد تكون متصلة « ٤٠ تفريغا فى الدقيقة الواحدة » فيذهب ببصر الراصد من شدة الضياء. وهذا هو عين ما يحدث للملاحين والطيارين الذين يخترقون عواصف الرعد فى المناطق الحارة. وينجم عن فقد البصر هذا اضرار بليغة تشكل خطرا حقيقيا على أعمال الطيران وسط العواصف الرعدية.

تعليق الخبراء على الآية ٤٥:

« والله خلق كل دابة من ماء فنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع، يخلق الله ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير »: الماء فى الآية الكريمة هو ماء التناسل أى المشتمل على الحيوانات المنوية، والآية الكريمة لم تسبق فقط ركب العلم فى بيان نشوء الإنسان من النطفة، كما جاء فى قوله تعالى: « فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق » (٥ ، ٦ من سورة الطارق) بل سبقته كذلك فى بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك بطريق التناسل من الحيوانات المنوية، وإن اختلفت أشكال هذه الحيوانات المنوية وخصائصها فى كل نوع من أنواع هذه الدواب.

=

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ * وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ

---

٤٦ ـ لقد أنزلنا بالوحى آيات واضحة تبين الأحكام والعظات ، وتضرب الأمثال ، والله يوفق الى الخير من يشاء من عباده الذين استعدوا للنظر فيها والافادة منها .

٤٧ ـ والمنافقون يقولون بألسنتهم : آمنا بالله وبالرسول وأطعنا أوامرهما . وعند اختبارهم يعرض فريق منهم عن مشاركة المسلمين فى أعمال الخير كالجهاد وغيره ، بعد قولهم هذا ، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين مخلصين ، ولا جديرين باطلاق اسم المؤمنين عليهم .

٤٨ ـ ومن أحوالهم أنهم اذا طلبوا الى التحاكم أمام الرسول بمقتضى ما أنزل الله ، ظهر نفاق بعضهم فرفضوا التحاكم اذا عرفوا أن الحق فى جانب خصومهم .

٤٩ ـ أما اذا عرفوا أن الحق فى جانبهم ، فهم يأتون الى الرسول مسرعين ليحكم بينهم وبين خصومهم .

٥٠ ـ ولماذا يقفون هذا الموقف من التحاكم أمام الرسول ؟ ألأن نفوسهم مريضة بالعمى فلا تخضع لحكك الحق ، أم لأنهم شكوا فى عدالة محمد ﷺ فى الحكم ؟ . لا شىء من ذلك أصلاً . ولكنهم هم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم بسبب كفرهم ونفاقهم وعدولهم عن الحق .

٥١ ـ انما كان القول الحق للمؤمنين الصادقين اذا دعوا الى التحاكم بمقتضى ما جاء عن الله ورسوله ، أن يقولوا قابلين مذعنين : سمعنا دعوتك يا محمد ورضينا حكمك ، وهؤلاء يكونون أهل فلاح فى دنياهم وأخراهم .

٥٢ ـ ومن يطع الله ويرض بما يأمر به الرسول ﷺ ، ويخشى ذات الله العلية ، ويستحضر جلاله ويتق غضبه ، فأولئك هم الفائزون برضى الله ومحبته ، ونعيم الجنة ، والفائزون بالخير المطلق .

٥٣ ـ وأقسم المنافقون بالله أقصى ما يكون من ايمان مغلظة ، انك يا محمد ان أمرتهم بالخروج معك للغزو أطاعوا ، قل لهم : لا تحلفوا فالأمور المطلوبة منكم معروفة لكم لا ينكرها أحد منكم ، ولا ينفى العلم بها ايمان تكذبون فيها ، وان الله لمطلع تمام الاطلاع على كل ما يقع منكم ومجازيكم عليه .

= ومما تحتمله الآية من معان علمية أن الماء قوام تكوين كل كائن حى ، فمثلا يحتوى جسم الإنسان على نحو ٧٠ فى المائة من وزنه ماء . . أى أن الشخص الذى يزن ٧٠ كجم ، فى جسمه نحو ٥٠ كجم ماء . ولم يكن تكوين الجسم واحتواؤه هذه الكمية الكبيرة من الماء معروفا مطلقا قبل نزول القرآن .

والماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء . . فبينما الإنسان يمكنه أن يعيش ٦٠ يوما بدون غذاء ، لا يمكنه أن يعيش بدون الماء إلا من ٣ - ١٠ أيام على أقصى تقدير .

والماء أساس تكوين الدم والسائل اللمفاوى والسائل النخاعى وإفرازات الجسم كالبول والعرق والدموع واللعاب والصفراء واللبن والمخلط والسوائل الموجودة فى المفاصل . وهو سبب رخاوة الجسم وليونته ، ولو فقد الجسم ٢٠ فى المائة فإن الإنسان يكون معرضا للموت .

والماء يذيب المواد الغذائية بعد هضمها فيمكن امتصاصها ، وهو كذلك يذيب الفضلات من عضوية ومعدنية فى البول والعرق . وهكذا يكون الماء الجزء الأكبر والأهم من تكوين الجسم . ولذلك يمكن القول بأن كل كائن حى مخلوق من الماء .

إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ

---

٥٤ - قل لهم : اطيعوا الله وأطيعوا الرسول طاعة صادقة تدل عليها أعمالكم ، فان أعرض المنافقون ولم يمتثلوا ، فانما على محمد ما حمله الله من أمر التبليغ وليس مكلفاً بهدايتهم ، وعليكم ما حملكم الله من التكليف والطاعة ، وستعاقبون اذا استمررتم على العصيان ، وان تطيعوا الرسول تهتدوا الى الخير ، وما عليه سوى التبليغ الواضح - أطعتم أم عصيتم - وقد بلغ .

٥٥ - وعد الله الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له منكم ، وعملوا الأعمال الصالحة وعداً مؤكداً ، أن يجعلهم خلفاء لمن سبقوهم وارثين لهم فى الحكم والولاية فى الأرض ، كما كان الشأن فيمن سبقوهم وأن يمكن لهم الاسلام الذى ارتضاه ديناً لهم ، فتكون لهم المهابة والسلطان ، وأن يبدل حالهم من خوف الى أمن بحيث يعبدوننى مطمئنين ، لا يشركون معى أحداً فى العبادة . ومن اختاروا الكفر بعد هذا الوعد الصادق ، أو ارتدوا عن الاسلام فأولئك هم الخارجون المتمردون الجاحدون .

٥٦ - وأقيموا الصلاة كاملة الأركان فى خشوع وخضوع ، بحيث تكون مانعة من الفحشاء والمنكر ، واعطوا الزكاة لمستحقيها . وأطيعوا الرسول فى سائر ما يأمركم به ليكون لكم رجاء فى رحمة الله ورضوانه .

٥٧ - لا تظن أيها النبى أن الكافرين سيعجزون الله عن أخذهم بذنوبهم ، أو تمكين أهل الحق من رقابهم فى أى مكان من الأرض ، بل انه القادر ، فمصيرهم يوم القيامة هو النار وبئس المصير مصيرهم .

٥٨ - يأيها الذين آمنوا ، يجب أن تأمروا عبيدكم وصبيانكم الذين لم يصلوا الى حد البلوغ ألا يدخلوا عليكم الا بعد الاستئذان فى ثلاثة أوقات ، وهى قبل صلاة الفجر[1] وحين تتخففون من ثيابكم وقت القيلولة ، ومن بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم ، فهذه الأوقات يتغير فيها نظام اللبس باستبدال ثياب النوم بثياب

---

(١) « يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » : هذه الآية الشريفة إحدى الآيات التى توجه أنظار الناس إلى اللياقة الاجتماعية فى محيط الأسرة ، وذلك أن اندماج المماليك - الخدم - والصبيان فى أسرهم ، قد يتجاوز بهم الأحتشام فى المخالطة ، فيدخلون على الغير دون استئذان فى الأوقات المذكورة فى الآية ، ونظرا لأنها أوقات خلوة وحرية شخصية وتحلل من لباس الحشمة ، عنيت الآية بتشريع الاستئذان فى تلك الأوقات بالنسبة لمن ذكرتهم من المماليك والصبيان ، حتى لا يطلعوا على ما يعتبر سرا لا يستساغ اطلاعهم عليه ، إذ هو كالعورة التى ينبغى سترها ، وفى هذا توجيه لأعضاء الأسرة الى إتخاذ الملابس اللائقة بمقابلة بعضهم البعض ، حتى تظل كرامتهم مصونة ، وحريتهم مكفولة وآدابهم مرعية ، والقرآن جدير بهذه التوجيهات التى تنهض بأخلاقنا إلى المستوى الرفيع .

الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَٰعِدُ مِنَ النِّسَآءِ الَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا

اليقظة ، ويبدو من عورات الجسم ما لاينبغى رؤيته ، ولا حرج عليكم ولا عليهم فى الدخول بغير استئذان فى غير هذه الأوقات ، لأن العادة جرت بأن يتردد فيها بعضكم على بعض لقضاء المصالح ، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آيات القرآن لبيان الأحكام ، والله سبحانه واسع العلم عظيم الحكمة ، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويحاسبهم عليه .

٥٩ ـ واذا وصل صبيانكم حد البلوغ وجب عليهم أن يستأذنوا للدخول فى كل بيت ، وفى جميع الأوقات ، كما وجب ذلك على الذين بلغوا من قبلهم ، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آياته التى أنزلها ، والله سبحانه واسع العلم ، عظيم الحكمة ، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويحاسبهم على أعمالهم .

٦٠ ـ والنساء الطاعنات فى السن اللاتى لا يطمعن فى الزواج ، لا مؤاخذة عليهن اذا تخففن من بعض الملابس ، بحيث تكن غير مظهرات زينة أمر الله بإخفائها من أجسامهن ، ولكن استعفافهن بالاستتار الكامل خير لهن من التخفف ، والله سميع لقولهن عليم بفعلهن وقصدهن ومجازيهن على ذلك .

٦١ ـ ليس على أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض حرج ، بل ولا عليكم أيها الأصحاء حرج ، فى أن تأكلوا من بيوت أولادكم فهى بيوتكم ، ولا أن تأكلوا بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو اخوانكم أو اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو عماتكم أو أخوالكم أو خالاتكم ، أو البيوت التى وكل اليكم التصرف فيها ، أو بيوت أصدقائكم المخالطين اذا لم يكن فيها حرمات ، وذلك كله اذا علم سماح رب البيت باذن أو قرينة ، وليس عليكم جناح فى أن تأكلوا مجتمعين أو منفردين ، فاذا دخلتم بيوتاً حيوا بالسلام أهلها الذين هم قطعة منكم ، بسبب اتحاد الدين أو القرابة . فهم كأنفسكم ، وهذه التحية تحية مشروعة مباركة بالثواب وفيها تطييب للنفوس . وعلى هذا النحو يوضح الله لكم الآيات لتعقلوا ما فيها من العظات والأحكام وتفهموها وتعملوا بها .

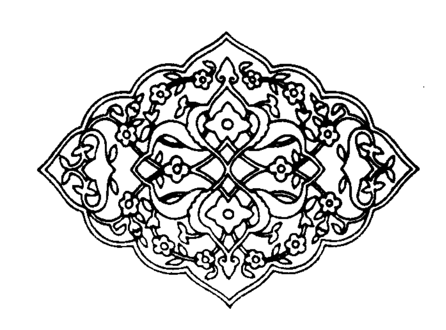
مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾

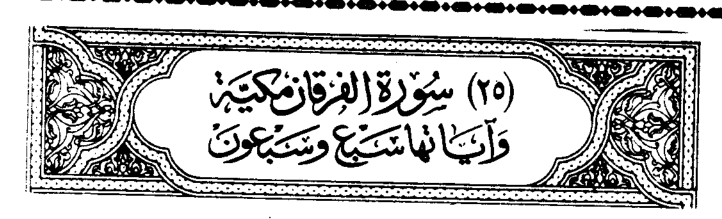
---

٦٢ - ان المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ولم يتركوا الرسول وحده فى أمر مهم يتطلب اجتماعهم كالجهاد ، الا بعد أن يستأذنوه فى الانصراف ويسمح لهم به ان الذين يقدرونك أيها النبى حق قدرك ، ويدركون خطر الاجتماع فلا ينصرفون الا بعد موافقتك ..وهم الصادقون فى ايمانهم بالله ورسوله ، فاذا استأذنك هؤلاء لقضاء بعض مصالحهم فاذن بالانصراف لمن تشاء منهم ، اذا رأيت من الدلائل أنه فى حاجة ماسة الى الانصراف ، ولا يحتم الاجتماع وجوده ، ومع ذلك أطلب المغفرة لهم من الله على انصرافهم الذى ما كان يليق أبدا ، ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٦٣ - احرصوا على احترام دعوة الرسول لكم الى الاجتماع للأمور الهامة ، واستجيبوا لها ولا تجعلوها كدعوة بعضكم فى جواز التهاون فيها والانصراف عنها ، ولا تنصرفوا الا بعد الاستئذان والموافقة ، وفى أضيق الحدود وأشد الضرورات . فالله سبحانه يعلم من ينصرفون بدون اذن مختفين بين الجموع حتى لا يراهم الرسول ، فليحذر المخالفون عن أمر الله أن يعاقبهم سبحانه على عصيانهم بمحنة شديدة فى الدنيا كالقحط والزلزال ، أو بعذاب شديد الايلام قد أعد لهم فى الآخرة وهو النار .

٦٤ - تنبهوا أيها الناس الى أن الله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيها ، يعلم ما أنتم عليه من الكفر والاسلام والعصيان والطاعة ، فلا تخالفوا عن أمره ، وسيخبر الناس عند رجوعهم اليه يوم القيامة بكل ما عملوا فى الدنيا وسيجازيهم عليه ، لأنه محيط بكل شىء علماً ..





بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

عدد آيات هذه السورة سبع وسبعون آية ، كلها مكية الا الآيات رقم ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

بدأت السورة ببيان منزلة القرآن ، وسعة ملك منزله ، الذى له ملك السموات والأرض ، ومع عظم سلطانه ، يتخذ المشركون من دونه الأوثان ، ويكذبون بالقرآن ، وينكرون رسالة الرسول ﷺ ، بحجة أنه بشر ، يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، ويطلبون تعنتاً ملائكة تبلغهم الرسالة ، ولو جعلهم ملائكة لجعلهم رجالاً ، يمكنهم التفاهم مع البشر . فيبقى الالتباس ، وقد اعترضوا على نزول القرآن منجماً ، فأجيبوا بحكمة ذلك ، وأتبع هذا العناد بأمثلة معبرة عن الأنبياء وأقوامهم ، لكن القوم اتبعوا أهواءهم ، فصاروا كالأنعام أو أضل سبيلاً . وجاءت الآيات الكونية الدالة على كمال قدرته تعالى ، الموجهة الى النظر والمعرفة ، وختمت السورة بأوصاف المؤمنين التى ورثتهم غرف الجنة العالية ، يلقون فيها تحية وسلاماً .

١ - تعالى أمر الله وتزايد خيره ، هو الذى نزل بالقرآن فارقاً بين الحق والباطل ، على عبده محمد ﷺ ، ليكون نذيراً به مبلغاً إياه الى العالمين .

٢ - هو سبحانه الذى يملك وحده السموات والأرض ، والمنزه عن اتخاذ الولد ، ولم يكن له أى شريك فى ملكه ، وقد خلق كل شىء وقدره تقديراً دقيقاً بنواميس تكفل له أداء مهمته بنظام[1] .

٣ - ومع ذلك ترك الكافرون عبادته ، واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله من أصنام وكواكب وأشخاص وهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ما ، وهم مخلوقون لله ، ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم ولا جلب خير لها ، ولا يملكون اماتة أحد ولا احياءه ، ولا بعث الأموات من قبورهم ، وكل من لا يملك شيئاً من ذلك لا يستحق أن يعبد ، وما أجهل من يعبده ، والمستحق للعبادة وحده هو مالك كل هذا .

---

(١) « الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديرا » : أثبت العلم الحديث أن كل الموجودات تسير بحكم تكوينها وما يجرى عليها من تطورات مختلفة وفق نظام دقيق ثابت لا يقدر عليه إلا خالق قدير مبدع . فمن حيث التكوين فقد تبين أن جميع هذه الموجودات والمخلوقات على اختلاف أشكالها وتباين صورها تتألف من اتحاد عناصر محدودة العدد ، إذ يبلغ عددها قرابة المائة عنصر « منها ٩٦ معروفة حتى الآن » وهى تتدرج فى صفاتها الطبيعية والكيميائية وأوزانها الذرية وتبدأ بالعنصر رقم « ١ » وهو الايدروجين ووزنه الذرى « ١ » وتنتهى - حتى الآن - بالعنصر رقم ٩٦ وهو عنصر اليوريوم ووزنه الذرى غير معلوم ، وآخر عنصر علم وزنه الذرى هو اليورانيوم ويبلغ وزنه الذرى ٢٣٨,٥٧ ، وتسير هذه العناصر فى اتحادها لتكوين المركبات حسب قوانين ثابتة لا تحيد عنها ، وكذلك النبات والحيوان فإن كلا منها ينقسم إلى أسر وفصائل وأنواع تتدرج صفاتها فى مدارج الرقى من الكائنات الحية ذات الخلية الواحدة مثل الميكروبات إلى كائنات متعددة الخلايا إلى الإنسان وهو أكملها . ولكل من هذه الأنواع صفات خاصة تتوارث فيما بينها جيلا بعد جيل وكل هذا يسير تبعا لقوانين ونظم ثابتة دقيقة تنبئ بجلاء ووضوح عن عظمة الخالق وقدرته . فسبحانه وتعالى عما يشركون .

كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ

٤ - وطعن الكفار فى القرآن وقالوا : انه كذب اخترعه محمد من عند نفسه ونسبه الى الله ، وساعده فى اختراعه جماعة آخرون من أهل الكتاب . فارتكب الكفار بقولهم هذا ظلماً فى الحكم واعتداء على الحق ، وجاءوا بزور لا دليل عليه ، لأن من أشاروا اليهم من أهل الكتاب لسانهم أعجمى ، والقرآن لسان عربى مبين .

٥ - وقالوا عن القرآن أيضاً : انه أكاذيب السابقين سطروها فى كتبهم ، ثم طلب منهم أن تكتب له وتقرأ عليه على الدوام صباحاً ومساء حتى يحفظها ويقولها .

٦ - قل لهم أيها النبى : ان القرآن أنزله الله الذى يعلم الأسرار الخفية فى السموات والأرض ، وقد أودعها فى القرآن المعجز دليلاً على أنه وحيه سبحانه ، ان الله واسع المغفرة والرحمة ، يتجاوز عن العاصين اذا تابوا ولا يعجل بعقوبتهم .

٧ - وسخروا من محمد فقالوا : أى شىء يمتاز به هذا الذى يزعم أنه رسول حتى أنه يأكل الطعام كما نأكل ، ويتردد فى الأسواق لكسب عيشه كما يفعل سائر البشر ؟ لو كان رسولاً لكفاه الله ذلك ، ولسأل ربه أن ينزل له ملكاً من السماء يساعده على الانذار والتبليغ ويصدقه فى دعواه فنؤمن به .

٨ - وهلا سأل أن يكفيه مؤونة التردد على الأسواق ، فيلق اليه كنزاً من السماء ينفق منه أو يجعل له حديقة يقتات من ثمارها ؟ وقال كبار الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر صادين الناس عن الايمان بمحمد ، ومحاولين تشكيك المؤمنين : ماتتبعون الا رجلاً مسحوراً عقله ، فهو يهذى بما لا حقيقة له .

٩ - انظر أيها النبى كيف ضربوا لك الأمثال ، فتلوك مرة بمسحور ، وأخرى بمجنون ، وثالثة بكذاب ، ورابعة بتلق القرآن عن أعاجم ، انهم بذلك قد ضلوا طريق الحق . والمحاجة الصحيحة فلا يجدون اليها سبيلاً .

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن

---

١٠ - تعالى الله وتزايد خيره ، هو الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا أحسن مما اقترحوا ، فيجعل لك فيها مثل ما وعدك فى الآخرة من جنات كثيرة تجرى الأنهار فى جنباتها وخلال أشجارها ومن قصور مشيدة .

١١ - والحقيقة أنهم جاحدون بكل آية ، لأنهم كذبوا بالبعث ويوم القيامة ، فهم لهذا يتعللون بهذه المطالب ليصرفوا الناس الى باطلهم ، وقد أعددنا لمن كذب بيوم القيامة ناراً مستعرة شديدة الالتهاب .

١٢ - اذا رأوها ورأتهم من بعيد سمعوا لها صوتاً متغيظا متحفزا لإهلاكهم ، وفيه مثل الزفرات التى تخرج من صدر متغيظ علامة على ما هى عليه من شدة .

١٣ - واذا ألقوا فى مكان ضيق منها يتناسب مع جرمهم وهم مقرونة أيديهم الى أعناقهم بالأغلال ، نادوا هناك : طالبين تعجيل هلاكهم ليستريحوا من هول العذاب .

١٤ - فيقال لهم توبيخاً وسخرية : لا تطلبوا هلاكاً واحداً بل اطلبوه مراراً ، فلن تجدوا خلاصا مما أنتم فيه ، وأن أنواع عذابهم كثيرة .

١٥ - قل يأيها النبى للكافرين : أهذا المصير الذى أوعد به الكافرون خير أم الجنة الدائم نعيمها ، والتى وعد المؤمنون الأتقياء بأن تكون لهم ثواباً ومصيراً يصيرون اليه بعد البعث والحساب ؟ .

١٦ - لهم فيها ما يرغبون ينعمون به نعيماً دائماً دون انقطاع ، وكان هذا النعيم وعداً من الله لهم ، سألوا ربهم تحقيقه فأجابهم الى ما سألوه ، لأن وعده لا يتخلف .

١٧ - واذكر للعظة يوم يحشر الله المشركين للحساب فى يوم القيامة مع من عبدوهم فى الدنيا من دون الله ، كعيسى وعزير والملائكة ، فيسأل الله المعبودين : أأنتم الذين أضللتم عبادى فأمرتموهم بأن يعبدوكم ، أم هم الذين ضلوا السبيل باختيارهم فعبدوكم ؟ .

نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ

---

١٨ - فيكون جوابهم : تنزهت وتقدست ، ما كان يحق لنا أبداً أن نطلب من دونك ولياً ينصرنا ويتولى أمرنا ، فكيف مع هذا ندعو أحداً أن يعبدنا دونك ؟ ولكن السبب فى كفرهم هو انعامك عليهم بأن متعتهم طويلاً بالدنيا هم وآباءهم ، فأطغاهم ذلك ونسوا شكرك والتوجه اليك وحدك بالعبادة ، وكانوا بذلك الطغيان والكفر قوماً مستحقين للهلاك .

١٩ - فيقال للعابدين المشركين : لقد كذبكم من عبدتموهم فيما زعمتم من اضلالهم اياكم . فأنتم اليوم الى العذاب صائرون ، لا تملكون حيلة لصرفه عنكم ولا تجدون نصراً من أحد يخلصكم منه ، وليعلم العباد جميعاً أن من يظلم بالكفر والطغيان كما فعل أولئك فاننا نعذبه عذاباً شديداً .

٢٠ - واذا كان المشركون يعيبونك - أيها النبى - بأكلك الطعام ومشيك فى الأسواق للعمل والكسب فتلك سنة الله فى المرسلين من قبلك ، ما أرسلنا أحداً منهم الا كان يأكل الطعام ويتردد فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم أيها الناس ابتلاء لبعض ، والمفسدون يحاولون سد الطريق الى الهداية والحق بشتى الأساليب ، فهل تصبرون على حقكم أيها المؤمنون وتتمسكون بدينكم حتى يأتى أمر الله بالنصر ؟ اصبروا فالله مطلع على كل شىء ويجازى كلا بما عمل . .

٢١ - وقال الذين ينكرون البعث ولا يتوقعون الجزاء على أعمالهم : لماذا لا تنزل علينا الملائكة بتأييدك أو يتراءى لنا الله فيخبرنا بأنه أرسلك ؟ . لقد تمكن الكبر من نفوسهم وجاوزوا الحد فى الظلم والطغيان .

٢٢ - يوم القيامة يرون الملائكة كما تمنوا ، وسيكون ذلك مصدر تنفير لهم لا بشارة . . يستعيذون منهم كما كانوا يستعيذون مما يفزعهم فى الدنيا .

فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ

---

٢٣ - ويوم القيامة ، نأتى الى ما عملوه من مظاهر البر والاحسان فى الدنيا فنحبطه ونحرمهم ثوابه ، لعدم ايمانهم الذى به تعتبر الأعمال .

٢٤ - أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً وأحسن منزلاً ومأوى للاسترواح ، لأنه الجنة المعدة للمؤمنين لا النار المعدة للكافرين .

٢٥ - واذكر - أيها النبى - يوم تنفرج السماء وتنفتح ، ويظهر من فرجها الغمام ، وتنزل الملائكة نزولاً مؤكداً .

٢٦ - فى هذا اليوم ، تبطل أملاك المالكين من الناس وتنقطع دعاواهم ، ويخلص الملك للرحمن وحده ، ويكون يوماً شديداً عصيباً على الكافرين .

٢٧ - يوم القيامة يعض الظالم لنفسه - بالكفر ومخالفة الرسل - على يديه أسفاً وندماً يقول متمنياً : يا ليتنى اتبعت الرسل فسلكت طريق الجنة وتجنبت طريق النار .

٢٨ - يقول نادماً على اتباع من أضلوه : يا ليتنى لم أصدق فلاناً الذى ملكته قيادى . .

٢٩ - لقد أبعدنى هذا الصديق عن ذكر الله وذكر القرآن بعد أن يسر لى ، وهكذا يخذل الشيطان الانسان ويسلمه الى ما فيه هلكته .

٣٠ - وقال الرسول يشكو الى الله ما يلاقيه تعنت قومه : انهم تركوا القرآن وهجروه ، وتمادوا فى اعراضهم وعنادهم وعدائهم .

٣١ - كما جعلنا قومك ، يا محمد يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين يعادونه ويقاومون دعوته ، وسينصرك الله ويهديك الى قهرهم ، وحسبك به هادياً ونصيراً .

٣٢ - وقال الذين كفروا طعناً فى القرآن : لم لم ينزل دفعة واحدة ؟ لقد أنزلناه كذلك مفرقاً ليثبت به فؤادك بأنسك به وحفظك له ، ورتلناه فرقناه آية أو قرأناه على لسان جبريل شيئاً فشيئاً على تؤدة وتمهل .

بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ

---

٣٣ ـ ولا يأتونك بمحال من الاعتراضات الواهية الا جئناك بالحق نبينه ونفسره أحسن تفسير.

٣٤ ـ والذين كفروا برسالتك سيسحبون الى النار على وجوههم أذلاء، وهم شر الناس منزلة وأوغلهم فى الضلال.

٣٥ ـ ويسلى الرسول مما وقع للرسل قبله، ولقد نزلنا على موسى التوراة وكلفناه أن يقوم بتبليغ رسالتنا، وأيدناه بأخيه هارون وزيراً له ومعينا فى أمره.

٣٦ ـ فقلنا: اذهب انت وأخوك الى فرعون وقومه وأيدناه بالمعجزات التى تدل على صدقه، فلم يؤمنوا بها وكذبوه، فكان عاقبتهم أن أهلكناهم ومحقناهم محقاً.

٣٧ ـ وكذلك فعلنا من قبل موسى مع قوم نوح لما كذبوه، ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل أجمعين، فقد أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم عبرة للناس، وجعلنا لهم ولكل مشرك فى الآخرة عذابا أليماً.

٣٨ ـ وكذلك أهلكنا عاداً وثمود وأصحاب الرس[1] لما كذبوا رسلهم، وأهلكنا أمماً كثيرة كانوا بين أمة نوح وبين عاد فأصابهم جزاء الظالمين.

٣٩ ـ ولقد أنذرنا هؤلاء الأقوام كلهم، وذكرنا لهم العظات والأمثال الصحيحة النافعة، ولكنهم لم يتعظوا. فأخذناهم كلهم بالعذاب وأهلكناهم ودمرنا ديارهم تدميراً.

٤٠ ـ وهؤلاء قريش يمرون فى أسفارهم الى الشام على قرية قوم لوط التى أمطرنا عليها شر مطر وأسوأه، حجارة من سجيل، أفلم يروا هذه القرية فيتعظوا بما حل لأهلها؟.. انهم يرونها ولكن لا بأعين الاتعاظ والاعتبار، اذ كانوا لا يؤمنون بمعاد ولا بعث، ولا يتوقعون يوماً ينشرون فيه الى الحساب.

٤١ ـ واذا أبصرك هؤلاء لا يتخذونك الا موضع هزؤ وسخرية، ويقول بعضهم لبعض: أهذا هو الذى بعثه الله رسولاً إلينا نتبعه ونسير وراءه؟!

---

(١) الرس: كما جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى: هو واد، وقد استشهد بقول الشاعر: (وهن الوادى الرس كاليد للفم) وأصحاب الرس كما جاء فى الآية الكريمة: قوم كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله شعيبا لهم، فهم ممن أرسل فيهم شعيب عليه السلام، وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن قوم شعيب مرة بأصحاب الأيكة ـ وهو المكان الذى يكثر فيه شجر امتاز بالنعومة ـ ومرة بأصحاب الرس ـ وهو واد فيه خير عظيم ـ للإشارة إلى ما كانوا فيه من نعيم أنعم الله به عليهم، فكفروا بأنعمه، وعبدوا الأوثان.

ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ

٤٢ ـ لقد أوتى هذا الرجل من حسن البيان وقوة الحجة ما يجذب السامعين ، ولقد نال من عقائدنا حتى لقد كاد يزحزحنا عن آلهتنا ويميلنا الى اله ولكننا ثبتنا على آلهتنا وديننا ، سنبين لهم جلية الأمر حين يرون العذاب يوم القيامة ويعلمون من هو أثبت فى الضلال والغواية .

٤٣ ـ أرأيت أيها الرسول ضلال من اتبع هواه وشهواته حتى أنه ليعبد حجارة لا تضر ولا تنفع ؟ وأنت قد بعثت نذيراً وبشيراً ولست موكلاً بايمانهم وهدايتهم .

٤٤ ـ وهل تظن أن أكثرهم يسمعون سماع الفهم أو يهتدون بعقولهم ؟! لقد نبذوا ما تأمرهم به أحلامهم ، وصاروا كالبهائم لا هم لهم الا الأكل والشرب ومتاع الحياة الدنيا ، ولا تفكير لهم فيما وراء ذلك ، بل هم شر مكاناً من البهائم ، فالبهائم تنقاد لأصحابها الى ما فيه خيرها ، وتنأى عما يضرها وهؤلاء يلقون بأنفسهم فيما يهلكهم .

٤٥ ـ لقد نصبنا من الدلائل على التوحيد ما يهدى ذوى الألباب ، انظر الى الظل فقد بسطه الله وجعله ساكناً أول النهار ، ثم سلطنا الشمس تزيل منه بما يحل محله من أشعتها ، فكانت الشمس دالة عليه ولولاها ما عرف الظل ، ولو شاء الله لجعل الظل ساكناً مطبقاً على الناس فتفوت مصالحهم ومرافقهم(١) .

٤٦ ـ ولقد كان نسخنا للظل بالشمس تدريجيا بمقدار ولم يكن دفعة واحدة ، وفى ذلك منافع للناس .

٤٧ ـ ومن آيات التوحيد أن جعل الليل ستراً بظلامه ، يدخل فيه الخلق فيحيطهم احاطة الثوب بلابسه ، وهيأ الناس للنوم فكان راحة لهم يستجمون به من التعب ، بضيائه ناشراً للناس باحثين عن معايشهم طالبين لرزقهم .

٤٨ ـ وهو الذى سخر الرياح فتسوق السحب وتبشر الناس بالمطر الذى هو رحمة منه لهم ، ولقد أنزلنا من السماء ماء طاهراً مطهراً مزيلاً للانجاس والأوساخ(٢) .

---

(١) « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » : هذه الآية تظهر عناية الخالق وقدرته . فد الظل يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها ولو أن الأرض سكنت بحيث أنها ظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدام دورانها حول محورها لسكن الظل ولظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض بينما يظل النصف الآخر ليلا مما يحدث اختلاف التوازن الحرارى ويؤدى إلى انعدام الحياة على الأرض وكذلك إذا كان هذا هو حال الأرض فإن الظل يظل ساكنا . وهذا أيضا يحدث إذا كانت فترة دوران الأرض حول محورها هى نفسها فترة دورانها من حول الشمس ، أى أن اليوم يصبح سنة كاملة ولكن لا يمكن أن يفعل ذلك غير الله ، هذا فضلا عن أن الظل ذاته نعمة من نعم الله ، ولو أن الله خلق الأشياء كلها شفافة لما وجد الظل ولا انعدمت فرص الحياة أمام الكائنات التى تحتاج إليه .

(٢) « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » : فى هذه الآية الكريمة يمن الله على البشر بإنزال الماء طاهرا إليهم من السماء ، وتتضمن الآية الإشارة إلى أن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون فى أعلى درجات النقاء . وعلى الرغم من أن حمله بعد ذلك ما فى الجو من أجسام وذرات فإنه يكون فى أعلى درجات الطهارة .

مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ

---

٤٩ - أنزلنا المطر لينبت به الزرع ، فتحيا به الأرض الجدبة بعد موتها ، وينتفع به السقيا مما خلق انعاماً وأناسى كثيراً .

٥٠ - وهذا القرآن قد بينا آياته وصرفناها ، ليتذكر الناس ربهم وليتعظوا ويعملوا بموجبه ، ولكن أكثر الناس أبوا الا الكفر والعناد .

٥١ - ولو شئنا لبعثنا فى كل بلدة نذيراً ، فاجتهد فى دعوتك ، ودع كلام الكافرين ، وانبذ ما يأتون به . .

٥٢ - واستمر فى دعايتك الى الحق وتبليغ رسالة ربك ، وان قاوموا دعوتك واعتدوا على المؤمنين فحاربهم وجاهد فى ذلك جهاداً عظيماً .

٥٣ - والله هو الذى أجرى البحرين : البحر العذب والبحر الملح ، وجعل المجرى لكل واحد يجاور المجرى الآخر ، ومع ذلك لا يختلطان ، نعمة ورحمة بالناس[1] .

٥٤ - والله هو الذى خلق من النطفة هؤلاء الناس ، وجعلهم ذكوراً واناثاً ذوى قرابات بالنسب أو المصاهرة ، وكان الله قديراً على ما يريد اذ خلق من النطفة الواحدة نوعين متمايزين . .

٥٥ - وبعد هذه الآيات الدالة على استحقاق الله وحده العبادة ، وأن لا اله سواه ، يعبد فريق من الناس ما لا ينفع ولا يضر من الأوثان ، وهؤلاء بعلمهم هذا يعاونون الشيطان وهو يضلهم ، فهم متظاهرون على الحق الذى دعاهم اليه الله .

٥٦ - وليس عليك أيها النبى الا تبليغ ما أرسلت به ، وتبشير المؤمنين بالجنة ، وتخويف الكافرين ما سيلقونه ، وليس عليك بعد ذلك شىء تطالب به .

٥٧ - وقل لهم : انى لا أبتغى على دعوتكم الى الاسلام اجراً وجزاء ، الا أن يهتدى أحدكم ويسلك سبيل الحق ويرجع الى ربه .

---

(١) « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » : قد تشير هذه الآية إلى نعمة الله على عباده بعدم اختلاط الماء الملح المتسرب من البحار فى الصخور القريبة من الشاطىء بالماء العذب المتسرب إليها من البر اختلاطا تاما بل انهما يلتقيان مجرد تلاق . يطفو العذب منها فوق الملح كأن بينهما برزخا يمنع بغى أحدهما على الآخر ، وحجرا محجورا ، أى حاجزا خفيا مستورا لا نراه .

وليس هذا فقط بل ان هناك قانونا ثابتا يحكم هذه العلاقة ويتحكم فيها لمصلحة البشر ممن يسكنون فى تلك المناطق وتتوقف حياتهم على توفر الماء العذب ، فقد ثبت أن طبقة الماء العذب العليا يزداد سمكها مع زيادة الارتفاع عن منسوب البحر بعلاقة منتظمة حتى أنه يمكن حساب العمق الأقصى للماء العذب الذى يمكن الوصول إليه . فهو يساوى قدر الفرق بين منسوب الأرض ومنسوب البحر أربعين مرة .

خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾

٥٨ - وتوكل فى أمورك على الله الحى الذى لا يمكن أن يموت ، ونزهه وقدسه حامداً أنعمه ، ودع من خرج عن الجادة ، فالله خبير بهم مكافىء لهم على ذنوبهم .

٥٩ - والله هو الذى خلق السموات والأرض وما بينها فى ستة أيام ، وقد استولى على العرش الملكوت وعم سلطانه كل شىء ، وهو الرحمن ، وان ابتغيت ان تعرف شيئاً من صفاته فاسأل الخبير عنه يجبك وهو الله العليم الحكيم[1] .

٦٠ - واذا قيل لهؤلاء الكفار : اخضعوا للرحمن واعبدوه . كان جوابهم بالانكار وتجاهل الرحمن وقالوا : من هو الرحمن ؟ ! نحن لا نعلمه حتى نسجد له . فهل نخضع لأمرك وحسب ؟ ، وازدادوا عن الايمان بعداً ونفوراً . .

٦١ - تعالى الرحمن وتزايد فضله ، انشأ الكواكب فى السموات وجعل لها منازل تسير فيها ، وجعل من الكواكب الشمس سراجاً مضيئاً والقمر منيراً[2] .

٦٢ - والرحمن هو الذى جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر ، وقد دبرنا هذا ليتذكر من شاء هذا التدبير ، فيعرف حكمة الله وقدرته ، أو يشكره على هذه النعمة الجليلة .

٦٣ - فعباد الرحمن هم الذين يتواضعون فى الدنيا ، اذا مشوا على الأرض مشوا فى سكينة ووقار ، وكذلك فى سائر أعمالهم ، واذا سابهم السفهاء من المشركين تركوهم وشأنهم وقالوا لهم : لا شأن لنا بكم بل أمرنا سلام عليكم .

---

(١) « الذى خلق السموات والأرض وما بينها فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، الرحمن فاسأل به خبيرا » : الستة أيام تعبير من جانب الله - عز وجل - عن الزمن ، وهو تعالى أعلم بمقدار اليوم ، ومن الوجهة العلمية تتطلب عملية خلق الكون المرور بمراحل وأدوار مختلفة « السموات والأرض وما بينها » تشير إلى سائر أجرام السماء من نجوم وشموس وكواكب وأقمار وأتربة كونية ، وغازات وطاقات يتألف الكون منها « ثم استوى على العرش » يثبت أن للكون بداية من حيث الزمن وأن نشوء الكون لازمته نظم كونية أو إلهية منظمة له ، وبتنظيم الكون على الوجه التفصيلى الكامل الذى شمل كل شىء اتضح استيلاء الله - سبحانه - على الكون إجمالا وتفصيلا .

« فاسأل به خبيرا » فى هذه الجملة من الآية الكريمة توجيه علمى من الله إلى ضرورة البحث والتنقيب فيما يمكن بحثه من مظاهر الكون ونظمه المختلفة للوقوف على أسرار قدرة الله فى ابداع الكون

(٢) « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » : تشير الآية الكريمة إلى المعانى العلمية المتضمنة فى نظام الكون الذى خلقه الله - سبحانه وتعالى - وتزايد فضله . وأننا لنشاهد نجوم السماء على هيئة مجموعات تكاد تحتفظ بصورها على مر الأجيال والبروج هى تلك المجموعات من النجوم التى تمر أمامها الشمس أثناء دورانها الظاهرى من حول الأرض ، فالبروج كأنها منازل الشمس فى دورانها أثناء السنة . وكل ثلاثة منها تؤلف فصلا من فصول السنة وهى كمفردات مبتدئين بفصل الربيع : الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - السنبلة - الميزان - العقرب - القوس - الجدى - الدلو - الحوت . والشمس هى إحدى النجوم المتوسطة القدر وهى كسائر النجوم مضيئة بذاتها نظرا للتفاعلات الذرية فى داخلها ، فالإشعاع الشمسى المنبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والأرض والأقمار وسائر أجرام السماء غير المضيئة بذاتها ، فينيرها أى أن الشمس هى سراج وهاج . أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد من سطحه وأن فى وصف الشمس بأنها سراج ووصف القمر بأنه منير إشارة إلى أن الشمس مصدر الطاقة الحرارية .

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

---

٦٤ - والذين يبيتون على التعبد والصلاة ويذكرون الله كثيراً .

٦٥ - والذين يغلبون الخوف على الرجاء - شأن الاتقياء - فيخافون عذاب الآخرة ، يكون دأبهم أن يدعوا الله أن ينجيهم من عذاب جهنم ، فان عذابها اذا نزل بمجرم يلزمه ولا يفارقه .

٦٦ - وان جهنم شر مستقر لمن يستقر فيها وشر مقام لمن يقيم .

٦٧ - ومن سمات عباد الرحمن الاعتدال فى انفاقهم المال على أنفسهم وأسرهم ، فهم لا يبذرون ولا يضيقون فى النفقة ، بل نفقتهم وسط بين الأمرين .

٦٨ - ومن شأنهم أنهم أخلصوا التوحيد ونبذوا كل أثر للشرك فى عبادة ربهم ، وتنزهوا عن القتل للنفوس التى نهى الله عن قتلها لكن ان اعتدت قتلت بالحق . . وقد تجنبوا الزنا ، وقصروا أنفسهم على الحلال من أوجه المتاع ، لينجوا من عقاب هذه المهلكات ، فان من يفعل هذه الأمور يلق منها شراً وعذاباً .

٦٩ - فانه سيلق يوم القيامة عذاباً مضاعفاً ، ويخلد فيه ذليلاً مهاناً .

٧٠ - ولكن من تاب من هذه الذنوب وصدق فى ايمانه واتبع ذلك بالطاعات والأعمال الصالحة ، فهؤلاء يغفر لهم رحمة منه ويجعل لهم مكان السيئات السالفة حسنات يثيبهم عليها أجزل الثواب ، وان الله من شأنه الرحمة والغفران .

٧١ - وهكذا مضى أمرنا أن من تاب من اثمه وظهر أثر ذلك فى اقباله على الطاعة واجتنابه المعصية ، فهو الذى يقبل الله توبته . وبها يرجع الى ربه بعد نفاره .

٧٢ - ومن أخلاق عباد الرحمن أنهم ، يتنزهون عن شهادة الزور ، وانهم اذا صادفوا من انسان ما لا يحمد من قول أو فعل لم يشتركوا فيه ورفعوا أنفسهم عن مقارنته .

٧٣ - ومن صفاتهم أنهم اذا وعظهم واعظ وتلا عليهم آيات الله ألقوا بمسامعهم اليها ، فوعتها قلوبهم ، وتفتحت لها بصائرهم ، ولم يكونوا كأولئك الذين يضطربون عند سماعها معرضين عنها ، لا تخرق آذانهم وتنسد عنها أبصارهم .

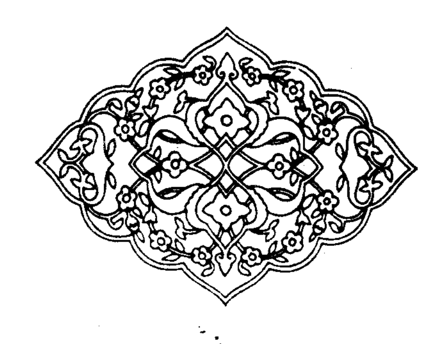
٧٤ - وهم يسألون ربهم أن يجعل نساءهم وأولادهم موضع أنس أنفسهم بما يعملون من خير ، وأن يجعلهم أئمة فى الخير يقتدى بهم الصالحون .

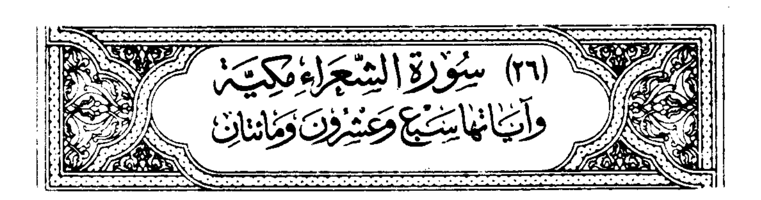
أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾
قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

٧٥ ـ هؤلاء الموصوفون بما وصفناهم عباد الله حقاً، وجزاؤهم غرف الجنة العالية كفاء صبرهم على الطاعات، وسيلقون فى الجنة التحية والتسليم..

٧٦ ـ ونعيمهم فى الجنة خالد لا انقطاع له، فنعم الجنة مستقراً ومقاماً..

٧٧ ـ قل أيها الرسول للناس: ان الله لا يعنيه منكم الا ان تعبدوه وتدعوه فى شئونكم ولا تدعوا غيره، ولذلك خلقكم، ولكن الكافرين منكم كذبوا ما جاء به الرسل فسيكون عذابهم لازماً لهم لا منجى لهم منه.





بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴿٤﴾ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴿٥﴾ فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون ﴿٦﴾ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها

اشتملت السورة فى بدايتها على التنويه بشأن القرآن ، وانتقلت بعده الى ذكر تهديد الكافرين بقدرة الله على انزال العذاب بهم ، وتسلية النبى - ﷺ - عن تكذيب قومه بما لقيه فريق من رسل الله ، من تكذيب أممهم ، فحدثت عن لقاء موسى وهارون لفرعون ، وتكذيبه لهما ، ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم أبى الأنبياء ، ونبأ نوح مع قومه ، وشأن هود مع عاد ، وصالح مع ثمود ، ثم شرحت السورة دعوة لوط ، وقصة شعيب مع أصحاب الأيكة .

ويرى المتأمل فى قصص هؤلاء النبيين السبعة أن أصول دعوتهم واحدة ، وأسلوب الكافرين فى رد رسالتهم واحد ، ثم ختمت السورة بالتنويه بشأن القرآن ، كما افتتحت به ، وانتهت الحديث بإبطال ان يكون الرسول من الشعراء وأن يكون القرآن شعراً .

١ - هذه الحروف لبيان ان القرآن المعجز للبشر ركبت كلماته منها ومن أخواتها ، وهى فى طوقهم ، فمن ارتاب فى أنه من عند الله فليأت بمثله ، ولن يستطيع .

٢ - هذا الكلام الذى أوحيت به إليك آيات الكتاب الموضح لما اشتمل عليه من أحكام .

٣ - أشفق على نفسك - أيها النبى - أن تقتلها حزناً على عناد قومك ، وعدم ايمانهم .

٤ - ان فى قدرتنا أن نأتيهم بمعجزة تلجئهم الى الايمان ، فيخضعون لأمره ، ويتم ما ترجوه ، ولم نأتهم بذلك لأن سنتنا تكليف الناس بالايمان دون الجاء ، كى لا تفوت الحكمة فى الابتلاء ، وما وراءه من ثواب وعقاب .

٥ - وما يجدد الله لقومك بوحيه ما يذكرهم بالدين الحق ، رحمة بهم ، الا جددوا اعراضاً عنه ، وكفراً به ، حيث أغلقت أمامهم طرق الهداية .

٦ - فقد كذب هؤلاء بالحق الذى جئتهم به ، وسخروا منه ، فاصبر عليهم ، فسيرون عاقبة استهزائهم القاصمة .

مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ

---

٧ - أفعلوا ما فعلوا من الكفر والتكذيب، ولم ينظروا الى بعض خلق الله فى الأرض ؟ ولو نظروا متأملين لاهتدوا ، فهذه الكثرة من أصناف النباتات النافعة أخرجناها من الأرض ، ولا يستطيع ذلك غير اله واحد قدير.

٨ - ان فى اخراج النبات من الأرض لدلالة عظيمة على وجود الخالق القدير ، وما كان أكثر القوم مؤمنين .

٩ - وان مالك أمرك وحافظك لهو المنتقم من المكذبين ، المتفضل بالرحمة على المؤمنين . .

١٠ - واذكر - يا محمد - لقومك قصة موسى حين ناداه ربك : يا موسى . اذهب رسولاً الى القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وبنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد.

١١ - ائت قوم فرعون ، فانهم ماضون فى ظلمهم . عجباً لهم ! أما يخافون عاقبة ذلك ، ويحذرونها ؟

١٢ - قال موسى : يارب انى أخشى ألا يقبلوا رسالتى ، كبراً وعناداً .

١٣ - ويحيط بى الغم اذا كذبونى ، ولا ينطلق لسانى حينئذ فى محاجتهم كما أحب ، فأرسل جبريل الى أخى هارون ليؤازرنى فى أمرى .

١٤ - ولهؤلاء ذنب على ، فقد قتلت منهم رجلاً ، فأخاف أن يقتلونى قصاصاً قبل أداء مهمتى ، ويزيدنى ذلك خوفاً .

١٥ - قال الله له : لن يقتلوك ، وقد أجبت سؤلك فى هارون ، فاذهبا مزودين بمعجزاتنا ، انى معكم بالحفظ ، أسمع ما يجرى بينكما وبين فرعون ، فلكما النصر والتأييد . .

١٦ - فتوجها الى فرعون فقولا له : انا مرسلان اليك من رب العالمين .

١٧ - يقول لك رب العالمين : اطلق سراح بنى اسرائيل ، ليذهبوا معنا .

١٨ - قال فرعون لموسى ممتناً - وقد عرفه حينما دخلا عليه وأديا الرسالة ، حيث تربى فى قصره - : ألم نربك فينا وليداً ، ومكثت فى رعايتنا سنين من عمرك ؟ .

وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ

---

١٩ - وجنيت جنايتك النكراء، بقتلك رجلاً من قومى، وجحدت نعمتى التى سلفت منا عليك، فلم تحفظ رعيق، واعتديت على ألوهيتنا بادعاء انك رسول رب العالمين.

٢٠ - قال موسى: لقد فعلت ما ذكرت جهلاً بما يفضى اليه العقل من القتل، فلا تثريب على.

٢١ - ففرت منكم لما خفت أن تقتلونى بهذه الجناية التى لم تكن عن عمد، فوهب لى ربى فهما وعلماً، تفضلاً وانعاماً، وجعلنى من المرسلين.

٢٢ - أشار موسى الى خصلة ذميمة من خصال فرعون، وبين أنها تعبيد بنى اسرائيل وذبح أبنائهم، وأبى أن تسمى تربيته فى بيته نعمة، فسببها اتصافه بما تقدم، فألق فى اليم لينجو من قتله، فآل الى بيته، ولولا ذلك لرباه أبواه.

٢٣ - قال فرعون: وما صفة رب العالمين الذى تذكره كثيراً، وتدعى انك رسوله: حيث لا نعلم عنه شيئاً؟.

٢٤ - قال موسى هو مالك السموات والأرض وما بينهما، ان كنتم موقنين بصدق هذا الجواب لانتفعتم، واهتديتم، وعرفتم أن ملك فرعون المدعى لا يذكر فى جانب ملكه، فهو لا يعدو إقليماً واحداً فى الأرض.

٢٥ - قال فرعون - يعجب لمن حوله من جواب موسى، اذ ذكر رباً غيره لا يذكر فى جانب ملكه ملك فرعون -: كيف تسمعون كلام موسى؟.

٢٦ - قال موسى ماضياً فى أمره غير مبال بغيظ فرعون وسوء مقالته: رب العالمين خالقكم وخالق آبائكم السابقين، ومنهم من كان يدعى الألوهية كما تدعى، وقد لحقهم الفناء، وستفنى مثلهم فيبطل ما تدعيه، اذ الاله الحق لا يموت.

٢٧ - قال فرعون مخاطباً قومه بما يثير غضبهم، اذ أضاف رسالة موسى اليهم دونه، مع وصفه بالجنون، حيث يسأل عن الشىء فيجيب عن غيره، وينعت الرب بصفات عجيبة، وفرعون بهذا يحرضهم على تكذيبه.

وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ

---

٢٨ ـ قال موسى : ان كنتم تعقلون فآمنوا برسالتى ، لأن شروق الشمس وغروبها بتقدير محكم دليل ظاهر على الخالق ، اذن فأنتم الأحقاء بصفة الجنون .

٢٩ ـ قال فرعون لموسى : لئن اتخذت الهاً غيرى لأجعلنك واحدا ممن عرفت سوء حالهم فى سجونى . وقد لجأ إلى تهديده بهذا بعد أن يئس من رفع آثار صنع الخالق .

٣٠ ـ قال موسى متلطفا طمعا فى ايمانه : أتجعلنى من المسجونين ولو جئتك ببرهان عظيم يصدقنى فيما أقول !

٣١ ـ قال فرعون : فأت بالذى يشهد بنبوتك ان كنت صادقا فى دعواك ، قال ذلك طمعا فى أن يجد موطن ضعف فى حجته .

٣٢ ـ فألقى موسى عصاه فى الأرض أمامهم ، فانقلبت ثعبانا حقيقيا ، لا شيئا مزورا بالسحر يشبه الثعبان .

٣٣ ـ وأخرج موسى يده من جيبه آية ثانية ، فإذا هى بيضاء ، اشتد بياضها من غير سوء ، حتى بهر الناظرين .

٣٤ ـ قال فرعون لقومه : ان موسى لساحر فائق فى سحره . قال ذلك خشية أن يخضعوا للحق الذى رأوه من موسى .

٣٥ ـ وقال فرعون أيضا : يريد هذا الساحر أن يقهرنى فيخرجكم من أرضكم ، وذلك تحريض على موسى ، إذ من أشق الأشياء مفارقة الوطن ، لا سيما إذا كانت قهرا ، وطلب الرأى ممن يعبدونه ناسيا الوهيته ، لقوة آيات موسى .

٣٦ ـ قال له قومه : أجل الفصل فى أمرهما ، وأرسل الجند فى المدائن يجمعون لك السحرة من رعيتك ، فالسحر يعارض بالسحر .

بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ

---

٣٧ ـ يأتوك بالعدد الكثير ، وكلهم قد أجاد فن السحر ، ويفوق موسى عملا به ومرانا عليه . وقصدوا بهذا التخفيف من قلق فرعون .

٣٨ ـ فجمع السحرة من كل أرجاء البلاد ، وحدد لهم وقت الضحى من يوم الزينة للاجتماع بموسى .

٣٩ ـ وقال الناس ـ يحث بعضهم بعضا على الاجتماع فى اليوم المعلوم ، لحضور الحفل المشهود ـ : « هل أنتم مجتمعون » أى اجتمعوا .

٤٠ ـ وأعلنوا توقعهم انتصار السحرة ، فيثبتون على دينهم ، حملا على الاهتمام والجد فى مغالبة موسى .

٤١ ـ فلما جاء السحرة فرعون قالوا له : أيكون لنا قبلك أجر عظيم ان كنا نحن الغالبين ؟ .

٤٢ ـ قال فرعون : نعم لكم ما ذكرتم ، ومع هذا الأجر العظيم تكونون من المقربين لدى ، ومن أصحاب الجاه والسلطان .

٤٣ ـ قال موسى للسحرة ـ حينما جاء الوقت المحدد فى اليوم الموعود ـ ألقوا ما تريدون القاءه من السحر .

٤٤ ـ فألقوا حبالهم وعصيهم ، وخيل للناس أنها حيات تسعى ، وأقسموا بعزة فرعون وقوته أنهم الغالبون .

٤٥ ـ فألق موسى عصاه ، فإذا هى حية عظيمة تبتلع ما كانوا يزورونه بالسحر من حبالهم وعصيهم ، متوهمين أنها حيات تسعى ..

٤٦ ـ فبادر السحرة بالسجود لله ، حينما أيقنوا أن أمر موسى ليس بالسحر .

٤٧ ـ قالوا مؤكدين فعل السجود بالقول : « آمنا برب العالمين » .

٤٨ ـ وبينوا أن رب العالمين الذى آمنوا به « رب موسى وهارون » .

لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾

---

٤٩ - قال فرعون - منكرا على السحرة إيمانهم بموسى قبل إذنه لهم، مهددا إياهم على ذلك بأنه أستاذهم الذى عليه تلقوا فنون السحر، وسيعلمون ما سينزل بهم من العقاب - : لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف. أقطع اليمنى مع اليسرى أو العكس. ولأصلبنكم أجمعين..

٥٠ - قال السحرة: لا ضرر علينا مما يلحقنا من عذابك الذى توعدتنا به، لأنا راجعون إلى ثواب ربنا، وهو خير ثواب وخير عاقبة.

٥١ - انا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا التى أسلفناها، إذ كنا أول المؤمنين فى قومك.

٥٢ - وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يسير ليلا بالمؤمنين من بنى اسرائيل، حينما لم تجد مصابرة موسى، وقد نظم أمر الفريقين على أن يتقدم موسى بقومه، ويتبعهم فرعون بقومه، حتى يدخلوا مدخلهم من طريق البحر، فيهلكهم الله.

٥٣ - فأرسل فرعون جنده فى مدائن مملكته، يجمعون الأشداء من قومه، حينما علم بسير موسى ببنى اسرائيل، ليحول بينهم وبين ما يقصدون.

٥٤ - قال فرعون: ان بنى اسرائيل الذين فروا مع موسى طائفة خسيسة فى شأنها، قليل عددها، يثير بذلك الحمية فى نفوس جنده.

٥٥ - وأنهم مع هذا فاعلون ما يثير غيظنا، بمخالفة أمرنا والخروج بغير اذننا.

٥٦ - وانا لجمع، من عادتنا الحذر واليقظة، والحزم فى الأمور.

٥٧ - فأخرجنا فرعون وجنوده من أرضهم الشبيهة بجنات تجرى من تحتها الأنهار، فأهلكوا بصرفهم عن الحق، واثارتهم إلى الخروج وراء موسى، بما جاء فى الآيات الثلاث السابقة.

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا

---

٥٨ - وأخرجناهم كذلك من كنوز الذهب والفضة والأماكن التى كانوا يقيمون فيها ، منعمين بجمالها وحسن مرافقها .

٥٩ - مثل هذا الاخراج العجيب الذى وصفناه لك أخرجناهم ، وجعلنا هذا الملك وما فيه من ألوان النعيم لبنى اسرائيل ، بعد أن كانوا معدمين .

٦٠ - جد فرعون وقومه فى السير ليلحقوا ببنى اسرائيل ، فلحقوا بهم وقت شروق الشمس .

٦١ - فلما رأى كل من الجمعين الآخر قال أصحاب موسى : ان فرعون وقومه سيدركوننا ، فينزل بنا الهلاك .

٦٢ - قال موسى : ان معى عناية الله تلاحقنى بالحفظ ، وسيرشدنى إلى طريق النجاة . ليطمئنوا على سلامتهم ، ولتبتعد عن أذهانهم فكرة الادراك المفزعة .

٦٣ - فأوحينا إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق البحر إلى اثنى عشر طريقا بعدد طوائف بنى اسرائيل ، وكان كل طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم الثابت .

٦٤ - وقربنا فرعون وقومه ، حتى دخلوا هذه الطرق وراء موسى وقومه .

٦٥ - وأنجينا موسى ومن معه بحفظ البحر متماسكا ، حتى تم عبورهم .

٦٦ - ثم أغرقنا فرعون ومن معه باطباق الماء عليهم عندما تبعوهم .

٦٧ - ان فى ذلك التصرف الآلهى العجيب لعبرة لمن أراد أن ينتفع ، وما كان أكثر القوم مصدقين .

٦٨ - وان خالقك ومربيك لهو القوى فى الانتقام من المكذبين ، المنعم بالرحمات على المؤمنين .

٦٩ - واتل على الكافرين - أيها الرسول - قصة ابراهيم عليه السلام .

٧٠ - إذ قال لأبيه وقومه : أى شئ هذا الذى تعبدونه مما لا يستحق العبادة ؟ يقصد تقبيح عبادة الأصنام .

عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى

---

٧١ - قالوا مجيبين بطريق المباهاة : نعبد أصناما فنقيم على عبادتها دائما ، تعظيما لها وتمجيدا .

٧٢ - قال ابراهيم : هل يسمعون دعاءكم ، أو يستجيبون لكم إذ تدعونهم ؟ يقصد بذلك التنبيه على فساد مسلكهم .

٧٣ - أو يقدمون لكم نفعا إذا أطعتموهم ، أو يصيبونكم بضر إذا عصيتموهم ؟

٧٤ - قالوا : لا يفعلون شيئا من ذلك ، ولكن وجدنا آباءنا يعبدونها مثل عبادتنا ، فقلدناهم فيما كانوا يفعلون .

٧٥ - قال ابراهيم - تبكيتا لهم - : أفكرتم فعلمتم أى شىء تستمرون على عبادته ؟

٧٦ - أنتم وآباؤكم الأقدمون . أهو أهل لأن يعبد أم لا ؟ . لو تأملتم لعلمتم أنكم فى الضلال المبين .

٧٧ - فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لى ولكم ، فلا أعبدهم ، لكن خالق العالمين ومالك أمرهم وحافظهم هو الذى أعبده ، وأتقرب إليه .

٧٨ - الذى أوجدنى من العدم فى أحسن تقويم ، ووهبنى الهداية لما يوصلنى إلى سعادتى فى الدنيا والآخرة .

٧٩ - وهو الذى أنعم على بالطعام والشراب ، وأقدرنى على تناولها والانتفاع بها ، حفظا لحياتى .

٨٠ - وإذا نزل بى مرض فهو الذى يشفينى بتيسير أسباب الشفاء ، وتفويض الأمر إليه .

٨١ - والذى يميتنى إذا حل أجلى ، والذى يحيينى مرة أخرى للحساب والجزاء .

٨٢ - والذى أطمع فى غفرانه وتجاوزه عما فرط منى من الهفوات فى الدنيا ، إذا جاء وقت الحساب .

بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

---

٨٣ - قال ابراهيم عليه السلام داعيا : رب امنحنى كمالا فى العلم والعمل ، حتى أكون أهلا لحمل رسالتك والحكم بين عبادك ، ووفقنى لأنتظم فى عداد الصالحين .

٨٤ - واجعل لى ثناء حسنا ، وذكرا جميلا فى الأمم التى تجىء بعدى ، يبقى أثره بين الناس إلى يوم القيامة .

٨٥ - واجعلنى من عبادك الذين منحتهم نعيم الجنة ، ثوابا على ايمانهم بك وعبادتهم لك .

٨٦ - واجعل أبى أهلا للمغفرة بتوفيقه للاسلام ، وكان قد وعده بالاسلام يوم فارقه ، لأنه كان من المنحرفين عن طريق الهدى والرشاد .

٨٧ - ولا تلحق بى هوانا أو خجلا بين الناس ، يوم يخرجون من القبور للحساب والجزاء .

٨٨ - يوم لا ينفع أحدا مال يبذل ، ولابنون ينصرون .

٨٩ - إلا من كان مؤمنا ، وأقبل على الله بقلب برىء من مرض الكفر والنفاق والرياء .

٩٠ - وأدنيت الجنة ، وقربت من مكان السعداء ، فيسير إليها الذين اتقوا الكفر والمعاصى ، وأقبلوا على الايمان والطاعة فى الدنيا . .

٩١ - وأظهرت الجحيم للمنصرفين عن دين الحق ، حتى يكاد يأخذهم لهبها فيتحسرون . .

٩٢ - وقيل لهم توبيخا : أين آلهتكم التى كنتم تعبدونها من دون الله ؟!

٩٣ - من دون الله وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم ، هل ينفعونكم بنصرتهم لكم ، أو ينفعون أنفسهم بانتصارهم ؟ لا شىء من ذلك ، لأنهم وآلهتهم وقود النار .

٩٤ - فألقوا فى الجحيم على وجوههم ، ينقلبون مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا فى قاعها هم والذين أضلوهم وأوقعوهم فى الغى والضلال .

٩٥ - ومعهم أعوان ابليس الذين كانوا يزينون للناس الشرور والآثام ، أو الذين اتبعوه من عصاة الانس والجن .

قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ

---

٩٦ - قالوا معترفين بخطئهم - وهم يتخاصمون مع من أضلوهم من معبوداتهم.

٩٧ - والله أن كنا فى دنيانا لفى تخبط واضح، وجهل مطبق، وزيغ عن الحق الذى لا خفاء فيه.

٩٨ - إذ نسويكم أيها المعبودون من دون الله برب العالمين فى استحقاق العبادة، مع عجزكم وقدرته.

٩٩ - وما أوقعنا فى هذا الهلاك إلا المجرمون الذين أضلونا عن سواء السبيل.

١٠٠ - فلا يوجد لنا شافعون يخلصوننا من العذاب كما توهمنا من قبل.

١٠١ - ولا صديق يتوجع لحالهم، وان لم يخلصهم.

١٠٢ - فيتمنون لأنفسهم حينئذ رجعة إلى الدنيا، ليكونوا من المؤمنين حتى ينجوا..

١٠٣ - ان فيما ذكر الله من نبأ ابراهيم لعظة وعبرة لمن أراد أن يتعظ ويعتبر، وما كان أكثر قومك الذين تتلو عليهم هذا النبأ مذعنين لدعوتك.

١٠٤ - وان ربك لهو القادر على الانتقام من المكذبين، المتفضل بالانعام على المحسنين.

١٠٥ - وذكر الله نبأ نوح فى قوله: كذبت قوم نوح رسالته، وردوها عليه، وبهذا كانوا مكذبين لجميع رسل الله، لاتحاد دعوتهم فى أصولها وغايتها.

١٠٦ - كذبوا هذه الرسالة حين قال لهم أخوهم نوح - نسبا لا دينا - محذرا: ألا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره.

١٠٧ - إنى رسول الله اليكم لأهديكم إلى طريق الرشاد، أمين على تبليغ هذه الرسالة.

١٠٨ - فخافوا الله، وامتثلوا أمرى فيما أدعوكم إليه من توحيد الله وطاعته.

١٠٩ - وماأطلب منكم أى أجر على ما أبذله لكم من النصح والدعاء، ما جزائى إلا على خالق العالمين ومالك أمرهم.

١١٠ - فاحذروا عقاب الله، وامتثلوا ماآمركم به.

لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾

---

١١١ - قال قوم نوح - يردون دعوته - : لن يكون منا ايمان لك فى حال اتباع سفلة الناس وأقلهم جاها ومالا لك .

١١٢ - قال نوح : أى شيء أعلمنى ما هم عليه من قلة الجاه والمال ؟ ! انما أطلب منهم الايمان دون تعرض لمعرفة صناعاتهم وأعمالهم .

١١٣ - ما جزاؤهم على أعمالهم إلا على ربى ، فهو المطلع على بواطنهم ، لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك .

١١٤ - وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوتى مهما كان حالهم من فقر أو غنى ، تلبية لرغبتكم كى تؤمنوا بى .

١١٥ - ما أنا إلا رسول من الله ، لإنذار المكلفين انذارا واضحا بالبرهان الذى يتميز به الحق من الباطل ، لا فرق بين شريف وضعيف ، فكيف يليق بى طرد المؤمنين لفقرهم ؟ !

١١٦ - قالوا : لئن لم ترجع يا نوح عن دعوتك ، لنرجمنك بالحجارة ، يقصدون بهذا القول تهديده بالقتل .

١١٧ - قال نوح مظهرا استمرار قومه على التكذيب بندائه : « رب ان قومى كذبون » ليبرر دعاءه عليهم .

١١٨ - فاحكم بينى وبينهم حكما تهلك به من جحد توحيدك ، وكذب رسولك ، ونجنى ومن معى من المؤمنين من عذاب بغيهم .

١١٩ - فأنجيناه ومن آمن معه فى السفينة المملوءة بهم ، وبما يحتاجون إليه ، استجابة لدعوته .

١٢٠ - ثم أغرق الله بعد انجاء نوح ومن آمن الباقين الذين لم يؤمنوا من قومه .

١٢١ - ان فيما ذكره القرآن من نبأ نوح ، لحجة على صدق الرسل وقدرة الله ، وما كان أكثر الذين تتلو عليهم هذا القصص مؤمنين .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾

---

١٢٢ ـ وان ربك لهو القوى فى الانتقام من كل جبار عنيد، المنعم بأنواع الفضل على المتقين.

١٢٣ ـ كذبت قبيلة عاد رسولهم هودا عليه السلام، وبهذا كانوا مكذبين لجميع الرسل، لاتحاد دعوتهم فى أصولها وغايتها.

١٢٤ ـ إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تخشون الله فتخلصوا له العبادة ؟!.

١٢٥ ـ انى مرسل من الله لهدايتكم إلى الرشاد، حفيظ على رسالة الله، أبلغها اليكم كما أمرنى ربى.

١٢٦ ـ فامتثلوا أمر الله، وخافوا عقوبته، وأطيعوا ما آمركم به من عند الله.

١٢٧ ـ وما أطلب منكم على نصحى وارشادى أى نوع من أنواع الأجر، ما جزائى إلا على خالق العالمين.

١٢٨ ـ أتشيدون بكل مكان مرتفع من الأرض بناء شامخا تتفاخرون به، وتجتمعون فيه لتعيثوا وتفسدوا. يريد سبحانه تنبيههم إلى ما ينفعهم، وتوبيخهم على ترك الايمان وعمل الصالحات.

١٢٩ ـ وتتخذون قصورا مشيدة، منيعة، وحياضا للماء، مؤملين الخلود فى هذه الدنيا كأنكم لا تموتون.

١٣٠ ـ وإذا أخذتم أخذ العقوبة أسرفتم فى البغى جبارين، تقتلون وتضربون غاضبين بلا رأفة.

١٣١ ـ فخافوا الله فى البطش، وامتثلوا أمرى فيما أدعوكم إليه، فإنه أنفع لكم وأبقى.

١٣٢ ـ واحذروا غضب الله الذى بسط اليكم يد انعامه، بالذى تعلمونه بين أيديكم من ألوان عطائه.

١٣٣ ـ عدد ما أمدهم به من ابل وبقر وغنم، وبنين أقوياء، ليحفظوا لهم الأنعام، ويعينوهم على تكاليف الحياة.

وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ
ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ
وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ
أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ

---

١٣٤ ـ وبساتين مثمرات ، وعيون تجرى بالماء الذى تحتاجون إليه .

١٣٥ ـ إنى أخاف أن ينزل الله بكم عذابا شديدا فى الدنيا ، ويدخلكم فى الآخرة نار جهنم ، بسبب طغيانكم وانعام الله عليكم .

١٣٦ ـ قالوا استخفافا به : سواء لدينا بالغت فى وعظنا وانذارنا أم لم تكن من الواعظين .

١٣٧ ـ ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الأولين وأباطيلهم ، اعتادوا تلفيق مثله ، فلا نرجع عما نحن فيه .

١٣٨ ـ وما نحن بمعذبين على ما يصدر منا من عمل .

١٣٩ ـ فاستمروا على تكذيبه ، فعاجلهم الله بالهلاك ، ان فى ذلك الذى أنزله الله بعاد جزاء تكذيبهم لحجة تدل على كمال قدرة الله ، وما كان أكثر الذين تتلو عليهم نبأ عاد مؤمنين .

١٤٠ ـ وان ربك لهو القاهر للجبارين ، الرحيم بالمؤمنين .

١٤١ ـ كذبت قبيلة ثمود صالحا فى رسالته ودعوته لهم إلى توحيد الله ، وبهذا كذبوا جميع المرسلين ، لاتحاد رسالاتهم فى أصولها .

١٤٢ ـ اذكر لقومك ـ أيها الرسول ـ وقت أن قال لثمود أخوهم صالح فى النسب والوطن : ألا تخشون الله فتفردوه بالعبادة ؟!

١٤٣ ـ انى مرسل من الله اليكم بما فيه خيركم وسعادتكم ، حفيظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله .

١٤٤ ـ فاحذروا عقوبة الله ، وامتثلوا ما أدعوكم إليه من أوامره .

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ

---

١٤٥ ـ وما أطلب منكم أى أجر على نصحى لكم وارشادى ، ما أجرى الا على مالك العالمين . .

١٤٦ ـ أنكر عليهم اعتقادهم البقاء فيما هم فيه من النعيم ، آمنين من العذاب والزوال والموت .

١٤٧ ـ فى حدائق مثمرات ، وعيون تجرى بالماء الفرات .

١٤٨ ـ وزروع يانعات ، ونخل ثمرها الذى يظهر منها لين نضيج .

١٤٩ ـ وتتخذون من الجبال بيوتا عاليات ، حاذقين نشطين فيما تصنعون .

١٥٠ ـ فخافوا عقوبة الله ، لعدم شكركم له على نعمه ، واقبلوا نصحى واعملوا به .

١٥١ ـ ولا تطيعوا أمر الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك واتباع الهوى والشهوات .

١٥٢ ـ الذين يعيثون فى أرض الله فسادا ، ولا يقومون فيها بإصلاح به تسعد البلاد .

١٥٣ ـ قالوا ما أنت إلا من الذين سحروا سحرا شديدا حتى غلب على عقولهم ، وفى هذا الرد عنف وسفاهة .

١٥٤ ـ ما أنت الا فرد مماثل لنا فى البشرية فكيف تتميز علينا بالنبوة والرسالة ؟! فإن كنت صادقا فى دعواك فأت بمعجزة تدل على ثبوت رسالتك .

١٥٥ ـ قال لهم صالح ـ حينما أعطاه الله الناقة معجزة له ـ : هذه ناقة الله أخرجها لكم آية ، لها نصيب من الماء فى يوم فلا تشربوا فيه ، ولكم نصيب منه فى يوم آخر فلا تشرب فيه .

١٥٦ ـ ولا تلحقوا بها أذى ، فيهلككم عذاب عظيم .

١٥٧ ـ فذبحوا الناقة مخالفين ما اتفقوا عليه مع صالح ، فحق عليهم العذاب ، فأصبحوا على ما فعلوا نادمين .

أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ

---

١٥٨ - فأهلكهم عذاب الله الذى توعدهم به صالح . ولم يدفع الندم عنهم عقاب جرمهم ، ان فى ذكر قصتهم لدلالة على قدرة الله على اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ، وما كان أكثر قومك مؤمنين .

١٥٩ - وان خالقك لهو القادر على اهلاك الجاحدين المتفضل بانجاء المتقين .

١٦٠ - كذبت قوم لوط - حين دعاهم إلى توحيد الله وترك الشرك - جميع المرسلين .

١٦١ - اذكر لقومك أيها الرسول إذ قال لوط لقومه - وهو أخوهم وصهرهم - : ألا تخافون عذاب الله ؟ !

١٦٢ - انى مرسل لكم من الله بالدين الحق ، أمين على تبليغ هذا الدين .

١٦٣ - فاحذروا عذاب الله ، وامتثلوا أمرى فى ما أدعوكم إليه .

١٦٤ - وما أطلب منكم أجرا على ما أدعوكم إليه من الهدى والرشاد ، ما جزائى الا على مالك العالمين ومربيهم .

١٦٥ - قال لوط : أتستمتعون بوطء الذكور دون الاناث ؟ يريد بذلك أن ينكر ما دأبوا عليه من ارتكاب هذه الفاحشة النكراء[1] .

١٦٦ - وتتركون ما خلقه الله لمتاعكم من أزواجكم الحلائل ، بل أنتم قوم متجاوزون الحد فى الظلم بارتكاب جميع المعاصى .

١٦٧ - قالوا غاضبين لانكاره وتشنيعه عليهم بسبب تلك الرذيلة : لئن لم تترك توبيخنا لتكونن من المنفيين من بلادنا على أسوأ حال .

١٦٨ - قال لوط : انى لعملكم هذا من المبغضين ، فلا أترك انكاره والتشنيع عليه .

---

(١) « أتأتون الذكران من العالمين » . اللواط : أصلا هو جريمة فسق بشعة تتقزز منها الأسماع وتنفر منها الطباع وتنزل بالآدمية إلى الحضيض ، وتؤدى - لو شاعت - إلى تعطيل سنة الزواج وهى سنة طبيعية يتوقف عليها التناسل والتكاثر وعمارة الأرض .

وينتقل باللواط ما ينتقل بالزنا من الأمراض كالزهرى والسيلان والقرحة الرخوة وأمراض الجلد كالجرب فى الجلد ، ويحدث بالشرج علامات منها ضعف العضلة العاصرة حتى أنها قد تفقد السيطرة على عملية التبرز ، فيحدث عن غير إرادة ومنها تمزق بالشرج وزوال=

نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

١٦٩ ـ ونادى ربه : أن ينقذه وأهله مما يعمل هؤلاء الجاهلون ، حينما يئس من استجابتهم له .

١٧٠ ـ فاستجاب الله دعاءه ، ونجاه ومن اتبع دعوته ، بإخراجهم جميعا من بيوتهم وقت نزول العذاب بالمكذبين .

١٧١ ـ إلا امرأته العجوز بقيت ولم تخرج معه ، فهلكت ، لكفرها وخيانتها ، بموالاتها للفاسقين .

١٧٢ ـ ثم أهلك الله الكفرة الفجرة أشد اهلاك وأفظعه .

١٧٣ ـ وأنزل الله على شذاذ القوم حجارة من السماء ، فأهلكتهم ، وكان مطرا هائلا فى كثرته ونوعه ، فساء مطر المنذرين مطرهم ، إذ نزل بأشد أنواع الهلاك .

١٧٤ ـ ان فى ذلك العقاب الذى نزل بالقوم ، لحجة تدل على تمام قدرة الله ، وما كان أكثر قومك مصدقين بدعوتك .

١٧٥ ـ وان ربك لهو الغالب على كل شىء المتصف بالرحمة الكاملة فيعاقب المذنبين ، ويثيب المؤمنين .

١٧٦ ـ هذه قصة شعيب مع أصحاب الأيكة ، وهى غيضة تنبت ناعم الشجر بقرب مدين ، نزل بها جماعة من الناس وأقاموا بها ، فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث إلى مدين ، فكذبوه فى دعوته ، وبهذا كانوا منكرين لجميع الرسالات .

١٧٧ ـ اذكر ـ يا محمد ـ لقومك وقت قول شعيب لأصحاب الأيكة : ألا تخافوا الله فتؤمنوا به ؟ ! فبادروا بتكذيبه .

١٧٨ ـ انى لهدايتكم وارشادكم مرسل من رب العالمين ، أمين على توصيل رسالته اليكم .

١٧٩ ـ فاحذروا عقوبة الله ، وأطيعونى باتباع أوامر الله وتخليص أنفسكم من الآثام . .

١٨٠ ـ وما أطلب منكم على ارشادى وتعليمى أى أجر . ما جزائى الكامل فى مقابلة عملى إلا على رب العالمين .

= الأنسجة حوله ، فيفور ويشبه القمع شكلا . والشرج ملىء بالميكروبات الأخرى التى قد تنتقل إلى عضو الجانى فتحدث فيه التهابات فى مجرى البول ، وقد يصبح الجنى عليه مخنثا إذا لازمته هذه العادة من صغره ، وقد يظهر على العكس أكثر رجولة ليغطى النقص عنده .
وقد نهى الله ـ سبحانه ـ عن هذه الجريمة فى كثير من الآيات وبين فى بعضها حكمة من حكم هذا التحريم ، فقال : « أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » .

* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ

---

١٨١ - أمرهم شعيب بإعطاء الكيل وافيا ، حيث كان يشيع بينهم بخس الكيل والميزان ، ونقص حقوق الناس بالتطفيف والخسران .

١٨٢ - وزنوا بين الناس بالميزان السوى ، حتى يأخذوا حقهم بالعدل المستقيم .

١٨٣ - ولا تنقصوا الناس شيئا من حقوقهم ، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ، بالقتل وقطع الطريق وارتكاب الموبقات واطاعة الهوى .

١٨٤ - واحذروا عقوبة الله الذى خلقكم ، وخلق الأمم القوية العاتية المتقدمة .

١٨٥ - قالوا : ما أنت الا واحد من الذين أصابهم السحر اصابة شديدة ، فذهب بعقولهم .

١٨٦ - وما أنت إلا واحد منا مساو لنا فى البشرية ، فكيف تتميز علينا بالرسالة ؟ ! ونحن نعتقد أنك من الراسخين فى الكذب .

١٨٧ - فأسقط علينا قطع عذاب من السماء ان كنت من الصادقين فى الرسالة . . وهذا اقتراح تحته كل ألوان الانكار .

١٨٨ - قال شعيب : ربى بالغ العلم بما تعملونه من المعاصى ، وبما تستحقونه من العذاب ، ينزله عليكم فى وقته المقدر له ، وهذا منه منتهى التفويض لله وغايته التهديد لهم . .

١٨٩ - فاستمروا على تكذيبه ، فسلط الله عليهم الحر الشديد ، فكانوا يفرون منه إلى غير حمى ، إلى أن أظلتهم سحابة من الشمس فاجتمعوا تحتها ، فاسقطها الله عليهم نارا فأهلكتهم جميعا فى يوم شديد الهول .

١٩٠ - ان فيما نزل بأصحاب الأيكة من العقوبة - جزاء تمردهم - لدليل على كمال قدرة الله ، وما كان أكثر قومك مصدقين .

١٩١ - وان ربك لهو المتفرد بالقوة والغلبة . المنعم بالرحمات على المؤمنين .

لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

---

١٩٢ - وان هذا القرآن الذى ذكرت فيه هذه القصص الصادقة منزل من خالق العالمين ومالك أمرهم ومربيهم ، فخبره صادق ، وحكمه نافذ إلى يوم القيامة .

١٩٣ - نزل به الروح الأمين ، جبريل عليه السلام .

١٩٤ - على قلبك متمكنا من حفظه وفهمه ، مستقرا فى قلبك استقرار ما لا ينسى ، لتنذرهم بما تضمنه من العقوبات للمخالفين .

١٩٥ - نزل به جبريل عليك بلغة عربية ، واضحة المعنى ، ظاهرة الدلالة فيما يحتاجون إليه فى اصلاح شئون دينهم ودنياهم .

١٩٦ - وان ذكر القرآن والأخبار عنه بأنه من عند الله نزل على محمد - ﷺ - لثابت فى كتب الأنبياء السابقين .

١٩٧ - أكفر هؤلاء المعاندون بالقرآن ، وعندهم حجة تدل على صدق محمد - ﷺ - وهى علم علماء بنى اسرائيل بالقرآن كما جاء فى كتبهم ؟ ! .

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض من الأعجميين ، يقدر على التكلم بالعربية ولا يفصح بها ، فلا يتوهم اتهامه باختراعه .

١٩٩ - فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة لكفروا به ، وانتحلوا لجحودهم عذرا .

٢٠٠ - أدخلنا التكذيب فى قلوب المجرمين ، وقررناه فيها ، مثل تقريره فى قلوب من هم على صفتهم .

٢٠١ - فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده ، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذى وعدوا به .

٢٠٢ - فينزل بهم العذاب فجأة من غير توقع ، وهم لا يشعرون بقدومه .

٢٠٣ - فيقولون عند نزول العذاب : « هل نحن منظرون » تحسرا على ما فاتهم الايمان وطلبا للامهال ، ولكن لا يجابون .

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى

---

٢٠٤ ـ قال تعالى أغر كفار مكة امهالى ، فيستعجلون نزول العذاب ؟ ! يريد سبحانه تسفيه عقولهم بسبب استعجالهم العذاب أثر تكرار انذارهم وتخويفهم .

٢٠٥ ـ أفكرت فعلمت أن متعناهم بالحياة سنين طويلة مع طيب العيش ؟

٢٠٦ ـ ثم نزل بهم العذاب الموعود .

٢٠٧ ـ ما يدفع عنهم تمتعهم بطول العمر وطيب العيش من عذاب الله شيئا ، فعذاب الله واقع عاجلا أو آجلا ولا خير فى نعيم يعقبه عذاب .

٢٠٨ ـ وسنتنا فى الأمم جميعا أننا لم ننزل هلاكا بأمة إلا بعد أن نرسل إليها رسلا ينذرونها إلزاما للحجة .

٢٠٩ ـ تذكرة وعبرة ، وما كان شأننا الظلم فنعذب أمة قبل أن نبعث إليها رسولا

٢١٠ ـ نفى القرآن ما قاله كفار مكة من أن لمحمد تابعا من الجن ، يلقى القرآن إليه فقال : وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن .

٢١١ ـ وما يجوز لهم أن ينزلوا به ، وما يستطيعون ذلك .

٢١٢ ـ انهم عن سماع القرآن الذى ينزل به الوحى على محمد ـ ﷺ ـ لمحجوبون .

٢١٣ ـ فتوجه إلى الله مستمرا على اخلاصك له فى العبادة ولا تهتم بفساد زعم المشركين وسوء مسلكهم . ودعوة الرسول إلى هذا اللون من الاخلاص دعوة لأفراد أمته جميعا .

٢١٤ ـ وخوف بالعذاب على الشرك والمعاصى الأقرب فالأقرب من عشيرتك .

٢١٥ ـ وألن جانبك لمن أجاب دعوتك بالايمان .

٢١٦ ـ فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم ، من الشرك وسائر المعاصى .

٢١٧ ـ وفوض أمرك إلى القوى القادر على قهر أعدائك بعزته ، وعلى نصرتك ونصرة كل مخلص فى عمله برحمته .

يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢١٨ ـ الذى يراك حين تقوم إلى التهجد وأعمال الخير.

٢١٩ ـ ويرى تصرفك فيما بين المصلين، بالقيام والقعود والركوع والسجود، حين تؤمهم فى الصلاة.

٢٢٠ ـ انه سبحانه هو السميع لدعائك وذكرك، العليم بنيتك وعملك. وكأنه سبحانه يقول له: هون على نفسك مشاق العبادة، فأنت تعمل بمرأى ومسمع منا.

٢٢١ ـ قال المشركون: ان الشياطين تلقى السمع على محمد، فرد القرآن عليهم: هل أخبركم على أى الأفراد تتنزل الشياطين، وتلقى الوساوس!؟

٢٢٢ ـ تتنزل على كل مرتكب لأقبح أنواع الكذب وأشنع الآثام، وهم الكهنة الفجرة الذين بين طباعهم وطباع الشياطين تجانس ووفاق.

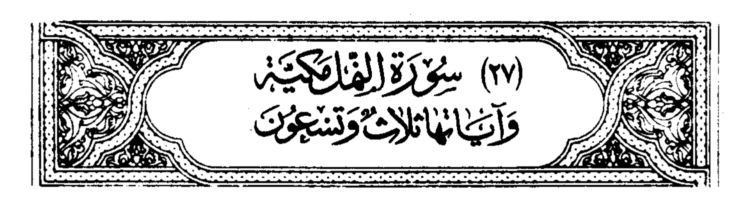
٢٢٣ ـ يلقون أسماعهم إلى الشياطين، فيتلقون منهم ظنونا، وأكثرهم كاذبون، حيث يزيدون فى القول على ما تلقيه الشياطين.

٢٢٤ ـ قال الكفار: ان القرآن شعر، ومحمد شاعر، فأبطل الله هذا باثبات أن القرآن ملىء بالحكم والأحكام، فأسلوبه ينافى أسلوب الشعر الذى يقوم على الباطل والكذب، وبين أن حال محمد ـ ﷺ ـ ينافى حال الشعراء، فهو ينطق بالحكمة، وهم ينطقون بالزور، وهذا حال أغلب الشعراء.

٢٢٥ ـ ألم تر أنهم فى كل واد من أودية القول يهيمون على وجوههم، فلا يهتدون إلى الحق؟

٢٢٦ ـ وأنهم يقولون بألسنتهم ما لا يلتزمونه فى عملهم.

٢٢٧ ـ لكن الذين اهتدوا بهدى الله وعملوا الصالحات حتى تمكنت فيهم ملكات فاضلة، وذكروا الله كثيرا حتى تمكنت خشيته من قلوبهم. هؤلاء يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء، وينتصرون لدينهم واقامة الحق إذا جور على الحق، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجاء الرسول أى مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

سورة النمل مكية ، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية .

وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ، تنبيها لمنزلة القرآن الذى يجانس كلام العرب ، ومع ذلك أعجزهم ، وهى فوق ذلك تنبيه لمن يتغافل عن الاستماع . وجاءت بعد ذلك بقصة موسى ، وذكر بعض معجزاته عليه السلام ، وقصة داود عليه السلام ووراثته لوالده سليمان الملك . وحشر الجن والانس والطير له ، وفهمه عليه السلام لكلام الحيوان ، وشكره هذه النعمة ، ثم غيبة الهدهد ، ومجيئه بقصة بلقيس ، وعبادتها وقومها للشمس ، وارسال سليمان عليه السلام إليها كتابا ، وردها عليه بهدية بعد استشارتها قومها ، واحضار عرشها عن طريق من عنده علم من الكتاب ، ودخولها قصر سليمان الذى أدهشها ، فأعلنت طاعتها وايمانها به .

وقد ذكرت قصة صالح مع قومه ، وقصة لوط عليه السلام وقومه ، ونجاته وأهله واهلاك الفاسقين . ونبهت السورة الكريمة إلى ما فى خلق السموات والأرض من دلائل على قدرته ووحدانيته .

وأشارت إلى مقام القرآن الكريم فى الدعوة ، واعراض المشركين عنه مع كمال اعجازه وذكرت ما سيكون من خروج دابة تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يوقنون . ثم وجهت الأنظار إلى الكون ، وكيف يفزع كل من فيه عند النفخ للبعث والنشور ، ونبهت إلى حال الأرض وأن جبالها تمر مر السحاب ، ورسمت ما يتبعه الرسول فى دعوته ، ووجوب أن يحمد الله سبحانه .

١ - طس - حرفان صوتيان ابتدأ بهما السورة الكريمة تنبيها إلى سر الاعجاز فى القرآن مع الاشارة إلى أنه من جنس ما يتكلمون ولتنبيه الأذهان للاستماع إليه .

تلك آيات المنزل مقروءا تتلونه ، وهو كتاب مبين لما جاء به .

٢ - وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الخير والفوز فى الدنيا والآخرة ، ومبشر لهم بحسن المآل .

ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ

---

٣ ـ الذين يؤدون الصلاة فى خشوع مستوفية الأركان ، ويعطون الزكاة فى أوقاتها ، وهم يوقنون بالحياة الآخرة ، وما يكون فيها من ثواب وعقاب .

٤ ـ ان الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ، زينالهم أعمالهم بخلق الشهوة فيهم ، فهم يترددون فى ضلالهم .

٥ ـ أولئك الذين لهم العذاب السيىء ، وهم فى الآخرة أشد الناس خسرانا .

٦ ـ وانك أيها النبى لتتلق القرآن الذى ينزل عليك من لدن من لايدانى فى حكمته ، وقد أحاط بكل شىء علما .

٧ ـ اذكر حين قال موسى لزوجته ومن معه وهو عائد إلى مصر : انى أبصرت نارا ، سآتيكم منها بخبر عن الطريق ، أو آتيكم بشعلة مضيئة نارا مقبوسة ، لعلكم تستدفئون بها من البرد .

٨ ـ فلما وصل إليها نودى : أن بورك من فى مكان النار ومن حولها . وهم الملائكة وموسى . ونزه الله رب العالمين عن كل ما لا يليق به .

٩ ـ يا موسى انى أنا الله المستحق للعبادة وحده ، الغالب على كل شىء ، الذى يضع كل أمر فى موضعه .

١٠ ـ وفى سبيل أن تؤدى دعوتك ألق عصاك . فلما القاها ورآها تهتز كأنها حية خفيفة سريعة ، أعرض عنها راجعا إلى الوراء ، ولم يعد اليها بعد أن أدبر عنها . فطمأنه الله تعالى بقوله : لاتخف انى لا يخاف عندى المرسلون حين أخاطبهم[1] .

١١ ـ لكن من عمل شيئا غير مأذون له فيه ، ثم بدل حسنا بعد هفوة ، فإنى كثير المغفرة عظيم الرحمة . .

---

(١) ذكرت قصة موسى أكثر من مرة فى القرآن ، وفى بعضها يحذف ما سيذكر فى غيره ، ولكل جزء مناسبة ، فى هذا الجزء إزالة استغراب أن يوحى إلى النبى ﷺ .

يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

---

١٢ - وأدخل يدك فى فتحة ثوبك تخرج بيضاء من غير برص، فى جملة تسع معجزات[١]، مرسلا إلى فرعون وقومه، انهم كانوا قوما خارجين عن أمر الله كافرين.

١٣ - فلما جاءت هذه المعجزات واضحة ظاهرة قالوا: هذا سحر واضح بين.

١٤ - وكذبوا بها منكرين لدلالتها على صدق الرسالة، وقد وقع اليقين فى قلوبهم، ولكنهم لم يذعنوا لاستعلائهم بالباطل وطغيانهم، فانظر أيها النبى كيف كانت عاقبة الذين دأبوا على الفساد، فكفروا بالمعجزات وهى واضحة؟

١٥ - هذا طغيان فرعون بسبب ملكه، فانظر إلى السلطان العادل، سلطان الحكم وسلطان النبوة فى داود وابنه سليمان عليهما السلام، لقد آتيناهما علما كثيرا بالشريعة ودراية الأحكام، فأقاما العدل وحمدا الله الذى منحهما فضلا على كثير من عباده الصادقين المذعنين للحق.

١٦ - وقد آل الملك والحكم من داود إلى سليمان ابنه، وقال: يأيها الناس علمنا لغة الطير، وأوتينا كثيرا مما نحتاج إليه فى سلطاننا: أن هذه النعم لهى الفضل الواضح الذى خصنا الله به[٢].

١٧ - وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فى صعيد واحد، فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يكونوا جيشا منظما خاضعا.

١٨ - حتى إذا بلغوا وادى النمل قالت نملة: يأيها النمل ادخلوا مخابئكم، لكيلا تميتكم جنود سليمان وهم لا يحسون بوجودكم[٣].

---

(١) تلك التسع هى: فلق البحر والطوفان - والجراد - والقمل - والضفادع - والدم - والجدب - والعصا - وإخراج اليد بيضاء من غير سوء.

(٢) «وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء، إن هذا لهو الفضل المبين»: سليمان عليه السلام هو ابن داود، وهو نبى وملك مثله، عاش من حوالى سنة ٩٧٤ إلى ٩٣٧ ق . م أختصه الله تعالى بمعرفة لغة الطير. وقد دلت الأبحاث الحديثة على أن لكل جماعة من الطير طريقة خاصة يتفاهم بها أفراده منها اللمس، ومنها الصوت، ومنها الإشارة.

(٣) «حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون»: يتضح من هذه الآية الشريفة أن النمل يعيش فى جماعات: أى أن له مجتمعا وأن من خصائصه اليقظة والحذر.. وقد عرف لمجتمع النمل منذ القدم خصائص عدة تشهد بأن له مجتمعا منظما له نظام دقيق فى الحكم وأنه على قدر كبير من الذكاء والدهاء وقوة الذاكرة وحب العمل والمثابرة، والجهاد الذى لا يعرف الكلل ولا اليأس، كما عرف عنها سعة الحيلة فيما تقوم به من أعمال. وآية ذلك أن مجتمع النمل هو الوحيد بين المخلوقات الحية بعد الإنسان الذى يقوم بدفن موتاه، وتحرص جماعاته المختلفة على الالتقاء فى =

صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا

١٩ ـ فتبسم سليان ضاحكا من قول هذه النملة الحريصة على مصالحها ، وأحس بنعمة الله تعالى عليه وقال : يا خالق الهمنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت بها على وعلى والدى ، ووفقنى لأن أعمل الأعمال الصالحة التى ترضاها ، وأدخلنى برحمتك السابقة فى عبادك الذين ترتضى أعمالهم .

٢٠ ـ وتعرف جنوده من الطير فلم يجد الهدهد ، فتعجب وقال : مالى لا أرى الهدهد ؟ أهو بيننا ولم يقع عليه نظرى ، أم هو غائب عنا ليس بيننا ؟ ؟ !

٢١ ـ والله لأنزلن به عذابا شديدا يردعه ، أو لأذبحنه ان كان الذنب عظيما ، الا أن يأتينى بحجة بينة تبرر غيابه عنى .

٢٢ ـ وكان الهدهد قد مكث فى مكان غير بعيد زمانا غير مديد ، ثم جاء إلى سليان يقول له : قد أحطت علما بما لم يكن عندك علم به ، وجئتك من سبأ بخبر ذى شأن عظيم وهو مستيقن به[1] .

٢٣ ـ انى وجدت فى أهل سبأ امرأة تحكمهم ، وأوتيت من كل شىء من أسباب الدنيا ، ولها سرير كبير يدل على عظمة ملكها وقوة سلطانها .

٢٤ ـ وجدتها هى وقومها يعبدون الشمس ولا يعبدون الله ، وحسن لهم الشيطان أعمالهم فظنوها حسنة وهى السوء ، فصرفهم بذلك عن سبيل الحق ، فهم لا يهتدون .

صعيد واحد من حين إلى آخر ، ولهذا خصص أياما معينة لإقامة سوق تجتمع فيه جماعاته لتبادل السلع وللتعارف ، وهذه الجماعات حين تلتق تتجاذب أطراف الحديث باهتمام بالغ ويسال بعضها البعض أسئلة تتصل بشئونها . . ومن مظاهر مجتمعها المترابط قيامها بمشروعات جماعية مثل إقامة الطرق الطويلة ، فى إناة ومثابرة تثيران الدهشة ، ولا تكتفى هذه الجماعات بالعمل نهارا بل تواصله ليلا فى الليالى القمرية ولكنها تلتزم مستعمراتها فى الليالى المظلمة ، ولأعضاء هذا المجتمع فى جمع المواد الغذائية وحملها وتخزينها والمحافظة عليها طرق فريدة فى نوعها ، فإذا لم تستطع النملة حمل ما جمعته فى فمها كعادتها لكبر حجمه حركته بأرجلها الخلفية ورفعته بذراعيها ، ومن عاداتها أن تقضم الجذور وتفلق بعض الحبوب قبل تخزينها حتى لا تعود إلى الإنبات مرة أخرى ، وتجزىء البذور الكبيرة لكى يسهل عليها إدخالها فى مستودعاتها ، وإذا ما أبتلت بفعل المطر أخرجتها إلى الهواء والشمس لتجف .

(١) « فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » : هذه هى الآيات الخاصة بمملكة سبأ ، وسبأ هى إحدى ممالك بلاد العرب الجنوبية المسماة باليمن المعروفة فى العالم القديم « بالعربية السعيدة » وتشير هذه التسمية الأخيرة إلى تقدم اليمن وثرائها ، فلقد كان لها حضارة راقية منذ الألف الثانى قبل الميلاد ، قامت على الزراعة . وذلك لخصب أراضيها ، وملاءمة مناخها ، وكذلك على التجارة لتوسطها بين الهند والحبشة والصومال والشام والعراق ، والحق إن السدود المنشأة لخزن المياه وتصريفها وأشهرها سد مارب « انظر سيل العرم ، الآية ١٦ من سورة سبأ » والمدن المحصنة والقصور والهياكل القائمة حين ذاك فى أنحائها تشهد إلى اليوم بما كانت تتمتع به هذه البلاد من تقدم اجتماعى وثراء .

وأن النقوش التى خلفها حكامهم ومن بين تلك النقوش مجموعة من القوانين التى نظمت شئون الملكية العقارية وغيرها عندهم لتدل كل الدلالة على مبلغ ما وصلوا إليه من حضارة زاهرة . ومملكة سبأ التى كانت فى أوج أزدهارها على أيام سليان ـ عليه السلام ـ « حوالى القرن العاشر قبل الميلاد » كان الحكم فيها ـ شأنها شأن مملكة معين قبلها ـ ملكا وراثيا يرثه الأبناء عن الآباء . ومن هنا كانت تحكمها على أيام سليان ـ عليه السلام ـ ملكة اختلف المؤرخون فى اسمها ، ويطلق عليها العرب بلقيس . . يعاونها شيوخ المملكة الأشراف كمجلس شورى لها « انظر الآيات من ٢٨ ـ ٣٣ » من سورة النمل ، ولم يثبت التاريخ أن مملكة سبأ كانت دولة فتح بل مملكة تجارة وقوافل . ولا نجد للحرب أو للفتح ذكرا فى آثارها إلا قليلا ، ولهذا فإن مهمة جيوشها كانت لحفظ القلاع وحمايتها وحراسة القوافل فى الغالب . . وكان السبئيون وثنيين يعبدون الشمس على نحو ما ورد فى الآية الشريفة رقم ٢٤ من هذه السورة . . والقمر وهما أهم آلهتهم ، وكانوا يقدمون لهما القرابين ويحرقون البخور فى هياكلها .

تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ

٢٥ - الا يسجدوا لله تعالى، وهو الذى يخرج المخبوء فى السموات والأرض، ويعلم ما تسرون وما تظهرون ؟ !

٢٦ - الله لا معبود بحق سواه، صاحب السلطان المطلق العظيم على كل ما فى الوجود.

٢٧ - قال سليمان مخاطبا الهدهد : سنتحرى خبرك هذا، أصدقت فيه أم كنت من الكاذبين ؟

٢٨ - اذهب بكتابى هذا فأوصله اليها وإلى قومها، ثم تنح عنهم متواريا فى مكان قريب، لتنظر فيما يرجع به بعضهم إلى بعض ويرددونه من قول.

٢٩ - وصل الكتاب اليها فجمعت أشراف قومها، وذوى شوراها، وقالت : يأيها الملأ انى قد وصل إلى كتاب عظيم الشأن.

٣٠ - ثم تلت الكتاب عليهم، أنه مفتتح باسم الله ذى الجلال والانعام، الذى يفيض برحمته دائما على خلقه.

٣١ - لا تتكبروا على، وأتونى منقادين خاضعين.

٣٢ - قالت لمجلس شوراها : بينوا لى الصواب فى هذا الأمر الخطير الذى عرض لى، فإنى لا أبت فى أمر حتى يكون بمحضركم.

٣٣ - قالوا مطمئنين لها : نحن أصحاب قوة بدنية وأهل نجدة وشجاعة، لا نخاف الحرب، فانظرى فى الأمر الذى تأمريننا به، فانا مطيعون.

٣٤ - قالت متريثة مسالمة : ان الملوك إذا دخلوا مدينة عظيمة بجيوشهم أفسدوها، فاذهبوا عمرانها، وأبادوا الحرث والنسل، وأفعالهم كذلك دائما.

٣٥ - وانى ايثارا للسلم والعافية مرسلة إلى سليمان وقومه بهدية، ومنتظرة ما يرجع به الرسل، بقبول الهدية أم بردها.

٣٦ - وصل الرسل إلى سيدنا سليمان بالهدية، فقال لهم شاعرا بأنعم الله تعالى عليه، مخاطبا لها ولقومها فى مواجهة رسلها : أتعطوننى مالا ؟ ! فما أعطانى الله من النبوة والملك والنعمة أعظم مما آتاكم. بل أنتم بهديتكم وكثرة أموالكم تفرحون لا مثلى، لأنكم لا تعلمون الا مايتعلق بالدنيا.

لَاقِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن

---

٣٧ - وقال يخاطب المتكلم باسمهم : ارجع أيها الرسول اليهم ، فوالله لنأتيهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها ، ولنخرجنهم من سبأ فاقدى العز ، وهم مستعبدون .

٣٨ - اتجه سليمان إلى الاستعانة بمن سخرهم الله له من الانس والجن ، ليفاجئها بأمر غريب ، فقال : أيكم يأتينى بعرشها العظيم قبل أن يأتونى خاضعين منقادين ؟

٣٩ - قال مارد من الجن : أنا آتيك به . وأنت فى مجلسك هذا قبل أن تقوم منه ، وانى لقادر ، أمين فى قولى وفعلى .

٤٠ - قال الذى آتاه الله قوة روحية وعلما من الكتاب : أنا آتيك بهذا العرش قبل أن تحرك أجفانك ، وقد نفذ ما قال . فلما رأى سليمان العرش ثابتا عنده غير مضطرب قال : هذا من فضل الله الذى خلقنى وأمدنى بخيره ليختبرنى أأشكر هذه النعمة أم لا أؤدى حقها ، ومن شكر الله فانما يحط عن نفسه عبء الواجب ، ومن يترك الشكر على النعمة فإن ربى غنى عن الشكر ، كريم بالانعام .

٤١ - قال سليمان لحاشيته : أخفوا عنها العرش ببعض التغيير فى مظاهره ، لنرى ، أتعرفه مهتدية إليه أم لا تعرفه فلا تهتدى إليه ؟

٤٢ - فلما أقبلت ، وجهت نظرها إلى عرشها ، فقيل لها : أهذا مثل عرشك ؟ فقالت لكمال التشابه : كأنه هو . وقال سليمان ومن معه : أوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده مثل علمها وكنا قوما منقادين لله مخلصين العبادة له .

٤٣ - وصرفها عن عبادة الله ما كانت تعبده من آلهة غير الله تعالى من شمس ونحوها ، انها كانت من قوم كافرين .

قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

٤٤ - قيل لها من بعد ذلك : ادخلى قصر سليمان ، وكان صحنه من زجاج تحته ماء يسبح فيه السمك ، فكشفت عن ساقيها ، تحسب ما تمر فيه ماء فنبهها سليمان إلى أن الصحن أملس مكون من زجاج ، فراعها ذلك المنظر المادى ، وعلمت أن ملكها لا يساوى شيئًا بجوار ملك سليمان النبى ، فقالت : رب انى ظلمت نفسى باغترارى بملكى وكفرى . وأذعنت فى صحبة سليمان مؤمنة بالله تعالى خالق العالمين ومربيهم والقائم عليهم .

٤٥ - ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، بأن وحدوا الله ، فسارعوا إلى الاختصام والاختلاف ، وصاروا فريقين ، أحدهما مؤمن والآخر كافر .

٤٦ - قال صالح ناصحا لهم : يا قوم لم تستعجلون بالعذاب الذى توعدون قبل التوبة ، هلا تطلبون المغفرة من ربكم وتؤمنون به رجاء أن ترحموا ؟ !

٤٧ - وقالوا : تشاءمنا بك أنت ومن معك وأصابنا القحط ، قال : أسباب الخير والشر الذى نزل بكم انما كان من عند الله . بل أنتم قوم تختبرون بالسراء والضراء ، لعلكم تؤمنون .

٤٨ - وكان زعماء الشر فيهم تسعة ، يفسدون بآرائهم ودعايتهم فى الأرض ، وليس من شأنهم عمل الصالح .

٤٩ - قال أولئك المشركون بعضهم لبعض : تبادلوا القسم بالله لنغيرن عليه هو وأهله ونقتلهم ، ثم نقول لولى دمه : ما شهدنا هلاكه ولا هلاك أهله ، وانا لصادقون فيما ذكرنا .

٥٠ - دبروا الفتك بصالح وأهله ، والله من ورائهم قد دبر النجاة لنبيه وأهله والهلاك لهم وهم لا يشعرون بتدبير الله .

٥١ - فانظر أيها النبى إلى عاقبة تدبيرهم وتدبيرنا لنبينا ، أنا أهلكناهم وقومهم أجمعين .

لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا

---

٥٢ - فانظر إلى آثارهم تجد بيوتهم ساقطة متهدمة ، بسبب ظلمهم وكفرهم وارادتهم الشر لنبيهم ، ان فيما فعل بثمود لآية لقوم يعلمون قدرتنا فيتعظون .

٥٣ - وأنجينا الفريق المؤمن بصالح من هذا الهلاك وكانوا يتقون ترك أوامره .

٥٤ - واذكر أيها النبى لوطا وخبره مع قومه الفاسقين الشاذين ، إذ قال لهم : أتأتون هذا الذنب البالغ أقصى درجات الفحش والشذوذ ، وأنتم تبصرون وتنظرون الشر الذى استمرأتموه ؟

٥٥ - أيسوغ فى نظر العقل والفطرة أن تأتوا الرجال بشهواتكم وتتركوا النساء ؟ ! بل أنتم قوم قد أصابكم الحمق والجهل المطبق حتى صرتم لا تميزون بين الخبيث والطيب .

٥٦ - فما كان رد قومه عليه حين نهاهم إلا قولهم : أخرجوا لوطا وأتباعه من هذه القرية ، لأنهم يتنزهون عن مشاركتنا فيما نفعل .

٥٧ - فخلصناه هو وأهله من العذاب الذى سيقع بالقوم إلا امرأته ، قدر الله أن تكون من الباقين حتى تهلك بالعذاب مع الكافرين .

٥٨ - وأمطرنا على هؤلاء المفسدين مطر عذاب ونقمة ، فكان مطرا سيئا مهلكا لمن أنذروا بالعذاب الأليم ولم يذعنوا .

٥٩ - قل - أيها الرسول - : إنى أحمد الله وأثنى عليه وحده ، واسأل الله سلاما وتحية لعباده الذين اختارهم لأداء رسالته ، وقل - أيها الرسول - للمشركين : هل توحيد الله خير لمن آمن أم عبادة الأصنام التى أشركتم بها وهى لا تملك ضرا ولا نفعا ؟ !

بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ

---

٦٠ - بل اسألهم - أيها الرسول - عمن خلق السموات والأرض وما فيها ، وأنزل لأجلكم من السماء غيثا نافعا ، فأنبت به بساتين ذات حسن وبهاء . ما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها المختلف الأنواع والألوان والثمار ! ! هذا التناسق فى الخلق يثبت أن ليس مع الله إله ، ولكن الكفار قوم يعدلون عن الحق والايمان ويميلون للباطل والشرك .

٦١ - بل اسألهم - أيها الرسول - عمن مهد الأرض للاقامة فيها والاستقرار عليها ، وخلق وسطها أنهارا ، وخلق عليها جبالا تمنعها من الميل ، وجعل بين الماء العذب والماء الملح فاصلا يمنع امتزاج أحدهما بالآخر ! ! ليس هناك إله مع الله فهو الخالق وحده ، لكن أكثر الناس لا ينتفعون بالعلم الحق على وجهه وكأنهم لا يعلمون .

٦٢ - بل اسألهم - أيها الرسول - عمن يجيب المضطر - فى دعائه - إذا أحوجته الشدة فلجأ إلى الله فى ضراعة وخشوع ، ويدفع عن الانسان ما يعتريه من مكروه ، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم فى الأرض ! ! ليس هناك إله مع الله المانح لهذه النعم ، ولكنكم أيها الكافرون قلما تتعظون .

٦٣ - بل اسألهم أيها الرسول - عمن يرشدهم إلى السير فى ظلام الليل برا وبحرا ، وعمن يبعث الرياح مبشرة بمطر هو رحمة من الله !؟ أهناك اله مع الله تعالى يصنع ذلك ؟ ! تنزه الله سبحانه عن أن يكون له شريك .

٦٤ - بل اسألهم أيها الرسول عمن ينشىء الخلق ابتداء ، ثم يوجده بعد فنائه كما كان ، ومن الذى ينزل لكم الرزق من السماء ويخرجه من الأرض ، ليس هناك اله مع الله يفعل ذلك . قل أيها الرسول موبخا لهم ومنكرا عليهم : ان كان لكم اله سوى الله فأقيموا لنا حجة على ذلك ان كنتم تزعمون أنكم صادقون ، ولن يتأتى لكم ذلك .

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ

---

٦٥ ـ قل أيها الرسول : ان من تفرد بفعل هذا كله قد تفرد سبحانه بعلم ما فى السموات والأرض من أمور الغيب ، وهو الله وحده ، وما يعلم الناس أى وقت يبعثون فيه من قبورهم للحساب والجزاء .

٦٦ ـ تلاحق علمهم فى الآخرة من جهل بها إلى شك فيها ، وهم فى عماية عن ادراك الحق فى أى شيء من أمرها لأن الغواية أفسدت ادراكهم .

٦٧ ـ وقال الكافرون منكرين للبعث : أئذا صرنا ترابا وبليت أجسامنا وأجسام آبائنا السابقين هل نعاد ونخرج إلى الحياة من جديد ؟ !

٦٨ ـ لقد وعدنا محمد بهذا البعث كما وعد الرسل السابقون آباءنا ، ولو كان حقا لحصل ، وليس هذا إلا من أكاذيب السابقين .

٦٩ ـ قل لهم أيها الرسول : تجولوا فى الدنيا وانظروا آثار ما حل بالمكذبين من عذاب الله لعلكم تعتبرون بهذا ، وتخشون ما وراءه من عذاب الآخرة .

٧٠ ـ لا تحزن ـ أيها الرسول ـ على الكافرين الذين لم يتبعوك ، فانما عليك البلاغ ، ولا يكن فى صدرك حرج من مكرهم وكيدهم ، فإن الله ناصرك عليهم .

٧١ ـ ويبالغ الكافرون فى التكذيب ، فيستعجلون العذاب قائلين : متى يحين موعد العذاب الذى هددتمونا به ، ان كنتم صادقين فى أن العذاب نازل بالمكذبين ؟ !

٧٢ ـ قل ـ أيها الرسول ـ : لعله أن يكون قد لحق بكم وقرب منكم بعض ما تستعجلونه من العذاب .

٧٣ ـ وان الله ربك ـ أيها الرسول ـ لصاحب انعام واحسان على الناس كافة ، ومن رحمته تأخير العقوبة على المكذبين ، ولكن أكثر الناس لا يدركون فضل الله ولا يشكرونه .

٧٤ ـ وان الله ربك ـ أيها الرسول ـ لعليم بكل ما يسرون وما يعلنون من الأقوال والأفعال المنكرة ، ومجازيهم عليها .

مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا

---

٧٥ - وما من خافية غائبة مهما صغرت وضؤلت فى السموات أو فى الأرض إلا علمها الله وأحصاها فى كتاب حق عنده .

٧٦ - ان هذا الكتاب الذى أنزل على محمد يبين لبنى اسرائيل حقيقة ما جاء فى التوراة من عقائد وأحكام وقصص ، ويردهم إلى الصواب فيما اختلفوا فيه .

٧٧ - وان هذا الكتاب لهداية من الضلال ورحمة من العذاب لجميع من آمن به .

٧٨ - ان ربك - أيها الرسول - يفصل بين الناس جميعا يوم القيامة بعدله . وهو الغالب فلا يرد قضاؤه ، العليم فلا يلتبس لديه حق بباطل .

٧٩ - ففوض أمرك - أيها الرسول - إلى الله ، وثابر بدعوتك واثقا بنصره ، لأنك على الحق الواضح . ولا يضرك اعراض الكافرين عنك .

٨٠ - انك - أيها الرسول - لا تستطيع هدايتهم ، فانهم كالموتى فى عدم الوعى ، وكالصم فى فقدان أداة السمع ، فليسوا مستعدين لسماع دعوتك لتماديهم فى الاعراض عنك .

٨١ - ولست بمستطيع أن تهدى إلى الحق من عميت أبصارهم وبصائرهم ، ولا يمكنك أن تسمع إلا من يقبل على الايمان بآياتنا ، فهم مطيعون مستجيبون .

٨٢ - وإذا قرب أن يتحقق وعد الله بقيام الساعة ، وأن يقع العذاب على الكافرين ، أخرج الله للناس دابة من الأرض تقول لهم من جملة ما تقول : أن الكفار كانوا بمعجزاتنا كلها وباليوم الآخر لا يؤمنون ، وقد تحقق الآن ما كانوا به يكذبون . . وهاهو ذا هول الساعة وما وراءها(١) .

---

(١) هذا تفسير الآية بظاهر ألفاظها . وهناك تفسيران آخران تحتملها الآية : « أولهما أن المراد من الدابة كل ما يدب من الأناسى أو غيرها ، وتحمل هنا على الأناسى ، ومجيئها قبل القيامة . والمعنى أنه إذا وقع القول عليهم وحق العذاب جاءتهم جموع عظمى من المؤمنين تدب إليهم . وتملأ السهل والربى وتزلزل أركان الكفر . وتهدم بنيانه . « ثانيها » أن تكون كلمة الدابة يراد بها الأشرار الذين هم فى الجهل بمنزلة الدواب ، كما قال الأصفهانى فى مفرداته ، والمعنى أنه عندما يقرب يوم القيامة يكثر الشر والفساد ، وتكون القيامة التى كذب بها الكافرون ، ويكون هذا هو القول ، وهو بلسان الحال لا بالمقال ، كالرأى الذى سبق .

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

---

٨٣ - واذكر - أيها الرسول - يوم نجمع من كل أمة طائفة من المكذبين بآياتنا، وهم الزعماء المتبعون. فهم يساقون فى مقدمة أممهم إلى الحساب والجزاء.

٨٤ - وحينما يقفون بين يدى الله للحساب يقول - سبحانه - لهم تبكيتا وتعنيفا: قد كذبتم بكل آياتى وأنكرتموها دون تدبر ولا فهم، بل ماذا كنتم تعملون وأنتم لم تخلقوا عبثا؟

٨٥ - وحل بهم العذاب بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر، فهم عاجزون عن الدفاع والاعتذار.

٨٦ - لقد شاهدوا أن الله جعل الليل ليستريحوا فيه، وجعل النهار مضيئا، ليتصرفوا فيه ويسعوا على معايشهم، ان فى ذلك لدلالات واضحة على الوهية الله ووحدانيته لقوم يتدبرونها فيؤمنون.

٨٧ - واذكر - أيها الرسول - يوم ينفخ اسرافيل فى البوق بإذن الله، فيرتعب من فى السموات ومن فى الأرض من هول النفخة، إلامن طمأنه الله وأعفاه من الفزع، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين.

٨٨ - وترى - أيها الرسول - الجبال تظنها ثابتة لا تتحرك، ولكنها فى واقع الأمر تتحرك بسرعة كالسحاب، وهذا من صنع الله الذى خلق كل شىء وأبدعه. انه سبحانه كامل العلم بما يفعل الناس من طاعة ومعصية، ومجازيهم عليه[1].

٨٩ - كل من أتى بالحسنة فى الدنيا وهى الايمان والاخلاص فى الطاعة فله فى الآخرة الثواب الأعظم من أجل ما تقدم. وأصحاب هذه الحسنات آمنون من الخوف والفزع يوم القيامة.

٩٠ - وكل من أتى فى الدنيا بالسيئة - وهى الشرك والمعصية - ومات على ذلك فجزاء هذا الفريق أن يكبهم الله على وجوههم فى النار يوم القيامة ويقال لهم حينئذ - توبيخا - انكم لا تجزون اليوم الا بسبب شرككم ومعصيتكم.

---

(١) «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب، صنع الله الذى أتقن كل شىء، إنه خبير بما تفعلون»: تقرر هذه الآية الكريمة أن جميع الأجسام التى تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال والبحار والغلاف الجوى ... إلخ تشترك مع الأرض فى دورتها اليومية حول محورها ودورتها السنوية حول الشمس، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض فى ظلام دامس لمدة ستة أشهر والنصف الآخر فى نهار الخارجى والأجرام السماوية، لكن هذه الدورة لا تدرك فهى مثل حركة السحب فى الجو يراها الناظرون بعيونهم ولكن لا يسمعون صوتها أو =

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

---

٩١ - قل - أيها الرسول - للناس : ما أمرت أن أعبد أحدا الا الله رب مكة الذى كرمها ، فجعلها حرما آمنا ، لا يسفك فيها دم ، ولا يصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها .. وله سبحانه كل ما فى الكون خلقا وملكا وأمرت أن أكون من الخاضعين لله .

٩٢ - وأمرت أن أواظب على تلاوة القرآن عبادة وتدبرا ودعوة إلى ما فيه ، فمن اهتدى وآمن به واتبعك فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه لا لك ، ومن ضل عن الحق ولم يتبعك فقل : انما أنا رسول ، أنذر وأبلغ .

٩٣ - وقل - أيها الرسول - : الحمد لله على نعمة النبوة والهداية : سيكشف الله لكم فى الدنيا عن آثار قدرته ، وفى الآخرة عن صدق ما أخبركم به فتعرفوها معرفة حق ، وليس الله بعاجز عن حسابكم ولا بغافل عن أعمالكم

= يلمسونها وتبين هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل : خلق الكون والقوانين التى تنظمه وهو قادر على أن يجعل الأرض ساكنة لا تدور حول محورها أو يجعل فترة دورانها حول محورها تساوى فترة دورانها حول الشمس ، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض فى ظلام دامس لمدة ستة أشهر والنصف الآخر فى نهار ساطع الضوء مما يؤدى إلى اختلال التوازن الحرارى على الأرض كلها ، وفى هذا فناء الأحياء التى عليها ، والله - سبحانه وتعالى - هو الذى وضع هذا النظام المحكم رحمة ورأفة بعباده .

وبالرغم من أن « اريستاخورس » « الفلكى السكندرى ٣١٠ - ٢٣٠ ق . م » كتب فى موضوع دوران الأرض حول نفسها ، فإن هذه الكتابات العلمية القديمة لم تصل إلى العرب وقت محمد ﷺ أو قبله . بل أن أول من أشار إلى هذه المعلومات منهم هو البيرونى عام ألف للميلاد ، بعد حركة الترجمة فى الدولة العباسية ، فإن إيراد هذه الحقائق العلمية على لسان النبى - التى لم تكن قد وصلت إلى علمه - دليل على أنها موحى بها من عند الله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

سورة القصص الثامنة والعشرون فى ترتيب السور بالمصحف ، وهى من السور المكية ، وعدد الآيات فيها ثمان وثمانون .

وقد اشتملت على تفصيل لما ذكر قبلها اجمالا ، من شأن موسى عليه السلام ، منذ ولد فى عهد فرعون ، وكان فرعون يقتل الأبناء من بنى اسرائيل خوف ظهور نبى يقضى على سلطانه .

ثم ما كان من تربية موسى فى بيت فرعون ، إلى أن خرج من مصر فارا بنفسه إلى مدين بالشام ، وعاد بزوجته بنت شعيب عليه السلام .

ثم ما كان من مناجاة الله لموسى أثناء عودته ، واختياره للرسالة ، وما حدث من شأن فرعون وسحرته مع موسى ، إلى أن أغرق الله فرعون وجنده ، ونجى موسى ومن معه من بنى اسرائيل ، ثم ما كان من بنى اسرائيل مع موسى وأخيه هارون ، وما يتصل بهذا من أنباء المكذبين كقارون ومن سبقه من الكافرين . ولهذا البيان الشامل سميت السورة بسورة القصص .

١ ـ طسم حروف صوتية سيقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف التى يتألف منها حديثكم ، ولتنبيه السامعين .

٢ ـ هذه الآيات التى نوحيها إليك ـ أيها الرسول ـ آيات القرآن المبين الواضح ، المظهر للحق من الباطل ، وللحلال من الحرام ، والوعد بالثواب ، والوعيد بالعقاب .

٣ ـ نقص عليك بعض أخبار موسى وفرعون بالصدق ، ليعتبر بما فيه المؤمنون .

٤ ـ ان فرعون تعاظم فى نفسه ، وجاوز الحد فى ظلمه ، واستكبر فى أرض مصر ، وصير أهلها فرقا ، يصطفى بعضها ويسخر بعضها ، ويستضعف منهم بنى اسرائيل ، فيذبح الذكور من أولادهم ويستبقى الاناث ، انه كان من المسرفين فى الطغيان والافساد .

٥ ـ وأراد الله أن يتفضل على الذين استضعفهم فرعون فى الأرض ، وأن يجعلهم هداة إلى الخير ، ويورثهم ملك الأرض والسلطان .

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ

---

٦ - ونثبتهم فى الأرض ويتخذون فيها مكانا ، ونثبت لفرعون ووزيره هامان وجندهما ما كانوا يخشونه ، من ذهاب ملكهم على يد مولود من بنى اسرائيل .

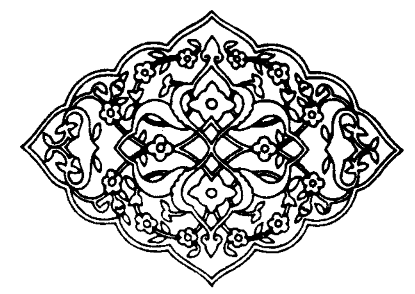
٧ - وألهم الله أم موسى - حينما خشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بنى اسرائيل - أن ترضعه مطمئنة عليه من قتل فرعون ، فإذا خشيت أن يعرف أمره وضعته فى صندوق وألقته فى النيل غير خائفة ولا محزونة ، فقد تكفل الله لها بحفظه ورده إليها ، وأن يرسله إلى بنى اسرائيل .

٨ - فأخذه آل فرعون ، ليتحقق ما قدره الله بأن يكون موسى رسولا معاديا لهم ومثيرا لحزنهم بنقد دينهم والطعن على ظلمهم ، ان فرعون وهامان وأعوانهما كانوا آثمين مسرفين فى الطغيان والفساد .

٩ - وقالت امرأة فرعون حين رأته لزوجها : هذا الطفل مبعث السرور لى ولك . نستبقيه ولا نقتله رجاء أن ننتفع به فى تدبير شأننا أو نتبناه ، وهم لا يشعرون بما قدر الله فى شأنه .

١٠ - وصار فؤادها خاليا من العقل لمادهمها من الجزع لوقوع ولدها فى يد فرعون ، انها كادت تظهر أمره بأنه ولدها ، لولا أن ثبت الله قلبها بالصبر لأعلنت أنه ولدها شفقة عليه ، ولتكون فى ضمن المؤمنين المطمئنين .

١١ - وقالت أمه لأخته : تتبعى أثره لتعرفى خبره ، فرأته عن بعد وهى تتجنب ظهور أمرها وفرعون وآله لا يدرون أنها أخته .



عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ

---

١٢ ـ ومنع الله الطفل موسى أن يرضع ثديا لمرضع قبل أن يرشدوا إلى أمه ، فاغتم آل فرعون ، وأهمهم ذلك . فقالت لهم أخته : ألا أرشدكم إلى أسرة تكفله وتتعهده بالرضاع والتربية ، وهم له حافظون ؟

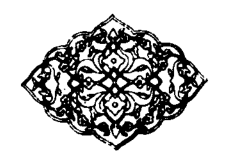
١٣ ـ فقبلوا ارشادها ، ورده الله إلى أمه كى تطيب نفسها ، وتفرح بعودته إليها ، ولا تحزن بفراقه . ولتزداد علما بأن وعد الله برده لها حاصل لا يتخلف ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عودة موسى إلى أمه لخفائه عليهم .

١٤ ـ ولما بلغ موسى رشده واكتمل نضجه أعطاه الله الحكمة والعلم . ومثل ذلك الاحسان الذى أحسنا به إلى موسى وأمه نكافىء المحسنين على احسانهم .

١٥ ـ ودخل موسى مصر فى وقت غفل فيه أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : أحدهما من بنى اسرائيل ، والآخر من قوم فرعون ، فاستعان به الاسرائيلى على خصمه فأعانه موسى ، وضرب الخصم بقبضة يده فقتله من غير قصد . . ثم أسف موسى ، وقال : ان إقدامى على هذا من عمل الشيطان ، ان الشيطان لعدو ظاهر العداوة واضح الضلال .

١٦ ـ قال موسى متضرعا إلى الله فى ندم : يارب إنى أسأت إلى نفسى بما فعلت ، فاغفر لى فعلتى ، فأجاب الله دعوته وغفر له ، ان الله هو العظيم المغفرة الواسع الرحمة .

١٧ ـ قال موسى متضرعا : يارب بحق انعامك على بالحكمة والعلم وفقنى للخير والصواب ، فإذا وفقتنى فلن أكون عونا للكافرين .



بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

---

١٨ - فأصبح موسى فى المدينة - مصر - فزعا ، يتوقع أن يصيبه الأذى من القوم بسبب قتله المصرى ، فوجد الاسرائيلى الذى طلب منه النصرة بالأمس يستغيث به مرة ثانية على مصرى آخر ، فنهره موسى قائل له : انك لشديد الغواية ظاهر الضلال ، حيث عدت لمثل ما فعلت بالأمس ودعوتنى مرة ثانية لنصرتك .

١٩ - فلما هم موسى بالبطش بالمصرى الذى هو عدو لهما ، بسبب هذه العداوة . قال - وقد ظن أن موسى سيقتله - : أتريد أن تقتلنى كما قتلت شخصا آخر بالأمس ، ما تريد إلا أن تكون طاغية فى الأرض ، وما تريد أن تكون من دعاة الاصلاح والخير .

٢٠ - وجاء رجل مؤمن من آل فرعون من أقصى المدينة حينما انتشر نبأ قتل موسى للمصرى ، يخبر موسى أن القوم يتشاورون لقتلك ويقول له : اخرج من المدينة فرارا من القتل ، انى لك من الناصحين .

٢١ - فخرج موسى من المدينة خائفا يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى ، ضارعا إلى الله أن ينجيه من ظلم الكافرين .

٢٢ - ولما توجه ناحية مدين قرية شعيب - لما فيها من الأمن - تضرع إلى الله أن يهديه طريق الخير والنجاة .

٢٣ - ولما وصل ماء آل مدين الذى يسقون منه وجد على جانب البئر جماعة كثيرة من أناس مختلفين يسقون مواشيهم ، ووجد فى مكان أسفل من مكانهم امرأتين تدفعان غنمهما بعيدا عن الماء ، فقال لهما موسى : لم تبتعدان عن الماء . فأجابتا : لا نستطيع الزحام ، ولا نسق حتى يسق الرعاة ، وأبونا شيخ طاعن لا يستطيع الرعى ولا السق .

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ

---

٢٤ ـ فتطوع موسى وسق لهما ، ثم ركن إلى ظل شجرة يستريح من الجهد . وهو يقول فى ضراعة : يارب إنى فقير لما تسوقه إلى من خير ورزق .

٢٥ ـ فجاءت احدى الفتاتين ـ مرسلة من قبل أبيها بعد أن علم بأمر موسى معهما ـ تسير إلى موسى فى حياء ، قالت : ان أبى يدعوك ليجزيك أجر سقيك لنا ، فلما ذهب إليه وقص عليه قصة خروجه من مصر قال والد الفتاتين : لاتخف ، نجوت من القوم الظالمين ، إذ لا سلطان لفرعون علينا .

٢٦ ـ قالت احدى الفتاتين : يا أبت اتخذه أجيرا لرعى الغنم والقيام على شأنها ، انه خير من تستأجره لقوته وأمانته .

٢٧ ـ قال له شعيب عليه السلام : انى أريد أن أزوجك واحدة من ابنتى هاتين على أن يكون مهرها أن تعمل عندنا ثمانى سنوات ، فإن أتممت عشرا فمن عندك تطوعا ، وما أريد أن الزمك بأطول الأجلين ، وستجدنى أن شاء الله من الصالحين المحسنين للمعاملة الموفين بالعهد .

٢٨ ـ قال موسى : ذلك الذى عاهدتنى عليه قائم بينى وبينك ، أى مدة من المدتين أقضيها فى العمل أكون وفيتك عهدك فلا أطالب بزيادة عليها ، والله شاهد على ما نقول .

٢٩ ـ فلما أتم موسى المدة المشروطة ، وأصبح زوجا لبنت الذى آواه ، وعاد بها إلى مصر أبصر فى طريقه من ناحية جبل الطور نارا ، فقال لمن معه : امكثوا هنا ، انى رأيت نارا استأنست بها فى هذه الظلمة ، سأذهب اليها لآتيكم من عندها بخبر عن الطريق أو بجذوة منها لعلكم تستدفئون بها .

رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا

٣٠ - فلما جاء موسى إلى النار التى أبصرها سمع من ناحية الجانب الأيمن له من الشجرة النابتة فى البقعة المباركة بجانب الجبل نداء علويا يقول له : يا موسى ، انى أنا الله الذى لا يستحق العبادة سواه ، خالق العالمين وحاميهم وحافظهم ومربيهم .

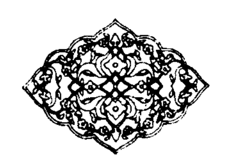
٣١ - ونودى : أن ألق عصاك ، فألقاها فقلبها الله ثعبانا ، فلما أبصرها موسى تتحرك كأنها حية فى سعيها خاف وفر فزعا ولم يرجع . فقيل له : يا موسى أقبل على النداء وعد إلى مكانك ولا تخف ، انك فى عداد الآمنين من كل مكروه .

٣٢ - وأدخل يدك فى طوق ثوبك تخرج شديدة البياض من غير عيب ولا مرض . واضمم يدك إلى جانبك فى ثبات من الخوف ، ولا تفزع من رؤية العصا حية ومن رؤية اليد بيضاء ، فهاتان المعجزتان من الله ، تواجه بهما فرعون وقومه حينما يقابلون رسالتك بالتكذيب خارجون عن طاعة الله .

٣٣ - قال موسى - متخوفا وطالبا العون - : يارب ، انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلونى به قصاصا .

٣٤ - وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى عونا فى التبليغ ، لأنى أخاف أن يكذبون .

٣٥ - قال الله - استجابة لدعائه - : سنقويك بهارون ، ونجعل لكما سلطانا وتأييدا بالمعجزات فلا يستطيعون الاعتداء عليكما ، وانكما ومن اتبعكما واهتدى بكما الغالبون المنتصرون على هؤلاء الكافرين .



ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً

---

٣٦ ـ فلما واجههم موسى بدعوته مؤيدة بالمعجزات الواضحة أنكروا ما شاهدوا ، وقالوا : ما هذا إلا سحر تفتريه على الله ، ولم نسمع بهذا الذى تدعيه فيمن سبقنا من آبائنا الأولين .

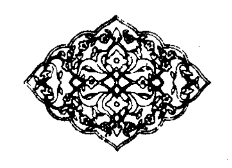
٣٧ ـ وقال موسى ـ ردا على فرعون وقومه ـ : ربى يعلم انى جئت بهذه الآيات الدالة على الحق والهدى من عنده ، فهو شاهد لى على ذلك ان كذبتمونى ، ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق ، انه لا يفوز بالخير الكافرون .

٣٨ ـ وقال فرعون ـ عندما عجز عن محاجة موسى ، تماديا فى طغيانه ـ : يأيها الملأ ، ليس لى علم بوجود إله لكم غيرى ، وأمر وزيره هامان أن يصنع له الآجر ويشيد له صرحا شامخا عاليا ليصعد عليه ، وينظر إلى الإله الذى يدعو إليه موسى ، ويؤكد فرعون مع ذلك أن موسى من الكاذبين فى ظنه .

٣٩ ـ وظل فرعون وجنوده مستكبرين فى أرض مصر بالباطل ، وظنوا أنهم لن يبعثوا فى الآخرة للحساب والجزاء .

٤٠ ـ فانتزعنا فرعون من سلطانه ، واستدرجناه هو وجنوده إلى اليم ، وأغرقناهم فيه نابذين لهم بسبب ظلمهم . فتدبر يا محمد ، وحذر قومك كيف كانت نهاية الظالمين فى دنياهم ؟ وانك لمنصور عليهم .

٤١ ـ قال تعالى : وجعلناهم دعاة يدعون إلى الكفر الذى يؤدى إلى النار ، ويوم القيامة لا يجدون من ينصرهم ويخرجهم من هذا العذاب .



وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ

---

٤٢ - وجعلناهم فى هذه الدنيا مطرودين من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المهلكين. وما حكى فى الآيتين بشأنهم دليل غضب الله.

٤٣ - ولقد أنزل الله التوراة على موسى بعد أن أهلك المكذبين من الأمم السابقة لتكون نورا للقلوب، لأنها كانت مظلمة لا تعرف حقا وارشادا، لأنهم كانوا يتخبطون فى الضلال، وطريقا لنيل الرحمة لمن عمل بها، ليتعظوا بما فيها فيسارعوا إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهى.

٤٤ - وما كنت يا محمد حاضرا مع موسى فى المكان الغربى من الجبل، حين عهد الله إليه بأمر الرسالة، ولم تكن معاصرا لموسى ولا شاهدا تبليغه للرسالة. فكيف يكذب قومك برسالتك وأنت تتلو عليهم أنباء السابقين؟!

٤٥ - ولكنا خلقنا أمما كثيرة فى أجيال طال عليها الزمن فنسوا ما أخذه عليهم من العهود، ولم تكن - أيها الرسول - مقيما فى مدين حتى تخبر أهل مكة بأنبائهم. ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها من طريق الوحى.

٤٦ - وماكنت - أيها الرسول - حاضرا فى جانب الطور حين نادى الله موسى واصطفاه لرسالته، ولكن الله أعلمك بهذا من طريق الوحى رحمة بك وبأمتك، لتبلغه قوما لم يأتهم رسول من قبلك لعلهم يتذكرون.

٤٧ - ولولا أن الكفار حين تصيبهم عقوبة بسبب كفرهم يعتذرون ويحتجون قائلين: ربنا لم ترسل إلينا رسولا نؤمن به ونذعن لمعجزاته ونكون من المؤمنين، ما كانت رسالات الرسل.

مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ

---

٤٨ ـ فلما جاء رسول الله محمد بالقرآن من عند الله قال الكفار: ليته أعطى مثل ما أعطى موسى من معجزات حسية وكتاب نزل جملة واحدة كالتوراة، وقد كفروا من قبل بموسى وآياته كما كفروا اليوم بمحمد وكتابه.. وقالوا: نحن بكل منهما كافرون، فالجحود هو الذى أدى إلى الكفر بالمعجزات.

٤٩ ـ قل لهم: ـ أيها الرسول ـ إذا لم تؤمنوا بالتوراة والقرآن فهاتوا كتابا من عند الله أحسن منهما هداية أو مثلهما أتبعه معكم، ان كنتم صادقين فى زعمكم أن ما جئنا به سحر.

٥٠ ـ فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الاتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا ولم يبق لهم حجة، وأنهم بذلك يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه فى الدين بغير هدى من الله، ان الله لا يوفق من ظلم نفسه باتباع الباطل دون أن ينشد حقا.

٥١ ـ ولقد أنزل الله القرآن عليهم متواصلا، بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة، ومتتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا، ليتدبروا ويؤمنوا بما فيه.

٥٢ ـ الذين أنزلنا لهم التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن، وآمنوا بهما، وصدقوا بما فيهما عن محمد وكتابه، هم بمحمد وكتابه يؤمنون.

٥٣ ـ وإذا يقرأ القرآن على هؤلاء قالوا ـ مسارعين إلى اعلان الايمان ـ: آمنا به لأنه الحق من ربنا ونحن عرفنا محمدا وكتابه قبل نزوله، فاسلامنا سابق على تلاوته.

٥٤ ـ أولئك الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل من قبله يعطون ثوابهم مضاعفا، بصبرهم على ما لحقهم من الأذى فى سبيل الايمان، ويؤثرون العمل الصالح، ويقابلون السيئة بالعفو والاحسان، وينفقون فى سبيل الخير مما منحهم الله من مال.

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم

---

٥٥ - وإذا سمعوا الباطل من الجاهلين انصرفوا عنه تنزها وترفعا ، وقالوا : لنا أعمالنا الحقة لا نحيد عنها ، ولكم أعمالكم الباطلة ووزرها عليكم ، ونحن نترككم وشأنكم لأننا لا نريد صحبة الجاهلين .

٥٦ - انك - أيها الرسول - شديد الحرص على هداية قومك ، ولكنك لا تستطيع أن تدخل فى الاسلام كل من تحب ، ولكن الله يهدى للايمان من علم فيهم قبول الهداية واختيارها ، وهو الذى يعلم علما ليس فوقه علم من سيدخل فى صفوف المهتدين .

٥٧ - وقال مشركو مكة للرسول - ﷺ - معتذرين عن بقائهم على دينهم : ان اتبعناك على دينك أخرجنا العرب من بلدنا وغلبونا على سلطاننا . وهم كاذبون فيما يعتذرون به ، فقد ثبت الله أقدامهم ببلدهم ، وجعله حرما يأمنون فيه - وهم كفرة - من الاغارة والقتل ، وتحمل إليه الثمرات والخيرات المتنوعة الكثيرة رزقا يسوقه الله اليهم من كل جهة ، فكيف يستقيم أن يسلبهم الأمن ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت الايمان بمحمد ؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق ، ولو علموا لما خافوا التخطف .

٥٨ - لم يعتبر هؤلاء بمصاير الأمم السابقة ، فقد أهلك قرى الذين اغتروا بنعمة الله ثم كفروا بها وبالله ، وهذه ديارهم خاوية لا تصلح للسكن بعدهم إلا فترات عابرة للمارين بها ، ولم يبق لها مالك بعدهم إلا الله ذو الجلال والاكرام .

٥٩ - وما كان من حكمة الله تعالى - وهو ربك الذى خلقك واصطفاك - أن يهلك المدن العظيمة الا بعد أن يرسل إلى أهلها رسولا بالمعجزات الباهرة يتلو عليهم الكتاب المنزل ، ويبين لهم شرائعه ثم لم يؤمنوا ، وما كنا مهلكى المدن العظيمة إلا وأهلها مستمرون على الظلم والاعتداء .

مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ

---

٦٠ - وكل شيء رزقتموه من أعراض الدنيا وزينتها فهو متاع محدود إلى أمد قريب ، فلا يصرفنكم عن الإيمان والعمل الصالح ، فإن ما عند الله فى الآخرة من الثواب والنعيم الخالد أنفع وأدوم من ذلك كله ، فلماذا لا تعملون عقولكم بدل أهوائكم ؟ !

٦١ - لا يستوى من آمن وعمل صالحا فاستحق وعد الله ، الوعد الحسن بالثواب والجنة . فهو مدركه كما وعده الله ، ومن كفر وعمل سيئا وفتنه متاع الحياة وزخرفها ، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب ، الهالكين فى العذاب .

٦٢ - واذكر - أيها الرسول - يوم يقف هؤلاء بين يدى الله للحساب ، فيناديهم سبحانه نداء توبيخ : أين الآلهة الذين زعمتموهم شركاء ، ليدافعوا عنكم أو ليشفعوا فيكم ؟ !

٦٣ - قال قادة الكفر من الذين حق عليهم غضب الله ووعيده : يا ربنا ، هؤلاء الذين دعوناهم إلى الشرك وزينا لهم الضلال أغويناهم ، لأنهم اختاروا الكفر وتقبلوه كما اخترناه نحن وتقبلناه : تبرأنا إليك منهم اليوم ومما اختاروه فى الدنيا من الكفر ، لم يعبدونا نحن ، بل عبدوا أهواءهم وأطاعوا شهواتهم .

٦٤ - وأمر المشركون من جانب الله أمر توبيخ ، بدعوة الآلهة التى أشركوها مع الله لتخلصهم من عذابه كما زعموا ، فخضعوا فى ذلة ودعوهم فى حيرة ، فلم يظفروا منهم بجواب ، وشاهدوا العذاب المعد لهم حاضرا ، وتمنوا لو أنهم كانوا فى دنياهم مؤمنين مهتدين لما حاق بهم ذلك العذاب .

٦٥ - واذكر - أيها الرسول - كذلك يوم ينادى المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ ، فيقال لهم : بأى شيء أجبتم رسلى الذين أرسلتهم لدعوتكم إلى الايمان فبلغوكم الرسالة ؟

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

---

٦٦ ـ فصارت الأخبار غائبة عنهم لا يهتدون اليها ، كأنهم فى عمى ، ولم يرجع بعضهم إلى بعض فى ذلك لتساويهم فى العجز عن الاجابة .

٦٧ ـ هذا شأن المشركين ، فأما من تاب من الشرك ، وآمن ايمانا صادقا وعمل الصالحات ، فهو يرجو أن يكون عند الله من الفائزين برضوان الله وبالنعيم الدائم المستمر .

٦٨ ـ وربك يخلق ما يشاء بقدرته ، ويختار بحكمته من يشاء للرسالة والطاعة على مقتضى علمه باستعدادهم لذلك ، ولم يكن فى مقدور الخلق ولا من حقهم أن يختاروا على الله ما يشاءون من أديان باطلة وآلهة زائفة ، تنزه الله ـ تعالى شأنه ـ عن الشركاء .

٦٩ ـ وربك ـ أيها الرسول ـ محيط علمه بما تخفيه صدور المشركين من عداوتهم لك ، وما يعلنون بألسنتهم من المطاعن فيك والاعتراض على اختيارك للرسالة .

٧٠ ـ وربك ـ أيها الرسول ـ هو الله الحق المختص بالألوهية ، المستحق ـ وحده ـ للحمد من عباده فى الدنيا على انعامه وهدايته ، وفى الآخرة على عدله ومثوبته . وهو وحده صاحب الحكم والفصل بين عباده ، وإليه المرجع والمصير .

٧١ ـ قل ـ أيها الرسول ـ : أخبرونى أيها الناس ، ان جعل الله عليكم الليل متتابعا دون نهار إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتيكم بنهار مضىء تقومون فيه بمعاشكم وشئون دنياكم ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تسمعون سماع تدبر واعتبار ؟

٧٢ ـ قل ـ أيها الرسول ـ للناس : ان جعل الله عليكم النهار متتابعا دون الليل إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتيكم بليل تستريحون فيه من عمل النهار ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تبصرون آيات الله فتؤمنوا وتهتدوا ؟

٧٣ ـ ومن رحمة الله بخلقه أن خلق لهم الليل والنهار وجعلهما متعاقبين ، ليستريحوا فى الليل ، وليسعوا على رزقهم ومنافعهم فى النهار ، وليدركوا فضل الله عليهم فيشكروه[1] .

---

(١) قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، لاشك فى أن خلق الأرض على صورتها الحالية ومركزها بالنسبة إلى الشمس ودورانها حول نفسها كل يوم مرة وحول الشمس فى كل سنة شمسية مرة ، لاشك فى أن هذا مظهر من مظاهر قدرة الله وحكمته ووحدانيته .

والآية الكريمة تنبه الناس إلى حقيقة يجب أن يعوها وهى أنه ـ تعالى لو خلق الأرض بحيث يكون ليلها دائما ، أو بحيث يكون نهارها دائما ، فليس هناك إله غيره يستطيع أن ينعم عليهم بالنهار والليل المتعاقبين .

=

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ

---

٧٤ - واذكر كذلك - أيها الرسول - يوم ينادى المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ ، فيقال لهم : أين الشركاء الذين زعمتموهم آلهة ينصرونكم أو شفعاء يشفعون لكم ؟ !

٧٥ - وأخرجنا يوم القيامة من كل أمة شهيدا هو نبيها . يشهد عليها بما كان منها فى الدنيا فنقول حينئذ للمخالفين منهم : ما هى حجتكم فيما كنتم عليه من الشرك والمعصية ؟ فيعجزون عن الجواب ، ويعلمون حينئذ أن الحق لله بداية ونهاية ، وغاب عنهم غيبة الشىء الضائع ما كانوا يفترون على الله .

٧٦ - ذكرت السورة قصة قارون ، وأنه كان من قوم موسى ، فتكبر عليهم غرورا بنفسه وماله ، وقد أعطاه الله كنوزا زاخرة بالأموال ، بلغت مفاتيحها من الكثرة بحيث يثقل حملها على الجماعة الأقوياء من الرجال ، وحين أغتر بنعمة الله عليه وكفر بها نصحه قومه قائلين له : لا تغتر بمالك ، ولا يفتنك الفرح به عن شكر الله ، ان الله لا يرضى عن المغرورين المفتونين ، والعبرة فى هذه القصة أن الكافرين بمحمد - ﷺ - قد اغتروا بأموالهم ، فبين القرآن أن أموالهم بجانب مال قارون ليس شيئا مذكورا .

٧٧ - واجعل نصيبا مما أعطى لك الله من الغنى والخير فى سبيل الله والعمل للدار الآخرة ، ولا تمنع نفسك نصيبها من التمتع بالحلال فى الدنيا ، وأحسن إلى عباد الله مثلما أحسن الله إليك بنعمته ، ولا تفسد فى الأرض متجاوزا حدود الله ، ان الله سبحانه لا يرضى عن المفسدين لسوء أعمالهم !

٧٨ - فلم يستجب قارون لنصح قومه ، ونسى فضل الله عليه ، وتجاهل أن الله قد أهلك قبله كثيرين كانوا أكثر منه قدرة على كسب المال وخبرة بوجوه استثماره ، والمجرمون لا يسألون عن ذنوبهم لعلمه تعالى بها ، فيدخلون النار بغير حساب وانما يسألون سؤال توبيخ .

= وذلك أن الأرض لو كانت تدور حول محورها وحول الشمس فى فترة واحدة مقدارها ٣٦٥ يوما تقريبا ، لحدثت تغيرات جوهرية منها استمرار الظلام فى نصفها واستمرار الضياء فى نصفها الآخر تقريبا ، وبهذا ترتفع الحرارة فى النصف المضاء ارتفاعا لا يطاق ، ويتجمد النصف المظلم ، ويصير النصفان غير صالحين للحياة ، أما نظام الأرض الحالى فإنه يكفل تعاقب الليل والنهار فينشأ السكون فى الليل والسعى فى النهار ، ويتهيأ الجو الصالح لحياة الإنسان والحيوان والنبات ، وهذا فضل من الله على عباده يستدعى الإقرار بقدرته ودوام شكره .

قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ

---

٧٩ - لم يعبأ قارون بنصح قومه ، وخرج عليهم فى زينته ، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا ، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أعطى قارون من المال والحظ العظيم فى الحياة .

٨٠ - أما الذين رزقهم الله العلم النافع فلم يفتنهم ذلك ، وتوجهوا بالنصح للمفتونين قائلين لهم : لا تتمنوا هذا ولا تنصرفوا عن الدين ، فإن ما عند الله من ثواب ونعيم أزكى لمن آمن به وعمل صالحا ، وتلك نصيحة حقة لا يتقبلها إلا من يجاهدون أنفسهم ويصبرون على الطاعة .

٨١ - فخسف الله به الأرض فابتلعته هو وداره بما فيها من أموال وزينة ، فلم يكن له أنصار يمنعونه من عذاب الله ، ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه !

٨٢ - وصار الذين تمنوا منذ وقت قريب منزلته من الدنيا يرددون عبارات التحسر والندم بعد أن فكروا فيما أصابه ! ويقولون : ان الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده المؤمنين وغير المؤمنين ، ويضيق على من يشاء منهم ، ويقولون شاكرين : لولا أن الله أحسن الينا بالهداية إلى الايمان والعصمة من الزلل لامتحننا باجابة ماتمنيناه ، ولفعل بنا مثل ما فعل بقارون ، ان الكافرين بنعمة الله لا يفلحون بالنجاة من عذابه !

٨٣ - تلك الدار التى سمعت خبرها - أيها الرسول - وبلغك وصفها - وهى الجنة - نخص بها المؤمنين الطائعين الذين لا يطلبون الغلبة والتسلط فى الدنيا ، ولا ينحرفون إلى الفساد بالمعاصى ، والعاقبة الحميدة إنما هى للذين تمتلىء قلوبهم خشية من الله فيعملون ما يرضيه !

٨٤ - الذى يأتى بالحسنة - وهى الايمان والعمل الصالح - له ثواب مضاعف بسببها . والذى يأتى بالسيئة - وهى الكفر والمعصية - فلا يجزى الا بمثل ما عمل من سوء .

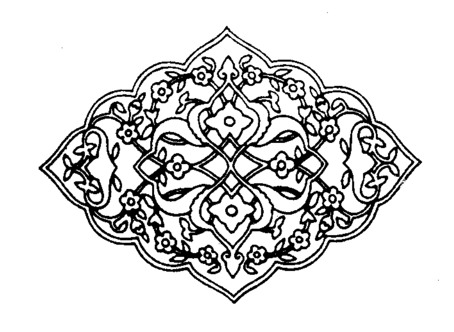
بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

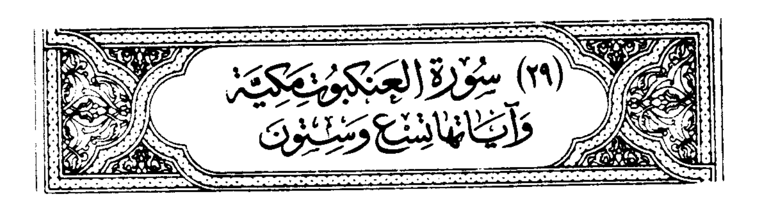
٨٥ ـ ان الله الذى أنزل القرآن ، وفرض عليك تبليغه والتمسك به لرادك إلى موعد ـ لا محالة منه ـ وهو يوم القيامة ليفصل بينك وبين مكذبيك ، قل ـ أيها الرسول ـ للكافرين : ربى هو الذى يعلم علما ليس فوقه علم بمن منحه الهداية والرشاد ، وبمن هو واقع فى الضلال الذى يدركه كل عاقل سليم الادراك !

٨٦ ـ وما كنت ـ أيها الرسول ـ تأمل وتنتظر أن ينزل عليك القرآن ، ولكن الله أنزله عليك من عنده رحمة بك وبأمتك ، فاذكر هذه النعمة ، وثابر على تبليغها ، ولا تكن أنت ولا من اتبعك عونا للكافرين على ما يريدون .

٨٧ ـ ولا يصرفك الكافرون عن تبليغ آيات الله والعمل بها ، بعد أن نزل بها الوحى عليك من الله وأصبحت رسالتك ، وثابر على الدعوة إلى دين الله ، ولا تكن أنت ولا من اتبعك من أنصار المشركين باعانتهم على ما يريدون .

٨٨ ـ ولا تعبد من دون الله الها سواه ، إذ ليس هناك إله يعبد بحق غيره ، كل ما عدا الله هالك وفان ، والخالد انما هو الله الذى له القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة ، وإليه لا محالة مصير الخلق أجمعين !





بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ

هذه السورة مكية، وعدد آياتها ٦٩، والآيات من ١ إلى ١١ مدنية، وقد ابتدأت السورة ببيان أنه لابد من أن يختبر ايمان المؤمنين بالشدائد، والجهاد لصيانة دولة الحق والايمان، وقد أوصى الانسان بأبويه مع الأمر بالجهاد، حتى يجمع بين الاحسان والجهاد، وبين أصناف الناس بالنسبة للايمان، وأن منهم من يقول آمنا بلسانه ولم يذعن قلبه، ثم أشار إلى نوح وجهاده فى قومه، وكذلك أشار إلى قصة ابراهيم فى دعوته، وبين وجه العبرة للنبى ﷺ، ثم بين جواب قوم ابراهيم، وأشار إلى لوط وقصة قومه، وانزال رسل الله من الملائكة لاهلاكهم، ونجاة أهله إلا امرأته، ثم أشار سبحانه إلى قصة شعيب مع مدين، وإلى هود وعاد، وإلى صالح وثمود، وإلى غرور قارون وفرعون وهامان وعاقبة أمورهم، وبين سبحانه أن عبادة المشركين للأوثان تقوم على حجة هى أضعف من بيت العنكبوت قوة، وأن هذه الأمثال لا يدركها الا الذين يعملون عقولهم، وأمر الله نبيه بعد ذلك بألا يجادل أهل الكتاب الا بالحسنى وأشار سبحانه إلى أمية النبى ﷺ وأنها تدل على رسالته. وقد أشار سبحانه إلى تعنت المشركين فى طلبهم معجزات حسية سيكفرون بها، كما كفر بها قوم موسى وغيرهم، وأشار إلى استعجالهم العذاب، وقد بين لهم ما يستقبلهم منه، وذكر سبحانه جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة. ووجه الأنظار بعد ذلك إلى الكون ونعم الله تعالى فيه، ثم ذكر قيمة الحياة الدنيا بجوار الآخرة. وحال المشركين فى ضعفهم ولجوئهم إلى الله حين يخافون، وفى قوتهم واشراكهم به حين يأمنون، ثم بين نعمته عليهم فى البيت الحرام وكفرهم بها، ثم بين فضل المجاهدين.

١ - الم: حروف صوتية سيقت لبيان أن القرآن المعجز مؤلف من هذه الحروف التى يحسنون نطقها، ولتنبيه السامعين ولفت أنظارهم إلى الحق.

٢ - أظن الناس أنهم يتركون وشأنهم لنطقهم بالشهادتين دون أن يختبروا بما يتبين به حقيقة ايمانهم من المحن والتكاليف؟ لا. بل لابد من امتحانهم بذلك.

فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن

---

٣ - ولقد اختبر الله الأمم السابقة بالتكاليف وألوان النعم والمحن . ليظهر ما سبق فى علمه القديم ، ويتميز الصادقون فى إيمانهم من الكاذبين .

٤ - أظن الذين يشركون بالله ويعصونه أن يسبقونا فى فرارهم من عذاب الله وعقابه ؟ ! بئس حكمهم هذا .

٥ - من كان يؤمن بالبعث ويرجو ثواب الله ويخاف عقابه فإيمانه حق . وليبادر إلى العمل الصالح ، فإن اليوم الموعود آت لا محالة ، والله سميع لأقوال العباد عليم بأفعالهم ، وسيجزى كلا بما يستحق .

٦ - ومن جاهد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وجاهد نفسه بالصبر على الطاعة ، فإن ثواب جهاده لنفسه ، وأن الله سبحانه لغنى عن طاعة العالمين .

٧ - والذين اتصفوا بالايمان وعملوا الصالحات لنذهبن عنهم سيئاتهم ، ونغفر لهم ، ونجزيهم أوفى جزاء على أعمالهم الصالحة .

٨ - وأمر الله الانسان أن يبالغ فى الاحسان إلى والديه وطاعتهما . وان حملاك على الشرك بالله - وهو ما لا يقره علم ولا عقل - فلا تطعهما ، وإلى الله مرجع الخلق كافة فينبئهم بما عملوا فى الدنيا ويجزيهم به .

٩ - والذين صدقوا بالله ورسالاته وعملوا الصالحات ليدخلنهم الله فى الصالحين ، ينالون جزاءهم ويأنسون بهم ..

جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ

---

١٠ - ومن الناس من يقول بلسانه : آمنا ، فإذا أصابه أذى فى سبيل الله جزع وفتن عن دينه ، ولم يفكر فى عذاب الله يوم القيامة ، فكأنه جعل ايذاء الناس كعذاب الله فى الآخرة .. إذا نصر الله المؤمنين على عدوهم فغنموا منهم جاء هؤلاء المتظاهرون بالايمان ، وقالوا للمسلمين : انا كنا معكم فى الايمان ، فاعطونا نصيبا من الغنيمة لا ينبغى أن يظن هؤلاء أن أمرهم خاف على الله فالله أعلم بما فى صدور الناس من نفاق وايمان .

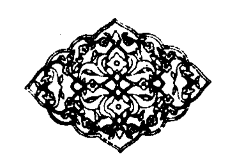
١١ - وليظهرن الله للناس سابق علمه ، فيميز بين المؤمنين والمنافقين ، ويجازى كلا بما عمل .

١٢ - وكان زعماء الشرك يقولون للذين دخلوا فى الاسلام مخلصين : كونوا كما كنتم على ديننا ، واتبعوا ما نحن عليه ، وإذا كان هناك بعث وحساب تخشونه فنحن نحمل عنكم آثامكم . لن تحمل نفس وزر نفس أخرى ، ان الكافرين لكاذبون فى وعدهم .

١٣ - وسوف يحمل الكفار أوزار أنفسهم الثقيلة ، ويحملون معها مثل أوزار من أضلوهم وصرفوهم عن الحق ، وسيحاسبون حتما يوم القيامة على ما كانوا يختلقون فى الدنيا من الأكاذيب ، ويعذبون بها .

١٤ - ولقد بعث الله نوحا إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد ، فمكث يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة وهم لا يستجيبون له ، فأغرقهم الله بالطوفان وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر .

١٥ - وحقق الله وعده لنوح ، فأنجاه والمؤمنين الذين ركبوا معه السفينة ، وجعل قصتهم عبرة لمن بعدهم .



ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

١٦ - واذكر - أيها الرسول - قصة ابراهيم حين دعا قومه الى توحيد الله وطاعته ، ونبههم الى أن الايمان خير لهم من الكفر ان كانوا من ذوى العلم والعقل .

١٧ - وقال لهم : أنتم لا تعبدون من دون الله الا تماثيل وأصناما تصنعونها بأيديكم ، وتختلقون الكذب فتسمونها آلهة . وأن هذه الأوثان التى تعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع لكم رزقا ، فالتمسوا الرزق من الله وحده ، وخصوه بالعبادة والشكر له على أنعمه ، فإليه مصيركم أجمعين فيجازيكم على أعمالكم .

١٨ - وان تستمروا على تكذيبى فلن تضرونى ، فقد أبلغتكم أن الرسل قبلى كذبتهم أممهم وما ضروهم ، وانما ضروا أنفسهم اذ أهلكهم الله بسبب تكذيبهم ، فليس على الرسول إلا أن يبلغ فى وضوح رسالته الى قومه .

١٩ - قد رأوا وعلموا أن الله يبدئ الخلق ثم يعيده ، فكيف ينكرون البعث فى اليوم الآخر للحساب والجزاء ؟ ! إن الاعادة على الله أسهل .

٢٠ - قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين : امشوا فى الأرض ، وتأملوا فيما أنشأ الله فيها من مختلف الكائنات ، وانظروا إلى آثار من كان فيها قبلكم بعد أن ماتوا وخلت منهم ديارهم ، واعلموا أن الله بقدرته سيعيد كل ذلك فى الآخرة بالبعث وهو الانشاء الآخر ، وكذلك شأنكم ان الله سبحانه تام القدرة على كل شئ[١] .

٢١ - يعذب الله من يشاء بعد النشأة الآخرة وهم المنكرون لها ، ويرحم من يشاء وهم المؤمنون المقرون بها ، واليه وحده مرجع الخلق جميعا للحساب والجزاء .

٢٢ - ولستم - أيها المكذبون - بغالبين لقدرة الله ، سواء أكنتم فى الأرض أم فى السماء ، بل هى محيطة بكم ، وليس لكم ولى يمنعكم من الله ولا نصير يدفع عنكم عذابه .

---

(١) « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير » : تحث هذه الآية الكريمة الباحثين على السير فى الأرض ليكشفوا عن كيفية بدء خلق الأشياء من حيوان ونبات وجماد ، فإن آثار الخليقة الأولى منطبعة بين طبقات الأرض وعلى ظهرها وهى لذلك سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بدئها حتى الآن .

أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

---

٢٣ - والذين كفروا بدلائل الله على وحدانيته ، وكذبوا برسله وكتبه ، وأنكروا البعث والحساب . هؤلاء ليس لهم مطمع فى رحمة الله وهؤلاء لهم عذاب شديد مؤلم .

٢٤ - لم يكن جواب قوم ابراهيم له - حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان - إلا الامعان فى الكفر ، وقول بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه ، فألقوه فى النار ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه ، وأنجاه منها ، ان فى احباط كيدهم وانجائه منها وعدم تأثيرها فيه لدلائل واضحة لقوم يصدقون بتوحيد الله وقدرته .

٢٥ - وقال ابراهيم لقومه : لم تعبدوا إلا آلهة باطلة عبادتها ، ولم ينكر بعضكم على بعض ابقاء لمودة آثمة ارتضيتموها فى حياتكم الدنيا ، ثم يتبدل الحال يوم القيامة ، فيتبرأ القادة من الأتباع ، ويلعن الأتباع القادة ، ومصيركم جميعا النار ، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها .

٢٦ - وكان أول من أجاب دعوة ابراهيم الى الحق لوط فصدق وكان موحدا من قبل ، وقال ابراهيم مطيعا لأمر الله : إنى مهاجر الى الجهة التى أمرنى ربى بالهجرة اليها والقيام بالدعوة الى الله فيها . وهو العزيز الذى يمنعنى من أعدائى ، الحكيم الذى لا يأمرنى الا بما هو خير .

٢٧ - ومن الله على ابراهيم باسحاق ولده وبيعقوب حفيده ، وكرمه بأن جعل النبوات فى ذريته ، وأنزل عليهم الكتب السماوية ، وجزاه الله أحسن الجزاء فى الدنيا ، وهو فى الآخرة من خيار الصالحين .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ

---

٢٨ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ اذ أرسلنا لوطا الى قومه ، فدعاهم الى توحيد الله وطاعته ، وأنكر عليهم العمل الفاحش الذى كانوا يفعلونه ولم يسبقهم الى فعله أحد من خلق الله .

٢٩ ـ ان ما تفعلونه منكر مهلك . فانكم تفعلون الفاحشة بالرجال ، وتقطعون سبيل النسل ، فيكون المآل الفناء . وترتكبون فى مجتمعاتكم المنكرات دون خوف من الله ولا حياء فيما بينكم . فلم يستمع له قومه ، ولم يكن لهم جواب غير السخرية به ، وطلبوا منه أن يعجل بعذاب الله الذى يهددهم به إن كان صادقا فيما يقول .

٣٠ ـ فاستعان لوط عليهم بالله ، وطلب أن ينصره على قومه المفسدين فى الأرض .

٣١ ـ وحين جاءت ملائكة الله الى ابراهيم عليه السلام مبشرين ، قالوا : ان أمرهم باهلاك أهل هذه القرية ، بسبب افسادهم وظلمهم أنفسهم بالشرك وارتكاب الفاحشة .

٣٢ ـ قال ابراهيم عليه السلام للملائكة : ان فى القرية لوطا ، وكيف تهلكونهم وهو فيهم ، فأجابته الملائكة : بأنهم يعلمون من فيها ، وأنهم ينجون لوطا وأهله من العذاب ، إلا امرأته فانها فى الهالكين لكفرها وإساءتها .

٣٣ ـ ولما ذهب الملائكة المرسلون الى لوط ورآهم حزن لخوفه عليهم من عدوان قومه ، وعجزت حيلته فيما يتعلق بحمايتهم ، فطمأنوه وقالوا له : لا تخشين عدوان قومك علينا ، ولا تحزن من أجلنا ، فقد أتينا لاهلاك أهل هذه القرية ، وسننجيك واهلك ، ولكم امرأتك لكفرها ستكون مع الهالكين .

رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

---

٣٤ ـ وقالت الملائكة : اننا مرسلون لتنفيذ أمر الله بانزال العذاب من السماء على سكان هذه القرية ، بسبب فسقهم وكفرهم .

٣٥ ـ ولقد أهلك الله هذه القرية ، وترك منها آثارا ظاهرة ، لتكون دليلا على ما فعله الله بهم وعبرة لمن يتدبر .

٣٦ ـ وأرسل الله الى اهل مدين رسولا منهم وهو شعيب ، دعاهم الى توحيد الله وعبادته والخوف من اليوم الآخر وفعل ما يرجون به ثواب الله فيه . ونهاهم عن السعى فى الأرض بالفساد .

٣٧ ـ فكذبوه وعصوه ، فأهلكهم الله بزلزال شديد دمر عليهم مساكنهم ، فغدوا فيها صرعى ميتين .

٣٨ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ مصارع عاد وثمود إذ أهلكناهم ، وقد بقيت من مساكنهم آثار ظاهرة ترونها ، وكان هذا الهلاك بسبب مازين لهم الشيطان من أعمالهم الباطلة فاتبعوه ، فصرفهم عن طريق الحق الذى كانوا يعرفون بواسطة الرسل .

٣٩ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء المغترين بأموالهم وسلطانهم مصرع قارون وفرعون وهامان وما جرى عليهم من سنة الله باهلاك المكذبين ، وقد بعث الله اليهم موسى بالمعجزات الظاهرة الدالة على صدقه ، فكذبوه وأبوا أن يستجيبوا له استكبارا ، وما كانوا غالبين لقدرة الله بالافلات من عذابه .

يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ

---

٤٠ ـ فكل أمة من هذه الأمم المكذبة برسلها أهلكها الله بسبب كفرها وما ارتكبت من المعصية، فبعض هذه الأمم أهلكه الله بالريح العاصفة التى حصبتهم بالحجارة، وبعضهم هلك بالصيحة المدوية المهلكة، وبعضهم خسف الله به الأرض، وبعضهم أغرقه الله فى اليم. ولم يكن هذا العذاب ظلما من الله لهم، بل كان بسبب كفرهم وارتكابهم الذنوب.

٤١ ـ شأن المبطلين الموالين لغير الله فى الضعف والوهن والاعتماد على غير معتمد كشأن العنكبوت فى اتخاذها بيتا تحتمى به، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتماء. ولو كان هؤلاء المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك[1]..

٤٢ ـ ان الله سبحانه محيط علما ببطلان عبادة الآلهة، وهو سبحانه الغالب على كل شئ الحكيم فى تدبيره وتشريعه.

٤٣ ـ وهذه العبر والأمثال يذكرها الله للناس للعظة والاعتبار، وما يعتبر بها الا العقلاء الذين يتدبرون.

٤٤ ـ وبجانب ماذكر الله من القصص والأمثال والآيات آية أوضح، هى خلق السموات والأرض بالقدرة والحكمة، والتدبير الكامل لصالح الناس، وفى هذا دلائل صادقة لمن يؤمنون بالحق.

٤٥ ـ اقرأ أيها النبى كتاب الله، ولا تلتفت إليهم، وأد الصلاة على وجهها، لأن الصلاة مع الاخلاص من شأنها أن تصرف من يقيمها عن الذنوب الكبيرة وكل ما ينكره الشرع. ولتقوى الله ومراقبته فى الصلاة وغيرها أكبر أثرا وأعظم ثوابا. والله يعلم ما تفعلون من الخير والشر فيجازيكم عليه.

---

(١) « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »: بيوت العنكبوت التى تبنيها لسكناها. وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير، وهذا مما يجعل نسيجها أضعف بيت يتخذه أى حيوان مأوى له.

وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ

---

٤٦ ـ ولا تجادلوا مخالفيكم من اليهود والنصارى إلا بالطريقة التى هى أهدأ والين وأدعى الى القبول. إلا الذين جاوزوا حد الاعتدال فى الجدال فلا حرج فى مقابلتهم بالشدة، وقولوا لمن تجادلونهم : صدقنا بما أنزل الله الينا من القرآن وما أنزل اليكم من التوراة والانجيل، ومعبودنا ومعبودكم واحد، ونحن له ـ وحده ـ منقادون.

٤٧ ـ وكما أنزلنا الكتب على من قبلك من الرسل أنزلنا اليك القرآن، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن فتدبروه واهتدوا به يؤمنون بهذا القرآن. ومن هؤلاء العرب من يؤمن به وما ينكر آياتنا ـ بعد ظهورها وزوال الشبهة عنها ـ الا المصرون على الكفر.

٤٨ ـ وما كنت تقرأ كتابا من الكتب قبل القرآن، ولا كنت تكتب بيمينك، ولو كنت ممن يقرأ ويكتب لشك أهل الباطل فى أنه من عند الله.

٤٩ ـ ليس هذا الكتاب موضع ارتياب، بل هو آيات واضحات محفوظة فى صدور الذين آتاهم الله العلم، وما ينكر آياتنا ـ بعد العلم بها ـ الا الظالمون للحق ولأنفسهم.

٥٠ ـ وقال الكفار فى جدالهم ولجاجهم : هلا أنزل عليه معجزات حسية كالتى نزلت على الرسل من قبل. قل لهم : انما المعجزات كلها من عند الله، ينزلها حين يشاء، وانما أنا مكلف بالانذار الواضح، لا الإتيان بما تقترحون.

٥١ ـ أيقترحون هذه الآيات ولا يكفيهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يقرأ عليهم ـ وهو الآية الخالدة على مر الزمن ـ إن فى إنزال هذا الكتاب عليك لرحمة بهم وبالأجيال من بعدهم، وتذكرة دائمة نافعة لقوم شأنهم أن يؤمنوا إذا وضحت لهم سبل الهداية.

ءَامَنُوا بِالْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَـٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

---

٥٢ ـ قل : حسبي وحسبكم أن يكون الله شاهدا على أنى قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فهو مطلع على أمرى وامركم ، لا يخفى عليه شئ فى السموات والأرض . والذين عبدوا غير الله وكفروا بالله فلم يخصوه بالعبادة . أولئك هم الذين اشتروا الكفر بالايمان فأصابهم الخسران المبين .

٥٣ ـ ويتحداك الكافرون أن تعجل لهم العذاب الذى حذرتهم منه ، ولولا أجل معلوم قضت به حكمتنا لعجلنا لهم العذاب الذى استعجلوه ، وأقسم ليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون .

٥٤ ـ يطلبون اليك تعجيل العذاب وهو واقع بهم لا محالة . وان جهنم لتحيط ـ يقينا ـ بالكافرين .

٥٥ ـ يوم يغمرهم العذاب من أعلاهم دون أسفلهم ، ويقول الملك الموكل بعذابهم : ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات .

٥٦ ـ ياعبادى الذين صدقوا بى وبرسولى : إن أرضى واسعة لمن أراد أن يفر عن مواطن الشرك . ففروا الى مخلصين لى العبادة .

٥٧ ـ كل نفس ستذوق طعم الموت ـ لا محالة ـ ثم الينا تعودون فتجزون بما قدمتم من خير وشر

٥٨ ، ٥٩ ـ والذين صدقوا بالله وكتبه ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، نقسم : لننزلنهم من دار النعيم غرفات تجرى من تحتها الأنهار ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، نعم هذا الجزاء أجراً للعاملين الصابرين على كل ما يصيبهم فى سبيل الله من فراق الأوطان والأهل والأموال . المعتمدين على الله ـ وحده ـ فى جميع أحوالهم .

٦٠ ـ وكثير من الدواب التى تعيش معكم فى الأرض لا تستطيع ـ لضعفها ـ أن تحمل رزقها وتنقله ، لتأكله أو تدخره . الله يهيئ لها أسباب رزقها وحياتها ، ويهيئ لكم أسباب رزقكم وحياتكم . وهو المحيط بكل ما خلق سمعا وعلما .

السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ

---

٦١ - وأقسم ان سألت المشركين : من أوجد السموات والأرض ، وذلل الشمس والقمر وأخضعها لمنافع الناس ؟ ليقولن : خلقهن الله ، ولا يذكرون أحدا سواه ، فكيف اذن يصرفون عن توحيد الله - تعالى - مع اقرارهم بهذا كله ؟ !

٦٢ - الله يوسع على من يشاء فى الرزق ويضيق على من يشاء حسبما يقتضيه علمه بالمصالح فإن الله قد أحاط بكل شئ علما .

٦٣ - وأقسم ان سألتهم : من نزل من السماء ماء ، فجعل منه حياة الأرض بالنبات بعد جدبها ؟ ليقولن : الله . قل الحمد لله على اعترافهم بالحق ، بل أكثرهم لا يفهمون مايقعون فيه من تناقض .

٦٤ - وليست هذه الحياة الدنيا الا متاعا محدود الوقت ، يلهو به الغافلون كما يلهو الصبيان ويلعبون وقتا ما ثم ينفضون . وإن الدار الآخرة لهى دار الحياة الحقيقية الكاملة الدائمة ، وهذه حقائق ثابتة يدركها هؤلاء لو كان من شأنهم الادراك الصحيح .

٦٥ - هم على ما وصفوا به من الشرك ، فإذا ركبوا السفن فى البحر وادركهم شئ من أهواله توجهوا الى الله مخلصين له الدعاء أن يكشف عنهم الضر ، فلما نجاهم الى البر سارعوا بالعودة الى الإشراك .

٦٦ - لينكروا ما أعطيناهم من النعم ، ولينتفعوا بما يرضى هواهم فى هذه الحياة ، فسوف يعلمون عاقبة الكفر حين يشاهدون العذاب الأليم .

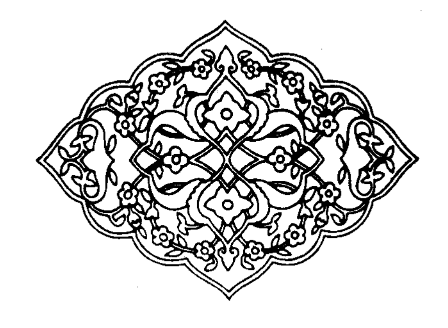


مِن حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

٦٧ ـ أعمى كفار مكة عن نعم الله التى أسبغها عليهم، ولم يروا أنا جعلنا بلدهم مصونا لا ينهب ولا يسلب، مقدسا لا يسبى أهله ولا يقع فيه قتل، ويسلب الناس ويسبون من حولهم ؟ ! أعموا عن هذه النعم فبا لا أصل له يصدقون، وبمحمد وبكل ما جاء به يكذبون ؟ !

٦٨ ـ وليس هناك أحد أشد ظلما ممن نسب الى الله ما لم يشرعه، أو كذب بالدين الحق حين بلغه، إن فى جهنم لمأوى لهؤلاء الظالمين الكافرين.

٦٩ ـ والذين بذلوا جهدهم، واحتملوا المشقة فى سبيل نصرة ديننا، لنزيدنهم هداية الى الخير والحق. وان الله لمع الذين يحسنون أعمالهم، يعينهم وينصرهم. والله أعلم.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ

بدأت السورة بذكر هزيمة الروم ، ووعد الله للمؤمنين أن ينصرهم على الفرس ، ودعت إلى التفكير فى خلق الله ، والسير فى الأرض ، ليعرفوا عاقبة الكافرين الذين عمروا الأرض أكثر مما عمرها قريش ، وعرضت لحال الناس يوم القيامة ، ونوهت بتسبيح المؤمنين لله وعبادتهم إياه فى الغداة والعشى والظهيرة والأصيل ، ونبهت الى دلائل وحدانية الله بتعاقب الليل والنهار واختلاف الألسنة ومظاهر الكون فى السموات والأرض ، وضربت الأمثال التى تدل على بطلان الشرك ، وذكرت الناس بخلق الله لهم ونعمه عليهم ، وقوت دعائم الأسرة وأواصر المجتمع ، وعنيت بالتشريع ، فحرمت الربا ، وشرعت الزكاة ، وحثت على البر بالأقربين .

ثم امتن الله ـ سبحانه ـ على عباده ـ ودعاهم الى التدين والطاعة ، ووجه أنظارهم الى ما فى الكون من عجائب تدل على مبلغ القوة والقدرة ، وبين أطوار الانسان الى أن يبلغ أرذل العمر .

وأشارت الآيات الأخيرة الى يوم القيامة وكفر المشركين به ، وختمت السورة بالنصح للرسول ـ ﷺ ـ أن يثبت فى الحق ، ويصبر على ما يلقى ، فإن وعد الله آت لا محالة .

١ ـ بدأت السورة بهذه الآية لبيان أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التى ينطق بها العرب فى سهولة ووضوح ، ولكن المنكرين له عجزوا عن الاتيان بمثله ، وهى ـ كذلك ـ تنبه الناس الى الاستماع والانصات . وتحملهم على التصديق برسالة محمد ﷺ .

٢ ، ٣ ـ غلبت فارس الروم فى أقرب الأرض من العرب ، وهى أطراف الشام ، وهم بعد انهزامهم سيغلبون فارس .

تعليق الخبراء على الآيات من « ١ ـ ٤ » :

فى هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين : كان أولها قد وقع بالفعل ، وأما الثانى فلم يكن قد وقع بعد ، وهو اخبار عن الغيب ، (وحدد لوقوعه بضع سنين فيما بين الثلاث والسبع) .

وتفصيل الحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين قد اشتبكوا فى معركة فى بلاد الشام على أيام خسرو ابرويز أو خسرو الثانى عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى ، وهيراكليوس الصغير الإمبراطور الرومانى المعروف عند العرب بهرقل ، ففى عام ٦١٤ استولى الفرس=

مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ

---

٤ ، ٥ ـ قبل أن تمضى تسع سنوات ـ وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس ، وقالوا للمسلمين : سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التى هى من أهل الكتاب ـ قد حقق الله وعده ، فانتصر الروم على فارس فى الأجل الذى سماه ، فكان ذلك آية بينة على صدق محمد ـ ﷺ ـ فى دعواه وصحة ما جاء به ، لله الأمر والقضاء من قبل كل شئ ومن بعد كل شئ ، ويوم ينتصر الروم على فارس يفرح المؤمنون بنصر الله الذى يؤيد من يشاء ، وهو الغالب على أعدائه ، الرحيم بأوليائه .

٦ ـ وعد الله المؤمنين وعدا صادقا ، لا يخلف الله وعده ، ولكن الجاحدين ليس من شأنهم العلم بالأمور على وجهها .

٧ ـ يعلمون شئون ووسائل عمرانها والتمتع بزخارفها ، وهم عن التزود للآخرة مسرفون فى الجهل والغفلة .

٨ ـ أطمس على أعينهم وقلوبهم ولم يتفكروا فى أمر أنفسهم ليعرفوا مصيرهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما من كواكب وغيرها الا مقرونة بالجد ، مصحوبة ومحدودة بوقت تنتهى عنده ، وإن كثيرا من الناس بلقاء الله وقيام الساعة لجاحدون .

= على أنطاكية أكبر المدن فى الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية . ثم على دمشق ، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت فى أيديهم واحرقوها ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم ، وقد دمر الحريق كنيسة القيامة واستولى المغيرون على الصليب ونقلوه إلى عاصمتهم ، وقد جزعت نفوس المسيحيين لهذه الكارثة المروعة ولما كانت هذه الهزيمة مبعث سرور للمشركين من أهل مكة وسبب شماتتهم بالمسلمين لأن الروم أهل كتاب كأصحاب محمد ـ ﷺ ـ والفرس ليسوا أصحاب كتاب كالمشركين ، أنزل الله جل جلاله على محمد هذه الآيات البينات ليبشرهم بنصرة أهل الكتاب وفرحتهم ، وهزيمة المشركين وسوء عاقبتهم فى فترة من الزمن حددها ببضع سنين .

وتفصيل الحدث الثانى أن هرقل قيصر الروم الذى منى جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل فى النصر ولهذا أخذ يعد نفسه لمعركة تمحو عار هزيمته ، حتى إذا كان العام ٦٢٢ الميلادى « أى العام الهجرى الأول » أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم ، وهذا النصر فاتحة انتصارات الروم على الفرس .. وهكذا انتصر أهل الكتاب على المشركين فتحققت بشرى القرآن ..

وثمة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كانت مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركى قريش فى غزوة بدر التى وقعت فى يوم الجمعة ١٧ رمضان من العام الثانى الهجرى أى سنة ٦٢٤ ميلادية .

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ

---

٩ - ألزموا وطنهم ولم يسيروا فى أرجاء الأرض ليشاهدوا كيف كانت نهاية الذين كفروا من قبلهم ؟ كانوا أشد من هؤلاء الكافرين الحاضرين قوة ، وقلبوا وجه الأرض ، ليستخرجوا ما فيها من مياه ومعادن وزروع ، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء ، وجاءتهم رسل الله بالمعجزات الواضحات فكفروا ، فأخذهم الله ، لأنه ما كان ليجزيهم ، من غير ذنب ولا ليأخذهم قبل تذكيرهم وامهالهم ، ولكن كان هؤلاء لا يظلمون الا أنفسهم .

١٠ - ثم كانت نهاية الذين ارتكبوا أشد الوان الاساءة أن جحدوا آيات الله ، وكانوا يحقرون من شأنها .

١١ - الله - سبحانه وتعالى - ينشئ خلق الناس ابتداء ، ثم يعيد خلقهم بعد موتهم ، ثم اليه - وحده - يعودون للحساب والجزاء .

١٢ - ويوم تأتى القيامة ييأس الكافرون من الدفاع عن أنفسهم .

١٣ - ولم يوجد لهم من الذين عبدوهم مع الله شفعاء ، وكانوا فى الدنيا بسببهم كافروين .

١٤ - ويوم تقوم الساعة - يوم اذ تقوم - يذهب كل فريق الى مصيره الأبدى .

١٥ - فأما الذين آمنوا ، وقرنوا ايمانهم بالأعمال الصالحة ، فهم فى جنة ذات أشجار وأزهار ، يسرون وينعمون .

١٦ - وأما الذين كفروا ، وأنكروا آياتنا ولقاء البعث والحساب . . فأولئك فى العذاب مقيمون لا يغيبون عنه .

١٧ - فنزهوا الله عما لا يليق بجلاله وكماله ، واعبدوه حين تدخلون فى المساء وحين تدخلون فى الصباح .

١٨ - والله وحده هو الحقيق بالحمد والثناء والشكر من أهل السموات والأرض فاحمدوه واعبدوه فى العشى ، وحين تدخلون فى الظهيرة .

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ

---

١٩ ـ يخرج الكائن الحى من شئ لا حياة فيه ، ويخرج الشئ الذى لا حياة فيه من الكائن الحى ، ويحيى الأرض بالنبات بعد يبسها ، ومثل هذا الاخراج يخرجكم الله من قبوركم .

٢٠ ـ ومن الدلائل على كمال قدرته أن خلق أصلكم من تراب لا حياة فيه ، ثم أنتم بشر تتفرقون فى الأرض ، للسعى فى تحصيل ما به بقاؤكم .

٢١ ـ ومن دلائل رحمته ان خلق لكم ـ أيها الرجال ـ زوجات من جنسكم لتألفوهن ، وجعل بينكم وبينهن مودة وتراحما . ان فى ذلك لدلائل لقوم يفكرون فى صنع الله تعالى .

٢٢ ـ ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع ، واختلاف ألسنتكم فى اللغات واللهجات ، وتباين الوانكم فى السواد والبياض وغيرهما . إن فى ذلك لدلائل ينتفع بها أهل العلم والفهم .

٢٣ ـ ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن هيأ لكم أسباب الراحة بمنامكم ، ويسر لكم طلب الرزق ليلا ونهارا من فضله الواسع . إن فى ذلك لدلائل لقوم ينتفعون بما يسمعون .

٢٤ ـ ومن آياته انه يريكم البرق من خلال السحب ، لتشعروا بالخوف من الصواعق وتطمعوا فى المطر أن ينزل من السماء ، لتحيا به الأرض بعد أن يبست . ان فى ذلك لدلالات لقوم يتدبرون الأمور فيفهمونها على وجهها .

٢٥ ـ ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته وسعة رحمته أن تقوم السماء والأرض بأمر الله على ما ترون من احكام صنع ودقة تدبير ، ثم إذا دعاكم للبعث تخرجون من القبور مسرعين مستجيبين لدعائه .

٢٦ ـ ولله ـ سبحانه ـ كل من فى السموات والأرض خلقا وملكا وخضوعا ، كلهم لله منقادون .

ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ

---

٢٧ - والله - سبحانه - الذى يبدأ الخلق على غير مثال ، ثم يعيده بعد الموت ، واعادته أهون عليه من ابتدائه بالنظر الى مقاييسكم واعتقادكم أن اعادة الشئ أسهل من ابتدائه . ولله الوصف السابق العجيب الشأن فى القدرة الكاملة والحكمة التامة فى السموات والأرض ، وهو الغالب فى ملكه ، الحكيم فى فعله وتقديره .

٢٨ - بين الله لكم مثلا منتزعا من أنفسكم - وقد ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه - هل لكم من عبيدكم شركاء فيما ملكناكم من الأموال وغيرها ؟ فأنتم وهم مستوون فيها ، تخافون هؤلاء العبيد ، فلا تتصرفون فى شئ مما تملكون دون اذنهم ، كما يخاف الأحرار بعضهم بعضا ، فإذا كنتم لا تعقلون هذا ولا تفعلونه ، فكيف تجعلون بعض مملوكات الله شركاء له ؟ ! مثل هذا التفصيل نبين الآيات لقوم يتدبرون فى ضرب الأمثال .

٢٩ - بل اتبع الذين كفروا أهواءهم دون علم بعاقبة كفرهم ، فلا أحد يهدى من أضل الله ، وليس من يشفع لهم ويدفع عنهم عذابه .

٣٠ - فسدد وجهك ، واتجه الى الدين بعيدا عن ضلالتهم ، والزم خلقة الله التى خلق الناس عليها ، وهى انهم قابلون للتوحيد ، غير منكرين له ، وما ينبغى أن تغير هذه الخلقة ، ذلك الخلق على التوحيد هو الدين المستقيم ، ولكن المشركين لا يعلمون حقيقة ذلك .

٣١ - كونوا راجعين اليه ! وافعلوا ما أمركم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ، وحافظوا على الصلاة ، ولا تكونوا من الذين عبدوا مع الله غيره .

٣٢ - من الذين فرقوا دينهم فاختلفوا فيه ، وصاروا فرقا . . كل فرقة تشايع من تتبعه ، كل فريق منهم بما عندهم مسرورون ، يظنون أنهم على الحق .

٣٣ - وإذا أصاب الناس ضر - من مرض أو شدة - التجأوا الى الله ، ودعوه راجعين اليه ، طالبين كشف الشدة عنهم ، ثم إذا أذاقهم الله خلاصا من الشدة ومنحهم من فضله ، سارع فريق منهم بربهم يشركون .

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

---

٣٤ ـ لتكون عاقبة أمرهم أن يكفروا بما آتاهم الله من النعم ، فتمتعوا ـ أيها الجاحدون ـ كما تشاءون ، فسوف تعرفون عاقبتكم .

٣٥ ـ أتركناهم فى ضلالهم ولم نسفه أحلامهم ، بل أنزلنا عليهم برهانا ، فهو يشهد بالذى كانوا يشركونه مع الله .

٣٦ ـ وإذا أذقنا الناس نعمة فرحوا بها فرحا يبطرهم ، وان تصبهم شدة بسبب ما اقترفوا من ذنوب يسارع اليهم اليأس من الرحمن .

٣٧ ـ أجهلوا ما يوصل الى الايمان ، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيق على من يشاء ، بحسب ما تقتضيه حكمته ؟ إن فى ذلك لدلائل واضحة لقوم يصدقون بالحق .

٣٨ ـ وإذا كان الله ـ تعالى ـ هو الذى يبسط الرزق ويقدره ، فأعط القريب حقه من البر والصلة ، والمحتاج والمنقطع به الطريق حقهما من الزكاة والصدقة ، ذلك خير للذين يريدون رضا الله ويطلبون ثوابه ، وأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم .

٣٩ ـ وما أعطيتم أكلة الربا من مال ليزيد لكم فى أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ، وما أعطيتم من صدقة تبتغون بها وجه الله ـ بدون رياء ولا طمع فى مكافأة ـ فأولئك هم أصحاب الأضعاف من الحسنات .

٤٠ ـ الله ـ سبحانه ـ الذى أوجدكم ، ثم أعطاكم ما تعيشون به ، ثم يميتكم ، ثم يبعثكم من قبوركم ، هل هناك من الشركاء الذين تزعمونهم فتعبدونهم من دون الله من يفعل من الخلق والرزق والاماتة والاحياء شيئا من تلك الأفعال ، تنزه الله تعالى عما يشركون به .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ

---

٤١ - ظهر الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والغرق ، بسبب مافعله الناس من جرائم وآثام ، ليعاقب الله الناس فى الدنيا ببعض أعمالهم لعلهم يرجعون عن المعاصى .

٤٢ - قل - يأيها النبى - للمشركين : سيروا فى نواحى الأرض ، فانظروا كيف كانت نهاية الذين مضوا قبلكم ، فسترون أن الله أهلكهم وخرب ديارهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين مثلكم .

٤٣ - فسدد وجهك للدين الكامل الاستقامة ، من قبل أن يأتى يوم لا يستطيع احد أن يرده من الله ، يومئذ يتفرق الناس وتختلف حالهم .

٤٤ - من كفر بالله فعليه وبال كفره ، ومن آمن وعمل صالحا فلأنفسهم - وحدها - يسوون طريق النعيم المقيم .

٤٥ - لأن الله يجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات على ما قدموا ، ويزيد جزاءهم تفضلا منه ، لأنه يحبهم ، ويبغض الذين كفروا به وأنكروا نعمه .

٤٦ - ومن الدلائل على قدرة الله ورحمته أنه يبعث الرياح مبشرات بالمطر الذى يكون لكم ريا وسقيا ، وليهبكم من فيض احسانه المنافع التى نشأت من المطر ، ولتجرى السفن فى الماء بأمر الله وقدرته ، ولتطلبوا الرزق من فضله بالتجارة واستغلال ما فى البر والبحر ، ولتشكروا لله نعمه بطاعتكم له وعبادتكم اياه .

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

---

٤٧ ـ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم ، فجاء كل رسول قومه بالحجج الواضحة الدالة على صدقه ، فكذبه قومه ، فأهلكنا الذين أذنبوا وعصوا . وقد أوجب الله على نفسه أن ينصر عباده المؤمنين .

٤٨ ـ الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يرسل الرياح ، فتحرك بقوة دفعها السحاب ، فيبسطه الله فى السماء كيف يشاء هنا وهناك فى قلة أو كثرة ، ويجعله قطعا ، فترى المطر يخرج من بين السحاب ، فإذا أنزل الله المطر على من يشاء من عباده يسارعون إلى البشر والفرح[1] .

٤٩ ـ وأنهم كانوا قبل أن ينزل بهم المطر لفى يأس وحيرة .

٥٠ ـ فانظر نظر تفكر وتدبر إلى آثار المطر ، كيف يحيى الله الأرض بالنبات بعد أن كانت هامدة كالميت ، ان الذى قدر على احياء الأرض بعد موتها لقادر على احياء الموتى من الناس ، وهو تام القدرة لا يعجزه شىء .

٥١ ـ وأقسم : لئن أرسلنا ريحا مضرة بالنبات ، فرأوه مصفرا بسببها ، لصاروا من بعد اصفراره يجحدون النعمة ويكفرون بالله .

٥٢ ـ فلا تحزن من عنادهم وعدم استجابتهم لك ، فأنت لا تستطيع أن تسمع الموتى دعاءك ، ولا أن تسمع الصم نداءك ، إذا زادوا على صممهم ، بأن فروا عنك معرضين .

٥٣ ـ وهؤلاء كالعمى ، لانغلاقهم قلوبهم عن الاستجابة للهدى ، وأنت لا تستطيع أن تهدى هؤلاء العمى ، وتصدهم عن كفرهم ، وانما تسمع سماع فهم وقبول من تهيأت قلوبهم لتلقى الإيمان . فهؤلاء ينقادون للحق متى ظهر .

---

(١) راجع التعليق العلمى على الآية ٤٣ من سورة النور.

ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

---

٥٤ - الله الذى خلقكم من نطفة ، فنشأتم ضعافا ، ثم جعل لكم من بعد هذا الضعف قوة ، بنموكم وبلوغكم حد الرشد ، ثم جعل لكم من بعد هذه القوة ضعف الشيخوخة والشيب ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم بتدبير خلقه ، القدير على ايجاد ما يشاء .

٥٥ - ويوم تقوم الساعة يحلف الكافرون أنهم ما لبثوا فى الدنيا أو فى قبورهم غير ساعة ، ومثل ذلك الصرف كانت تصرفهم الشياطين فى الدنيا عن الحق إلى الباطل .

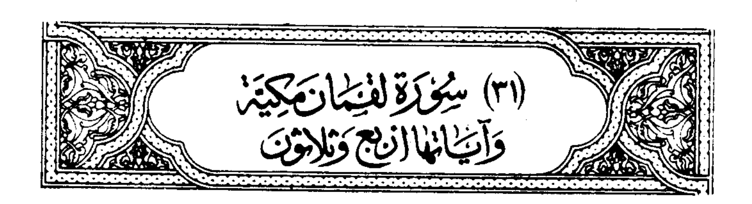
٥٦ - وقال الذين آتاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة والمؤمنين : لقد لبثتم فى حكم الله وقضائه إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث الذى أنكرتموه ، ولكنكم كنتم فى الدنيا لا تعلمون أنه حق ، لجهالتكم واعراضكم .

٥٧ - فيومئذ يبعث الناس ، لا ينفع الذين كفروا اعتذارهم عن انكارهم وتكذيبهم لرسلهم ، ولا يطلب منهم أحد أن يفعلوا ما يرضى الله ، لهوانهم عنده وطردهم من رحمته .

٥٨ - ولقد بينا لهداية الناس فى هذا القرآن كل مثل يرشدهم إلى طريق الهدى ، ولئن أتيتهم بأية معجزة ليقولن الذين كفروا - من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم - : ما أنت وأتباعك الا مبطلون فى دعواكم .

٥٩ - ومثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد من الجاهلين .

٦٠ - فاصبر - أيها النبى - على أذاهم ، ان وعد الله بنصرك على أعدائك واظهار الإسلام على كل دين حق لا يتخلف أبدا ، ولا يحملنك على القلق وعدم الصبر الذين لا يؤمنون بالله ورسوله .



بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن الكتاب وما فيه من هدى ورحمة ، ووصفت المحسنين بالطاعة لله والإيمان بالآخرة والحصول على الفلاح ، وعقبت ذلك بذكر المضلين المستكبرين ، وبشرت المؤمنين بحسن جزائهم فى دار النعيم ، ولفتت الأنظار إلى الآيات الكونية التى تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وتحدت الكفار بأن الله الذى أشركوا به خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه . وانتقلت إلى وصايا لقمان لابنه ، وما اندمج فيها من وصية الإنسان بوالديه ، وعرضت لما سخره الله للإنسان ، وما أسبغه عليه من النعم الظاهرة والباطنة .

وتحدثت عمن يجادلون فى الله بغير علم ، ويعتذرون عن ضلالهم باتباع ما كان عليه آباؤهم ، ونوهت بشأن من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ، ونصحت للرسول بألا يحزنه كفر من كفر ، فرجعه إلى الله وفصلت كثيرا من مظاهر القدرة والعظمة والرحمة .

وذكرت أن المشركين إذا سئلوا عنها يعترفون بخلق الله لها ، وهم يستمدون من فضل الله ، ويلجأون إليه فى أزماتهم ، ويعدونه بالشكر ثم يخلفون .

وأمرت السورة بتقوى الله والخشية من الحساب والجزاء ، وحذرت من الغرور وطاعة الشيطان ، وختمت بما استأثر الله بعلمه . وأهم ما تناولته السورة ثلاثة أغراض :

الأول : تبشير المحسنين بنعيمهم ، وانذار الكافرين بعذابهم .

الثانى : عرض الآيات الكونية وما فيها من المظاهر التى تشهد بقدرة الله ووحدانيته ومبلغ عظمته ورحمته .

الثالث : الوصايا العظيمة التى عنيت بسلامة العقيدة ، والمحافظة على الطاعة وحسن الخلق .

١ ـ هذه حروف ابتدأ الله بها بعض السور ، ليشير بها إلى اعجاز القرآن المؤلف من حروف كالحروف التى يؤلف منها العرب كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله ، ولينبه إلى الاستماع والإنصات ، وكان المشركون قد اتفقوا على أن يلغوا فيه ولا يسمعوا .

٢ ـ هذه الآيات العظيمة آيات القرآن المشتمل على الحكمة والصواب .

٣ ـ هذه الآيات هداية كاملة ورحمة شاملة لمن يحسنون العمل .

الزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾

---

٤ - هم الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه ، ويعطون الزكاة لمستحقيها ، وهم بالحياة الآخرة يؤمنون أقوى الإيمان .

٥ - أولئك المؤمنون المحسنون فى أعمالهم متمكنون من الهدى الذى جاءهم من ربهم ، وأولئك هم - دون غيرهم - الفائزون حقا .

٦ - ومن الناس من يشترى باطل الحديث ويقصه على الناس ، ليصدهم عن الإسلام والقرآن جهلا منه بما عليه من اثم ، ويتخذ دين الله ووحيه سخرية . . الذين يفعلون ذلك لهم عذاب يهينهم ويذلهم .

٧ - وإذا تتلى على هذا الضال آيات الله البينات أعرض عنها متكبرا ، وحاله فى ذلك حال من لم يسمع ، كأن فى أذنيه صمما ، فأنذره بأن الله أعد له عذابا شديد الإيلام .

٨ - ان الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة لهم جنات النعيم .

٩ - يبقون فيها على وجه الخلود ، وعدهم الله وعدا لا يتخلف ، والله الغالب على كل شىء ، الحكيم فى أقواله وأفعاله .

١٠ - خلق الله السموات من غير عمد مرئية لكم ، وجعل فى الأرض جبالا ثوابت ، لئلا تضطرب بكم ، ونشر فيها من كل الحيوانات التى تدب وتتحرك ، وأنزلنا من السماء ماء ، فأنبتنا به فى الأرض من كل صنف حسن كثير المنافع[1] .

١١ - هذا مخلوق الله أمامكم ، فأرونى ماذا خلق الذين تجعلونهم آلهة من دونه ، حتى يكونوا شركاء له ؟ بل الظالمون - بإشراكهم - فى ضلال واضح .

---

(١) راجع التعليق العلمى على الآية ٢ من سورة الرعد.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

١٢ ـ ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والإصابة فى القول ، وقلنا له : اشكر الله على ما أعطاك من النعم . ومن يشكر فإنما يبتغى الخير لنفسه ، ومن كفر النعم ولم يشكرها فإن الله غير محتاج إلى شكره ، وهو مستحق للحمد وان لم يحمده أحد .

١٣ ـ واذكر اذ قال لابنه وهو يعظه : يا بنى ، لا تشرك بالله أحدا ، ان الشرك بالله لظلم عظيم يسوى بين المستحق وغير المستحق[1] .

١٤ ـ وأمرنا الإنسان أن يبر والديه ، ويجعل أمه أوفر نصيبا ، حملته يتزايد ضعفها ، ويعظم شيئا فشيئا ، وفطامه فى عامين ، ووصيناه أن اشكر لله ولوالديك ، إليه المرجع للحساب والجزاء .

١٥ ـ وان حملك والداك ـ بجهد ـ على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه يستحق العبادة فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا بالبر والصلة والإحسان . واتبع طريق من رجع إلى بالتوحيد والإخلاص ، ثم إلى مرجعكم جميعا ، فأخبركم بما كنتم تعملون من خير وشر ، لاجازيكم عليه .

---

(١) عرف العرب بهذا الاسم شخصين أحدهما : لقمان بن عاد وكانوا يعظمون قدره فى النباهة والرياسة والعلم والفصاحة والدهاء وكثيرا ما ذكروا وضربوا به الأمثال كما تبين من المراجع العربية الكثيرة .

أما الآخر : فهو لقمان الحكيم الذى اشتهر بحكمه وأمثاله وسميت سورة فى القرآن الكريم باسمه ، وقد كانت حكمه شائعة بين العرب . فقد ذكر ابن هشام ان سويد بن الصامت قدم مكه وكان شريفا فى قومه ، فدعاه رسول الله ـ ﷺ ـ الى الاسلام . فقال سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى . فقال له الرسول : وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان . فقال الرسول . اعرضها على . فعرضها عليه ، فقال : ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل منه قرآن أنزله الله على هو هدى ونور ، وتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام .

وكذلك ذكر الإمام مالك فى الموطأ كثيرا من حكم لقمان . وذكرت بعض كتب التفسير والأدب ألوانا من هذه الحكم .

ثم جمعت أمثال قصصية بعد ذلك فى كتاب اسمه أمثال لقمان ، ولكن ضعف أسلوبها وكثرة أغلاطها النحوية والصرفية وعدم ورود كتاب بهذا الاسم فى كتب العرب القديمة يؤكد أنه موضوع فى عصر متأخر .

والآراء مضطربة فى حقيقة لقمان الحكيم : فهو نوبى من أهل أيلة أو حبشى أو أسود من سودان مصر ، أو عبرى وجمهور الذين ذكروه مجمعون على أنه لم يكن نبيا ، وقليل منهم ذهبوا إلى أنه كان نبيا ، والذى نستطيع استنباطه مما ذكروه أنه لم يكن عربيا ، لأنهم متفقون على هذا ، وأنه كان رجلا حكيما ولم يكن نبيا . وأنه أدخل على العرب حكمة جديدة تداولوها فيما بعد كما تبين من كثير من المراجع .

أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ

---

١٦ - يا بنى : ان الحسنة أو السيئة للإنسان ان تكن - مثلاً - فى الصغر كحبة الخردل ، فتكن فى أخفى مكان ، كقلب صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها ، ان الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء ، خبير يعلم حقائق الأشياء كلها .

١٧ - يا بنى : حافظ على الصلاة ، وأمر بكل حسن ، وانه عن كل قبيح ، واحتمل ما أصابك من الشدائد ، ان ما أوصى الله به هو من الأمور التى ينبغى الحرص عليها والتمسك بها .

١٨ - ولا تمل خدك للناس تكبرا ، ولا تمش فى الأرض معجبا بنفسك ، ان الله لا يحب كل مختال يعدد مناقبه .

١٩ - وتوسط فى مشيك بين السرعة والبطء ، واخفض من صوتك ، لأن أقبح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير ، أوله زفير مما يكره ، وآخره شهيق مما يستقبح .

٢٠ - قد رأيتم أن الله ذلل لكم ما فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ، وما فى الأرض من الأنهار والثمار والدواب ، واتم عليكم نعمه ظاهرة لكم ومستورة عنكم ، ومن الناس من يجادل فى ذات الله وصفاته بلا دليل ولارشاد مأثور عن نبى ولا وحى يضىء طريق الحق .

٢١ - وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله من الحق والهدى قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى ضلال يدخلهم عذاب السعير .

إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ

---

٢٢ - ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه، ويفوض إليه جميع أمره، وهو محسن فى عمله فقد تعلق بأقوى الأسباب التى توصله إلى رضا الله، وإليه - سبحانه - مصير الأمور كلها.

٢٣ - ومن لم يجعل ذاته ونفسه خالصة لله فلا يحزنك جحوده واعراضه، إلينا وحدنا - مرجع هؤلاء يوم القيامة، فنعرض عليهم أعمالهم، لأننا نحيط علما بدخائل النفوس فكيف بظواهر الأعمال.

٢٤ - نمتعهم زمنا قليلا فى دنياهم، ثم نلجئهم إلى عذاب شديد لا يحتمل.

٢٥ - وأقسم لك - أيها النبى - ان سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن: هو الله، قل: الحمد لله الذى أوجد من دلائل وحدانيته ما يهدم ما هم عليه من إشراك غيره معه فى العبادة. ولكن أكثرهم لا يعلمون أنهم بإقرارهم هذا قد أقاموا الحجة على أنفسهم بفساد عقيدتهم.

٢٦ - لله ما فى السموات والأرض خلقا واقتدارا وتدبيرا، فكيف يتركون عبادته؟ وان الله - سبحانه - هو الغنى عن خلقه وعن عبادتهم له، المحمود بذاته، الجدير بالثناء عليه من عباده.

٢٧ - ولو تحولت كل أشجار الأرض أقلاما، وصارت مياه البحر الكثيرة مدادا تكتب به كلمات الله لفنيت الأقلام، ونفد المداد قبل أن تنفد كلمات الله، لأن الله عزيز لا يعجزه شىء، حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شىء، فلا تنفد كلماته وحكمته.

٢٨ - ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم بعد الموت أمام قدرة الله الا كخلق نفس واحدة أو بعثها. ان الله سميع لقول المشركين: لابعث. بصير بأعمالهم فيجازيهم عليها.

يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ

---

٢٩ - ألم تنظر - أيها المكلف - نظر اعتبار أن الله ينقص من زمن الليل بقدر ما يزيد من النهار ، وينقص من زمن النهار بقدر ما يزيد فى زمن الليل ، وذلل الشمس والقمر لمصالحكم وأخضعها لنظام بديع ، فيجرى كل منها فى فلك معين لا يحيد عنه ، ويستمر كذلك إلى يوم القيامة ، وأنه - سبحانه - خبير بكل ما تعملون ومجازيكم عليه .

٣٠ - ذلك المذكور من عجائب صنع الله وقدرته ، بسبب أن صانعه هو الاله الثابت الالوهية ، الجدير - وحده - بالعبادة ، وأن الآلهة التى تعبدونها من دونه باطلة الالوهية ، وأن الله - وحده - هو العلى الشأن ، الكبير السلطان .

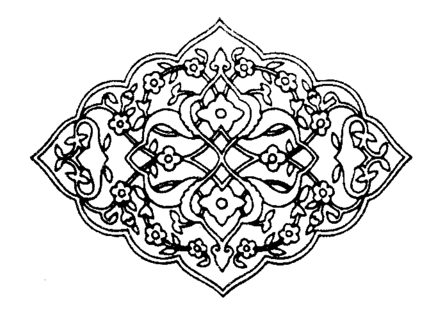
٣١ - ألم تنظر - أيها الإنسان - إلى الفلك تجرى فى البحر برحمة الله حاملة على ظهرها ما ينفعكم ، ليظهر لكم بذلك بعض عجائب صنعه ، ودلائل قدرته ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار على بلائه ، شكور لنعمائه .

٣٢ - هؤلاء الجاحدون بالله إذا ركبوا فى السفن ، واضطرب بهم البحر ، وارتفعت أمواجه حتى بدت كأنها تظللهم ، وظنوا أنهم غارقون - لا محالة - ولجأوا إلى الله ، يدعونه فى اخلاص وخضوع أن ينجيهم ، فلما نجاهم إلى البر كان منهم قليل تذكر عهده ، واعتدل فى عمله ، ومنهم ، كثير نسى فضل ربه ، وظل على جحوده به ، ولا ينكر فضل ربه عليه واحسانه إليه الا كل انسان شديد الغدر ، مسرف فى الكفر بربه .

٣٣ - يأيها الناس : افعلوا ما أمركم ربكم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ، واحذروا عذابه يوم القيامة ، يوم لا يغنى والد فيه عن ولده شيئا ، ولا مولود هو مغن عن والده شيئا ، ان هذا اليوم وعد الله به ، ووعده حق لا يتخلف ، فلا تلهينكم زخارف الدنيا وزينتها عن الاستعداد له ، ولا تخدعنكم وساوس الشيطان ، فتصرفكم عن الله وطاعته .

عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

٣٤ ـ ان الله يثبت عنده علم الساعة، فلا يعلمها أحد سواه، وينزل المطر فى موعده الذى ضربه له، ويعلم ما فى الأرحام من ذكورة وأنوثة وتمام ونقصان. وما تعلم نفس بارة أو فاجرة ما تكسبه فى غدها من خير أو شر، وما تعلم نفس ببقعة الأرض التى فيها ينقضى أجلها، لأن الله تام العلم والخبرة لكل شىء، ولا يظهر على غيبه أحدا.





بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

نزلت بعد سورة المؤمنون ، وتضمنت الحديث عن تنزيل الكتاب ومهمة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخلق السموات والأرض ، وشأنه ـ تعالى ـ فى التدبير ، وأطوار خلق الإنسان ، ومقالة منكرى البعث والرد عليهم ، وحال المجرمين يوم الحساب ، وموقف المؤمنين عند التذكير بالآيات ، وبيان الجزاء للمؤمنين والفاسقين ، وانزال التوراة على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعاملة الله ـ تعالى ـ لبنى اسرائيل ، وتوجيه كفار مكة إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم ، ولفت أنظارهم ، ليؤمنوا بالبعث ، وسخريتهم من يوم الفتح ، والرد عليهم .

وأهم أهداف هذه السورة : لفت الأنظار إلى الآيات الكونية ، والحديث عن البعث ، والرد على منكريه ، وتوجيه الكفار الى الاعتبار بهلاك من سبقهم .

١ ـ ألم : حروف صيغ منها القرآن ، كما صيغ منها كلامكم ، فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كان عجزكم دليلا على أنه من عند الله ، ولم يقله بشر .

٢ ـ تنزيل القرآن من الله رب العالمين ومدبر أمورهم ، لا شك فى كونه منزلا منه .

٣ ـ بل يقولون : اختلقه محمد ، ونسبه لله ، ما كان لهم أن يقولوا هذا ، بل هو الحق المنزل عليك من ربك ، لتخوف به قوما لم يأتهم من رسول من قبلك ، ترجو بذلك الإنذار هدايتهم واذعانهم للحق .

٤ ـ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش استواء يليق به ، ما لكم من دون الله ناصر ينصركم ، ولا شفيع يشفع لكم ، أتتمادون فى الكفر والعناد فلا تتعظون بمواعظ الله ؟ .

إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

---

٥ - يدبر شئون الخلق من السماء إلى الأرض ، ثم يصعد إليه أمرها فى يوم مقدر بألف سنة من سنى الدنيا التى تعدونها .

٦ - ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه ، الغالب أمره ، الواسع الرحمة .

٧ - الذى أتقن كل شىء خلقه ، بحسب ما تقتضيه حكمته ، وبدأ خلق الإنسان الأول من طين .

٨ - ثم جعل ذريته - بعد ذلك - متخلقة من ماء قليل ضعيف لا يؤبه له فى العادة[1] .

٩ - ثم قومه ووضع فيه من سره الذى اختص به ، وجعل لكم السمع والأبصار والعقول لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ، ما تشكرون الا شكرا قليلا .

١٠ - وقال المنكرون للبعث ، ائذا صرنا ترابا مختلطا بتراب الأرض لا يتميز عنه . اننا لنعود فى خلق جديد ، انهم لا ينكرون البعث - وحده - بل هم بجميع ما يكون فى الآخرة مكذبون .

١١ - قل : يتوفاكم ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم عند انتهاء آجالكم ، ثم إلى الله - وحده - تعودون .

١٢ - ولو أتيح لك أن ترى المجرمين فى موقف الحساب لرأيت عجبا ، اذ المجرمون المستكبرون منكسو الرءوس خزيا من ربهم . يقولون فى ذلة : ربنا أبصرنا ما كنا نتعامى عنه ، وسمعنا ما كنا نتصامم عنه ، فأرجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمله ، انا موقنون - الآن - بالحق الذى جاء به رسلك .

---

(١) فى هذه الآية الكريمة « من ماء مهين » المهين من الرجال : الضعيف . والمهين : القليل . وقوله تعالى : من ماء مهين . أى من ماء قليل ضعيف . ومثله قوله تعالى : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » . ومهن الإبل يمهنها مهنا مهنة حلبها . فلا مانع من أن تفسر كلمة مهين فى الآية بأنه ماء منصب أو دافق أو مقذوف أو قليل .

مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ

---

١٣ - ولو شئنا لأعطينا كل نفس هداها ، ولكن سبق القول منى : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، لعلمنا أن أكثرهم سيختارون الضلالة دون الهدى .

١٤ - فذوقوا العذاب بما غفلتم عن لقاء يومكم هذا ، انا تركناكم فى العذاب كالمنسيين ، وذوقوا العذاب الدائم الذى لا انقطاع له ، بسبب كفركم ومعاصيكم .

١٥ - انما يصدق بآياتنا الذين إذا وعظوا بها وقعوا لله ساجدين ، ونزهوا ربهم عن كل نقص ، مثنين عليه بكل كمال ، وهم لا يستكبرون عن الانقياد لهذه الآيات .

١٦ - تتنحى جنوبهم عن مضاجعها ، يدعون ربهم خوفا من سخطه ، طمعا فى رحمته ومن المال الذى رزقناهم به ينفقون فى وجوه الخير .

١٧ - فلا تعلم نفس مقدار ما أعده الله وأخفاه لهؤلاء من النعيم العظيم ، الذى تقر به عيونهم ، جزاء بما كانوا يكسبون من الطاعة والأعمال .

١٨ - أيستوى الناس فى جزائهم وقد اختلفوا فى أعمالهم ؟ فمن كان مؤمنا بالله كمن كان كافرا به ، عاصيا له ؟ لا يستوون ؟ .

١٩ - أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى التى فيها مساكنهم ، كرامة لهم بما كانوا يعملون .

٢٠ - واما الذين خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فمقامهم الذى أعد لهم النار ، كلما حاولوا الخروج منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذى كنتم فى الدنيا تصرون على التكذيب به .

٢١ - ونقسم : لنذيقنهم فى الدنيا عذاب الخذلان قبل أن يصلوا إلى العذاب الأكبر ، وهو الخلود فى النار ، لعل المعذبين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

---

٢٢ ـ ولا أحد أشد ظلما للحق ولنفسه من انسان ذكر بآيات الله وحججه البينات ثم انصرف عن الايمان بها مع وضوحها ، اننا من كل مجرم سننتقم .

٢٣ ـ ولقد آتينا موسى التوراة ، فلا تكن فى شك من لقاء موسى للكتاب ، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديا لبنى اسرائيل .

٢٤ ـ وجعلنا من بنى اسرائيل أئمة فى الدين ، يقومون بهداية الناس ، استجابة لأمرنا حين صبروا على العمل بما فى التوراة ، وكانوا بآياتنا يصدقون أقوى التصديق .

٢٥ ـ ان ربك هو ـ وحده ـ يقضى بين الأنبياء وأممهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

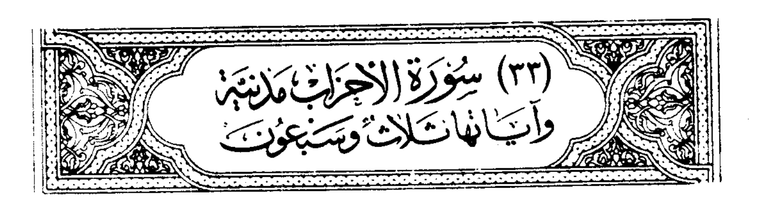
٢٦ ـ أترك الله المكذبين لرسلهم ، ولم يبين لهم أنه أهلك كثيرا من الأمم التى سبقتهم ، وهم يمرون بديارهم ، ويمشون فى مساكنهم ؟ ان فى ذلك لعظات تبصرهم بالحق ، أصموا فلا يسمعون هذه العظات .

٢٧ ـ أعموا ولم يروا أنا نجرى المطر والأنهار إلى الأرض التى قطع نباتها ، فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم ، ويأكلون حبه وثمره ؟ أعموا فلا يبصرون دلائل قدرة الله على احياء الموتى .

٢٨ ـ ويقول المشركون لك وللمؤمنين : فى أى وقت يفتح الله عليكم بالنصر ؟ أخبرونا بموعده ان كنتم صادقين .

٢٩ ـ قل لهم : يوم القضاء والفصل إذا حل بكم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ، ولا هم يمهلون لحظة عن العذاب الذى يستحقونه .

٣٠ ـ وإذا كان هذا الاستهزاء دأبهم فأعرض عنهم ، وانتظر صدق ما وعدك ربك فيهم انهم ينتظرون الغلبة عليكم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ

بدأت بنداء رسول الله - ﷺ - أن يتق الله ويتوكل عليه، وانتقلت إلى الحديث عن الأدعياء، ونفت أنهم أبناء لمن تبناهم، وذكرت ما أوجبه الله لرسوله من المحبة والطاعة، وأوجبه لأمهات المؤمنين من الاحترام والتوقير، وعرضت لما أخذه الله على النبيين من العهد فى تبليغ الرسالات، وفصلت غزوة الاحزاب وما كان فيها من خوف واضطراب، وما تم للمؤمنين من نصر تحقق به وعد الله، وعنيت بذكر الآداب التى ينبغى لنساء النبى - ﷺ - أن يسلكنها ويأخذن أنفسهن بها، وعادت إلى الحديث عن المتبنين، وهدمت ما كان معروفا فى الجاهلية من حرمة التزوج بحليلة الدعى على من تبناه، ونوهت بشأن الرسول - ﷺ - وأثنت عليه بما هو أهله، وأوصت بالمتعة والسراح الجميل لمن طلقت قبل الدخول، وخصت الرسول - ﷺ - بأنها أباحت له أن يدخل بمن وهبت نفسها له، وصرحت بأنه لا يحل له النساء بعد التسع، ثم بينت السورة الكريمة ما يجب على المؤمنين مراعاته فى دخولهم بيوت النبى للطعام، وفى انصرافهم عقبه، وفى سؤالهم أزواجه من وراء حجاب، وطالبت أمهات المؤمنين بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، وتحدثت عن الساعة وأهوال القيامة، ونصحت بالتقوى والقول السديد، وختمت بالحديث عن فرائض الله التى حملها الإنسان ولم تطق حملها السموات والأرض والجبال.

ومن ثم يتبين أن أهم أهدافها : الحديث عن الأدعياء، وهدم العادة التى سادت من تحريم حلائلهم على من تبنوهم، وامتنان الله - تعالى - على المؤمنين بتحقيق ما وعدهم من النصر والغلبة على المشركين، وتفصيل ما شرعه الله للمؤمنين فى دخول بيوت النبى وتحريم أزواجه عليهم، وتحديد الآداب الخاصة بأمهات المؤمنين.

١ - يأيها النبى : استمر على ما أنت عليه من تقوى الله، ولا تقبل رأيا من الكافرين والمنافقين، ان الله محيط علما بكل شىء، حكيم فى أقواله وأفعاله.

٢ - واتبع الوحى الذى ينزل عليك من ربك، ان الله الذى يوحى إليك خبير بدقائق ما تعمل أنت ويعمل الكافرون والمنافقون.

٣ - وفوض جميع أمورك إلى الله، وكفى بالله حافظا موكولا إليه كل أمر.

فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

---

٤ ـ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل زوجة أحدكم حين يقول لها : أنت على كظهر أمى أما له ، وما جعل الأولاد الذين تتبنوهم أبناء لكم يأخذون حكم الأبناء من النسب . ذلكم ـ أى جعلكم الادعياء أبناء ـ قول يصدر من أفواهكم لا حقيقة له . فلا حكم يترتب عليه ، والله يقول الأمر الثابت المحقق ، ويرشدكم إليه ، وهو ـ وحده سبحانه ـ يهدى الناس إلى طريق الصواب .

٥ ـ انسبوا هؤلاء الأولاد لآبائهم الحقيقيين ، هو أعدل عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم المنتسبين بحق إليهم فهم اخوانكم فى الدين ونصراؤكم ، ولا اثم عليكم حين نسبتموهم إلى غير آبائهم خطأ ، ولكن الاثم فيما تقصده قلوبكم بعد أن تبين لكم الأمر . والله يغفر لكم خطأكم ، ويقبل توبة متعمدكم .

٦ ـ النبى محمد أحق ولاية بالمؤمنين ، وأرحم بهم من نفوسهم ، فعليهم أن يحبوه ويطيعوه ، وأزواجه أمهاتهم فى التوقير وحرمة التزوج بهن بعده . وذوو القرابات أولى من المؤمنين والمهاجرين بأن يتوارثوا فيما بينهم فرضا فى القرآن . لكن يجوز أن تقدموا إلى من واليتم فى الدين من غير الأقارب معروفا ، فتعطوه ـ برا وعطفا عليه ـ أو توصوا له بجزء من مالكم . كان ذلك التوارث بالأرحام فى الكتاب مقررا لا يعتريه تبديل .

٧ ـ واذكر حين أخذنا من النبيين السابقين ميثاقهم ـ بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ـ ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم عهدا عظيم الشأن .

٨ ـ ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء عما قالوه لقومهم ، وأعد للكافرين بالرسل عذابا أليما .

٩ ـ يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله وفضله عليكم ، حين جاءتكم الأحزاب يوم الخندق فأرسلنا عليهم ريحا عاصفة باردة وملائكة لم تروها ، نشرت الرعب فى قلوبهم ، وكان الله بصيرا بأعمالكم وصدق نياتكم ، فتولى الدفاع عنكم .

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن

---

١٠ - حين جاءوكم من أعلى الوادى ومن أسفله ، وحين مالت الأبصار عن مستوى نظرها ، وارتفعت القلوب إلى منتهى الحلقوم فزعا واضطرابا ، وأنتم فى ذلك الوقت العصيب تذهب بكم الظنون فى وعد الله كل مذهب[1] .

١١ - فى ذلك الوقت امتحن المؤمنون بالصبر على الإيمان ، واضطربوا بالخوف اضطرابا شديدا .

١٢ - واذكر ما حدث من المنافقين ومرضى القلوب بالريب ، حين يقولون : ما وعدنا الله ورسوله الا وعدا باطلا قصد به التغرير بنا .

١٣ - واذكر حين قالت طائفة من المنافقين وضعاف العزائم : يا أهل المدينة ، لا وجه لبقائكم هنا فى معركة خاسرة ، فارجعوا إلى منازلكم ، ويستأذن فريق منهم الرسول فى الرجوع إلى المدينة ، ويقولون : ان بيوتنا غير محصنة ، ولابد لنا من الرجوع لحراستها ، وما كانت بيوتهم معرضة كما يقولون ، وما يريدون الا الفرار من المعركة بهذا العذر الكاذب .

١٤ - ولو دخلت الأحزاب عليهم المدينة من كل جوانبها ، ثم طلب منهم أن يعلنوا رجوعهم عن الإسلام ويقاتلوا المسلمين لاستجابوا لما طلب منهم ، وما انتظروا فى ذلك الا وقتا قصيرا

١٥ - ولقد كان هؤلاء الفارون من ميدان القتال عاهدوا الله من قبل هذه الغزوة أن يثبتوا فى القتال مع الرسول ولا يفروا . وكان عهد الله مسئولا عن صاحبه ، يجب عليه الوفاء به .

١٦ - قل لهم : لن ينفعكم الهرب ان هربتم من الموت أو القتل ، وقد حضر أجلكم ، وإذا لم يحضر وبقيتم لا تمتعون فى الدنيا الا مدة أعماركم ، وهى قليلة .

---

(١) ليس المراد بهذا التعبير أن الأعداء جاءوا من كل مكان ، وإذا رجعنا إلى تفصيلات الموقعة تبين أن المراد بالذين جاءوا من فوق المسلمين غطفان ومن تابعوها من سكان نجد ، لأنهم جاءوا من أعلى الجزيرة شرقا ، وتبين لنا أن الذين جاءوا من أسفل المؤمنين قريش لأنهم قدموا من أسفل الجزيرة غربا .

دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ

١٧ - قل لهؤلاء المترددين : من ذا الذى يجيركم من الله ان أراد بكم شرا ، أو يمنع الخير عنكم ان أراد بكم رحمة ؟ ولا يجدون لهم من دون الله مجيرا ولامغيثا .

١٨ - ان الله يعلم المثبطين منكم والذين يقولون لاخوانهم : انضموا الينا ، ولا يأتون شدة الحرب الا اتيانا قليلا .

١٩ - حرصاء عليكم فى الظاهر حيث لاخوف ، فاذا جاء الخوف من قبل العدو أو من قبل الرسول - ﷺ - رأيتهم ينظرون اليك ، تدور أعينهم حائرة ، كحال المغشى عليه من سكرات الموت ، فاذا ذهب الخوف بالغوا فى نمكم وشتمكم بألسنة قاطعة ، بخلاء بكل خير . أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم وان اعلنوا اسلامهم فأبطل الله اعمالهم بإضمارهم الكفر ، وكان ذلك الاحباط أمرا هينا على الله[1] .

٢٠ - يظن هؤلاء المنافقون أن جيوش الكفار المتحزبة لا تزال مكانها تحاصر المدينة ، وان يأت الاحزاب كرة أخرى يتمن الجبناء ان لو كانوا يعيشون مع الاعراب فى البوادى يتسقطون اخباركم ، ولو ظل هؤلاء فى معسكرهم ولم يفروا والتحم الجيشان ماقاتلوا معكم الا قليلا للرياء والسمعة .

٢١ - لقد كان لكم فى رسول الله قدوة حسنة ، لمن كان يرجو رحمة الله ونعيم اليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء .

٢٢ - ولما رأى المؤمنون الأحزاب المشركين قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله من قبل ، فقد وعدنا بالشدائد ثم النصر ، وصدق الله ورسوله ، وما زادتهم هذه الشدائد الا قوة ايمان بالله وحسن تسليم لقضائه .

---

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية لم يكن سبيلها معلوما عند نزول القرآن الكريم ، وهى دوران مقلة العين عند اقتراب الموت وعند الخوف . ومن أسباب ذلك أن شدة الخوف تذهب الوعى فيبطل الإدراك فتختل المراكز العصبية اللاإرادية فى منطقة مهاد المخ فيصير الخائف شبيها بحالة الذى يغشى عليه من الموت ، إذ تدور مقلته وتتسع حدقته وتثبت على اتساعها حتى يموت .

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ

---

٢٣ - من هؤلاء المؤمنين رجال عاهدوا الله على الثبات فى القتال مع الرسول ، فوفوا بما عاهدوا ، فمنهم من نال شرف الاستشهاد ، ومنهم من بقى حيا ينتظر أن ينال هذا الشرف ، ومابدلوا عهد الله الذى قطعوه على أنفسهم ، ولا غيروا شيئًا منه .

٢٤ - ليجزى الله المؤمنين الصادقين بصدقهم فى ايمانهم ووفائهم بعهدهم ، ويعذب المنافقين - ان شاء - أو يوفق المستعد منهم الى التوبة ، ان الله كان غفورا بقبول التوبة ، رحيما بالعفو عن المعصية .

٢٥ - ورد الله الكفار المتحزبين على الرسول ممتلئة قلوبهم بالغيظ ، لم ينالوا خيرا من نصر أو غنيمة ، وكفى الله المؤمنين مشقة قتالهم بما سلطه عليهم من الريح والملائكة ، وكان الله قويا على تنفيذ ما يريد ، عزيزا لا يغلبه غالب .

٢٦ - وأنزل الله الذين عاونوا الأحزاب من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى قريظة - من قلاعهم التى يتحصنون بها ، وألقى فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون - وهم الرجال - وتأسرون فريقا آخر وهو النساء والذرارى .

٢٧ - وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأها أقدامكم من قبل ، وكان الله - سبحانه - قديرا على تنفيذكل شىء يريد .

٢٨ - يأيها النبى : قل لأزواجك - ناصحا لهن - : ان كنتن تردن الحياة الدنيا ومتعتها ، فأقبلن أدفع اليكن مايخفف وحشة الطلاق ، فيكون متعة لكن ، وأطلقكن طلاقا لا اساءة معه .

٢٩ - وان كنتن تؤثرن حب الله ورسوله ونعيم الدار الآخرة ، وترضين بما أنتن فيه من خشونة عيش ، فان الله أعد لأمثالكن من المحسنات فى أعمالهن أجرا لا يقدر قدره .

ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ

---

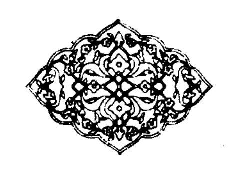
٣٠ ـ يانساء النبي : من يفعل منكن خطيئة ظاهرة فى قبحها يضم الى عذابها عذابان ، حتى تكون ثلاثة بالقياس الى عذاب غيرها . وكان ذلك التضعيف على الله هينا .

٣١ ـ ومن يدم منكن على الخضوع لله ورسوله ، وتعمل صالحا يعطها الله أجرها مرتين ، وأعددنا لها فى الآخرة رزقا جليل القدر .

٣٢ ـ يانساء النبى : لستن فى الفضل والشرف كأحد من النساء ، ان أردتن التقوى فلا تتحدثن بكلام فيه طراوة وتكسر ، فيطمع فيكن من فى قلبه فساد ، وليكن قولكن قولا متعارفا غير متكلف .

٣٣ ـ والزمن بيوتكن ، لا تخرجن الا لحاجة شرع الله الخروج لقضائها ، ولا تظهرن محاسنكن وزينتكن للرجال اذا خرجتن ، كما كانت تفعل أهل الجهالة الأولى ، وأدين الصلاة كاملة ، وأعطين الزكاة ، وامتثلن أمر الله ورسوله ، انما يريد الله بكل ما يأمركن به وينهاكن عنه الشرف والكرامة ، ليذهب عنكم الاثم والمعصية ـ يا أهل بيت النبى ـ ويطهركم تطهيرا لا يخالطه شبهة .

٣٤ ـ واحفظن ما يقرأ فى بيوتكن من آيات القرآن التى أنزلها الله ، وما ينطق به رسول الله من الحكم السديد . ان الله كان عالما بغوامض الاشياء وحقائقها ، فاحذرن مخالفته ومعصية رسوله .



وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ

---

٣٥ ـ ان المنقادين من الرجال والنساء ، والمصدقين بالله ورسوله والمصدقات . والقائمين بالطاعة والقائمات ، والصادقين فى أقوالهم وأعمالهم ونياتهم والصادقات ، والصابرين على تحمل المشاق فى سبيل الله والصابرات والمتواضعين لله والمتواضعات ، والمتصدقين من مالهم على المحتاجين والمتصدقات ، والصائمين الفرض والنفل والصائمات ، والحافظين فروجهم عما لا يحل والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات ، أعد الله لهم غفرانا لذنوبهم وثوابا عظيما على أعمالهم .

٣٦ ـ وماساغ لمؤمن ولا لمؤمنة اذا حكم الله ورسوله فى أمر من الأمور أن يكون له خيار فيه بعد أن حكم الله ورسوله ، ومن يخالف ماحكم به الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بعدا ظاهرا .

٣٧ ـ واذكر اذ تقول لزيد بن حارثه الذى أنعم الله عليه بهداية الاسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعتق ، أمسك عليك زوجك ـ زينب بنت جحش ـ واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتخفى فى نفسك ما الله مظهره من انه سيطلقها وانك ستتزوجها ، وتخاف ان يعيرك الناس . والله هو الجدير بان تخافه ولو كان فى ذلك مشقة عليك . فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها تخلصا من ضيق الحياة معها زوجناكها ، لتكون قدوة فى ابطال هذه العادة المرذولة ، ولا يتحرج المسلمون بعد ذلك من التزوج بزوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن . وكان أمر الله الذى يريده واقعا لا محالة .

٣٨ ـ ماكان على النبى من اثم فى عمل أمره الله به ، سن الله سنته مع الانبياء من قبل الا يحظر عليهم ما أباح لهم ووسع عليهم ، وكان أمر الله قضاء مقضيا وحكما مثبوتا .

وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

---

٣٩ ـ الذين يبلغون الى الناس رسالات الله كما أنزلها، ويخافونه ولا يخافون أحدا سواه، وكفى أن يكون الله هو الرقيب المحاسب.

٤٠ ـ ماكان محمد ابا أحد من رجالكم حتى يحرم عليه التزوج من مطلقته، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، عليه ان يؤدى رسالته كما أمره ربه من غير خشية أحد، وكان الله بكل شيء محيطا علمه.

٤١، ٤٢ ـ يأيها الذين آمنو: اثنوا على الله بضروب الثناء واكثروا من ذلك، ونزهوه عن كل مالا يليق به أول النهار وآخره.

٤٣ ـ وهو الذى يتعهدكم برحمته ولطفه، وملائكته تطلب المغفرة والهداية لكم، ليخرجكم الله بذلك من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والطاعة، وكان الله بالمؤمنين عظيم الرحمة.

٤٤ ـ تحيتهم من الله يوم يلقونه أمن وسلام لهم، وهيأ لهم على اعمالهم أجرا سخيا يشعرهم بفضله.

٤٥ ـ يأيها النبى: انا بعثناك الى الناس برسالة الاسلام، تشهد بالحق، وتبشر المؤمنين بما يكون لهم من خير وثواب، وتنذر الكافرين بسوء المصير.

٤٦ ـ وداعيا الخلق الى الله بأمره، وسراجا يهدى بنوره الحاضرين فى ظلمات الشك.

٤٧ ـ وبشر المؤمنين بأن لهم مزيدا كبيرا من الخير فى الدنيا والآخرة.

٤٨ ـ ولا تطع الكافرين والمنافقين، ولاتعبأ بأذاهم، واجعل الله وكيلك يدفع عنك ضرهم وشرهم وحسبك الله وكيلا يكفيك ويغنيك.

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

٤٩ - يأيها الذين آمنوا اذا عقدتم على المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تدخلوا بهن ، فليس لكم عليهن عدة تستوفون عددها ، فأعطوهن شيئا من المال جبرا لخاطرهن ، واخرجوهن من بيوتكم من غير اضرار بهن .

٥٠ - يأ يها النبي : انا أبحنا لك أزواجك اللاتى أعطيتهن مهورهن ، وأبحنا لك ماملكت يمينك من الاماء مما أنعم الله به عليك ، وأحللنا لك التزوج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ، وأحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك بلا مهر ، وأنت تريد نكاحها وترغب فيها ، خلصت لك هذه الهبة من دون المؤمنين فلا تحل لهم ، قد علمنا ما فرضناه على المؤمنين فى أزواجهم وامائهم من أحكام . وما رخصنا لك فيه دونهم ، لئلا يكون عليك ضيق فيما شرعناه لك . وكان الله غفورا لذنوب عباده ، رحيما بالتوسعة عليهم .

٥١ - تؤخر من تشاء منهن فى القسم ، وتدنى اليك من تشاء ، ومن طلب ممن أخرت قسمها فلا مؤاخذة عليك ، ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى سرورهن وبعد الحزن عنهن ، ويرضين كلهن بما آتيتهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم من السخط أو الرضا بما شرع ، وكان الله عليما بما فى الصدور ، حليما لا يعاجل بالعقوبة .

٥٢ - لايحل لك النساء من بعد ، ولا أن تطلقهن لتستبدل بهن من النساء من تشاء ، ولو أعجبك حسنهن ، ولكن الله أحل لك ماتملكه يدك من الاماء ، وكان الله مطلعا على كل شىء ، حافظا له .

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

٥٣ ـ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا فى حال اذنه لكم لتناول الطعام ، غير منتظرين وقت ادراكه ، ولكن اذا دعاكم الرسول فادخلوا ، فاذا طعمتم فانصرفوا ، ولا تمكثوا بعد ذلك مستأنسين لحديث بعضكم بعضا ، لان الدخول بدون اذنه واطالة المكث بعد الطعام كان يؤذى النبي فيستحيى أن يطلب اليكم الخروج ، ولكن الله ـ تعالى ـ لا يمنعه من الجهر بالحق ما يمنع المخلوقين . واذا سألتم احدى زوجات النبي ـ ﷺ ـ حاجة فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلك أعظم طهارة لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان ، وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتزوجوا نساءه من بعده أبدا ، احتراما له ولهن ، ان ذلكم كان عند الله ذنبا عظيما[1] .

٥٤ ـ ان تظهروا شيئا مما يؤذيه أو تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شىء عليما .

٥٥ ـ لا اثم على نساء النبي الا يحتجبن من آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا النساء المؤمنات ولا العبيد المملوكين لهن ، لشدة الحاجة اليهم فى الخدمة ، واتقين الله فيما أمركن به ، فلا تتجاوزن حدوده ، لانه كان بكل شىء عالما لا تخفى عليه خافية .

٥٦ ـ ان الله يرحم نبيه ويرضى عنه ، والملائكة يدعون له . يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

---

(١) يراجع التعليق العلمى على الآيتين ٥٨ ، ٥٩ من سورة النور فى شأن آداب الزيارة وحرمة المساجد .

لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ

---

٥٧ - ان الذين يؤذون الله ورسوله بتحديهما والتحريض على الكفر بهما طردهم الله فى الدنيا والآخرة من رحمته ، واعد لهم عذابا يذل كبرياءهم .

٥٨ - والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب فعلوه ، فقد تحملوا وزر كذبهم عليهم ، وأتوا ذنبا ظاهر القبح .

٥٩ - يأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يسدلن على أجسامهن من جلابيبهن ، وذلك اللباس على هذا الحال أولى وأحق بأن يعرفن فلا يتعرض لهن بأذى ، وكان الله غفورا رحيما لمن أقلع عن ذنوبه .

٦٠ - أقسم : ان لم يكف المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمشيعون للاخبار الكاذبة فى المدينة لنسلطنك عليهم ، ثم لا يكون لهم بقاء بجوارك فيها الا زمنا قليلا .

٦١ - مستحقين للعنة والطرد ، أينما وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا .

٦٢ - سن الله - تعالى - من قبل فيمن نافقوا الانبياء والمرسلين ، وتمردوا ، أن يقتلوا أينما وجدوا ، ولن تجد لسنة الله تغييرا .

٦٣ - يسألك الناس عن وقت قيام الساعة ، قل لهؤلاء : ان علم وقتها عند الله - وحده - وما يدريك لعل وقت قيامها يكون قريبا .

٦٤ - ان الله طرد الكافرين من رحمته ، وأعد لهم نارا شديدة الاتقاد .

٦٥ - لا يخرجون منها أبدا ، لايجدون لهم من يتكفل بحمايتهم ، ولا من يدفعها عنهم .

أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

---

٦٦ ـ يوم تتقلب وجوههم فى النار من حال الى حال ، يقولون ـ نادمين ـ : ياليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول .

٦٧ ـ وقالوا : ربنا انا اتبعنا رؤساءنا وكبراءنا فى الكفر بك وبرسولك ، فأبعدونا عن الطريق المستقيم .

٦٨ ـ ربنا اجعل عذابهم مضاعفا ، واطردهم من رحمتك طردا كبيرا بمقدار اثمهم وجرمهم .

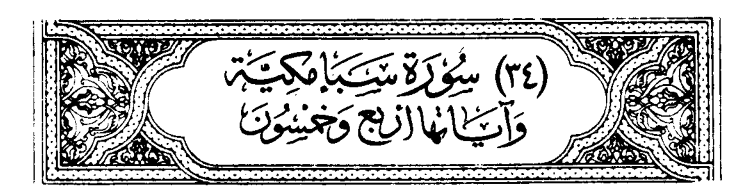
٦٩ ـ يأيها الذين آمنوا لا تؤذوا النبى بأى نوع من الاذى ، كالذين آذوا موسى . من قومه ، فبرأه الله مما نسبوه اليه ، وكان موسى عند الله سيدا ذا جاه .

٧٠ ـ يأيها الذين آمنوا خافوا عقاب الله اذا عصيتموه ، وقولوا قولا مستقيما لا اعوجاج فيه .

٧١ ـ يوفقكم للعمل الصالح ويمح ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد نال الفوز العظيم ، بالنجاة من العقاب والحصول على الثواب .

٧٢ ـ انا عرضنا التكاليف على السموات والارض والجبال فأبين حملها ، وخفن منها ، وحملها الانسان ، انه كان شديد الظلم لنفسه ، جهولا بما يطيق حمله .

٧٣ ـ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويقبل الله توبة المؤمنين والمؤمنات ، والله كثير المغفرة واسع الرحمة . .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ

افتتحت هذه السورة باستحقاق الله ـ وحده ـ الثناء والمدح على ما أنعم به على عباده فكل ما فى السموات والارض له ـ سبحانه ـ خلقا وملكا . وتحكى السورة قالة الكافرين فى الساعة ، واستبعادهم للبعث ، ورميهم الرسول بالكذب وبالجنون ، ويردهم ـ سبحانه ـ الى دلائل قدرته ، ويخوفهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بأشباههم ، فيخسف بهم الارض ، أو يسقط عليهم قطعا من السماء ، ويذكرهم بفعله مع أوليائه ، فقد ألان الحديد لداود ، ومكن سليمان وسخر له الجن ، يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ، وداود وسليمان قد شكرا النعمة ، وقليل من عباد الله الشكور ، واتبع ذلك بما أنعم الله على سبأ من نعم لم يشكروها ، فكان لهم جنتان عن يمين وشمال ، فكانت قراهم متقاربة ، يسيرون اليها آمنين ، فأبطرتهم النعمة ، وطلبوا بعد الاسفار ، فجازاهم الله بمايجازى به الجاحدين لنعمه ، وهم قد حققوا ظن ابليس واتبعوه ، وماكان له عليهم من سلطان ، وانما هو فتنة تميز المؤمن بالآخرة ممن هو فى شك منها . ثم أخذت السورة تصف من جعلوهم آلهة بالعجز ، وتذكر أن كل نفس مسئولة عن جرمها ، وتثبت عموم رسالة الرسول ، وتنقل استبطاء المشركين ليوم الوعيد ، وله وقت معلوم .

وتحكى السورة قول الكافرين فى القرآن ومحاورة المستكبرين والضعفاء ، وتضع حدا للتفاخر بالاموال والاولاد ، وانها لا تقرب الى الله الا بقدر ماتوجه اليه من نفع عام ، فهى ملكه ، وهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وتعرض صورا للمشركين ، فقد قالوا فى رسولهم : انه يريد ان يصدهم عما يعبد آباؤهم ، وقالوا فيما نزل عليه من آيات : افك مفترى وسحر مبين . وما أوتوا كتبا من قبل ، وما أرسل اليهم قبلك من رسول ، وقد أرسلنا الى من قبلهم ممن علموا قوتهم وعزتهم وأخبارهم ، فلما لم يستجيبوا أخذناهم بالعذاب . ويؤمر الرسول ـ ﷺ ـ أن يوضح مهمته معهم ، وانها التذكير دون الالجاء ، ويؤمرون بالنظر فى صاحبهم ، فما به جنون ، ولا هو طالب لمال ، ودعوته للناس الى الحق بوحى من الله ـ تعالى ـ ليتحقق لهم الامن . فاذا جاءت الساعة وفزعوا ولامهرب أخذوا من مكان قريب ، وقالوا عند ذلك : آمنا . وانى لهم الايمان وقد كفروا من قبل ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأمثالهم ، انهم جميعا كانوا فى شك من أمر الدين موقع فى الريبة .

١ ـ الثناء كله حق لله ـ وحده ـ الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وتدبيرا ، وله ـ وحده ـ الثناء فى الآخرة لملكه الشامل ، وهو الحكيم الذى لا يخطىء ، الخبير الذى لا يغيب عنه سر .

مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

---

٢ ـ يعلم كل مايدخل فى أجزاء الارض كالماء والكنوز والدفائن وأجزاء الموتى ، وكل ما يخرج منها كالحيوان والنبات والمعادن ومياه الآبار والعيون ، ويعلم ماينزل من السماء كالملائكة والكتب التى يتلقاها الانبياء والمطر والصواعق وما يصعد فيها ويرقى اليها كالملائكة وأعمال العباد والارواح ، وهو الكثير الرحمة العظيم المغفرة .

٣ ـ وقال الذين كفروا : لاتأتينا الساعة الموعودة للبعث والنشور . قل لهم ـ أيها الرسول ـ : ستأتيكم ، وربى لتأتينكم ، عالم الغيب لايغيب عن علمه قدر ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها الا مسطور فى كتاب تام البيان[1] .

٤ ـ ليثبت الله الذين آمنوا وعملوا الخير لانفسهم وللناس ، أولئك المؤمنون العاملون لهم من الله مغفرة تمحو ذنوبهم ورزق واسع لامن فيه .

٥ ـ والذين أجهدوا أنفسهم فى محاربة القرآن ، مغالبين أمر الله فى نصر رسوله ، أولئك لهم عذاب من أسوأ العذاب المؤلم .

٦ ـ ويعلم الذين من الله عليهم بالعلم أن القرآن الذى أنزل اليك من ربك ـ بما فيه من عقائد وهداية ـ هو الحق الذى لا مرية فيه وهو الذى يهدى الى طريق الله الغالب على كل شىء ، المستحق لكل ثناء .

٧ ـ وقال الكفار بعضهم لبعض ـ استهزاء بخبر البعث ـ : هل ندلكم على رجل يحدثكم أنكم اذا متم وفرقت أجسامكم كل تفريق أنكم لتبعثون فى خلق جديد ؟ !

---

(١) الذرة فى اللغة العربية : شىء صغير جدا كصغار النمل أو دقيقة الغبار . ومثقال الذرة ، معناه : وزن الذرة وتفيد الآية وجود ما هو أصغر من الذرة ، وجدير بالذكر أن العلم الحديث أثبت انقسام الذرة إلى أصغر منها وهى مكوناتها المعروفة بالنواة والكهارب . وهذا لم يتحقق علميا إلا فى القرن العشرين الميلادى .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

---

٨ - اختلق هذا الرجل على الله كذبا فيما نسبه اليه من احياء الموتى، أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدرى ؟! ليس الامر كما زعموا بل الحقيقة ان الذين لا يؤمنون بالآخرة واقعون فى العذاب والضلال البعيد عن الحق.

٩ - أعموا فلم ينظروا الى ما بين أيديهم وما وراءهم من السماء والارض، ليعلموا قدرتنا على فعل ما نشاء ؟! ان نشأ نخسف بهم الارض خسفناها بهم، أو ان نشأ نسقط عليهم قطعا من السماء نسحقهم بها أسقطناها، ان فيما ذكرنا لدليلا لكل عبد راجع الى ربه فى كل أمره.

١٠ - والله: لقد أعطينا داود منا فضلا باعطائه الحكمة والكتاب، وقلنا: ياجبال رددى معه التسبيح اذا سبح، وسخرنا له الطير ترجع تقديس الله، وصيرنا له الحديد لينا يشكله كما يشاء(١).

١١ - أوحينا اليه أن اعمل دروعا واسعة تحمى من بأس الاعداء، وأحكم نسجها بتداخل حلقاتها، وقلنا له ولآله: اعملوا مايعود عليكم وعلى غيركم بالخير والصلاح، انى بكل ما تعملون بصير لا يغيب عنى شىء منه.

١٢ - وسخرنا لسليمان الريح، جريها فى أول النهار يعدل السير العادى شهرا، وجريها فى آخر النهار يعدل السير شهرا. واسلنا له معدن النحاس يجرى غزيرا مستمرا، وسخرنا له من الجن من يعمل امامه بتسخير ربه، ومن ينحرف من الجن عن أمرنا لهم بطاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

١٣ - يعملون له مايريد من مساجد للعبادة وصور مجسمة وقصاع كبيرة كالاحواض واوان للطبخ ثابتات على قواعدها لعظمها، وقلنا لآل داود: اعملوا عملا تشكرون به الله شكرا، وقليل من عبادى من يذكر نعمى فيكثر شكرى.

---

(١) داود عليه السلام - أحد أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم، عاش فى الفترة التى بين سنة ١٠١٠ و ٩٧٠ ق. م.

مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ

---

١٤ ـ فلما حكمنا على سليمان بالموت مادل الجن على موته الادابة الارض تأكل عصاه وهو متكىء عليها ، فلما سقط علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا فى العذاب الشاق المهين لهم.

١٥ ـ اقسم : قد كان لأهل سبأ فى مسكنهم باليمن آية دالة على قدرتنا . حديقتان يحفان ببلدهم عن يمين وشمال ، قيل لهم : كلوا من رزق ربكم واشكروا نعمه بصرفها فى وجوهها . بلدتكم بلدة طيبة ذات ظل وثمار ، وربكم كثير المغفرة لمن شكره .

١٦ ـ فأعرضوا عن شكر النعمة وبطروا معيشتهم ، فأطلقنا عليهم السيل الجارف الذى اعقب تصدع السدود ، فأهلكت البساتين ، وبدلناهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتى ثمر مر ، وشجر لا يثمر ، وشىء من نبق قليل لا غناء فيه[1] .

١٧ ـ ذلك الجزاء جزيناهم بكفرهم النعمة وعدم شكرها ، وهل نعاقب هذا العقاب الا شديد الكفر بالله وبأفضاله ؟ !

١٨ ـ وجعلنا بين مسكنهم باليمن وبين القرى المباركة قرى متقاربة يظهر بعضها لبعض ، وجعلنا نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين من السير لا مشقة معه . وقلنا لهم : سيروا فيها ليالى وأياما متمتعين بالامن .

١٩ ـ فقالوا ـ بطرا بنعمة الراحة والامن ـ ربنا : باعد بين أسفارنا ، فلا نصادف قرى عامرة فى طريقنا الى مقاصدنا ، فباعد الله بين أسفارهم ، وظلموا أنفسهم بطغيانهم ، فصيرناهم أحاديث للناس ، وفرقناهم كل تفريق ان فيما وقع لهم لعظات لكل صبار على البلاء . شكور على العطاء .

٢٠ ـ ولقد حقق ابليس ظنه عليهم ، فاتبعوه الا فريقا قليلا من المؤمنين .

---

(١) سيل العرم أو سد مأرب . هو أعظم سدود اليمن ، وقد استطاع هذا أن يحول مساحة قدرها ثلثمائة ميل مربع كانت جرداء قاحلة فأصبحت بعد تدبير المياه غياضا وبساتين . وآية ذلك هاتان الجنتان ، وقد اختلفت اقوال المؤرخين فيمن بناه ، كذلك تعددت الأقوال فى أسباب تهدمه .

مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

---

٢١ - وماكان لابليس عليهم من قوة يخضعهم بها ، ولكن الله امتحنهم ليظهر من يصدق بالآخرة ممن هو منها فى شك . وربك - أيها النبى - على كل شىء رقيب قائم على كل أمر .

٢٢ - قل - أيها النبى - للمشركين : ادعوا الذين ادعيتم باطلا انهم شركاء من دون الله ليجلبوا لكم نفعا أو يدفعوا عنكم ضرا ، هم لا يجيبونكم ، لانهم لا يملكون مقدار ذرة فى السموات ولا فى الارض ، وليس لهم فيهما شركة مع الله فى خلق أوملك ، وليس لله من هؤلاء الشركاء المزعومين من يعينه على تدبير شئون خلقه .

٢٣ - ولاتنفع الشفاعة عند الله الا للمستأهلين لمقام الشفاعة ، حتى اذا كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن لهم فى الشفاعة ، قال بعضهم لبعض - مستبشرين - : ماذا قال ربكم ؟ ! فيجابون بأنه قال القول الحق باذنه فى الشفاعة لمن ارتضى ، وهو - وحده - صاحب العلو والكبرياء ، ويأذن ويمنع من يشاء كما يشاء .

٢٤ - قل - أيها النبى - للمشركين : من يأتيكم برزقكم من السموات والأرض ؟ ! قل لهم - حين لا يجيبون عنادا - : الله وحده هو الذى يرزقكم منهما ، واننا معشر المؤمنين أو اياكم معشر المشركين لعلى أحد الامرين من الهدى أو الضلال الواضح .

٢٥ - قل لهم - أيها النبى - : لاتسألون عما أذنبنا ولا نسأل عن أعمالكم .

٢٦ - قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يقضى بيننا بالحق ، وهو - سبحانه - الحاكم فى كل أمر ، العليم بحقيقة ما كان منا ومنكم .

٢٧ - قل لهم : أرونى الذين ألحقتم بالله فى استحقاق العبادة ، تزعمون شركتهم له ، ليس له شريك ، بل هو الله الغالب على كل شىء ، الحكيم فى تدبيره وتصريفه .

إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

---

٢٨ ـ وما أرسلناك ـ يامحمد ـ الا للناس جميعا ، بشيرا للمؤمنين بالخير ، ونذيرا للكافرين بالشر ، ولكن أكثر الناس لايعلمون صدقك وعموم رسالتك .

٢٩ ـ ويقول الكافرون ـ استبعادا لليوم الموعود للجزاء ـ متى هذا الوعد فندخل النار وتدخلون الجنة ان كنتم صادقين فى وعدكم به ؟ !

٣٠ ـ قل لهم أيها النبى : لكم ميعاد يوم عظيم ، لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون .

٣١ ـ وقال الذين كفروا : لن نصدق بهذا القرآن ولا بالكتب التى تقدمت عليه فيما تأمر به وتدعو اليه . ولو ترى ـ يامن تمكنك الرؤية ـ وقت وقف الظالمين عند خالقهم ومالك أمرهم لرأيت العجيب فى موقفهم ، حين يرد بعضهم الى بعض القول ، يقول المستضعفون للمستعلين عليهم : لولا أنتم ـ بتسلطكم علينا ـ لكنا مؤمنين .

٣٢ ـ قال المستكبرون للمستضعفين ـ منكرين قولهم ـ : أنحن صددناكم عن الهدى بعد مجيئه لكم ؟ ! نصدكم عنه ، بل كنتم مؤثرين الضلالة على الهدى .

٣٣ ـ وقال المستضعفون للمستكبرين : بل تدبيركم ووسوستكم لنا فى الليل والنهار أوقعنا فى التهلكة ، حين كنتم تطلبون منا أن نكفر بالله ، ونجعل له شركاء ، وأسر الفريقان الحسرة لما رأوا العذاب واقعا بهم ، فعلموا أن لا فائدة من اظهار هذه الحسرة ، وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين لم يؤمنوا ، هل يستحق هؤلاء الا جزاء ماكانوا يعملون ؟ !

٣٤ ـ وماأرسلنا فى قرية من رسول يدعوهم الى الحق الا قال المترفون من أهلها : انا بما جئتم به مكذبون .

٣٥ ـ وقالوا ـ متباهين ـ : نحن أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمعذبين فى الآخرة .

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ

---

٣٦ - قل لهم - أيها النبي - : ان خالق يوسع الرزق لمن يشاء من العاصين والمطيعين ويضيق على من يشاء، وليس ذلك دليل رضاه أو سخطه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٣٧ - وليست أموالكم وأولادكم بالمزية التى تقربكم عندنا قربة، لكن من ثبت له الايمان وعمل صالحا فأولئك لهم الثواب المضاعف بما عملوا، وهم فى أعالى الجنات آمنون.

٣٨ - والذين يسعون فى معارضة آياتنا - محاولين ابطالها وتعجيز أنبيائنا عن تبليغها - أولئك فى العذاب محضرون لا يفلتون.

٣٩ - قل - أيها النبى - : ان ربى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق عليه، وما انفقتم من شىء فهو يعوضه، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

٤٠ - واذكر - أيها النبى - يوم يحشرهم الله جميعا، ثم يقول - سبحانه - للملائكة أمام من كانوا يعبدونهم : اهؤلاء خصوكم بالعبادة دونى ؟!

٤١ - قالت الملائكة : ننزهك - تنزيها - عن أن يكون لك شريك - أنت الذى نواليه من دونهم، وهم واهمون فى زعمهم أنهم كانوا يعبدوننا، بل كانوا خاضعين لتأثير الشياطين الذين زينوا لهم الشرك. أكثرهم بهم مصدقون.

٤٢ - فيوم الحشر لايملك بعضكم لبعض جلب نفع ولا دفع ضر، ونقول للظالمين أنفسهم : ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون.

كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ

---

٤٣ - وإذا تتلى على الكفار آياتنا واضحات الدلالة على الحق قال الكافرون : ما هذا الا رجل يريد أن يمنعكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا القرآن الا كذب مختلق ، وقال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم : ما هذا الا سحر واضح .

٤٤ - وما أنزل الله على العرب من كتب سماوية يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يخوفهم عاقبة جحودهم .

٤٥ - وكذب الذين سبقوا من الأمم أنبياءهم ، وما بلغ مشركو قومك عشر ما آتينا هؤلاء السابقين من قوة وتمكين ، فكذبوا رسلى ، فكيف كان انكارى عليهم بعتابى لهم ؟ !

٤٦ - قل لهم : انما آمركم بخصلة واحدة هى : أن تقوموا - مخلصين لله بعيدين عن التقليد - فى البحث بإخلاص لله ، ومتفرقين اثنين اثنين يتعاونان فى التأمل ، وواحدا واحدا ينظر بعدل وانصاف ، ثم تتفكروا فى أمر صاحبكم - محمد - الذى عاشرتموه وعرفتم سلامة عقله . ما به من جنون حين تصدى لهذا الأمر ، ان هو الا نذير لكم بعذاب شديد مقبل أمامكم .

٤٧ - قل للكفار : أى شىء من أجر طلبته منكم على تبليغ الرسالة فهو لكم ، ما أجرى الذى أنتظره الا على الله ، وهو على كل شىء رقيب مطلع .

٤٨ - قل لهم : ان ربى يرمى بالحق فى وجه الباطل فيمحقه ، وهو علام الغيوب لا يخفى عليه سر .

٤٩ - قل لهم : ظهر الإسلام ، وما يستحق الباطل وسيلة تدفع الحق . وما يعيد وسائله السابقة .

قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

---

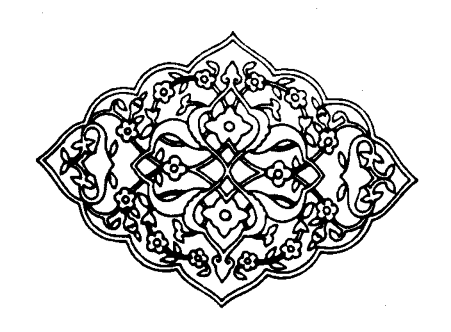
٥٠ ـ قل لهم : ان انحرفت عن الحق فإنما ضرر ذلك عائد على نفسى ، وان اهتديت فبارشاد ربى ، انه سميع لقولى وقولكم ، قريب منى ومنكم .

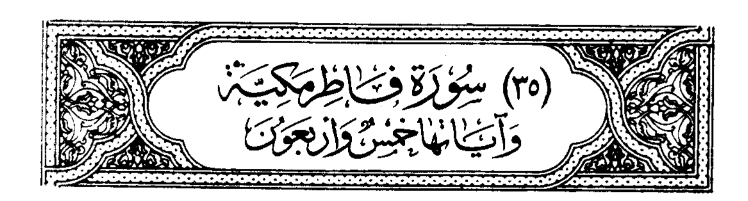
٥١ ـ ولو ترى ـ أيها المبصر ـ حين فزع الكفار عند ظهور الحق فلا مهرب لهم ، وأخذوا إلى النار من مكان قريب .

٥٢ ـ وقالوا ـ عندما شاهدوا العذاب ـ : آمنا بالحق ، وكيف يكون لهم تناول الإيمان بسهولة من مكان بعيد عن الدنيا التى انقضى وقتها ؟!

٥٣ ـ وقد كفروا بالحق من قبل هذا اليوم ، ويرجمون بالظن الباطل من مكان بعيد عن الصواب .

٥٤ ـ وحيل بينهم وبين ما يشتهون من ايمان ينفعهم ، كما فعل بأشياعهم من قبل عندما آمنوا بعد فوات الوقت ، لأنهم ـ جميعا ـ كانوا فى شك من الحق موقع فى التهمة .





بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ

افتتحت هذه السورة بالثناء على الله خالق السموات والأرض على غير مثال ، جاعل الملائكة رسلا إلى عباده ذوى أجنحة عديدة ، ما يرسله للناس من فضل لا أحد يمنعه ، وما يمسكه لا أحد يرسله ، يدعو الناس إلى ذكر النعمة ، اذ لا خالق معه يمدهم بالرزق ولا اله معه يصرفون إليه . وكذب القوم دعوتك ، فلك فيمن سبق من الرسل عبرة ، ولك فيما وعدنا من رجعة إلينا ما يسليك وواجب على الناس ألا تغرهم الدنيا بزخارفها ، ولا يغرهم الشيطان وأمره مقصور على دعوة متابعيه إلى التهلكة ، ومن تابعه قاده إلى النار ، ولا يستوى من زين له الشيطان سوء عمله ومن تركه ، وإذا كان شأن الناس ذلك فلا تأسف على عدم ايمانهم ، فمن أرسل السحاب وأحيا به الموات ، يحيى الأموات للحساب والجزاء ، ومن أراد المنعة اعتز بالله ، ومن اعتز بغيره أذله ، وأعمال العباد تصعد إليه ، فيقبل عمل المؤمنين ويحبط عمل الكافرين . ودليل قدرته على البعث والنشور أنه خلق الناس من تراب ثم من نطفة ثم جعلهم أزواجا ، وما تحمل من أنثى ولا تضع ألا بعلمه ، خلق العذب والملح ، ومن كل تحصل الارزاق ، وأدخل الليل فى النهار وأدخل النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى إلى أجل مسمى ، هذا القادر هو الاله الحق . والذين يدعون من دونه لا يملكون ، وإذا دعوا لا يسمعون ، وإذا سمعوا لا يستجيبون ، ويوم القيامة يكفرون بشرك من أشركوهم مع الله ، وهو عادل يحمل كل نفس عملها ، ويوجه الرسل أن يقصدوا بدعواتهم من يخشون الله ، ووظيفة الرسول انذار قومه ، وما من أمة الا خلا فيها نذير .

وتعود السورة إلى دلائل القدرة ، فالماء تخرج به الثمرات المختلفة ، والجبال طرائق بيض وحمر وسود ، والناس والدواب مختلف ألوانهم ، كل ذلك يحمل على الخشية منه ، ومن يتل كتاب الله الذى أورثه من اصطفاه يدخل الجنة يمتع بما فيها ، ومن كفر يدخل النار لا يقضى عليه فيها ولا يخفف عنه من عذابها ، يطلب الرجعة إلى الدنيا ليصلح من عمله ، وقد أمهل وقتا يتذكر فيه من تذكر ، وجاءهم النذير . وهو ـ سبحانه ـ جعلكم خلائف الأرض ، ويمسك السموات والأرض أن تزولا . وقد أقسم المعاندون : لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى ممن سبقوهم ، فلما جاءهم استكبروا ، فحاق بهم مكرهم ، وما قدروا الله حق قدره ، ولو يؤاخذ الله أهل الأرض بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل ، فإذا جاء فإن الله كان بعباده بصيرا .

مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

١ - الثناء الجميل حق لله - وحده - موجد السموات والأرض على غير مثال سبق ، جاعل الملائكة رسلا إلى خلقه ذوى أجنحة مختلفة العدد ، اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا . يزيد فى الخلق ما يشاء أن يزيد ، لا يعجزه شىء ، ان الله على كل شىء عظيم القدرة .

٢ - ما يرسل الله للناس رحمة - أى رحمة كانت مطرا أو نعمة أو أمنا أو حكمة - فلا أحد يحبسها عنهم ، وما يحبس من ذلك فلا أحد يستطيع أن يطلقه من بعده ، وهو الغالب الذى لا يغلب ، الحكيم الذى لا يخطىء .

٣ - يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بشكرها وتأدية حقها ، وأقروا بما يقع فى نفوسكم أنه لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ترسله والأرض بما تخرجه مما به حياتكم . لا اله الا هو يرزق عباده ، فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشرك فى عبادته ؟ !

٤ - وان يكذبك كفار قومك فيا جئتهم به من الهدى فاصبر عليهم ، فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا حتى انتصروا ، وإلى الله - وحده - ترجع الأمور كلها .

٥ - يأيها الناس : ان وعد الله - بالبعث والجزاء والنصر - حق ، فلا تخدعنكم الدنيا عن الآخرة ، ولا يخدعنكم الشيطان عن اتباع الرسل ، فيمنيكم بالمغفرة مع الإصرار على المعصية .

٦ - ان الشيطان لكم عدو قديم فلا تنخدعوا ، بوعوده ، فاتخذوه عدوا ، انما يدعو متابعيه ليكونوا من أصحاب النار المشتعلة لا يدعوهم لغيرها .

٧ - الذين كفروا بالله ورسله لهم عذاب شديد ، والذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم عند الله مغفرة لذنوبهم وأجر كبير على أعمالهم .

٨ - أفقدوا التميز ، فمن زين له الشيطان عمله السىء فرآه حسنا كمن اهتدى بهدى الله فرأى الحسن حسنا والسىء سيئا ! فإن الله يضل من يشاء ممن ارتضوا سبيل الضلال سبيلا ، ويهدى من يشاء ممن اختاروا سبيل الهداية سبيلا . فلا تهلك نفسك حزنا على الضالين وحسرة عليهم ، ان الله محيط علمه بما يصنعون من شر ، فيجزيهم به .

وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

---

٩ ـ والله ـ وحده ـ هو الذى أرسل الرياح فتحرك سحابا تراكم من أبخرة الماء، فسقنا السحاب إلى بلد مجدب، فأحيينا به أرضه بالنبات بعد موتها، مثل اخراجنا النبات من الأرض نخرج الموتى من القبور يوم القيامة(١).

١٠ ـ من كان يريد الشرف والقوة فليطلبها بطاعة الله، فإن له القوة كلها، إليه يعلو الكلم الطيب، ويرفع الله العمل الصالح فيقبله، والذين يدبرون للمؤمنين المكيدات التى تسوءهم لهم عذاب شديد، وتدبيرهم فاسد، لا يحقق غرضا ولا ينتج شيئا.

١١ ـ والله أوجدكم من تراب، اذ خلق أباكم آدم منه، ثم خلقكم من نطفة هى الماء الذى يصب فى الأرحام، وهى أيضا من أغذية تخرج من التراب، ثم جعلكم ذكرانا واناثا، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها الا بعلمه تعالى، وما يمد فى عمر أحد ولا ينقص من عمره الا مسجل فى كتاب، ان ذلك على الله سهل هين.

١٢ ـ وما يستوى البحران فى علمنا وتقديرنا وان اشتركا فى بعض منافعهما، هذا ماؤه عذب يقطع العطش لشدة عذوبته وحلاوته وسهولة تناوله، وهذا ملح شديد الملوحة. ومن كل منهما تأكلون لحما طريا مما تصيدون من الأسماك، وتستخرجون من الماء الملح ما تتخذونه زينة كاللؤلؤ والمرجان. وترى ـ أيها المشاهد ـ السفن تجرى فيه شاقة الماء بسرعتها، لتطلبوا شيئا من فضل الله بالتجارة، ولعلكم تشكرون لربكم هذه النعم(٢).

---

(١) يرجع إلى التعليق العلمى على الآية ٥٧ من سورة الأعراف.

(٢) ومن آيات الله التى دعا الناس إلى تعقلها ومن عليهم بها جريان الفلك ومخورها فى البحر حسب سنته التى سنها فى الطبيعة وهو ما بينه قانون الأجسام الطافية، وبديهى أن بعض الحلى تستخرج من البحر الملح وقد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرا للحلى أيضا ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك أما اللؤلؤ فإنه كما يستخرج من أنواع معينة من البحر يستخرج أيضا من أنواع معينة أخرى صدفيات الأنهار. فتوجد اللآلىء فى المياه العذبة فى انجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان.. إلخ بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة. ويدخل فى ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلادة كالماس الذى يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة. ويوجد الياقوت كذلك فى الرواسب النهرية فى موجوك بالقرب من باندالاس فى بورما العليا، أما فى سيام وفى سيلان فيوجد الياقوت غالبا فى الرواسب النهرية. ومن الأحجار شبه الكريمة التى تستعمل فى الزينة حجر التوباز.

ويوجد فى الرواسب النهرية فى مواقع كثيرة ومنتشرة فى البرازيل وفى روسيا (الأورال وسيبيريا) وهو فلورسيليكات الألمنيوم ويغلب أن يكون أصفر أو بنيا.

الزيركون CIRCOM حجر كريم جذاب تتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب النهرية.

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ

---

١٣ - يدخل الليل فى النهار ويدخل النهار فى الليل، بطول ساعات أحدهما وقصرها فى الآخر. حسب أوضاع محكمة مدى الأعوام والدهور، وسخر الشمس والقمر لمنفعتكم، كل منهما يجرى إلى أجل معين ينتهى إليه. ذلك العظيم الشأن هو الله مدبر أموركم، له الملك وحده، والذين تدعون من غيره آلهة تعبدونها ما يملكون من لفافة نواة، فكيف يستأهلون العبادة ؟ ![1].

١٤ - ان تدعوا الذين تعبدونهم من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا دعاءكم ما أجابوا شيئا مما تطلبون، ويوم القيامة ينكرون اشراككم لهم مع الله، ولا يخبركم بهذا الخبر من أحوال الآخرة مثل عليم به علما دقيقا.

١٥ - يأيها الناس: أنتم المحتاجون إلى الله فى كل شىء، والله هو الغنى - وحده - عن كل خلقه، المستحق للحمد على كل حال.

١٦ - ان يشأ الله اهلاككم أهلككم لتمام قدرته، ويأت بخلق جديد ترضاه حكمته.

١٧ - وما هلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله.

١٨ - ولا تحمل نفس مذنبة اثم نفس أخرى، وان تدع نفس مثقلة بالذنوب شخصا ليحمل عنها، لا يحمل هذا الشخص من ذنوبها شيئا، ولو كان ذا قرابة بها، لاشتغال كل بنفسه، ولا يحزنك - أيها النبى - عناد قومك، انما ينفع تحذيرك الذين يخافون ربهم فى خلواتهم، وأقاموا الصلاة على وجهها، ومن تطهر من دنس الذنوب فانما يتطهر لنفسه، وإلى الله المرجع فى النهاية، فيعامل كلا بما يستحق[2].

---

(١) تشير الآية الكريمة إلى أن للشمس أجلا تنتهى بعده وقد تكون هذه هى النهاية على ما قال به علماء الفلك من أن الشمس تحرق وقودها الذرى وهو مادة الهيدروجين فتتحول إلى هيليوم وقد يكون أجل الشمس بكارثة كونية.

(٢) يراجع التعليق العلمى على الآية ٧ من سورة الزمر: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ
أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ

---

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ـ وما يستوى الذى لا يهتدى الى الحق لجهله ، والذى يسلك طريق الهداية لعلمه ، ولا الباطل ولا الحق ، ولا الظل ولا الريح الحارة .

٢٢ ـ ولا يستوى الأحياء بقبول الإيمان ولا الأموات الذين عطلت حواسهم وأغلقت قلوبهم عن سماع الحق ، ان الله يهدى من يشاء إلى سماع الحجة سماع قبول ، وما أنت ـ أيها النبى ـ بمسمع أموات القلوب بالعناد والكفر ، كما أنك لا تسمع الموتى فى القبور .

٢٣ ـ ما عليك الا أن تبلغ وتنذر .

٢٤ ـ انا أرسلناك ـ أيها النبى ـ للناس جميعا بالدين الحق ، مبشرا من آمن به بالجنة ، ومنذرا من كفر به بعذاب النار ، وما من أمة من الأمم الماضية الا جاءها من قبل الله من يحذرها عقابه .

٢٥ ـ وان يكذبك قومك فى ذلك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، وقد جاءوهم بالمعجزات الواضحات وبالصحف الربانية وبالكتاب المنير لطريق النجاة فى الدنيا والآخرة .

٢٦ ـ ثم أخذت الذين كفروا أخذا شديدا ، فانظر كيف كان انكارى لعملهم وغضبى عليهم ؟ !

٢٧ ـ ألم تر ـ أيها العاقل ـ أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر والأصفر والحلو والمر والطيب والخبيث ، ومن الجبال جبال ذوو طرائق وخطوط بيض وحمر مختلفة بالشدة والضعف وجبال لذنوب من يرجع اليه[١] .

---

(١) ليس الإعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة هو التنويه فقط بما للجبال من ألوان مختلفة ترجع إلى اختلاف المواد التى تتألف منها صخورها من حديد يجعل اللون السائد أحمر أو منجنيز أو فحم يجعله أسود أو نحاس يجعله أخضر وغير ذلك . ولكن الإعجاز هو الربط بين إخراج ثمرات مختلفات الألوان يروى شجرها ماء واحد وخلق جبال حمر وبيض وسود ويرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة التركيب أصل معينها من باطن الأرض . ويسميها علماء الجيولوجيا بالصهارة والجاجما ، وهذه الصهارة الواحدة عندما تنبثق فى أماكن مختلفة من الأرض وعلى أعماق مختلفة من السطح يعترى تركيبها الاختلاف فتتصلب آخر الأمر فى كتل أو جبال مختلفات المادة والألوان . وهكذا فسنة الله واحدة لأن الأصل واحد والفروع مختلفة متباينة وفى هذا متاع وفائدة لبنى الأنسان .

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ اللَّهِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِىٓ

٢٨ - ومن الناس والدواب والابل والبقر والغنم مختلف ألوانه كذلك، فى الشكل والحجم واللون. وما يتدبر هذا الصنع العجيب ويخشى صانعه الا العلماء الذين يدركون أسرار صنعه، ان الله غالب يخشاه المؤمنون، غفور كثير المحو لذنوب من يرجع اليه[1].

٢٩ - ان الذين يتلون كتاب الله، متدبرين فيه عاملين به، وأقاموا الصلاة على وجهها الصحيح، وأنفقوا بعض ما رزقهم الله سرا وجهرا، يرجون بذلك تجارة مع الله لن تكسد.

٣٠ - ليوفيهم ربهم أجورهم ويزيدهم من فضله، بما يربى من حسناتهم ويمحو من سيئاتهم، انه غفور كثير المحو للهفوات، شكور كثير الشكر للطاعات.

٣١ - والذى أوحينا اليك من القرآن هو الحق الذى لا شبهة فيه، أنزلناه مصدقا لما تقدم من الكتب المنزلة على الرسل قبلك، لاتفاق أصولها، ان الله بعباده واسع الخبرة والبصر.

٣٢ - ثم جعلنا هذا الكتاب ميراثا للذين اخترناهم من عبادنا، فنهم ظالم لنفسه بغلبة سيئاته على حسناته، ومنهم مقتصد لم يسرف فى السيئات ولم يكثر من الحسنات، ومنهم سابق غيره بفعل الخيرات بتيسير الله، ذلك السبق بالخيرات هو الفوز الكبير من الله.

٣٣ - جزاؤهم فى الآخرة جنات اقامة يدخلونها، يتزينون فيها بأساور من ذهب ولؤلؤا، وثيابهم فى الجنة حرير.

٣٤ - وقالوا وقد دخلوها: الثناء الجميل لله الذى أذهب عنا ما يحزننا، ان ربنا لكثير المغفرة كثير الشكر.

---

(١) بعد استعراض تباين الثمرات والجبال والناس والدواب والأنعام، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين فى تلك الأحوال جميعها وحدة فى الأصل: فالثمرات من ماء واحد، والجبال من صهارة واحدة، وكذلك اختلاف الألوان والناس والدواب والأنعام لا يظهر فى النطف التى تنشأ منها، ولو فحصت بالمجاهر القوية فإنها فى مظاهرها لا تشير إلى شىء مما تكنه من أوجه الاختلاف وإنما هى دقائق وأسرار تحتويها فى داخلها (جيناتها أو موزياتها) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى أن الخصائص الوراثية الكافية فى جراثيم النبات والحيوان والإنسان تحافظ على فطرتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء.

واحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات.

أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

---

٣٥ ـ الذى أنزلنا دار النعيم المقيم من فضله لا يصيبنا فيها تعب ، ولا يمسنا فيها اعياء .

٣٦ ـ والذين كفروا جزاؤهم المعد لهم نار جهنم يدخلونها ، لا يقضى عليهم الله بالموت فيموتوا ، ولا يخفف عنهم شيء من عذابها فيستريحوا . كذلك نجزى به كل متماد فى الكفر مصر عليه .

٣٧ ـ وهم يستغيثون فيها قائلين : ربنا أخرجنا من النار نعمل صالحا غير العمل الذى كنا نعمله فى الدنيا ، فيقول لهم ، ألم نمكنكم من العمل ونطل أعماركم زمنا يتمكن فيه من التدبر من يتدبر ، وجاءكم الرسول يحذركم من هذا العذاب ؟ فذوقوا فى جهنم جزاء ظلمكم ، فليس للظالمين من ناصر ومعين .

٣٨ ـ ان الله مطلع على كل غائب فى السموات والأرض ، لا يغيب عن علمه شيء ، ولو أجابكم وأعادكم الى الدنيا لعدتم إلى ما نهاكم عنه ، انه ـ تعالى ـ عليم بخفايا الصدور من النزعات والميول .

٣٩ ـ الله هو الذى جعل بعضكم يخلف بعضا فى تعمير الأرض وتثميرها ، وهو حقيق بالشكر لا بالكفر ، فمن كفر بالله فعليه وزر كفره ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا بغضا وغضبا ، ولا يزيد الكافرين الا خسرانا .

٤٠ ـ قل ـ أيها النبى للمشركين : أخبرونى : أأبصرتم حال شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله ؟ ! أخبرونى : أى جزء خلقوا من الأرض ؟ ! بل ألهم شركة مع الله فى خلق السموات ! ؟ لم نعطهم كتابا بالشركة فهم على حجة منه ، بل ما يعد الظالمون بعضهم بعضا بشفاعة الآلهة التى يشركونها مع الله الا باطلا وزخرفا لا يخدع الا ضعاف العقول .

مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

---

٤١ ـ ان الله هو الذى يمنع اختلال نظام السموات والأرض ، ويحفظهما بقدرته من الزوال ولئن قدر لهما الزوال ما استطاع أحد أن يحفظهما بعد الله ، انه كان حليما لا يعجل بعقوبة المخالفين غفور ذنوب الراجعين إليه[1] .

٤٢ ـ وأقسم الكافرون بالله غاية اجتهادهم فى تأكيد يمينهم : لئن جاءهم رسول ينذرهم ليكونن أكثر هداية من احدى الأمم التى كذبت رسلها ، فلما جاءهم رسول منهم ينذرهم ما زادهم بإنذاره ونصحه الا نفورا عن الحق .

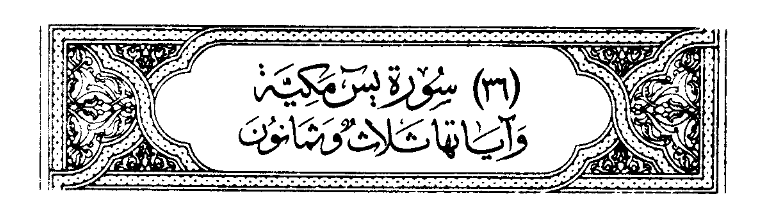
٤٣ ـ نفروا استكبارا فى الأرض وأنفة من الخضوع للرسول والدين الذى جاء به ، ومكروا مكر السىء ـ وهو الشيطان الذى قادهم إلى الانصراف عن الدين ومحاربة الرسول ـ ولا يحيط ضرر المكر السىء الا بمن دبروه ، فهل ينتظرون الا ما جرت به سنة الله فى الذين سبقوهم ؟ فلن تجد لطريقة الله فى معاملة الأمم تغييرا يطمع هؤلاء الماكرين فى وضع لم يكن لمن سبقوهم ، ولن تجد لسنة الله تحويلا عن اتجاهها .

٤٤ ـ أقعدوا وأنكروا وعيد الله للمشركين ، ولم يسيروا فى الأرض فينظروا بأعينهم آثار الهلاك الذى أنزل على من قبلهم عقابا لتكذيبهم الرسل ؟! وكان من قبلهم من الأمم أشد منهم قوة ، فلم تمنعهم قوتهم من عذاب الله ، وما كان ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض ، انه واسع العلم عظيم القدر .

٤٥ ـ ولو يعاقب الله الناس فى الدنيا لعم العقاب ، وما ترك على ظهر الأرض دابة ، لصدور الذنوب منهم جميعا ، ولكن يؤخر عقابهم إلى زمن معين هو يوم القيامة ، فإذا جاء أجلهم المضروب لهم فسيجازيهم بكل دقة ، لأنه كان بأعمال عباده بصيرا ، لا يخفى عليه شىء منها . والله أعلم .

---

(١) تقرر هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وحده خالق السموات والأرض ، يمسكها من الزوال ، فالأجرام السماوية القريبة والبعيدة منا تظهر على القبة السماوية متماسكة وطبقا لنظام بديع خلقه الله سبحانه وتعالى وهو ما أودعه إياها من جاذبية فلا تحيد عنه على مر الزمن والأجيال ويحفظها من الاختلال فى التوازن ، ولله سبحانه وتعالى هذه القدرة وليست لأحد سواه .



بسم الله الرحمن الرحيم

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ

افتتحت هذه السورة بحرفين من الحروف التى تتكون منها الكلمات العربية ، وأتبعت بالقسم بالقرآن على أن محمدا - ﷺ - لمن المرسلين ، وأنه على طريق معتدل رسمه القرآن المنزل عليه من العزيز الرحيم ، لينذر به قوما ما أنذر آباؤهم من قبل . وأخذت السورة تصور الجاحدين الذين لا ينتفعون بالإنذار ، وتبين أن الإنذار انما يفيد من اتجه لقبول الذكر وخشى الرحمن ، وأن الله يبعث الموتى ويحصى أعمال العباد . وتسوق السورة مثلا لكفار مكة يكشف عن الصراع بين الداعين إلى الله وبين المكذبين ، مبينة عاقبة الفريقين . ثم أخذت تعرض من أدلة القدرة الموجبة للإيمان والخوف من وعيد الله الذى سيفاجئهم يوم تجزى كل نفس ما عملت . فأصحاب الجنة يمتعون ، ولهم ما يشتهون ، وأصحاب النار يطردون ، وهم فى قبضة القدرة ، تختم أفواههم ، وتنطق جوارحهم ، ولو شاء الله لغير صورهم ، فهو الذى يبدل من طال عمره فى الدنيا بالقوة ضعفا وبالعقل خرفا . وهو الذى عصم نبيه من الخيال والخبال ، فما علمه الشعر ، وما تنبغى له تلك الصناعة التى يهيم أصحابها فى كل واد . ما جاء الا بالذكر الواضح وليد المنطق لا وليد الخيال . وتمضى السورة تذكر فضل الله على عباده ، وأنه سخر لهم الأنعام يملكونها ويركبونها ، ومع هذه النعم المسخرة لمصالحهم يتخذون الأنداد العاجزة ، وتختم السورة بلفت الإنسان إلى خلقه من نطفة ، فإذا هو خصيم بين الخصومة ، ومن له النشأة الأولى ، ومن يخرج من الشجر الاخضر نارا ، ومن خلق السموات والأرض قادر على أن يحيى العظام وهى رميم . وأمره يقول للشىء : كن فيكون ، تنزه مالك كل شىء وإليه ترجعون .

١ - يس : حرفان بدئت بهما السورة على طريقة القرآن فى بدء بعض السور بالحروف المقطعة .

٢ - أقسم بالقرآن المشتمل على الحكمة والعلم النافع .

٣ - انك يا محمد لمن الذين بعثهم الله إلى الناس بالهدى ودين الحق .

٤ - على طريق معتدل ، هو دين الإسلام .

ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ

---

٥ - تنزيل القوى الغالب على كل شيء ، الذى لا يستطيع أحد أن يمنعه عما يريد ، الرحيم بعباده ، اذ أرسل إليهم من يرشدهم إلى طريق النجاة .

٦ - لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم الاقربون من قبل ، فهم ساهون عما يجب عليهم نحو الله ونحو أنفسهم ونحو الناس .

٧ - لقد سبق فى علمنا أن أكثرهم لا يختارون الإيمان ، فطابق واقعهم ما علمناه عنهم ، فلن يكون منهم الإيمان .

٨ - انا جعلنا المصرين على الكفر كمن وضعت فى أعناقهم السلاسل ، فهى تصل إلى أذقانهم ، وتشد أيديهم برؤسهم وترفعها مع غض أبصارهم ، فلا يستطيعون أن يحركوا الرءوس ليروا .

٩ - وجعلنا من حرموا النظر فى الآيات والدلائل كمن حبسوا بين سدين فغطيت أعينهم فهم لا يرون ما أمامهم وما خلفهم .

١٠ - وسواء عليهم تحذيرك لهم وعدم تحذيرك ، فهم لا يؤمنون .

١١ - انما يفيد تحذيرك من يتبع القرآن ويخاف الرحمن ، وان كان لا يراه ، فبشر هؤلاء بعفو من الله عن سيئاتهم ، وجزاء حسن على أعمالهم .

١٢ - انا نحن نحيى الموتى ، ونسجل ما قدموا فى الدنيا من أعمال وما أبقوا فيها من آثار بعد موتهم ، وكل شيء أثبتناه فى كتاب واضح .

١٣ - واذكر - أيها النبى - لقومك : قصة أهل القرية[1] فإنها كقصتهم ، اذ ذهب إليهم المرسلون لهدايتهم .

١٤ - أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فقويناهما بثالث ، فقال هؤلاء الثلاثة : انا إليكم مرسلون .

---

(١) ذكر المفسرون أنها أنطاكية .

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى

---

١٥ ـ قال أهل القرية ـ ردا عليهم ـ : ما أنتم الا بشر مثلنا ، وما أوحى الرحمن إلى بشر من شيء ، ما أنتم الا قوم تقولون غير الواقع !

١٦ ـ قال المرسلون : ربنا الذى بعثنا إليكم يعلم انا إليكم لمرسلون .

١٧ ـ وليس علينا الا أن نبلغ رسالة الله بلاغا واضحا .

١٨ ـ قال أهل القرية : اننا تشاءمنا بكم . ونقسم : ان لم تكفوا عن دعوتكم لنرمينكم بالحجارة ، وليصيبنكم منا عذاب شديد الالم .

١٩ ـ قال المرسلون : شؤمكم معكم بكفركم ، أئن وعظتم بما فيه سعادتكم تتشاءموا منا وتهددونا بالعذاب الاليم ؟ ! لكن أنتم قوم متجاوزون الحق والعدل .

٢٠ ـ وأقبل من أبعد مكان بالمدينة رجل يسرع نحو أهل المدينة : قال : يا قوم ، اتبعوا المرسلين من الله اليكم .

٢١ ـ اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أجرا على نصحكم وارشادكم ، وهم مهتدون تنتفعون بهديهم فى سلوك طريق الخير والفلاح .

٢٢ ـ وأى شيء يمنعنى أن أعبد الذى خلقنى وإليه ـ لا إلى غيره ـ ترجعون ؟ !

٢٣ ـ أأتخذ من دون الله آلهة لا تفيدنى شفاعتهم شيئا ان أرادنى الله بسوء ، ولا يخلصوننى منه ان نزل بى ؟ !

٢٤ ـ انى ـ اذ أتخذ من دونه آلهة ـ لفى ضلال مبين .

٢٥ ـ انى صدقت بربكم الذى خلقكم وتولى أمركم ، فاسمعوا لى وأطيعون .

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنۢ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ

---

٢٦ ، ٢٧ - قيل له - جزاء على ايمانه ودعوته إلى الله - : ادخل الجنة قال - وهو فى ظل النعيم والكرامة - : ياليت قومى يعلمون بغفران ربى واكرامه لى ، ليؤمنوا كما آمنت .

٢٨ - وما أهلكناهم بجنود أنزلناها من السماء ، وما كان من سنتنا فى اهلاك الأمم أن ننزل جنودا .

٢٩ - ما كان هلاكهم الا بصيحة واحدة أرسلناها عليهم ، فإذا هم ميتون كالنار الخامدة !

٣٠ - يا خسارتهم التى تستحق التحسر عليهم ، ما نبعث إليهم برسول الا كانوا منه يسخرون .

٣١ - ألم يعتبروا بالأمم الكثيرة الخالية التى أهلكناها ، انهم لا يعودون كرة أخرى إلى حياتهم الدنيا !

٣٢ - وما كل من الأمم السابقة واللاحقة الا مجموعون لدينا ، مقهورون على الحضور إلينا .

٣٣ - ودليل لهم على قدرتنا على البعث والنشور الأرض الجدبة أحييناها بالماء ، وأخرجنا منها حبا ، فمنه يأكلون .

٣٤ ، ٣٥ - وأنشأنا فيها حدائق وبساتين من نخيل وأعناب ، وشققنا فيها من عيون الماء ما يروى شجرها ويخرج ثمرها ، ليأكلوا منه ، وما هو من صنع أيديهم ، أفلا يؤدون حق الله عليهم فى ذلك بالإيمان والثناء عليه ؟ !

٣٦ - تنزيها لله الذى خلق الأشياء كلها على سنة الذكورة والأنوثة ، من النبات ومن الأنفس ومما لا يعلم الناس[1] .

---

(١) الحرف « من » فى هذه الآية للبيان ، أى أن الله تعالى جعل الذكور والإناث فى مخلوقاته كلها ، سواء فى ذلك النباتات والحيوانات والبشر وما لا يعلمه الناس من الأحياء غير المنظورة .

نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

٣٧ ـ وآية لهم على وجود الله وقدرته الليل نزع عنه النهار الساتر له ، فإذا الناس داخلون فى الظلام المشتمل عليهم من كل جانب .

٣٨ ـ والشمس تسير لمستقر لها ، قدره الله زمانا ومكانا ، ذلك تدبير الغالب بقدرته ، المحيط علما بكل شىء .

٣٩ ـ والقمر جعلناه بتدبير منا منازل ، اذ يبدو أول الشهر ضئيلا ، ثم يزداد ليلة بعد ليلة ، إلى أن يكتمل بدرا ، ثم يأخذ فى النقصان كذلك ، حتى يعود فى مرآه كأصل العنقود من الرطب إذا قدم فدق وانحنى واصفر .

٤٠ ـ لا الشمس يتأتى لها أن تخرج على نواميسها فتلحق القمر وتدخل فى مداره ، ولا الليل يتأتى له أن يغلب النهار ويحول دون مجيئه ، بل هما متعاقبان . وكل من الشمس والقمر وغيرهما يسبح فى فلك لا يخرج عنه[1] .

٤١ ـ وآية أخرى لهم أنا حملنا بنى الإنسان فى السفن المملوءة بهم وبأمتعتهم وأرزاقهم .

٤٢ ـ وخلقنا لهم من مثل الفلك ما يركبونه كذلك .

٤٣ ـ وان نرد اغراقهم بما كسبوا نغرقهم ، فليس لهم مغيث ، ولا هم ينجون من الهلاك .

٤٤ ـ لكنا لا نغرقهم رحمة منا بهم ، ولنمتعهم إلى أجل مقدر .

---

(١) ان هذه الآيات الكريمة تبين معانى وحقائق علمية لم يتعرف عليها العلماء إلا فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى .

والشمس هى إحدى نجوم السماء ، وهى كسائر النجوم ولها حركتها الذاتية ، ولكنها تتميز عن النجوم الأخرى لقربها من الأرض وبأن لها مجموعة من الكواكب والأقمار المذنبات والكويكبات تتبعها دائما وتخضع لقوة جاذبيتها حيث تجعلها من حولها فى مدارات متتابعة بيضاوية الشكل ، وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية . والخلاصة أن الشمس والأرض والقمر وسائر الكواكب والأجرام تجرى فى الفضاء بسرعة محدودة وفى اتجاه محدود ويلاحظ أن الشمس ومجموعتها والنجوم القريبة منها تقع فى داخل سديم عظيم ممتد فى السماء يسمى بسديم المجرة ، وقد تبين من الدراسات الحديثة أن سائر أجزاء السديم تدور حول المركز بسرعة تتناسب وعكس بعدها على المركز . كما اتضح أيضا أن الشمس والأرض وكواكبها والنجوم القريبة منها تدور بسرعة ، وفى اتجاه محدود ، تبلغ هذه السرعة حوالى ٧٠٠ كيلومتر فى الثانية ، وتتم دورتها حول المركز فى مدى حوالى ٢٠٠ مليون سنة ضوئية .

وصفوة القول أن الآية الكريمة التى تنص على أن الشمس تجرى لمستقر لها لم يتعرف على معاليها العلماء إلا فى أوائل هذا القرن ولا يمكن أن تدرك الشمس القمر ، لأن كلا منهما يجرى فى أفلاك متوازية فيستحيل أن تتقابلا كما يستحيل أن يسبق الليل النهار حيث يتطلب ذلك أن تدور الأرض حول محورها من الشرق إلى الغرب بدلا من اتجاهها الحالى مع الغرب نحو الشرق . والقمر خلال دورته حول الأرض ودورة الأرض حول الشمس يمر بمجموعات من النجوم تسمى بمنازل القمر . وفى الربع الأول والأخير من الشهر يظهر القمر شكله كالعرجون القديم . أى يصير كالسباطة إذا قدمت ويبست وأعوجت .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

---

٤٥ ـ وإذا قيل لهم : خافوا مثل ما جرى للامم الماضية بتكذيبهم ، وخافوا عذاب الآخرة الذى تتعرضون له بإصراركم على الكفر ـ رجاء أن يرحمكم ربكم إذا اتقيتموه ـ أعرضوا .

٤٦ ـ وما تجيئهم من حجة من حجج ربهم ، دالة على وحدانية الله وقدرته الا كانوا عنها منصرفين .

٤٧ ـ وإذا قيل لهم أنفقوا على الفقراء مما رزقكم الله ، قال الكافرون للمؤمنين : أنطعم من لو أراد الله اطعامه ، فنعاند بهذا مشيئة الله ، ما أنتم ـ أيها الداعون إلى الإنفاق ـ الا فى عمى واضح عن الحق .

٤٨ ـ ويقولون للمؤمنين ـ استهزاء بهم ـ : متى يقع هذا الذى وعدتمونا به ، ان كنتم صادقين فيما وعدتم ؟ !

٤٩ ـ ما ينتظرون الا صوتا واحدا يقضى عليهم بغتة ، وهم يتنازعون فى شئون الدنيا ، غافلين عن الآخرة .

٥٠ ـ فلا يستطيعون ـ لسرعة ما نزل بهم ـ أن يوصوا بشىء ، ولا أن يرجعوا إلى أهلهم .

٥١ ـ ونفخ فى الصور نفخة البعث ، فإذا بالأموات يخرجون من قبورهم مسرعين للقاء الله . والصور والنفخ فيه مما استأثر الله بعلمه .

٥٢ ـ قال المبعوثون من القبور : يا هول ما ينتظرنا ، من أيقظنا من نومنا ؟ ! ويحضرهم جواب سؤالهم : هذا يوم البعث الذى وعد الرحمن به عباده ، وصدق المرسلون فيما أخبروا عنه .

٥٣ ـ ما كانت دعوتهم إلى الخروج الا نداء واحدا ، فإذا هم مجتمعون لدينا ، محضرون لحسابنا .

فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا

---

٥٤ - فى هذا اليوم لا تنقص نفس أجر شئ مما عملته ، ولا تلقون الا الجزاء ما كنتم تعملون من خير أو شر .

٥٥ - ان أصحاب الجنة فى هذا اليوم مشغولون بما هم فيه من نعيم ، معجبون به فرحون .

٥٦ - هم وأزواجهم فى ظلال سابغة ، على السرر المزينة متكئون .

٥٧ - لهم فى الجنة فاكهة من كل أنواعها ، ولهم فيها كل ما يطلبون .

٥٨ - يقال لهم : سلام قولا صادرا من رب رحيم .

٥٩ - ويقال للمجرمين فى هذا اليوم : اعتزلوا عن المؤمنين .

٦٠ - ألم أوصكم - يابنى آدم - ألا تطيعوا الشيطان طاعة المعبود ، انه لكم عدو بين العداوة ؟!

٦١ - وأن أفردونى بالعبادة ، فافرادى بها طريق عظيم فى استقامته .

٦٢ - ولقد أغوى الشيطان منكم خلقا كثيرا . أغفلتم عن ذلك ، فلم تكونوا تعقلون حين أطعتموه ؟!

٦٣ - يقال لهم : هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا ، جزاء كفركم .

٦٤ - ادخلوها ، وقاسوا حرها فى هذا اليوم بكفركم .

٦٥ - اليوم نغطى على افواههم فلا تنطق ، وتكلمنا أيديهم ، وتنطق أرجلهم شاهدة عليهم بما كانوا يعملون .

٦٦ - ولو نشاء عماهم فى الدنيا لأعميناهم فتسابقوا الى الطريق المسلوك لهم فما استطاعوا رؤيته ، فكيف يبصرونه وقد أعميناهم !

ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ

٦٧ ـ ولو نشاء تغيير صورهم لغيرناهم الى صور قبيحة، على ماهم من قوة ومنزلة، فما استطاعوا مضيا الى الأمام، ولا هم يرجعون الى الوراء، لأنا أبطالنا قواهم.

٦٨ ـ ومن نطل عمره نرده من القوة الى الضعف، أفلا يعقلون قدرتنا على ذلك ليعلموا أن الدنيا دار فناء وأن الآخرة هي دار البقاء؟!(١).

٦٩ ـ وما علمنا رسولنا الشعر، وما يصح ـ لمكانته ومنزلته ـ أن يكون شاعرا. ما القرآن المنزل عليه الا عظة وكتاب سماوى واضح، فلا مناسبة بينه وبين الشعر.

٧٠ ـ ليخوف من كان حى القلب مستنير العقل، وتجب كلمة العذاب على الجاحدين به، المنكرين لهديه.

٧١ ـ أعمى الكافرون ولم يروا أنا خلقنا لهم مما صنعت قدرتنا انعاما(٢) فهم مالكون لها، يتصرفون فيها كما يشاءون؟!

٧٢ ـ وأخضعناها لهم، فنها مايركبون، ومنها ما يأكلون.

٧٣ ـ ولهم فيها ما ينتفعون به من أصوافها واوبارها وأشعارها وجلودها وعظامها، ومشارب من ألبانها، أينسون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها؟!

٧٤ ـ واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها، رجاء أن تنصرهم.

٧٥ ـ لا يستطيع الآلهة نصرهم ان أراد الله بهم سوءا، لأنها لا تنفع ولا تضر، وهم لآلهتهم العاجزة جند معدون لخدمتهم ودفع السوء عنهم.

---

(١) ومن نطل عمره نرده إلى عكس ما كان عليه من القوة فيصبح ضعيفا، وذلك لأن حياة الإنسان تأخذ ثلاث مراحل، نمو ونضج وضمور النسيج الحشوى فى الكلى والكبد والغدة الدرقية والبنكرياس، وهذا له أثر فى إضعاف الجسم كله. وتبدأ كذلك الشرايين فى التصلب والضمور وبذلك يقل الدم الذاهب إلى جميع أعضاء الجسد فيزيده ضعفا على ضعف ومن أسباب الشيخوخة زيادة قوى الهدم على قوى البناء فى الجسم Metabolism وذلك أن خلايا الجسم كلها فى تغير مستمر وكذلك خلايا الدم ما عدا خلايا المخ والنخاع فإنها لا تتغير مدى الحياة، فإذا كانت نسبة تجدد الخلايا كنسبة هلاكها لا تظهر الأعراض، أما إذا زادت نسبة هلاك الخلايا على تجددها فى أى عضو ظهر ضمور هذا العضو. وعلى ذلك فكلما تقدم السن تضاءلت نسبة التجدد وزادت نسبة الانحلال الخلوى وظهر الضمور العام. وتختلف نسبة التجدد والضمور باختلاف نوع الأنسجة. فالظاهر منها كالبشرة الكاسية للجسم والأغشية المبطنة للقنوات الهضمية وقنوات الغدد تضمر بنسبة أكبر كلما تقدمت السن بالإنسان، وهذا هو السبب المباشر لأعراض الشيخوخة.

(٢) الإبل والغنم والبقر.

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

---

٧٦ - فلا يحزنك قولهم فى الله بالالحاد وفيك بالتكذيب ، انا نعلم ما يخفون وما يعلنون ، فنجازيهم عليه .

٧٧ - أجحد الانسان وجود الله وقدرته . ولم ير أنا خلقناه - بعد العدم - من نطفه مهينة ؟ ! فإذا هو شديد الخصومة مبين لها ، معلن عنها .

٧٨ - وساق لنا هذا الخصيم المبين مثلا ينكر به قدرتنا على احياء العظام بعد أن تبلى ، ونسى خلقنا اياه بعد أن لم يكن ، قال منكرا مستبعدا قدرتنا على ذلك : من يحيى العظام وهى رميم ؟ !

٧٩ - قل - يامحمد - : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، فى استطاعة من بدأ أن يعيد ، وهو عظيم العلم بكل ما خلق ، فلا يعجزه جمع الأجزاء بعد تفرقها .

٨٠ - الذى خلق لكم من الشجر الأخضر - بعد جفافه - ويبسه - نارا[1] .

٨١ - أفقدوا عقولهم ولم يعلموا أن الذى خلق السموات والأرض - مع عظم حجمها - قادر على اعادة خلق الناس مع صغرهم وضعف شأنهم ؟ ! بلى - أى هو القادر - وهو الكثير الخلق ، المحيط علمه بكل شئ .

٨٢ - انما شأنه فى الخلق اذا أراد ايجاد شئ أن يقول له : كن . فيكون ويوجد فى الحال .

٨٣ - فتنزيها للذى بقدرته ملك كل شئ - خلقا وتدبيرا وتصرفا - عما لا يليق بذاته - تعالى - واليه وحده تعودون ، فيحاسبكم على أعمالكم .

---

(١) ان طاقة الشمس تنتقل إلى جسم النبات بعملية التمثيل الضوئى ، إذ تمتص خلاياه المحتوية على المادة الخضراء فى النبات « الكلوروفيل » ثانى أكسيد الكربون من الجو ، وبتفاعل هذا الغاز مع الماء الذى يمتصه النبات تنتج المواد « الكربوهيدراتية » بتأثير الطاقة المستمدة من ضوء الشمس ومن ثم يتكون الخشب الذى يتركب أساسيا من مركبات كيائية محتوية على الكربون و « الهيدروجين » والأكسوجين ، ومن هذا الخشب يتكون الفحم النباتى المستعمل فى الوقود ، إذ بإحراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه وينتفع بها فى الطهى والتدفئة والإنارة وتسخين الماء وفى كثير من الأغراض . وما الفحم الحجرى الخشبى إلا نباتات وأشجار نشأت ونمت على النحو السابق وكبرت بفعل عملية التمثيل الضوئى أو الكلوروفيل ثم دفنت بطريقة ما وتحولت بالتحلل الجزئى بعد مضى ملايين السنين إلى الفحم المذكور تحت تأثير فعل العوامل الجيولوجية كالحرارة أو الضغط وغيرها . ويجب أن يلاحظ أن لفظ الإخضرار فى الآية ووصف الشجر بهذا اللون لم يكن عفوا ، إنما هو إشارة إلى مادة الكلوروفيل الأخضر اللازمة لتمثيل غاز ثانى أكسيد الكربون .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

بدأت هذه السورة بالقسم بطوائف من خلق الله لها صفة الصف والزجر والتلاوة على ان الله واحد، والآيات شاهدة بذلك، فهو رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق، الذى زين السماء الدنيا بالكواكب، وجعلها محفوظة من مارد خارج عن طاعة الله. وبعد تقرير عقيدة التوحيد أتبعت ذلك بتقرير عقيدة البعث، وهددت المرتابين فيه بأنه سيفاجئهم وهم ينظرون، وساقت أدلة امكانية وسهولة وقوعه، وهم يوم يرونه يقولون: هذا يوم الدين، ويقال لهم: هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون. ويحشر الظالمون وما كانوا يعبدون، ويسألون ويتحاجون، ويحمل بعضهم بعضا اثم ما أصابه، وهم جميعا فى العذاب مشتركون، فقد استكبروا عن توحيد الله، ورموا رسولهم بالخبال والجنون، مع أنه جاءهم بالحق، وصدق المرسلين فيما جاءوا به عن الله. والمؤمنون المخلصون يمتعون بأنواع النعيم، ويتذكرون نعم الله، ويطلعون على قرناء السوء فيرونهم فى سواء الجحيم، فيحمدون لله نعمة عصمتهم ونجاتهم من دعوتهم. وبعد ذلك أخذت السورة تصف منازل الظالمين ومنازل المؤمنين. واتبعت ذلك بسرد أخبار المرسلين تسلية لرسول الله وعظة لقومه الجاحدين. وبعد قصص تعددت وقائعه واختلفت أزمانه وأشخاصه ـ بين فيه منزلة الرسالة والمرسلين ـ نقضت السورة مزاعم المشركين من أن لله البنات ولهم البنين، وانه جعل الملائكة اناثا، وأن بينه وبين الجنة نسبا. تنزه الله عما يصفون، وعباده هم المنصورون، وجنده هم الغالبون، وعذابه يسىء صباح المنذرين، وختمت السورة بتنزيه رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

١ ـ أقسم بطوائف من خلق، تصطف بنفسها صفا محكما فى مقام العبودية والانقياد.

٢ ـ فالمانعات للمتجاوز حدوده منعا شديدا، يبقى النظام ويحفظ الأكوان.

٣ ـ فالتاليات للآيات، يذكرون الله ذكرا بالتسبيح والتمجيد.

٤ ـ ان الهكم المستوجب للعبادة لواحد، لا شريك له فى ذات أو فعل أو صفة.

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ

---

٥ - هو - وحده - خالق السموات والأرض وما بينها، ومدبر الأمر، ومالك المشارق لكل ماله مشرق[١].

٦ - إنا حسنا السماء القريبة من أهل الأرض بزينة هى الكواكب المشرقة المختلفة الأحجام والأوضاع فى محيط الكون فى رأى العين.

٧ - وحفظناها حفظا محكما من كل شيطان عات متمرد.

٨ - لا يمكن عتاة الشياطين من التسمع الى ما يجرى فى عالم الملائكة، ويرمون من كل بما يدفعهم.

٩ - يطردون طردا عنيفا عن الوصول الى تسمع أخبار السماء، ولهم عذاب شديد دائم فى الآخرة.

١٠ - الا من اختلس الكلمة من أخبار السماء، فإننا نتبعه بشعلة من النار تثقب الجو بضوئها فتحرقه.

---

(١) الله خالق السموات السبع وما بينها من مختلف الأجرام السماوية وكواكبها.. وهو القيم المهيمن كذلك على مواضع شروق الشمس وشروق سائر النجوم، فهو الذى يظهرها كل يوم فى موضع فى الأفق الشرق يختلف عن الموضع الذى أظهرها منه فى اليوم السابق، وذلك بما سنه فى النظام الشمسى من قوانين حين تدور الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق كل يوم مرة وتجرى فى فلكها الاهليجى حول الشمس فى الوقت نفسه.

وتبدو الشمس والنجوم لسكان الأرض كل يوم بدوران الأرض حول محورها مشرقة فى مواضع مختلفة، وكلما غيرت الأرض موضعها فى رحلتها على القبة السماوية بدت مشرقة من مواضع مختلفة، فإذا رصدت الشمس بانتظام ابتداء من أواخر مارس أى فى الاعتدال الربيعى « ومن نصف الكرة الشمالى » فإنها ترى وهى تشرق فى نقطة فى الشرق على الأفق، وكلما مر يوم رآها الراصد تشرق فى نقطة أقرب إلى الشمال. وفى أواخر يونيو ترى مشرقة فى مكان هو نهاية اقترابها من الشمال ثم تبدو الشمس بعد ذلك وهى تقفل راجعة متبعة نفس التغييرات حتى أواخر سبتمبر (عند الاعتدال الخريفى) حيث ترى مشرقة من المكان الذى أشرقت منه عند الاعتدال الربيعى، ثم تبدو بعد ذلك مستمرة فى الحركة نحو الجنوب حيث ترى مشرقة فى أقرب نقطة إلى الجنوب فى أواخر ديسمبر، ثم تأخذ فى الرجوع ظاهريا نحو الشمال حيث تكمل دورتها فى الاعتدال الربيعى التالى، ويستغرق ذلك كله ٣٦٥ يوما وربع يوم، ويلاحظ أن النجوم ترى كذلك مشرقة فى مواضع مختلفة فى الأفق الشرق أثناء رحلة الأرض إلى القبة السماوية خاصة نجوم الأبراج الاثنى عشر التى تنتقل الشمس فيها على مدار السنة.

لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ

---

١١ - فاستخبر - أيها النبى - المنكرين للبعث والمستبعدين لحصوله : أهم أصعب خلقا أم من خلقنا من السموات والأرض والكواكب وغير ذلك ؟ !

إنا خلقناهم من طين لاصق بعضه ببعض ، فلم يستبعدون اعادتهم ؟ !

١٢ - بل عجبت - أيها النبى - من انكارهم للبعث مع قيام الأدلة على قدرة الله - وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك له .

١٣ - واذا وجهوا بأدلة قدرة الله على البعث لا يلتفتون ولا ينتفعون بدلالتها .

١٤ - وإذا رأوا برهانا على قدرة الله دعا بعضهم بعضا الى المبالغة فى الاستهزاء به .

١٥ - وقال الكافرون فى الآيات الدالة على القدرة : ما هذا الذى نراه إلا سحر واضح .

١٦ - ائذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء ؟ !

١٧ - أنحيا ويبعث آباؤنا الأولون الذين ماتوا قبلنا فبادوا وهلكوا ؟ !

١٨ - قل - أيها النبى - لهم : نعم ستبعثون جميعا وانتم أذلاء صاغرون .

١٩ - فانما البعثة صيحة واحدة فإذا هم أحياء ينظرون ما كانوا يوعدون .

٢٠ - وقال المشركون - ياهلاكنا ... هذا يوم الحساب والجزاء على الأعمال .

٢١ - فيجابون : هذا يوم القضاء والفصل فى الأعمال الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون .

٢٢ ، ٢٣ - اجمعوا - ياملائكتى - الظالمين أنفسهم بالكفر وازواجهم الكافرات وآلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله من الأوثان والأنداد ، فعرفوهم طريق النار ليسلكوها .

٢٤ - واحبسوهم فى هذا الموقف ، انهم مسئولون عن عقائدهم وأعمالهم .

٢٥ - مالكم - أيها المشركون - لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تتناصرون فى الدنيا ؟ !

مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ

---

٢٦ ـ لا يتناصرون فى هذا اليوم ، بل هم منقادون مستسلمون لأمر الله .

٢٧ ـ وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون ، ويسأل بعضهم بعضا عن مصيرهم السيئ .

٢٨ ـ قال الضعفاء للذين استكبروا : انكم كنتم تأتوننا عن الناحية التى نظن فيها الخير واليمن ، لتصرفونا عن الحق الى الضلال .

٢٩ ـ قال المستكبرون : لم نصرفكم ، بل أنتم أبيتم الايمان وأعرضتم عنه باختياركم .

٣٠ ـ وما كان لنا من تسلط عليكم ، نسلبكم به اختياركم ، بل كنتم قوما خارجين على الحق .

٣١ ـ فحق علينا كلمة ربنا : انا لذائقون العذاب يوم القيامة .

٣٢ ـ فدعوناكم الى الغى والضلال فاستجبتم لدعوتنا ، إن شأننا التحايل لدعوة الناس الى ما نحن عليه من الضلال ، فلا لوم علينا .

٣٣ ـ فإن الأتباع والمتبوعين يوم القيامة فى العذاب مشتركون .

٣٤ ـ إن مثل ذلك العذاب نفعل بالذين أجرموا فى حق الله بالشرك وفعل المعاصى .

٣٥ ـ إن هؤلاء كانوا إذا قيل لهم : لا اله الا الله يأبون الاقرار بذلك تكبرا واستعظاما .

٣٦ ـ ويقولون : أنحن نترك عبادة آلهتنا لقول شاعر متخيل مستور العقل ؟ !

٣٧ ـ بل جاءهم رسولهم بالتوحيد الذى دعا اليه جميع الرسل ، وصدق بذلك دعوة المرسلين .

٣٨ ـ انكم ـ أيها المشركون ـ لذائقون العذاب الشديد فى الآخرة .

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا

---

٣٩ - وما تلقون من جزاء فى الآخرة إلا جزاء عملكم فى الدنيا .

٤٠ - إلا عباد الله المخلصين ، فإنهم لايذوقون العذاب ، لأنهم أهل إيمان وطاعة .

٤١ - هؤلاء المخلصون لهم فى الآخرة رزق معلوم عند الله .

٤٢ - فواكه متنوعة ، وهم مرفهون معظمون .

٤٣ - فى جنات النعيم .

٤٤ - يجلسون فيها على سرر يقابل بعضهم بعضا .

٤٥ - يطوف عليهم ولدان باناء فيه شراب من منابع جارية لا تنقطع .

٤٦ - بيضاء عند مزجها ، شهية للشاربين .

٤٧ - ليس فيها غائلة الصداع تأخذهم على غرة ، ولاهم بشربها يذهب وعيهم شيئًا فشيئًا .

٤٨ - وعند هؤلاء المخلصين فى الجنة حوريات طبعن على العفاف ، قد قصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا يتطلعن لشهوة ضالة ، نجل العيون حسانها .

٤٩ - كأن قاصرات الطرف بيض النعام ، المصون بأجنحة ، فلم تمسه الأيدى ، ولم يصبه الغبار .

٥٠ - فأقبل بعض هؤلاء المخلصين على بعض يتساءلون عن أحوالهم . وكيف كانوا فى الدنيا ؟

٥١ - قال قائل منهم عند ذلك : انى كان لى صاحب من المشركين ، يجادلنى فى الدين وما جاء به القرآن الكريم .

٥٢ - يقول : أئنك لمن الذين يصدقون بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء ؟ !

وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ

---

٥٣ - أبعد أن نفنى ونصير تراباً وعظاما نحيا مرة أخرى ، لنحاسب ونجازى على ما قدمنا من عمل ؟ !

٥٤ - قال المؤمن لجلسائه : هل أنتم يا أهل الجنة مطلعون على أهل النار ، فأرى قرينى ؟ .

٥٥ - ودار ببصره نحو النار ، فرأى صاحبه القديم فى وسطها ، يعذب بنارها .

٥٦ - قال حينما رآه : تالله ان كدت فى الدنيا لتهلكنى لو أطعتك فى كفرك وعصيانك .

٥٧ - ولولا نعمة ربى بهدايته وتوفيقه لى إلى الايمان بالله والبعث لكنت مثلك من المحضرين فى العذاب .

٥٨ ، ٥٩ - أنحن مخلدون منعمون فى الجنة ، فلا نموت أبداً غير موتتنا الأولى فى الدنيا ، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة ؟ . .

٦٠ - ان هذا الذى أعطانا الله من الكرامة فى الجنة لهو الفوز العظيم ، والنجاة الكبرى مما كنا نحذره فى الدنيا من عقاب الله .

٦١ - لنيل مثل ما حظى به المؤمنون من الكرامة فى الآخرة ، فليعمل فى الدنيا العاملون ، ليدركوا ما أدركوا .

٦٢ - أذلك الرزق المعلوم المعد لاهل الجنة خير أم شجرة الزقوم المعدة لأهل النار ؟ .

٦٣ - انا جعلنا هذه الشجرة محنة وعذاباً فى الآخرة للمشركين .

٦٤ - انها شجرة فى وسط الجحيم ، غذيت من النار ومنها خلقت .

٦٥ - ثمرها قبيح المنظر ، كريه الصورة ، تنفر منه العيون كأنه رءوس الشياطين التى لم يرها الناس ، ولكن وقع فى وهمهم شفاعتها وقبح منظرها .

٦٦ - فانهم لآكلون من هذه الشجرة فمالئون من طلعها بطونهم ، إذا لا يجدون غيرها ما يأكلون .

حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

---

٦٧ - ثم ان هؤلاء المشركين على ما يأكلون من الزقوم لخلطا ومزاجا من ماء حار يشوى وجوههم ، وتقطع منه أمعاؤهم .

٦٨ - ثم ان مصيرهم إلى النار ، فهم فى عذاب دائم ، إذ يؤتى بهم من النار إلى شجرة الزقوم ، فيأكلون ثم يسقون ، ثم يرجع بهم إلى محلهم من الجحيم .

٦٩ ، ٧٠ ـ انهم وجدوا آباءهم ضالين ، فهم يسرعون الخطى على آثارهم ، ويستعجلون السير فى طريقهم ، مقلدين لا متبصرين ، كأنهم يزعجون ويحثون على الاسراع إلى متابعة الآباء من غير تدبر ولا تعقل .

٧١ ـ ولقد ضل عن قصد السبيل وطريق الايمان قبل مشركى مكة أكثر الامم الخالية من قبلهم .

٧٢ - ولقد أرسلنا فى هذه الامم الخالية رسلاً ينذرونهم ويخوفونهم عذاب الله فكذبوهم .

٧٣ ـ فانظر ـ يامن يتأتى منك النظر ـ كيف كان مآل الذين أنذرتهم رسلهم ؟ ! لقد أهلكوا ، فصاروا عبرة للناس .

٧٤ ـ لكن هناك مؤمنون استخلصهم الله لعبادته ، لينالوا فضل كرامته ، ففازوا بثوابه ، ونجوا من عذابه .

٧٥ ـ ولقد نادانا نوح حين يئس من قومه فلنعم المجيبون ، كنا له إذ استجبنا دعاءه ، فأهلكنا قومه بالطوفان .

٧٦ ـ ونجينا نوحا ومن آمن معه من الغرق والطوفان .

٧٧ ـ وجعلنا ذرية نوح هم الباقين فى الأرض بعد هلاك قومه .

٧٨ ـ وتركنا ذكرا جميلا على نوح فى الآخرين من الأمم الى يوم القيامة .

٧٩ ـ تحية سلام وأمن لنوح فى الملائكة والثقلين جميعا .

٨٠ ـ إنا مثل هذا الجزاء نجزى من أحسن ، فجاهد لاعلاء كلمتنا ، وتحمل الأذى فى سبيلنا .

٨١ ـ انه من عبادنا الذين آمنوا بنا ، ووفوا بعهدنا ، وأدوا رسالتنا .

٨٢ ـ ثم أغرقنا الآخرين من كفار قومه .

* وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

---

٨٣ ـ وان ممن على طريقته وسنته فى الدعوة الى التوحيد والايمان بالله لابراهيم .

٨٤ ـ إذ أقبل على ربه بقلب نقى من الشرك ، مخلصا له العبادة .

٨٥ ـ إذ انكر على أبيه وقومه ما هم عليه من عبادة الأصنام بقوله : ما هذه الأوثان التى تعبدونها ؟ .

٨٦ ـ أترتكبون كذبا فاضحا بما تصنعون ، إذ تعبدون غير الله ، وتريدون هذا الافك بلا مسوغ الا اختياركم له .

٨٧ ـ ما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه خالقا للعالمين ، إذا لاقيتموه وقد أشركتم معه فى العبادة غيره ؟ .

٨٨ ـ فنظر نظرة فى النجوم ، ليستدل بها على خالق الكون ، فوجدها متغيرة متحولة .

٨٩ ـ فقرر أنه يخشى على نفسه الضلال وسقم الاعتقاد .

٩٠ ـ فانصرف عنه قومه ، معرضين عن قوله .

٩١ ـ فمال الى اصنامهم مسرعا متخفيا ، وعرض عليها من الطعام الذى وضعوه أمامها . ليصيبوا من بركتها فى زعمهم ، فقال فى سخرية واستهزاء : ألا تأكلون ؟ .

٩٢ ـ ما لكم عجزتم عن الكلام بالايجاب أو السلب ؟ .

٩٣ ـ فمال عليهم ضربا باليد اليمنى ـ لأنها أقوى الباطشتين ـ فحطمها .

٩٤ ـ فأسرعوا الى ابراهيم ـ وبعد أن تبين لهم أن ماحدث لآلهتهم من التكسير كان بفعله ـ يعاقبونه على ما ارتكب فى شأن آلهتهم .

٩٥ ـ قال ابراهيم موبخا لهم : أتعبدون ما سويتم بأيديكم من احجار ؟ . فأين ذهبت عقولكم ؟ .

٩٦ ـ والله خلقكم وخلق ما تصنعون بأيديكم من الأوثان ، فهو المستحق ـ وحده ـ للعبادة .

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

---

٩٧ - قال عباد الأصنام لبعض - لما قرعتهم الحجة ، ولجأوا الى القوة ، فعزموا على احراقه - : ابنوا له بنيانا ، واملأوه نارا متأججة ، وألقوه فى وسطها .

٩٨ - فأرادوا بهذا أن ينزلوا به الأذى ، فأنجاه الله من النار بعد أن ألق فيها ، وعلا شأنه بما كان له من كرامة ، وجعلهم الله هم الاسفلين .

٩٩ - وقال ابراهيم - لما يئس من ايمانهم - : انى مهاجر الى المكان الذى أمرنى ربى بالمسير اليه ، سيهدينى ربى الى المقر الأمين والبلد الطيب .

١٠٠ - رب هب لى ذرية من الصالحين ، تقوم على الدعوة اليك من بعدى .

١٠١ - فبشرته الملائكة بابن يتحلى بالعقل والحلم .

١٠٢ - وولد وشب ، فلما بلغ معه مبلغ السعى فى مطالب الحياة اختبر ابراهيم فيه برؤية رآها . قال ابراهيم : يابنى انى أرى فى المنام وحيا من الله يطلب منى ذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال الابن الصالح : يا أبت أنجز أمر ربك ، ستجدنى من الصابرين ان شاء الله .

١٠٣ - فلما استسلم الوالد والمولود لقضاء الله ، ودفعه ابراهيم على الرمل المجتمع ، وأسقطه على شقه ، فوقع جبينه على الأرض ، وتهيأ لذبحه .

١٠٤ ، ١٠٥ - وعلم الله صدق ابراهيم وابنه فى الاختبار ، وناداه الله - نداء الخليل - : يا ابراهيم ، قد استجبت مطمئنا لوحى الرؤيا ، ولم تتردد فى الامتثال ، فحسبك هذا ، انا نخفف عنك اختبارنا جزاء احسانك ، كما نجزى المحسنين على احسانهم .

١٠٦ - إن هذا الابتلاء الذى ابتلينا به ابراهيم وابنه لهو الابتلاء الذى ابان جوهر ايمانهما ويقينهما فى رب العالمين .

١٠٧ - وفديناه بمذبوح عظيم القدر ، لكونه بأمر الله تعالى .

١٠٨ - وتركنا له الثناء على ألسنة من جاء بعده .

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ

---

١٠٩ - تحية أمن وسلام على ابراهيم .

١١٠ - مثل ذلك الجزاء الدافع للبلاء نجزى المحسنين فى امتثال أوامر الله .

١١١ - إن ابراهيم من عبادنا المذعنين للحق .

١١٢ - وبشرته الملائكة - بأمرنا - بأنه سيرزق ابنه اسحق على يأس وعقم من امرأته ، وأنه سيكون نبيا من الصالحين .

١١٣ - ومنحناه وابنه البركة والخير فى الدنيا والآخرة ، ومن ذريتهما محسن لنفسه بالايمان والطاعة ، وظالم لها بين الضلال بكفره ومعصيته .

١١٤ - ولقد أنعمنا على موسى وهارون بالنبوة والنعم الجسام .

١١٥ - ونجيناهما وقومهما من الكرب الشديد الذى كان ينزله بهم فرعون وقومه .

١١٦ - ونصرناهم على اعدائهم ، فكانوا هم الغالبين .

١١٧ - وآتينا موسى وهارون الكتاب الواضح المبين لاحكام الدين ، وهى التوراة .

١١٨ - وأرشدناهما الى الطريق المعتدل .

١١٩ - وأبقينا ثناء حسنا عليهما فى الآخرين الذين جاءوا من بعدهم .

١٢٠ - تحية أمن وسلام على موسى وهارون .

١٢١ - إن مثل الجزاء الذى جازينا به موسى وهارون نجزى كل المحسنين .

١٢٢ - انهما من عبادنا المذعنين للحق .

١٢٣ - وإن إلياس لمن الذين أرسلناهم لهداية أقوامهم .

١٢٤ - إذ قال إلياس لقومه - وكانوا يعبدون صنما لهم - : أتستمرون على غيكم ، فلا تخافون الله باتقاء عذابه ؟ .

١٢٥ - أتعبدون الصنم المسمى بعلا ، وتتركون عبادة الله الذى خلق العالم فأحسن خلقه ؟ .

ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ

---

١٢٦ - الله خلقكم وحفظكم أنتم وآباؤكم الأولون، فهو الحقيق بالعبادة.

١٢٧ - فكذبوه، فجزاؤهم أن يحضروا الى النار يوم القيامة.

١٢٨ - الا عباد الله الذين أخلصوا فى ايمانهم، فهؤلاء هم الفائزون.

١٢٩ - وجعلنا له ذكرا حسنا على السنة من جاءوا من بعده.

١٣٠ - سلام على آل ياسين، أو عليه وعلى آله بتغليبه عليهم.

١٣١ - إن مثل الجزاء الذى جازينا به آل ياسين نجزى كل محسن على احسانه.

١٣٢ - إن الياس من عبادنا المؤمنين.

١٣٣ - وإن لوطا لمن المرسلين الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا الى الناس.

١٣٤ - لقد نجيناه وأهله جميعا، مما حل بقومه من العذاب.

١٣٥ - إلا امرأته العجوز، فقد هلكت مع الهالكين.

١٣٦ - ثم أهلكنا من سوى لوط ومن آمن به.

١٣٧ ، ١٣٨ - وانكم يا أهل مكة لتمرون على ديار قوم لوط فى سفركم الى الشام صباحا ومساء، أفقدتم عقولكم فلا تعقلون ما حل بهم جزاء تكذيبهم؟.

١٣٩ - وإن يونس لمن الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا الى الناس.

١٤٠ ، ١٤١ - إذ هجر قومه من غير أمر ربه، وذهب الى سفينة مملوءة فركب فيها، فتعرضت السفينة لأمر يطلب الاقتراع لاخراج أحد ركابها عن حمولتها، فخرجت القرعة على يونس، فكان من المغلوبين بالقرعة، فألق فى البحر على حسب عرفهم فى ذلك الحين.

١٤٢ - فابتلعه حوت وهو مستحق للملامة، جزاء هروبه من الدعوة الى الحق والصبر على المخالفين.

ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ

---

١٤٣ ، ١٤٤ ـ فلولا أن يونس كان من المنزهين لله ، المواظبين على ذكره ، لمات فى بطن الحوت ، وما خرج منه الى يوم البعث .

١٤٥ ـ فطرحناه فى الفضاء الواسع من الأرض ، لا يواريه شئ من شجر أو بناء ، وهو عليل مما كان فيه[1] .

١٤٦ ـ وأنبتنا عليه شجرة لا تقوم على ساق فغطته ووقته غوائل الجو .

١٤٧ ـ حتى إذا صح مما أصابه ، أرسلناه الى عدد كبير يقول من رآه : انهم مائة الف أو يزيدون .

١٤٨ ـ فاستجابوا لدعوته ، فبسطنا عليهم نعمتنا الى وقت معلوم .

١٤٩ ـ فاستفت قومك ـ أيها النبى ـ : ألخالقك البنات دونهم ، ولهم البنون دونه ؟ .

١٥٠ ـ بل أخلقنا الملائكة اناثا وهم معاينون خلقهم ، فتعلقوا بما شاهدوه ؟ .

١٥١ ـ ١٥٢ ـ تنبه ـ أيها السامع ـ لحديثهم ، انهم من كذبهم ليقولون : ولد الله ، وهو المنزه عن الوالدية ، والولدية ، وانهم لكاذبون فى هذا القول بشهادة الأدلة على وحدانية .

١٥٣ ـ أختار لنفسه البنات المكروهة فى زعمكم على البنين المحبوبين منكم ، وهو الخالق للبنات والبنين ؟ .

١٥٤ ـ ماذا أصابكم حين حكمتم بلا دليل ، كيف تحكمون بذلك مع وضوح بطلانه ؟ .

١٥٥ ـ أنسيتم دلائل القدرة والتنزيه فلا تتذكرون حتى وقعتم فى الضلال ؟ .

١٥٦ ـ بل ألكم قوة دليل بين تستدلون به على ما تدعون ؟ .

١٥٧ ـ فأتوا بحجتكم ـ إن كان لكم حجة فى كتاب سماوى ـ إن كنتم صادقين فيما تقولون وتحكمون .

---

(١) ما حدث لسيدنا يونس عليه السلام معجزة وليس فى طبيعة الأشياء ما يمنع حدوث ابتلاع حوت رجلا وبقاءه حيا فى جوفه بعض الوقت ، وهناك احتمالان : أحدهما . أن يكون الحوت من غير ذوات الأسنان من المركولات الضخام مثل المركول العادى الذى يرتاد البحر الأبيض المتوسط وقد يبلغ طوله نحو عشرين مترا فبق يونس فى فمه الهائل بين صفائح البالين المتدلية من سقفه إلى أن لفظه فى العراء لأن حلوق هذه الحيتان تضيق كثيرا عن ابتلاع رجل .

الثانى : أن يكون الحوت من ذوات الأسنان مثل حوت العنبر الذى يبلغ طوله نحو عشرين مترا أيضا . وأن هذا الحوت شوهد مرارا فى البحر الأبيض المتوسط . ويمكنه أن يبتلع فى العادة حيوانات ضخاما قد يتجاوز طولها ثلاثة أمتار .

لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

---

١٥٨ ـ تمادوا فى اعتقادهم وجعلوا بين الله وبين الجنة المستورين عنهم قرابة ، ولقد علمت الجنة إن الكفار لمحضرون الى الله ، لينالوا جزاءهم المحتوم .

١٥٩ ـ تنزيها لله ـ تعالى ـ عما يذكره المفترون من صفات العجز والنقص .

١٦٠ ـ لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفه الكافرون .

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ـ فانكم ـ أيها الكفار ـ وما تعبدون من دون الله ، ما أنتم على ما تعبدون من دونه بمضلين أحدا باغوائكم ، إلا من سبق فى عمله ـ تعالى ـ أنه من أهل الجحيم وسيصلى نارها .

١٦٤ ـ وقالت الملائكة ـ متحيزين لموقف العبودية ـ: ما أحد منا إلا له مقام فى المعرفة والعبادة معلوم لا يتعداه .

١٦٥ ـ وإنا لنحن الصافون أنفسنا فى مواقف العبودية دائما .

١٦٦ ـ وإنا لنحن المنزهون لله ـ تعالى ـ عما لا يليق به فى كل حال .

١٦٧ ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ وإن كان كفار مكة قبل بعثة الرسول ليقولون : لو أن عندنا كتابا من جنس كتب الأولين ، كالتوراة والانجيل ـ لكنا عباد الله المخلصين له العبادة .

١٧٠ ـ وجاءهم الكتاب فكفروا به ، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم .

١٧١ ، ١٧٢ ـ أقسم : لقد سبق قضاؤنا لعبادنا المرسلين ، أن النصر والعاقبة لهم على الكافرين .

١٧٣ ـ وأن أتباعنا وأنصارنا لهم الغلبة ـ وحدهم ـ على المخالفين .

١٧٤ ـ فأعرض عنهم وانتظر إلى وقت مؤجل ، فاننا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر .

١٧٥ ـ وانظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ، فسوف يعاينون الهزيمة بصفوفهم ، ويرون نصر الله للمؤمنين .

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

---

١٧٦ ـ أسلبوا عقولهم فبعذابنا يستعجلون ؟ ..

١٧٧ ـ فإذا نزل العذاب بفنائهم الواسع فساء صباح المنذرين بالعذاب .

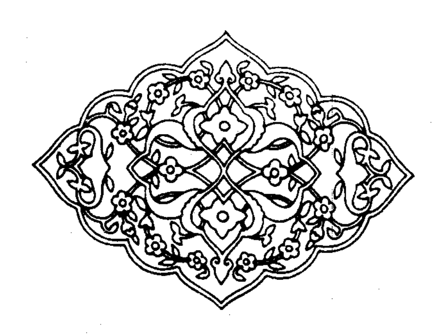
١٧٨ ـ وأعرض عنهم إلى حين ينتهى إليه أمرهم .

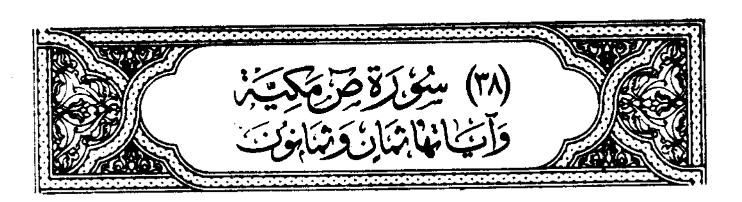
١٧٩ ـ وأبصر ما يستقبلهم ويستقبلك ، فسوف يرون ما به يستعجلون .

١٨٠ ـ تنزيها لله خالقك وخالق القوة والغلبة عما ينعتونه به من المفتريات .

١٨١ ـ وسلام على الأصفياء المرسلين .

١٨٢ ـ والثناء لله ـ وحده ـ خالق العالمين ، والقائم على الخلق أجمعين .





بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْءَالِهَةَ

هذه السورة هى الثامنة والثلاثون من سور القرآن الكريم ، وهى مكية وآياتها ثمان وثمانون آية .

وقد صورت لنا لونا من عناد المشركين لدعوة النبى - ﷺ - وحسدهم على ما كرمه الله به من شرف الرسالة ونزول القرآن ، فردت عليهم ما تعلقوا به من أوهام باطلة ، وبينت أن الذى حملهم على محاربة الدعوة ما هم فيه من أنفة كاذبة وحب للمخالفة والشقاق ، وأنه لو نزل بهم عذاب الله لما كان موقفهم من الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الموقف . ثم ضرب الله الأمثال بالأمم السابقة ، ليكون ذلك زجرا لهم عن العناد واللحاج ، وتثبيتا لرسوله - ﷺ - على ابلاغ الدعوة مهما يلاق فى سبيلها من عنت المشركين ومكرهم ، وليشكر الله على ما يفىء عليه من نعم ، كما فعل اخوانه من الأنبياء والمرسلين . وعقب هذا بذكر ما أعده الله للمتقين من حسن المآب ، وماأعده للطاغين من شر المآل . ثم ذكرهم بما كان بين أبيهم آدم - عليه السلام - وعدوه ابليس ، ليعلموا أن ما يدعوهم إليه من التكبر عن اتباع الحق خلق من أخلاقه ، وأن هذا الاستكبار كان سببا لطرده من رحمة الله .

وختمت السورة بتحديد مهمة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وهو ابلاغ الدعوة وأنه لا يسألهم عليها من أجر ، وليس هو المتكلف لها من تلقاء نفسه ، وما القرآن إلا ذكر للعالمين ، وليعلمن صدق أنبائه بعد حين .

١ - ص : حرف بدئت به السورة على طريقة القرآن فى بدء بعض السور بالحروف المقطعة ، أقسم بالقرآن ذى الشرف والشأن العظيم أنه لحق لا ريب فيه .

٢ - بل الذين كفروا فى استكبار عن اتباع الحق ومعاندة لأهله .

٣ - كثيرا ما أهلكنا قبلهم من أمة مكذبة ، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ، وليس الوقت وقت خلاص منه .

٤ - وعجب هؤلاء أن جاءهم رسول بشر مثلهم ، وقال الجاحدون لرسالته : هذا مموه شديد الكذب .

إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ

---

٥ - أجعل الآلهة المتعددة إلها واحدا ؟ ! ان هذا الأمر بالغ نهاية العجب .

٦ - واندفع الكبراء منهم يوصى بعضهم بعضا : ان سيروا على طريقتكم ، واثبتوا على عبادة آلهتكم ، ان هذا لأمر جسيم يراد بنا .

٧ - ما سمعنا بهذا التوحيد فى دين آبائنا الذين أدركناهم . ما هذا إلا كذب مصنوع .

٨ - أخص محمد من بيننا بشرف نزول القرآن عليه ؟ ! ليس الحق فى شىء مما زعموا بل هم من القرآن فى حيرة وتخبط بل انهم لم يتحيروا ويتخبطوا إلا لأنهم لم يذوقوا عذابى بعد وانهم لذائقوه .

٩ - بل نسأل هؤلاء الحاسدين لك : أعندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ، حتى يتخيروا للنبوة من تهوى أنفسهم ؟ !

١٠ - بل نسألهم : ألهم ملك السموات والأرض وما بينهما ؟ ! اذن فليتدرجوا فى المراقى إلى المنزلة التى يتحكمون فيها بما يشاءون ، ان استطاعوا .

١١ - جند حقير هنالك مهزوم - لا محالة - كما هزم أمثالهم من المتحزبين على الأنبياء ؟

١٢ ، ١٣ - كذبت قبل هؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأبنية العظيمة الراسخة كالجبال ، وثمود . وقوم لوط وقوم شعيب - أصحاب الشجر الكثير الملتف - أولئك الذين تحزبوا على رسلهم كما تحزب قومك .

١٤ - ما أحد من كل هؤلاء إلا كذب رسوله ، فحل بهم عقابى .

١٥ - وما ينتظر هؤلاء المتحزبون على الرسل الا صيحة واحدة لا تحتاج إلى تكرار .

١٦ - وقال الكافرون مستهزئين : ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم الجزاء .

١٧ - اصبر - يا محمد - على ما يقوله فيك المشركون ، واذكر عبدنا داود ذا القوة فى الدين والدنيا ، انه كان رجاعا إلى الله فى جميع أحواله .

مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ

---

١٨ - انا ذللنا الجبال معه ، يستغل ما فيها من منافع ، وهن ينزهن الله - تعالى - عن كل نقص فى آخر النهار وأوله .

١٩ - وذللنا له الطير مجموعة من كل صنف وكل مكان ، كل من الجبال والطير رجاعة لمشيئة داود ، يصرفها كيف شاء للخير العام .

٢٠ - وقوينا ملكه ، وآتيناه النبوة ، وتمييز الحق من الباطل .

٢١ - وهل جاءك - يا محمد - خبر الخصوم الذين جاءوا داود من سور المحراب وهو محل العبادة ، لا من بابه .

٢٢ - إذ دخلوا على داود فخاف منهم واضطرب . قالوا : لا تخف ، نحن متخاصمان ، ظلم بعضنا بعضا ، فاحكم بيننا بالعدل ولا تتجاوزه ، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى .

٢٣ - قال أحد الخصمين : ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فقال : اجعلنى كافلها كما أكفل ما تحت يدى : وغلبنى فى المخاطبة .

٢٤ - قال داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر : لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه ، وان كثيرا من المتخالطين ليجور بعضهم على بعض ، إلا من استقر الايمان فى قلوبهم ، وكان عمل الصالحات من دأبهم ، وهم قلة نادرة ، وعرف داود أن الأمر ما هو إلا امتحان منا له ، فطلب من الله المغفرة ، وانحنى راكعا لله ، ورجع إليه خاشعا .

٢٥ - فغفرنا له تعجله فى الحكم ، وان له عندنا لقربى وحسن مرجع .

وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

---

٢٦ - وأوحى الله إليه : يا دواد انا صيرناك خليفة عنا فى الأرض ، فاحكم بين الناس بما شرعت لك ، ولا تسر فى الحكم وراء الهوى ، فيحيد بك عن سبيل الله ، ان الذين يحيدون عن سبيل الله باتباع أهوائهم لهم عذاب شديد بغفلتهم عن يوم الجزاء .

٢٧ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما عبثا ، ذلك ما يظنه الكافرون ، فأجروا الأحكام على أهوائهم ، فعذاب شديد للذين كفروا من النار .

٢٨ - أيليق بحكمتنا وعدلنا أن نسوى بين المؤمنين الصالحين وبين المفسدين فى الأرض ، أم يليق أن نسوى بين من خاف عذابنا واتق عقابنا وبين المتمردين على أحكامنا ؟ !

٢٩ - هذا المنزل عليك - يا محمد - كتاب أنزلناه كثير النفع ، ليتعمقوا فى فهم آياته ، وليتعظ به أصحاب العقول الصحيحة والبصائر النيرة .

٣٠ - ووهبنا لداود سليمان المستحق للثناء ، الخليق أن يقال فيه : نعم العبد ، لأنه رجاع إلى الله فى كل أحواله .

٣١ - واذكر من أخبار سليمان أنه عرض عليه بعد الظهر الخيل الأصيلة التى تسكن حين وقوفها وتسرع حين سيرها .

٣٢ - فقال سليمان : انى أشربت حب الخيل - لأنها عدة الخير وهو الجهاد فى سبيل الله - حبا ناشئا عن ذكر لربى ، ومازال مشغولا بعرضها حتى غابت عن ناظريه .

٣٣ - أمر بردها عليه ليتعرف أحوالها ، فأخذ يمسح سوقها وأعناقها ترفقا بها وحبا لها .

كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ

---

٣٤ - ولقد امتحنا سليمان حتى لا يغتر بأبهة الملك ، فألقيناه جسدا على كرسيه لا يستطيع تدبير الأمور ، فتنبه إلى هذا الامتحان فرجع إلى الله - تعالى - وأناب .

٣٥ - دعا سليمان ربه - منيبا إليه - رب اغفر لى ما بدر منى ، وهب لى ملكا لا يليق لأحد من بعدى ، انك أنت الوهاب الكثير العطاء .

٣٦ - فذللنا له الريح ، تجرى حسب مشيئته رخية هينة ، حيث قصد وأراد .

٣٧ - وذللنا له كل بناء وغواص فى أعماق البحار من الشياطين المتمردين .

٣٨ - وآخرين من هؤلاء الشياطين قرن بعضهم ببعض فى الأغلال والسلاسل ، ليكف فسادهم عن الآخرين .

٣٩ - وأوحى إليه أن هذا الذى أنعمنا به عليك عطاؤنا ، فاعط من شئت واحرم من شئت ، فلا حساب عليك فى الاعطاء أو المنع .

٤٠ - ان لسليمان عندنا لقربة عظيمة وحسن مرجع ومآل .

٤١ - واذكر - يا محمد - عبدنا أيوب إذ دعا ربه أنى أصابنى الشيطان بالتعب والألم .

٤٢ - فاستجبنا له وناديناه : أن اضرب برجليك الأرض ، فثمت ماء بارد تغتسل منه وتشرب ، فيزول ما بك من نصب وعذاب .

٤٣ - وجمعنا شمله بأهله الذين تفرقوا عنه أيام محنته ، وزدنا عليهم مثلهم ، وفعلنا ذلك رحمة منا له وعظة لأولى العقول ، ليعرفوا أن عاقبة الصبر الفرج .

٤٤ - كان أيوب قد حلف أن يضرب أحدا من أهله عددا من العصى ، فحلل الله يمينه بأن يأخذ حزمة فيها العدد الذى حلف أن يضربه به ، فيضرب بالحزمة من حلف على ضربه ، فيبر يمينه بأقل ألم ، وقد من الله عليه بهذه النعم ، لأن الله وجده صابرا على بلائه ، فاستحق بذلك الثناء ، فنعم الموصوف بالعبادة هو لأنه رجاع إلى الله فى كل الأمور .

وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾

---

٤٥ ـ واذكر عبدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى القوة فى الدين والدنيا والبصائر النيرة.

٤٦ ـ انا خصصناهم بصفة هى ذكرهم الدار الآخرة ويذكرونها ويذكرون بها.

٤٧ ـ وإنهم عندنا لمن المختارين الأخيار.

٤٨ ـ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلهم من الأخيار.

٤٩ ـ هذا الذى قصصناه عليك نبأ بعض المرسلين تذكير لك ولقومك، وان للمتقين المتحرزين من عصيان الله ـ تعالى ـ حسن مرجع ومآل.

٥٠ ـ أعد لهم جنات عدن مفتحة لهم أبوابها، لا يصدهم عنها صاد.

٥١ ـ يجلسون فيها متكئين على الأرائك والسرر شأن المترفين، ويتمتعون فيها بطلب فاكهة كثيرة وشراب كثير.

٥٢ ـ وعندهم فى الجنة من نسوة قصرن أبصارهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم، وهن مستويات السن معهم، ليكون ذلك أدعى إلى الوفاق.

٥٣ ـ هذا النعيم هو الذى توعدونه ليوم القيامة.

٥٤ ـ ان هذا لعطاؤنا ما له من نهاية.

٥٥ ـ هذا النعيم جزاء المتقين. وان للطاغين المتمردين على أنبيائهم لشر مآل ومنقلب.

٥٦ ـ وهو جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، وبئس الفراش هى.

٥٧ ـ هذا ماء بلغ الغاية فى الحرارة وصديد أهل جهنم، يؤمرون أن يذوقوه.

٥٨ ـ وعذاب آخر مثل هذا العذاب أنواع مزدوجة.

٥٩ ـ ويقال للطاغين ـ وهم رؤساء المشركين ـ : هذا جمع كثير داخلون النار معكم فى زحمة وشدة، وهم اتباعكم، فيقول هؤلاء الرؤساء: لا مرحبا بهم، إنهم داخلون النار مقاسون حرها.

قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

---

٦٠ - قال الأتباع : بل أنتم أحق بهذا الدعاء الذى دعوتم به علينا ، لأنكم الذين قدمتم لنا هذا العذاب باغرائكم لنا ودعوتنا إلى الكفر ، فكفرنا بسببكم ، فبئس الدار والمستقر جهنم .

٦١ - قال الأتباع : ربنا ، من تسبب لنا فى هذا العذاب فزده عذابا مضاعفا فى النار .

٦٢ - وقال أهل النار : ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم فى الدنيا من الأشرار الأراذل الذين لا خير فيهم ؟ ! وهم فقراء المسلمين .

٦٣ - كيف اتخذناهم فى الدنيا هزؤا ولم يدخلوا النار معنا ، ام انهم دخلوها وزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم ؟ ! .

٦٤ - ان ذلك الذى ذكرناه من حديث أهل النار حق لابد أن يقع ، وهو تخاصم ونزاع أهل النار بعضهم مع بعض .

٦٥ - قل للمشركين - يا محمد - : انما أنا مخوف من عذاب الله ، وما من معبود بحق إلا الله الواحد الذى لا شريك له ، القهار الذى يغلب كل ذى سلطان .

٦٦ - رب السموات والأرض وما بينها ، العزيز الذى لا يغلب ، الغفار المتجاوز عن ذنوب من آمن به .

٦٧ ، ٦٨ - قل لهم - يا محمد - : هذا الذى أنذرتكم به خبر عظيم أنتم عنه معرضون لا تفكرون فيه .

٦٩ - ما كان لى من علم بأخبار الملأ الأعلى وقت اختصامهم فى شأن آدم ، لأنى لم أسلك للعلم الطريق المتعارف بين الناس من قراءة الكتب أو التلقى عن المعلمين ، وطريق علمى هو الوحى .

٧٠ - ما يوحى إلى الا لأننى رسول أبلغكم رسالة ربى بأبين عبارة .

٧١ - اذكر لهم حين قال ربك للملائكة : انى خالق بشرا - وهو آدم عليه السلام - من طين .

٧٢ - فإذا أتممت خلقه ونفخت فيه سر الحياة - وهو الروح - فخروا له ساجدين سجود تعظيم وتحية ، لا سجود عبادة .

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

---

٧٣ ، ٧٤ ـ فامتثل الملائكة كلهم أجمعون ، وخروا له ساجدين ، إلا ابليس لم يسجد ، وتعاظم وتكبر ، وكان بهذا التكبر من الكافرين .

٧٥ ـ قال الله تعالى : يا ابليس ، ما منعك من السجود لما خلقته بنفسى بلا واسطة ! أتكبرت مع أنك غير كبير ، أم أنت فى حقيقة نفسك من المتفوقين ! .

٧٦ ـ قال ابليس : أنا خير من آدم ، لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فكيف أسجد له ! .

٧٧ ـ قال الله تعالى لابليس ـ جزاء له على تكبره عن أمر ربه ـ : فاخرج من جماعة الملأ الأعلى ، فإنك مطرود من رحمتى .

٧٨ ـ وأن عليك ابعادى لك عن كل خير إلى يوم الجزاء ، فتجزى على كفرك بى وتكبرك على .

٧٩ ـ قال ابليس : رب أمهلنى ولا تمتنى إلى يوم البعث .

٨٠ ، ٨١ ـ قال الله تعالى : فإنك من المؤجلين المهلين إلى يوم الوقت المعلوم لنا ، وهو نهاية الدنيا .

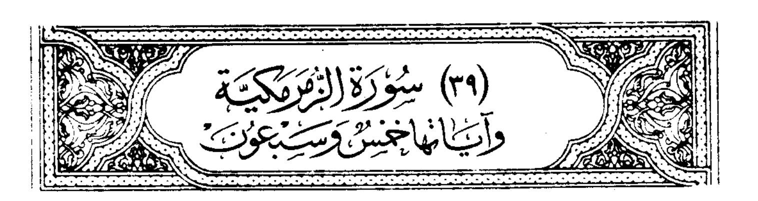
٨٢ ، ٨٣ ـ قال ابليس : فبعظمتك وجلالك لأغوين البشر أجمعين ، إلا عبادك الذين أخلصتهم لطاعتك ، فلا سلطان لى عليهم .

٨٤ ، ٨٥ ـ قال الله تعالى : الحق يمينى وقسمى ، ولا أقول إلا الحق ، لأملأن جهنم من جنسك من الشياطين وممن تبعك من ذرية آدم أجمعين ، لا فرق عندى بين تابع ومتبوع .

٨٦ ـ قل لأمتك ـ يامحمد ـ ما أسألكم على ما أمرت بتبليغه إليكم من القرآن والوحى أجرا ، وما أنا من الذين يتحلون بماليس فيهم حتى أدعى النبوة .

٨٧ ـ ما القرآن الا تذكير وعظة للعالمين جميعا .

٨٨ ـ ولتعلمن ـ أيها المكذبون به ـ صدق ما اشتمل عليه من وعد ووعيد وأخبار عن أمور مستقبلة وآيات كونية بعد وقت قريب .



هذه السورة مكية ، قيل إلا ثلاث آيات منها هى الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، وآياتها ٧٥ آية . افتتحت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن ، ثم بالدعوة إلى اخلاص العبادة لله ـ وحده ـ والرد على من قال : ان لله ولدا ، ثم عرضت الآيات قدرة الله ـ تعالى ـ فى خلق السموات والأرض وخلق الإنسان ، وأن الناس ان يكفروا به فهو غنى عنهم ، وان يشكروا يرضه لهم ولا يرضى لهم الكفر ، كما عرضت لخلق من أخلاق الإنسان فى موضعين : أنه إذا مسه الضر دعا ربه وأناب إليه ، وإذا أنعم عليه نسى ما كان يدعو إليه من قبل .

ثم عقدت مقارنة بين من يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبين المتمردين عليه ، وما أعد لهؤلاء وأولئك من الجزاء يوم القيامة ، ثم ذكرهم بنعمة الله عليهم بانزاله الماء ، وأنه يحيى به الأرض بعد موتها ، وينبت به النبات الذى يأخذ أطوارا متعددة ، وفى ذلك ذكرى لأولى الألباب .

وتعود السورة للحديث عن القرآن وتأثيره على الذين يخشون ربهم ، وأن الله قد ضرب فيه الأمثلة لعلهم يتذكرون ، قرآنا غير ذى عوج لعلهم يتقون ، ثم قارنت السورة بين العبد المشرك والعبد المخلص لله ، وأنهما لا يستويان ، وأن الموت هو مآل الجميع ، ثم عند ربهم يختصمون .

ثم بينت مآل من كذب على الله وكذب بالصدق ، ومآل الصادقين فى أقوالهم ، المصدقين ما أنزل اليهم ، وأن هؤلاء المشركين لو سألتهم : من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله . ولكنهم ـ مع ذلك ـ يعبدون من لا يدفعون عنهم ضرا ان أرادهم الله بضر ، ولا يمسكون رحمة ان أراد الله بهم رحمة ، ثم تقرر هذه السورة أن هذا الكتاب أنزل بالحق ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فاثمه على نفسه ، وأن الرسول ـ ﷺ ـ ليس عليهم بوكيل .

ثم تعود إلى تذكيرهم بالموت والبعث ، وأن الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله لا يملكون لهم شيئا ، حتى الشفاعة ، فإن لله الشفاعة جميعا .

ولما كثر الكلام عما أعد للعصاة والمسرفين من العذاب الأليم ـ وربما كان هذا مما يبعث فى قلوبهم اليأس من رحمة الله ـ فتح لهم باب الأمل فى رحمته « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » ودعاهم إلى الانابة إليه قبل أن يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » . والذين اتقوا لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون . وختمت السورة بالحديث عن اليوم الآخر من مبدئه يوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله . إلى أن يأخذ كل ذى حق حقه ، فيساق أهل النار اليها ، كما يساق أهل الجنة إليها ، ويقولون فيها : الحمد لله الذى صدقنا وعده وقضى بين الجميع بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا

١ ـ تنزيل القرآن من الله الذى لا يغلبه أحد على مراده ، الحكيم فى فعله وتشريعه .

٢ ـ انا أنزلنا إليك ـ يا محمد ـ القرآن آمرا بالحق ، فاعبد الله مخلصا له ـ وحده ـ العبادة .

٣ ـ الا لله ـ وحده ـ الدين البرىء من كل شائبة ، والمشركون الذين اتخذوا من دونه نصراء يقولون : ما نعبد هؤلاء لأنهم خالقون ، إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله ـ تقريبا ـ بشفاعتهم لنا عنده ، ان الله يحكم بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين الموحدين فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الشرك والتوحيد ، ان الله لا يوفق لادراك الحق من شأنه الكذب والامعان فيه .

٤ ـ لو أراد الله أن يتخذ ولدا ـ كما قالت النصارى فى المسيح والمشركون فى الملائكة ـ لاختار الولد من خلقه كما يشاء هو ، لا كما تشاءون أنتم ، تنزه الله عن أن يكون له ولد ، هو الله الذى لا مثيل له ، القهار الذى بلغ الغاية فى القهر .

٥ ـ خلق السموات والأرض متلبسا بالحق والصواب على ناموس ثابت ، يلف الليل على النهار ويلف النهار على الليل على صورة الكرة ، وذلل الشمس والقمر لارادته ومصلحة عباده ، كل منهما يسير فى فلكه إلى وقت محدد عنده . . وهو يوم القيامة ، الا هو ـ دون غيره ـ الغالب على كل شىء ، فلا يخرج شىء عن ارادته ، الذى بلغ الغاية فى الصفح عن المذنبين من عباده[1] .

---

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الأرض كروية تدور حول نفسها لأن مادة التكوير معناها لف الشىء على الشىء على سبيل التتابع ، ولو كانت الأرض غير كروية « مسطحة مثلا » لخيم الليل أو طلع النهار على جميع أجزائها دفعة واحدة .

مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ

---

٦ - خلقكم - أيها الناس - من نفس واحدة هو آدم أبو البشر، وخلق من هذه النفس زوجه حواء، وأنزل لصالحكم ثمانية أنواع من الأنعام ذكرا وأنثى: وهى الابل والبقر والضأن والماعز. يخلقكم فى بطون أمهاتكم طورا من بعد طور فى ظلمات ثلاث: هى ظلمة البطن والرحم والمشيمة. ذلكم المنعم بهذه النعم الله مربيكم ومالك أمركم، له - لا لغيره - الملك الخالص، لا معبود بحق إلا هو، فكيف يعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره؟! (١).

٧ - ان تكفروا بنعمه - أيها الناس - فإن الله غنى عن ايمانكم وشكركم، ولا يحب لعباده الكفر، لما فيه من ضرهم، وان تشكروه على نعمه يرض هذا الشكر لكم، ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مآلكم فيخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا، إنه عليم بما تكنه قلوبكم التى فى الصدور (٢).

٨ - وإذا أصاب الإنسان مكروه - من مكاره الدنيا - دعا ربه راجعا إليه بعد أن كان معرضا عنه، ثم إذا أعطاه ربه نعمة عظيمة نسى الضر الذى كان يدعو ربه إلى ازالته وكشفه من قبل أن يمن عليه بهذه النعمة، وجعل لله شركاء متساوين معه فى العبادة، فعل هذا الإنسان ذلك ليضل نفسه وغيره عن طريق الله. قل - يا محمد - لمن هذه صفته متوعدا: تمتع بكفرك بنعم الله عليك زمنا قليلا، انك من أهل النار.

(١) تنشأ البويضة فى أحد مبيضى المرأة، حتى إذا اكتمل نضجها انطلقت منه فيتلقفها أحد بوقى فالوب، ثم تمضى فى قناة فالوب فى طريقها إلى الرحم فلا تصله الا بعد بضعة أيام قد يقدر لها فى أثنائها أن يخصبها الحيوان المنوى من الرجل فتبدأ توا مراحل تطورها المبكرة، وفى الرحم يمضى الجنين بقية مدة الحمل حيث يكون لنفسه فيها غلافين «السلى» Charlon ويسهم جزء منه فى تكوين المشيمة والرهل Awnion الذى يحيط بالجنين احاطة مباشرة.

وقد اختلفت الآراء فى تحديد الظلمات الثلاث فى الآية الكريمة فن ذلك أنها:

١ - البطن، الرحم، والمشيمة (ويقصد بها ما يغلف الجنين بصفة عامة).
٢ - الرحم والسلى والرهل.
٣ - البطن والظهر والرحم.
٤ - المبيض وقناة فالوب والرحم.

والظاهر أن الرأى الأخير هو الأرجح لأنها ثلاث متفرقات فى أماكن مختلفة، أما الآراء الأخرى فإنها تشير فى الواقع إلى ظلمة واحدة فى مكان واحد تحيط به طبقات متعددة، ولعل الخالق العظيم قد أومأ فى كتابه إلى هذه الحقيقة العلمية فى زمن لم يكن الناس قد اكتشفوا فيه بويضة الثدييات ومسلكها ذلك فى أجسام الاناث بعيدا عن العيون.

(٢) هذا من القرآن الكريم صريح فى مبدأ شخصية العقوبة مثل ما ورد فى سورة يوسف من قوله تعالى: «قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده، انا إذن لظالمون» وهذا من القرآن الكريم تأصيل للمبدأ المذكور وهو المبدأ الذى لم يستقر فى فقه القانون إلا فى العصور الحديثة.

وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ

---

٩ - أمن هو خاشع لله أثناء الليل يقضيه ساجدا وقائما ، يخشى الآخرة ويرجو رحمة ربه ، كمن يدعو ربه فى الضراء وينساه فى السراء ؟ ! قل لهم - يا محمد - : هل يستوى الذين يعلمون حقوق الله فيوحدونه ، والذين لا يعلمون ، لاهمالهم النظر فى الأدلة ؟ ! انما يتعظ أصحاب العقول السليمة .

١٠ - قل - أيها النبى - مبلغا عن ربك ياعبادى الذين آمنوا بى ، اتخذوا وقاية من غضب ربكم ، فإن لمن أحسن العمل عاقبة حسنة ، فى الدنيا بالتأييد ، وفى الآخرة بالجنة . ولا تقيموا فى ذل ، فأرض الله واسعة ، واصبروا على مفارقة الأوطان والأحباب ، إنما يوفى الله الصابرين أجرهم مضاعفا ، لا يدخل تحت حساب الحاسبين .

١١ - قل : انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له عبادتى من كل شرك ورياء .

١٢ - وأمرت منه تعالى - أمرا مؤكدا - أن أكون أول المنقادين لأوامره .

١٣ - قل : انى أخشى ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم الهول .

١٤ ، ١٥ - قل لهم يا محمد - : الله وحده - أعبد ، مبرئا عبادتى من الشرك والرياء ، فإذا عرفتم طريقتى ولم تطيعون فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل لهم : ان الخاسرين - كل الخسران - هم الذين أضاعوا أنفسهم بضلالهم ، وأهليهم باضلالهم يوم القيامة . ألا ذلك الضياع هو الخسران الكامل الواضح .

١٦ - لهؤلاء الخاسرين من فوقهم طبقات متراكمة من النار ومن تحتهم مثلها ، ذلك التصوير للعذاب يخوف الله به عباده ، ياعباد : فاخشوا بأسى .

ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ

---

١٧ ، ١٨ ـ والذين اجتنبوا الأصنام والشياطين أن يتقربوا إليها ، ورجعوا إلى الله فى كل أمورهم ، لهم البشارة العظيمة فى جميع المواطن ، فبشر ـ يا محمد ـ عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون الأحسن والأهدى إلى الحق ، أولئك ـ دون غيرهم ـ الذين يوفقهم الله إلى الهدى ، وأولئك هم ـ دون غيرهم ـ أصحاب العقول النيرة .

١٩ ـ أتملك التصرف فى ملكى ، فمن وجبت عليه كلمة العذاب تستطيع أن تمنعه ؟ ! ألك هذه القوة ، فأنت تنقذ من فى النار بعد أن وجبت لهم ؟ !

٢٠ ـ لكن الذين خافوا ربهم لهم أعالى الجنة وقصورها ، مبنية بعضها فوق بعض ، تجرى من تحتها الأنهار ، وعدا من الله ، والله لا يخلف وعده .

٢١ ـ ألم تر ـ أيها المخاطب ـ أن الله أنزل من السماء ماء ، فأجراه فى ينابيع وعيون فى الأرض ، ثم يخرج به زرعا مختلفا أشكاله ، ثم ييبس بعد نضارته فتراه مصفرا ، ثم يجعله فتاتا متكسرا ، ان فى ذلك التنقل من حال إلى حال لتذكير لأولى العقول المنيرة[1] .

٢٢ ـ أكل الناس سواء ، فمن شرح الله صدره للإسلام بقبول تعاليمه ، فهو على بصيرة من ربه ، كمن أعرض عن النظر فى آياته ؟ ! . فعذاب شديد للذين قست قلوبهم عن ذكر الله ، أولئك القاسية قلوبهم فى انحراف عن الحق واضح .

---

(١) دورة المياه فى الطبيعة من السماء إلى الأرض حيث تسلك فيها عيونا لم تعرف قبل أواسط القرن الثامن ، حيث أن الفكرة التى كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول : ان ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتيا إليه من حفر وآبار فى قيعان البحار .

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

---

٢٣ ـ الله نزل أحسن الحديث كتابا تشابهت معانيه وألفاظه فى بلوغ الغاية فى الاعجاز والاحكام ، تتردد فيه المواعظ والأحكام ، كما يكرر فى التلاوة ، تنقبض عند تلاوته وسماع وعيده جلود الذين يخافون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . ذلك الكتاب الذى اشتمل على هذه الصفات نور الله يهدى به من يشاء ، فيوفقه إلى الايمان به ، ومن يضله الله ـ لعلمه أنه سيعرض عن الحق ـ فليس له من مرشد ينقذه من الضلال .

٢٤ ـ أكل الناس متساوون ، فمن يتق بوجهه العذاب السيء الشديد يوم القيامة بعد أن تغل يداه ، كمن يأتى آمنا يوم القيامة ؟ وقيل للظالمين : ذوقوا وبال عملكم .

٢٥ ـ كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون .

٢٦ ـ فأذاقهم الله الصغار فى الحياة الدنيا ، أقسم : لعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا ، لو كانوا من أهل العلم والنظر .

٢٧ ـ ولقد بينا للناس فى هذا القرآن من كل مثل يذكرهم بالحق ، رجاء أن يتذكروا ويتعظوا .

٢٨ ـ أنزلنا قرآنا عربيا بلسانهم ، لا اختلال فيه ، رجاء أن يتقوا ويخشوا ربهم .

٢٩ ـ ضرب الله مثلا للمشرك رجلا مملوكا لشركاء متنازعين فيه ، وضرب مثلا للموحد رجلا خالص الملكية لواحد ، هل يستويان مثلا ؟ لا يستويان . الحمد لله على اقامة الحجة على الناس ، لكن أكثر الناس لا يعلمون الحق .

٣٠ ، ٣١ ـ انك ـ يا محمد ، وإنهم جميعا ميتون . ثم انكم بعد الموت والبعث عند الله يخاصم بعضكم بعضا .

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ

---

٣٢ ـ فليس أحد أشد ظلما ممن نسب إلى الله ما ليس له ، وأنكر الحق حين جاءه على لسان الرسل من غير تفكير ولا تدبر ، أليس فى جهنم مستقر للكافرين المفترين حتى يجترئوا على الله ؟ !

٣٣ ـ والذى جاء بالحق وصدق به إذ جاءه ، أولئك هم المتقون لا غيرهم .

٣٤ ـ لهؤلاء المتقين عند ربهم ما يحبون ، ذلك الفضل جزاء كل محسن فى عقيدته وعمله .

٣٥ ـ أكرم الله المتقين بما أكرمهم به ، ليغفر لهم أسوأ عملهم ، ويوفيهم أجرهم بأحسن ما عملوا فى الدنيا .

٣٦ ـ الله ـ وحده ـ كاف عباده كل ما يهمهم ، ويخوفك ـ يا محمد ـ كفار قريش بآلهتهم التى يدعونها من دون الله ، وذلك من ضلالهم ، ومن يضلل الله ـ لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى ـ فما له من مرشد يرشده .

٣٧ ـ ومن يرشده الله إلى الحق ويوفقه إليه ـ لعلمه أنه يختار الهدى على الضلالة ـ فما له من مضل ينحرف به عن سبيل الرشاد ، أليس الله بمنيع الجناب ، ذى انتقام شديد ، فيحفظ أولياءه من أعدائه ؟ !

٣٨ ـ وأقسم : لئن سألت ـ يا محمد هؤلاء المشركين ـ من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله هو الذى خلقهن . قل لهم ـ يا محمد ـ : أعقلتم فرأيتم الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ، ان شاء الله ضرى هل هن مزيلات عنى ضره ، أو شاء لى رحمة هل هن مانعات عنى رحمته ؟ ! قل لهم ـ يا محمد ـ : الذى يكفينى فى كل شىء وحده ، عليه ـ لا على غيره ـ يعتمد المتوكلون المفوضون كل شىء إليه .

٣٩ ، ٤٠ ـ قل لهم ـ متوعدا ـ : يا قوم اثبتوا على طريقتكم من الكفر والتكذيب انى ثابت على عمل

فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

ما أمرنى به ربى ، فسوف تدركون من منا الذى يأتيه عذاب يذله ، وينزل عليه عذاب دائم لا ينكشف عنه ؟ !

٤١ ـ انا أنزلنا عليك ـ أيها النبى ـ القرآن الكريم لجميع الناس مشتملا على الحق الثابت . فمن استرشد به فنفع ذلك لنفسه ، ومن ضل عن طريقه فانما يرجع وبال ضلاله على نفسه وما أنت ـ يا محمد ـ بموكل بهدايتهم ، فما عليك الا البلاغ ، وقد بلغت .

٤٢ ـ الله يقبض الأرواح حين موتها ، ويقبض الأرواح التى لم تمت حين نومها ، فيمسك التى قضى عليها الموت لا يردها إلى بدنها ، ويرسل الأخرى التى لم يحن أجلها عند اليقظة إلى أجل محدد عنده . ان فى ذلك لأدلة واضحة لقوم يتدبرون .

٤٣ ـ بل اتخذ المشركون من دون الله شفعاء يتقربون بهم إليه . قل لهم ـ يا محمد ـ : أفعلتم هذا ولو كان هؤلاء الشفعاء لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟

٤٤ ـ قل لهم ـ يا محمد ـ لله وحده الشفاعة كلها ، فلا ينالها أحد إلا برضاه ، له ـ وحده ـ ملك السموات والأرض ، ثم إليه ـ وحده ـ ترجعون فيحاسبكم على أعمالكم .

٤٥ ـ وإذا ذكر الله ـ وحده ـ دون أن تذكر آلهتهم انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالحياة الآخرة ، وإذا ذكرت آلهتهم التى يعبدونها من دون الله سارعوا إلى الفرح والاستبشار .

٤٦ ـ قل يا محمد ـ متوجها إلى مولاك : يا الله يا خالق السموات والأرض على غير مثال ، يا عالم السر والعلن ، أنت ـ وحدك ـ تفصل بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدنيا والآخرة ، فاحكم بينى وبين هؤلاء المشركين .

٤٧ ـ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك كل ما فى الأرض جميعا وضعفه معه لقدموه افتداء لأنفسهم من سوء العذاب الذى أعد لهم يوم القيامة ، وظهر لهم من الله ما لم يخطر على بالهم من العذاب .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ

٤٨ - وظهر لهم فى هذا اليوم سوء عملهم، وأحاط بهم من العذاب ما كانوا يستهزئون به فى الدنيا.

٤٩ - فإذا أصاب الإنسان ضر نادانا متضرعا، ثم إذا أعطيناه - تفضلا منا - نعمة قال هذا الإنسان: ما أوتيت هذه النعم الا لعلم منى بوجوه كسبه، وفات هذا الإنسان أن الأمر ليس كما قال، بل هذه النعمة التى أنعم الله بها عليه اختبار له ليبين له الطائع من العاصى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها اختبار وفتنة.

٥٠ - قد قال هذه المقالة الذين من قبل هؤلاء المشركين، فما دفع عنهم العذاب ما اكتسبوه من مال ومتاع.

٥١ - فأصاب الكفار السابقين جزاء سيئات عملهم، والظالمون من هؤلاء المخاطبين سيصيبهم جزاء سيئات عملهم، وما هؤلاء بمفلتين من عقاب.

٥٢ - أيقول هؤلاء ما قالوا ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويعطيه بقدر لمن يشاء على مقتضى حكمته: ان فى هذا لعبرا لقوم يؤمنون.

٥٣ - قل - يا محمد - مبلغا عن ربك: يا عبادى الذين أكثروا على أنفسهم من المعاصى، لا تيأسوا من رحمة الله، ان الله يتجاوز عن الذنوب جميعا، انه هو - وحده - العظيم فى مغفرته ورحمته.

٥٤ - وارجعوا - أيها المسرفون على أنفسهم - إلى مالك أمركم ومربيكم، وانقادوا له من قبل أن يجيئكم العذاب ثم لا ينصركم أحد من الله ويدفع عنكم عذابه.

٥٥ - واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم - وهو القرآن الكريم - من قبل أن يجيئكم العذاب فجأة وعلى غير استعداد، وأنتم لا تعلمون بمجيئه.

نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

---

٥٦ - ارجعوا إلى ربكم، وأسلموا له، واتبعوا تعاليمه، لئلا تقول نفس مذنبة حينما ترى العذاب: يا أسفى على ما فرطت فى جنب طاعة الله وحقه، وانى كنت فى الدنيا لمن المستهزئين بدينه.

٥٧ - أو تقول تلك النفس المذنبة - متحملة للعذر -: لو أن الله وفقنى للهدى لكنت فى الدنيا من الذين وقوا أنفسهم من عذاب الله بالإيمان والعمل الصالح.

٥٨ - أو تقول تلك النفس المذنبة - حين تشاهد العذاب -: ليت لى رجعة إلى الدنيا، فأكون فيها ممن يحسنون العقيدة والعمل.

٥٩ - بلى - أيها النادم - قد جاءتك تعاليمى على لسان الرسل، فكذبت بها وتعاليت عن اتباعها، وكنت فى دنياك من الثابتين على الكفر.

٦٠ - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله - فنسبوا إليه ما ليس له - وجوههم مسودة من الحزن والكآبة، ان فى جهنم مقرا للمتكبرين المتعالين عن الحق.

٦١ - وينجى الله الذين جعلوا لهم وقاية من عذاب الله، بما سبق فى علمه من فوزهم، لاختيارهم الهدى على الضلال، لا يصيبهم فى هذا اليوم السوء، ولا هم يحزنون على فوت نعيم كانوا يؤملونه.

٦٢ - الله خالق كل شىء - وهو وحده - على كل شىء وكيل، يتولى أمره بمقتضى حكمته.

٦٣ - لله وحده تصاريف أمور السموات والأرض، فلا يتصرف فيهن سواه والكافرون بحجج الله وبراهينه هم - وحدهم - الخاسرون أتم خسران.

٦٤ - قل - يا محمد -: أفبعد وضوح الآيات على وجوب توحيد الله بالعبادة تأمرونى أن أخص غيره بالعبادة أيها الجاهلون؟!

لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟

---

٦٥ - وأقسم : لقد أوحى إليك - يا محمد - وإلى الرسل من قبلك : لئن أشركت بالله شيئا - ما - ليبطلن الله عملك ، ولتكونن من القوم الخاسرين أتم خسران .

٦٦ - لا تجبهم - أيها الرسول - إلى ما طلبوه منك ، بل اعبد الله - وحده - وكن من القوم الشاكرين له على نعمه .

٦٧ - وما عظم المشركون الله حق عظمته ، وما عرفوه حق معرفته اذ أشركوا معه غيره ، ودعوا الرسول - ﷺ - إلى الشرك به ، والأرض جميعها مملوكة له يوم القيامة ، والسموات قد طويت - كما تطوى الثياب - بيمينه ، تنزه الله عن كل نقص ، وتعالى علوا كبيرا عما يشركونه من دونه .

٦٨ - وسينفخ - حتما - فى الصور [1] ، فيموت من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله أن يؤخرهم إلى وقت آخر ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا الجميع قائمون من قبورهم ، ينتظرون ما يفعل بهم .

٦٩ - وأضاءت الأرض - يومئذ - بنور خالقها ومالكها ، وأعد الكتاب الذى سجلت فيه أعمالهم ، وأحضر الأنبياء والعدول ليشهدوا على الخلق ، وفصل بين الخلق بالعدل ، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب .

٧٠ - وأعطيت كل نفس جزاء عملها ، والله أعلم بفعلهم .

٧١ - وحث الكافرون على السير - بعنف - إلى جهنم جماعات . جماعات ، حتى إذا بلغوها فتحت أبوابها ، وقال لهم حراسها - موبخين - : ألم يأتكم سفراء عن الله من نوعكم ، يقرأون عليكم آيات ربكم ، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا ؟ ! قال الكافرون مقرين : بلى جاءتنا الرسل ، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين ، لاختيارهم الكفر على الإيمان .

---

(١) الصور لغة : البوق ، والصور الذى حدثنا عنه القرآن من عالم الغيب ، لا ندرى كنهه وحقيقته .

أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

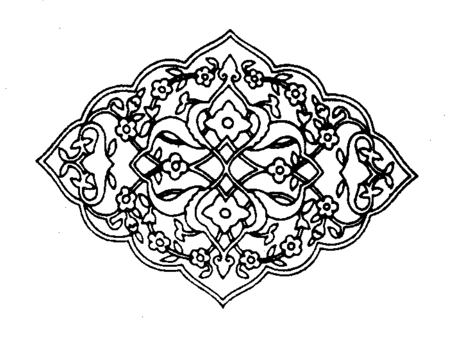
---

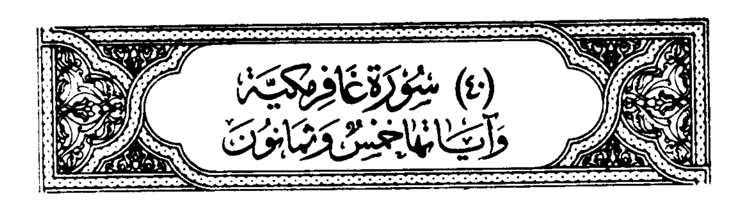
٧٢ ـ قيل لهم : ادخلوا أبواب جهنم مقدرا لكم فيها الخلود فبئست جهنم مستقرا للمتعالين عن قبول الحق .

٧٣ ـ وحث المتقون على السير ـ مكرمين إلى الجنة جماعات جماعات ، حتى إذا بلغوها ، وقد فتحت أبوابها ، وقال لهم حفظتها : أمان عظيم عليكم ، طبتم فى الدنيا من دنس المعاصى ، وطبتم فى الآخرة ـ نفسا ـ بما نلتم من النعيم ، فادخلوها مقدرا لكم الخلود ، فإن لكم من النعيم مالا يخطر على بال .

٧٤ ـ وقال المتقون : الثناء لله ـ وحده ـ الذى حقق لنا ما وعدنا به على لسان رسله وملكنا أرض الجنة ننزل منها حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين المحسنين الجنة .

٧٥ ـ وترى ـ أيها الرائى ـ الملائكة محيطين بالعرش ، ينزهون الله عن كل نقص ، تنزيها مقترنا بحمد خالقهم ومربيهم ، وفصل بين جميع الخلائق بالعدل ، ونطق الكون كله قائلا : الحمد لله رب الخلائق كلها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾

افتتحت هذه السورة ـ كما افتتحت سور كثيرة - بحرفين من حروف الهجاء ، وابتدئت بالتنويه بشأن القرآن المنزل من العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول . ثم دعت إلى التوحيد وعدم الاغترار بما قد يكون عليه الكافرون من سلطان ، ودعتهم إلى أن يذكروا مآل الأمم قبلهم .

وتحدثت السورة ـ بعد ذلك ـ عن حملة العرش وتسبيحهم ودعائهم ، وصورت حال الكافرين وما هم فيه من غضب الله . وتحدثت السورة ـ فى أكثر من موضع ـ عن آيات الله وقدرته فى أنفسهم وما يحيط بهم من السموات والأرض ، وما أفاض عليهم من نعمه ، كما دعاهم الله ـ فى أكثر من آية ـ إلى توحيده بالعبادة « فادعوا الله مخلصين له الدين » « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » « ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو » . كما اشتملت السورة ـ فى بعض آياتها ـ على التذكير باليوم الآخر « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين » وتحدثت السورة عن شىء من قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون وقومه . ولاسيما مؤمن آل فرعون ، وختمت السورة بدعوة الناس إلى أن يسيروا فى الأرض لينظروا ما حل بالأمم قبلهم ، وكيف كان عاقبة غرورهم بما عندهم من العلم ، فلما حل بهم عذاب الله قالوا : آمنا بالله ـ وحده ـ وكفرنا بما أشركنا به ، ولكنهم آمنوا بعد فوات الاوان « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا » وتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وعند نزول العذاب خسر هنالك الكافرون .

١ ـ ح ، م : حرفان من حروف الهجاء بدئت بهما السورة ـ على طريقة القرآن فى بعض السور ـ للإشارة إلى أن القرآن من جنس كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله .

٢ ، ٣ ـ تنزيل القرآن من الله القوى الغالب ، المحيط علمه بكل شىء ، وقابل التوبة من التائبين ، شديد العذاب ، صاحب الإنعام ، لا معبود بحق ألا هو ، إليه ـ وحده ـ المرجع والمآل .

٤ ـ ما يمارى فى آيات الله الدالة عليه الا الذين كفروا ، فلا يخدعك تنقلهم فى البلاد بتيسير الله شئونهم مع كفرهم .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا

---

٥ - كذبت قبل هؤلاء المشركين قوم نوح والمجتمعون على معاداة الرسل من بعد قومه، وحرصت على ايقاع الشر برسولهم ليأخذوه بالبطش، وتماروا فى الباطل الذى لا حقيقة له، ليزيلوا بجدلهم الحق الثابت، فأخذتهم بالعذاب المستأصل، فانظر كيف كان عقابى لهم ؟ !

٦ - وكما حقت كلمة العذاب على الأمم التى كذبت أنبياءها، حقت كلمة ربك على الكافرين بك - يا محمد - لأنهم أصحاب النار، لاختيارهم الكفر على الايمان.

٧ - الذين يحملون العرش من الملائكة، والمحيطون به، ينزهون مالك أمرهم ومربيهم عن كل نقص تنزيهاً مقترنا بالثناء عليه، ويؤمنون به ويطلبون المغفرة للمؤمنين قائلين : ربنا وسعت رحمتك كل شيء، وأحاط علمك بكل شيء، فاصفح عن سيئات الذين رجعوا إليك واتبعوا طريقك، وجنبهم عذاب الجحيم.

٨ - ويقول هؤلاء الملائكة : ربنا وأدخل المؤمنين جنات الإقامة التى وعدتهم بها على لسان رسلك، وأدخل معهم الصالحين من الآباء والأزواج والذرية، انك أنت - وحدك - الغالب الذى لا يغلب، الحكيم الذى لا يخطىء.

٩ - ويقولون فى دعائهم : جنب المؤمنين جزاء سيئاتهم، ومن جنبته جزاء سيئاته يوم الجزاء فقد رحمته بفضلك، والوقاية من جزاء السيئات هو الظفر البالغ العظم.

١٠ - ان الذين كفروا ينادون : لكراهة الله وبغضه لكم أكبر من كراهتكم أنفسكم التى أوردتكم موارد العذاب، حين كنتم تدعون إلى الايمان مرة بعد مرة فتسارعون إلى الكفر.

ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن

١١ - قال الكافرون: ربنا أمتنا موتتين: موتة من حياتنا الدنيا، وموتة من حياتنا فى البرزخ(١)، وأحييتنا مرتين: مرة هى حياتنا الدنيا، ومرة أخرى بالبعث من القبور، فهل إلى خروجنا من العذاب من طريق.

١٢ - ذلكم العذاب الذى أنتم فيه، لأن شأنكم فى الدنيا إذا دعى الله - وحده - كفرتم وان يشرك به غيره تؤمنوا، وإذا كان هذا شأنكم فقد استحققتم جزاء شرككم، فالحكم لله العلى الكبير الذى يجازى من كفر بما يستحقه.

١٣ - الله الذى يريكم دلائل قدرته، فينزل لمصالحكم من السماء ماء يكون سبب رزقكم وما يتعظ بهذا الا من يرجع إلى التفكير فى آيات الله.

١٤ - فاعبدوا الله مخلصين له العبادة، ولو أبغض الكافرون عبادتكم واخلاصكم.

١٥، ١٦ - الله عالى المقامات، صاحب العرش، ينزل الوحى من قضائه وأمره على من اصطفاه من عباده، ليخوف الناس عاقبة مخالفة المرسلين يوم التقاء الخلق أجمعين: يوم الحساب الذى يظهر فيه الناس واضحين، لا يخفى على الله من أمرهم شىء، يتسامعون نداء رهيبا: لمن الملك اليوم؟ وجوابا حاسما: لله الواحد المتفرد بالحكم بين عباده، البالغ القهر لهم.

١٧ - اليوم تجزى كل نفس بما فعلت، لا ظلم اليوم بنقص أجر أو زيادة عقاب، ان الله سريع حسابه فلا يتأخر عن وقته.

١٨ - وخوفهم - يا محمد - يوم القيامة القريبة، حين تكون القلوب عند الحناجر من شدة الخوف، ممتلئين غيظا لا يستطيعون التعبير عنه، ليس للظالمين أنفسهم بالكفر قريب ولا شفيع يطاع فى أمرهم.

١٩ - وهو - سبحانه - يعلم النظرة الخائنة للعين، وما تخفيه الصدور من المكنونات.

(١) وقد يدل على حياة البرزخ - التى هى حياة خاصة لا نعلم كنهها - ما ذكره الله تعالى فى قوله عن آل فرعون «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» وقوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون».

دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ
مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم
بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ

---

٢٠ ـ والله يحكم بالعدل ، والشركاء الذين يدعونهم من دون الله لا يحكمون بشيء لعجزهم ، ان الله ـ وحده ـ هو المحيط بكل ما يسمع ويبصر.

٢١ ـ أقعد المشركون ولم يسيروا فى الأرض ، فيروا كيف كان حال الأمم الذين كانوا من قبلهم ؟ ! كانوا هم ـ أشد منهم قدرة وآثارا فى الأرض ، فاستأصلهم الله بذنوبهم وليس لهم من الله حافظ يحفظهم من عذابه .

٢٢ ـ ذلك العذاب الذى نزل بهم ، لأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة الواضحات فجحدوها ، فعجل الله عذابهم المستأصل ، انه ذو قوة عظيمة ، بالغ الشدة فى العذاب .

٢٣ ، ٢٤ ـ أقسم : لقد أرسلنا موسى بمعجزاتنا وبرهان ذى سلطان واضح إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا : هو ساحر بما جاء من المعجزات ، مبالغ فى الكذب لدعواه أنه رسول من ربه .

٢٥ ـ فلما أتاهم موسى بالحق من عندنا قال فرعون ومن معه لاتباعهم : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واتركوا نساءهم أحياء ، وليس مكر الكافرين الا ذاهبا فى متاهة وضياع .

٢٦ ـ وقال فرعون : دعونى أقتل موسى وليدع ربه لينقذه منى ، انى أخشى أن يغير دينكم ـ يا قوم ـ أو أن يشيع فى الأرض الفتن .

٢٧ ـ وقال موسى لفرعون وقومه : انى تحصنت بمالك أمرى الذى ربانى ، ومالك أمركم ومربيكم بنعمه واحسانه ، من كل متغطرس متعال لا يؤمن بيوم الحساب .

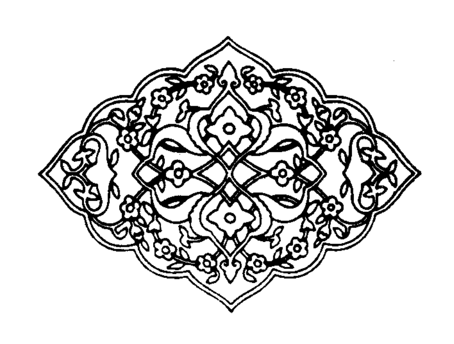
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ

٢٨ ـ وقال رجل مؤمن من أهل فرعون يخفى ايمانه ـ مخاطبا قومه ـ : أتقصدون رجلا بالقتل لأنه يقول : معبودى الله ، وقد جاءكم بالأدلة الواضحات من مالك أمركم ومربيكم ، وان يكن كاذبا فى دعواه فعليه ـ وحده ـ وبال كذبه ، وان يكن صادقا ينزل بكم بعض الذى يخوفكم به من العذاب ، ان الله لا يوفق إلى طريق النجاة من هو مجاوز الحد مبالغ فى الكذب .

٢٩ ـ يا قومى : لكم الملك اليوم عالين فى أرض مصر دون غيركم . فمن ينقذنا من عذاب الله ان جاءنا ؟ ! قال فرعون : ما أظهر لكم من الرأى إلا الذى أعتقده ، وما أرشدكم بهذا الرأى إلا طريق الهداية .

٣٠ ، ٣١ ـ وقال الرجل الذى آمن من آل فرعون : يا قوم انى أخشى عليكم يوما مثل يوم الاقوام المتحزبين على رسلهم ، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود والاقوام الذين من بعدهم ، وما الله يشاء ظلما لعباده .

٣٢ ، ٣٣ ـ ويا قوم : انى أخاف عليكم يوم تصايح الخلق بعضهم على بعض ، يوم تفرون مدبرين ، ليس لكم من الله من مانع ، ومن يضلله الله ـ لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى ـ فما له من مرشد يهديه .



مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ

---

٣٤ ـ أقسم : لقد أتاكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات ، فما زلتم فى شك مما أتاكم به ، حتى إذا مات قلتم : لن يرسل الله من بعد يوسف رسولا ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله من هو مجاوز الحد ، كثير الشك والارتياب .

٣٥ ـ الذين يجادلون فى آيات الله بغير برهان جاءهم ، كبر كرها وسخطا عند الله وعند المؤمنين ما انطبعوا عليه من الجدال ، مثل هذا الختم يختم الله على كل قلب متعال على الخلق ، متسلط على الناس .

٣٦ ، ٣٧ ـ وقال فرعون : يا هامان ابن لى بناء عاليا رجاء أن أبلغ المسالك . . مسالك السموات فأرى إله موسى ، وانى لاظنه كاذبا فى دعوى الرسالة ، ومثل هذا التزين الباطل زين لفرعون سوء عمله حتى رآه حسنا ، ومنع عن سبيل الحق لاختياره سبيل الضلالة ، وليس مكر فرعون الا فى خسار عظيم .

٣٨ ـ وقال الذى آمن من قوم فرعون : يا قوم اقتدوا بى أرشدكم طريق الصلاح .

٣٩ ـ يا قوم : ما هذه الحياة الدنيا الا كمتاع الراكب يفنى بسرعة ، وان الدار الآخرة هى ـ وحدها ـ دار الاستقرار .

٤٠ ـ من عمل سيئة فى الدنيا فلا يجازى عليها فى الآخرة الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها رزقا غير مقدر بحساب الحاسبين .

٤١ ، ٤٢ ـ ويا قوم : أى شىء لى ، أدعوكم إلى أسباب النجاة وتدعوننى إلى النار ؟ . تدعوننى إلى الكفر بالله واشراك من لا علم لى به ، وأنا أدعوكم إلى القوى الذى لا يغلب ، الكثير المغفرة للذنوب .

وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

---

٤٣ - لا محالة أن الاله الذى تدعوننى إلى عبادته ليس له دعوة يستجيبها فى الدنيا ولا فى الآخرة، وأن مرجعنا إلى الله، وأن المجاوزين الحدود هم أهل النار لا المؤمنين المعتدلين.

٤٤ - فستعلمون صدق ما قلته لكم، وأكل أمرى إلى الله، إن الله محيط بصره بالعباد فيجازيهم على أعمالهم.

٤٥، ٤٦ - فوق الله مؤمن آل فرعون شدائد مكرهم وأحاط بآل فرعون العذاب السىء، النار يدخلونها صباحا ومساء، هذا فى الدنيا وهم فى الدنيا وهم فى عالم البرزخ، ويوم القيامة يقول الله تعالى: ادخلوا قوم فرعون أشد أنواع العذاب.

٤٧ - واذكر لهم - يا محمد - حين يتخاصم أهل النار فيها، فيقول الضعفاء - وهم الاتباع - للمستكبرين - وهم الرؤساء -: انا كنا لكم فى الدنيا تبعا، فهل أنتم حاملون عنا جزءا من عذاب النار؟.

٤٨ - قال المستكبرون: اننا كلنا فيها نحن وأنتم، ان الله فصل بالحق بين العباد، فلكل منا ما قضاه عليه من العذاب.

٤٩ - وقال الذين فى النار من الضعفاء والكبراء لحفظة جهنم - متوسلين إليهم - ادعوا آلهكم يخفف عنا يوما من العذاب نستروح فيه.

٥٠ - قال خزنة جهنم لهم - موبخين -: ألم تتنبهوا إلى ما نزل بكم وكانت تجيئكم الرسل بالبراهين الواضحات؟ قال أهل جهنم:

بلى جاءتنا الرسل فكذبناها. قال الخزنة: فإذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم، وما دعاء الجاحدين إلا فى ضياع.

٥١ - انا لننصر رسلنا والمؤمنين فى الحياة الدنيا بالانتقام من أعدائهم واقامة الحجة عليهم، وفى يوم القيامة يوم يقوم الشهود يشهدون للرسل بالتبليغ، ويشهدون على الكفرة بالتكذيب.

سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

---

٥٢ - يوم لا ينفع الظالمين اعتذارهم عما فرط منهم فى الدنيا ، ولهم الطرد من الرحمة ، ولهم سوء الدار .

٥٣ ، ٥٤ - أقسم لقد آتينا موسى ما يهتدى به إلى الحق ، وأورثنا بنى اسرائيل التوراة هادية ومذكرة لأصحاب العقول السليمة .

٥٥ - إذا عرفت ما قصصناه عليك فاصبر - يا محمد - على ما ينالك من أذى ، إن وعد الله بنصرك ونصر المؤمنين حق لا يتخلف ، واطلب المغفرة من ربك لما قد يعد ذنبا بالنسبة إليك ، ونزه ربك عن النقائص تنزيها مقترنا بالثناء عليه أواخر النهار وأوائله .

٥٦ - ان الذين يمارون فى دلائل الله بغير حجة جاءتهم منه - تعالى - ليس فى صدورهم إلا تعال عن اتباع الحق ، وليس تعاليهم بموصلهم إلى غايتهم . فاطلب الحفظ من الله ، انه هو المحيط سمعه وبصره وكل شىء .

٥٧ - أقسم : لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس ، لكن أكثر الناس سلبوا العلم ، فلم يؤمنوا بالبعث مع اقرارهم بأنه خالق السموات والأرض .

٥٨ - وما يستوى الأعمى عن الحق والبصير العارف به ، ولا يستوى المحسنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسىء فى عقيدته وعمله ، قليلا - أى قليل - تتذكرون أيها الناس .

٥٩ - إن القيامة لآتية لا شك فيها ، ولكن أكثر الناس لا يصدقون .

٦٠ - وقال خالقكم ومالك أمركم : اسألونى أعطكم ، إن الذين يتعاظمون عن دعائى سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين .

ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ * قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟

---

٦١ - الله - وحده - الذى جعل لكم الليل لتهدأوا فيه وتستريحوا من العمل ، والنهار مضيئا لتعملوا فيه ، ان الله لصاحب فضل عظيم على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على نعمه .

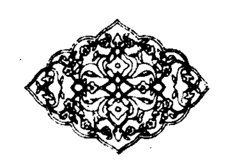
٦٢ - ذلكم المنعم بهذه النعم الجليلة الله مالك أمركم ، خالق كل شىء ، لا معبود بحق إلا هو فالى أى جهة تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ !

٦٣ - مثل هذا الانصراف عن الحق إلى الباطل انصرف الذين كانوا من قبلكم ينكرون آيات الله ويجحدونها .

٦٤ - الله - وحده - الذى جعل لكم الأرض مستقرة صالحة لحياتكم عليها ، والسماء بناء محكم الترابط ، وقدر خلقكم فأبدع صوركم ، وجعلكم فى أحسن تقويم ، ورزقكم من المباحات ما يلذ لكم ، ذلك المنعم بهذه النعم الله ربكم ، فتعالى الله مالك العوالم كلها ومربيهم .

٦٥ - هو المنفرد بالحياة الدائمة ، لا معبود بحق إلا هو ، فتوجهوا بالدعاء إليه مخلصين له العبادة ، الثناء كله حق ثابت لله رب الخلائق جميعا .

٦٦ - قل - أيها الرسول - : إنى نهيت عن عبادة الآلهة التى تعبدونها من دون الله . حين جاءنى الحجج من ربى ، وأمرت أن أنقاد فى كل أمورى لله رب العوالم كلها .



أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ

٦٧ - الله - وحده - الذى خلقكم - يا بنى آدم - من تراب، ثم حول من هذا التراب نطفة، ثم حول هذه النطفة إلى قطعة دم جامدة، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا، ثم يمد فى آجالكم لتبلغوا سن الكمال فى القوة والعقل، ثم يطيل أعماركم لتكونوا شيوخا، ومنكم من يتوفى قبل سن الشباب أو الشيخوخة، وخلقكم الله على هذا النمط لتبلغوا وقتا مسمى عنده وهو يوم البعث، ولكى تعقلوا ما فى هذا التنقل فى الأطوار من حكم وعبر [1].

٦٨ - الله الذى يحيى ويميت، فإذا أراد ابراز أمر إلى الوجود فإنما يقول له: كن، فيكون دون تخلف.

٦٩ - ألم تنظر إلى الذين يجادلون فى آيات الله الواضحة، كيف يصرفون عن النظر فيها ويصرون على ما هم فيه من ضلال.

٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤ - الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا - جميعا - من الوحى، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم حين تكون الأغلال والسلاسل فى أعناقهم، يجرون بها فى الماء الذى بلغ الغاية فى الحرارة، ثم بعد ذلك يلقون فى النار يصطلون حرها، ثم يقال لهم - توبيخا وتبكيتا -: أين معبوداتكم التى كنتم تعبدونها من دون الله؟! قال الكافرون: غابوا عنا، بل الحق أننا لم نكن نعبد من قبل فى الدنيا شيئا يعتد به، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله الكافرين عن سبيل الحق لعلمه أنهم يؤثرون الضلالة على الهدى.

٧٥، ٧٦ - يقال للكافرين: ذلكم العذاب بسبب ما كنتم فى الدنيا تفرحون فى الأرض بغير ما يستحق الفرح، وبسبب توسعكم فى الفرح بما يصيب أنبياء الله وأولياءه من أذى، ادخلوا أبواب جهنم مقدرا لكم فيها الخلود، فبئس مستقرا المتكبرين جهنم.

---

(١) «هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة.. الخ»..
التعليق على النطفة والعلقة والمضغة الآيات ٧، ٨، ٩ السجدة، ١٢، ١٣، ١٤ المؤمنون، ٦٧ غافر و ٥ الحج.
النطفة فى اللغة: تطلق على معان منها منى الرجل.
وبالرجوع إلى الآية الكريمة (ألم يك نطفة من منى يمنى) تبين أن المقصود بالنطفة جزء خاص من هذا المنى، وقد كشف العلم عن المقصود بهذا الجزء وهو الحيوان المنوى الذى يحمله السائل المنوى وهذا الحيوان هو الذى يلقح بويضة الأنثى. =

أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم

٧٧ - فاصبر - يا محمد - ان وعد الله لك - بعذاب أعدائك - حق لا ريب فيه ، وسيأتيهم هذا العذاب اما فى حياتك أو حين يرجعون إلينا ، فإن نرك بعض ما خوفناهم من العذاب فى حياتك فذاك ، وان نمتك قبل ذلك فالينا يرجعون ، فنحاسبهم على ما كانوا يفعلون .

٧٨ - وأقسم : لقد أرسلنا رسلا كثيرين من قبلك ، منهم من أوردنا أخبارهم عليك ومنهم من لم نرد عليك أخبارهم ، وما كان لرسول منهم أن يأتى بمعجزة الا بمشيئة الله وإرادته ، لا من تلقاء نفسه ولا باقتراح قومه ، فاذا جاء أمر الله بالعذاب فى الدنيا أو الآخرة قضى بينهم بالعدل ، وخسر فى ذلك الوقت أهل الباطل .

٧٩ - الله الذى ذلل لكم الإبل ، لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها .

٨٠ - ولكم فيها منافع كثيرة غير الركوب والأكل ، ولتبلغوا عليها حاجة تهتمون بها فى أنفسكم ، كجر الأثقال وحملها ونحو ذلك . وعلى الإبل التى هى نوع من الأنعام ، وعلى الفلك تحملون أنتم وأمتعتكم .

٨١ - ويريكم الله دلائل قدرته فأخبرونى أى دليل منها تنكرون ، وهى من الوضوح بحيث لا ينكرها من له أدنى عقل ؟ !

٨٢ - أقعدوا فلم يسيروا فى الأرض فيروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الهلاك والتدمير ! ؟ كان من قبلهم أكثر منهم عددا وأشد منهم قوة وآثارا فى الأرض ، فما دفع عنهم عذاب الله ما كسبوه من مال أو قوة أو سلطان .

العلقة : من معانيها فى اللغة الدم الجامد أو السائل أو الذى اشتدت حمرته . . والمراد بها علميا خلايا الجنين التى تعلق بجدار الرحم بعد طور تلقيح الحيوان المنوى للبويضة وصيرورتها خلية واحدة تنقسم إلى عدة خلايا وتتكاثر وتتحرك نحو جدار الرحم وتنشب وتستنبطه محدثه نزيفا من الدم محليا .

المضغة : هى الجنين فى طور من أطوار تكوينه ، يتلو العلقة بعد التصاقها بجدار الرحم واستدارتها بغير انتظام واحاطتها بأغشية ، حيث تبقى المضغة كذلك بضعة أسابيع حتى يبدأ تكوين العظام ، والمضغة تحتوى على خلايا مخلقة وهى التى يتكون منها الجنين ، وعلى خلايا غير مخلقة وهى التى تحيط بالجزء المخلق ووظيفتها وقايته وامداده بالغذاء .

العظام : أثبت علم الاجنة أخيرا أن مراكز تكوين العظام تظهر فى الطبقة المتوسطة من خلايا المضغة المختلفة فى مرحلة سابقة تميز الخلايا العضلية .

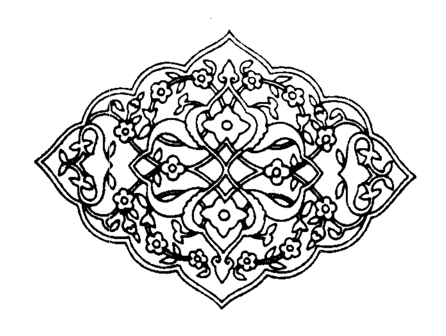
مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

---

٨٣ ـ فحين جاءت هذه الأمم رسلهم بالشرائع والمعجزات الواضحات فرحت هذه الأمم بما عندهم من علوم الدنيا، واستهزءوا بعلم المرسلين، فنزل بهم العذاب الذى أخبرهم به المرسلون وكانوا به يستهزئون.

٨٤ ـ فلما رأت هذه الأمم شدة عذابنا قالوا: صدقنا بالله ـ وحده ـ وأنكرنا الآلهة التى كنا بسببها مشركين.

٨٥ ـ فلم يكن ينفعهم ايمانهم حين رأوا شدة عذابنا، سن الله سنة قد سبقت فى عباده ألا يقبل الإيمان حين نزول العذاب، وخسر وقت نزول العذاب الكافرون.





بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف المعجم على طريقة القرآن الكريم فى كثير من السور ، وقد نوهت هذه السورة فى كثير من آياتها بشأن القرآن الكريم وما اشتمل عليه من بشارة وإنذار ، وبينت موقف المشركين منه ، من الإعراض عنه ومحاربة دعوته ، وموقف الرسول منهم من الثبات على دعوته وقوله لهم : « انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا إليه واستغفروه » وتأخذ السورة فى تذكير المشركين بآيات قدرة الله - تعالى - فى خلق السموات والأرض ثم تخويفهم بما وقع لأقرب الأمم إلى ديارهم عاد وثمود ، وتذكرهم باليوم الآخر يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وما يكون بينهم وبين أعضائهم من المجادلة يومئذ ، وما يدعو به الاتباع ربهم يوم القيامة : « ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » . وكما هى سنة الله فى هذا الكتاب أنه إذا تحدث عن الكافرين تحدث عن المؤمنين ، فقد تحدثت السورة عن الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، وما أعد لهم من نعيم مقيم ، وعقدت المقارنة بين الخير والشر : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » .

ثم تنتقل السور فتلفت الأنظار إلى آيات قدرة الله - تعالى - الدالة على امكان البعث واحياء الموتى . ثم تعود - مرة أخرى - إلى تشديد النكير على المحرفين لآيات الله وأنهم لا يخفون على الله ، وأن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وأن رسالة محمد ليست بدعا من الرسالات .

وتقرر السورة خلقا من أخلاق الإنسان أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عن الحق ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض .

وختمت السورة بتقرير أمرين هما أهم ما اشتملت عليه من الأغراض ، أولهما : التنويه بالقرآن الكريم وما اشتمل عليه من الحق الذى لا ريب فيه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . وثانيهما : أن ما عليه الكافرون ما هو إلا شك فى البعث حملهم على الكفر والضلال : « ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ، ألا إنه بكل شىء محيط » .

١ - حرفان من حروف المعجم افتتحت بهما السورة - كعادة القرآن فى افتتاح كثير من السور - لإثارة الانتباه والتدليل على اعجاز القرآن .

٢ - هذا الكتاب تنزيل بديع من المنعم بجلائل النعم ودقائقها .

٣ - كتاب ميزت آياته لفظا ومقاطع ، ومعنى بتمييزه بين الحق والباطل ، والبشارة والإنذار ، وتهذيب النفوس ، وضرب الأمثال ، وبيان الأحكام ، وهو مقروء باللسان العربى ميسرا فهمه لقوم يعلمون .

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا

٤ ـ مبشرا المؤمنين العاملين بما أعد لهم من نعيم، ومخوفا المكذبين بما أعد لهم من عذاب أليم، فانصرف عنه أكثرهم، فلم ينتفعوا به، كأنهم لم يسمعوا.

٥ ـ وقال الكافرون للرسول ـ ﷺ ـ: قلوبنا فى أغطية متكاثفة مما تدعونا إليه من توحيد الله، وفى آذاننا صمم فلا نسمع ما تدعونا إليه، ومن بيننا وبينك حجاب منيع يمنعنا من قبول ما جئت به، فاعمل ما شئت إننا عاملون ما شئنا.

٦، ٧ ـ قل لهم ـ أيها الرسول ـ: ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى من الله إنما معبودكم الحق إله واحد، فاسلكوا إليه الطريق القويم، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، وعذاب شديد للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة إلى مستحقيها، وهم بالحياة الآخرة ـ دون غيرهم ـ جاحدون.

٨ ـ إن المؤمنين الذين عملوا الصالحات لهم جزاء حسن غير مقطوع.

٩ ـ قل ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء المشركين: عجبا لكم، تكفرون بالله الذى خلق الأرض فى يومين، وأنتم ـ مع هذا ـ تجعلون له شركاء متساوين معه، ذلك الخالق للأرض مالك العوالم كلها ومربيهم[1].

١٠ ـ وجعل فى الأرض جبالا ثابتة من فوقها لئلا تميد بكم، وأكثر فيها الخير وقدر فيها أرزاق أهلها، حسبما تقتضيه حكمته، فى أربعة أيام، وأنتم ـ مع هذا ـ تجعلون له شركاء، وقدر كل شىء لا نقص فيه ولا زيادة، هذا التفصيل فى خلق الأرض وما عليها بيان للسائلين.

---

(١) ذكر اليوم والأيام فى سورة أخرى، ففى سورة الحج الآية (٤٧) قال تعالى: «وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون» وفى سورة السجدة الآية (٥) قال تعالى: «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون» وفى سورة المعارج الآية (٤) قال تعالى: «تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

التعليق العلمى: وحدات الزمن التى يستخدمها الناس مرتبطة بالأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس. فإذا ما غادر أحد الأرض إلى جرم سماوى اختلفت هذه الوحدات طولا أو قصرا. والآيات الكريمة تشير إلى هذه الحقيقة العلمية وإلى أن الزمن نسبى.

ولا شك فى أن هناك سنوات فلكية نسبية يمكن التفرقة بينها، فالسنة الشمسية على الأرض تحسب بمقدار الزمن الذى تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس فى نحو ٣٦٥ يوما شمسية على حين أن السيارات القريبة من الشمس مثل عطارد يقطع دورته حول الشمس فى ٨٨ يوما، وعلى حين أن بلوتو وهو أبعد الكواكب السيارة فى الشمس وأبطؤها يتم دورته حولها فى ٢٥٠ سنة من سنواتنا.

أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ

---

١١ - ثم تعلقت قدرته بخلق السماء وهى على هيئة دخان فوجدت ، وخلقه للسموات والأرض - على وفق ارادته - هين عليه بمنزلة ما يقال للشيء : احضر - راضيا أو كارها - فيطيع .

١٢ - وأتم خلق السموات سبعا فى يومين آخرين ، وأوجد فى كل سماء ما أعدت له واقتضته حكمته ، وزين السماء القريبة من الأرض بالنجوم المنيرة كالمصابيح ، للهداية من استماع الشياطين لأخبار الملأ الأعلى ، ذلك الخلق المتقن تدبير العزيز الذى لا يغلب ، المحيط علمه بكل شيء .

١٣ - فإن أعرض المشركون عن الإيمان بعد وضوح دلائله فقل لهم - أيها الرسول - : خوفتكم عذابا شديد الوقع كالصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود .

١٤ - أتت عادا وثمود الصاعقة حين أتتهم رسلهم من جميع الجهات ، فلم يدعوا طريقا لإرشادهم إلا سلكوه ، وقالوا لهم : لا تعبدوا إلا الله . قالوا : لو أراد الله إرسال رسول لأنزل إلينا ملائكة ، فإنا بما أرسلتم به من التوحيد وغيره جاحدون .

١٥ - فأما عاد فتعالوا فى الأرض بغير حق لهم فى هذا التعالى ، وقالوا - مغترين بأنفسهم - : من أشد منا قوة ؟! عجبا لهم . أيقولون ذلك ولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ ! وكانوا بآياتنا ينكرون .

١٦ - فأرسلنا عليهم ريحا ذات صوت شديد فى أيام مشئومات لنذيقهم عذاب الهوان فى الحياة الدنيا ، وأقسم : لعذاب الآخرة أشد خزيا ، وهم لا ينصرهم ناصر يومئذ .

بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾

---

١٧ - وأما ثمود فبينا لهم طريق الخير وطريق الشر ، فاختاروا الضلالة على الهدى فأصابتهم صاعقة أحرقتهم فى مذلة وهوان ، بسبب ما كسبوا من ذنوب .

١٨ - ونجينا من هذا العذاب الذين آمنوا وكانوا يتقون الله ويخشون عذابه .

١٩ - واذكر لهم - أيها النبى - يوم يحشر أعداء الله إلى النار ، فيجىء أولهم على آخرهم ، ليتم الزام الحجة عليهم بين جميعهم .

٢٠ - حتى إذا ما جاءوا النار وسئلوا عما ارتكبوا من الآثام فى الدنيا ، فأنكروا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا .

٢١ - وقال أعداء الله لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ، وهو خلقكم أول مرة من العدم ، وإليه - وحده - ترجعون بعد البعث فيحاسبكم على ما قدمتم من عمل .

٢٢ - وما كان باستطاعتكم أن تخفوا أعمالكم القبيحة عن جوارحكم مخافة أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، ولكن كنتم تظنون أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالكم ، بسبب اتيانها فى الخفاء .

٢٣ - وذلك الظن الفاسد الذى ظننتموه بربكم أهلككم ، فأصبحتم - يوم القيامة - من الخاسرين أتم خسران .

٢٤ - فإن يكظموا آلامهم فالنار مصيرهم ومستقرهم الدائم ، وإن يطلبوا رضاء الله عليهم فما هم بمجابين إلى طلبهم .

٢٥ - وهيأنا لهم قرناء فاسدين - فى الدنيا - فحسنوا لهم ما بين أيديهم من أمور الآخرة - فأغروهم بأنه لا بعث ولا حساب - وما خلفهم من أمور الدنيا ليستمتعوا بها ،وثبتت عليهم كلمة العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس ممن كانوا على شاكلتهم ، لاختيارهم الضلالة على الهدى ، ان هؤلاء - جميعا - كانوا من الخاسرين أتم خسران .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا

---

٢٦ - وقال الكفار بعضهم لبعض : لا تصغوا لهذا القرآن ، وأتوا باللغو الباطل عند تلاوته فلا يستمع لتلاوته أحد ولا ينتفع به ، رجاء أن تغلبوا محمدا بذلك .

٢٧ - فنقسم : لنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا على فعلهم - ولاسيا محاربتهم القرآن - ولنجزيهم أسوأ جزاء على أعمالهم .

٢٨ - ذلك الذى ذكر من العذاب جزاء حق لأعداء الله ، النار معدلهم فيها دار الخلود ، جزاء جحودهم المستمر بآيات الله وحججه .

٢٩ - وقال الكافرون - وهم فى النار - : ربنا أرنا الفريقين اللذين أوقعانا فى الضلال من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ، ليكونا من الأسفلين مكانة ومكانا .

٣٠ - إن الذين قالوا : ربنا الله اقرارا بوحدانيته ، ثم استقاموا على شريعته ، تنزل عليهم الملائكة مرة بعد مرة ، قائلين : ألا تخافوا من شر ينزل لكم ، ولا تحزنوا على خير يفوتكم ، وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون بها على لسان الأنبياء والمرسلين .

٣١ ، ٣٢ - وتقول لهم الملائكة : نحن نصراؤكم فى الحياة الدنيا بالتأييد وفى الآخرة بالشفاعة والتكريم ، ولكم فى الآخرة ما تشتهيه أنفسكم من الملاذ والطيبات ولكم فيها ما تتمنون اكراما وتحية من رب واسع المغفرة والرحمة .

٣٣ - لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته ، وعمل - مع ذلك - عملا صالحا ، وقال - اعترافا بعقيدته - : إنى من المنقادين لأوامر الله .

٣٤ - ولا تستوى الخصلة الحسنة ولا الخصلة القبيحة ، ادفع الإساءة - إن جاءتك من عدو - بالخصلة التى هى أحسن منها ، فتكون العاقبة العاجلة إن الذى بينك وبينه عداوة كأنه ناصر مخلص

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ

٣٥ - وما يرزق هذه الخصلة - وهى دفع السيئة بالحسنة - إلا الذين عندهم خلق الصبر ، وما يرزقها إلا ذو نصيب عظيم من خصال الخير وكمال النفس .

٣٦ - وإن يوسوس لك الشيطان ليصرفك عما أمرت به - أيها المخاطب - فتحصن بالله منه ، إن الله هو المحيط سمعه وعلمه بكل شىء فيعيذك منه .

٣٧ - ومن دلائل قدرته - تعالى - الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا القمر ، لأنهما من آياته ، واسجدوا لله - وحده - الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار إن كنتم حقا تعبدونه وحده .

٣٨ - فإن تعاظم المشركون عن امتثال أمرك فلا تأسف ، فالذين عند ربك فى حضرة قدسه - وهم الملائكة - ينزهونه عن كل نقص فى كل وقت بالليل والنهار ، مخلصين له ، وهم لا يملون من تسبيحه .

٣٩ - ومن دلائل قدرته - تعالى أنك ترى - يا من يستطيع أن يرى - الأرض يابسة فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات وانتفخت وزادت ، إن الذى أحيا الأرض بعد موتها لخليق أن يحيى الموتى من الحيوان ، إنه على كل شىء تام القدرة[1] .

٤٠ - إن الذين يميلون عن الصراط السوى فى شأن آياتنا ، ويزيغون عنها تكذيبا لها ، لا يغيب عنا أمرهم وما يقصدون ، وسنجازيهم بما يستحقون ، أفمن يرمى فى النار خير أم من يأتى مطمئنا يوم القيامة إلى نجاته من كل سوء ؟. قل لهم متوعدا : اعملوا ما أردتم ، إن الله محيط بصره بكل شىء ، فيجازى كلا بعمله .

٤١ ، ٤٢ - إن الذين جحدوا بالقرآن ذى الشأن حين جاءهم - من غير تدبر - سيكون لهم من العذاب ما لايدخل تحت تصور أحد ، جحدوه وإنه لكتاب عز نظيره ، يغلب كل من عارضه ، لا يأتيه الباطل الذى لا أصل له من أية ناحية من نواحيه ، نزل متتابعا من اله منزه عن العبث ، محمود كثير الحمد بما أسدى من نعم .

(١) تبين الآية أن عناصر التربة ومركباتها الميتة عندما ينزل عليها ماء المطر تذوب فيه ، فيسهل وصولها إلى بذور النباتات وجذورها ، حيث تتحول إلى خلايا وأنسجة وأعضاء حية ، وبذلك تبدو حية ، ويزيد حجمها بما يتخللها ويعلوها من نبات .

لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ الْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ

---

٤٣ - لا يقال لك - يا محمد - من أعدائك إلا كما قيل للرسل من قبلك من أعدائهم من شتم وتكذيب ، إن خالقك ومربيك لذو مغفرة عظيمة وذو عقاب بالغ الألم ، فيغفر لمن تاب منهم وينتقم لك ممن أصر على عناده .

٤٤ - ولو جعلنا القرآن أعجميا - كما اقترح بعض المتعنتين - لقالوا منكرين : هلا بينت آياته بلسان نفقهه . أكتاب أعجمي ومخاطب به عربي ؟ ! قل لهم - أيها الرسول - هو كما نزل للمؤمنين - دون غيرهم - هدى وشفاء للمؤمنين ، ينقذهم من الحيرة ، ويشفيهم من الشكوك . والذين لا يؤمنون به كأن فى آذانهم - من الاعراض - صمما ، وهو عليهم عمى ، لأنهم لا يرون منه إلا ما يبتغون به الفتنة ، أولئك الكافرون كمن يدعون إلى الإيمان به من مكان بعيد ، لا يسمعون فيه دعاء .

٤٥ - أقسم : لقد آتينا موسى التوراة فاختلف فيها قومه ، ولولا قضاء سبق من ربك - يا محمد - أن يؤخر عذاب المكذبين بك إلى أجل محدد عنده لفصل بينك وبينهم باستئصال المكذبين ، وإن كفار قومك لفى شك من القرآن موجب للقلق والاضطراب .

٤٦ - من عمل عملا صالحا فأجره لنفسه ، ومن أساء فى عمله فإثمه على نفسه ، وليس ربك بظلام لعبيده ، فيعاقب أحدا بذنب غيره .

٤٧ - إلى الله - وحده - يرجع علم قيام الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا كان هذا مقترنا بعلمه ، واذكر يوم ينادى الله المشركين - توبيخا لهم - : أين شركائى الذين كنتم تدعونهم من دونى ؟ ! قالوا معتذرين : نعلمك - يا الله - ليس منا من يشهد أن لك شريكا . .

٤٨ - وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه من قبل من الشركاء ، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم .

قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

---

٤٩ - لا يمل الإنسان من دعاء ربه بالخير الدنيوى ، فإذا أصابه الشر فهو ذو يأس شديد من الخير ، ذو قنوط بالغ من أن يستجيب الله دعاءه .

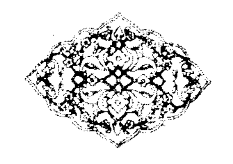
٥٠ - ونقسم : إن أذقنا الإنسان نعمة - تفضلا منا - من بعد ضر شديد أصابه ليقولن : هذا الذى نلته من النعم حق ثابت لى ، وما أظن القيامة آتية ، وأقسم : إن فرض ورجعت إلى ربى أن لى عنده للعاقبة البالغة الحسن ، ونقسم نحن . لنجزين الذين كفروا - يوم القيامة - بعملهم ، ولنذيقنهم من عذاب شديد متراكبا بعضه فوق بعض .

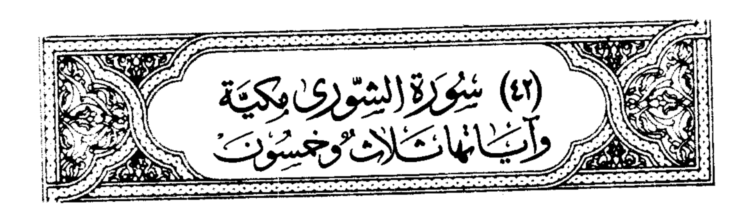
٥١ - وإذا أنعمنا على الإنسان تولى عن شكرنا ، وبعد بجانبه عن ديننا ، وإذا مسه الشر فهو ذو دعاء كثير .

٥٢ - قل لهم - يا محمد - : أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم به ، فمن أبعد عن الصواب ممن هو فى خلاف بعيد عن الحق ؟ !

٥٣ - قريبا نرى هؤلاء المنكرين دلائلنا على صدقك فى أقطار السموات والأرض وفى أنفسهم حتى يظهر لهم أن ما جئت به هو الحق دون غيره ، أأنكروا اظهارنا لهم الآيات أولم يكف بربك أنه مطلع على كل شىء ؟ !

٥٤ - ألا إن هؤلاء الكفار فى شك عظيم من لقاء ربهم لاستبعادهم البعث ، ألا إن الله بكل شىء محيط بعلمه وقدرته .





بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

هذه السورة مكية ، وعدد آياتها ثلاث وخمسون ، وسميت الشورى لإرشادها المؤمنين إلى السير فى تصريف أمور مجتمعهم على أساس الشورى ، احقاقا للحق ، وتقريرا للعدل ، وقد اشتملت على كثير من مسائل الدين وأدلة العقائد .

وقد افتتحت بالتنويه بشأن القرآن بأنه وحى من عند الله ، وردت طعن الكافرين ، وحرصت على تسلية الرسول - ﷺ - وانتقلت بعد ذلك إلى تقرير قدرة الله الذى أنزله وعظم سلطانه ، وكفر بعض الناس مع وضوح الأدلة على أنه من عند الله ، ببيان اختلافهم فى أدراك الحق ، وبعده أكدت قدرته - تعالى - على كل شىء ، ثم أثبتت وحدة الشرائع ، وأشارت إلى من كفر به مع ذلك ، كما أشارت إلى إرشاد الكتب السماوية إلى الحق ، وقد نددت السورة بشرك المشركين واختلافهم فى الحق ظلما ، واستعجال المكذبين بالقيامة استهزاء ، وأرشدت إلى ما يجب أتباعه فى دعوة الناس إلى الدين ، كما بينت عظم لطف الله بعباده ، وحذرت السورة من الانهماك فى طلب الدنيا فحسب ، وبينت سوء حال الجاحدين وحسن حال المؤمنين فى الآخرة ، ونددت بادعاء المكذبين على رسول الله - ﷺ - افتراء - القرآن ، مع عجزهم عن الإتيان بأقصر سورة من مثله ، ثم أبانت قبول الله توبة المؤمنين ، والحكمة فى توزيع الرزق بين الناس بتقدير محكم ، فلم يكونوا - جميعا - أغنياء خشية بغيهم ، ولم يكونوا فقراء خشية هلاكهم ، بل وسع لبعض وضيق على آخرين .

وأوضحت عظم بركات الغيث ، ودلائل قدرة الله فى هذا الوجود ، وأن مصائب الدنيا بسبب المعاصى ، ثم كرر - سبحانه - بأسلوب آخر حال المؤمنين والمكذبين فى الآخرة ، وما يكون عليه المكذبون من ذل ، ودعت إلى المبادرة بإجابة دعوة الله من قبل أن تنتهى الحياة فرصة العمل ، كما عنيت السورة بتسلية رسول الله - ﷺ - وبيان قدرته - سبحانه - على هبة الإناث لمن يشاء ، والذكور لفريق آخر ، والجمع بينهما لثالث ، وحرمان فريق رابع منهما ، ثم ذكرت طرق خطاب الله - تعالى - لأنبيائه ، وختمت ببيان الطريق الحق المستقيم الذى يجب اتباعه .

١ ، ٢ - حم عسق : افتتحت هذه السورة بهذه الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم فى افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف .

٣ - مثل ما فى هذه السورة من المعانى يوحى إليك وإلى المرسلين من قبلك الله الغالب بقهره ، الذى يضع كل شىء موضعه ، على وفق الحكمة فى أفعاله وتدبيره .

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ

---

٤ - لله - وحده - ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا وتدبيرا ، وهو المتفرد بعلو الشأن وعظم السلطان .

٥ - تكاد السموات - مع عظمهن وتماسكهن أن يتشققن من فوقهن ، خشية من الله ، وتأثرا بعظمته وجلاله ، والملائكة ينزهون الله عما لا يليق به ، مثنين عليه بما هو أهله ، ويسألون الله المغفرة لأهل الأرض ، وينبه - سبحانه - إلى أن الله هو - وحده - صاحب المغفرة الشاملة والرحمة الواسعة .

٦ - والذين اتخذوا من دون الله نصراء ، الله رقيب عليهم فيما يفعلون ، وما أنت بمفوض إليك أمر الرقابة عليهم .

٧ - ومثل ذلك الإيحاء البين أوحينا إليك قرآنا عربيا لا لبس فيه ، لتنذر أهل مكة ومن حولها من العرب ، وتنذر الناس عذاب يوم يجمع الله فيه الخلائق للحساب ، لا ريب فى مجيئه ، الناس فيه فريقان : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

٨ - ولو شاء الله أن يجمع الناس فى الدنيا على طريقة واحدة لجمعهم ، ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ، لعلمه أنهم سيختارون الهدى على الضلالة ، والظالمون أنفسهم بالكفر ليس لهم من دون الله ولى يتكفل بحمايتهم ، ولا نصير ينقذهم من عذاب الله .

٩ - هؤلاء الظالمون لم يتخذوا الله وليا ، بل اتخذوا غيره أولياء ، وليس لهم ذلك ، فالله - وحده - الولى بحق إن أرادوا وليا ، وهو يحيى الموتى للحساب ، وهو المسيطر بقدرته على كل شىء .

١٠ - والذى اختلفتم فيه من الإيمان والكفر فالحكم الفصل فيه مفوض إلى الله ، وقد بينه . ذلكم الحاكم فيما اختلفتم فيه الله مالك أمرى ، عليه اعتمدت فى أمورى ، وإليه - وحده - أرجع مسترشدا .

أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ

---

١١ ـ مبدع السموات والأرض ، خلق لكم من جنسكم أزواجا ذكورا وإناثا ، وخلق من الأنعام من جنسها أزواجا كذلك ، يكثركم بهذا التدبير المحكم ، ليس كذاته شيء ، فليس له شيء يزاوجه ، وهو المدرك ـ ادراكا كاملا ـ لجميع المسموعات والمرئيات بلا تأثر حاسة .

١٢ ـ له مقاليد السموات والأرض حفظا وتدبيرا ، يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيقه على من يشاء ، إنه ـ تعالى ـ محيط علمه بكل شيء .

١٣ ـ شرع لكم من العقائد ما عهد به إلى نوح ، والذى أوحيناه إليك ، وما عهدنا به إلى ابراهيم وموسى وعيسى ، أن ثبتوا دعائم الدين ـ بامتثال ما جاء به ـ ولا تختلفوا فى شأنه ، شق على المشركين ما تدعوهم إليه من إقامة دعائم الدين ، الله يصطفى لرسالته من يشاء ، ويوفق للإيمان وإقامة الدين من يترك العناد ويقبل عليه .

١٤ ـ وما اختلف أتباع الرسل السابقين فى الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته . عداوة وحسدا فيما بينهم ، ولولا وعد سابق من الله بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة لأهلكوا ، وأن الذين ورثوا الكتاب من أسلافهم وأدركوا عهدك لفى شك من كتابهم موقع فى الريب ، حيث لم يستجيبوا لدعوتك .

١٥ ـ فلأجل وحدة الدين وعدم التفرق فيه فادعهم إلى اقامة الدين ، وثابر على تلك الدعوة كما أمرك الله ، ولا تساير اهواء المشركين ، وقل : آمنت بجميع الكتب التى أنزلها الله على رسله ، وأمرنى الله بإقامة العدل بينكم ، وقل لهم : الله خالقنا وخالقكم ، لنا أعمالنا لا لكم ، ولكم أعمالكم لا لنا ، لا احتجاج بيننا وبينكم لوضوح الحق . الله يجمع بيننا للفصل بالعدل ، وإليه ـ وحده ـ المرجع والمآل .

عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن

---

١٦ ـ والذين يجادلون فى دين الله من بعدما استجاب الناس لدعوته الواضحة ، حجة هؤلاء المرتابين باطلة عند ربهم ، وعليهم غضب شديد بكفرهم ، ولهم عذاب أليم ينتظرهم .

١٧ ـ الله الذى أنزل كتاب محمد وما قبله من كتب المرسلين مشتملة على الحق والعدل ، وما يعلمك لعل وقت الساعة قريب وأنت لا تدرى .

١٨ ـ يستعجل بمجىء الساعة ـ استهزاء ـ الذين لا يصدقون بها ، والذين صدقوا بها خائفون من وقوعها فلا يستعجلونها ، ويعلمون أنها الحق الثابت الذى لا ريب فيه ، وينبه ـ سبحانه ـ إلى أن الذين يجادلون فى وقوعها لفى ضلال بعيد عن الحق .

١٩ ـ الله عظيم البر بجميع عباده ، يرزق من يشاء كما يشاء ، وهو الغالب على كل شىء ، المنيع الذى لا يغلب .

٢٠ ـ من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له أجره ، ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا ـ فحسب ـ نعطه ما قسم له فيها ، وليس له فى الآخرة نصيب من الثواب .

٢١ ـ بل ألهم آلهة شرعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله ؟ ! لم يكن ذلك ، ولولا عدة سابقة بتأخر الفصل إلى يوم القيامة لقضى بين الكافرين والمؤمنين فى الدنيا ، وإن الظالمين أنفسهم بالكفر لهم عذاب شديد الإيلام .

٢٢ ـ ترى فى القيامة ـ أيها المخاطب ـ الذين ظلموا أنفسهم بالشرك خائفين عقاب شركهم وهو نازل بهم ـ لا محالة ـ وترى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ممتعين فى أطيب بقاع الجنة ، لهم ما يتمنون من النعيم عند ربهم ، ذلك الجزاء العظيم هو الفضل الكبير الذى تتعلق به الآمال .

يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن

---

٢٣ - ذلك الفضل الكبير هو الذى يبشر الله به عباده المؤمنين الطائعين، قل - أيها الرسول - : لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أجرا إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه - سبحانه - بعمل الصالحات، ومن يكتسب طاعة يضاعف الله له جزاءها، إن الله واسع المغفرة للمذنبين، شكور لعباده طيبات أعمالهم.

٢٤ - بل أيقول الكفار: اختلق محمد الكذب على الله؟! فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم، واتهامك بالإفتراء على الله، ويزيل الله الشرك ويخذله، ويثبت الإسلام ويظهره بالوحى الذى أنزله على رسوله - ﷺ - إنه - سبحانه - محيط بخفايا قلوبكم جميعا..

٢٥ - والله - وحده - الذى يقبل التوبة من أهل طاعته بالتجاوز عما تابوا منه، ويصفح - تفضلا ورحمة - عن السيئات دون الشرك، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر.

٢٦ - ويجيب الله المؤمنين إلى ما طلبوا، ويزيدهم خيرا على مطلوبهم، والكافرون لهم عذاب بالغ غاية الشدة والإيلام.

٢٧ - ولو وسع الله الرزق لجميع عباده - كما يبتغون - لطغوا فى الأرض وظلموا، ولكن الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، حسبما اقتضته حكمته، إن الله محيط علما بما خفى وظهر من أمور عباده، فيقدر بحكمته لكل ما يصلح شأنه.

٢٨ - والله - وحده - هو الذى ينزل المطر الذى يغيثهم من الجدب من بعد اليأس واشتداد القحط، رحمة بعباده، وينشر بركات المطر فى النبات والثمار والحيوان والسهل والجبل، وهو - وحده - الذى يتولى تدبير أمور عباده، المحمود على انعامه وجميع أفعاله.

٢٩ - ومن دلائل قدرة الله على خلق ما يشاء خلق السموات والأرض على هذا النظام المحكم، وخلق ما فرق ونشر فيهما من الدواب المرئية وغيرها، والله الذى ثبتت قدرته بإبداع ما تقدم قدير على جمع المكلفين فى الوقت الذى يشاء بعثهم فيه للجزاء.

كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟

---

٣٠ - وأى مصيبة أصابتكم مما تكرهونه فبسبب معاصيكم ، وما عفا عنه فى الدنيا أو آخذ عليه فيها فالله أكرم من أن يعاقب به فى الآخرة ، وبهذا تنزه عن الظلم واتصف بالرحمة الواسعة .

٣١ - ولستم بقادرين على أن تعجزوا الله عن انزال المصائب فى الدنيا عقابا على معاصيكم وإن هربتم فى الأرض كل مهرب ، وليس لكم من دون الله من يتولاكم بالرحمة عند نزول البلاء ، ولا من ينصركم بدفعه عنكم .

٣٢ - ومن دلائل قدرة الله السفن الجارية فى البحر، كالجبال الشاهقة فى عظمتها .

٣٣ - إن يشأ الله يسكن الريح فتظل السفن ثوابت على ظهر الماء لا تجرى بهم إلى مقاصدهم ، إن فى سيرها ووقوفها بأمر الله لدلائل واضحة على قدرة الله ، يعتبر بها المؤمنون الصابرون فى الضراء ، الشاكرون فى السراء .

٣٤ - أو يهلكهن بذنوب ركابها بإرسال الرياح العاصفة ، وإن يشأ يعف عن كثير، فلا يعاقبهم بإسكان الريح ، أو بإرسالها عاصفة مغرقة .

٣٥ - الله - سبحانه - فعل ذلك ليعتبر المؤمنون ، ويعلم الذين يردون آياته بالباطل أنهم فى قبضته ، ما لهم مهرب من عذاب الله .

٣٦ - لا تغتروا بمتاع الدنيا ، فكل ما أعطيتموه - أيها الناس - من المال والبنين وسواهما فهو متاع لكم فى الحياة الدنيا ، وما أعده الله من نعيم الجنة خير وأدوم للذين آمنوا ، وعلى خالقهم ومربيهم - وحده - يعتمدون .

٣٧ - والذين يبتعدون عن ارتكاب كبائر ما نهى الله عنه ، وكل ما زاد قبحه من الذنوب ، وإذا ما استفزوا بالإساءة إليهم فى دنياهم ، هم - وحدهم - يبادرون بالصفح حتى كان ذلك علاجا نافعا .

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم

---

٣٨ - والذين أجابوا دعوة خالقهم ومربيهم ، فآمنوا به ، وحافظوا على صلواتهم ، وكان شأنهم التشاور فى أمورهم لإقامة العدل فى مجتمعهم ، دون أن يستبد بهم فرد أو قلة من الناس ، ومما أنعم الله به عليهم ينفقون فى وجوه الخير .

٣٩ - والذين إذا اعتدى عليهم ظالم هم ينتصرون لأنفسهم بمقاومة عدوانه .

٤٠ - وجزاء المسىء اساءة مماثلة تقريرا للعدل ، فن عفا عمن أساءه عند القدرة ، وأصلح ما بينه وبين خصمه تقريرا للود ، فثوابه على الله الذى لا يعلم بقدره سواه ، إن الله لا يرحم المعتدين على حقوق الناس بمجاوزة شريعة الله .

٤١ - وإن الذين يعاقبون المعتدين بمثل ما اعتدوا به فلا مؤاخذة عليهم ولا لوم .

٤٢ - إنما اللوم والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس ويتكبرون فى الأرض ويفسدون فيها بغير الحق ، أولئك لهم . عذاب شديد الإيلام .

٤٣ - أقسم : لمن صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه ، ولم ينتصر لنفسه حينا لا يكون العفو تمكينا للفساد فى الأرض ، إن ذلك لمن الأمور التى ينبغى أن يوجبها العاقل على نفسه .

٤٤ - ومن ضل طريق الهدى - لسوء اختياره - فليس له ناصر سوى الله يهديه أو يمنعه من العذاب ، وترى فى القيامة - أيها المخاطب - الظالمين حين يشاهدون عذاب الآخرة يسألون ربهم أى وسيلة يرجعون بها إلى الدنيا ، كى يعملوا صالحا غير الذى كانوا يعملون .

٤٥ - وترى الظالمين - كذلك - يعرضون على النار متضائلين بسبب الذل لما لحقهم من الهول ، يسارقون النظر إلى النار خوفا من مكارهها ، ويقول المؤمنون - حينئذ - : إن الخاسرين حقا هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وخسروا أزواجهم وأولادهم وأقاربهم بما حيل بينهم ، وينبه الله إلى أن الظالمين فى عذاب دائم .

مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن

---

٤٦ - وما كان لهم نصراء مما عبدوهم من دون الله وممن أطاعوا فى معصيته ينقذونهم من عذاب الله ، ومن ضل طريق الحق - لسوء اختياره - فليس له أى طريق ينجيه من سوء المصير .

٤٧ - سارعوا - أيها الناس - إلى إجابة ما دعاكم إليه رسول خالقكم ومربيكم من الايمان والطاعة ، من قبل أن تنتهى الحياة فرصة للعمل ، ويأتى يوم الحساب الذى لا يرده الله بعد أن قضى به ، ليس لكم - يومئذ - أى ملاذ يحميكم من العذاب ولا تجدون أى منكر لما حل بكم .

٤٨ - فإن أعرض المشركون عن إجابتك - أيها الرسول - فلا تحزن ، فلست رقيباً عليهم فيما يفعلون ، انما كلفت البلاغ ، وقد بينت ، وإن شأن الناس إذا منحناهم من لدنا سعة بطروا لأجلها ، وإن تصبهم مصيبة بسبب معاصيهم فإنهم ينسون النعمة ، ويجزعون لنزول البلاء كفراً وجحوداً .

٤٩ - لله - وحده - ملك السموات والأرض خلقاً وتدبيراً وتصرفاً ، يخلق ما يشاء خلقه ، يهب لمن يشاء الإناث من الذرية ، ويمنح من يشاء الذكور دون الإناث .

٥٠ - ويتفضل - سبحانه - على من يشاء بالجمع بين الذكور والإناث ، ويجعل من يشاء لا ولد له ، إن الله محيط علمه بكل شىء ، قدير على فعل كل ما يريد .

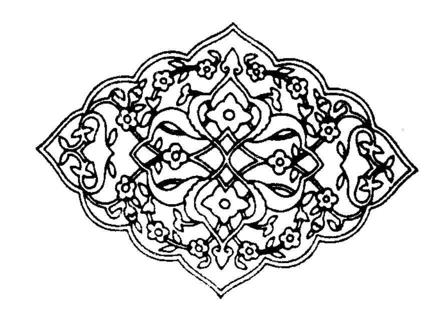
٥١ - وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا وحيا بالالقاء فى القلب الهاماً أو مناماً أو باسماع الكلام الإلهى دون أن يرى السامع من يكلمه ، أو بإرسال ملك يرى صورته ، ويسمع صوته ، ليوحى بإذن الله ما يشاء ، إن الله قاهر فلا يمانع ، بالغ الحكمة فى تصرفاته وتدبيره .

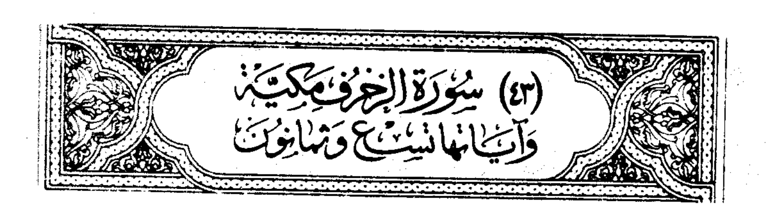
جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

---

٥٢ ـ ومثل ما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك ـ أيها الرسول ـ هذا القرآن حياة للقلوب بأمرنا ، ما كنت تعرف قبل الإيحاء إليك ما هو القرآن ، ولا تعرف ما شرائع الإيمان ، ولكن جعلنا القرآن نوراً عظيماً يرشد به من اختار الهدى ، وإنك لتدعو بهذا القرآن إلى طريق مستقيم .

٥٣ ـ طريق دين الله الذى له ـ وحده ـ ما فى السموات وما فى الأرض خلقاً وتدبيراً و تصرفاً. وينبه ـ سبحانه ـ إلى أنه ـ وحده ـ ترجع إليه جميع الأمور .





بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾

افتتحت بحرفين من حروف الهجاء ، واتبع ذلك بذكر القرآن وبيان منزلته عند الله ، ثم أخذت السورة تبين موقف المستهزئين بالرسالات من رسلهم ، وساقت أدلة كثيرة موجبة للإيمان بالله ـ وحده ـ ومع تلك الحجج نسبوا إليه الأنداد ، وجعلوا له البنات ولهم البنين ، وحينما فقدوا الحجة تمسكوا بتقليد آبائهم .

ثم تحدثت عن قصة إبراهيم وأعقبتها باستعظام كفار مكة نزول القرآن على محمد دون عظيم من عظماء القريتين ، كأنهم يقسمون فضل الله ، والله قد قسم بينهم معيشتهم فى الدنيا لعجزهم عن ذلك . ثم قررت السورة أنه لولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً لأعطى الكافر كل ما فى الدنيا من متاع وزخرف وزينة . كما بينت أن من يعرض عن الحق يسلط الله عليه شيطاناً يقوده إلى الهلاك . ثم تعرض السورة قصة موسى وفرعون ، وغرور فرعون بملكه ، وما نزل بفرعون وقومه من انتقام الله ، واتبعت ذلك بذكر ابن مريم ، وإنه عبد منعم عليه من الله ، دعا إلى الصراط المستقيم . وبعد تخويف من عذاب يوم القيامة ، للظالمين ، وبشارة للمؤمنين بالجنة التى لهم فيها ما تقر به أعينهم ، تختم السورة بعموم ملك الله ، وعجز من أشركوهم معه ، فأعرض عنهم ـ يا محمد ـ وقل : سلام ، فسوف يعلمون .

١ ـ حم : افتتحت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم فى افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف .

٢ ـ أقسم ـ سبحانه ـ بالقرآن الموضح لما اشتمل عليه من العقائد والأحكام .

٣ ـ إنا صيرنا الكتاب قرآناً عربياً ، لكى تستطيعوا ادراك إعجازه وتدبر معانيه .

٤ ـ وإن هذا القرآن الثابت فى اللوح المحفوظ عندنا ، لرفيع القدر ، ومحكم النظم ، فى أعلى طبقات البلاغة .

٥ ـ انهملكم فنمنع إنزال القرآن إليكم اعراضاً عنكم ، لاسرافكم على أنفسكم فى الكفر ، لا يكون ذلك ، لاقتضاء الحكم الزامكم الحجة .

٦ ـ وأرسلنا كثيراً من الأنبياء فى الأمم السابقة ، فليس عجيباً إرسال رسول إليكم .

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ

---

٧ - وما يجيئهم من رسول يذكرهم بالحق الا استمروا على استهزائهم به .

٨ - فأهلكنا المكذبين السابقين ، وقد كانوا أشد من كفار مكة قوة ومنعة ، فلا يغتر هؤلاء بسطوتهم ، وسلف فى القرآن من قصص الأولين العجيب ما جعلهم عبرة لغيرهم ، فاعتبروا أيها المكذبون .

٩ - وأقسم إن سألت الكافرين - أيها الرسول - عمن خلق السموات والأرض ؟ ليقولن - جواباً لذلك - : خلقهن الله ، المتصف فى واقع الأمر بالعزة والعلم المحيط .

١٠ - الذى جعل لكم الأرض مكاناً ممهداً ، لتستطيعوا الإقامة فيها واستغلالها ، وجعل لأجلكم فيها طرقات تسلكونها فى أسفاركم كى تصلوا إلى غاياتكم .

١١ - والذى نزل من السماء ماء بقدر الحاجة ، فأحيينا به بلدة مجدبة لا نبات فيها ، مثل ذلك الإحياء تبعثون من قبوركم للجزاء ، فكيف تنكرونه ؟ !

١٢ - والذى خلق أصناف المخلوقات كلها ، وسخر لكم من السفن والابل ما تركبونه فى أسفاركم لقضاء حوائجكم .

١٣ - كى تستقروا فوق ظهورها ، ثم تذكروا نعمة خالقكم ومربيكم فى تسخيرها لكم عند الاستقرار عليها ، ولتقولوا - استعظاماً لتذليلها العجيب ، واعترافاً بالعجز عن ضبطها والتسلط عليها - : سبحان الذى ذلل لنا هذا ، وما كنا لتذليلها مطيقين .

١٤ - وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ، ليحاسب كل على ما قدمت يداه .

١٥ - وجعل المشركون لله - سبحانه - بعض خلقه ولداً ظنوه جزءاً منه ، ان الإنسان بعمله هذا لمبالغ فى كفره ، واضح فى جحوده .

وَأَصْفَـٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ * قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ

---

١٦ - بل أتزعمون أنه اتخذ لنفسه من خلقه البنات وآثركم بالذكور ؟ ! إن هذا لأمر عجيب حقاً .

١٧ - نسبوا إليه ذلك ، والحال أنه إذا بشر أحدهم بولادة انثى له صار وجهه مسوداً غيظاً ، وهو مملوء كآبة وحزناً لسوء ما بشر به .

١٨ - أيجترئون ويجعلون ولداً لله من شأنه النشأة فى الزينة ، وهو فى الجدال وإقامة الحجة عاجز لقصور بيانه ! إن هذا لعجيب .

١٩ - وسموا الملائكة المخلوقين للرحمن إناثاً ، أرأوا خلقهم رؤية مشاهدة حتى يحكموا بذلك ! لم يروه ، سنسجل عليهم هذا الافتراء ، ويحاسبون عليه يوم القيامة .

٢٠ - وقال المشركون : لو شاء الرحمن عدم عبادتنا لهؤلاء الشركاء ما عبدناهم ، زاعمين أنه راض عن عبادتهم لهؤلاء الشركاء ، ليس لديهم بما قالوا أى علم يستندون إليه ، وما هم إلا واهمون ، يقولون قولاً غير مستند إلى دليل .

٢١ - بل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد افتراءهم ، فهم به متعلقون أشد التعلق ؟ ! لم ننزل عليهم ذلك ، فلا حجة لهم من النقل .

٢٢ - بل قال المشركون - حين فقدوا كل حجة - : إنا وجدنا آباءنا على دين ، وإننا على آثارهم سائرون .

٢٣ - ومثل الحال الذى عليه هؤلاء حال الأمم السابقة ، ما أرسلنا من قبلك فى قرية رسولاً إلا قال المتنعمون فيها - وهم الذين أبطرتهم النعمة - : إننا وجدنا آباءنا على دين ، وإنا على آثارهم سائرون ، فالتقليد ضلال قديم .

قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا

---

٢٤ - قال النذير: اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بما هو أدخل فى الهداية مما وجدتم عليه آباءكم؟! قالوا - مجيبين لرسلهم يكذبونهم بالدين -: إننا بما أرسلتم به جاحدون.

٢٥ - فعاقبنا المكذبين لرسلهم عقاباً شديداً فى الدنيا، فانظر - أيها المتأمل - كيف صار مآل المكذبين لكم مثلاً عجيباً وعظة بالغة؟!

٢٦ - واذكر - يا محمد - للمكذبين قصة ابراهيم، اذ قال لأبيه وقومه: اننى برىء من عبادة آلهتكم الباطلة.

٢٧ - لكنى أعبد الله الذى خلقنى، لأنه الذى سيرشدنى الى طريق الحق.

٢٨ - وصيرها - بإعلانها لهم - كلمة باقية فى ذريته - هى كلمة التوحيد - لعلهم يرجعون إليها، فيؤمنون بها.

٢٩ - لم يحقق المشركون رجاء إبراهيم، ولم أعجل لهم العقوبة، بل متعت الحاضرين - لك - يا محمد - ومتعت آباءهم من قبل بأنواع النعم، حتى نزل القرآن داعياً إلى الحق وجاءهم رسول مبين يدعوهم إليه.

٣٠ - وحين نزل القرآن يرشدهم إلى التوحيد ضموا إلى شركهم تسميته سحراً وتمويهاً - استهزاء به - وأصروا على كفرهم.

٣١ - وقال المشركون، استخفافاً بمحمد، واستعظاماً أن ينزل عليه القرآن: هلا نزل القرآن الذى يزعم أنه وحى الله على رجل عظيم من مكة أو الطائف!

٣٢ - ليس بأيدى المشركين مفاتيح الرسالة، حتى يجعلوها فى أصحاب الجاه، نحن تولينا تدبير معيشتهم لعجزهم عن ذلك، وفضلنا بعضهم على بعض فى الرزق والجاه، ليتخذ بعضهم من بعض أعواناً يسخرونهم فى قضاء حوائجهم، حتى يتساندوا فى طلب العيش وتنظيم الحياة، والنبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير من أكبر مقامات الدنيا.

لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي

---

٣٣ - ولولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً اذا رأوا الكفار فى سعة من الرزق لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سقفاً ومصاعد يرتقون عليها من الفضة، لهوان الدنيا علينا.

٣٤ ، ٣٥ - ولجعلنا لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضة ينعمون بها ويتكئون عليها، ولجعلنا لهم زينة من كل شيء، وما كل ذلك المتاع الذى وصفناه لك الا متاعاً فانياً مقصوراً على الحياة الدنيا، وثواب الآخرة عند خالقك ومربيك معد للذين اتقوا الشرك، واجتنبوا الموبقات.

٣٦ - ومن يتعامى عن القرآن الذى أنزله الرحمن ذكرى للعالمين، نتح له شيطاناً يتسلط عليه، فهو معه - دائماً - يضله ويغويه.

٣٧ - وإن شياطين المتعامين عن القرآن ليمنعونهم عن الطريق الذى يدعو إليه الرحمن، ويحسب المتعاملون أنهم - باتباع قرنائهم - على الهدى.

٣٨ - حتى إذا جاء من تعامى عن القرآن إلى الله يوم القيامة، ورأى عاقبة تعاميه، قال لقرينه - نادماً: يا ليت بينى وبينك فى الدنيا بعد المشرق عن المغرب، فبئس الصاحب كنت لى، حتى أوقعتنى فى الهاوية.

٣٩ - ويقال لهم حينئذ - توبيخاً -: لن يخفف العذاب عنكم اليوم - إذا ظلمتم أنفسكم بالكفر - اشتراك شياطينكم معكم فيه، لأن كلا يعانى من العذاب ما يثقله.

٤٠ - أتقدر على هداية من بالغوا فى الضلال، أفأنت تسمع الصم عن الحق، والعمى عن الاعتبار، ومن كان فى علم الله أنه يموت على الضلال؟! لا تستطيع ذلك، لأنهم استقروا فى الكفر، فلم ينتفعوا بما يسمعونه ويرونه.

٤١ - فإن قبضناك قبل أن نريك عذابهم، ونشفى بذلك صدرك وصدور قوم مؤمنين فانا سننتقم منهم - لا محالة - فى الدنيا والآخرة.

٤٢ - أو أردت أن نريك العذاب الذى وعدناهم قبل وفاتك أريناك، لأنا مسيطرون عليهم بقدرتنا وقهرنا.

أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا

---

٤٣ - اذا كان أحد هذين الأمرين واقعاً - لا محالة - فكن مستمسكاً بالقرآن الذى أوحينا اليك ، واثبت على العمل به ، لأنك على طريق الحق القويم .

٤٤ - وإن هذا القرآن لشرف عظيم لك - يا محمد - ولأمتك ، لنزوله عليك بلغة العرب ، وسوف تسألون يوم القيامة عن القيام بحقه وشكر نعمته .

٤٥ - وانظر فى شرائع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، أجاءت فيها دعوة الناس إلى عبادة غير الله ! لم يجىء ذلك ، فالعابدون لغير الله متوغلون فى الضلال بعبادتهم .

٤٦ - ولقد أرسلنا موسى بالمعجزات الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه ، فقال : إنى رسول خالق العالمين ومربيهم إليكم ، فطالبوه بالمعجزات .

٤٧ - فلما جاءهم بالمعجزات المؤيدة لرسالته قابلوه فور مجيئها بالضحك منها - سخرية واستهزاء - دون تأمل فيها .

٤٨ - وكل معجزة من المعجزات التى توالت عليهم - لوضوح دلالتها على صدق الرسول ، واستقلالها بإفادة هذا المراد على أتم الوجوه ، وكمالها فى نفسها - إذا نظر إليها قيل : هى أكبر من قرينتها وصاحبتها . وحينما أصروا على الطغيان أصبناهم بأنواع البلايا ، ليرجعوا عن غيهم .

٤٩ - وقالوا - مستغيثين بموسى حينما عمهم البلاء - : يأيها الساحر - وهو العالم - ادع لنا ربك متوسلاً بعهده عندك أن يكشف عنا العذاب ، إنا - إذا كشف - لمهتدون .

٥٠ - فلما كشف الله عنهم المصائب بدعاء موسى فاجأوه بنقض عهدهم بالإيمان .

٥١ - ونادى فرعون فى قومه - معلناً قوته وتسلطه - : أليس لى - لا لغيرى - ملك مصر ، وهذه الأنهار التى تشاهدونها تجرى من تحت قصرى ؟ ! أعميتم عن مشاهدة ذلك ، فلا تعقلون ما تمليه المشاهدة من قوتى وضعف موسى ؟ ! وأراد بندائه تثبيتهم على طاعته .

ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟
ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ
مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

---

٥٢ ـ قال فرعون ـ مبالغة فى الطغيان : بل أنا خير من هذا الذى هو ضعيف ذليل ، ولا يكاد يبين دعواه بلسان فصيح .

٥٣ ـ وقال أيضاً ـ محرضاً على تكذيب موسى ـ : فهلا ألقى عليه ربه أسورة من ذهب ليلق اليه بمقاليد الأمور ، أو إعانة بملائكة يؤيدونه إن كان صادقاً فى دعواه الرسالة ؟ .

٥٤ ـ فاستفز فرعون قومه بالقول ، وأثر فيهم هذا التمويه ، فأطاعوه فى ضلاله ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن دين الله القويم .

٥٥ ـ فلما أغضبونا أشد الغضب ـ بإفراطهم فى الفساد ـ انتقمنا منهم بإغراقهم أجمعين .

٥٦ ـ فجعلنا فرعون وقومه قدوة للكافرين بعدهم فى استحقاق مثل عقابهم ، وحديثاً عجيب الشأن يعتبر به جميع الناس .

٥٧ ـ ولما ضرب الله عيسى ابن مريم مثلاً ، فى كونه كآدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، فهو عبد مخلوق ، منعم عليه بالنبوة ، لا تصح عبادته من دون الله . إذا قومك من وصفه المضروب يعرضون ولا يعون .

٥٨ ـ وقال الكافرون : آلهتنا خير أم عيسى ؟ ! فإذا كان هو فى النار فلنكن نحن وآلهتنا معه . ما ضرب الكفار هذا المثل لك إلا للجدل والغلبة فى القول لا لطلب الحق ، بل هم قوم شداد فى الخصومة ممعنون فيها .

٥٩ ـ ما عيسى الا عبد أنعمنا عليه بالنبوة ، وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل ـ لخلقه بدون أب ـ لبنى إسرائيل ، يستدلون به على كمال قدرتنا .

٦٠ ـ ولو نشاء لحولنا بعضكم ـ أيها الرجال ـ ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم ، لتعرفوا أن الملائكة خاضعون لتصريف قدرة الله ، فمن أين لهم استحقاق الألوهية ؟ !

بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا

---

٦١ - وأن عيسى بحدوثه بدون أب ، وابرائه الأكمه والأبرص لدليل على قيام الساعة ، فلا تشكن فيها ، واتبعوا هداى ورسولى . هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة .

٦٢ - ولا يمنعكم الشيطان عن اتباع طريق المستقيم، انه لكم عدو ظاهر العداوة .

٦٣ - وحينما أرسل عيسى الى بنى اسرائيل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات قال لهم . قد جئتكم بشريعة حكيمة تدعوكم الى التوحيد ، وجئتكم لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه من أمر الدين لتجتمعوا على الحق ، فاخشوا عذاب الله وأطيعون فيما أدعوكم اليه .

٦٤ - ان الله - وحده - هو خالق وخالقكم ، فاعبدوه دون سواه ، وحافظوا على شريعته ، هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة .

٦٥ - فاختلف الأحزاب من بين النصارى بعد عيسى فرقاً فى أمره ، فهلاك للذين ظلموا بما قالوه فى عيسى مما كفروا به من عذاب شديد الإيلام يوم القيامة .

٦٦ - ما ينتظر الكافرون شيئاً بعد اعراضهم عن الايمان الا اتيان الساعة بغتة ، وهم غافلون عنها .

٦٧ - الأصدقاء الذين جمعهم الباطل فى الدنيا يكون بعضهم لبعض عدوا يوم إتيان الساعة بغتة ، وتنقطع كل محبة إلا محبة الذين خافوا - وهم فى الدنيا - عذاب الله ، واجتمعوا فيها على طاعته .

٦٨ - ينادى الله المتقين - تكريماً لهم - يا عبادى ، لا تخافوا اليوم عذاباً ، ولا أنتم تحزنون ، فقد أمنتم العذاب ، وضمن الله لكم الثواب .

٦٩ - الذين صدقوا بآيات الله وأطاعوه ، وكانوا له منقادين .

٧٠ - يقال لهم يوم القيامة تشريفا : ادخلوا الجنة أنتم مع أزواجكم ، تسرون فيها سروراً عظيماً ، يظهر أثره على وجوهكم .

مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ

---

٧١ - وبعد دخولهم الجنة يطاف عليهم بأوان من ذهب وأكواب كذلك ، وفيها ألوان الأطعمة وأنواع الأشربة ، ولهم فى الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتقر به الأعين ، ويقال لهم - اكمالاً للسرور - : انتم فى هذا النعيم مخلدون .

٧٢ - ويقال - اتماماً للنعمة - : تلك هى الجنة التى ظفرتم بها بسبب ما قدمتم فى الدنيا من عمل الصالحات .

٧٣ - لكم فيها فاكهة كثيرة الأنواع والمقادير ، تتمتعون بالأكل منها .

٧٤ - ان الذين أجرموا بالكفر فى عذاب جهنم خالدون دائمون .

٧٥ - لا يخفف العذاب عن هؤلاء المجرمين ولا يسكن ، وهم فيه يائسون من النجاة .

٧٦ - وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بهذا العذاب ، ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم باختيارهم الضلالة على الهدى .

٧٧ - ونادى المجرمون - حين يئسوا من تخفيف العذاب الشديد - مالكاً خازن النار قائلين له : سل ربك أن يميتنا لنستريح من أهوال جهنم . قال لهم مالك : انكم مقيمون فى العذاب دائماً .

٧٨ - قال تعالى - رداً عليهم - : لقد جاءكم رسولنا - يا أهل مكة - بالدين الحق ، فآمن به قليل ، وأعرض عنه أكثركم . وهم لهذا الحق كارهون .

٧٩ - بل أأحكم مشركو مكة أمرهم على تكذيب الرسول والتآمر على قتله ، فانا محكمون امرا فى مجازاتهم واظهارك عليهم .

٨٠ - بل أيحسب هؤلاء المشركون انا لا نسمع حديث أنفسهم بتدبير الكيد ، وما يتكلمون به فيما بينهم من تكذيب الحق ؟ ! بلى نسمعها ، والحفظة من الملائكة عندهم يكتبون ذلك .

٨١ - قل للمشركين : ان صح بالبرهان أن للرحمن ولداً فأنا أول العابدين لهذا الولد ، لكنه لم يصح بالحجة أن ولداً للرحمن ، لما يترتب عليه من عجز القوى وفقر الغنى ، وهو - سبحانه - المنزه عن النقص المتصف بالكمال .

رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

---

٨٢ - تنزيهاً لخالق السموات والأرض خالق العرش العظيم عما يصفه به المشركون، مما لا يليق بألوهيته.

٨٣ - فدعهم ينغمسوا فى أباطيلهم ويلعبوا فى دنياهم - بترك الجادة - غير ملتفت اليهم، حتى يجىء يوم القيامة الذى وعدوا به، لتجزى كل نفس بما كسبت.

٨٤ - وهو الذى يعبد فى السماء بحق، ويعبد فى الأرض بحق، وهو - وحده - ذو الاحكام البالغ فى أفعاله وتدبيره، المحيط علمه بما كان وما يكون.

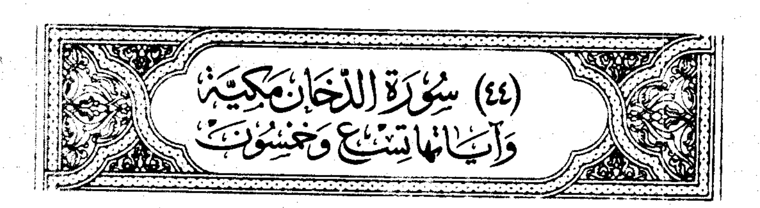
٨٥ - وتعالى وتعظم الذى له - وحده - كمال التصرف فى السموات والأرض وفيما بينهما من مخلوقات الجو المشاهدة وغيرها، وله تدبير الأمر فى ذلك وعنده - وحده - علم وقت القيامة، واليه - وحده - ترجعون فى الآخرة للحساب.

٨٦ - ولا يملك آلهتهم الذين يعبدونهم من غير الله الشفاعة لمن عبدوهم، لكن من شهد بالتوحيد - وهم يعتقدون أن الله ربهم حقاً - هم الذين يشفعون فيمن يشاء الله من المؤمنين.

٨٧ - ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين عمن خلقهم، فيقولن: خلقهن الله، فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اقرارهم بأنه خالقهم؟! ان هذا لعجيب.

٨٨ - أقسم بقول محمد - ﷺ - مستغيثاً داعياً: «يارب» ان هؤلاء المعاندين قوم لا ينتظر منهم ايمان.

٨٩ - فأعرض - أيها الرسول - عنهم - لشدة عنادهم - ودعهم، وقل لهم: شأنى متاركتكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم، فسوف يعلمون أن عاقبة عنادهم الخسران المبين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ

ابتدأت السورة بالحديث عن القرآن ، وأنه أنزل من عند الله فى ليلة القدر المباركة للانذار والتوحيد ، وأنه الحق . كما تحدثت عن البعث ، وأنه لا ريب فيه ، وناقشت حجج المنكرين له ، وردت على المشركين ، وقارنت بين مشركى مكة واسلافهم قوم فرعون ، وتعرضت لما حل بهم من انتقام الله ، ثم أكدت أن يوم القيامة هو موعد فرق الكفر والضلال جميعاً ، وتحدثت عن جزاء الضالين فى هذا اليوم وجزاء المهتدين ، وانتهت بالحديث عن القرآن ، كما بدئت به ، وبتهديد المكذبين بأمره - ﷺ - بانتظار ما يحل بهم من البلاء والمصائب .

١ - حم : ابتدأت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم فى افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف .

٢ - أقسم الله بالقرآن الكاشف عن الدين الحق ، الموضح للناس ما يصلح دنياهم وآخرتهم ، اعلاماً برفعة قدره .

٣ - اننا ابتدأنا انزال القرآن فى ليلة وفيرة الخير ، كثيرة البركات ، لأن من شأننا الانذار بارسال الرسل وانزال الكتب .

٤ - فى هذه الليلة المباركة يفصل ويبين كل أمر محكم ، والقرآن رأس الحكمة ، والفيصل بين الحق والباطل ، ولذا كان انزاله فيها .

٥ - أعنى بهذا الأمر أمراً عظيماً صادراً من عندنا كما اقتضاه تدبيرنا ، لأن من شأننا ارسال الرسل بالكتب لتبليغ العباد .

٦ - لأجل رحمة ربك بعباده أرسل رسله للناس يبلغونهم هديه ، لأنه - وحده - السميع لكل مسموع ، المحيط علماً بكل معلوم .

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

---

٧ - هو خالق السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين بالحق، مذعنين له، مؤمنين بأنه المنزل للقرآن رحمة وهداية.

٨ - لا اله يستحق العبادة سواه، هو - وحده - يحيي ويميت، وهو - وحده - خالقكم وخالق آبائكم الأولين.

٩ - بل الكفار فى شك من هذا الحق، يتبعون أهواءهم، وذلك شأن اللاهين اللاعبين، لا شأن أهل العلم واليقين.

١٠ - فانتظر - أيها الرسول - حينما ينزل بهم القحط - فيصابون بالهزال وضعف البصر، فيرى الرجل بين السماء والأرض دخانا واضحاً! بحيث يسمع اطاه ولا يراه!

١١ - يحيط هذا الدخان بالمكذبين الذين أصابهم الجدب! فيقولون لشدة الهول: هذا عذاب شديد الإيلام.

١٢ - كما يقولون استغاثة بالله: اننا سنؤمن ان تكشف عنا عذاب الجوع والحرمان.

١٣ - كيف يتعظ هؤلاء، ويوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب، وقد جاءهم رسول واضح الرسالة بالمعجزات الدالة على صدقه، وذلك اعظم موجبات الاتعاظ؟!

١٤ - ثم اعرضوا عن التصديق بالرسول المؤيد بالمعجزات الواضحة! وقالوا - كذبا وافتراء -: تارة يعلمه البشر، وقالوا تارة أخرى: اختلط عقله.

١٥ - فرد الله عليهم: انا سنرفع عنكم العذاب زمن الدنيا، وهو قليل، وانكم عائدون - لا محالة - الى ما كنتم عليه.

١٦ - اذكر - أيها الرسول - يوم نأخذهم الأخذة الكبرى بعنف وقوة، اننا - بهذا الأخذ - منتقمون منهم.

١٧ - ولقد امتحنا قبل كفار مكة قوم فرعون بالدعوة الى الايمان، وجاءهم موسى رسول كريم على الله، فكفروا به عناداً! وكذلك شأن هؤلاء المشركين.

أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ

---

١٨ ـ قال لهم الرسول الكريم : أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من قبول دعوتى ، لأنى لكم رسول مختص بكم ، أمين على رسالتى .

١٩ ـ ولا تتكبروا على الله بتكذيب رسوله ، لأنى آتيكم بمعجزة واضحة تبين صدق نبوتى ورسالتى .

٢٠ ـ وانى اعتصمت بخالقى من أن تتمكنوا من قتلى رجماً .

٢١ ـ وإن لم تصدقوا بى فكونوا بمعزل منى ، ولا تؤذونى .

٢٢ ـ فدعا موسى ربه ـ شاكياً قومه حين يئس من ايمانهم ـ بأن هؤلاء قوم تناهى أمرهم فى الكفر ، فافعل بهم ما يستحقون .

٢٣ ـ فسر بالمؤمنين ليلاً فى خفية ، حتى لا يدركونكم ، لأن فرعون وجنوده سيتبعونكم اذا علموا ، للايقاع بكم .

٢٤ ـ واترك البحر ساكناً على هيئته بعد ضربه بالعصا ، ليدخله المنكرون ، فانهم مغروقون لا محالة .

٢٥ ـ تركوا بعد اغراقهم كثيراً من الجنات الناضرة والعيون الجارية .

٢٦ ـ والزروع المتنوعة ، والمنازل الحسنة .

٢٧ ـ وعيشة مترفة نضرة كانوا فيها متنعمين .

٢٨ ـ مثل ذلك العقاب يعاقب الله من خالف أمره ، وخرج على طاعته ، ويحول ما كان فيها من النعم الى قوم آخرين ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين .

٢٩ ـ فما حزنت عليهم السماء والأرض عندما أخذهم العذاب . لهوان شأنهم ، ولم ينظروا لتوبة ، ولم يمهلوا لتدارك تقصيرهم احتقارا لهم .

٣٠ ـ ولقد نجى الله بنى اسرائيل من العذاب المذل لهم .

ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ

---

٣١ ـ نجاهم من فرعون ، ان فرعون كان مستعلياً على قومه ، مسرفاً فى الشر والطغيان .

٣٢ ـ أقسم : لقد اخترنا بنى اسرائيل على علم منا بأحقيتهم بالاختيار على عالمى زمانهم ، فبعثنا فيهم أنبياء كثيرين مع علمنا بحالهم .

٣٣ ـ وآتاهم الله على يد موسى من الدلائل ما فيه اختبار ظاهر لهم .

٣٤ ، ٣٥ ـ ان هؤلاء المكذبين بالبعث ليقولون : ما الموتة الا موتتنا الأولى فى الدنيا وما نحن بعدها بمبعوثين .

٣٦ ـ ويقولون لرسول الله والمؤمنين : ان كنتم صادقين فى دعواكم أن ربكم يحيى الموتى للحساب فى الآخرة فعجلوا لنا أحياء من مات من آبائنا ، بسؤالكم ربكم ذلك .

٣٧ ـ أكفار مكة خير فى القوة والمنعة والسلطان وسائر أمور الدنيا أم قوم تبع ومن سبقهم ؟ ! ليس مشركو قومك ـ يا محمد ـ أقوى منهم ، وقد أهلكناهم فى الدنيا بكفرهم واجرامهم ، فليتعبروا بهم .

٣٨ ـ وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما دون حكمة .

٣٩ ـ ما خلقناهما الا خلقاً منوطاً بالحكمة ، على نظام ثابت يدل على وجود الله ووحدانيته وقدرته ، ولكن أكثر هؤلاء فى غفلة عمياء ، لا يعلمون هذه الدلالة .

٤٠ ـ ان يوم الحكم بين المحق والمبطل وقت موعدهم أجمعين .

٤١ ـ يوم لا يدفع أى قريب عن أى قريب ، ولا أى حليف عن أى حليف شيئاً قليلاً من العذاب ، ولا هم ينصرون عند الله بأنفسهم .

٤٢ ـ لكن الذين رحمهم الله من المؤمنين يعفو الله عنهم ، ويأذن لهم بالشفاعة ، انه الغالب على كل شىء ، الرحيم بعباده المؤمنين .

٤٣ ، ٤٤ ـ ان شجرة الزقوم المعروفة بقبح منظرها وخبث طعمها وريحها طعام الفاجر كثير الآثام .

٤٥ ، ٤٦ ـ طعامها كسائل المعدن الذى صهرته الحرارة ، يغلى فى البطون كغلى الماء الذى بلغ النهاية فى غليانه .

سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

---

٤٧ ـ خذوا يا زبانية جهنم ـ هذا الفاجر الأثيم ، فقودوه بعنف وغلظة إلى وسط جهنم .

٤٨ ـ ثم صبوا فوق رأسه الماء الشديد الحرارة ، زيادة فى تعذيبه وايلامه .

٤٩ ـ يقال له ـ استهزاء وتهكما به ـ ذق العذاب الشديد ، انك أنت العزيز فى قومك ، الكريم فى حسبك .

٥٠ ـ ان هذا العذاب الذى لمستموه حقيقة واقعة هو ما كنتم تخاصمون بشأنه فى الدنيا ، وتشكون فى وقوعه .

٥١ ـ ان الذين وقوا أنفسهم من المعاصى بالتزام طاعة الله فى مكان عظيم ، يأمنون فيه على أنفسهم .

٥٢ ـ فى جنات ينعمون فيها ، وعيون من الماء تجرى من تحتها ، اكراما لهم باعظام نعيمهم .

٥٣ ـ يلبسون ما رق وما غلظ من الحرير زيادة فى زينتهم ، متقابلين فى مجالسهم ، ليتم لهم الأنس .

٥٤ ـ ومع هذا الجزاء زوجناهم فى الجنة بحور عين ، يحار فيهن الطرف لفرط حسنهن وجمالهن وسعة عيونهن .

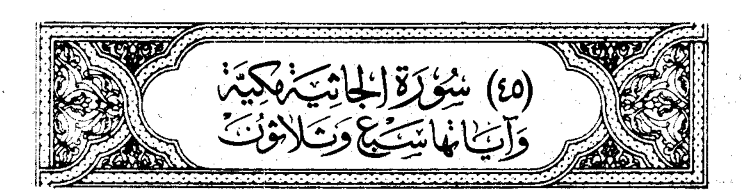
٥٥ ـ يطلبون فى الجنة كل فاكهة يشتهونها ، آمنين من الغصص والزوال والحرمان .

٥٦ ـ لا يذوقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا عند انقضاء آجالهم ، وحفظهم ربهم من عذاب النار .

٥٧ ـ حفظوا من العذاب فضلا واحسانا من خالقك ، ذلك الحفظ من العذاب ودخول الجنة هو غاية الفوز العظيم .

٥٨ ـ فإنما سهلنا عليك تلاوة القرآن وتبليغه منزلا بلغتك ولغتهم كى يتعظوا ، فيؤمنوا به ويعملوا بما فيه .

٥٩ ـ فانتظر ما يحل بهم ، انهم منتظرون ما يحل بك وبدعوتك من الدوائر .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف الهجاء ، وأتبعت ذلك ببيان أن تنزيل القرآن ، من الله العزيز الحكيم ، ثم عرضت أدلة كونية وعقلية لاثبات عقيدة الايمان والدعوة إلى اعتناقه كما تضمنت الدعاء على المكذبين للآيات ، ثم أخذت تعدد نعم الله وفضله على عباده ، وطلبت من المؤمنين أن يغفروا للمنكرين ، فالله ـ وحده ـ هو الذى يجزى كل نفس بما كسبت ، وبعد ذلك تحدثت السورة عما تفضل الله به على بنى اسرائيل من نعم كثيرة وما وقع بينهم من اختلاف سيقضى الله فيه يوم القيامة . ثم أخذت تفرق بين من اتبعوا الحق ومن اتبعوا الهوى فأنكروا البعث وردوا آيات القدرة بطلبهم أحياء آبائهم ، والله هو المحيى والمميت ، له ملك كل شيء ، ويوم يحشر المبطلون تدعى كل نفس إلى كتابها ، ويفوز المؤمنون ويؤنب المستكبرون ، وتعود السورة إلى الحديث عن انكارهم الساعة وتكذيبهم بالآيات الدالة عليها ، وعن نسيان الله اياهم كما نسوا هذا اليوم ، وبيان أن مأواهم النار باستهزائهم بآيات الله وغرورهم بالدنيا ، وختمت السورة بالثناء على خالق السموات والأرض ، صاحب الكبرياء فيها ، العزيز الحكيم .

١ ـ حم : حرفان من الحروف الصوتية ابتدأت بها هذه السورة على طريقة القرآن فى افتتاح بعض سوره بمثل هذه الحروف للاشارة إلى عجز المشركين عن الاتيان بمثله مع أنه مؤلف من الحروف التى يستعملونها فى كلامهم .

٢ ـ تنزيل القرآن من الله القوى المنيع ، الحكيم فى تدبيره وصنعه .

٣ ـ ان فى خلق السموات والأرض من بديع صنع الله لدلالات قوية على ألوهيته ووحدانيته ، يؤمن بها المصدقون بالله بفطرهم السليمة .

٤ ـ وفى خلق الله لكم ـ أيها الناس ـ على ما أنتم عليه من حسن الصورة وبديع الصنع ، وما يفرق وينشر من الدواب على اختلاف الصور والمنافع لدلالات قوية واضحة لقوم يستيقنون بأمورهم بالتدبر والتفكر .

رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ

---

٥ - وفى اختلاف الليل والنهار فى الطول والقصر والنور والظلام مع تعاقبهما على نظام ثابت ، وفيما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بالانبات بعد موتها بالجدب ، وتصريف الرياح إلى جهات متعددة مع اختلافها برودة وحرارة وقوة وضعفا علامات واضحة على كمال قدرة الله لقوم فكروا بعقولهم فخلص يقينهم .

٦ - تلك آيات الله الكونية التى أقامها الله للناس ، نقرؤها عليك فى القرآن على لسان جبريل مشتملة على الحق ، فإذا لم يؤمنوا بها فبأى حديث بعد حديث الله - وهو القرآن - وآياته يصدقون .

٧ - هلاك شديد لكل من افترى على الله اقبح الأكاذيب ولمن كثرت آثامه بذلك .

٨ - يسمع هذا المفترى آيات الله تتلى عليه ناطقة بالحق ، ثم يصر على الكفر متكبرا عن الايمان ، شأنه شأن من لم يسمع الآيات ، فبشره أيها النبى - تهكما - بعذاب أليم لاصراره على عمل ما يوصل إليه .

٩ - وإذا علم هذا العنيد أى شىء من آيات الله جعل آيات الله كلها مادة لسخريته واستهزائه ، أولئك الأفاكون الآثمون لهم عذاب مذل لكبريائهم .

١٠ - من ورائهم جهنم تنتظرهم ، ولا يدفع عنهم ما كسبوا فى الدنيا شيئا من عذابها ، ولا الآلهة التى أتخذوها من دون الله نصراء تدفع شيئا من عذابها ، ولهم عذاب عظيم فى هوله وشدته .

١١ - هذا القرآن دليل كامل على الحق من عند الله ، والذين جحدوا ما اشتمل عليه من حجج خالقهم ومربيهم لهم عذاب من أشد أنواع العذاب .

١٢ - لله - وحده هو الذى ذلل لكم البحر لتسير السفن فيه بإذنه وقدرته حاملة لكم ولحاجاتكم ، ولتطلبوا من فضل الله من خيرات البحر باستفادة علم وتجارة وجهاد وهداية وصيد واستخراج آنية ، ولعلكم تشكرون نعمه بإخلاص الدين لله .

لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

---

١٣ - وذلل لكم جميع ما فى السموات من نجوم مضيئة وكواكب ، وكل ما فى الأرض من زرع وضرع وخصب وماء ونار وهواء وصحراء جميعا منه - تعالى - ليوفر لكم منافع الحياة . ان فيما ذكر من نعم لآيات دالة على قدرته لقوم يتدبرون الآيات .

١٤ - قل - أيها الرسول - للذين صدقوا بالله واتبعوك : يصفحوا عن الايذاء الذى يصيبهم من الذين لا يتوقعون أيام الله التى يجزى فيها أقواما بالخير وأقواما بالشر حسبما كانوا .

١٥ - من عمل صالحا فلنفسه الأجر والثواب ، ومن أساء عمله فعلى نفسه وزر عمله ، ثم إلى خالقكم ترجعون للجزاء .

١٦ - أقسم : لقد أعطينا بنى اسرائيل التوراة والحكم بما فيها والنبوة الملهمة من قبل الله ، ورزقناهم من الخيرات المتنوعة وفضلناهم بكثير من النعم على الخلق أجمعين .

١٧ - وأعطيناهم دلائل واضحة من أمر دينهم فما وقع بينهم اختلاف الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الدين وأحكامه عداوة وحسدا فيما بينهم ، ان ربك يفصل بين المختلفين يوم القيامة فى الأمر الذى كانوا فيه يختلفون .

١٨ - ثم جعلناك - يا محمد - بعد اختلاف أهل الكتاب مبعوثا على منهاج واضح من أمر الدين الذى شرعناه لك ولمن قبلك من رسلنا فاتبع شريعتك الحقة ، الثابتة بالحجج والدلائل ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون طريق الحق .

١٩ - ان المبطلين الطامعين فى اتباعك لهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعتهم ، وان المتجاوزين لحدود الله بعضهم أنصار بعض على الباطل ، والله ناصر الذين يخشونه فلا ينالهم ظلم الظالمين .

٢٠ - هذا القرآن المنزل عليك دلائل للناس تبصرهم بالدين الحق ، وهدى يرشدهم إلى مسالك الخير ، ونعمة لقوم يستيقنون بثواب الله وعقابه .

اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ

---

٢١ - بل حسب الذين اكتسبوا مايسوء من الكفر والمعاصى أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من الأعمال، فنسوى بين الفريقين فى الحياة ونسوى بين الفريقين فى المات، بئس ما يقضون إذا أحسوا أنهم كالمؤمنين.

٢٢ - وخلق الله السموات والأرض متلبسا بالحكمة والنظام، لتظهر دلائل ألوهيته وقدرته، ولتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر، وهم لا ينقصون شيئا من جزائهم.

٢٣ - أنظرت فرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه معبودا له فخضع له وأطاعه، وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل، وأغلق سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا يعتقد حقا، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر عبرة. فمن يهديه من بعد اعراض الله عنه، أتتركون النظر فلا تذكرون ؟.

٢٤ - وقال المنكرون للبعث: ما الحياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها، نحيا ونموت، وليس وراء ذلك حياة بعد الموت، وما يهلكنا الا مرور الزمان. وما يقولون ذلك عن علم ويقين، ولكن عن ظن وتخمين.

٢٥ - وإذا قرئت عليهم آيات الله واضحات الدلالة على قدرته على البعث ما كان حجتهم إلا مقالتهم - فرارا من الحق -: أحيوا آباءنا إن كنتم صادقين فى دعوى وقوع البعث.

٢٦ - قل لهم - يا محمد - الله يحييكم فى الدنيا من العدم ثم يميتكم فيها عند انقضاء آجالكم، ثم يجمعكم فى يوم القيامة، لا شك فى هذا الجمع، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، لاعراضهم عن التأمل فى الدلائل. والقادر على ذلك قادر على الاتيان بآبائكم.

٢٧ - ولله - وحده - ملك السموات والأرض خلقا وملكا وتدبيرا، وحين تقوم الساعة - يوم قيامها - يخسر الذين اتبعوا الباطل.

إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ

---

٢٨ - وترى يوم تقوم الساعة - أيها المخاطب - أهل كل دين جالسين على الركب من هول الموقف متحفزين لاجابة النداء، كل أمة تدعى إلى سجل أعمالها ويقال لهم: اليوم تستوفون جزاء ما كنتم تعملون فى الدنيا.

٢٩ - ويقال لهم: هذا كتابنا الذى سجلنا فيه أعمالكم وأخذتموه بأيديكم ينطق عليكم بما عملتم شهادة صدق، انا كنا نستكتب الملائكة لنحاسبكم على ما فرط منكم.

٣٠ - فأما الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة فيدخلهم ربهم فى جنته، ذلك الجزاء هو الفوز البين الواضح.

٣١ - وأما الذين كفروا بالله ورسله فيقال لهم - توبيخا -: ألم تأتكم رسلى، ألم تكن آياتى تتلى عليكم، فتعاليتم عن قبول الحق، وكنتم قوما كافرين؟.

٣٢ - وإذا قال لكم رسول الله - أيها المنكرون للبعث -: ان وعد الله بالجزاء حق ثابت، والساعة لا شك فى مجيئها، قلتم: مانعلم، أى شيء الساعة وما حقيقتها؟ ما نحن إلا نظن مجيء الساعة ظنا، وما نحن بموقنين أنها آتية.

٣٣ - وظهر لهؤلاء الكفار قبائح أعمالهم، ونزل بهم جزاء استهزائهم بآيات الله.

٣٤ - وقيل لهؤلاء المشركين - توبيخا -: اليوم نترككم فى العذاب كما تركتم الاستعداد للقاء ربكم فى هذا اليوم بالطاعة والعمل الصالح، ومقركم النار، وليس لكم من ناصرين ينقذونكم من عذابها.

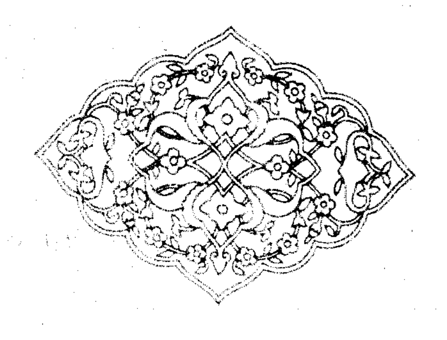
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

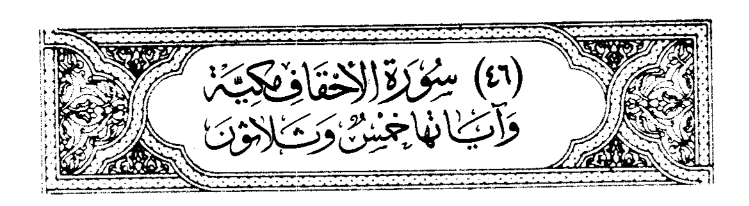
٣٥ ـ ذلكم العذاب الذى نزل بكم بسبب كفركم واستهزائكم بآيات الله ، وخدعتكم الحياة الدنيا بزخرفها ، فاليوم لا يستطيع أحد اخراج هؤلاء من النار ، ولا هم يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالاعتذار .

٣٦ ـ فلله ـ وحده ـ الثناء ، خالق السموات والأرض وخالق جميع الخلق ، فإن هذه الربوبية العامة توجب الحمد على كل نعمة .

٣٧ ـ وله ـ وحده سبحانه ـ العظمة والسلطان فى السموات والأرض ، وهو العزيز الذى لا يغلب ، ذو الحكمة الذى لا يخطىء فى أحكامه .

والله أعلم .





بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ

تحدثت هذه السورة الكريمة عن انزال القرآن من عند الله، ووجوب الايمان به وبمحمد ﷺ، والتصديق بالقيامة، وعنيت بالتنبيه إلى الاعتبار بما أصاب السابقين الذين عصوا الله ورسله، ودعت إلى العناية ببر الوالدين ورعاية حقوقهما، وعرضت لقصة نفر من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم وتواصوا بالانصات له، فوجدوه مصدقا لما جاء به الرسل قبل محمد ﷺ، يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فآمنوا به، ودعوا قومهم إلى ذلك، وأنهت الحديث بدعوة النبى - ﷺ - إلى الصبر على تكذيب قومه والتأسى فى ذلك بما احتمله أولو العزم من الرسل قبله.

١ - افتتحت هذه السورة ببعض الحروف على طريقة القرآن الكريم فى افتتاح طائفة من سوره بالحروف.

٢ - تنزيل القرآن من عند الله الغالب على كل شىء، ذى الحكمة فى كل ما يفعل.

٣ - ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا على نواميس ثابتة، لغايات تقتضيها الحكمة، وإلى أمد معين تفنى بعده، والذين جحدوا بهذه الحقيقة معرضون عما أنذروا به من خلق جديد يوم يبعث الناس للجزاء.

٤ - قل للذين يدعون غير الله: أخبرونى عن حال ما تدعون من دون الله؟ أعلمونى: أى شىء خلقوا من الأرض أم لهم مشاركة فى السموات؟! ايتونى بكتاب من عند الله أو أثر من علم الأولين تستندون إليه فى دعواكم ان كنتم صادقين.

٥ - ومن أكثر ضلالا ممن يدعو من دون الله معبودات لا تستجيب له ما بقيت الدنيا؟! وهم مع ذلك غافلون عن دعائهم، غير شاعرين به.

ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ

---

٦ - وإذا جمع الناس للحساب يوم القيامة كان هؤلاء المعبودون أعداء لمن عبدوهم ، يتبرءون منهم ، ويكذبونهم فيما زعموا من استحقاقهم لعبادتهم.

٧ - وإذا تتلى على المشركين آياتنا واضحات لكفرهم وعنادهم - عن تلك الآيات - دون تأمل : هذا سحر ظاهر.

٨ - بل أيقول هؤلاء الكافرون : اختلق محمد القرآن وأضافه إلى الله ؟ قل ردا عليهم . ان افتريته عاجلنى الله بعقوبته ، فلا تستطيعون أن تدفعوا عنى من عذابه شيئا . هو - وحده - أعلم بما تخوضون فيه من الطعن فى آياته ، كفى به شهيدا لى بالصدق وشهيدا عليكم بالتكذيب ، وهو - وحده - واسع المغفرة لمن تاب ، عظيم الرحمة ، يمهل العصاة ليتداركوا.

٩ - قل لهم : ما كنت أول رسول من عند الله فتنكروا رسالتى ، ولست أعلم ما يفعل الله بى ولا بكم ، ما أتبع فيما أقول أو أفعل الا الذى يوحيه الله إلى ، وما أنا الا منذر بين الانذار.

١٠ - قل : أخبرونى ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بنى اسرائيل على نزول مثله من عند الله ، فآمن به واستكبرتم ، ألا تكونون حينئذ أضل الناس وأظلمهم لأنفسهم ؟ ! ان الله لا يوفق إلى الهدى من ظلم نفسه واستكبر عن الحق.

١١ - وقال الذين كفروا فى شأن الذين آمنوا استهزاء بهم واستعلاء عليهم : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إلى الايمان به ، فإنا نحن أصحاب السيادة والعقول الراجحة ! ! وحين لم يهتدوا به يطعنون فيه فيقولون : هذا كذب قديم من أساطير الأولين.

لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ

---

١٢ - ومن قبل القرآن أنزل الله التوراة قدوة ورحمة للعاملين بها ، وهذا القرآن الذى يكذبونه مصدق لما قبله من الكتب ، أنزله الله بلسان عربى ليكون انذارا متجددا للذين ظلموا ، وبشرى للذين استقاموا على الطريقة .

١٣ - ان الذين قالوا : ربنا الله وحده ، ثم أحسنوا العمل ، فلا خوف عليهم من نزول مكروه ولا هم يحزنون لفوات مطلوب .

١٤ - أولئك الموصوفون بالتوحيد والاستقامة هم المختصون بدخول الجنة خالدين فيها ، أعطاهم الله ذلك جزاء بما كانوا يعملون من الصالحات .

١٥ - ووصينا الانسان بوالديه أن يحسن اليهما احسانا عظيما ، حملته أمه حملا ذا مشقة ، ووضعته وضعا ذا مشقة ، ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا قاست فيها صنوف الآلام ، حتى إذا بلغ كمال قوته وعقله ، وبلغ أربعين سنة ، قال : رب ألهمنى شكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ، وألهمنى أن أعمل عملا صالحا ترضاه ، واجعل الصلاح ساريا فى ذريتى ، انى تبت إليك من كل ذنب ، وإنى من الذين أسلموا أنفسهم اليك[1] .

١٦ - أولئك الموصوفون بتلك المحامد هم الذين نتقبل عنهم أعمالهم الحسنة ، ونعفو عن سيئاتهم فى عداد أصحاب الجنة ، محققين لهم وعد الصدق الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا .

١٧ - والذى قال لوالديه حين دعواه إلى الايمان بالبعث ، متضجرا منهما ومنكرا عليهما : أف لكما . أتعدانني بالخروج من القبر وقد مضت الأمم من قبلى ولم يبعث من القبور أحد ؟ ! وأبواه يستغيثان الله استعظاما لجرمه ، ويقولان له حثا على الايمان : هلكت ان لم تؤمن ، ان وعد الله بالبعث حق ، فيقول امعانا فى التكذيب : ما هذا الذى تقولانه الا خرافات سطرها الأولون .

١٨ - أولئك القائلون ذلك هم الذين حق عليهم وقوع العذاب . فى عداد أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس ، لأنهم كانوا خاسرين .

---

(١) أقل مدة الحمل ستة أشهر لقوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وقوله تعالى : « وفصاله فى عامين » وقوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » فباسقاط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبقى للحمل ستة أشهر . وهذا يتفق مع ما ثبت علميا من أن الطفل إذا ولد لستة أشهر فإنه قابل للحياة .

بِمَا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

---

١٩ - ولكل من المسلمين والكفار منازل ملائمة لما عملوا ، ليظهر عدل الله فيهم ، وليوفيهم جزاء أعمالهم ، وهم لا يظلمون ، لاستحقاقهم ما يجزون به .

٢٠ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم : أذهبتم نصيبكم من الطيبات فى حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها . فاليوم تجزون عذاب الهوان بما كنتم عليه فى الدنيا من الاستكبار فى الأرض بغير الحق ، والخروج عن طاعة الله .

٢١ - واذكر هودا أخا عاد إذ حذر قومه المقيمين بالأحقاف - وقد مضت الرسل قبله وبعده بمثل انذاره - قائلا لهم : لا تعبدوا إلا الله ، انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الهول(١) .

٢٢ - قال قوم هود انكارا عليه : أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا ؟ فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى هذا الوعيد .

٢٣ - قال هود : انما العلم بوقت عذابكم عند الله وحده ، وأنا أبلغكم الذى أرسلت به ، ولكنى أراكم قوما تجهلون ما تبعث به الرسل .

٢٤ ، ٢٥ - فأتاهم العذاب فى صورة سحاب ، فلما رأوه ممتدا فى الأفق ، متوجها نحو أوديتهم ، قالوا فرحين : هذا سحاب يأتينا بالمطر والخير . فقيل لهم : بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب شديد الألم ، تهلك كل شىء بأمر خالقها ، دمرتهم فأصبحوا لا يرى من آثارها إلا مساكنهم . كذلك الجزاء نجزى كل من ارتكب مثل جرمهم .

---

(١) وكانت منازل هذه القبيلة بالاحقاف ، وموقع الأحقاف مختلف فيه : وبعض المؤرخين يذكرون أنه بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر : أى فى الجنوب الشرقى من جزيرة العرب . وبعض المنقبين فى الزمن القريب يرون أنه شرق العقبة معتمدين على كتابات نبطية عثروا عليها فى خرائب معبد كشفوا عنه فى جبل ارم ، ووجدوا فى جوانب الجبل آثارا جاهلية قديمة ، فرجحوا أن هذا المكان هو موضع ارم التى ذكرها القرآن الكريم ، ثم خرجت قبل الاسلام ولم يبق منها حينا ظهر إلا عين ماء كان التجار وأصحاب القوافل ينزلون عليها فى طريقهم إلى الشام .

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ

---

٢٦ - ولقد مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من السعة والقوة يا أهل مكة ، وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، لو شاءوا الانتفاع بها ، فما نفعهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم شيئا قليلا ، لأنهم كانوا يكذبون بآيات الله ، فحال ذلك بينهم وبين انتفاعهم بما أوتوا ، وأحاط بهم العذاب الذى كانوا به يستهزئون .

٢٧ - ولقد أهلكنا القرى التى كانت حولكم يا أهل مكة ، وبينا لهم الدلائل بأساليب متنوعة ، لعلهم يرجعون عن الكفر ، فلم يرجعوا .

٢٨ - فهلا منعهم من الهلاك الذين اتخذوهم من دون الله آلهة متقربين بهم إليه تعالى !! بل غابت هذه الآلهة عنهم وهم أحوج ما كانوا إلى النصرة ، وذلك الذى حل بهم من خذلان آلهتهم لهم وضلالهم عنهم هو عاقبة كذبهم وافترائهم .

٢٩ - واذكر يا محمد - إذ وجهنا اليك جماعة من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروا تلاوته قال بعضهم لبعض : انصتوا ، فلما تمت تلاوته رجعوا مسرعين إلى قومهم ، محذرين من الكفر ، داعين إلى الايمان .

٣٠ - قالوا : يا قومنا انا سمعنا كتابا عظيم الشأن ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما تقدمه من الكتب الآلهية ، يرشد إلى الحق فى الاعتقاد ، وإلى شريعة قوية فى العمل .

٣١ - يا قومنا : أجيبوا داعى الله الذى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وصدقوا بالله ، يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ويمنعكم من عذاب شديد الألم .

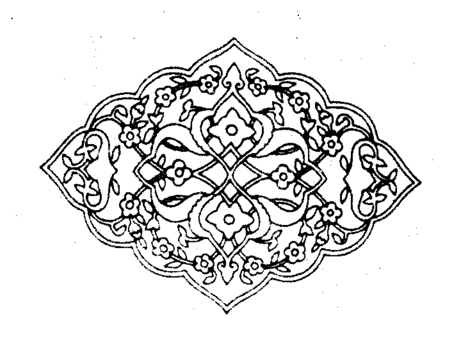
لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

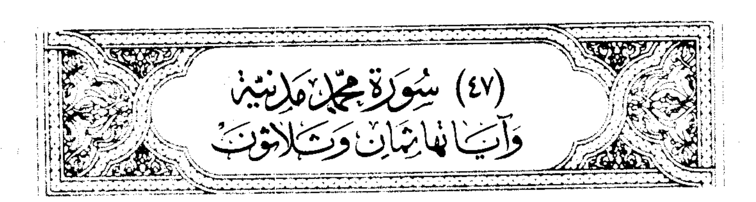
٣٢ - ومن لا يجب داعى الله فليس بمستطيع أن يعجز الله عن أخذه وان هرب فى الأرض كل مهرب ، وليس له من دون الله نصراء يمنعونه من عذابه . أولئك الذين يعرضون عن اجابة الداعى إلى الله فى حيرة وبعد واضح عن الحق .

٣٣ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعجز عن خلقهن قادر على احياء الموتى ؟ ! بلى هو قادر على ذلك ، لأنه - تعالى - على كل شىء تام القدرة .

٣٤ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم تقريعا : أليس هذا العذاب بالأمر الحق المطابق لما أنذرناكم فى الدنيا ؟ ! قالوا : بلى وربنا ، هو الحق ، قال : فذوقوا ألوان العذاب الشديد باصراركم على الكفر والتكذيب .

٣٥ - فاصبر - يا محمد - على الكافرين كما صبر أصحاب القوة والثبات من الرسل فى الشدائد ، ولا تستعجل لهم العذاب ، فهو واقع بهم - لا محالة - وان طال الأمد . كأنهم يوم يشاهدون هوله يحسبون مدة لبثهم قبله ساعة من نهار . هذا الذى وعظتم به كاف فى الموعظة ، فلن يهلك بعذاب الله الا الخارجون عن طاعته .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ

بينت هذه السورة فى بدايتها أن الله أبطل أعمال الكافرين باتباعهم الباطل ، وكفر عن المؤمنين سيئاتهم باتباعهم الحق . كما بينت باطناب وجوب الدفاع عن الحق ، وأن جزاء ذلك فى الآخرة دخول الجنة ، وحرضت المؤمنين على نصر دين الله والقتال فى سبيله . وأوضحت أن المبطلين إذا تولوا عن الايمان أفسدوا فى الأرض وقطعوا أرحامهم ، وحذرت من المنافقين أن يكونوا بين المؤمنين حتى لا يستمعوا لتثبيطهم . وهددت المنافقين بهتك أستارهم لاظهار رسول الله على أحقادهم . ونهت المؤمنين أن يضعفوا عن قتال الكافرين ، وهم الأعلون والله معهم ولن يترهم أعمالهم . ثم ختمت بالدعوة إلى الانفاق فى سبيل الله ، وبيان أن من يبخل بذلك فإنما يبخل على نفسه ، وبأن الاعراض عن اتباع الحق يكون سببا فى هلاك المعرضين والاتيان بقوم آخرين خير منهم .

١ ـ الذين كفروا بالله ورسوله ، وصدوا غيرهم عن الدخول فى الاسلام ، أبطل الله كل ما عملوه .

٢ ـ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وصدقوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم ، محا عنهم سيئاتهم . وأصلح حالهم فى الدين والدنيا .

٣ ـ ذلك بأن الذين كفروا سلكوا طريق الباطل ، وأن الذين آمنوا اتبعوا طريق الحق من ربهم ـ مثل ذلك البيان الواضح يبين الله للناس أحوالهم ليعتبروا .

يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ * أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا

---

٤ ، ٥ ، ٦ - فإذا لقيتم الذين كفروا فى الحرب فاضربوا رقابهم ، حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل فيهم فأحكموا قيد الأسارى ، فاما أن تمنوا بعد انتهاء المعركة منا باطلاقهم دون عوض ، واما أن تفدوهم بالمال أو بالأسرى من المسلمين ، فتلقوهم بالعوض . وليكن هذا شأنكم مع الكافرين ، حتى تضع الحرب أثقالها وتنتهى ، حكم الله فيهم ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم بغير قتال ، ولكن ليختبر المؤمنين بالكافرين شرع الجهاد ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يبطل أعمالهم[1] ، سيهديهم ويصلح قلوبهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم .

٧ - يأيها الذين آمنوا : ان تنصروا دين الله ينصركم على عدوكم ، ويوطد أمركم .

٨ - والذين كفروا فأشقاهم الله وأبطل أعمالهم .

٩ - أمرهم ذلك بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن والتكاليف ، فأبطل أعمالهم .

١٠ - أقعدوا عن طلب ما يعظهم ، فلم يسيروا فى الأرض فينظروا فى أى حال كان عاقبة الذين كذبوا الرسل من قبلهم ، أوقع الله عليهم الهلاك فى كل ما يختص بهم من نفس ومال وولد ، وللكافرين بالله وبرسوله أمثال هذه العاقبة .

١١ - ذلك الجزاء من نصر المؤمنين وقهر الكافرين بأن الله مولى الذين آمنوا وناصرهم ، وأن الكافرين لا مولى لهم ينصرهم ويمنع هلاكهم .

١٢ - ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عظيمة تجرى من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون فى الدنيا قليلا ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، غافلين عن التفكير فى العاقبة ، لا هم لهم سوى شهواتهم ، والنار فى الآخرة مأوى لهم .

---

(١) عينت الرقاب فى هذه الآية الكريمة لأن ضربها أنجح وسيلة للاجهاز السريع على المضروب بغير تعذيب له ولا تمثيل به ، إذ أنه من الثابت علميا أن الرقبة حلقة الاتصال بين الرأس وسائر الجسد ، فإذا قطع الجهاز العصبى شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية ، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ ، وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس وفى جميع هذه الحالات تنتهى الحياة سريعا .

نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ

---

١٣ - وكثير من أهل القرى السابقين هم أشد قوة من أهل قريتك - مكة - التى أخرجك أهلها يا محمد. أهلكناهم بأنواع العذاب، فلا ناصر لهم يمنعهم منا.

١٤ - أيستوى الفريقان فى الجزاء ؟ ! أفمن كان منهما على معرفة بينة بخالقه ومربيه فأطاعه، كمن زين له سوء عمله، واتبعوا فيما يأتون ويذرون أهواءهم الباطلة.

١٥ - صفة الجنة التى وعد الله بها المتقين : فيها أنهار من ماء غير متغير، وأنهار من لبن لم يفسد طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى مما يخالطه. ولهم فيها أنواع من كل الثمرات، ومغفرة عظيمة من ربهم. أصفة جنة هؤلاء كصفة جزاء من هو خالد فى النار، وسقوا ماء مفرطا فى الحرارة، فقطع أمعاءهم[1].

١٦ - ومن الكفار فريق يستمعون إليك - يا محمد - غير مؤمنين بك ولا منتفعين بقولك، حتى إذا انصرفوا من مجلسك قالوا استهزاء للذين أوتوا العلم : أى قول قال محمد الآن ؟ ! أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بالكفر، فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم.

١٧ - والذين اهتدوا إلى طريق الحق زادهم الله هدى، وأعطاهم تقواهم التى يتقون بها النار.

١٨ - لم يتعظ المكذبون بأحوال السابقين. فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم فجأة ؟ ! فقد ظهرت علاماتها ولم يعتبروا بمجيئها، فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟ !

---

(١) توجه الآية الكريمة الأنظار إلى أن الماء الأسن الراكد المتغير ماء ضار، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظير المكبرة - ميكرسكوب - بقرون عدة، حيث تبين أن الماء الراكد المتغير مستودع لملايين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التى تصيب الناس والأنعام بأمراض شتى.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ

---

١٩ ـ فاثبت على العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله ، واستغفر الله لذنبك ولذنوب المؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم كل منصرف لكم وكل اقامة .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ـ ويقول الذين آمنوا : هلا نزلت سورة تدعونا إلى القتال ! ! فإذا نزلت سورة لا تحتمل غير وجوبه ، وذكر فيها القتال مأمورا به ، رأيت الذين فى قلوبهم نفاق ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت ، خوفا منه وكراهية له ، فأحق بهم طاعة لله وقول يقره الشرع ، فإذا جد الأمر ولزمهم القتال ، فلو صدقوا الله فى الايمان والطاعة لكان خيرا لهم من النفاق ، فهل يتوقع منكم ـ أيها المنافقون ـ ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا صلاتكم بأقاربكم ؟ !

٢٣ ـ أولئك الذين أبعدهم الله عن رحمته ، فأصمهم عن سماع الحق ، وأعمى أبصارهم عن رؤية طريق الهدى .

٢٤ ـ أعموا فلا يتفهمون هدى القرآن ؟ ! بل على قلوبهم ما يحجبها عن تدبره .

٢٥ ـ ان الذين ارتدوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال من بعد ما ظهر لهم طريق الهداية . الشيطان زين لهم ذلك ، ومد لهم فى الآمال الكاذبة .

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ

---

٢٦ ، ٢٧ - ذلك الارتداد بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم فى بعض الأمر ، والله يعلم أسرار هؤلاء المنافقين . ذلك حالهم فى حياتهم ، فى أى حال يكونون إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم اذلالا لهم ؟ !

٢٨ - ذلك التوفى الرهيب على تلك الحالة بأنهم اتبعوا الباطل الذى أغضب الله ، وكرهوا الحق الذى يرضاه ، فأبطل كل ما عملوه .

٢٩ - بل أظن هؤلاء الذين فى قلوبهم نفاق أن لن يظهر الله أحقادهم لرسوله وللمؤمنين ؟ !

٣٠ - ولو نشاء لدللناك عليهم ، فلعرفتهم بعلامات نسمهم بها ، وأقسم : لتعرفنهم من أسلوب قولهم ، والله يعلم حقيقة أعمالكم جميعا .

٣١ - وأقسم : لنعاملكم معاملة المختبر ، حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فى البأساء والضراء ، ونبلو أخباركم من طاعتكم وعصيانكم فى الجهاد وغيره .

٣٢ - ان الذين كفروا وصدوا عن طريق الله ، وخالفوا الرسول فى عناد واصرار ، من بعد ما ظهر لهم الهدى ، لن يضروا الله شيئا ، وسيبطل كل ما عملوه .

٣٣ - يأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله فيما أمركم به ، وأطيعوا الرسول فيما دعاكم إليه ، ولا تضيعوا أعمالكم .

٣٤ - ان الذين كفروا وصدوا عن الدخول فى الاسلام ، ثم ماتوا وهم كفار ، فلن يغفر الله لهم .

ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

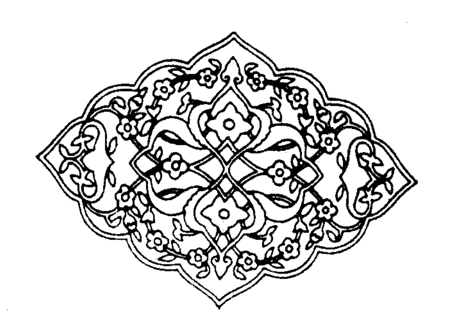
---

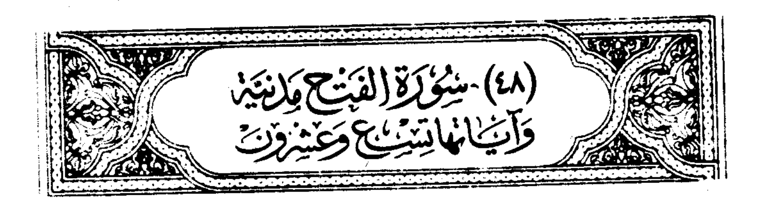
٣٥ ـ فلا تضعفوا لأعدائكم إذا لقيتموهم ، ولا تدعوهم إلى المسالمة خوفا منهم ، وأنتم الأعلون الغالبون بقوة الايمان ، والله معكم بنصره ، ولن ينقصكم ثواب أعمالكم .

٣٦ ، ٣٧ ـ انما الحياة الدنيا باطل وغرور ، وان تؤمنوا وتتركوا المعاصى ، وتفعلوا الخير ، يعطكم الله ثواب ذلك ، ولا يسألكم أموالكم ، ان يسألكم اياها فيبالغ فى طلبها تبخلوا بها ، ويظهر أحقادكم لحبكم لها .

٣٨ ـ هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله الذى شرعه ، فنكم من يبخل بهذا الانفاق ومن يبخل فما يضر إلا نفسه . والله ـ وحده ـ الغنى ، وأنتم الفقراء المحتاجون إليه .

وان تعرضوا عن طاعة الله يستبدل مكانكم قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم فى الاعراض عن طاعته .





بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ

تحدثت فى افتتاحيتها عن الفتح المبين ، الذى يسره الله لرسوله ، وعن آثاره العظيمة فى انتشار الاسلام ، واعزاز المسلمين . وعن تثبيت الله قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا ، وعن عذاب المنافقين والمشركين ، بتشككهم فى نصر الله لرسوله ، وعن ارسال محمد - ﷺ - شاهدا ومبشرا ، ليتحقق الايمان بالله . وانتقلت بعد ذلك إلى حديث بيعة أهل الصدق والوفاء لرسوله ، وبينت كذب اعتذار المتخلفين عن الخروج مع الرسول ، وأنهم تخلفوا لظنهم أن الله لا ينصره ، وعرضت لطلبهم الخروج معه للغنائم .

ثم بينت أنهم سيدعون إلى قتال قوم ذوى بأس وقوة ، وأنه لا اثم فى التخلف عن القتال لعذر صحيح ، كما أوضحت عظم الخير الذى وعد الله به من رضى عنهم فى بيعة الرضوان ، وتكلمت عن فرار الكافرين وهزيمتهم إذا ما قاتلوا المؤمنين ، وشرحت حكمة الله فى كف الكافرين عن المؤمنين ، والمؤمنين عن الكافرين يوم فتح مكة ، وأنهت الحديث ببيان أن الله صدق رسوله رؤياه دخول المسجد الحرام ، وأن محمدا والذين آمنوا معه غلاظ على الكفار ، متراحمون فيما بينهم ، وبيان ما يعرف به المؤمنون ، وصفتهم فى التوراة وصفتهم فى الانجيل ، ووعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة الواسعة والأجر العظيم .

١ ، ٢ ، ٣ - انا فتحنا لك - يا محمد - فتحا عظيما مبينا بانتصار الحق على الباطل . ليغفر لك الله ما تقدم مما يعد لمثل مقامك ذنبا ، وما تأخر منه ، ويكمل نعمته عليك بانتشار دعوتك . ويثبتك على طريق الله المستقيم . وينصرك الله على أعداء رسالتك نصرا قويا غالبا .

إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

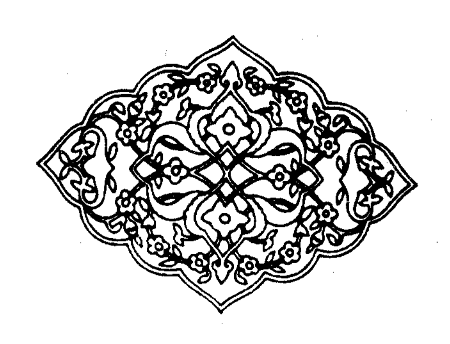
---

٤ ـ هو الذى أنزل الطمأنينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا بها يقينا مع يقينهم ، ولله ـ وحده ـ جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها كما يشاء ، وكان الله محيطا علمه بكل شىء ، ذا حكمة بالغة فى تدبير كل شأن .

٥ ، ٦ ـ ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، دائمين فيها ، يمحو عنهم سيئاتهم وكان ذلك الجزاء عند الله فوزا بالغا غاية العظم . وليعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين مع الله غيره والمشركات ، الظانين بالله ظنا فاسدا ، وهو أنه لا ينصر رسوله ، عليهم وحدهم دائرة السوء ، لا يفلتون منها ، وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته وهيأ لعذابهم جهنم وساءت نهاية لهم .

٧ ـ ولله جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها بحكمته كما يشاء ، وكان الله غالبا على كل شىء ، ذا حكمة بالغة فى تدبير كل شأن .

٨ ـ إنا أرسلناك ـ يا محمد ـ شاهدا على أمتك وعلى من قبلها من الأمم ، ومبشرا المتقين بحسن الثواب ، ونذيرا للعصاة بسوء العذاب .



وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ

---

٩ - لتؤمنوا - أيها المرسل إليكم - بالله ورسوله ، وتنصروا الله بنصر دينه ، وتعظموه مع الإجلال والإكبار ، وتنزهوه عما لا يليق به غدوة وعشيا .

١٠ - إن الذين يعاهدونك - على بذل الطاقة لنصرتك - إنما يعاهدون الله ، قوة الله معك فوق قوتهم ، فمن نقض عهدك بعد ميثاقه ، فلا يعود ضرر ذلك الا على نفسه ، ومن وفى بالعهد الذى عاهد عليه الله - باتمام بيعتك - فسيعطيه الله ثوابا بالغا غاية العظم .

١١ - سيقول لك من خلفهم النفاق من سكان البادية - إذا رجعت من سفرك - : شغلتنا عن الخروج معك أموالنا وأهلونا ، فاستغفر لنا . يقولون بألسنتهم غير ما فى قلوبهم قل ردا عليهم : فمن يملك لكم من الله شيئا يدفع عنكم قضاءه ، إن أراد بكم ما يضركم ، أو أراد بكم ما ينفعكم ؟ ! بل كان الله بكل ما تعملون محيطا .

١٢ - بل ظننتم أن لن يرجع الرسول والمؤمنون من غزوهم إلى أهليهم أبدا ، فتخلفتم ، وزين ذلك الظن فى قلوبكم ، وظننتم الظن الفاسد فى كل شئونكم ، وكنتم فى علم الله قوما هالكين ، مستحقين لسخطه وعقابه .

١٣ - ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، فإنا هيأنا للكافرين نارا موقدة ذات لهب .

١٤ - ولله - وحده - ملك السموات والأرض يدبره تدبير قادر حكيم ، يغفر الذنوب لمن يشاء ، ويعذب بحكمته من يشاء ، وكان الله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ

---

١٥ ـ سيقول هؤلاء الذين خلفهم النفاق عن الخروج معك من سكان البادية : إذا انطلقتم إلى مغانم ، وعدكم الله بها لتأخذوها ، دعونا نتبعكم إليها يريدون بذلك تغيير وعد الله بتلك الغنائم لمن خرج مع الرسول إلى الحديبية ، قل لهم ـ يا محمد ـ : لن تتبعونا . مثل ذلك الحكم بعدم اتباعهم حكم الله من قبل ذلك بتلك الغنائم لمن خرج إلى الغزو مع رسوله ، فسيقولون : لم يأمركم الله بذلك ، بل تحسدوننا أن نشاركم ، بل كان هؤلاء ـ بما قالوا ـ لايفهمون من تشريع الله إلا فهما قليلا .

١٦ ـ قل للمتخلفين عن الخروج من أهل البادية : ستدعون إلى قتال قوم ذوى شدة قوية فى الحرب ، فإن تستجيبوا لهذه الدعوة يعظم الله الغنيمة فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة ، وإن تعرضوا عنها كما أعرضتم من قبل ، يعذبكم الله عذابا بالغ الألم .

١٧ ـ ليس على الأعمى اثم فى التخلف عن قتال الكفار ، ولا على الأعرج اثم ، ولا على المريض اثم كذلك ، حيث لا يستطيعون ، ومن يطع الله ورسوله فى كل أمر ونهى يدخله جنات فسيحات تجرى من تحتها الأنهار ، ومن يعرض عن طاعة الله ورسوله يعذبه عذابا بالغ الألم .

١٨ ، ١٩ ـ لقد رضى الله عن المؤمنين حين يعاهدونك مختارين تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص والوفاء لرسالتك ، فأنزل الطمأنينة عليهم وأعطاهم بصدقهم فى البيعة واتمام الصلح عزا عاجلا . ومغانم كثيرة وعدهم الله بها يأخذونها ، وكان الله غالبا على كل شىء ذا حكمة بالغة فى كل ما قضاه .

مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ

---

٢٠ ، ٢١ ـ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فى الوقت المقدر لها ، فعجل لكم هذه ، وهو ما وعدكم به من الغنائم ، ومنع أذى الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين على صدق وعد الله لهم ، ويهديكم طريقا مستقيما ، بطاعته واتباع رسوله ، ومغانم أخرى لم تقدروا عليها قد حفظها الله لكم فأظفركم بها ، وكان الله على كل شىء تام القدرة .

٢٢ ـ ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ، ولم يعقدوا معكم صلحا ، لفروا منهزمين رعبا منكم ، ثم لا يجدون أى ولى يلى أمرهم ، ولا أى نصير ينصرهم .

٢٣ ـ سن الله سنة قد مضت من قبل فى خلقه ، أن تكون العاقبة لرسله وللمؤمنين ، ولن تجد لسنة الله تغييرا .

٢٤ ـ وهو الله ـ وحده ـ الذى منع أيدى الكفار من ايذائكم وأيديكم من قتالهم بوسط مكة ، من بعد أن أقدركم عليهم ، وكان الله بكل ما تعملون بصيرا .

٢٥ ، ٢٦ ـ أهل مكة هم الذين كفروا ومنعوكم من دخول المسجد الحرام ومنعوا الهدى الذى سقتموه محبوسا معكم على التقرب به من بلوغ مكانه الذى ينحر فيه . ولولا كراهة أن تصيبوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات بين الكفار بمكة ، لم تعلموهم ، فتقتلوهم بغير علم بهم ، فيلحقكم من أجل قتلهم عار وخزى ، لسلطناكم عليهم . . كان الكف ليدخل الله فى حفظه من كان بينهم من المؤمنين ، ومن أسلم من الكافرين . لو تميز المؤمنون لعاقبنا الذين أصروا على الكفر منهم عقابا بالغ الألم ، حين جعل الذين كفروا فى قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية فأنزل الله طمأنينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة الوقاية من الشرك والعذاب ، وكانوا أحق بها وأهلا لها ، وكان الله محيطا علمه بكل شىء .

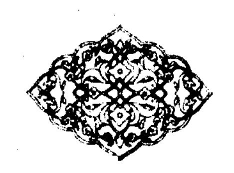
ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

---

٢٧ ـ لقد صدق الله ورسوله رؤياه دخول المسجد الحرام بتحققها . أقسم : لتدخلن المسجد الحرام ـ إن شاء الله ـ آمنين عدوكم ، بين محلق رأسه ومقصر ، وغير خائفين : فعلم سبحانه الخير الذى لم تعلموه فى تأخير دخول المسجد الحرام ، فجعل من قبل دخولكم فتحا قريبا .

٢٨ ـ هو الله الذى أرسل رسوله بالإرشاد الواضح ودين الإسلام ليعليه على الأديان كلها ، وكفى بالله شهيدا على ذلك .

٢٩ ـ محمد رسول الله وأصحابه الذين معه أشداء أقوياء على الكفار . متراحمون ، متعاطفون فيما بينهم تبصرهم راكعين ساجدين كثيرا ، يطلبون بذلك ثوابا عظيما من الله ورضوانا عميا ، علامتهم خشوع ظاهر فى وجوههم من أثر الصلاة كثيرا ، ذلك هو وصفهم العظيم فى التوراة . وصفتهم فى الإنجيل كصفة زرع أخرج أول ما ينشق عنه ، فآزره ، فتحول من الدقة إلى الغلظ ، فاستقام على أصوله ، يعجب الزراع بقوته ، وكان المؤمنون كذلك ، ليغيظ الله بقوتهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة تمحو جميع ذنوبهم ، وثوابا بالغا غاية العظم .





بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ

افتتحت بنهى المؤمنين عن الحكم بشيء قبل أن يأمر به الله ورسوله، وعن رفع أصواتهم فوق صوت النبى - ﷺ - وأثنت على الذين يخفضون أصواتهم فى حضرته، ونددت بمن يتركون الأدب فينادونه - ﷺ - من وراء حجراته، ثم أمرت المؤمنين، بالتثبت من أخبار الفاسقين وضعاف الإيمان، وأمرت الولاة بما يفعلونه عند تقاتل فريقين من المؤمنين، ونهت المؤمنين عن استهزاء بعضهم ببعض، وتعييب بعضهم بعضا، وعن ظن السوء بأهل الخير، وعن تتبع بعضهم، ونهت الأعراب عن ادعاء الإيمان قبل أن يستقر فى قلوبهم ثم أبانت من هم المؤمنون الصادقون، وختمت الحديث بالنهى عن المن على رسول الله بالإسلام، وبينت أن المنة لله عليهم بهدايتهم إلى الإيمان، إن كانوا صادقين فى دعواهم.

١ - يأيها الذين آمنوا: لا تقدموا أى أمر فى الدين والدنيا، دون أن يأمر به الله ورسوله واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامتثال شريعته إن الله تام السمع لكل ما تقولون، محيط علمه بكل شيء.

٢ - يأيها الذين آمنوا: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى إذا تكلم وتكلمتم، ولا تساووا أصواتكم بصوته، كما يخاطب بعضكم بعضا، كراهة أن تبطل أعمالكم وأنتم لا تشعرون ببطلانها.

٣ - إن الذين يخفضون أصواتهم فى مجلس رسول الله، اجلالا له، أولئك - وحدهم - هم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى، فليس لغيرها مكان فيها، لهم مغفرة واسعة لذنوبهم وثواب بالغ غاية العظم.

٤ - إن الذين ينادونك من وراء حجراتك أكثرهم لا يعقلون ما ينبغى لمقامك من التوقير والإجلال.

تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

---

٥ - ولو أن هؤلاء صبروا - تأدبا معك - حتى تقصد الخروج اليهم ، لكان ذلك خيرا لهم فى دينهم ، والله عظيم المغفرة ذو رحمة واسعة .

٦ - يأيها الذين آمنوا إن جاءكم أى خارج عن حدود شريعة الله بأى خبر ، فتثبتوا من صدقه ، كراهة أن تصيبوا أى قوم بأذى - جاهلين حالهم - فتصيروا على ما فعلتم معهم - بعد ظهور براءتهم - مغتمين دائما على وقوعه ، متمنين أنه لم يقع منكم .

٧ ، ٨ - واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ، فأقدروه حق قدره ، وأصدقوه ، لو يطيع ضعاف الايمان منكم ، فى كثير من الأمور ، لوقعتم فى المشقة والهلاك ، ولكن الله حبب فى الكاملين منكم الايمان ، وزينه فى قلوبكم ، فتصونوا عن تزيين مالا ينبغى ، وبغض اليكم جحود نعم الله ، والخروج عن حدود شريعته ، ومخالفة أوامره ، أولئك هم - وحدهم - الذين عرفوا طريق الهدى وثبتوا عليه ، تفضلا كريما ، وانعاما عظيما من الله عليهم ، والله محيط علمه بكل شىء ، ذو حكمة بالغة فى تدبير كل شأن .

٩ - وإن طائفتان من المؤمنين تقاتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما ، فإن تعدت إحداهما على الأخرى ، ورفضت الصلح معها ، فقاتلوا التى تتعدى ، إلى أن ترجع إلى حكم الله ، فإن رجعت فأصلحوا بينهما بالإنصاف ، واعدلوا بين الناس جميعا فى كل الشئون ، إن الله يحب العادلين .

١٠ - إنما المؤمنون بالله ورسوله اخوة ، جمع الايمان بين قلوبهم ، فأصلحوا بين أخويكم رعاية لإخوة الايمان ، واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامتثال أمره واجتناب نهيه ، راجين أن يرحمكم الله بتقواكم .

مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

---

١١ - يأيها الذين آمنوا : لا يسخر رجال منكم من رجال آخرين ، عسى أن يكونوا عند الله خيرا من الساخرين . ولا يسخر نساء مؤمنات من نساء مؤمنات ، عسى أن يكن عند الله خيرا من الساخرات . ولا يعب بعضكم بعضا ، ولا يدع الواحد أخاه بما يستكره من الألقاب ، بئس الذكر للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد اتصافهم بالإيمان ، ومن لم يرجع عما نهى عنه فأولئك هم - وحدهم - الظالمون أنفسهم وغيرهم .

١٢ - يأيها الذين آمنوا : ابتعدوا عن كثير من ظن السوء بأهل الخير . إن بعض الظن اثم يستوجب العقوبة ، ولا تتبعوا عورات المسلمين ، ولا يذكر بعضكم بعضا بما يكره فى غيبته ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ، فقد كرهتموه ؟ ! فاكرهوا الغيبة فإنها مماثلة له ، وقوا أنفسكم عذاب الله بامتثال ما أمر ، واجتناب ما نهى . ان الله عظيم فى قبول توبة التائبين . ذو رحمة واسعة بالعالمين .

١٣ - يأيها الناس : إنا خلقناكم متساوين من أصل واحد هو آدم وحواء ، وصيرناكم بالتكاثر جموعا عظيمة وقبائل متعددة ، ليتم التعارف والتعاون بينكم ، إن أرفعكم منزلة عند الله فى الدنيا والآخرة اتقاكم له ، ان الله محيط علمه بكل شىء ، خبير لا تخفى عليه دقائق كل شأن .

١٤ - قالت الأعراب بألسنتهم : آمنا ، قل لهم - يا محمد - : لم تؤمنوا ، لأن قلوبكم لم تصدق ما نطقتم به ، ولكن قولوا : انقدنا ظاهرا لرسالتك ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم بعد ، وان تطيعوا الله ورسوله صادقين لا ينقصكم من ثواب أعمالكم أى شىء ، ان الله عظيم المغفرة للعباد ، ذو رحمة واسعة بكل شىء .

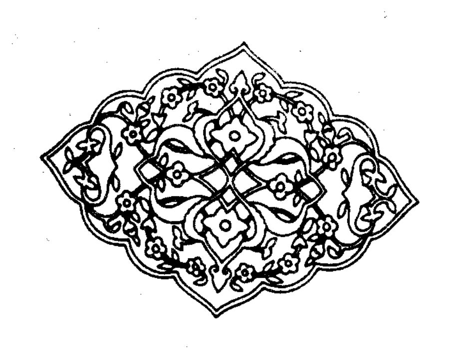
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

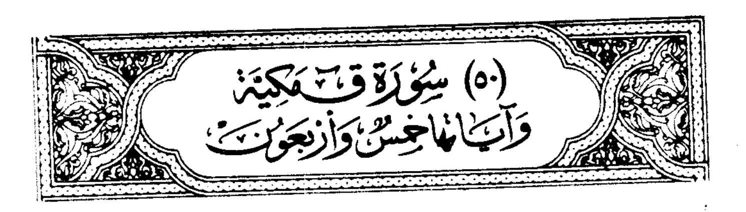
١٥ - إنما المؤمنون - حقا - هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يقع فى قلوبهم شك فيما آمنوا به ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى طريق طاعة الله ، أولئك هم - وحدهم - الذين صدقوا فى إيمانهم .

١٦ - قل لهم - يا محمد - تكذيبا لقولهم آمنا : أتخبرون الله بتصديق قلوبكم ، والله وحده يعلم كل ما فى السموات ، وكل ما فى الأرض ، والله محيط علمه بكل شىء ؟ !

١٧ - يعدون اسلامهم يدا لهم عليك - يا محمد - تستوجب شكرك لهم ، قل : لا تمنوا على إسلامكم ، فخيره لكم ، بل الله - وحده - يمن عليكم بهدايته إياكم إلى الإيمان ، إن كنتم صادقين فى دعواكم .

١٨ - إن الله يعلم كل ما استتر فى السموات والأرض ، والله محيط الرؤية بكل ما تعملون .





بسم الله الرحمن الرحيم

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن

تحدثت فى بدايتها عن اثبات رسالة محمد - ﷺ - وعن انكار الكفار أن يجىء رسول منهم ، واستبعادهم البعث بعد أن يصيروا ترابا ، وعرضت للأدلة الكونية الدالة على أن الله لا يعجزه أن يبعث الناس بعد موتهم وهو الذى خلقهم أولا ويعلم ما توسوس به نفوسهم ، وأحصى أعمالهم وأقوالهم فى كتاب دقيق الحفظ ، وأبانت أن محاولة الكفار فى يوم القيامة التنصل من الكفر الذى كان فى الدنيا بالقاء التبعة على قرنائهم من الشياطين لا تجديهم نفعا . إذ ينتهى الجدال بينهم بالقائهم جميعا فى النار ، فى حين يتفضل الله على المؤمنين بالنعيم الدائم فى الجنة . ثم نهت السورة حديثها بأمره - ﷺ - بالصبر على أذى الكافرين الذين لم يعتبروا بمصير المكذبين من الأمم قبلهم ، وتوجيهه - ﷺ - إلى الثبات على عبادة الله ، وتأكيد أمر البعث ، وتسليته - ﷺ - بأنه مذكر للمؤمنين ، وليس بمسيطر على الكافرين .

١ ، ٢ - ق : حرف من حروف الهجاء افتتحت السورة به على طريقة القرآن الكريم فى افتتاح بعض السور ببعض هذه الحروف للتحدى وتنبيه الأذهان ، أقسم بالقرآن ذى الكرامة والمجد والشرف : إنا أرسلناك - يا محمد - لتنذر الناس به فلم يؤمن أهل مكة ، بل عجبوا أن جاءهم رسول من جنسهم ينذرهم بالبعث ، فقال الكافرون : هذا شىء منكر عجيب .

٣ - أبعد أن نموت ونصير ترابا نرجع ؟ ذلك البعث بعد الموت رجع بعيد الوقوع .

٤ - قد علمنا ما تأخذه الأرض من أجسامهم بعد الموت ، وعندنا كتاب دقيق الإحصاء والحفظ .

٥ - لم يتدبروا ما جاءهم به الرسول ، بل كذبوا به من فورهم دون تدبر وتفكر ، فهم فى شأن مضطرب لا يستقرون على حال .

فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾

---

٦ - أغفلوا فلم ينظروا إلى السماء مرفوعة فوقهم بغير عمد، كيف أحكمنا بناءها وزيناها بالكواكب، وليس فيها أى شقوق تعاب بها [١].

٧ - والأرض بسطناها وأرسينا فيها جبالا ثوابت ضاربة فى أعماقها، وأنبتنا فيها من كل صنف يبتهج به من النبات، يسر الناظرين [٢].

٨ - جعلنا ذلك تبصيرا وتذكيرا لكل عبد راجع إلى ربه، يفكر فى دلائل قدرته.

٩ - ونزلنا من السماء ماء كثير الخير والبركات، فأنبتنا به جنات ذات أشجار وأزهار وثمار، وأخرجنا به حب الزرع الذى يحصد.

١٠ - والنخل ذاهبات إلى السماء طولا، لها طلع متراكم بعضه فوق بعض، لكثرة ما فيه من مادة الثمر.

١١ - انبتناها رزقا للعباد، وأحيينا بالماء أرضا جف نباتها، كذلك خروج الموتى من القبور حين يبعثون.

١٢، ١٣، ١٤ - كذبت بالرسل قبل هؤلاء أمم كثيرة. قوم نوح، والقوم المعروفون بأصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون وقوم لوط والقوم المعروفون بأصحاب الأيكة، وقوم تبع. كل من هؤلاء كذب رسوله، فحق عليهم ما وعدتهم به من الهلاك.

١٥ - أعطلت ارادتنا أو عوقت قدرتنا، فعجزنا عن الخلق الأول، فلا نستطيع اعادتهم ؟! لم نعجز باعترافهم، بل هم فى ريب وشبهة من خلق جديد بعد الموت.

١٦ - أقسم : لقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تحدثه به نفسه، ونحن - بعلمنا بأحواله كلها - أقرب إليه من عرق الوريد، الذى هو أقرب شىء منه.

١٧ - إذ يتلقى الملكان الحافظان، أحدهما عن اليمين قعيد، والآخر عن الشمال قعيد، لتسجيل أعماله.

---

(١) السماء كل مايعلونا وتسبح فيه أجرام مختلفة، منها النجوم والكواكب، وذلك بنظام دقيق، وتناسق تام، كما أنها تحتفظ بأوضاعها طبقا لقوانين الجاذبية فلا يصيبها خلل.

(٢) القشرة الأرضية مرتفعة فى مواضع معينة هى الجبال، ومنخفضة فى مواضع أخرى هى قيعان المحيطات، وتتوازن أثقال هذه الأجزاء بعضها مع بعض. ومن قدرة الله وحكمته أن أوجد هذا التوازن، وجعله ثابتا عن طريق انسياب المواد الأرضية المكونة للقشرة الرقيقة تحت الطبقات السطحية، وذلك من الأثقل إلى المكان الأقل ثقلا.

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ

---

١٨ - ما يتكلم به من قول الا لديه ملك حافظ مهيأ لكتابة قوله.

١٩ - وجاءت غشية الموت بالحق، الذى لا مرية فيه، ذلك الأمر الحق ما كنت تهرب منه.

٢٠ - ونفخ فى الصور نفخة البعث، ذلك النفخ يوم وقوع العذاب الذى توعدهم به.

٢١ - وجاءت كل نفس برة أو فاجرة معها من يسوقها إلى المحشر، ومن يشهد بعملها.

٢٢ - ثم يقال - تقريعا للمكذب: لقد كنت فى الدنيا فى غفلة تامة من هذا الذى تقاسيه، فأزلنا عنك الحجاب الذى يغطى عنك أمور الآخرة، فبصرك اليوم نافذ قوى.

٢٣ - وقال شيطانه الذى كان مقيضا له فى الدنيا: هذا الكافر الذى عندى مهيأ لجهنم باضلالى.

٢٤، ٢٥ - يقال للملكين: ألقيا فى جهنم كل مبالغ فى الكفر، مبالغ فى العناد، وترك الانقياد للحق، مبالغ فى المنع لكل خير، ظالم متجاوز للحق، شاك فى الله تعالى وفيما أنزله.

٢٦ - الذى اتخذ مع الله إلها آخر يعبده، فألقياه فى العذاب البالغ غاية الشدة.

٢٧ - قال الشيطان ردا لقول الكافر: ربنا ما أطغيته، ولكن كان فى ضلال بعيد عن الحق، فأعنته عليه باغوائى.

٢٨ - قال تعالى للكافرين وقرنائهم: لا تختصموا عندى فى موقف الحساب والجزاء، وقد قدمت اليكم فى الدنيا وعيدا على الكفر فى رسالتى اليكم، فلم تؤمنوا.

٢٩ - ما يغير القول الذى عندى ووعيدى بادخال الكافرين النار، ولست بظلام للعبيد فلا أعاقب عبدا بغير ذنب.

مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾

---

٣٠ ـ يوم نقول لجهنم تقريعاً للكافرين : هل امتلأت ، وتقول جهنم غضباً عليهم : هل من زيادة استزيد بها من هؤلاء الظالمين ؟

٣١ ـ وأدنيت الجنة مزينة للذين اتقوا ربهم ـ بامتثال أمره واجتناب نهيه ـ مكاناً غير بعيد منهم .

٣٢ ـ هذا الثواب الذى توعدون به لكل رجاع الى الله ، شديد الحفظ لشريعته .

٣٣ ـ من خاف عقاب من وسعت رحمته كل شىء ، وهو غائب عنه لم يره ، وجاء فى الآخرة بقلب راجع اليه تعالى .

٣٤ ـ يقال تكريماً لهم : ادخلوا الجنة آمنين ، ذلك اليوم الذى دخلتم فيه الجنة هو يوم البقاء الذى لا انتهاء له .

٣٥ ـ لهؤلاء المتقين كل ما يشاءون فى الجنة ، وعندنا مزيد من النعيم مما لا يخطر على قلب بشر .

٣٦ ـ وكثيراً أهلكنا من قبل هؤلاء المكذبين من أهل القرون الماضية ، هم أشد من هؤلاء قوة وتسلطاً ، فطوفوا فى البلاد وأمعنوا فى البحث والطلب ، هل كان لهم مهرب من الهلاك ؟

٣٧ ـ إن فيما فعل بالأمم الماضية لعظة لمن كان له قلب يدرك الحقائق ، أو أصغى إلى الهداية وهو حاضر بفطنته .

٣٨ ـ أقسم : لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من الخلائق فى ستة أيام ، وما أصابنا أى إعياء[1] .

٣٩ ، ٤٠ ـ إذا تبين ذلك ، فاصبر أيها الرسول على ما يقول هؤلاء المكذبون من الزور والبهتان فى شأن رسالتك ، ونزه خالقك ومربيك عن كل نقص ، حامداً له وقت الفجر ، ووقت العصر ، لعظم العبادة فيهما ، ونزهه فى بعض الليل وأعقاب الصلاة .

---

(١) يراجع فى شأن معنى الأيام التعليق العلمى على الآيات من رقم ٩ ـ ١٢ من سورة فصلت .

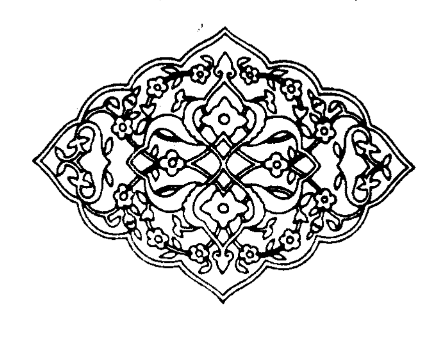
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

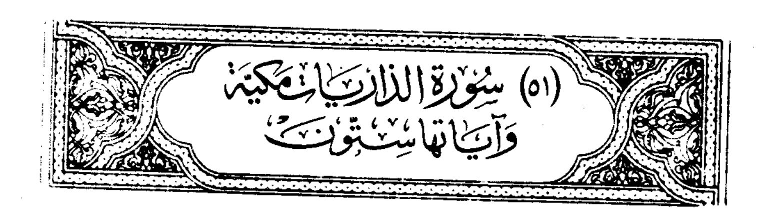
٤١ ، ٤٢ - واستمع لما أخبرك به من حديث القيامة لعظم شأنه ، يوم ينادى الملك المنادى من مكان قريب ممن يناديهم ، يوم يسمعون النفخة الثانية بالحق الذى هو البعث . ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور .

٤٣ - انا - نحن - وحدنا - نحيى الخلائق ونميتهم فى الدنيا ، وإلينا - وحدنا - الرجوع فى الآخرة .

٤٤ - يوم تنشق الأرض عنهم فيخرجون منها مسرعين إلى المحشر . . . ذلك الأمر العظيم حشر هين ويسير علينا وحدنا .

٤٥ - نحن أعلم بكل ما يقولون من الأكاذيب فى شأن رسالتك وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على ما تريد ، وإنما أنت منذر فذكر بالقرآن المؤمن الذى يخاف عقابى ، فتنفعه الذكرى .





بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى

بدأت السورة بالقسم على صدق البعث ووقوع الجزاء ، ثم أردفت بقسم آخر على اضطراب المنكرين فيما يقولونه عن رسول الله وعن القرآن الكريم ، ثم انتقلت الى إنذار المنكرين بسوء مآلهم فى الآخرة ، وإلى تصوير ما أعد للمتقين فيها جزاء ما قدموا من أعمال صالحة فى الدنيا . ثم نبهت إلى تأمل آيات الله فى الكون وفى الأنفس ، وما أودع فيهما من عجائب الصنع ولطائف الخلق .

وتحدثت عن قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة ، ثم عرضت لأحوال بعض الأمم ، وما أصابهم من الهلاك بتكذيبهم لأنبيائهم ، ثم أشارت باجمال إلى بعض الآيات الكونية ، وحثت على الرجوع إلى الله ، وافراده بالعبادة التى هى الغاية من خلق الجن والانس ، وختمت بانذار من كذبوا رسول الله - ﷺ - بعذاب مثل العذاب الذى أصاب الأمم قبلهم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - أقسم بالرياح المثيرات للسحاب ، تدفعها دفعاً ، فالحاملات منها ثقلاً عظيماً من الماء ، فالجاريات به ميسراً بتسخير الله ، فالمقسمات رزقاً يسوقه الله الى من يشاء .

٥ ، ٦ - ان الذى توعدونه من البعث وغيره لمحقق الوقوع ، وان الجزاء على أعمالكم لحاصل لا محالة .

٧ ، ٨ - أقسم بالسماء ذات الطرائق المحكمة : انكم إذ تقولون - ما تقولون لفى قول مضطرب .

٩ - ينصرف عن الايمان بذلك الوعد الصادق والجزاء الواقع من صرف عنه ، لايثاره هواه على عقله .

١٠ ، ١١ - هلك الكذابون القائلون فى شأن القيامة بالظن والتخمين ، الذين هم مغمورون فى الجهل ، غافلون عن أدلة اليقين .

١٢ - يسألون مستهزئين مستبعدين : متى يوم الجزاء ؟ !

ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ

---

١٣ - يوم هم موقوفون على النار، يصهرون بها.

١٤ - يقال لهم: ذوقوا عذابكم هذا الذى كنتم فى الدنيا تستعجلون وقوعه.

١٥ - ان الذين أطاعوا الله وخافوه ينعمون فى جنات وعيون لا يحيط بها الوصف.

١٦ - متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب والتكريم، انهم كانوا قبل ذلك - فى الدنيا - محسنين فى أداء ما طلب منهم.

١٧، ١٨ - كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويستيقظون أكثر للعبادة، وبأواخر الليل هم يستغفرون.

١٩ - وفى أموالهم نصيب ثابت للمحتاجين، السائلين منهم والمحرومين المتعففين.

٢٠ - وفى الأرض دلائل واضحات موصلة إلى اليقين، لمن سلك طريقه.

٢١ - وفى أنفسكم كذلك آيات واضحات، أغفلتم عنها فلا تبصرون دلالتها؟!

٢٢ - وفى السماء أمر رزقكم وتقدير ما توعدون.

٢٣ - فأقسم برب السماء والأرض: ان كل ما تنكرون من وقوع البعث والجزاء وتعذيب المكذبين واثابة المتقين، لثابت مثل نطقكم الذى لا تشكون فى وقوعه منكم.

٢٤، ٢٥ - هل علمت قصة الملائكة أضياف ابراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه فقالوا: سلاماً، قال: سلام، قوم غير معروفين.

٢٦، ٢٧ - فذهب إلى أهله فى خفية، فجاء بعجل سمين، فقربه اليهم، فلم يأكلوا منه قال منكراً حالهم: ألا تأكلون؟!

مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾

---

٢٨ ـ فأحس فى نفسه خوفاً منهم، قالوا: لا تخف، وبشروه بغلام له حظ وافر من العلم.

٢٩ ـ فأقبلت امرأته فى صيحة حين سمعت البشارة، فضربت وجهها بيدها ـ استبعاداً وتعجباً ـ وقالت: أنا عجوز عاقر، فكيف ألد؟!

٣٠ ـ قالوا: كذلك قضى ربك، انه هو الحكيم فى كل ما يقضى، العليم الذى لا يخفى عليه شىء.

٣١ ـ قال إبراهيم: فما شأنكم ـ بعد هذه البشارة ـ أيها المرسلون؟!

٣٢، ٣٣، ٣٤ ـ قالوا: إنا أرسلنا الى قوم مفرطين فى العصيان، لنلق عليهم حجارة من طين لا يعلم كنهه إلا الله، معلمة مخصصة عند ربك للمجاوزين الحد فى الفجور.

٣٥، ٣٦ ـ فقضينا باخراج من كان فى تلك القرية من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين.

٣٧ ـ وتركنا فيها علامة على هلاك أهلها، ليعتبر بها الذين يخافون العذاب الأليم.

٣٨ ـ وفى قصة موسى عظة، اذ أرسلناه الى فرعون مؤيداً ببرهان بين.

٣٩ ـ فأعرض فرعون عن الايمان بموسى معتداً بقوته، وقال: هو ساحر أو مجنون.

٤٠ ـ فأخذناه ومن اعتز بهم، فرميناهم فى البحر، وهو مقترف ما يلام عليه من الكفر والعناد.

٤١ ـ وفى قصة عاد عظة، إذ ارسلنا عليهم الريح التى لا خير فيها.

مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ

٤٢ - ما تترك من شيء مرت عليه الا جعلته كالعظم البالى.

٤٣ ، ٤٤ - وفى قصة ثمود آية ، اذ قيل لهم : تمتعوا فى داركم الى وقت معلوم ، فتجبروا وتعالوا عن الاستجابة لأمر ربهم ، فأهلكتهم الصاعقة وهم يعاينون وقوعها بهم.

٤٥ - فما تمكنوا من نهوض ، وما كانوا قادرين على الانتصار بدفع العذاب.

٤٦ - وقوم نوح أهلكناهم من قبل هؤلاء ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.

٤٧ ، ٤٨ - والسماء أحكمناها بقوة ، وإنا لقادرون على أكثر من ذلك(١). والأرض بسطناها ، فنعم المهيئون لها نحن كالمهاد.

٤٩ - ومن كل شيء خلقنا صنفين ، مزدوجين ، لعلكم تتذكرون فتؤمنوا بقدرتنا

٥٠ ، ٥١ - فسارعوا إلى طاعة الله ، ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر ، انى لكم من الله نذير مبين عاقبة الاشراك.

٥٢ - كذلك كان شأن الأمم مع رسلهم ، ما أتى الذين من قبل قومك من رسول الا قالوا : ساحر أو مجنون.

٥٣ - أأوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى تواردوا عليه ؟ ! بل هم قوم متجاوزون الحدود فتلاقوا فى الطعن على الرسل.

٥٤ - فأعرض عن هؤلاء المعاندين ، فما أنت بملوم على عدم استجابتهم.

---

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية كثيرة ، منها أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون الواسع بقوة وهو على مايشاء قدير ، ومعنى السماء فى الآية كل ماعلا الجرم (الشيء) وأظله ، فكل ماحول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية ومجرات (سماء) هذا الجزء المرئى من الكون متسع اتساعا لا يدركه العقل ولا يتسنى تحديده ، إذ المسافات فيه تقاس بملايين السنين الضوئية والسنة الضوئية ، على ما أثبته العلم الحديث فى هذا القرن العشرين هى المسافة التى يقطعها الضوء بسرعة تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية ، وعبارة الآية الكريمة (وانا لموسعون) تشير إلى ذلك : أى إلى تلك السعة المذهلة التى عليها الكون منذ خلقه.

كما أنها تشير أيضا إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن ، وهو ما أثبته العلم الحديث أيضا ، وعرف بنظرية التمدد التى أصبحت حقيقة علمية فى أوائل هذا القرن ، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التى نعيش فيها تبتعد عنا بسرعات متفاوتة بل ان الأجرام السماوية فى المجرة الواحدة تبتعد بعضها عن بعض.

تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

---

٥٥ ـ ودم على التذكير، فان الذكرى تزيد المؤمنين بصيرة وقوة يقين.

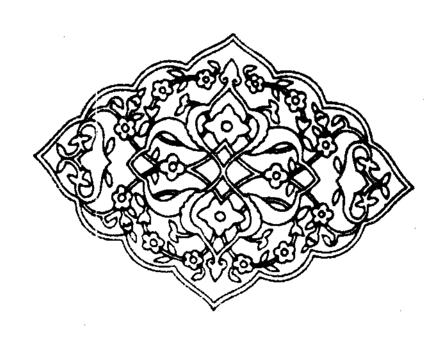
٥٦ ـ وما خلقت الجن والانس لشيء يعود على بالنفع، وانما خلقتهم ليعبدونى، والعبادة نفع لهم.

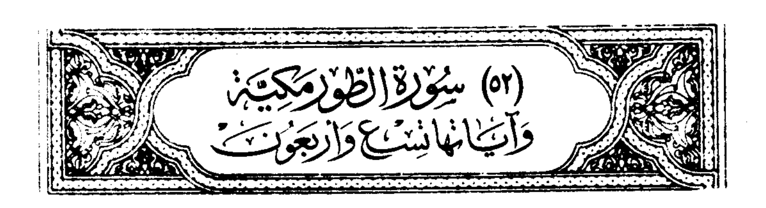
٥٧ ـ ما أريد منهم من رزق، لأنى غنى عن العالمين، وما أريد أن يطعمونى لأنى أطعم ولا أطعم.

٥٨ ـ ان الله ـ وحده ـ هو المتكفل برزق عباده، وهو ذو القوة، الشديد الذى لا يعجز.

٥٩ ـ فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم من الأمم الماضية، فلا يستعجلونى بإنزال العذاب قبل أوانه.

٦٠ ـ فهلاك للذين كفروا من يومهم الذى يوعدونه، لما فيه من الشدائد والأهوال.





بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾

بدأت السورة بالقسم بخمسة من أعظم المخلوقات على وقوع العذاب بالمكذبين ، ثم خلصت إلى الحديث عن نزوله بهم ، وألوانه معهم يوم البعث والجزاء ، وانتقلت إلى الحديث عن نعيم المتقين وما يتفكهون به فى جنات الخلد وما ينالون من صنوف الاكرام ، ثم ما تقر به أعينهم من اتباع ذريتهم بهم ، ورفع درجتهم اليهم . وأعقبت ذلك أمر رسول الله - ﷺ - بالمداومة على التذكير دون مبالاة بما يتقول عليه الكافرون ، أو التفات لما يصفون به القرآن الكريم ، مظهرة عجزهم عن أن يأتوا بحديث مثله .

كما سفهت كثيراً من آرائهم الفاسدة اعلاناً لضلالهم ، وسوء تقديرهم ، ثم ختمت بتوجيه الخطاب الى النبى - ﷺ - أن يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون وأمرته أن يصبر لحكم ربه بامهالهم فان ذلك لن يضيره لأنه فى حفظ ربه ورعايته ، كما دعته الى تسبيح الله وتنزيهه فى جميع الأوقات فى كل قيام يكون منه لأى غرض من الأغراض وفى الليل عند غروب النجوم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ - اقسم بجبل طور سيناء الذى كلم عليه موسى ، وبكتاب منزل من عند الله مكتوب فى صحف ميسرة للقراءة ، وبالبيت المعمور بالطائفين والقائمين والركع السجود ، وبالسماء المرفوعة بغير عمد ، وبالبحر المملوء .

٧ ، ٨ - ان عذاب ربك الذى توعد به الكافرين لنازل بهم لا محالة ، ليس له من دافع يدفعه عنهم .

٩ ، ١٠ - يوم تضطرب السماء اضطراباً شديداً ، وتنتقل الجبال من مقارها انتقالاً ظاهراً .

١١ ، ١٢ - فهلاك شديد فى هذا اليوم للمكذبين بالحق ، الذين هم فى باطل يلهون .

١٣ - يوم يدفعون الى نار جهنم دفعاً عنيفاً .

هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

---

١٤ ـ يقال لهم : هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا .

١٥ ـ ابقيتم على انكاركم ، فهذا الذى تشاهدونه من النار سحر ، أم أنتم لا تبصرون ؟

١٦ ـ ادخلوها وذوقوا حرها ، فاصبروا على شدائدها أو لاتصبروا ، فصبركم وعدمه سواء عليكم ، وانما تلاقون اليوم جزاء ما كنتم تعملون فى الدنيا .

١٧ ـ ان المتقين فى جنات فسيحات ، لا يحاط بوصفها ، ونعيم عظيم كذلك .

١٨ ـ متنعمين بما أعطاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب النار .

١٩ ـ يقال لهم : كلوا طعاماً هنيئاً ، واشربوا شراباً سائغاً ، جزاء بما كنتم تعملون فى الدنيا .

٢٠ ـ جالسين متكئين على أرائك مصفوفة ، وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسانها .

٢١ ـ والذين آمنوا واستحقوا درجات عالية ، واتبعتهم ذريتهم بإيمان ، ولم يبلغوا درجات الآباء ، ألحقنا بهم ذريتهم ، لتقر أعينهم بهم ، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم . ولا يحمل الآباء شيئاً من أخطاء ذرياتهم ، لأن كل انسان مرهون بعمله ، لا يؤخذ به غيره .

٢٢ ـ وزدناهم بفاكهة كثيرة ، ولحم مما يشتهون .

٢٣ ـ يتجاذبون فى الجنة ـ متوادين ـ كأساً مليئة بالشراب ، لا يكون منهم بشربها كلام باطل ، ولا عمل يستوجب الاثم .

٢٤ ـ ويطوف عليهم غلمان معدون لخدمتهم ، كأنهم فى الصفاء والبياض لؤلؤ مصون .

عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ

٢٥ - وأقبل بعض أهل الجنة على بعض ، يسأل كل صاحبه عن عظم ما هم فيه وسببه .

٢٦ ، ٢٧ - قالوا : إنا كنا قبل هذا النعيم بين أهلينا خائفين من عذاب الله ، فمن الله علينا برحمته ووقانا عذاب النار .

٢٨ - انا كنا من قبل فى الدنيا نعبده ، انه وحده هو المحسن الواسع الرحمة .

٢٩ - فدم على ما أنت عليه من التذكير ، فما أنت بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن ، تخبر بالغيب دون علم ، ولا مجنون تقول ما لا تقصد .

٣٠ ، ٣١ - بل أيقولون هو شاعر ، ننتظر به نزول الموت ، قل تهديداً لهم ، انتظروا فإنى معكم من المنتظرين عاقبة أمرى وأمركم .

٣٢ - بل أتأمرهم عقولهم بهذا القول المتناقض ، فالكاهن والشاعر ذو فطنة وعقل ، والمجنون لا عقل له ، بل هم قوم مجاوزون الحد فى العناد .

٣٣ - بل أيقولون : اختلق محمد القرآن ؟ بل هم لمكابرتهم لا يؤمنون .

٣٤ - فليأتوا بحديث مثل القرآن ، ان كانوا صادقين فى قولهم ان محمداً اختلقه .

٣٥ - بل أخلقوا من غير خالق ، أم هم الذين خلقوا انفسهم ، فلا يعترفون بخالق يعبدونه ؟ .

٣٦ - بل أخلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع ؟ بل هم لا يوقنون بما يجب للخالق ، فلهذا يشركون به .

٣٧ - بل أعندهم خزائن ربك يتصرفون فيها ، بل أهم القاهرون المدبرون للأمور كما يشاءون ؟ .

مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

---

٣٨ ـ بل ألهم مرقى يصعدون فيه الى السماء ، فيستمعون ما يقضى به الله ؟ فليأت مستمعهم بحجة واضحة تصدق دعواه .

٣٩ ـ بل ألله البنات كما تزعمون ، ولكم البنون كما تحبون ؟ .

٤٠ ـ بل أتسألهم شيئاً من الأجر على تبليغ الرسالة ، فهم لما يلحقهم من الغرامة مثقلون متبرمون ؟ .

٤١ ـ بل أعندهم علم الغيب ، فهم يكتبون منه ما شاءوا ؟ .

٤٢ ـ بل أيريدون مكراً بك وابطالاً لرسالتك ؟ ، فالذين كفروا هم الذين يحيق بهم مكرهم .

٤٣ ـ أم لهم معبود غير الله يمنعهم من عذاب الله ، تنزيهاً لله عما يشركون .

٤٤ ـ وان يشاهدوا جزءاً من السماء ساقطاً عليهم لعذابهم ، يقولوا عناداً : هو سحاب متجمع .

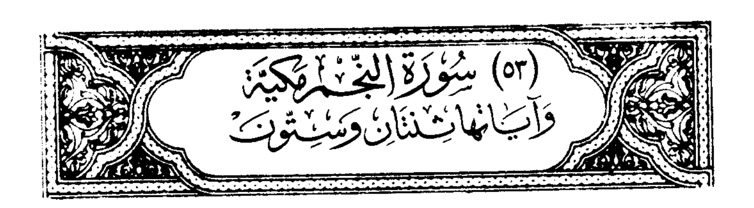
٤٥ ـ فدعهم غير مكترث بهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يهلكون .

٤٦ ـ يوم لا يدفع عنهم مكرهم شيئاً من العذاب ولا هم يجدون ناصراً .

٤٧ ـ وان للذين ظلموا عذاباً غير العذاب الذى يهلكون به فى الدنيا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

٤٨ ـ واصبر لحكم ربك بامهالهم ، وعلى ما يلحقك من أذاهم ، فانك فى حفظنا ورعايتنا ، فلن يضرك كيدهم ، وسبح بحمد ربك حين تقوم .

٤٩ ـ وتخير جزءاً من الليل فسبحه فيه ، وسبحه وقت ادبار النجوم .



بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

القسم فى مستهل هذه السورة يجلى صدق الرسول - ﷺ - فيما يتحدث به من خبر الوحى ، وما يبلغه عنه ، ما ضل فى شىء منه وما غوى ، وصدق الرسول - ﷺ - فيما تحدث به عن رحلته الى السماء ، فى حادث المعراج ، ما زاغ بصره وما طغى .

ثم تنتقل السورة إلى الحديث عن تفاهة عقول الكافرين فى عبادتهم لأصنام اصطنعوها بأيديهم ، وسموها بأسماء من عندهم ، كما سموا الملائكة إناثاً بعد أن جعلوا لله البنات ، واختصوا انفسهم بالذكور .

ثم تطلب إلى الرسول - ﷺ - الاعراض عنهم ، وترك أمرهم الى الله الذى له ما فى السموات والأرض ملكاً وخلقاً ، والذى سيجازى المسىء باساءته ، والمحسن باحسانه ، وهو أعلم بجميع أطوار خلقه وأحوالهم ، متبعة ذلك بالتنديد بمن أنكر حساب كل انسان على عمله ، كما جرت بذلك الشرائع السابقة ، وأخبرت صحف موسى وابراهيم . وقررت الآيات كل هذه المعانى بما عرضت من صور القدرة وآيات الله فى الأمم السابقة .

ثم تختم بتوضيح ان القرآن نذير من النذر التى أنذرت بها الأمم السابقة ، ليخشوا يوم القيامة الذى قرب وقته ، وتنعى على الكافرين بالقرآن غفلتهم عن ذلك ، واستبدالهم الضحك مكان بكائهم واتعاظهم به ، وقد طلبت الى المؤمنين أن يسجدوا لله الذى أنزله ويعبدونه .

١ ، ٢ - أقسم بالنجم اذا هوى للغروب : ما عدل محمد عن طريق الحق وما اعتقد باطلاً .

٣ - وما يصدر نطقه فيما يتكلم به من القرآن عن هوى نفسه .

٤ - ما القرآن الذى ينطق به إلا وحى من الله يوحيه إليه .

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ

---

٥ - علمه هذا الوحى ملك شديد القوى.

٦ ، ٧ - ذو حصافة فى عقله ورأيه ، فاستقام على صورته ، وهو بالجهة العليا من السماء المقابلة للناظر.

٨ ، ٩ - ثم قرب جبريل منه ، فزاد فى القرب ، فكان دنوه قدر قوسين ، بل أدنى من ذلك.

١٠ - فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله ما أوحاه ، وأنه أمر عظيم الشأن بعيد الأثر.

١١ - ما أنكر فؤاد محمد ما رآه بصره.

١٢ - أتكذبون رسول الله ، فتجادلونه على ما يراه معاينة ؟ !

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ - ولقد رأى محمد جبريل على صورته مرة أخرى ، فى مكان لا يعلم علمه الا الله ، سماه « سدرة المنتهى » ، وأنبأ أن عنده جنة المأوى ، اذ يغشاها ويغطيها من فضل الله ما لا يحيط به وصف ، ما مال بصر محمد عما رآه ، وما تجاوز ما أمر برؤيته.

١٨ - لقد رأى كثيراً من آيات الله وعجائبه العظمى.

١٩ ، ٢٠ - أعلمتم ذلك ففكرتم فى شأن اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، التى اتخذتموها آلهة تعبدونها ؟ !

٢١ - أقسمتم الأمر فجعلتم لأنفسكم الذكور ، وجعلتم لله الاناث ؟ !

٢٢ - تلك - اذن قسمة جائرة ، اذ تجعلون لله ما تكرهون.

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

٢٣ ـ ما الأصنام الا مجرد اسماء ليس فيها شيء من معنى الألوهية ، سميتموها أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة ، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها ، ما يتبعون الا الظن وما تهواه النفوس المنحرفة عن الفطرة السليمة ، ولقد جاءهم من ربهم ما فيه هدايتهم لو اتبعوه .

٢٤ ، ٢٥ ـ بل ليس للانسان ما تمناه ، من شفاعة هذه الأصنام أو غير ذلك مما تستهيه نفسه ، فلله وحده ـ أمر الآخرة ، والدنيا جميعاً .

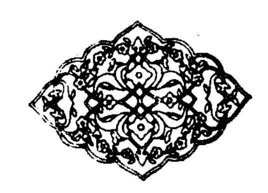
٢٦ ـ وكثير من الملائكة فى السموات مع علو منزلهم لا تغنى شفاعتهم شيئاً ـ ما ـ إلا بعد إذنه تعالى للشفيع ورضاه عن المشفوع له .

٢٧ ـ إن الذين لا يؤمنون بالدار الآخرة ليصفون الملائكة بالأنوثة ، فيقولون : الملائكة بنات الله !

٢٨ ـ وما لهم بهذا القول من علم ، ما يتبعون فيه الا ظنهم الباطل وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً .

٢٩ ـ فانصرف عن هؤلاء الكافرين الذين أعرضوا عن القرآن ولم يكن همهم الا الحياة الدنيا ، جاهدين فيا يصلحها .

٣٠ ـ ذلك الذى يتبعونه فى عقائدهم وأعمالهم منتهى ما وصلوا اليه من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن أصر على الضلال ، وهو أعلم بمن شأنه قبول الاهتداء .



لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

---

٣١ - ولله - وحده - ما فى السموات وما فى الأرض خلقاً وتدبيراً . ليجزى الضالين المسيئين بعملهم ، ويجزى المهتدين المحسنين بالمثوبة الحسنى .

٣٢ - الذين يجتنبون ما يكبر عقابه من الذنوب وما يعظم قبحه منها ، لكن الصغائر من الذنوب يعفو الله عنها ، ان ربك عظيم المغفرة ، هو أعلم بأحوالكم ، اذ خلقكم من الأرض ، وإذ انتم أجنة فى بطون أمهاتكم فى أطواركم المختلفة ، فلا تصفوا أنفسكم بالتزكى تمدحاً وتفاخراً . هو أعلم بمن اتق ، فزكت نفسه حقيقة بتقواه .

٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ - اتأملت فرأيت الذى أعرض عن اتباع الحق ، واعطى شيئاً قليلاً من المال ، وقطع العطاء ؟ ! أعنده علم الغيب فهو منكشف له عما يدفعه الى التولى عن الحق والبخل بالمال ؟ ! .

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - بل ألم يخبر بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى بلغ الغاية فى الوفاء بما عاهد الله عليه : أنه لا تحمل نفس أثم نفس أخرى ؟ !

٣٩ - وأنه ليس للانسان الا جزاء عمله .

٤٠ - وان عمله سوف يعلن ، فيرى يوم القيامة تشريفاً للمحسن وتوبيخاً للمسىء .

٤١ - ثم يجزى الإنسان عن عمله الجزاء الأوفر .



ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾

---

٤٢ - وأن إلى ربك - لا إلى غيره - المعاد.

٤٣ - وانه هو - وحده - بسط اسارير الوجوه وقبضها، وخلق أسباب البسط والقبض.

٤٤ - وأنه هو - وحده - سلب الحياة ووهبها.

٤٥، ٤٦ - وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى - من الإنسان والحيوان من نطفة دافقة[١].

٤٧ - وأن عليه الاحياء بعد الاماتة.

٤٨ - وأنه هو أعطى ما يكفى، وأرضى بما يقتنى ويدخر.

٤٩ - وأنه هو رب هذا الكوكب العظيم المسمى بالشعرى[٢].

٥٠، ٥١ - وأنه أهلك عاداً الأولى قوم هود، وأهلك ثمود قوم صالح، فما أبقى عليهم.

٥٢ - وأهلك قوم نوح من قبل هلاك عاد وثمود، انهم كانوا هم أكثر ظلماً وأشد طغياناً من عاد وثمود.

٥٣ - والقرى المنقلبة بقوم لوط هو الذى قلبها.

٥٤، ٥٥ - فأحاط بها من العذاب ما أحاط، فبأى نعمة من نعم ربك ترتاب!

٥٦ - هذا القرآن نذير من جنس النذر الأولى التى أنذرت بها الأمم السابقة.

---

(١) المقصود بالآية الكريمة الدلالة على قدرة الله تعالى بأنه خلق الذكور والاناث جميعا من الناس والحيوانات من نطفة يشترك فى إفرازها الذكر والأنثى، وهى على دقة محتوياتها وصغر حجمها ينبوع الحياة ومصدر الأحياء، وأن الإعجاز القرآنى كما يتضح فى الآية الكريمة إذ تذكر أن العالم لم يكن يعلم إلى عهد قريب أن فى سائل الذكر حيوانات منوية وأن فى سائل الأنثى بويضات، فاذا التقى حيوان منوى وبويضة واتحدا حدث الاخصاب والحمل، وهذه حقيقة سبق القرآن الكريم إلى ذكرها قبل أن يكشف عنها العلم.

(٢) المراد هنا الشعرى اليمانية وهى ألمع نجم فى كوكبة الكلب الأكبر وألمع ما يرى من نجوم السماء، وتشاهد جنوبى الاستواء السماوى بمقدار ١٨ درجة، وتسمى بالنجم الكلبى وكانت تعرف بهذا الاسم منذ نحو ثلاثة آلاف سنة. وأشير إليها بكلب فى الآثار الفرعونية، وقد =

أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ۩

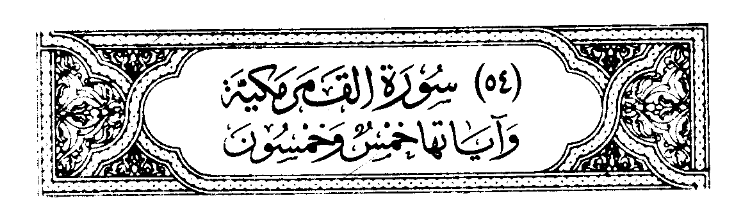
---

٥٧ ، ٥٨ ـ قربت القيامة ، ليس لها من دون الله من يكشف عن وقت وقوعها .

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ـ أتجحدون كل حق فمن هذا القرآن تعجبون انكارا ، وتضحكون استهزاء وسخرية ، ولا تبكون كما يفعل الموقنون ، وأنتم لاهون متكبرون ؟ !

٦٢ ـ فاسجدوا لله الذى أنزل القرآن هدى للناس ، وأفردوه بالعبادة جل جلاله .

= اختصها الله بالذكر لأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، وكان قدماء المصريين يعبدونها أيضا ، لأن ظهورها من جهة الشرق حوالى منتصف شهر يوليه قبل شروق الشمس يتفق مع زمن الفيضان فى مصر الوسطى أى مع أهم حادث فى العالم وهذا الحادث قد يكون أول تحديد لطول السنة فى العالم كله لأن ظهور الشعرى قبيل شروق الشمس لا يحدث إلا مرة واحدة فى العام ، فهذا ابتداء عام جديد .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾

جاءت الآية الأولى من هذه السورة تنبه الأسماع إلى اقتراب القيامة ، وتحذر الناس أمرها ، ثم جاءت آيات بعدها توضح موقف الكفار من المعجزات ، واصرارهم على التكذيب ، وتطلب إلى رسول الله - ﷺ - الإعراض عنهم وإمهالهم ليوم يخرجون فيه الأجداث كأنهم جراد منتشر .

وتتابعت الآيات بعد ذلك ، تعرض أطرافا من أحوال الأمم السابقة مع رسلهم ، والعذاب الذى حاق بهم ، وبين كل قصة وأخرى تنبه الأذهان إلى أن القرآن الكريم ميسر لمن يطلب العظة والاعتبار .

منتهية إلى بيان أن كفار مكة ليسوا أقوى ولا أشد من الأمم السابقة ، وأنه ليس لهم أمان من العذاب ، ثم ختمت السورة بتهديد المكذبين المعاندين بمصائرهم يوم يسحبون فى النار على وجوههم ، ويقال لهم : ذوقوا مس جهنم التى كنتم بها تكذبون ، وتطمئن المتقين إلى منازلهم فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

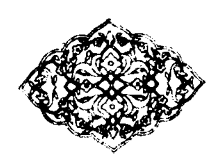
١ - دنت القيامة وسينشق القمر لا محالة .

٢ - وإن ير الكفار معجزة عظيمة يعرضوا عن الايمان بها ، ويقولوا : هى سحر دائم متتابع !

٣ - وكذبوا الرسل واتبعوا ما تزينه لهم أهواؤهم ، وكل أمر منته إلى غاية يستقر عليها .

٤ - وأقسم لقد جاء الكفار من أخبار الأمم السابقة والحقائق الكونية ما فيه كفاية لزجرهم .

٥ - هذا الذى جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها . فأى نفع تفيد النذر من انصرف عنها ؟ !



فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ

---

٦ ـ فأعرض ـ يا محمد ـ عن هؤلاء الكفار ، وانتظر يوم يدعو داعى الله إلى أمر شديد تنكره النفوس ! !

٧ ـ خاضعة أبصارهم من شدة الهول ، يخرجون من القبور كأنهم ـ فى الكثرة والسرعة ـ جراد منتشر ! !

٨ ـ مسرعين إلى الداع ، ينظرون إليه فى ذل وخضوع ، لا يتحول بصرهم عنه ، يقول الكافرون يوم القيامة : هذا يوم صعب شديد .

٩ ـ كذبت قبل كفار مكة قوم نوح ، فكذبوا نوحا عبدنا ورسولنا ورموه بالجنون ، وحالوا بأنواع الأذى والتخويف بينه وبين تبليغ الرسالة .

١٠ ـ فدعا نوح ربه انى مغلوب من قومى ، فانتقم لى منهم .

١١ ، ١٢ ـ ففتحنا أبواب السماء بماء منصب كثير متتابع ، وشققنا الأرض عيونا متفجرة بالماء . فالتقى ماء السماء وماء الأرض على اهلاكهم الذى قدره الله تعالى .

١٣ ، ١٤ ـ وحملنا نوحا على سفينة من خشب ، وخيوط من ليف تشد ألواحها ، تجرى على الماء بحفظنا ، جزاء لنوح الذى استمر قومه على تكذيب دعوته .

١٥ ـ ولقد تركنا حادثة اغراق الكافرين وانجاء المؤمنين عظة ، فهل من متعظ ! !

١٦ ـ فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين ! !

١٧ ـ وأقسم لقد سهلنا القرآن للتذكر والاتعاظ ، فهل من متعظ ؟ !

١٨ ـ كذبت عاد رسولهم هودا ، فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين ! !

نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ

---

١٩ ، ٢٠ - انا سلطنا عليهم ريحا باردة مدوية فى يوم شؤم دائم ، تقلع الناس من أماكنهم ، وترمى بهم على الأرض صرعى ، كأنهم أصول نخل منقلع من مغارسه .

٢١ - فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين ! !

٢٢ - ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ ! !

٢٣ - كذبت ثمود بانذارات نبيهم صالح .

٢٤ - فقالوا : أبشرا من عامتنا لا عصبية له نتبعه ؟ ، انا إذا اتبعناه لنى بعد عن الحق وجنون .

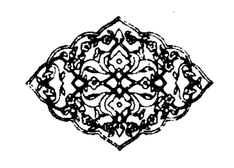
٢٥ - أنزل الوحى عليه من بيننا وفينا من هو أحق منه ؟! بل هو كثير الكذب ، منكر للنعمة .

٢٦ - سيعلمون قريبا يوم ينزل بهم العذاب ، من الكذاب المنكر للنعمة ، أهم أم صالح رسولهم ؟ !

٢٧ - انا مرسلو الناقة آية لرسولنا صالح امتحانا لهم ، فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون ، واصبر على أذاهم حتى يأتى أمر الله .

٢٨ - ونبئهم أن الماء مقسوم بينهم وبين الناقة ، كل نصيب يحضره صاحبه فى يومه .

٢٩ ، ٣٠ - فنادوا صاحبهم ، فتهيأ لعقر الناقة ، فعقرها . فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين ؟ !



ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم

---

٣١ ـ انا سلطنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا بها كشجر يابس يجمعه من يريد اتخاذ حظيره ! !

٣٢ ـ ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ !

٣٣ ـ كذبت قوم لوط بانذارات رسولهم .

٣٤ ، ٣٥ ـ انا أرسلنا عليهم ريحا شديدة ترميهم بالحصى ، الا آل لوط المؤمنين نجيناهم من هذا العذاب آخر الليل ، انعاما عليهم من عندنا ، كذلك الإنعام العظيم نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة .

٣٦ ـ ولقد خوف لوط قومه أخذتنا الشديدة ، فشكوا فى انذاراته تكذيبا له .

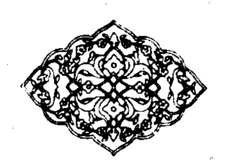
٣٧ ـ ولقد أرادوا منه تمكينهم من ضيفه ، فمحونا أبصارهم جزاء ما أرادوا ، فقل لهم تهكما : تجرعوا عذابى وانذاراتى .

٣٨ ، ٣٩ ـ ولقد فاجأهم فى الصباح الباكر عذاب ثابت دائم ، فقيل لهم : تجرعوا عذابى وانذاراتى .

٤٠ ـ ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ ؟ !

٤١ ـ ولقد جاء آل فرعون الانذارات المتتابعة .

٤٢ ـ كذبوا بآياتنا ومعجزاتنا التى جاءت على يد رسلنا ، فأهلكناهم اهلاك قوى لا يغلب ، عظيم القدرة .



بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

---

٤٣ ـ أأنتم ـ أيها الكفار ـ أقوى من أولئكم الأقوام السابقين الذين أهلكوا ! ! بل ألكم براءة من العذاب فيما نزل من الكتب السماوية ! !

٤٤ ـ بل أيقول هؤلاء الكفار : نحن جمع مؤتلف ممتنع على أعدائه لا يغلب ؟ !

٤٥ ـ سيغلب هذا الجمع ، ويفرون مولين الأدبار .

٤٦ ـ بل القيامة موعد عذابهم ، والقيامة أعظم داهية وأقسى مرارة .

٤٧ ـ ان المجرمين من هؤلاء وأولئك فى هلاك وجحيم مستعرة .

٤٨ ـ يوم يجرون فى النار على وجوههم يقال لهم : قاسوا آلام جهنم وحرارتها .

٤٩ ـ انا خلقنا كل شيء ، خلقناه بتقدير على ما تقتضيه الحكمة .

٥٠ ـ وما أمرنا لشيء أردناه إلا كلمة واحدة هى أن نقول له : « كن » فيكون فى سرعة الاستجابة كلمح البصر .

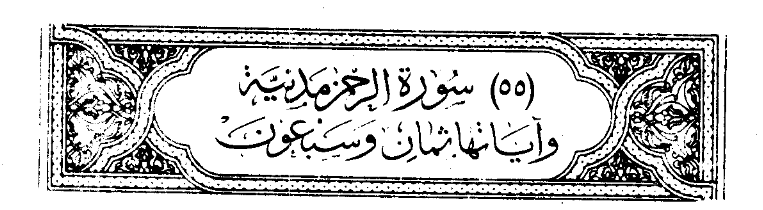
٥١ ـ ولقد أهلكنا أشباهكم فى الكفر ، فهل من متعظ ؟ !

٥٢ ـ وكل شيء فعلوه فى الدنيا مكتوب فى الصحف ، مقيد عليهم .

٥٣ ـ وكل صغير وكبير من الأعمال مكتوب ، لا يغيب منه شيء .

٥٤ ـ ان المتقين فى جنات عظيمة الشأن ، وأنهار متعددة الأنواع .

٥٥ ـ فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ، عند مليك عظيم القدرة .



بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾

أخذت هذه السورة فى تعداد آلاء الله ونعمه ، بادئة بعد ذكر الرحمن بذكر اشرف نعمة : وهى تعليم القرآن الكريم ، ثم سارت الآيات فى عرض هذه الآلاء ، فى صورة توضح عظمة خالقها جل شأنه ، وتبرز قدرته وسلطانه على الانس والجن فى السموات والأرض .

وقد عرضت لعذاب المجرمين المكذبين فى جهنم ، وأفاضت فى نعيم المتقين فى الجنة .

وختمت السورة بتنزيه الله تعالى والثناء عليه .

وقد ذكرت فى السورة آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » إحدى وثلاثين مرة على طريقة القرآن الكريم فى التكرير المستحسن الذى يقتضيه المقام . كل واحدة منها تقرع المكذبين على تكذيبهم نعم الله فى الآية قبلها .

١ ، ٢ ـ الرحمن . علم الإنسان القرآن ويسره له .

٣ ، ٤ ـ أوجد الانسان ، علمه الابانة عما فى نفسه تمييزا له عن غيره .

٥ ـ الشمس والقمر يجريان فى بروجهما بحساب وتقدير لا اخلال فيه[1] .

٦ ـ والنبات الذى لا ساق له ، والشجر الذى يقوم على ساق ، يخضعان لله تعالى فى كل ما يريد بهما .

٧ ، ٨ ـ والسماء خلقها مرفوعة ، وشرع العدل لئلا تتجاوزوا الحد .

٩ ـ وأقيموا الوزن بالعدل فى كل معاملاتكم ولا تنقصوا الميزان .

١٠ ـ والأرض بسطها ومهدها للخلائق ، ينتفعون بها .

١١ ـ فى الأرض أنواع كثيرة من الفاكهة ، وفيها النخل ذات الأوعية التى فيها الثمر .

---

(١) تنص هذه الآية الكريمة على حركة الشمس والقمر تجرى طبقا لنظام دقيق منذ خلقهما الله تعالى ولم نتعرف على دقائق هذا النظام الدقيق إلا حديثا حوالى ٣٠٠ سنة خلت ، حيث تبين أن حركة الشمس الظاهرية حول الأرض وحركة القمر حول الأرض تتم فى مدارات فلكية طبقا لقوانين الجاذبية وهى حسابات رياضية فى غاية العمق والدقة وخصوصا فى حالة القمر .

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ

١٢ ـ وفيها الحب ذو القشر، رزقا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

١٣ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان أيها الثقلان ؟!

١٤، ١٥ ـ خلق جنس الإنسان من طين يابس غير مطبوخ كالخزف، وخلق جنس الجان من لهيب خالص من نار!

١٦ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

١٧ ـ رب مشرق الشمس فى الصيف والشتاء، ورب مغربيها فيهما[1].

١٨ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

١٩، ٢٠ ـ أرسل الله البحرين العذب والملح يتجاوران ويتماس سطوحهما، بينهما حاجز من قدرة الله، لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان.

٢١ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٢٢ ـ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، تتخذون منهما حلية تلبسونها[2].

٢٣ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

---

(١) قد يكون المراد هناك مشرق الشمس والقمر ومغربيهما، ومن ثم تكون الاشارة إلى آية الليل وآية النهار « انظر أيضا التعليق العلمى على الآيات ٧١، ٧٢، ٧٣، من سورة القصص، التى تبدأ بقوله تعالى: « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة ».

ويصح أيضا أن تكون الإشارة هنا إلى الشمس وحدها وهى عماد الحياة فى هذا الكوكب الأرضى فيكون المقصود هو مشرق الشتاء ومغربه ومشرق الصيف ومغربه كما ذهب كثير من المفسرين.

وترجع هذه الظاهرة إلى ميل محور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس بمقدار ٥٢٣,٥ درجة، لذلك فان النصف الشمالى من الكرة الأرضية، مثلا يميل نحو الشمس فى الصيف فيطول النهار ويقصر الليل حتى يبلغ ذلك أقصى مداه فتظهر الشمس مشرقة أو غاربة على أقصى بعد شمالى من المشرق والمغرب الصادقين ثم تقفل راجعة يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين عند الاعتدال الخريفى ثم يأخذ هذا النصف فى الميل عن الشمس، فيطول الليل ويقصر النهار وتستمر الشمس فى تأخرها الظاهرى نحو الجنوب حتى تبلغ مدى بعدها إلى الجنوب فى قمة الشتاء ثم ترتد الى الشمال يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين فى الاعتدال الربيعى، وهكذا. ويصدق عكس هذا جميعه فى نصف الكرة الجنوبى، كما أن هذه الظواهر تبدو بصورة متطرفة كلما اقتربنا من أقصى الشمال أو أقصى الجنوب. ولاشك فى أن هذا التدبير المحكم صالحا لأحوال الأحياء على الأرض، إذ منه تحدث الفصول المناخية وما يترتب عليها من مواسم الزرع والحصاد وكافة صور التباين الموسمى فى نشاط الإنسان والحيوان والنبات.

(٢) ينظر التعليق العلمى على آية ١٢ من سورة فاطر.

فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ

---

٢٤ ـ وله السفن المصنوعات بأيديكم الجاريات فى البحر، العظيمة كالجبال الشاهقة.

٢٥ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٢٦ ، ٢٧ ـ كل من على الأرض زائل ويبقى الله صاحب العظمة والإنعام.

٢٨ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٢٩ ـ يسأل الله جميع من فى السموات والأرض حاجاتهم، كل وقت هو فى شأن، يعز ويذل، ويعطى ويمنع.

٣٠ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٣١ ـ سنقصد لحسابكم يوم القيامة أيها الجن والإنس.

٣٢ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٣٣ ـ يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين فاخرجوا، لاتستطيعون الخروج إلا بقوة وقهر، ولن يكون لكم ذلك[1].

٣٤ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٣٥ ـ يصب عليكما لهب من نار ونحاس مذاب، فلا تقدران على دفع هذا العذاب[2].

---

(١) ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية الأرض، وحيث اقتضى النجاح الجزئى فى زيارة الفضاء ـ لمدة محدودة جدا بالنسبة لعظم الكون بذل الكثير من الجهود العلمية الضخمة فى شتى الميادين الهندسية والرياضية والفنية والجيولوجية فضلا عن التكاليف الخيالية المادية التى انفقت فى ذلك ومازالت تنفق، وبدل ذلك دلالة قاطعة على أن النفاذ المطلق من أقطار السموات والأرض التى تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أوجن مستحيل.

(٢) النحاس هو فلز يعتبر من اول العناصر الفلزية التى عرفها الإنسان منذ قديم الزمن، ويتميز بان درجة انصهاره مرتفعة جدا حوالى ١٠٨٣ درجة مئوية فاذا ماصب هذا السائل الملتهب على جسد، مثل ذلك صنفا من أقسى أنواع العذاب ألما وأشدها أثرا.

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

---

٣٦ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٣٧ ـ فإذا انشقت السماء فكانت حمراء كدرة كالزيت المحترق

٣٨ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٣٩ ـ فيوم إذ تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جن .

٤٠ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤١ ـ يعرف المجرمون من الانس والجن بعلامة يتميزون بها ، فيؤخذ بمقدم رءوسهم وأقدامهم ، فيلقى بهم فى جهنم .

٤٢ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤٣ ، ٤٤ ـ يقال تقريعا : هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون منكم ، يترددون بين نارها وبين ماء متناه فى الحرارة .

٤٥ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤٦ ـ ولمن خاف قدر ربه جنتان عظيمتان .

٤٧ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ ؟ !

٤٨ ـ صاحبتا أغصان نضرة حسنة .

٤٩ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٠ ـ فى هاتين الجنتين عينان تجريان حيث شاءوا .

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾

---

٥١ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٢ ـ فيهما من كل فاكهة صنفان .

٥٣ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٤ ـ معتمدين مطمئنين على فرش بطائنها من ديباج خالص ، وثمر الجنتين قريب للمتناول .

٥٥ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٦ ـ فى الجنان زوجات حابسات أبصارهن على أزواجهن ، أبكار لم يقربهن انس قبلهم ولا جان .

٥٧ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٨ ـ كأن هؤلاء الزوجات فى الحسن وصفاء اللون الياقوت والمرجان .

٥٩ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٠ ـ ما جزاء الاحسان فى العمل إلا الاحسان فى الثواب .

٦١ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٢ ـ ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان .

٦٣ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٤ ـ خضراوان قد اشتدت خضرتهما حتى مالت إلى السواد .

٦٥ ـ فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٦ ـ فيهما عينان فوارتان بالماء لا تنقطعان .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

---

٦٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٨ - فيها فاكهة من صنوف مختلفة ونخل ورمان[١] .

٦٩ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٧٠ - فيهن زوجات طيبات الأخلاق ، مشرقات الوجوه .

٧١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٧٢ - حسان العيون ، مقصورات فى خيامهن .

٧٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٧٤ - لم يقربهن انس قبل أزواجهن ولا جان .

٧٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٧٦ - متكئين على عرش ذوات أغطية خضر وطنافس حسان عجيبة الصنع .

٧٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

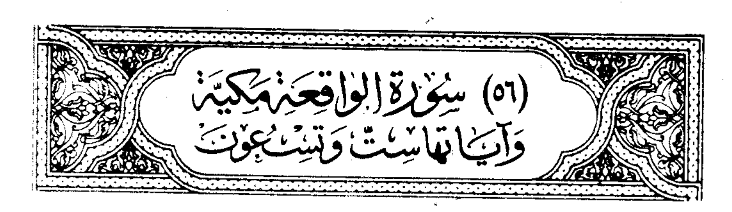
٧٨ - تعالى وتنزه اسم ربك صاحب العظمة والانعام .

---

(١) قد يكون وجه تخصيص النخل والرمان هو فضل ثمارها على غيرهما من الثمار لما أودع الله فيهما من مزايا أثبت العلم وجودها فيها .

فبتحليل التمر كيماويا وجد أنه يحتوى على نسبة مرتفعة من السكريات (٧٥٪ تقريبا) فمعظمها من سكر القصب ، وكذلك السكر المحول (سكر الفاكهة وسكر العنب - الفركتوز والجلوكوز) وهو سهل الاحتراق ويستفيد الجسم منه فى إنتاج طاقة عالية وسعر حرارى كبير . ولعل ذلك ربما كان وجه الحكمة فى أمر الله للسيدة مريم بتناول الرطب كى يعوضها عما بذلته وفقدته أثناء المخاض . هذا فضلا عن أن التمر يحوى أيضا نسبة عالية من الكالسيوم والحديد والفوسفور التى يحتاج إليها الجسم ومقدارا مناسبا من حمض النيكوتنيك) الفيتامين الواقى من مرض البلاجرا (وفيتامينى ا ، ب) ويحتوى أيضا على نسبة من البروتينات والدهنيات وكل هذه المكونات تجعل من البلح غذاء كاملا .

أما الرمان فيحتوى لبه أو عصيره على نسبة مرتفعة (إذا قيس بغيره من الفواكه) من حمض الليمونيك الذى يساعد عند احتراقه على تقليل أثر الحموضة فى البول والدم مما يكون سببا فى تجنب النقرس وتكوين بعض حصى الكلى هذا فضلا عن احتواء عصير الرمان على نسبة لا بأس بها من السكريات (حوالى ١١٪) السهلة الاحتراق ، والمولدة للطاقة . كما أن قشر الرمان به مادة عفصية قابضة (تنينية) تق الأمعاء مما يصيبها من إسهال كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم فى القضاء على الدودة الشريطية .



بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾

بدئت السورة بالحديث عن وقوع القيامة ، والأحداث التى تصحب وقوعها ، ثم أخبرت أن الخلق فى ذلك اليوم ثلاثة أصناف ، معقبة ذلك بتفصيل واف عما أعد لكل صنف من نعيم يلائم منزلته ، أو عذاب يناسب كفره وعصيانه .

ثم أوضحت الآيات بعد ذلك مظاهر نعم الله تعالى ، وآثار قدرته فى الخلق والزرع والماء والنار ، وما تقتضيه هذه الآثار الواضحة من تسبيح الله العظيم وتقديسه ، وأقسمت الآيات على مكانة القرآن الكريم وما يستحقه من تقديس ناعية على الكافرين سوء صنيعهم ، من وضعهم التكذيب مكان الشكر . وعقبت ذلك باجمال لما فصلته عن الأصناف الثلاثة وما ينتظر كل صنف من نعيم أو جحيم .

وختمت السورة بتأكيد أن كل ما جاء فيها هو اليقين الصادق والحق الثابت ، ورتبت على ذلك الأمر بتنزيه الله تعالى وتقديسه .

١ ، ٢ ، ٣ ـ إذا وقعت القيامة ، لا تكون نفس مكذبة بوقوعها ، هى خافضة للأشقياء رافعة للسعداء .

٤ ، ٥ ، ٦ ـ إذا زلزلت الأرض واهتزت اهتزازا شديدا ، وفتتت الجبال تفتيتا دقيقا ، فصارت غبارا متطايرا(١) .

٧ ـ وصرتم جميعا فى هذا اليوم بأعمالكم أصنافا ثلاثة .

---

(١) تقرر هذه الآيات الكريمة مدى الأهوال التى تحل بالعالم عند قيام القيامة ، ومن هذه الأهوال تلك الكوارث الكونية التى تؤثر على الأرض وطبقاتها . فالأرض التى نعيش على سطحها ليست مستقرة ومتوازنة تماما فهى تتكون من طبقات صخرية متداخلة غير منتظمة قد أنزلت بعضها بالنسبة لما يجاورها وكونت ما يسمى الفالق الجيولوجى فى مناطق عديدة . هذه الفوالق كانت ولا تزال المراكز العميقة للزلازل الكبرى لأنها تحت تأثير قوى الشد والجذب التى صاحبت الطبقة الأرضية عند انكسارها فاذا ما اختل توازن هذه القوى نتيجة لعوامل التأثير الإضافية الخارجية فقد يؤدى ذلك إلى انطلاق طاقة حركة كبرى تنبعث منها هزات أو زلازل أرضية قد تهدم كل شىء على سطح الأرض القريب من مركز الزلزال فيحدث خراب كبير .

والتفسير العلمى المذكور لا يؤثر بل ولا يبعد عن الوجهة الدينية ، فان الله تعالى قد يجعل الأسباب الكونية المعتادة يجتمع بعضها إلى بعض على غير ما عهدنا ليكون تفاعلها الرهيب سببا مباشرا لتخريب الدنيا ، ويكون التفسير العلمى متجاوبا مع الآيات المنذرة بالأهوال الجسام وكل ذلك من عند الله ، ويحصل عندما يأذن الله بتنفيذ قضائه فى دنيانا .

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ

---

٨ ، ٩ - فأصحاب اليمين أهل المنزلة السنية ما أعظم مكانتهم ، وأصحاب الشمال أهل المنزلة الدنية ما أسوأ حالهم .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - والسابقون إلى الخيرات فى الدنيا هم السابقون إلى الدرجات فى الآخرة ، أولئك هم المقربون عند الله ، يدخلهم ربهم فى جنات النعيم .

١٣ ، ١٤ - هؤلاء المقربون جماعة كثيرة من الأمم السابقة وأنبيائهم ، وقليل من أمة محمد بالنسبة اليهم .

١٥ ، ١٦ - على سرر منسوجة بالجواهر النفيسة ، مضجعين عليها فى راحة واستقرار متقابلة وجوههم زيادة فى المحبة .

١٧ ، ١٨ - يدور عليهم للخدمة ولدان باقون أبدا على هذا الوصف ، بأقداح وأباريق مملوءة من شراب الجنة ، وبكأس مملوءة خمرا من عيون جارية .

١٩ - لا يصيبهم بشربها صداع يصرفهم عنها ، ولا تذهب عقولهم .

٢٠ ، ٢١ - وفاكهة من أى نوع يختارونه ويرونه ، ولحم طير مما ترغب فيه نفوسهم .

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ونساء ذوات عيون واسعة ، كأمثال اللؤلؤ المصون فى صدفه صفاء ورونقا ، يعطون هذا الجزاء بما كانوا يعملون من الصالحات فى الدنيا .

٢٥ ، ٢٦ - لا يسمعون فى الجنة كلاما لا ينفع ، ولا حديثا يأثم سامعه ، الا قول بعضهم لبعض : نسلم سلاما .

مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾
وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ
أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا

---

٢٧ ـ وأصحاب اليمين لا يعلم أحد ما جزاء أصحاب اليمين .

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ـ فى شجر من النبق مقطوع شوكه ، وشجر من الموز متراكب ثمر بعضه فوق بعض ، وظل منبسط لا يذهب وماء منصب فى آنيتهم حيث شاءوه ، وفاكهة كثيرة الأنواع والأصناف لا مقطوعة فى وقت من الأوقات ، ولا ممنوعة عمن يريدها ، وفرش عالية ناعمة .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ـ انا ابتدأنا خلق الحور العين ابتداء ، فخلقناهن أبكارا . محببات إلى أزواجهن ، متقاربات فى السن ، مهيئات لنعيم أصحاب اليمين .

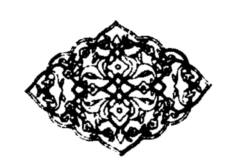
٣٩ ، ٤٠ ـ أصحاب اليمين جماعة كثيرة من الأمم السابقة ، وجماعة كثيرة من أمة محمد .

٤١ ـ وأصحاب الشمال لا يدرى أحد ما فيه أصحاب الشمال من العذاب .

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ـ فى ريح حارة تنفذ فى المسام وتحيط بهم ، وماء متناه فى الحرارة يشربونه ويصب على رءوسهم ، وفى ظل من دخان حار شديد السواد ، لا بارد يخفف حرارة الجو ، ولا كريم يعود عليهم بالنفع إذا استنشقوه .

٤٥ ـ انهم كانوا قبل هذا العذاب مسرفين فى الاستمتاع بنعيم الدنيا ، لاهين عن طاعة الله تعالى .

٤٦ ـ وكانوا يصممون دائما على الذنب العظيم الجرم ، حيث أقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت .



أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

---

٤٧ - وكانوا يقولون انكارا للاعادة : أنبعث إذا متنا ، وصار بعض أجسامنا ترابا وبعضها عظاما بالية ، أئنا لعائدون إلى الحياة ثانيا ؟.

٤٨ - أنبعث نحن وآباؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابا متفرقا ضالا فى الأرض.

٤٩ ، ٥٠ - قل لهم ردا لانكارهم ، ان الأولين من الأمم والآخرين الذين أنتم من جلتهم لمجموعون إلى وقت يوم معين لا يتجاوزونه.

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ - ثم انكم أيها الجاحدون عن سبيل الهدى ، المكذبون بالبعث ، لآكلون فى جهنم من شجر هو الزقوم ، فمالئون من هذا الشجر بطونكم من شدة الجوع.

٥٤ ، ٥٥ - فشاربون على ما تأكلون من هذا الشجر ماء متناهيا فى الحرارة لا يروى ظمأ ، فشاربون بكثرة كشرب الابل العطاش التى لا تروى بشرب الماء.

٥٦ - هذا الذى ذكر من ألوان العذاب ما أعد قرى لهم يوم الجزاء.

٥٧ - نحن ابتدأنا خلقكم من عدم ، فهلا تقرون بقدرتنا على اعادتكم حين بعثكم ؟.

٥٨ ، ٥٩ - أفرأيتم ما تقذفونه فى الأرحام من النطف ، أأنتم تقدرونه وتتعهدونه فى أطواره حتى يصير بشرا ، أم نحن المقدرون له ؟

٦٠ ، ٦١ - نحن قضينا بينكم بالموت ، وجعلنا لموتكم وقتا معينا ، وما نحن بمغلوبين على أن نبدل صوركم بغيرها ، وننشئكم فى خلق وصور لا تعهدونها.

٦٢ - ولقد أيقنتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ، فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر ؟

٦٣ ، ٦٤ - أفرأيتم ما تبذرونه من الحب فى الأرض ؟ أأنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له وحدنا ؟

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ - لو نشاء لصيرنا هذا النبات هشيما متكسرا قبل أن يبلغ نضجه ، فلا تزالون تتعجبون من سوء ما أصابه قائلين : انا لملزمون الغرم بعد جهدنا فيه ، بل نحن سيئو الحظ ، محرومون من الرزق.

ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم

---

٦٨ ، ٦٩ - أفرأيتم الماء العذب الذى تشربون منه ، أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون له رحمة بكم ؟ .(١).

٧٠ - لو نشاء صيرناه مالحا لا يساغ ، فهلا تشكرون الله أن جعله عذبا سائغا ؟ .

٧١ ، ٧٢ - أفرأيتم النار التى توقدون ، أأنتم أنبتم شجرتها وأودعتم فيها النار ، أم نحن المنشئون لها كذلك ؟ .

٧٣ - نحن جعلنا هذه النار تذكيرا لنار جهنم عند رؤيتها ، ومنفعة للنازلين بالقفر ، ينتفعون بها فى طهو طعامهم وتدفئتهم .

٧٤ - فدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تنزيها وشكرا له على هذه النعم الجليلة .

٧٥ ، ٧٦ - فأقسم حقا بمساقط النجوم عند غروبها آخر الليل أوقات التهجد والاستغفار وانه لقسم - لو تفكرون فى مدلوله - عظيم الخطر بعيد الأثر (٢).

٧٧ ، ٧٨ - انه لقرآن كثير المنافع ، فى اللوح المحفوظ مصون لا يطلع عليه غير المقربين من الملائكة .

٧٩ ، ٨٠ - لا يمس القرآن الكريم إلا المطهرون من الأدناس والأحداث ، منزل من عند الله رب الخلق أجمعين .

---

(١) المزن هى السحب الممطرة ، وعملية الأمطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لايمكن أن يسيطر عليها الانسان أو يوفرها صناعيا مثل هبوب تيار بارد فوق آخر ساخن أوحالات عدم الاستقرار فى الجو.

وقد حاول الانسان استمطار السحب العابرة صناعيا إلا أن هذه المحاولات لاتزال مجرد تجارب على أن الثابت علميا أن نجاح هذه التجارب على نطاق ضيق جدا مع وجوب توفر بعض الظروف الملائمة طبيعيا .

(٢) تبين هاتان الآيتان مدى أهمية هذا القسم العظيم ، فان النجوم أجرام مضيئة بذاتها وأقرب النجوم إلينا وهى الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ سنة ضوئية تقريبا بينا النجم الذى يليها فى القرب يبعد عنا بمقدار ٤ سنوات ضوئية تقريبا . فالطاقة التى نستخدمها من الشمس هى المقومات الأساسية للحياة ، فلو كان بعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هو عليه الآن فان الحياة تصبح قاسية متعذرة كما أن أحجام النجوم تختلف بعضها عن بعض فمنها النجوم العمالقة وهم من الاتساع بحيث تشمل الأرض والشمس على بعدهما .

هناك مجموعات من النجوم تسمى بالعناقيد سابحة فى الفضاء تخترق المجرة اللبنية من حين لآخر . فإذا صادفت خلال مرورها المجموعة الشمسية واصطدمت بها فان فى ذلك الهلاك والفناء المحقق حتى إذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فان ذلك يؤدى أيضا إلى اختلال فى التوازن وإلى الهلاك والفناء .

لذلك فان آيات العبرة والقدرة تظهر فى هذا الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ونظمه .

مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾
وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾
وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

---

٨١ - أتعرضون فبهذا القرآن العظيم وبقدره أنتم متهاونون ؟

٨٢ - وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبونه .

٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ - فهلا إذا بلغت روح أحدكم عند الموت مجرى النفس ، وأنتم حين بلوغ الروح الحلقوم حول المحتضر تنظرون إليه ، ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم ، ولكن لا تدركون ذلك ولا تحسونه .

٨٦ ، ٨٧ - فهلا ان كنتم غير خاضعين لربوبيتنا ، تردون روح المحتضر إليه ان كنتم صادقين فى أنكم ذو قوة لا تقهر .

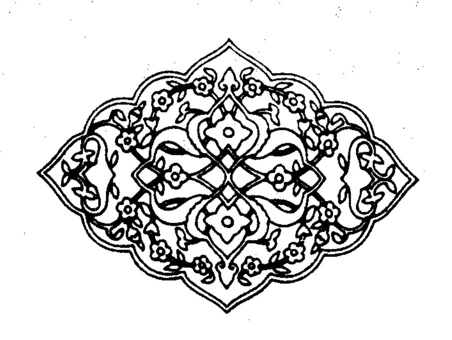
٨٨ ، ٨٩ - فأما ان كان المحتضر من السابقين المقربين فآله راحة ورحمة ورزق طيب وجنة ذات نعيم .

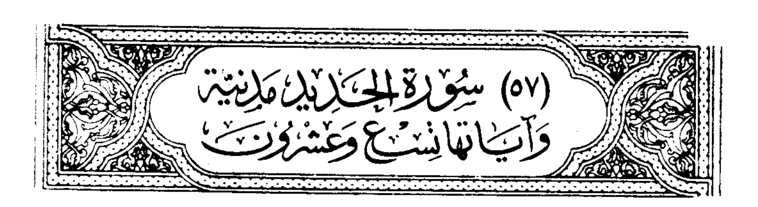
٩٠ ، ٩١ - وأما ان كان من أصحاب اليمين فيقال له تحية وتكريما : سلام لك من أخوانك أصحاب اليمين .

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - وأما ان كان من أصحاب الشمال المكذبين الضالين فله نزل وقرى أعد له من ماء حار تناهت حرارته ، واحراق بنار شديدة الاتقاد .

٩٥ - ان هذا الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة لهو عين اليقين الثابت الذى لا يداخله شك .

٩٦ - فدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تنزيها له وشكرا على آلائه .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبح له ونزهه عما لا يليق به كل ما فى السموات والأرض متبعة ذلك بمقتضيات هذا التسبيح من ملك السموات والأرض، والاحاطة بها، والتصرف فيها، ثم أمرت بالايمان بالله والانفاق فى سبيله، وبينت اختلاف درجات الانفاق باختلاف دواعيه ومقتضياته، ثم عرضت صورة المؤمنين يوم القيامة، يسعى نورهم أمامهم ومن حولهم، وصورة المنافقين يلتمسون الانتظار من المؤمنين، ليقتبسوا من نورهم، وقد ضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

وانتقلت بعد ذلك تستحث المؤمنين إلى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق، وتبصرهم بمنازل المصدقين والمصدقات عند ربهم، ومآل الكافرين المكذبين فى الجحيم، وتضرب الأمثال لهوان الدنيا وما حوته من متاع، وعظم الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، وتطلب السبق إلى مغفرة الله، وتطمئن النفوس إلى أن ما يصيب كل نفس من خير أو شر هو فى كتاب عند الله، لتذعن بالتسليم لقضاء الله، ثم تحدثت عن إرسال الرسل وتتابعهم مؤيدين بالأدلة والكتب وأسباب القوة والعمل، ليقوم الناس بالقسط، ثم ختمت الآية بدعوة المؤمنين إلى التقوى، ووعدهم بمضاعفة الرحمة، والحظوة بالفضل الذى لا يقدر أحد على شىء منه إلا الله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

١ - نزه الله تعالى ما فى السموات والأرض من الإنسان والحيوان والجماد، وهو الغالب الذى يصرف الأمور بما تقتضيه الحكمة.

٢ - لله ملك السموات والأرض لا لغيره، يتصرف فى كل ما فيها، يفعل الاحياء والاماتة، وهو على كل شىء تام القدرة.

٣ - هو الموجود قبل كل شىء. والباقى بعد فناء كل شىء، والظاهر فى كل شىء، فكل شىء له آية، والباطن فلا تدركه الأبصار، وهو بكل شىء ظاهر أو باطن تام العلم.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟

---

٤ - هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استولى على العرش بتدبير ملكه، يعلم كل ما يغيب فى الأرض وما يخرج منها، وكل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها، وهو عليم بكم. محيط بشئونكم فى أى مكان كنتم، والله بما تعملون بصير، مطلع لا يخفى عليه شىء من ذلك.

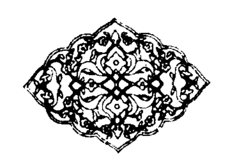
٥ - لله وحده ملك السموات والأرض، وإليه تعالى ترجع أمور خلقه، وتنتهى مصائرهم.

٦ - يدخل من ساعات الليل فى النهار، ويدخل من ساعات النهار فى الليل، فتختلف أطوالها، وهو العليم بمكنونات الصدور وما تضمره القلوب.

٧ - صدقوا بالله ورسوله، وأنفقوا فى سبيل الله من المال الذى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيه، فالذين آمنوا منكم بالله ورسوله، وأنفقوا مما استخلفهم فيه، لهم بذلك عند الله ثواب كبير.

٨ - وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم للإيمان بربكم ويحثكم عليه، وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان من قبل، إن كنتم تريدون الإيمان فقد تحقق دليله.

٩ - هو الذى ينزل على رسوله آيات واضحات من القرآن، ليخرجكم بها من الضلال إلى الهدى، وإن الله بكم لكثير الرأفة، واسع الرحمة.



فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾

١٠ - وأى شىء حصل لكم فى ألا تنفقوا فى سبيل الله من أموالكم ، ولله ميراث السموات والأرض ؟ يرث كل ما فيها ، ولا يبقى أحد مالكا لشىء منها ، لا يستوى فى الدرجة والمثوبة منكم من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل ، والإسلام فى حاجة إلى من يسنده ويقويه ، أولئك المنفقون المقاتلون قبل الفتح أعلى درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، وكلا من الفريقين وعد الله المثوبة الحسنى مع تفاوت درجاتهم ، والله بما تعملون خبير ، فيجازى كلا بما يستحق .

١١ - من المؤمن الذى ينفق فى سبيل الله مخلصا ، فيضاعف الله له ثوابه ، وله فوق المضاعفة ثواب كريم يوم القيامة .

١٢ - يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسبق نور ايمانهم وأعمالهم الطيبة أمامهم وعن أيمانهم تقول لهم الملائكة : بشراكم فى هذا اليوم جنات تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، لا تخرجون منها أبدا ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم لقاء أعمالكم .

١٣ - يوم يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين والمؤمنات : انتظرونا نصب بعض نوركم ، قيل - توبيخا لهم - : ارجعوا إلى حيث أعطينا هذا النور فاطلبوه ، فضرب بين المؤمنين والمنافقين بحاجز له باب ، باطن الحاجز الذى يلى الجنة فيه الرحمة والنعيم ، وظاهر الحاجز الذى يلى النار من جهته النقمة والعذاب .

١٤ - ينادى المنافقون المؤمنين : ألم نكن فى الدنيا معكم وفى رفقتكم ؟ قال المؤمنون : بلى كنتم معنا كما تقولون ، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق ، وانتظرتم للمؤمنين الحوادث المهلكة ، وشككتم فى أمور الدين ، وخدعتكم الآمال ، وأنكم على خير ، حتى جاء الموت وخدعكم بعفو الله ومغفرته الشيطان .

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

---

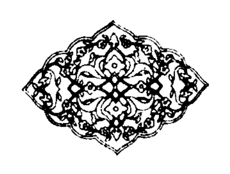
١٥ - فاليوم لا يقبل منكم ما تفتدون به أنفسكم من العذاب مهما أغليتم فى ذلك. ولا يقبل من الكافرين المعلنين كفرهم فدية كذلك، مرجعكم جميعا النار، هى منزلكم الأولى بكم، وبئس المصير النار.

١٦ - ألم يحن الوقت للذين آمنوا أن ترق قلوبهم لذكر الله والقرآن الكريم، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، عملوا به مدة فطال عليهم الزمن، فجمدت قلوبهم وكثير منهم خارجون عن حدود دينهم.

١٧ - اعلموا أيها المؤمنون أن الله يصلح الأرض ويهيئها للانبات بنزول المطر بعد يبسها، قد وضحنا لكم الآيات، وضربنا لكم الأمثال لعلكم تعقلون ما فيها، فتخشع قلوبكم لذكر الله.

١٨ - ان المتصدقين والمتصدقات وأنفقوا فى سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم، يضاعف الله لهم ثواب ذلك، ولهم فوق المضاعفة أجر كريم يوم القيامة.

١٩ - والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك هم الصديقون والشهداء منزلة وعلو مرتبة، لهم ثواب ونور يوم القيامة، مثل ثواب الصديقين والشهداء ونورهم، والذين كفروا وكذبوا بآيات الله أولئك هم أصحاب النار لا يفارقونها أبدا.



حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا

---

٢٠ - اعلموا أيها المغرورون بالدنيا انما الحياة الدنيا لعب لا ثمرة له ، ولهو يشغل الإنسان عما ينفعه ، وزينة لا تحصل شرفا ذاتيا . وتفاخر بينكم بأنساب زائلة وعظام بالية ، وتكاثر بالعدد فى الأموال والأولاد ، مثلها فى ذلك مثل مطر أعجب الزراع نباته ، ثم يكمل نضجه ويبلغ تمامه ، فتراه عقب ذلك مصفرا آخذا فى الجفاف ، ثم يصير بعد فترة هشيما جامدا متكسرا ، لا يبقى منه ما ينفع ، وفى الآخرة عذاب شديد لمن آثر الدنيا وأخذها بغير حقها ، ومغفرة من الله لمن آثر آخرته على دنياه . وليست الحياة الدنيا إلا متاع هو غرور لا حقيقة له لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة للآخرة .

٢١ - سارعوا فى السبق إلى مغفرة من ربكم ، وإلى جنة فسيحة الأرجاء ، عرضها مثل عرض السموات والأرض ، هيئت للذين صدقوا بالله ورسله ، ذلك الجزاء العظيم فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله وحده صاحب الفضل الذى جل أن تحيط بوصفه العقول .

٢٢ - ما نزل من مصيبة فى الأرض من قحط أو نقص فى الثمرات أو غير ذلك ، ولا فى أنفسكم من مرض أو فقر أو موت أو غير ذلك الا مكتوبة فى اللوح ، مثبتة فى علم الله من قبل أن نوجدها فى الأرض أو فى الأنفس ، إن ذلك الاثبات للمصيبة والعلم بها على الله سهل ، لاحاطة علمه بكل شىء .

٢٣ - أعلمناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما لم تحصلوا عليه حزنا مفرطا يجركم إلى السخط ، ولا تفرحوا فرحا مبطرا بما أعطاكم . والله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما عنده .

٢٤ - الذين يضنون بأموالهم عن الانفاق فى سبيل الله ، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم ، ومن يعرض عن طاعة الله فإن الله وحده الغنى عنه ، المستحق بذاته للحمد والثناء .

ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن

---

٢٥ - لقد أرسلنا رسلنا الذين اصطفيناهم بالمعجزات القاطعة، وأنزلنا معهم الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين والميزان الذى يحقق الانصاف فى التعامل، ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل، وخلقنا الحديد فيه عذاب شديد فى الحرب، ومنافع للناس فى السلم، يستغلونه فى التصنيع، لينتفعوا به فى مصالحهم ومعايشهم، وليعلم الله من ينصر دينه، وينصر رسله غائبا عنهم أن الله قادر بذاته، لا يفتقر إلى عون أحد[1].

٢٦ - ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتب الهادية، فبعض هذه الذرية سالكون طريق الهداية، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧ - ثم تابعنا على آثار نوح وابراهيم ومن سبقهما أو عاصرهما من الرسل برسلنا، رسولا بعد رسول، واتبعنا بارسال عيسى بن مريم، وأوحينا إليه الإنجيل وأودعنا فى قلوب المتبعين له شفقة شديدة ورقة وعطفا، وابتدعوا زيادة فى العبادة وغلوا فى التدين رهبانية ما فرضناها عليهم ابتداء، لكن التزموها ابتغاء رضوان الله تعالى، فما حافظوا عليها حق المحافظة، فأعطينا الذين آمنوا بمحمد نصيبهم من الأجر والثواب، وكثير منهم مكذبون بمحمد خارجون عن الطاعة والطريق المستقيم.

---

(١) الحديد أحد سبعة عناصر عرفها القدماء وهى الذهب والفضة والزئبق والنحاس والرصاص والحديد والقصدير وهو أكثر الفلزات انتشارا فى الطبيعة، فيوجد أساسا فى الحالة المركبة على هيئة أكاسيد وكبريتيد وكربونات وسليكات وتوجد كذلك مقادير صغيرة من الحديد الخالص فى الشهب والنيازك الحديدية.

أشارت الآية إلى أن الحديد ذو بأس شديد ومنافع للناس وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد وسبائكه المتنوعة بخواص متعددة ومتفاوتة الدرجات فى مقاومة الحرارة والشد والصدأ والبلى، وفى مرونة تقبل المغناطيسية وغيرها، ولذلك كان أنسب الفلزات لصناعة أسلحة الحروب وأدواتها وأساسا لجميع الصناعات الثقيلة والخفيفة ودعامة للحضارات.

وللحديد منافع جمة للكائنات الحية إذ تدخل مركبات الحديد فى عملية تكوين الكلوروفيل وهو المادة الأساسية فى عمليات التمثيل الضوئى التى ينشأ عنها تنفس النبات وتكوين البروتوبلازم الحى، وعن طريقه يدخل الحديد جسم الانسان والحيوان.

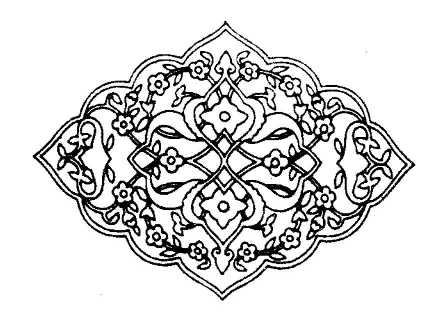
ويدخل الحديد فى تركيب بروتينات النواة (المادة الكروماتينية) فى الخلية الحية كما أنه يوجد فى سوائل الجسم مع غيره من العناصر، وهى أحد مكونات الهيموجلوبين (المادة الأساسية فى كرات الدم الحمراء) ويقوم بدور هام فى عملية الاحتراق الداخلى للأنسجة والتمثيل الحيوى بها. والحديد يوجد كذلك فى الكبد والطحال والكلى والعضلات والنخاع الأحمر ويحتاج الجسم إلى كمية من الحديد يجب أن يزود بها من مصادره المختلفة فاذا نقصت تعرض الانسان لعدة أمراض أهمها فقر الدم.

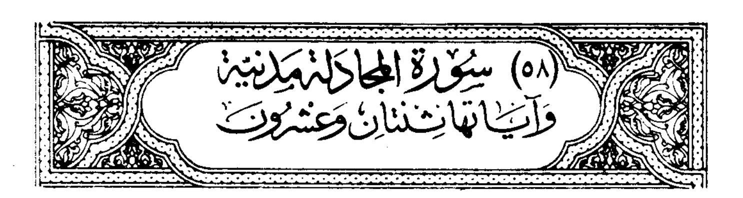
رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

---

٢٨ - يأيها الذين آمنوا خافوا عقاب الله ، واثبتوا على ايمانكم برسوله يعطكم نصيبين من رحمته ، ويجعل لكم نورا تهتدون به ، ويغفر لكم ما فرط من ذنوبكم والله واسع المغفرة وافر الرحمة .

٢٩ - يمنحكم الله تعالى كل ذلك ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد أنهم لا يقدرون على شيء من انعام الله ، يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم ، وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه من يشاء من عباده ، والله صاحب الفضل العظيم .





بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

افتتحت بالحديث عن المرأة التى ظاهر منها زوجها، واتبع ذلك ببيان حكم الظهار، ونعى الله فى هذه السورة فى أكثر من آية على المعادين لدينه، وحذرهم من التناجى بالإثم والعدوان، وأرشد المؤمنين إلى أدب المناجاة بين بعضهم وبعض، وبينهم وبين الرسول ﷺ، كما نعى على المنافقين موالاتهم للكافرين، ووصفهم بأنهم حزب الشيطان الخاسرون.

وختمت السورة بوصف جامع لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من إيثار رضا الله ورسوله على من عداهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، ووصفهم بأنهم حزب الله المفلحون.

١ - قد سمع الله قول المرأة التى تراجعك فى شأن زوجها الذى ظاهر منها، وتضرع إلى الله، والله يسمع ما تتراجعان به من الكلام. إن الله محيط سمعه بكل ما يسمع، محيط بصره بكل ما يبصر [١].

٢ - الذين يظاهرون منكم أيها المؤمنون من نسائهم بتشبيههن فى التحريم بأمهاتهم مخطئون، ما الزوجات أمهاتهم، ما أمهاتهم - حقا - الا اللاتى ولدنهم، وأن المظاهرين ليقولون منكرا من القول تنفر منه الأذواق السليمة، وكذبا منحرفا عن الحق، وإن الله لعظيم العفو والمغفرة عما سلف منكم.

٣ - والذين يظاهرون من نسائهم ثم يرجعون لقولهم، فيظهر لهم خطؤهم، ويودون بقاء الزوجية، فعليهم عتق رقبة قبل أن يتماسا، ذلكم الذى أوجبه الله - من عتق الرقبة - عظة لكم توعظون به كيلا تعودوا والله بما تعملون خبير.

---

(١) روى أن أوس بن الصامت غضب من زوجته خولة بنت ثعلبة فقال لها: أنت على كظهر أمى. وكان هذا تحريما فى الجاهلية فأخبرت النبى ﷺ فقال لها: «ما أمرت فى شأنك بشىء، وما أراك إلا قد حرمت عليه». وجادلت النبى ﷺ وراجعته، وجعلت تشتكى إلى الله تعالى مما تخاف من فرقة الزوج وضياع الولد، فما لبثت أن نزلت هذه الآية والآيات الثلاث التى بعدها.

مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ

٤ - فمن لم يجد رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا، فمن لم يستطع ذلك الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا، شرعنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله، وتعملوا بمقتضى هذا الايمان، وتلك حدود الله فلا تتجاوزوها، وللكافرين عذاب شديد الألم.

٥ - إن الذين يعاندون الله ورسوله خذلوا كما خذل الذين من قبلهم، وقد أنزلنا دلائل واضحات على الحق، وللجاحدين بها عذاب شديد الإهانة.

٦ - يوم يحييهم الله جميعا بعد موتهم، فيخبرهم بما عملوا، أحصاه الله عليهم ونسوه، والله على كل شيء شاهد مطلع.

٧ - ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من مسارة بين ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه ما يتسارون به. ولا خمسة الا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا وهو معهم، يعلم ما يتناجون به - أينما كانوا - ثم يخبرهم يوم القيامة بكل ما عملوا، إن الله بكل شيء تام العلم.

٨ - ألم تر أيها الرسول إلى الذين نهوا عن المسارة فيما بينهم بما يثير الشك فى نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه، ويتسارون فيما بينهم بالذنب يقترفونه، والعدوان يعتزمونه، ومعصيتهم لرسول الله، وإذا جاءوك حيوك بقول محرف لم يحيك به الله، ويقولون فى أنفسهم: هلا يعذبنا الله بما نقول إن كان رسولا حقا؟، حسبهم جهنم يدخلونها ويحترقون بنارها، فبئس المآل مآلهم[1].

(١) كان بين المسلمين واليهود بالمدينة مهادنة وكانوا إذا مر الرجل من المسلمين بهم يتسارون فيما بينهم حتى يظن أنهم يتآمرون على قتله، أو على ما يكره فيعدل عن المرور بهم، فنهاهم النبى - ﷺ - عن ذلك فلم ينتهوا، وعادوا إلى مانهوا، وكانوا إذا جاءوا النبى ﷺ حيوه بالدعاء عليه فى صورة التحية له، فنزلت هذه الآية.

فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ

---

٩ - يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالذنب والاعتداء ومخالفة الرسول ، وتناجوا متواصين بالخير والتحرز عن الآثام ، وخافوا الله الذى إليه - لا إلى غيره - تساقون بعد بعثكم .

١٠ - انما التناجى المثير للشك من تزيين الشيطان ، ليدخل الحزن على قلوب المؤمنين ، وليس ذلك بضارهم شيئا إلا بمشيئة الله ، وعلى الله وحده - فليعتمد المؤمنون .

١١ - يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم فى المجالس لبعض فأوسعوا ، يوسع الله لكم ، وإذا طلب منكم أن تنهضوا من مجالسكم فانهضوا ، يعل الله مكانة المؤمنين المخلصين ، والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير .

١٢ - يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا أردتم مناجاة رسول الله فقدموا قبل مناجاتكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر لقلوبكم ، فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فإن الله واسع المغفرة شامل الرحمة .

١٣ - أخشيتم أن تلتزموا تقديم صدقات أمام مناجاتكم رسول الله ؟ فإذا لم تقدموا وعفا الله عنكم ، فحافظوا على إقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وأطيعوا الله ورسوله ، والله خبير بعملكم فيجازيكم عليه .

١٤ - ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين والوا قوما غضب الله عليهم ، ما هؤلاء الموالون منكم ولا ممن والوهم ، ويحلفون على الكذب مع علمهم بأنهم كاذبون .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

---

١٥ - أعد الله لهؤلاء المنافقين عذابا بالغ الشدة ، انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب .

١٦ - اتخذوا أيمانهم وقاية لأنفسهم من القتل ، ولأولادهم من السبى ، ولأموالهم من الغنيمة ، فصدوا بذلك عن سبيل الله ، فلهم عذاب شديد الإهانة .

١٧ - لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا ، أولئك أهل النار هم فيها مخلدون .

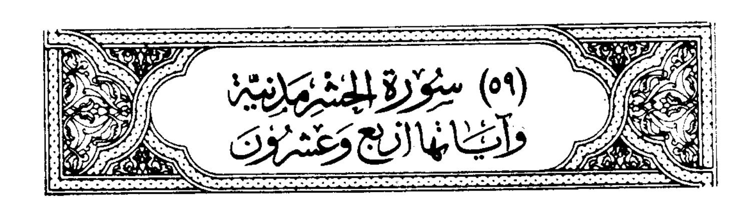
١٨ - يوم يبعثهم الله جميعا فيقسمون له انهم كانوا مؤمنين كما يقسمون لكم الآن ، ويظنون انهم بقسمهم هذا على شىء من الدهاء ينفعهم ، إلا إنهم هم البالغون الغاية فى الكذب .

١٩ - استولى عليهم الشيطان فأنساهم تذكر الله واستحضار عظمته ، أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الذين بلغوا الغاية فى الخسران .

٢٠ - إن الذين يعاندون الله ورسوله أولئك فى عداد الذين بلغوا الغاية فى الذلة .

٢١ - قضى الله لأنتصرن أنا ورسلى ، إن الله تام القوة لا يغلبه غالب .

٢٢ - لا تجد قوما يصدقون بالله واليوم الآخر يتبادلون المودة مع من عادى الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم ، أولئك الذين لا يوالون من حاد الله ، ثبت الله فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بقوة منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، أحبهم الله وأحبوه ، أولئك حزب الله ، إلا إن حزب الله هم الفائزون .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

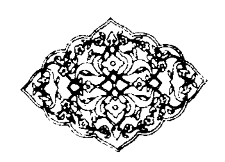
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبح له ونزهه عما لا يليق به كل شىء فى السموات والأرض ، وأنه العزيز الذى لا يغلب ، الحكيم فى تصرفاته وتشريعه ، ومن آثار عزته وحكمته ما تحدثت عنه السورة من عاقبة بنى النضير - وهم من يهود المدينة - وكانوا قد صالحوا النبى ﷺ بعد الهجرة على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما كانت هزيمة المسلمين فى يوم أحد نكثوا عهدهم ، وحالفوا قريشا عليه ﷺ ، فحاصرهم فى حصونهم التى ظنوا أنها تمنعهم ، فلم تمنعهم ، ثم أجلاهم عن المدينة ، ثم بينت حكم الفىء : وهو ما كان من الغنائم بلا حرب ولا اسراع بركوب الخيل ونحوها ، فذكرت أنه لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم . ثم تحدثت عن الأنصار وفضلهم ، وايثارهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة إلى ما آثروهم به ، ولفتت النظر إلى ما كان من وعود المنافقين لبنى النضير ، فى قولهم لهم : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولئن قوتلتم لننصرنكم ، وفضحت كذبهم وتغريرهم فى ذلك .

ثم خلصت السورة إلى تذكير المؤمنين بما ينبغى أن يكونوا عليه من تقوى الله والتزود للمستقبل القريب والبعيد ، ولا يكونوا كالذين أعرضوا عن الله فأنساهم أنفسهم .

وختمت ببيان شأن القرآن وعظيم تأثيره ، ذلك لأن الذى أنزله هو الله الذى لا إله الا هو له الأسماء الحسنى .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما فى السموات وما فى الأرض ، وهو الغالب الذى لا يعجزه شىء ، الحكيم فى تدبيره وأفعاله .



حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَٰأُولِى الْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ

---

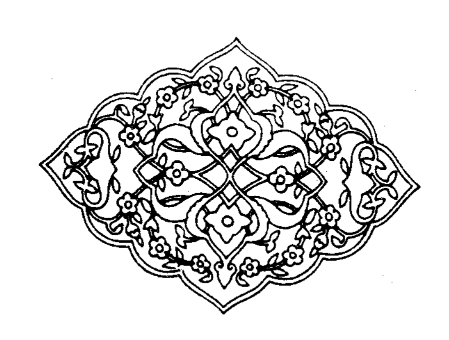
٢ ـ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم يهود بنى النضير ـ من ديارهم عند أول إخراج لهم من جزيرة العرب . ما ظننتم ـ أيها المسلمون ـ أن يخرجوا من ديارهم لقوتهم ، وظنوا ـ هم ـ أنهم مانعتهم حصونهم من بأس الله ، فأخذهم الله من حيث لم يظنوا أن يؤخذوا من جهته ، وألقى فى قلوبهم الفزع الشديد ، يخربون بيوتهم بأيديهم ليتركوها خاوية ، وأيدى المؤمنين ليقضوا على تحصنهم ، فاتعظوا بما نزل بهم يا أصحاب العقول .

٣ ـ ولولا أن كتب الله عليهم الإخراج من ديارهم على هذه الصورة الكريهة لعذبهم فى الدنيا بما هو أشد من الإخراج ، ولهم فى الآخرة ـ مع هذا الإخراج ـ عذاب النار .

٤ ـ ذلك الذى أصابهم فى الدنيا وما ينتظرهم فى الآخرة لأنهم عادوا الله ورسوله أشد العداء ومن يعاد الله فلن يفلت من عقابه ، فإن الله شديد العقاب .

٥ ـ ما قطعتم ـ أيها المسلمون ـ من نخلة أو تركتموها باقية على ما كانت عليه فبأمر الله ، لا حرج عليكم فيه ، ليعز المؤمنين ، وليهين الفاسقين المنحرفين عن شرائعه .

٦ ـ وما أفاء الله ورده على رسوله من أموال بنى النضير فما أسرعتم فى السير إليه بخيل ولا إبل ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من عباده بلا قتال ، والله على كل شىء تام القدرة .



فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ

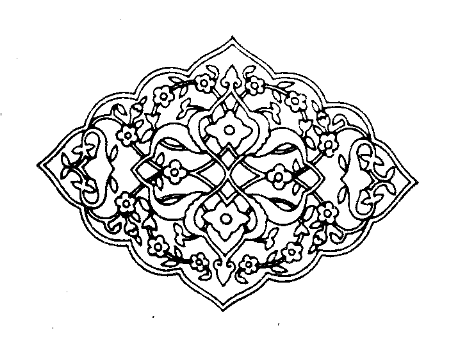
---

٧ - ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى بغير ايجاف خيل أو ركاب فهو لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. كيلا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء منكم خاصة، وما جاءكم به الرسول من الأحكام فتمسكوا به، وما نهاكم عنه فاتركوه، واجعلوا لكم وقاية من غضب الله، إن الله شديد العقاب.

٨ - وكذلك يعطى ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يرجون زيادة من الله فى أرزاقهم ورضوانا، وينصرون الله ورسوله بنفوسهم وأموالهم، أولئك هم المؤمنون.

٩ - والأنصار الذين نزلوا المدينة وأقاموا بها، وأخلصوا الإيمان من قبل نزول المهاجرين بها، يحبون من هاجر إليهم من المسلمين، ولا يحسون فى نفوسهم شيئا مما أوتى المهاجرون من الفىء، ويقدمون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة، ومن يحفظ - بتوفيق الله - من بخل نفسه الشديد فأولئك هم الفائزون بكل ما يحبون.

١٠ - والمؤمنون الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا حقدا للذين آمنوا، ربنا إنك بالغ الرأفة والرحمة.



لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

---

١١ - ألم تنظر - متعجباً - إلى المنافقين، يتكرر منهم القول لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم بنو النضير - : والله إن اجبرتم على الخروج من المدينة لنخرجن معكم، ولا نطيع فى شأنكم أحداً مهما طال الزمان، وان قاتلكم المسلمون لننصركم، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به :

١٢ - لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليفرون مدبرين ثم لا ينصرون.

١٣ - لأنتم - أيها المسلمون - أشد مهابة فى صدور المنافقين واليهود من الله، ذلك لأنهم قوم لا يعلمون حقيقة الايمان.

١٤ - لا يقاتلكم اليهود مجتمعين إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدران يستترون بها، بأسهم بينهم شديد، تظنهم مجتمعين. متحدين مع أن قلوبهم متفرقة، اتصافهم بهذه الصفات لانهم قوم لا يعقلون عواقب الأمور.

١٥ - مثل بنى النضير كمثل الذين كفروا من قبلهم قريباً، ذاقوا فى الدنيا عاقبة كفرهم ونقضهم العهود، ولهم فى الآخرة عذاب شديد الألم.

١٦ - مثل المنافقين فى اغرائهم بنى النضير - بالتمرد على رسول الله - كمثل الشيطان حين أغرى الانسان بترك الايمان، فقال له : اكفر، فلما كفر قال : انى برىء منك، انى أخاف الله رب العالمين.

١٧ - فكان مآل الشيطان ومن اغواه انهما فى النار خالدين فيها، وذلك الخلود جزاء المعتدين المتجاوزين سبيل الحق.

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

---

١٨ - يأيها الذين آمنوا اجعلوا لكم وقاية من عذاب الله بالتزام طاعته، ولتتدبر كل نفس أى شىء قدمت من العمل لغد، والتزموا تقوى الله، ان الله خبير بما تعملون، فيجازيكم عليه.

١٩ - ولا تكونوا - أيها المؤمنون - كالذين نسوا حقوق الله، فأنساهم أنفسهم - بما ابتلاهم من البلايا - فصاروا لا يعرفون ما ينفعها مما يضرها، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

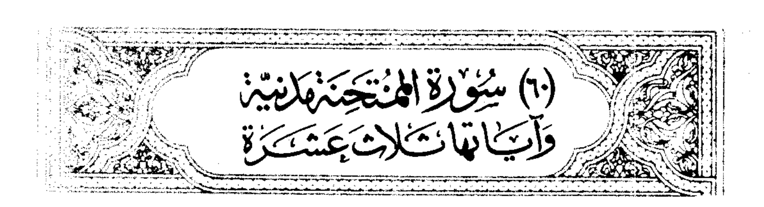
٢٠ - لا يستوى أصحاب النار المعذبون وأصحاب الجنة المنعمون، أصحاب الجنة هم - دون غيرهم - الفائزون بكل ما يحبون.

٢١ - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل شديد لرأيت هذا الجبل - على قوته - خاضعاً متشققاً من خشية الله، وتلك الأمثال نعرضها للناس لعلهم يتدبرون عواقب أمورهم.

٢٢ - هو الله الذى لا معبود بحق إلا هو وحده، عالم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الرحيم.

٢٣ - هو الله الذى لا إله إلا هو، المالك لكل شىء على الحقيقة، المطهر عن كل نقص، المبرأ عما لا يليق، ذو السلامة من النقائص، المصدق رسله بما أيدهم به من معجزات، الرقيب على كل شىء، الغالب فلا يعجزه شىء، العظيم الشأن فى القوة والسلطان، والمتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله، تنزه الله وتعالى عما يشركون..

٢٤ - هو الله المبدع للأشياء من غير مثال سابق، الموجد لها بريئة من التفاوت، المصور لها على هيئاتها كما أراد، له الأسماء الحسنى، ينزهه عما لا يليق كل ما فى السموات والأرض، وهو الغالب الذى لا يعجزه شىء، الحكيم فى تدبيره وتشريعه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟

بدأت السورة بنهى المؤمنين عن موالاة المشركين أعداء الله واعدائهم ، لاصرارهم على الكفر ، واخراجهم رسول الله والمؤمنين من ديارهم بمكة ، وأشارت إلى أن عداوة هؤلاء كامنة للمؤمنين ، لا تلبث أن تستعلن حين يلاقونهم ويتمكنون منهم .

ثم انتقلت الى بيان الاسوة الحسنة فى ابراهيم والذين معه فى تبرئهم من المشركين وما يعبدون من دون الله ، معلنين عداوتهم لهم ، حتى يؤمنوا بالله وحده ، موضحة ان ذلك شأن الذين يرجون لقاء الله ويخشون عقابه .

ثم بينت من تجوز صلتهم من غير المسلمين ومن لا تجوز ، فأما الذين لا يقاتلوننا فى الدين ولا يعينون علينا فإن لنا أن نبرهم ونقسط إليهم ، وأما الذين قاتلونا فى الدين ، وظاهروا على اخراجنا من ديارنا ، فأولئك الذين نهى الله عن برهم والصلة بهم .

ثم بينت السورة ، حكم المؤمنات اللاتى هاجرن إلى دار الإسلام ، وتركن أزواجهن مشركين ، وحكم المشركات اللاتى هاجر أزواجهن مسلمين وقد تركوهن بدار الشرك .

واتبعت ذلك ببيان بيعة النساء ، وما بايعن عليه الرسول ﷺ ، ثم ختمت بما بدأت به من النهى عن موالاة الأعداء الذين غضب الله عليهم ، تقريراً للحكم الذى بينته فى مفتتحها ، وأكدته فى ثناياها .

١ - يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله : لا تتخذوا أعدائى وأعداءكم أنصاراً تفضون اليهم بالمحبة الخالصة ، مع أنهم جحدوا بما جاءكم من الايمان بالله ورسوله وكتابه ، يخرجون الرسول ويخرجونكم من دياركم ، لايمانكم بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد فى سبيلى وطلب رضائى فلا تتولوا أعدائى ، تلقون إليهم بالمودة سراً ، وأنا أعلم بما أسررتم وما أعلنتم ، ومن يتخذ عدو الله ولياً له فقد أخطأ الطريق المستقيم .

لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ

---

٢ - إن يلقوكم ويتمكنوا منكم تظهر لكم عداوتهم ، ويمدوا اليكم ايديهم وألسنتهم بما يسوءكم ، وتمنوا كفركم مثلهم .

٣ - لن تنفعكم قراباتكم ولا أولادكم الذين تتخذونهم أولياء وهم عدو لله ولكم ، يوم القيامة يفصل الله بينكم ، فيجعل أعداءه فى النار وأولياءه فى الجنة ، والله بكل ما تعملون بصير .

٤ - قد كانت لكم قدوة حسنة تقتدون بها فى ابراهيم والذين آمنوا معه ، حين قالوا لقومهم : انا بريئون منكم ومن الآلهة التى تعبدونها من دون الله ، جحدنا بكم ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ، لا تزول أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ، لكن قول ابراهيم لأبيه : لأطلبن لك المغفرة ، وما أملك من الله من شىء ، ليس مما يقتدى به ، لأن ذلك كان قبل أن يعلم أنه مصمم على عداوته لله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . قولوا أيها المؤمنون : ربنا عليك اعتمدنا ، واليك رجعنا ، واليك المصير فى الآخرة .

٥ - ربنا لا تجعلنا بحال نكون بها فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ذنوبنا يا ربنا ، انك انت العزيز الذى لا يغلب ، ذو الحكمة فى تصرفاته .

٦ - لقد كان لكم - أيها المؤمنون - فى إبراهيم والذين معه قدوة حسنة فى معاداتهم أعداء الله ، هذه القدوة لمن كان يرجو لقاء الله واليوم الآخر ومن يعرض عن هذا الاقتداء فقد ظلم نفسه ، فإن الله هو الغنى عما سواه ، المستحق للحمد من كل ما عداه .

٧ - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من الكافرين مودة بتوفيقهم للإيمان ، والله تام القدرة ، والله واسع المغفرة لمن تاب ، رحيم بعباده .

إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا

---

٨ ـ لا ينهاكم الله عن الكافرين الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم وتمنحوهم صلتكم، ان الله يحب أهل البر والتواصل.

٩ ـ إنما ينهاكم الله عن الذين حاربوكم فى الدين ليصدوكم عنه، وأجبروكم على الخروج من دياركم، وعاونوا على إخراجكم منها أن تتخذوهم أنصاراً ومن يتخذ هؤلاء أنصاراً فأولئك هم الظالمون لأنفسهم.

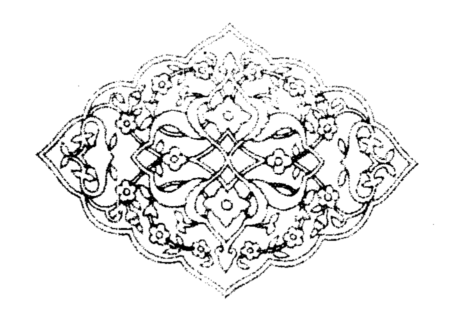
١٠ ـ يأيها الذين آمنوا : اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الشرك فاختبروهن لتعلموا صدق ايمانهم، الله أعلم بحقيقة إيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار. لا المؤمنات حلال للكافرين، ولا الكافرين حلال للمؤمنات، وآتوا الأزواج الكافرين ما أنفقوا من الصداق على زوجاتهم المهاجرات اليكم ولا حرج عليكم أن تتزوجوا هؤلاء المهاجرات اذا آتيتموهن صداقهن، ولا تتمسكوا بعقد زوجية الكافرات الباقيات فى دار الشرك أو اللاحقات بها. واطلبوا من الكفار ما أنفقتم من صداق على اللاحقات بدار الشرك وليطلبوا ـ هم ـ ما أنفقوا على زوجاتهم المهاجرات، ذلكم التشريع حكم الله، يفصل به بينكم، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فى تشريعه.

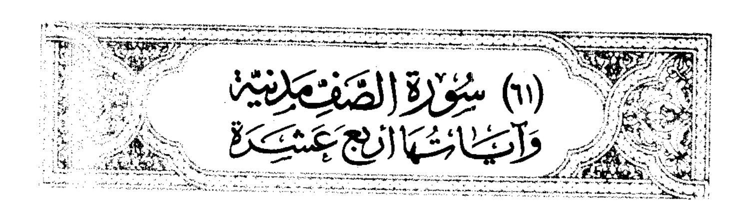
١١ ـ وان أفلت منكم بعض زوجاتكم إلى الكفار، ثم حاربتموهم، فآتوا الذين ذهبت زوجاتهم مثل ما أنفقوا عليهن من صداق، وأتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

١٢ - يأيها النبى : إذا جاءك المؤمنات يعاهدنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يلحقن بأزواجهن من ليس من أولادهن بهتاناً وكذباً يختلقنه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يخالفنك فى معروف تدعوهن اليه ، فعاهدهن على ذلك ، واطلب لهن المغفرة من الله ، ان الله عظيم المغفرة والرحمة .

١٣ - يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله ، لا توالوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة وما فيها من ثواب وحساب كما يئس الكفار من احياء أصحاب القبور.





بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأنه سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وأنه لا يليق بالمؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، وان الله يحب أن يكونوا يداً واحدة ، ثم وصمت بنى اسرائيل بالعناد والكفر على لسان رسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وبأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ، والله متم نوره ، وفيها وعد الله - ووعده الحق - أن يظهر هذا الدين على ما سواه ولو كره المشركون . وختمت بالحث على الجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس وبوعد المجاهدين بالمغفرة والجنة ، وأخرى يحبها المؤمنون : نصر من الله وفتح قريب ، ويحث المؤمنين أن يكونوا انصار الله كما كان الحواريون مع عيسى ابن مريم ، وبأن الله يؤيد المؤمنين بنصره وهو الغالب على كل شىء ، ذو الحكمة البالغة .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما فى السموات وما فى الأرض ، وهو وحده - الغالب على كل شىء ، ذو الحكمة البالغة .

٢ - يأيها الذين آمنوا : لأى غرض تقولون بألسنتكم ما لا تصدقه افعالكم ؟ .

٣ - كره الله كرها شديداً أن تقولوا ما لاتفعلون .

٤ - ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيل اعلاء كلمته متماسكين ، كأنهم بنيان محكم .

٥ - واذكر - يا محمد - حين قال موسى لقومه : يا قومى ، لم تؤذوننى وأنتم تعلمون أنى رسول الله اليكم ؟ . فلما أصروا على الانحراف عن الحق أمال الله قلوبهم عن قبول الهداية ، والله لا يهدى القوم الخارجين عن طاعته .

إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ

---

٦ - واذكر حين قال عيسى ابن مريم : يا بنى إسرائيل انى رسول الله إليكم ، مصدقاً لما تقدمنى من التوراة ، ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم الرسول المبشر به بالآيات الواضحات قالوا : هذا الذى جئتنا به سحر بين .

٧ - ومن أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام دين الحق والخير ، والله لا يهدى القوم المصرين على الظلم .

٨ - يفترى بنو اسرائيل الكذب على الله ، لكى يطفئوا نور دينه بأفواههم ، كمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخة من فيه ، والله مكمل نوره باتمام دينه ولو كره الجاحدون .

٩ - الله الذى أرسل رسوله محمدا بالقرآن هدى للناس وبالاسلام دين الحق ، ليعليه على كل الأديان ولو كره المشركون .

١٠ - يأيها الذين آمنوا : هل أرشدكم الى تجارة عظيمة تنجيكم من عذاب شديد الألم ؟ .

١١ - هذه التجارة هى أن تثبتوا على الايمان بالله ورسوله ، وتجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلك الذى أرشدكم اليه خير لكم ان كنتم تعلمون .

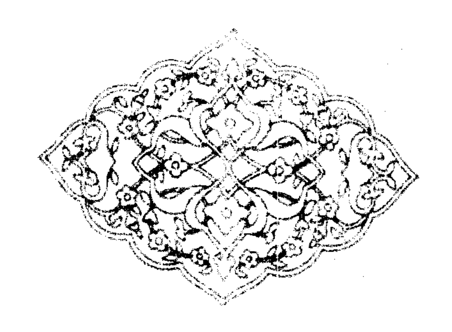
١٢ - ان تؤمنوا وتجاهدوا فى سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم .

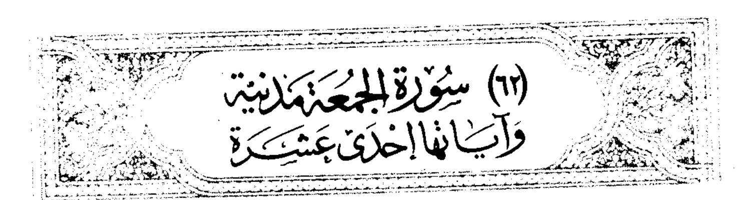
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

---

١٣ ـ ونعمة أخرى لكم أيها المؤمنون المجاهدون تحبونها ، هى نصر من الله وفتح قريب تغنمون خيره ، وبشر المؤمنين ـ يا محمد ـ بهذا الجزاء .

١٤ ـ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله اذا دعاكم رسول الله أن تكونوا انصاره ، كما كان أصفياء عيسى أنصاراً لله حين قال : من أنصارى الى الله ؟ فآمنت طائفة من بنى اسرائيل بعيسى ، وكفرت طائفة . فقوينا الذين آمنوا به على عدوهم الذين كفروا ، فأصبحوا بتقويتنا منتصرين غالبين .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

افتتحت هذه السورة باخباره تعالى أنه يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض ، وقد امتن ـ جل شأنه ـ على العرب الأميين أنه بعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وان هذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد نعى الله تعالى على اليهود تركهم العمل بالتوراة مع علمهم بما فيها ، وأنكر عليهم دعواهم انهم أولياء الله من دون الناس ، وتحداهم أن يتمنوا الموت ان كانوا صادقين . وختمت السورة بأمر المؤمنين أن يبادروا الى صلاة الجمعة إذا سمعوا النداء ، وأن يذروا البيع ، وإذا قضيت الصلاة ينتشرون فى الأرض ويبتغون من فضل الله ، وأنكر عليهم أن يشغلهم عن سماع خطبتها شاغل من تجارة أو لهو ، وتكفل لهم بالرزق ، والله خير الرازقين .

١ ـ يسبح لله وينزهه عما لا يليق به كل ما فى السموات وما فى الأرض ، المالك لكل شىء المتصرف فيه بلا منازع ، المنزه تنزيهاً كاملاً عن كل نقص ، الغالب على كل شىء ، ذى الحكمة البالغة .

٢ ـ الله هو الذى أرسل فى العرب الذين لا يعرفون الكتابة رسولاً منهم ، يقرأ عليهم آياته ويطهرهم من خبائث العقائد والأخلاق ، ويعلمهم القرآن والتفقه فى الدين ، وإنهم كانوا قبل بعثته لفى انحراف عن الحق شديد الوضوح .

٣ ـ وبعثه فى آخرين منهم ، لم يجيئوا بعد وسيجيئون ، وهو ـ وحده ـ الغالب على كل شىء ، ذو الحكمة البالغة فى كل افعاله .

٤ ـ ذلك البعث فضل من الله يكرم به من يختار من عباده ، والله ـ وحده ـ صاحب الفضل العظيم .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

---

٥ - مثل اليهود الذين علموا التوراة ، وكلفوا العمل بها ، ثم لم يعملوا ، كمثل الحمار يحمل كتباً لا يعرف ما فيها ، ساء مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يوفق الى الهدى القوم الذين شأنهم الظلم .

٦ - قل - يا محمد - : يأيها الذين صاروا يهوداً ، ان ادعيتم باطلاً أنكم أحباء الله من دون الناس جميعاً ، فتمنوا من الله الموت ، ان كنتم صادقين فى دعوى حب الله لكم .

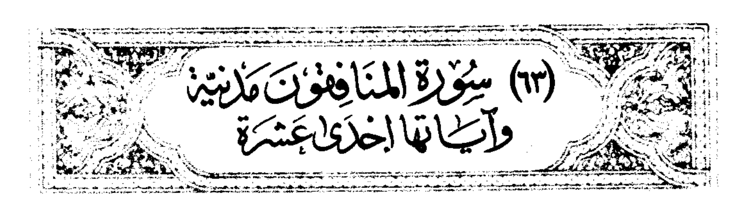
٧ - قال الله : ولا يتمنى الموت يهودى أبداً بسبب ما قدموه من الكفر وسوء الفعال ، والله محيط علمه بالظالمين .

٨ - قل : ان الموت الذى تهربون منه لا مهرب منه ، فانه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم السر والعلانية ، فيخبركم بما كنتم تعملون .

٩ - يأيها الذين آمنوا اذا اذن للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى ذكر الله ، حريصين عليه ، واتركوا البيع ، ذلكم الذى أمرتم به أنفع لكم ان كنتم تعلمون .

١٠ - فإذا أديتم الصلاة فتفرقوا فى الأرض لمصالحكم ، واطلبوا من فضل الله ، واذكروا الله بقلوبكم والسنتكم كثيراً ، لعلكم تفوزون بخيرى الدنيا والآخرة .

١١ - واذا ابصروا متاعاً للتجارة أو لهواً تفرقوا اليها وتركوك قائماً تخطب ، قل لهم : ما عند الله من الفضل والثواب انفع لكم من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين ، فاطلبوا رزقه بطاعته .



بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا

اشتملت هذه السورة على طائفة من أوصاف المنافقين ، فذكرت انهم يعلنون ايمانهم بألسنتهم غير صادقين ، وبينت أنهم يجعلون أيمانهم الكاذبة ، وقاية لهم من وصف الكفر الذى هم عليه ومجازاتهم به ، كما بينت أنهم ذوو اجسام حسنة تعجب من رآها ، وأصحاب فصاحة يستمع اليها ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الايمان كأنهم خشب مسندة لا حياة فيهم .

وعرضت لحالهم حين يدعون ليستغفر لهم رسول الله مبينة أنهم يستكبرون ، ويظهرون اعراضهم عن الاستجابة متعالين .

ثم انتقلت إلى ما زعمه المنافقون من أنهم أعزة وأن المؤمنين أذلة ، وما تواعدوا به المؤمنين من إخراجهم بعد رجوعهم إلى المدينة ، مبينة أى الفريقين هو الأعز .

ووجهت فى ختامها الخطاب للمؤمنين لينفقوا فى سبيل الله ، مبادرين إلى ذلك قبل أن يأتى أحدهم الموت ، فيندم ويتمنى أن لو تأخر أجله ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها .

١ - اذا جاءك المنافقون - يا محمد - قالوا بألسنتهم : نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فى دعواهم الإيمان بك لعدم تصديقهم بقلوبهم .

٢ - جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من المؤاخذة ، فمنعوا أنفسهم عن طريق الله المستقيم ، انهم قبح ما كانوا يعملون من النفاق والأيمان الكاذبة .

٣ - ذلك الذى دأبوا عليه من الظهور بغير حقيقته والحلف بالأيمان الكاذبة ، بسبب أنهم آمنوا بألسنتهم ، ثم كفروا بقلوبهم ، فختم على قلوبهم بهذا الكفر ، فهم لا يفهمون ما ينجيهم من عذاب الله .

تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ

---

٤ ـ واذا أبصرتهم تعجبك أجسامهم لوجاهتم ، وإن يتحدثوا تسمع لقولهم لحلاوته ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الايمان كأنهم خشب مسندة لا حياة فيهم ، يحسبون كل نازلة عليهم لشعورهم بحقيقة حالهم ، هم العدو فاحذرهم ، طردهم الله من رحمته ، كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من النفاق !

٥ ـ وإذا قيل لهم : اقبلوا يستغفر لكم رسول الله ، حركوا رءوسهم استهزاء ، ورأيتهم يعرضون وهم مستكبرون عن الامتثال !

٦ ـ سواء على هؤلاء المنافقين استغفارك لهم أو عدم استغفارك ، لأنهم لن يرجعوا عن نفاقهم ، فلن يغفر الله لهم ، لن الله لا يهدى إلى الحق الخارجين على أمره والإيمان به .

٧ ـ هم الذين يقولون لأهل المدينة : لا تنفقوا على من عند رسول الله من المؤمنين حتى يتفرقوا عنه ، ولله خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق ، يعطيها من يشاء ، ولكن المنافقين لا يفهمون ذلك .

٨ ـ يقول المنافقون متوعدين : والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن فريقنا الأعز منها فريق المؤمنين الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا لهؤلاء المتوعدين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

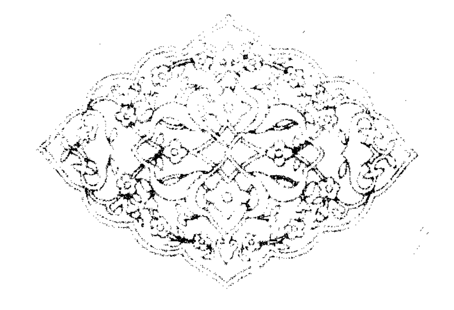
٩ ـ يأيها الذين صدقوا بالله ورسوله ، لا تشغلكم العناية بأموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وأداء ما فرضه عليكم ، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك فأولئك هم الخاسرون يوم القيامة .

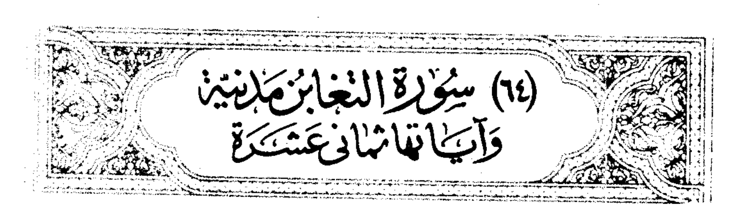
أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

---

١٠ - وانفقوا - أيها المؤمنون - من الأموال التى رزقناكم ، مبادرين بذلك من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول نادماً : رب هلا أمهلتنى إلى وقت قصير ، فأصدق وأكن من الصالحين فى عمل الصالحات .

١١ - ولن يمهل الله نفساً إذا حان وقت موتها ، والله تام العلم بما تعملون ، فيجازيكم عليه .





بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأن كل ما فى السموات وما فى الأرض ينزه الله عما لا يليق بجلاله ، وبأن له الملك وله الحمد ، وأنه على كل شيء قدير ، ثم اتبع ذلك بذكر بعض الدلائل على تمام قدرته وعلمه ، ثم لفتت الأنظار الى الذين كفروا من قبل هؤلاء ، وعصوا رسل ربهم ، وأنهم ذاقوا وبال أمرهم ، وذلك لأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فكفروا بهم وأعرضوا عنهم ، وانتقلت السورة بعد ذلك الى ابطال زعم الكافرين أنهم لن يبعثوا ، وطلبت من الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزل عليه ، وحذرتهم يوم الجمع يوم يظهر غبن الناس ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الفوز العظيم ، والذين كفروا هم أصحاب النار وبئس المصير ، وان المصائب باذن الله ، وأن من يؤمن بالله يهد قلبه .

وطلبت من الناس أن يطيعوا الله ورسوله فان اعرضوا فان الرسول ليس عليه الا البلاغ واخبرت المؤمنين ان أموالهم وأولادهم فتنة ، فلا تصرفهم العناية بهم عما أمروا به ثم أمرتهم أن يتقوا الله ما استطاعوا . وختمت السورة بحضهم على الانفاق فى سبيل الخير ، وأن الله شكور حليم عالم الغيب والشهادة فيجازيهم على أموالهم ، وأنه عزيز لا يغلب ، حكيم لا يعبث .

١ - ينزه الله عما لا يليق بجلاله كل ما فى السموات وما فى الأرض ، له الملك التام وحده وله الثناء الجميل ، وهو على كل شيء تام القدرة .

٢ - هو الذى تفرد بخلقكم من عدم ، فمنكم منكر لألوهيته ، ومنكم مصدق بها ، والله بما تعملون بصير فيجازيكم على أعمالكم .

٣ - خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة ، وصوركم فأحسن صوركم ، حيث جعلكم فى أحسن تقويم واليه المرجع يوم القيامة .

عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

---

٤ - يعلم كل ما فى السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون من أقوال وأفعال ، والله تام العلم بمضمرات الصدور .

٥ - قد أتاكم خبر الذين كفروا من قبلكم ، فتجرعوا سوء عاقبة أمرهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد الألم .

٦ - ذلك الذى أصابهم ويصيبهم من العذاب لأنه بسبب أنهم اتتهم رسلهم بالمعجزات الظاهرة ، فقالوا منكرين : أبشر مثلنا يرشدوننا ، فأنكروا بعثتهم ، وانصرفوا عن الحق ، وأظهر الله غناه عن ايمانهم باهلاكهم ، والله تام الغنى عن خلقه ، مستحق للثناء والحمد على جميل نعمه .

٧ - ادعى الذين كفروا - باطلاً - أنهم لن يبعثوا بعد الموت ، قل لهم - يا محمد - ليس الأمر كما زعمتم . أقسم بربى لتبعثن بعد الموت ولتخبرن بما عملتم فى الدنيا ثم تجازون عليه ، وذلك البعث والحساب والجزاء على الله سهل يسير .

٨ - فصدقوا بالله ورسوله ، واهتدوا بالنور الذى أنزلناه اذ وضح لكم أن البعث آت لا ريب فيه ، والله بما يصدر منكم من عمل تام العلم .

٩ - يوم يجمعكم فى يوم الجمع للاولين والآخرين ، يجازيكم على أعمالكم ، ذلك يوم التغابن الذى يظهر فيه غبن الكافرين لانصرافهم عن الايمان ، وغبن المؤمنين المقصرين لتهاونهم فى تحصيل الطاعات ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يذهب عنه سيئاته ، ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبداً ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم .

ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

---

١٠ - والذين جحدوا بالايمان وكذبوا بمعجزاتنا التى أيدنا بها رسلنا ، أولئك أصحاب النار ماكثين فيها ، وساء المصير الذى صاروا إليه .

١١ - ماأصاب العبد من بلاء الا بتقدير الله ، ومن يصدق بالله يهد قلبه الى الرضا بما كان ، والله بكل شىء تام العلم .

١٢ - وأطيعوا الله فيما كلفكم به ، وأطيعوا الرسول فيما بلغ عن ربه ، فإن اعرضتم عن هذه الطاعة فلن يضره اعراضكم ، فإنما على رسولنا ابلاغكم الرسالة بلاغا بينا .

١٣ - الله لا معبود بحق إلا هو وعلى الله - وحده - فليعتمد المؤمنون فى كل أمورهم .

١٤ - يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بما يصرفونكم عن طاعة الله لتحقيق رغباتهم ، فكونوا منهم على حذر ، وان تتجاوزوا عن سيئاتهم التى تقبل العفو وتعرضوا عنها وتستروها عليهم يغفر الله لكم ، فإن الله واسع المغفرة والرحمة .

١٥ - إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء وامتحان ، والله عنده أجر عظيم لمن يؤثر طاعة الله .

١٦ - فابذلوا فى تقوى الله جهدكم وطاقتكم ، واسمعوا مواعظه واطيعوا أوامره ، وأنفقوا مما رزقكم فيما أمر بالانفاق فيه ، وافعلوا خيرا لأنفسكم ، ومن يكفه الله بخل نفسه وحرصها على المال فأولئك هم الفائزون بكل خير .

١٧ - ان تنفقوا فى وجوه البر انفاقا مخلصين فيه يضاعف الله ثواب ما أنفقتم ، ويغفر لكم ما فرط من ذنوبكم ، والله عظيم الشكر والمكافأة للمحسنين ، حليم فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه .

١٨ - هو عالم كل ماغاب وما حضر ، القوى القاهر ، الحكيم فى تدبير خلقه الذى يضع كل شىء موضعه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ

تحدثت السورة عن بعض أحكام الطلاق ، وعن العدة ، وأنواعها ، وأحكامها : من بقاء المعتدة فى مسكنها الذى طلقت فيه ، ومن وجوب الانفاق عليها ، واسكانها . وفى ثنايا هذه الأحكام - كما هى سنة القرآن - وعد لمن امتثل أوامر الله ، ووعيد لمن تعدى حدوده ، ثم أشارت إلى عاقبة المتكبرين عن امتثال أوامر الله ورسله . وختمت السورة بحث المؤمنين على تقوى الله ، وتذكيرهم بنعمة إرسال رسول يتلو عليهم آيات الله ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وبقدرته العظيمة فى خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن .

١ - يأيها النبى إذا أردتم أن تطلقوا النساء ، فطلقوهن مستقبلا لعدتهن ، واضبطوا العدة ، واتقوا الله ربكم ، لاتخرجوا المطلقات من مساكنهن التى طلقن فيها ، ولا يخرجن منها إلا أن يفعلن فعلة منكرة واضحة ، تلك الأحكام المتقدمة معالم الله ، شرعها لعباده ، ومن يجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يوجد بعد ذلك الطلاق أمرا لا تتوقعه ، فيتحابان .

٢ - فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن ، فراجعوهن مع حسن معاشرة ، أو فارقوهن من غير مضارة ، وأشهدوا على الرجعة والمفارقة صاحبى عدالة منكم . وأدوا الشهادة على وجهها خالصة لله ، ذلكم الذى أمرتم به يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يخف الله فيقف عند أوامره ونواهيه يجعل له مخرجا من كل ضيق .

قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى

---

٣ ـ ويهيىء له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله ، ومن يفوض إلى الله كل أموره فهو كافيه ، إن الله بالغ مراده ، منفذ مشيئته ، قد جعل الله لكل شىء وقتا لا يعدوه ، وتقديرا لا يجاوزه .

٤ ـ والمعتدات من المطلقات اللائى يئسن من المحيض لكبرهن ، إن لم تعلموا كيف يعتددن ، فعدتهن ثلاثة أشهر ، واللائى لم يحضن عدتهن كذلك وصواحب الحمل عدتهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله فينفذ أحكامه ييسر الله له أموره .

٥ ـ ذلك التشريع أمر الله ـ لا غير ـ أنزله إليكم ، ومن يتق الله بالمحافظة على أحكامه يمح عنه خطاياه ، ويعظم له جزاء .

٦ ـ أسكنوا المعتدات بعض أماكن سكناكم ، على قدر طاقتكم ، ولا تلحقوا بهن ضررا ، لتضيقوا عليهن فى السكنى ، وإن كن ذوات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعت المطلقات لكم أولادكم ، فوفوهن أجورهن ، وليأمر بعضكم بعضا بما تعورف عليه من سماحة وعدم تعنت ، وإن أوقع بعضكم بعضا فى العسر بالشح والتعنت ، فسيرضع للأب مرضعة أخرى ، غير الأم المطلقة .

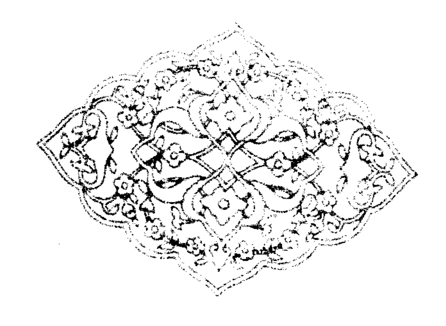
٧ ـ لينفق صاحب بسطة فى الرزق مما بسطه الله له ، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما أعطاها ، سيجعل الله بعد ضيق فرجا .

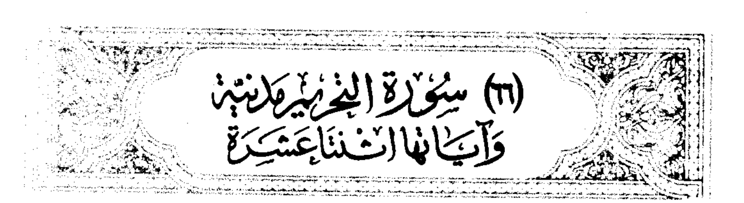
٨ ، ٩ ـ وكثير من القرى التى تجبر أهلها وأعرضوا عن أمر ربهم ورسله ، فحاسبناها حسابا شديدا ، بتقصى كل ما فعلوه ومناقشتهم ، وعذبناها عذابا منكرا فظيعا ، فتجرعوا سوء مآل أمرهم ، وكان عاقبة أمرهم خسرانا شديدا .

ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

١٠، ١١ - هيأ الله لأهل القرى المتجبرين عذابا بالغ الشدة، فاحذروا غضب الله يا أصحاب العقول الراجحة، الذين اتصفوا بالإيمان، قد أنزل الله إليكم ذا شرف ومكانة رسولا يقرأ عليكم آيات الله مبينات لكم الحق من الباطل، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يصدق بالله ويعمل عملا صالحا يدخله جنات تجرى من خلالها الأنهار، مخلدين فيها أبدا، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقا طيبا.

١٢ - الله - وحده - الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، يجرى أمره بينهن، لتعلموا أن الله على كل شىء تام القدرة، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما.





بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ

أشارت السورة إلى أمر أغضب النبي ﷺ من بعض زوجاته . فامتنع عن بعض ما ترغب فيه النفوس مما أحله الله له ، وحذرت زوجاته مغبة ما أقدمن عليه ، ثم انتقلت السورة إلى أمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم نارا وقودها الناس والحجارة ، وبينت أنه لا يقبل من الكافرين اعتذار يوم القيامة . ودعت المؤمنين إلى التوبة النصوح ، والرسول ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين ، والغلظة عليهم ، وختمت بضرب الأمثلة لبيان : أن صلاح الأزواج لايرد عذاب الله عن زوجاتهم إن كن منحرفات وان فساد الأزواج لا يضر الزوجات إن كن صالحات مستقيمات ، فكل نفس بما كسبت رهينة .

١ - يأيها النبي لم تمنع نفسك عما أحل الله لك ؟ ! تريد ارضاء زوجاتك . والله بالغ المغفرة واسع الرحمة .

٢ - قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم بالتكفير عنها ، والله سيدكم ومتولى أموركم ، وهو التام العلم فيشرع لكم ما فيه خيركم ، الحكيم فيما يشرعه لكم .

٣ - واذكر حين أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ، فلما أخبرت به ، وأطلع الله نبيه على افشائه ، أعلم بها بعضا ، وأعرض - تكرما - عن بعض ، فلما أعلمها به ، قالت : من أعلمك هذا ؟ قال : أنبأنى العليم بكل شىء الذى لا تخفى عليه خافية .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ
مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

---

٤ - ان ترجعا إلى الله نادمتين فقد فعلتما ما يوجب التوبة ، لأنه قد مالت قلوبكما عما يحبه رسول الله من حفظ سره ، وإن تتعاونا عليه بما يسوءه فإن الله هو ناصره وجبريل والمتصفون بالصلاح من المؤمنين والملائكة بعد نصرة الله مظاهرون له ومعينون .

٥ - عسى ربه ان طلقكن - أيتها الزوجات - أن يزوجه بدلا منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة ، مصدقات بقلوبهن ، خاشعات لله ، رجاعات إلى الله ، متعبدات متذللات له ، ذاهبات فى طاعة الله كل مذهب ، ثيبات وأبكارا .

٦ - يأيها الذين آمنوا : احفظوا أنفسكم وأهليكم من نار وقودها الناس والحجارة ، يقوم على أمرها وتعذيب أهلها ملائكة قساة فى معاملتهم أقوياء ، يتقبلون أوامر الله ، وينفذون ما يؤمرون به ، غير متوانين .

٧ - يقال للكافرين يوم القيامة : لا تلتمسوا المعاذير اليوم ، إنما تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا .

٨ - يأيها الذين آمنوا : ارجعوا إلى الله من ذنوبكم رجعة بالغة فى الإخلاص ، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، يوم يرفع الله شأن النبى والذين آمنوا معه ، نور هؤلاء يسير أمامهم وهو بأيمانهم ، يقولون - تقربا إلى الله - : يا سيدنا ومالك أمرنا ، أتمم لنا نورنا ، حتى نهتدى إلى الجنة ، وتجاوز عن ذنوبنا إنك على كل شىء تام القدرة .

٩ - يأيها النبى : جاهد الكفار الذين أعلنوا كفرهم والمنافقين الذين أبطنوه بما تملكه من قوة وحجة . واشتد على الفريقين فى جهادك ، ومستقرهم جهنم ، وبئس المآل مآلهم .

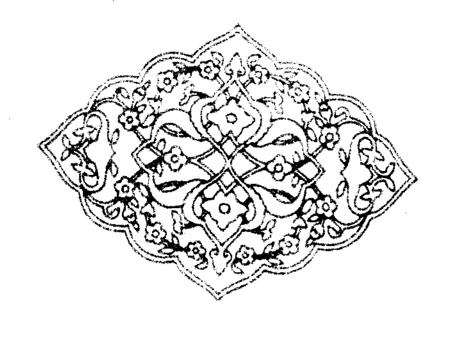
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

---

١٠ ـ ذكر الله حالة عجيبة تعرف بها أحوال مماثلة للذين كفروا ، هى امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عصمة عبدين من خالص عبادنا صالحين ، فخانتاهما بالتآمر عليهما وافشاء سرهما إلى قومهما ، فلم يدفع هذان العبدان الصالحان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا ، وقيل للزوجتين عند هلاكهما : ادخلا النار مع الداخلين .

١١ ـ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت : رب ابن لى عندك قريبا من رحمتك بيتا فى الجنة ، وأنقذنى من سلطان فرعون وعمله ، المسرف فى الظلم ، وأنقذنى من القوم المعتدين .

١٢ ـ وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنة عمران ، التى حفظت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، فحملت بعيسى ، وصدقت بكلمات الله ، وهى أوامره ونواهيه وكتبه المنزلة على رسله ، وكانت من عداد المواظبين على طاعة الله .



(٦٧) سورة الملك مكية وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير (١) الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (٢) الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير (٤) ولقد زينا السماء

السورة مسماة بسورة الملك أخذا من كلمة الملك التى وقعت فى أول آية منها ، وأهم مقاصد هذه السورة الكريمة ، أنها توجه الافكار وتلفت الأنظار إلى آثار قدرة الله الباهرة فى الأنفس والآفاق ، علوها وسفلها ، ليكون ذلك سبيلا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وبيان حال الكافرين الذين يلقون فى جهنم ، فيسمعون شهيقها ، ويصلون نارها ، ويعترفون بذنبهم ، ويتحسرون على مصيرهم ، حين تبكتهم الملائكة بعدم استجابتهم للرسول فيما دعاهم إليه وأنذرهم به .

وأما من خافوا ربهم ، وآمنوا به ، فلهم مغفرة وعفو عما فرطوا ، وأجر كبير بما قدموا وبذلوا .

١ ـ تعالى وازدادت بركات من يملك وحده التصرف فى جميع المخلوقات ، وهو على كل شىء تام القدرة .

٢ ـ الذى خلق الموت والحياة لغاية أرادها ، هى أن يختبركم أيكم أصح عملا وأخلص نية ، وهو الغالب الذى لا يعجزه شىء ، العفو عن المقصرين .

٣ ـ الذى أبدع سبع سموات متوافقة على سنة واحدة من الإتقان ، ما ترى فى صنع الله ـ الذى عمت رحمته خلقه ـ أى تفاوت . فأعد بصرك ، هل تجد أى خلل ؟ !

٤ ـ ثم أعد البصر مرة بعد مرة يرجع اليك البصر مردودا عن إصابة ما التمس من عيب ، وهو متعب كليل .

ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ

---

٥ - ولقد زينا السماء القريبة التى تراها العيون بكواكب مضيئة ، وجعلناها مصادر شهب يرجم بها الشياطين ، وأعددنا لهم فى الآخرة عذاب النار الموقدة[١].

٦ - وللذين لم يؤمنوا بربهم عذاب جهنم ، وساءت عاقبة لهم هذه العاقبة.

٧ ، ٨ - إذا طرحوا فيها سمعوا لها صوتا منكرا ، وهى تغلى غليانا شديدا ، تكاد تتقطع وتتفرق من شدة الغضب عليهم ، كلما ألقى فيها جماعة منهم سألهم الموكلون بها موبخين لهم : ألم يأتكم رسول يحذركم لقاء يومكم هذا ؟ !

٩ - قالوا مجيبين : قد جاءنا نذير فكذبناه ، وقلنا : ما نزل الله من شىء عليك ولا على غيرك من الرسل ما أنتم - أيها المدعون للرسالة - إلا فى انحراف بعيد عن الحق.

١٠ - وقالوا : لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق أو نفكر فيما ندعى إليه ، ما كنا فى عداد أصحاب السعير.

١١ - فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم ، فبعدا لأصحاب السعير عن رحمة الله.

١٢ - إن الذين يخافون ربهم ، وهم لا يرونه ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وثواب عظيم على حسناتهم.

---

(١) السماء كل ما علانا فأظلنا ، وقال ابن سيده ، هى خضم الفضاء بما فيه من الأجرام والشهب . والصورة التى يراها سكان الأرض فى الليالى الصافية هى القبة الزرقاء تزينها النجوم والكواكب وكأنها مصابيح كما ترى الشهب تهوى محترقة فى أعالى جو الأرض. وما القبة الزرقاء إلا نتيجة لتلاق ضوء الشمس والنجوم مع دقائق الغبار العالقة فى الهواء وجزئيات الهواء نفسه وتشتته بها. هذا فضلا عن الظواهر الضوئية الخاصة التى تزين السماء الدنيا مثل الشفق والفجر والأضواء البروجية وأضواء الشمال أو الفجر القطبى وكلها ظواهر متباينة ترجع إلى تفاعل الضوء مع غلاف الأرض الجوى ومجالها المغنيطى.

أَجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا

---

١٣ - وأخفوا قولكم أو أعلنوه ، فهما عند الله سواء ، لأنه عظيم الإحاطة ، عليم بخفايا الصدور .

١٤ - أليس يعلم الخالق لجميع الأشياء خلقه ، وهو العالم بدقائق الأشياء وحقائقها ؟ !

١٥ - هو الذى جعل لكم الأرض طيعة ميسرة ، فامشوا فى جوانبها ، وكلوا من رزقه الذى يخرجه لكم منها ، وإليه وحده البعث للجزاء .

١٦ - أأمنتم من فى السماء سلطانه ، أن يقطع بكم الأرض ، فيفاجئكم أنها تضطرب اضطرابا شديدا ؟ !

١٧ - بل أأمنتم من فى السماء سلطانه ، أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحصباء ؟ ! فستعلمون حينئذ هول وعيدى لكم .

١٨ - ولقد كذب الذين من قبل قومك رسلهم ، فعلى أى حال من الشدة كان إنكارى عليهم بإهلاكهم وأخذهم ؟ !

١٩ - أعموا ولم ينظروا إلى الطير فوقهم ، باسطات أجنحتهن ، ويقبضنهن حينا بعد حين ما يمسكهن أن يقعن إلا الرحمن ؟ ! إنه بكل شىء عليم خبير ، يعطيه ما يصلح عليه أمره[1] .

---

(١) الصف هو أن يبسط الطائر جناحيه دون أن يحركهما . وفى طيران الطيور آيات معجزات لم تفهم بعضها إلا بعد تقدم علوم الطيران ونظريات الحركة (الليناميكا) الهوائية . ولكن أكثر ما يثير العجب هو أن يمضى الطائر فى الجو بجناحين ساكنين حتى يغيب عن الأبصار . وقد كشف العلم أن الطيور الصافة تركب متن التيارات الهوائية المساعدة التى تنشأ إما من اصطدام الهواء بعائق ما أو من ارتفاع أعمدة من الهواء الساخن . فإذا ما كانت الريح هيئة ظلت الأعمدة قائمة وصفت الطيور فى أشكال حلزونية . أما إذا اشتدت انقلبت الأعمدة أفقيا فتصف الطيور فى خطوط مستقيمة بعيدة المدى .

وتتحلى الطيور عامة بخصائص منها خفة الوزن ومتانة البناء وعلو كفاءة القلب ودورة الدم وجهاز التنفس ودقة اتزانها وانسياب أجسامها وهى خصائص أودعها فيها العليم البصير لتحفظها فى الهواء حين تبسط جناحيها أو تقبضهما ، إلا أن الطيور الصافة تتميز على سائر الطيور باختصار حجم عضلات صدورها مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها حتى تستطيع بسطها فترات طوال من جهد كبير .

أما الطيور صغار الأحجام ، التى تعتمد فى طيرانها على الدفيف ، فإنها تضرب بجناحيها إلى أسفل وإلى الأمام لتوفير الدفع والرفع اللازمين لطيرانها ثم تقبض أجنحتها ولكنها تظل طائرة بقوة اندفاعها المكتسبة .

وهكذا يتضافر البناء التشريحى والتكوين الهندسى للطيور بكافة أنواعها على طيرانها وحفظ توازنها وتوجيه أجسامها فى أثناء الطيران .

فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

---

٢٠ - بل من هذا الذى هو قوة لكم يدفع عنكم العذاب سوى الرحمن ؟! ما الكافرون إلا فى غرور بما يتوهمون .

٢١ - بل من هذا الذى يرزقكم - بما تكون به حياتكم وسعادتكم - إن حبس الله رزقه عنكم ؟! بل تمادى الكافرون فى استكبارهم وشرودهم عن الحق .

٢٢ - أتنعكس الحال ، فمن يمشى متعثرا ساقطا على وجهه أهدى فى سيره وقصده ، أم من يمشى مستوى القامة على طريق لا اعوجاج فيه ؟!

٢٣ - قل : هو الذى أوجدكم من العدم ، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة التى هى أسباب عملكم وسعادتكم ، قليلا ما تؤدون شكر هذه النعم لواهبها .

٢٤ - قل : هو الذى بثكم فى الأرض ، وإليه وحده تجمعون لحسابكم وجزائكم .

٢٥ - ويقول المنكرون للبعث : متى يتحقق هذا الوعد بالنشور ؟! نبئونا بزمانه إن كنتم صادقين ؟!

٢٦ - قل يا محمد : هذا علم اختص الله به ، وإنما أنا نذير بين الإنذار .

٢٧ - فلما عاينوا الموعود به قريبا منهم ، علت وجوه الكافرين الكآبة والذلة ، وقيل توبيخا وايلاما لهم : هذا الذى كنتم تطلبون تعجيله .

٢٨ - قل : أخبرونى إن أماتنى الله ومن معى من المؤمنين كما تتمنون ، أو رحمنا فأخر آجالنا وعافانا من عذابه ، فقد أنجانا فى الحالين ، فمن يمنع الكافرين من عذاب أليم استحقوه بكفرهم وغرورهم بآلهتهم ؟!

٢٩ - هو الرحمن صدقنا به ولم تصدقوا وعليه - وحده - اعتمدنا ، واعتمدتم على غيره ، فستعلمون إذا نزل العذاب أى الفريقين هو فى انحراف بعيد عن الحق .

٣٠ - قل : أخبرونى إن أصبح ماؤكم ذاهبا فى الأرض لا تصلون إليه بأى سبب ، فمن غير الله يأتيكم بماء طاهر متدفق يصل إليه كل من أراده ؟!

(٦٨) سورة القلم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

تضمنت هذه السورة الكريمة الدفاع عن رسول الله ﷺ ، وبعث همته وتقوية عزيمته ، ليبقى مستمسكا بالحق من غير ملاينة فيه لأحد ، وتشبيه ما وقع لأهل مكة من العذاب ، بما وقع لأصحاب الجنة الذين جاءت قصتهم فيها ، وتبشير المؤمنين بما لهم عند ربهم ، وعدم التسوية بينهم وبين الكافرين ، والإنكار على المكذبين فيما يدعونه لأنفسهم بغير حق ، وتخويفهم بوصف حالهم فى الآخرة ، وتهديدهم ، والنصح لرسول الله - ﷺ ، بالصبر والاحتمال ، وقد ختمت السورة بتمجيد القرآن الكريم .

١ - ن : حرف من حروف المعجم التى بدئت بعض السور بها ، تحديا للمكذبين وتنبيها للمصدقين .

٢ - أقسم بالقلم الذى يكتب به الملائكة وغيرهم ، وبما يكتبونه من الخير والمنافع ، ما أنت - وقد أنعم الله عليك بالنبوة - بضعيف العقل ، ولا سفيه الرأى .

٣ - وإن لك على ما تلقاه فى تبليغ الرسالة لثوابا عظيما غير مقطوع .

٤ - وإنك لمستمسك بمحاسن الصفات ومحاسن الأفعال التى فطرك الله عليها .

٥ ، ٦ - فعن قريب تبصر يا محمد ، ويبصر الكافرون بأيكم الجنون .

٧ - إن ربك هو أعلم بمن حاد عن سبيله ، وهو أعلم بالعقلاء المهتدين إليه .

٨ ، ٩ - فلا تترك ما أنت عليه من مخالفة للمكذبين ، تمنوا لو تلين لهم بعض الشىء ، فهم يلينون لك طمعا فى تجاوبك معهم .

مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا

---

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ - ولا تترك ما أنت عليه من مخالفتك كل كثير الحلف ، حقير ، عياب ، مغتاب ، نقال للحديث بين الناس على وجه الإفساد بينهم ، شديد الصد عن الخير ، معتد ، كثير الآثام ، غليظ القلب جاف الطبع ، لئيم معروف بالشر ، فوق ماله من تلك الصفات الذميمة .

١٤ ، ١٥ - لأنه كان صاحب مال وبنين ، كذب بآياتنا وأعرض عنها ، إذا يتلى عليه القرآن قال : هذا قصص الأولين وخرافاتهم .

١٦ - سنجعل على أنفه علامة لازمة ، ليكون مفتضحا بها أمام الناس .

١٧ ، ١٨ - إنا اختبرنا أهل مكة بالإنعام عليهم فكفروا ، كما اختبرنا أصحاب الجنة حين حلفوا ليقطعن ثمار جنتهم مبكرين ، ولم يذكروا الله فيعلقوا الأمر بمشيئته .

١٩ ، ٢٠ - فنزل بها بلاء شديد من ربك ليلا وهم نائمون ، فأصبحت كالليل المظلم مما أصابها .

٢١ ، ٢٢ - فنادى بعضهم بعضا عند الصباح ، أن بكروا مقبلين على حرثكم إن كنتم مصرين على قطع الثمار .

٢٣ ، ٢٤ - فاندفعوا وهم يتهامسون متواصين ، ألا يمكنن أحد منكم اليوم مسكينا من دخولها عليكم .

٢٥ - وساروا أول النهار إلى جنتهم ، على قصدهم السيء ، وهم فى غاية القدرة على تنفيذه فى زعمهم .

٢٦ ، ٢٧ - فلما رأوها سوادا محترقة قالوا مضطربين : إنا لضالون فا هذه بجنتنا . بل هى جنتنا ، ونحن محرومون .

نُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً

---

٢٨ - قال أعدلهم وأخيرهم لائما لهم: ألم أقل لكم حين تواصيتم بحرمان المساكين: هلا تذكرون الله فتعدلوا عن نيتكم ! !

٢٩ - قالوا بعد أن ثابوا الى رشدهم نتزه الله أن يكون قد ظلمنا بما أصابنا، إنا كنا ظالمين لسوء قصدنا.

٣٠، ٣١ - فأقبل بعضهم على بعض يلوم كل منهم الآخر، قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا مسرفين فى ظلمنا.

٣٢ - عسى ربنا أن يعوضنا خيرا من جنتنا، انا إلى ربنا وحده راغبون فى عفوه وتعويضه.

٣٣ - مثل ذلك الذى أصاب الجنة، يكون عذابى الذى أنزله فى الدنيا بمن يستحقه، ولعذاب الآخرة أكبر لو كان الناس يعلمون ذلك

٣٤ - إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم الخالص.

٣٥، ٣٦ - أنظلم فى حكنا فنجعل المسلمين كالكافرين ؟ ! ماذا أصابكم ؟ ! كيف تحكمون مثل هذا الحكم الجائر ؟ !

٣٧، ٣٨ - بل ألكم كتاب من الله فيه تقرأون ! ان لكم فيه للذى تتخيرونه !

٣٩ - بل ألكم عهود علينا مؤكدة بالايمان باقية إلى يوم القيامة، ان لكم للذى تحكمون به ؟ !

٤٠ - سل المشركين يا محمد: أيهم بذلك الحكم كفيل ؟ !

٤١ - بل ألهم من يشاركهم ويذهب مذهبهم فى هذا القول ؟ ! فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين فى دعواهم.

أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

---

٤٢ ، ٤٣ ـ يوم يشتد الأمر ويصعب ، ويدعى الكفار إلى السجود ـ تعجيزا وتوبيخا ـ فلا يستطيعون ، منكسرة أبصارهم ، تغشاهم ذلة مرهقة ، وقد كانوا يدعون فى الدنيا إلى السجود وهم قادرون فلا يسجدون .

٤٤ ـ فدعنى ـ يا محمد ـ ومن يكذب بهذا القرآن ، سندنيهم من العذاب درجة درجة من الجهة التى لا يعلمون أن العذاب يأتى منها .

٤٥ ـ وأمهلهم بتأخير العذاب ، إن تدبيرى قوى لا يفلت منه أحد .

٤٦ ـ بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة ، فهم من غرامة كلفتهم إياها مثقلون ؟ !

٤٧ ـ بل أعندهم علم الغيب فهم يكتبون عنه ما يحكمون به ! !

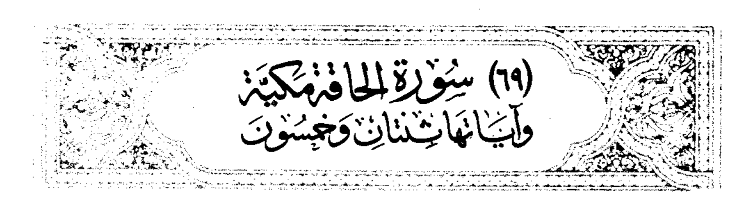
٤٨ ـ فاصبر لإمهالهم وتأخير نصرك عليهم ، ولا تكن كيونس صاحب الحوت فى العجلة والغضب على قومه ، حين نادى ربه وهو مملوء غيظا وغضبا ، طالبا تعجيل عذابهم .

٤٩ ـ لولا أن تداركته نعمة ربه بقبول توبته ، لطرح من بطن الحوت بالفضاء ، وهو معاقب بزلته .

٥٠ ـ فاصطفاه ربه بقبول توبته ، فجعله من الصالحين .

٥١ ـ وإن يكاد الكافرون ليزيلونك عن مكانك ، بنظرهم إليك عداوة وبغضا حين سمعوا القرآن ، ويقولون : إنك لمجنون .

٥٢ ـ وما القرآن إلا عظة وحكمة وتذكير للعالمين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ

عرضت هذه السورة الكريمة لأحوال القيامة ، وذكرت بما أصاب الأمم السابقة من الهلاك والأخذ الشديد حين كذبوا ، وتحدثت عن النفخ فى الصور ، وما يصيب الأرض والجبال والسماء من التغير والزوال ، وما يكون بعد ذلك من العرض للحساب ، وبشرت أصحاب اليمين بما يلقون من جزاء كريم ونعيم مقيم ، وأنذرت أصحاب الشمال والعذاب الأليم ، وختمت بالحديث عن صدق رسول الله - ﷺ - فيما بلغه ، وعن صدق القرآن الذى هو حق اليقين .

١ ، ٢ - القيامة الواقعة حقا ، ما القيامة الواقعة حقا ؟ !

٣ - وأى شىء أدراك حقيقتها ، وصور لك هولها وشدتها ؟ !

٤ - كذبت ثمود وعاد بالقيامة التى تقرع العالمين بأهوالها وشدائدها .

٥ - فأما ثمود فأهلكوا بالواقعة التى جاوزت الحد فى الشدة .

٦ - وأما عاد فأهلكوا بريح باردة عنيفة متمردة .

٧ - سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة لا تنقطع ، فترى فى مهاب الريح موتى كأنهم أصول نخل خاوية أجوافها .

٨ - فهل ترى لهم من نفس باقية دون هلاك ؟ !

بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

---

٩ ـ وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التى كفرت ، والجماعة المنصرفة عن الحق والفطرة السليمة بالأفعال ذات الخطأ العظيم الفاحش .

١٠ ـ فعصت كل أمة من هؤلاء رسول ربهم ، فأخذهم بعقابه أخذة زائدة فى الشدة .

١١ ـ انا لما جاوز الماء حده ، وعلا فوق الجبال فى حادث الطوفان ، حملناكم ـ بحمل أصولكم ـ فى السفينة الجارية .

١٢ ـ لنجعل الواقعة التى كان فيها نجاة المؤمنين واغراق الكافرين عبرة لكم وعظة ، وتحفظها كل أذن حافظة لما تسمع .

١٣ ، ١٤ ـ فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ، ورفعت الأرض والجبال عن موضعها ، فدكتا مرة واحدة .

١٥ ، ١٦ ـ فيومئذ نزلت النازلة ، وانشقت السماء بزوال أحكامها ، فهى يومئذ ضعيفة بعد أن كانت محكمة قوية .

١٧ ـ والملائكة على جوانبها ، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية .

١٨ ـ يومئذ تعرضون للحساب ، لا يخفى منكم أى سر كنتم تكتمونه .

١٩ ـ فأما من أعطى كتابه بيمينه فيقول معلنا سروره لمن حوله : خذوا اقرءوا كتابى .

٢٠ ـ انى أيقنت فى الدنيا أنى ملاق حسابى ، فأعددت نفسى لهذا اللقاء .

٢١ ـ فهو فى عيشة يعمها الرضى .

٢٢ ـ فى جنة رفيعة المكان والدرجات .

٢٣ ـ ثمارها قريبة التناول .

٢٤ ـ كلوا واشربوا أكلا وشربا لا مكروه فيها ، ولا أذى منها ، بما قدمتم من الأعمال الصالحة فى أيام الدنيا الماضية .

كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ

---

٢٥ ، ٢٦ - وأما من أعطى كتابه بشماله فيقول ندما وحسرة : يا ليتنى لم أعط كتابى ، ولم أعلم ما حسابى .

٢٧ - يا ليت الموتة التى متها كانت الفاصلة فى أمرى ، فلم أبعث بعدها .

٢٨ ، ٢٩ - ما نفعنى شىء ملكته فى الدنيا ، ذهبت عنى صحتى ، وزالت قوتى .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - يقال لخزنة جهنم : خذوه فاجمعوا يديه إلى عنقه ، ثم لا تدخلوه إلا نار الجحيم ، ثم فى سلسلة بالغة الطول فاسلكوه .

٣٣ ، ٣٤ - انه كان لا يصدق بالله العظيم ، ولا يحث أحدا على اطعام المسكين .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - فليس لهذا الكافر اليوم فى الجحيم قريب يدفع عنه ، وليس له طعام إلا من غسالة أهل النار التى هى دم وقيح وصديد ، لا يأكله الا المذنبون المتعمدون المصرون .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات وما لا تبصرون من عالم الغيب . ان القرآن لمن الله على لسان رسول رفيع المكانة .

٤١ - وما القرآن بقول شاعر كما تزعمون ، قليلا ما يكون منكم ايمان بأن القرآن من عند الله .

٤٢ - وما القرآن بسجع كسجع الكهان الذى تعهدون ، قليلا ما يكون منكم تذكر وتأمل للفرق بينهما .

٤٣ - هو تنزيل ممن تعهد العالمين بالخلق والتربية .

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ - ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لأخذنا منه كما يأخذ الآخذ بيمين من يجهز عليه للحال ، ثم لقطعنا منه نياط قلبه ، فيموت لساعته .

٤٧ - فليس منكم أحد - مهما بلغت قوته - يحجز عقابنا عنه .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

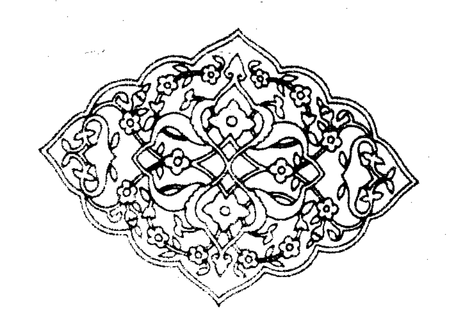
٤٨ ـ وأن القرآن لعظة للذين يمتثلون أوامر الله ، ويجتنبون نواهيه .

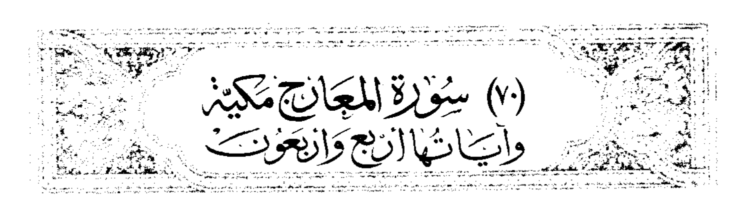
٤٩ ـ وأنا لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن .

٥٠ ـ وانه لسبب فى ندامة شديدة على الجاحدين به ، حين يرون عذابهم ونعيم المصدقين .

٥١ ـ وان القرآن لحق ثابت لا ريب فيه .

٥٢ ـ فنزه ربك العظيم ، ودم على ذكر اسمه .





بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

فى هذه السورة الكريمة تهديد بيوم القيامة ، وتخويف بطوله وما فيه من أهوال جسام وعذاب لا تقبل فيه فدية بأبناء ولا صاحبة ولا أخ ولا فصيلة ، بل لا يقبل فيه فدية بأهل الأرض جميعا .

وفيها نعى على الانسان ضعفه فى حال الضراء والسراء ، إلا من عصمهم الله بالتقوى والعمل الصالح ، فإنهم يسلمون من هذا الضعف .

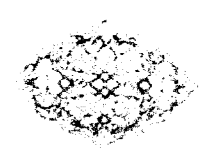
وفيها كذلك انكار على الكافرين فى أطماعهم الفاسدة . وختامها وصية لرسول الله - ﷺ - بتركهم فى سفههم ، ولعبهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون .

١ ، ٢ ، ٣ - دعا داع - استعجالا على سبيل الاستهزاء - بعذاب واقع من الله للكافرين لا محالة ، ليس لذلك العذاب راد يصرفه عنهم ، فوقوعه من الله صاحب السموات التى هى مصدر القهر القائم والحكم النافذ .

٤ - تصعد الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره فى يوم كان طوله خمسين ألف سنة من سنى الدنيا .

٥ ، ٦ ، ٧ - فاصبر - يا محمد - على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب صبرا لا جزع فيه ولا شكوى منه . ان الكفار يرون يوم القيامة مستحيلا لا يقع ، ونراه هينا فى قدرتنا غير متعذر علينا .

٨ ، ٩ ، ١٠ - يوم تكون السماء كالفضة المذابة ، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش ، ولا يسأل قريب قريبه كيف حالك ، لأن كل واحد منها مشغول بنفسه .



يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ

---

١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ـ يتعارفون بينهم حتى يعرف بعضهم بعضا يقينا ، وهو مع ذلك لا يسأله ، يود الكافر لو يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة ببنيه وزوجته وأخيه وعشيرته التى تضمه وينتمى إليها ، ومن فى الأرض جميعا ، ثم ينجيه هذا الفداء .

١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ـ ارتدع أيها المجرم عما تتمناه من الافتداء ، ان النار لهب خالص ، شديدة النزع ليديك ورجليك وسائر أطرافك ، تنادى بالاسم من أعرض عن الحق ، وترك الطاعة ، وجمع المال فوضعه فى خزائنه ، ولم يؤد حق الله فيه .

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ـ ان الانسان طبع على الهلع ، شديد الجزع والسخط إذا مسه المكروه والعسر ، شديد المنع والحرمان إذا أصابه الخير واليسر ، إلا المصلين الذين هم دائمون على صلاتهم فلا يتركونها فى وقت من الأوقات ، فإن الله يعصمهم ويوفقهم إلى الخير .

٢٤ ، ٢٥ ـ والذين فى أموالهم حق معين مشروع لمن يسأل المعونة منهم ، ولمن يتعفف عن سؤالها .

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ـ والذين يصدقون بيوم الجزاء فيتزودون له ، والذين هم من عذاب ربهم خائفون فيتقونه ولا يقعون فى أسبابه ، ان عذاب ربهم غير مأمون لأحد أن يقع فيه .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ـ والذين هم حافظون لفروجهم فلا تغلبهم شهواتها ، لكن على أزواجهم وامائهم لا يحفظونها ، لأنهم غير ملومين فى تركها على طبيعتها ، فمن طلب متاعا وراء الزوجات والاماء فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام .

قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

---

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - والذين هم لأمانات الشرع وأمانات العباد وما التزموه لله وللناس حافظون غير خائنين ولا ناقضين ، والذين هم بشهاداتهم قائمون بالحق غير كاتمين لما يعلمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون فيؤدونها على أكمل الوجه وأفضله .

٣٥ - أصحاب هذه الصفات المحمودة فى جنات مكرمون من الله تعالى .

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - أى شىء ثبت للذين كفروا إلى جهتك مسرعين ملتفين عن يمينك وشمالك جماعات ؟ ! أيطمع كل امرىء منهم وقد سمع وعد الله ورسوله للمؤمنين بالجنة أن يدخل جنة نعيم ؟ !

٣٩ - فليرتدعوا عن طمعهم فى دخولهم الجنة ، انا خلقناهم من ماء مهين .

٤٠ ، ٤١ - فلا أقسم برب المشارق والمغارب من الأيام والكواكب والهدايات ، انا لقادرون على أن نهلكهم ونأتى بمن هم أطوع منهم لله ، ومانحن بعاجزين عن هذا التبديل[1]

٤٢ - فاتركهم يخوضوا فى باطلهم ، ويلعبوا بدنياهم ، حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون فيه العذاب .

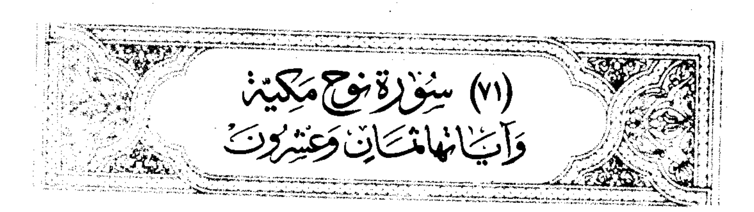
٤٣ ، ٤٤ - يوم يخرجون من القبور سراعا إلى الداعى ، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبدوه فى الدنيا من دون الله يسرعون ، ذليلة أبصارهم ، لا يستطيعون رفعها ، تغشاهم الحقارة والمهانة ذلك اليوم كانوا يوعدون به فى الدنيا وهم يكذبون .

---

(١) قد يكون المراد بالمشارق والمغارب أقطار ملك الله على سعته التى لا تحد كما أشير فى الآية ١٣٧ من سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها » ، للدلالة على أرجاء الأرض المشار إليها .

وقد يكون المراد أيضا مشارق الشمس والقمر وكافة النجوم والكواكب ومغاربها جميعا للدلالة أيضا على ملك الله كله . وترجع ظاهرة شروق الأجرام السماوية وغروبها إلى دوران الأرض حول محورها من الغرب نحو الشرق ومن ثم تبدو لنا تلك الأجرام متحركة فى قبة السماء على عكس ذلك الاتجاه مشرقة على الأفق الشرقى وغاربة من الأفق الغربى ، أو على الأقل دائرة من الشرق إلى الغرب حول النجم القطبى - فى نصف الكرة الشمالى مثلا - وإذا كان البعد القطبى للنجم أصغر من عرض مكان الراصد فالنجم لا يشرق ولا يغرب بل يرسم دائرة صغيرة وهمية حول القطب الشمالى . وبذلك تشير الآية كذلك إلى ساعات الليل - راجع قوله تعالى : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . وظاهرة الشروق والغروب إشارة إذن إلى دوران كرة الأرض ، هى نعمة كبرى من نعم الله على أحياء هذا الكوكب . فلولا دوران الأرض حول محورها لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة وحرم من الضوء تماما النصف الآخر ، وهذا ما لا تستقيم معه الحياة كما نعهدها .

وإذا اقتصرنا عند ذكر المشارق والمغارب على تدبير الشمس وحدها دون سائر النجوم والكواكب ، كانت هذه اشارة إلى التعدد اللانهائى لمشارق الأرض ومغاربها يوما بعد يوم فى كل موضع على سطح الأرض ، أو حتى فى لحظة من لحظات الزمان تمر على الكرة الأرضية ، فالشمس فى كل لحظة غاربة عند نقطة ومشرقة فى نقطة أخرى تقابلها . وهذا من محكم تدبير الله وإعجاز قدرته . (انظر أيضا التعليق العلمى على الآية ٥ من سورة الصافات والآية ١٧ من سورة الرحمن) .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟

فصلت هذه السورة الكريمة قصة نوح عليه السلام مع قومه ، فتحدثت عن دعوته لهم جهرا ، ثم سرا وجهرا ، وقصت شكواه إلى الله من اعراضهم عنه وعنادهم له ، وسجلت اصرارهم على عبادة الأصنام حتى استحقوا عذاب الله . ولما يئس نوح عليه السلام من قبولهم الدعوة دعا عليهم بالهلاك والانقراض ، ودعا لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات بالغفران .

١ ـ انا أرسلنا نوحا إلى قومه وقلنا له : أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب شديد الايلام .

٢ ، ٣ ، ٤ ـ قال نوح : يا قوم انى لكم نذير مبين رسالة ربكم بلغة تعرفونها ، أن أطيعوا الله واخضعوا له فى أداء الواجبات ، وخافوه بترك المحظورات ، وأطيعونى فيما أنصح لكم به ، يغفر الله لكم ذنوبكم ويمد فى أعماركم إلى أجل مسمى جعله غاية الطول فى العمر ، ان الموت إذا جاء لا يؤخر أبدا ، لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم .

٥ ، ٦ ـ قال نوح : رب انى دعوت قومى إلى الايمان ليلا ونهارا بلا فتور ، فلم يزدهم دعائى لهم الا هروبا من طاعتك .

ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا

---

٧ - وانى كلما دعوتهم إلى الايمان بك لتغفر لهم وضعوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا دعوتى ، وتغطوا بثيابهم حتى لا يروا وجهى ، وأقاموا على كفرهم ، وتعظموا عن اجابتى تعظما بالغا .

٨ ، ٩ - ثم انى دعوتهم إليك بصوت مرفوع ، ثم انى جهرت بالدعوة فى حال ، وأخفيتها اخفاء فى حال أخرى ، حتى أجرب كل خطة .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - فقلت لقومى : اطلبوا مغفرة الكفر والعصيان من ربكم ، انه لم يزل غفارا لذنوب من يرجع إليه ، يرسل السماء عليكم غزيرة الدر بالمطر ، ويمددكم بأموال وبنين هما زينة الحياة الدنيا ، ويجعل لكم بساتين تنعمون بجمالها وثمارها ، ويجعل لكم أنهارا تسقون منها زرعكم ومواشيكم .

١٣ ، ١٤ - ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته حتى ترجو تكريمكم بانجائكم من العذاب وقد خلقكم كرات متدرجة ، نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحما ؟ !

١٥ ، ١٦ - ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وجعل القمر فى هذه السموات نورا ينبعث منها ، وجعل الشمس مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئه ما يحتاجون إلى رؤيته .

١٧ ، ١٨ - والله أنشأكم من الأرض ، فنبتم نباتا عجيبا ، ثم يعيدكم فى الأرض بعد الموت ، ويخرجكم منها اخراجا محققا لا محالة .

١٩ ، ٢٠ - والله جعل لكم الأرض مبسوطة لتذهبوا فيها طرقا واسعة .

٢١ ، ٢٢ - قال نوح: رب ان قومى عصونى فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار ، واتبع الضعفاء منهم من لم يزده ماله وولده الا خسرانا فى الآخرة ، ومكر أصحاب الأموال والأولاد بتابعيهم من الضعفاء مكرا بالغ النهاية فى العظم .

كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

---

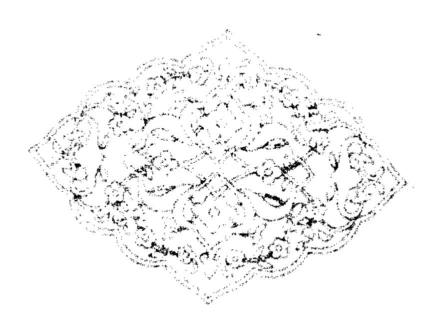
٢٣ ، ٢٤ ـ وقالوا لهم : لا تتركن عبادة آلهتكم ، ولا تتركن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وكانت أصناما منحوتة على صور مختلفة من الحيوان ، وقد أضل هؤلاء المتبوعون كثيرا من الناس ، ولا تزد الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد الا بعدا عن الحق .

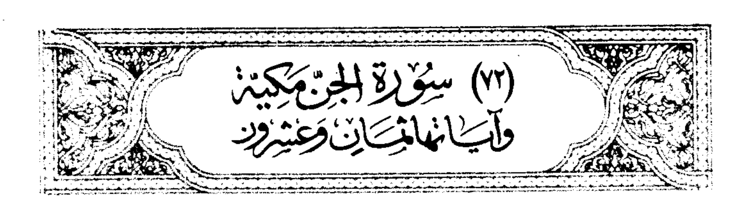
٢٥ ـ بسبب ذنوبهم أغرقوا بالطوفان ، فأدخلوا عقب هلاكهم نارا عظيمة اللهب والاحراق فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا يدفعون عنهم العذاب .

٢٦ ـ وقال نوح بعد يأسه من قومه : رب لا تترك على الأرض من الكافرين بك أحدا يدور فى الأرض ويدب عليها .

٢٧ ـ انك ـ يارب ـ ان تتركهم دون اهلاك واستئصال يوقعوا عبادك فى الضلال ولا يلدوا الا مائلا عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك .

٢٨ ـ رب اعف عنى وعن والدى اللذين كانا سببا فى وجودى ، وعمن دخل بيتى مؤمنا بك ، وعن المؤمنين والمؤمنات جميعا ، ولا تزد الكافرين إلا هلاكا .





بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ

أمر الله تعالى رسوله ﷺ فى هذه السورة الكريمة أن يبلغ الناس ما أوحى إليه من استماع الجن إلى قراءته، واستجابتهم لدعوته، واخبارهم بما كان من سفهائهم وصالحيهم، وما كان من قعودهم لاستراق السمع ثم طردهم عنه الآن، وعرضت آيات السورة للمستقيمين على طريقة الاسلام والمعرضين عنه، وتحدثت عن خلوص المساجد والعبادة لله وحده، وعن دعوة الرسول إلى الله، والتفاف الجن حوله، وحددت ما لا يملكه الرسول من الأمور وما يملكه، وحذرت العاصين الله ورسوله من جهنم وخلودهم فيها.

وذكرت فى ختامها أن الله مختص بعلم الغيب، ويطلع عليه من يصطفيه من خلقه ليكون رسولا ويحفظ الوحى بحراس حتى يبلغه الناس تاما والله يعلمه كذلك.

١، ٢ - قل يا محمد لأمتك: أوحى الله إلى أن استمع إلى قراءتى جماعة من الجن، فقالوا لقومهم: انا سمعنا قرآنا بديعا لم نسمع مثله من قبل، يدعو إلى الهدى والصواب، فآمنا بالقرآن الذى سمعناه، ولن نشرك مع ربنا الذى خلقنا وربانا أحدا فى عبادته.

٣ - وأنه تعالى قدر ربنا وعظمته، ما اتخذ زوجة ولا ولدا.

٤ - وأنه كان يقول جاهلنا على الله قولا بعيدا عن الحق والصواب.

٥ - وأنا ظننا أن لن تنسب الانس والجن إلى الله ما لم يكن ويصفوه بما لا يليق به.

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

---

٦ - وأنه كان رجال من الانس يستجيرون برجال من الجن ، فزاد رجال الانس الجن طغيانا وسفها وجرأة .

٧ - وأن الجن ظنوا كما ظننتم - معشر الانس - أن لن يبعث الله أحدا بعد الموت ، ولا رسولا من البشر اليهم .

٨ - وأنا طلبنا بلوغ السماء ، فوجدناها ملئت حرسا قويا من الملائكة وشهبا محرقة من جهتها .

٩ - وانا كنا قبل اليوم نقعد من السماء مقاعد لاستراق أخبار السماء ، فمن يرد الاستماع الآن يجد له شهابا مترصدا ينقض عليه فيهلكه .

١٠ - وأنا لا نعلم أعذاب أريد بمن فى الأرض من حراسة السماء لمنع الاستماع ، أم أراد بهم ربهم خيرا وهدى ؟ .

١١ - وأنا منا الأبرار المتقون ومنا دون ذلك ، وهم قوم مقتصدون فى الصلاح ، كنا ذوى مذاهب متفرقة .

١٢ - وأنا أيقنا أن لن نعجز الله أينما كنا فى الأرض ولن نعجزه هاربين من قضائه نحو السماء .

١٣ - وأنا لما سمعنا القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصا من حسنة ، ولا ظلما يلحقه بزيادة فى سيئاته .

١٤ - وأنا منا المسلمون المقرون بالحق ومنا الحائدون عن طريق الهدى ، فمن أسلم فأولئك قصدوا سبيل الحق مجتهدين فى اختياره .

١٥ - وأما الجائرون عن طريق الاسلام فكانوا لجهنم وقودا .

١٦ - وأنه لو سار الانس والجن على طريقة الاسلام ولم يحيدوا عنها ، لأسقيناهم ماء كثيرا يعم أوقات الحاجة .

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ

---

١٧ - لنختبرهم فيه كيف يشكرون لله نعمه عليهم ، ومن يعرض عن عبادة ربه يدخله عذابا شاقا لا يطيقه .

١٨ - وأوحى إلى أن المساجد لله وحده ، فلا تعبدوا مع الله أحدا .

١٩ - وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله محمد فى صلاته يعبد الله كاد الجن يكونون عليه جماعات ملتفة ، تعجبا مما رأوه وسمعوه .

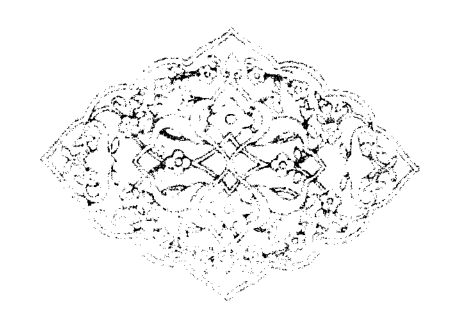
٢٠ - قل : انما أعبد ربى وحده ، ولا أشرك به فى العبادة أحدا .

٢١ - قل : انى لا أملك لكم دفع ضر ولا تحصيل هداية ونفع .

٢٢ - قل : انى لن يدفع عنى عذاب الله احد أن عصيته ، ولن أجد من دونه ملجأ أفر إليه من عذابه .

٢٣ - لكن أملك تبليغا عن الله ورسالاته التى بعثنى بها ، ومن يعص الله ورسوله فأعرض عن دين الله فإن له نار جهنم باقين فيها أبدا .

٢٤ - حتى إذا أبصروا ما يوعدونه من العذاب ، فسيعلمون عند حلوله بهم من أضعف ناصرا وأقل عددا ، أهم أم المؤمنون ؟ .



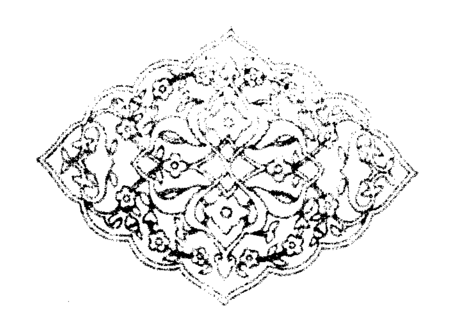
أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

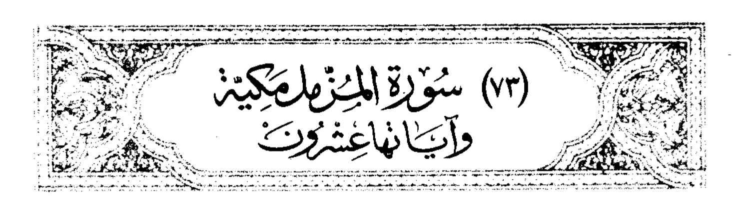
---

٢٥ ـ قل : ما أدرى ـ أيها الكافرون ـ أقريب ما توعدون من العذاب ، أم يجعل له ربى غاية بعيدة ؟ .

٢٦ ، ٢٧ ـ هو عالم الغيب ، فلا يطلع على غيبه أحدا من خلقه ، الا رسولا ارتضاه لعلم بعض الغيب ، فإنه يدخل من بين يدى الرسول ومن خلفه حفظة من الملائكة تحول بينه وبين الوساوس .

٢٨ ـ ليعلم الله ذلك واقعا موافقا لما قدره أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم ، وقد علم تفصيلا بما عندهم ، وعلم عدد الموجودات كلها ، لا يغيب عنه شيء منها .





بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

فى هذه السورة أمر الله رسوله بقيام قدر كبير من الليل ، للصلاة وقراءة القرآن مرتلا فيها ، فقام هو وطائفة من الذين معه ، ثم خفف الله عنهم فى آخرها ، وأمرهم بالصلاة والزكاة والصدقة والاستغفار .

وفى أثنائها أمره بالصبر على ما يقول المكذبون ، وتركهم لما أعده الله لهم من العذاب ، وهدد الكافرين بمثل العذاب الذى وقع على فرعون ومن معه ، حين عصوا رسول ربهم ، وخوفهم ببعض أهوال القيامة .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - يأيها المتلفف بثيابه ، قم الليل مصليا إلا قليلا ، قم نصف الليل أو أنقص من النصف قليلا حتى تصل إلى الثلث أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين واقرأ القرآن متمهلا مبينا الحروف والوقوف قراءة سالمة من أى نقصان .

٥ - انا سنلقى عليك أيها الرسول قرآنا مشتملا على الأوامر والنواهى والتكاليف الشاقة .

٦ - ان العبادة التى تحدث بالليل ، هى أسد رسوخا فى القلب ، وأبين قولا ، وأصوب قراءة من عبادة النهار .

٧ - ان لك فى النهار تقلبا فى مصالحك ، واشتغالا بأمور الرسالة ، ففرغ نفسك ليلا لعبادة ربك .

٨ - وأجر على لسانك ذكر اسم من تعهدك بالخلق والتربية ، وانقطع لعبادته من كل شىء انقطاعا تاما .

فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ

---

٩ - هو مالك المشرق والمغرب ، لا معبود بحق إلا هو ، فاتخذه كافيا لأمورك ، كفيلا بما وعدك .

١٠ - واصبر على ما يقولون من الأباطيل ، وجانبهم بقلبك ، وخالفهم فى أفعالهم ، مع الاغضاء عنهم ، وترك الانتقام منهم .

١١ - واتركنى والمكذبين ، أصحاب النعيم ، وأمهلهم امهالا قصير الأمد .

١٢ ، ١٣ - ان لدينا للمكذبين فى الآخرة قيودا ثقالا ، ونارا محرقة ، وطعاما ينشب فى الحلق لا يستساغ ، وعذابا شديد الايلام لا يطاق .

١٤ - يوم تتحرك الأرض والجبال حركة شديدة ، وصارت الجبال رملا مجتمعا متناثرا ، بعد أن كانت حجارة صلبة متماسكة .

١٥ ، ١٦ - انا أرسلنا اليكم يا أهل مكة محمدا ، رسولا يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع ، كما أرسلنا موسى إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا ثقيلا شديدا .

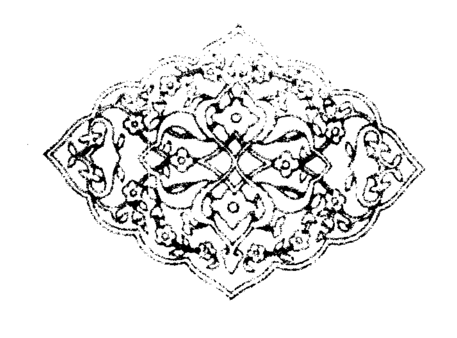
١٧ - فكيف تدفعون عنكم ان كفرتم ، عذاب يوم يجعل الشبان لهوله شيوخا ضعافا .

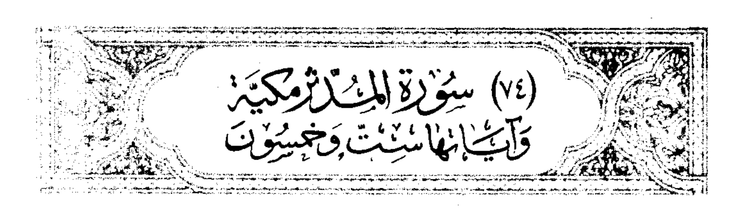
١٨ - السماء فى قوتها وعظمتها ، شىء منشق فى ذلك اليوم لشدته وهوله ، كان وعد الله واقعا لا محالة .

١٩ - ان هذه الآيات الناطقة بالوعد موعظة ، فمن شاء الانتفاع بها اتخذ إلى ربه سبيلا بالتقوى والخشية .

عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)

٢٠ ـ ان ربك يعلم أنك تقوم يا محمد ، أقل من ثلثى الليل أحيانا ، وتقوم نصفه وثلثه أخرى ، ويقوم طائفة من أصحابك كما تقوم ، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار وضبط ساعاتها إلا الله ، علم أنه لا يمكنكم احصاء كل جزء من أجزاء الليل والنهار ، فخفف عليكم ، فاقرءوا فى الصلاة ما تيسر من القرآن ، علم أنه سيكون منكم مرضى ، يشق عليهم قيام الليل وآخرون يتنقلون فى الأرض للتجارة والعمل ، يطلبون رزق الله ، وآخرون يجاهدون فى سبيل الله لاعلاء كلمته ، فاقرءوا ما تيسر من القرآن وواظبوا على فرائض الصلاة ، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم ، وأقرضوا الله قرضا حسنا ، باعطاء الفقراء نافلة فوق ما وجب لهم ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله هو خيرا مما خلفتم وتركتم ، وأجزل ثوابا ، واستغفروا الله من فعل السيئات والتقصير فى الحسنات ان الله غفور لذنوب المؤمنين ، رحيم بهم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾

حثت هذه السورة الكريمة رسول الله ﷺ على انذار قومه وتعظيمه لله تعالى وترك مالا يصح أن يصدر منه وتحدثت عن نفخ الصور وشدة العذاب على الكافرين وأمرته ﷺ أن يترك من جحد فضله عليه ثم يطمع فى الزيادة بدون اعتراف ولا شكر وبينت كيف كان تفكير ذلك الجاحد وانكاره للقرآن وفصلت كيف يكون عذابه فى سقر التى وصفت بما يزعج ويخيف وذكرت الأنفس بما تكسب من خير أو شر وأخبرت عن حال أصحاب اليمين وتبكيتهم للمجرمين بسؤالهم عما سلكهم فى سقر وختمت بالحديث عن القرآن بأنه لمن شاء أن يتذكر وأن من تذكر به هم أهل التقوى وأهل المغفرة .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - يأيها المتلفف بثيابه قم من مضجعك فحذر الناس من عذاب الله ان لم يؤمنوا ، وخص ربك بالتعظيم ، وثيابك فطهرها بالماء عن النجاسة .

٥ ، ٦ ، ٧ - والعذاب فاترك ، أى دم على هجر ما يوصل الى العذاب ، ولا تعط أحداً مستكثراً لما تعطيه اياه ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهى وكل ما فيه جهد ومشقة .

٨ ، ٩ ، ١٠ - فاذا نفخ فى الصور فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين غير سهل ان يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب ، وغيرها من الأهوال .

١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - اتركنى وحدى مع من خلقته ، فانى أكفيك أمره ، جعلت له مالاً مبسوطاً واسعاً غير منقطع ، وبنين حضوراً معه وبسطت له الجاه والرياسة بسطة تامة ، ثم يطمع ان أزيده فى ماله وبنيه وجاهه بدون شكر .

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾

---

١٦ ، ١٧ - ردعاً له عن طمعه انه كان للقرآن معانداً مكذباً سأغشيه عقبة شاقة ، لا يستطيع اقتحامها .

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ - انه فكر فى نفسه وهيأ ما يقوله من الطعن فى القرآن فاستحق بذلك الهلاك ، كيف هيأ هذا الطعن ، ثم استحق الهلاك كيف أعد فى نفسه هذا الطعن .

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ثم نظر فى وجوه الناس ، ثم قطب وجهه وزاد فى كلوحه ، ثم أعرض عن الحق وتعاظم أن يعترف به فقال : ما هذا الا سحر ينقل عن الأولين .

٢٥ - ما هذا الا قول الخلق تعلمه محمد وادعى أنه من عند الله .

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - سأدخله جهنم ليحترق بها ، وما أدراك ما جهنم ، لا تبقى لحماً ولا تترك عظماً الا احرقته ، مسودة لأعالى الجلد ، عليها تسعة عشر يلون أمرها وتعذيب أهلها .

٣١ - وما جعلنا خزنة النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم تسعة عشر الا اختباراً للذين كفروا ليحصل اليقين للذين أوتوا الكتاب بأن ما يقوله القرآن عن خزنة جهنم انما هو حق من الله تعالى ، حيث وافق ذلك كتبهم ، ويزداد الذين آمنوا بمحمد ايماناً ، ولا يشك فى ذلك الذين اعطوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين فى قلوبهم نفاق والكافرون . ما الذى أراده الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ،بمثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدى المؤمنين ، وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتهم إلا هو سبحانه وتعالى ، وما سقر إلا تذكرة للبشر وتخويف لهم .

وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ الشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

---

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - ردعاً لمن ينذر بها ولم يخف ، أقسم بالقمر وبالليل اذا ذهب ، وبالصبح اذا أضاء وانكشف أن سقر لأعظم الدواهى الكبرى انذاراً وتخويفاً .

٣٧ - انذار للبشر لمن يشاء منكم ان يتقدم الى الخير أو يتأخر عنه .

٣٨ ، ٣٩ - كل نفس بما عملت مأخوذة الا المسلمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة .

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ - هم فى جنات لا يدرك وصفها ، يسأل بعضهم بعضاً عن المجرمين وقد سألوهم عن حالهم ، ما أدخلكم فى سقر .

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ - قالوا لم نك من المصلين كما كان يصلى المسلمون ، ولم نك نطعم المسكين كما كان يطعم المسلمون ، وكنا نندفع وننغمس فى الباطل والزور مع الخائضين فيه ، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء حتى أتانا الموت .

٤٨ ـ فما تغيثهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين .

٤٩ ـ فما لهم عن العظة بالقرآن منصرفين .

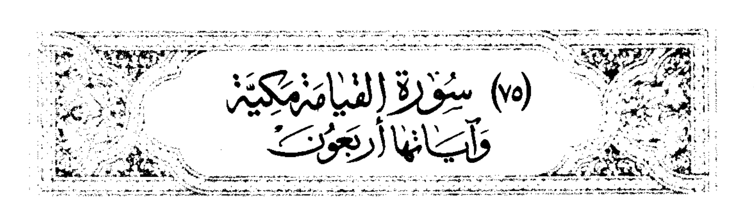
٥٠ ، ٥١ ـ كأنهم حمر شديدة النفار فرت من مطارديها .

٥٢ ـ بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا من السماء واضحة مكشوفة تثبت صدق الرسول ﷺ .

٥٣ ـ ردعا لهم عما أرادوا بل هم لا يخافون الآخرة فأعرضوا عن التذكرة وتفننوا فى طلب الآيات .

٥٤ ، ٥٥ ـ حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية ، فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل .

٥٦ ـ وما يذكرون الا بمشيئة الله هو أهل لأن يتقى وأهل لأن يغفر لمن اتقاه .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ

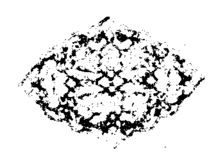
تحدثت هذه السورة الكريمة عن بعث الناس وحسابهم ، وعن القيامة وأهوالها ، ثم طمأنت الرسول ﷺ على جمع القرآن فى صدره ، ووجهت الردع إلى من يحبون العاجلة ويذرون الآخرة ، ووازنت بين وجوه المؤمنين الناضرة ووجوه الكافرين الباسرة ، وتحدثت كذلك عن حال المحتضر ، وما كان من تقصيره فى الواجبات ، حتى كأنه يظن أن لا حساب عليه ، وختمت بالأدلة التى توجب الإيمان بالبعث .

١ ، ٢ ، ٣ - أقسم وأؤكد القسم بيوم القيامة - وهو الحق الثابت - وأقسم وأؤكد القسم بالنفس التى تلوم صاحبها على الذنب والتقصير : لتبعثن بعد جمع ما تفرق من عظامكم أيحسب الإنسان - بعد أن خلقناه من عدم - أن لن نجمع ما بلى وتفرق من عظامه .

٤ - بلى نجمعها قادرين على نسوى ما دق من عظام أصابعه ، : فكيف بما كبر من عظام جسمه .

٥ - بل أينكر الإنسان البعث ، يريد أن يبق على الفجور فيا يستقبل من أيام عمره كلها ؟ ! .

٦ - يسأل مستبعدا قيام الساعة : متى يكون يوم القيامة ؟ ! .



ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن

---

٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ـ فإذا تحير البصر فزعا ودهشا ، وذهب ضوء القمر ، وقرن بين الشمس والقمر فى الطلوع من المغرب ، يقول الإنسان يومئذ : أين الفرار من العذاب ؟ !.

١١ ، ١٢ ـ ردعا لك - أيها الإنسان - عن طلب المفر ، لا ملجأ لك ، الا إلى ربى ـ وحده ـ مستقر العباد من جنة أو نار .

١٣ ـ يخبر الإنسان يومئذ بما قدمه من عمل وما أخره .

١٤ ، ١٥ ـ بل الإنسان على نفسه حجة واضحة تلزمه بما فعل أو ترك ، ولو طرح معاذيره وبسطها لا يمكنه أن يتخلص منها .

١٦ ، ١٧ ـ لا تحرك بالقرآن لسانك حين الوحى لتعجل بقراءته وحفظه ، ان علينا جمعه فى صدرك ، واثبات قراءته فى لسانك .

١٨ ، ١٩ ـ فإذا قرأه عليك رسولنا فاتبع قراءته منصتا لها ، ثم ان علينا بعد ذلك لك بيانه اذا أشكل عليك شىء منه .

٢٠ ، ٢١ - ردعاً لكم عن انكار البعث وهو حق ، بل انتم تحبون الدنيا ومتاعها ، وتتركون الآخرة ونعيمها .

٢٢ ، ٢٣ - وجوه يومئذ حسنة ناعمة ، الى ربها ناظرة بدون تحديد بصفة أو وجهة أو مسافة .

٢٤ ، ٢٥ - ووجوه يومئذ كالحة شديدة العبوس ، تتوقع أن يفعل بها ما هو فى شدته داهية تقصم فقرات الظهر .

يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

---

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - ردعاً لكم عن حب الدنيا التى تفارقونها اذا بلغت الروح عظام النحر ، وقال الحاضرون بعضهم لبعض : هل من راق يرقيه مما به ؟ وظن المحتضر ان الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ، وبلغت به الشدة أقصاها ، والتوت احدى الساقين على الأخرى عند نزع الروح ، الى ربك يومئذ مساق العباد ، اما الى الجنة واما الى النار .

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ - أنكر الانسان البعث فلا صدق بالرسول والقرآن ، ولا أدى لله فرائض الصلوات ، ولكن كذب القرآن ، فأعرض عن الايمان ، ثم ذهب الى أهله يمد ظهره متبختراً .

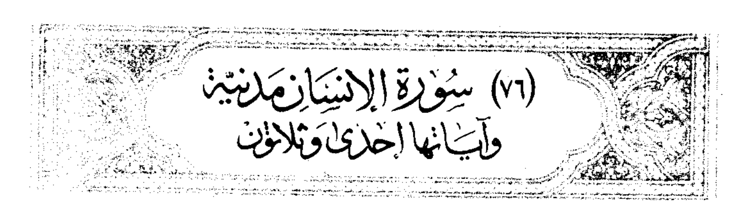
٣٤ ، ٣٥ - هلاك لك أيها المكذب فهلاك . ثم هلاك دائم لك فهلاك .

٣٦ - أيحسب هذا الانسان المنكر للبعث أن يترك مهملاً يرتفع فى حياته ، ثم يموت ولا يبعث فيحاسب على عمله ! !

٣٧ ، ٣٨ - ألم يك الانسان نطفة من منى يقدر تكوينه فى الرحم ، ثم صار قطعة دم جامد ، فخلقه الله ، فسواه فى أحسن تقويم ؟ !

٣٩ - فجعل منه الصنفين الذكر والأنثى .

٤٠ - أليس ذلك المبدع الفعال لهذه الأشياء بقادر على أن يحيى الموتى بعد جمع عظامهم ؟ !.



بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا

تضمنت هذه السورة الكلام على خلق الانسان وابتلائه ، واستعداده لشكر الله أو كفره ، وأجملت الحديث عن جزاء الكافرين ، وفصلت النعيم الذى تفضل الله به على المؤمنين ثم وجهت الخطاب الى رسول الله ﷺ ، وامتنت عليه بإنزال القرآن ، وأمرته بالصبر ودوام الطاعة ، وأنذرت من يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ، وتحدثت عن العظة بهذه الآيات . وعلقت الانتفاع بها بمشيئة الله تعالى ، وجعلت رحمة الله وعذابه خاضعين لحكمه ومشيئته .

١ - قد مضى على الانسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح ، لم يكن شيئاً يذكر باسمه ، ولا يعرف ما يراد منه .

٢ - انا خلقنا الانسان من نطفة ذات عناصر شتى ، مختبرين له بالتكاليف فيما بعد ، فجعلناه ذا سمع وذا بصر ، ليسمع الآيات ويرى الدلائل .

٣ - انا بينا له طريق الهدى : اما مؤمناً واما كافراً .

٤ - انا أعددنا للكافرين سلاسل لأرجلهم ، وأغلالاً لأيديهم وأعناقهم ، ونارا موقدة .

٥ ، ٦ - ان الصادقين فى ايمانهم يشربون من خمر كان ما تمزج به ماء كافور ، عيناً يشرب منها عباد الله ، يجرونها حيث شاءوا اجراء سهلاً .

٧ - يوفون بما أوجبوا على أنفسهم ، ويخافون يوماً عظيماً كان ضرره البالغ فاشياً منتشراً كل الانتشار .

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

---

٨ - ويطعمون الطعام مع حبهم له وحاجاتهم اليه فقيراً عاجزاً عن الكسب، وصغيراً فقد أباه، ومأسوراً لا يملك شيئاً.

٩ - ويقولون فى أنفسهم: انما نطعمكم لطلب ثواب الله، لا نريد منكم عوضاً أو هدية، ولا نريد منكم ثناء.

١٠ - انا نخاف من ربنا يوماً اشتد عبوس من فيه، وقطبوا وجوههم وجباههم.

١١، ١٢ - فصانهم الله من شدائد ذلك اليوم، واعطاهم بدل عبوس الفجار حسناً فى وجوههم، وبهجة وفرحاً فى قلوبهم، وجزاهم بصبرهم جنة ملكها هنىء، وملبسها حرير ناعم الملمس.

١٣ - متكئين فى الجنة على السرر، لا يجدون فيها حر شمس، ولا شدة برد.

١٤ - وجنة وارفة عليهم ظلال أشجارها، وسهل لهم أخذ ثمارها تسهيلاً.

١٥، ١٦ - ويطوف عليهم خدمهم بأوعية شراب من فضة، وبأكواب كونت قوارير شفافة، قوارير مصنوعة من فضة، قدرها الساقون تقديراً على وفاق ما يشتهى الشاربون.

١٧، ١٨ - ويسقى الأبرار فى الجنة خمراً كان ما تمزج به ما يشبه الزنجبيل فى الطعم، عيناً فى الجنة تسمى - لسلامة شرابها وسهولة مساغه وطيبه - سلسبيلاً.

١٩ - ويطوف عليهم للبهجة والسرور غلمان دائمون على حالهم، إذا أبصرتهم عند طوافهم بخفة ونشاط - حسبتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم - لؤلؤاً منثوراً حولك مضيئا.

كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾
إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا
شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ
أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

---

٢٠ - واذا أبصرت أى مكان فى الجنة رأيت فيه نعيماً عظيماً وملكاً واسعاً.

٢١ - يعلوهم ثياب من حرير رقيق خضر، وثياب من حرير غليظ، وجعلت حليهم التى فى أيديهم أساور من فضة، وسقاهم ربهم شراباً آخر طهوراً لا رجس فيه ولا دنس.

٢٢ - ان هذا النعيم أعد لكم جزاء لأعمالكم، وكان سعيكم فى الدنيا محموداً عند الله مرضياً ومقبولاً.

٢٣ - انا - برحمتنا وحكمتنا - نزلنا عليك القرآن على وجه يسكن به فؤادك، ويدوم به حفظك، فلا تنساه أبداً.

٢٤ - فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرتك على أعدائك، وابتلائك بأذاهم، ولا تطع من المشركين من هو ذا اثم أو مستغرقاً فى الكفر.

٢٥، ٢٦ - ودم على ذكر ربك، فصل الفجر بكرة، والظهر والعصر أصيلاً، ومن الليل فصل له المغرب والعشاء، وتهجد زمناً طويلاً من الليل.

٢٧ - ان هؤلاء الكفرة يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، ويتركون خلف ظهورهم يوماً ثقيلاً كربه، شديداً هوله، فلم يعلموا ما ينجيهم من ذلك.

٢٨ - نحن خلقناهم وأحكمنا خلقهم، واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم ممن يطيع الله تبديلاً.

٢٩ - ان هذه السورة عظة للعالمين، فمن شاء اتخذ بالايمان والتقوى الى ربه طريقاً يوصله الى مغفرته وجنته.

٣٠ - وما تشاءون شيئاً من الأشياء الا وقت أن شاء الله، ان الله كان عليماً بأحوالكم حكيماً فيما يشاء ويختار.

٣١ - يدخل من يشاء فى جنته، فدخولها بفضله ورحمته، وأذل الظالمين هيأ لهم عذاباً أليماً.

(٧٧) سورة المرسلات مكية وآياتها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ

أهم ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة الكلام عن البعث والقيامة واقامة الأدلة على وقوعها ، وتهديد من يكذب بها ، وتكرير ذلك التهديد بالويل عشر مرات ، وتخويفه بما يذوق من الذلة والعذاب ، وتبشير المتقين بما يلقونه من الرفاهة والنعيم وختامها الويل للكافرين الذى لا يؤمنون بالقرآن .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ - اقسم بالآيات المرسلة على لسان جبريل الى محمد للعرف والخير ، فالآيات القاهرات سائر الأديان الباطلة تنسفها نسفاً ، وبالآيات الناشرات للحكمة والهداية فى قلوب العالمين نشراً عظيماً ، فالفارقات بين الحق والباطل فرقاً واضحاً ، فالملقيات على الناس تذكرة تنفعهم - إعذاراً لهم وانذاراً فلا تكون لهم حجة : ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لنازل لا ريب فيه .

٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ - فاذا النجوم محقت ذواتها ، واذا السماء شقت ، واذا الجبال فتتت ونسفتها الرياح نسفاً ، واذا الرسل عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على الأمم .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - لأى يوم أخرت هذه الأمور العظيمة ؟ ليوم يكون فيه الفصل بين الخلائق ، وما أعلمك ما شأن يوم الفصل ؟ هلاك دائم يومئذ للمكذبين بما أوعدهم به الرسل .

١٦ ، ١٧ ، ١٨ - ألم نهلك الأولين من الأمم المكذبة ، ثم نتبع الأولين الآخرين فى الهلاك مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وكفر بالله .

بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا

---

١٩ - هلاك يومئذ للمكذبين بما أوعدنا .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ألم نخلقكم من ماء حقير وهو النطفة ، فجعلنا هذا الماء فى مقر يتمكن فيه ، فيتم خلقه وتصويره مؤخراً الى وقت قد علمه الله ، فقدرنا على خلقه وتصويره واخراجه ، فنعم المقدرون الخالقون له نحن ؟ ! ويل يومئذ للمكذبين بنعمة الخلق والتقدير .

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ - ألم نجعل الأرض ضامة على ظهرها أحياء لا يعدون ، وفى بطنها أمواتاً لا يحصرون ، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات ، وأسقيناكم ماء عذباً سائغاً ؟ ! هلاك يومئذ للمكذبين بهذه النعمة .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - يقال للكافرين يوم الفصل : سيروا الى النار التى كنتم بها تكذبون ، سيروا الى حرارة دخان من جهنم يتشعب لعظمه ثلاث شعب ، لا مظل من حر ذلك اليوم ، ولا يغنى ذلك الظل من حر اللهب شيئاً .

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - ان النار ترمى بما تطاير منها كالقصر فى العظم ، كأن الشرر جمال سودتضرب الى الصفرة ، هلاك يومئذ للمكذبين بأن هذه صفتها .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - هذا الذى قص عليكم انه واقع يوم لا ينطقون بشىء ينفعهم ، ولا يكون لهم اذن فى النطق ، ولا يصدر منهم اعتذار لأنه لا عذر لهم ، هلاك يومئذ للمكذبين بهذا اليوم .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - هذا يوم الفاصل بين المحق والمبطل بجزاء كل بما يستحقه ، جعلناكم . . يا مكذبى محمد - والأولين المكذبين مثلكم ، فان كان لكم حيلة فى دفع هذا العذاب عنكم فاحتالوا ، فأحضروا وتخلصوا من عذابى ، هلاك يومئذ للمكذبين بوعيد الله .

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ - ان المتقين من عذاب الله فى ظلال عظيمة ، وعيون جارية ، وفواكه مما يستلذون ويستطيبون ، مقولاً لهم تحية وتكريماً : كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً بما كنتم تعملون فى الدنيا من الصالحات ، انا مثل ذلك الجزاء العظيم نجزى المحسنين ، هلاك يومئذ للمكذبين بالجنة .

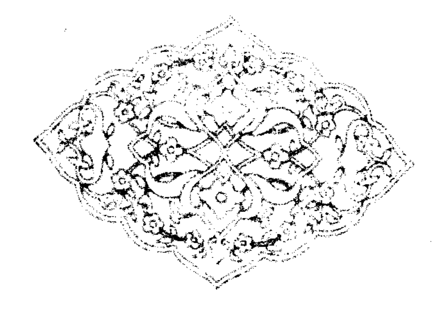
وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

---

٤٦ ، ٤٧ - ويقال للكافرين : كلوا وتمتعوا متاعاً ليس له بقاء ، انكم مجرمون باشراككم بالله . هلاك يومئذ للمكذبين بالنعم .

٤٨ ، ٤٩ - واذا قيل لهم : صلوا لله ، واخشعوا اليه ، لا يخشعون ولا يصلون ، بل يصرون على استكبارهم . هلاك يومئذ للمكذبين بأوامر الله ونواهيه .

٥٠ - فبأى حديث بعد القرآن يؤمنون ان لم يؤمنوا بالقرآن ، مع انه معجزة من السماء ؟ !





بسم الله الرحمن الرحيم

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

قررت هذه السورة أمر البعث ، وهددت المرتابين فيه ، وأقامت الأدلة على امكانه بما عرضت من مظاهر القدرة ، وأكدت حصوله ، وذكرت بعض علاماته ، ثم ذكرت مآل الطاغين ومآل المتقين ، وختمت بالانذار والتخويف من هذا اليوم الرهيب .

١ - عن أى شىء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضا ؟ !

٢ ، ٣ - عن الخبر العظيم ، خبر البعث الذى هم موغلون فى الاختلاف فيه بين منكر له وشاك فيه .

٤ - زجراً لهم عن هذا التساؤل سيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعاً .

٥ - ثم زجراً لهم ، سيعلمون ذلك عندما يحل بهم النكال .

٦ - ألم يروا من آيات قدرتنا أنا جعلنا الأرض ممهدة للاستقرار عليها والتقلب فى أنحائها ! !

٧ - وجعلنا الجبال أوتاداً للأرض تثبتها[1] .

٨ - وخلقناكم مزدوجين ذكوراً واناثاً .

---

(١) يبلغ سمك الجزء الصلب من القشرة الأرضية نحو ٦٠ كيلو مترا ، وتكثر فيه التجاعيد فيرتفع حيث الجبال وينخفض ليكون بطون البحار وقيعان المحيطات ، وهو فى حالة من التوازن بسبب الضغوط الناتجة من الجبال ولا يختل هذا التوازن إلا بعوامل التعرية ، فقشرة الأرض اليابسة ترسيها الجبال كما ترسى الأوتاد الخيمة .
(يراجع التعليق العلمى على الآية ٧ من سورة ق) .

سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ

٩ - وجعلنا نومكم راحة لكم من عناء العمل[١].

١٠ - وجعلنا الليل ساتراً لكم بما يغطيكم من ظلمته.

١١ - وجعلنا النهار وقت سعى لكم، لتحصيل ما به تعيشون.

١٢ - وأقمنا فوقكم سبع سموات قويات محكمات.

١٣ - وأنشأنا شمساً مضيئة متوقدة[٢].

١٤ - وأنزلنا من السحب التى حان امطارها ماء قوى الانصباب[٣].

١٥ - لنخرج بهذا الماء حباً ونباتاً غذاء للناس والحيوان.

١٦ - وبساتين ذات أشجار ملتفة متشابكة الأغصان.

١٧ - ان يوم الفصل بين الخلائق كان ميعاداً مقدراً للبعث.

١٨ - يوم ينفخ فى الصور للبعث، فتأتون الى المحشر جماعات جماعات.

١٩ - وشققت السماء من كل جانب فصارت أبواباً.

---

(١) النوم هو توقف نشاط الجزء المدرك الواعى من المخ - أى قشرته أو هبوط ذلك النشاط هبوطا كبيرا متفاوت الدرجات فى نشاط كافة أعضاء الجسم وأنسجته مما يترتب عليه انخفاض فى توليد طاقة الجسم وحرارته - ثم يأخذ الجسم أثناء النوم نصيبا من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو العصبية أو كليهما، فتهبط جميع وظائف الجسم الحيوية، ما عدا عمليات الهضم وإفراز البول من الكليتين والعرق من الجلد فإن فى وقف هذه العمليات الأخيرة ضررا على حياة الفرد أما التنفس مثلا فيبطىء ويصير أكثر عمقا ويغدو صدريا أكثر منه بطنيا، وتبطىء سرعة النبض ويقل مقدار ما يدفقه من القلب من كل ضربة، ويضعف توتر العضلات ويصير من الصعب الحصول على الحركات العكسية وكل هذا بسبب الراحة للانسان أثناء نومه.

(٢) المراد بالسراج الوهاج: الشمس، وذلك كما ثبت علميا من أن درجة حرارة سطحها المشع تبلغ ٦٠٠٠ درجة مطلقة، أما المركز فتزيد فيه درجة الحرارة على ٣٠ مليون درجة بسبب ما تعانيه المواد فيه من الضغوط العالية، وتشع الشمس النسب الآتية من الطاقات ٩٪ أشعة فوق البنفسجية، ٤٦٪ أشعة ضوئية، ٤٥٪ أشعة حرارية، أو تحت الحمراء، ولذلك عبرت عنها الآية الكريمة بالسراج الذى يطلق للضوء والحرارة معا.

(٣) المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض. والأصل فى المطر تكاثف أبخرة المياه المتصاعدة من المحيطات والبحار ونحوها على شكل سحب وتحويلها إلى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أو هما معا، وتتساقط هذه المكونات عندما تزداد حجومها على هيئة مطر أو برد.

ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

---

٢٠ - وسيرت الجبال بعد قلعها من مقارها وتفتتها، فصارت تريك صورة الجبال وهى غبار متكاثف، كالسراب يريك صورة الماء وليس بماء.

٢١ - ان جهنم كانت موضع رصد يترقب منه الخزنة أهلها.

٢٢ - للمعتدين حدود الله مرجعاً ونزلاً.

٢٣ - ماكثين فيها دهوراً متتابعة.

٢٤ - لا يذوقون فيها نسيما ينفس عنهم حرها، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها.

٢٥ - لكن يذوقون ماء بالغاً الغاية فى الحرارة، وصديداً يسيل من جلود أهلها.

٢٦ - جزاء موافقاً لأعمالهم السيئة.

٢٧ - انهم كانوا لا يتوقعون الحساب، فيعملوا للنجاة منه.

٢٨ - وكذبوا بآيات الله الدالة على البعث تكذيباً شديداً.

٢٩ - وكل شىء ضبطناه كتابة.

٣٠ - فذوقوا، فلن يكون لكم منا الا مزيد من عذاب شديد.

٣١ - ان للذين يتقون ربهم نجاة من العذاب وظفراً بالجنة.

٣٢ - حدائق مثمرة وأعناباً طيبة.

٣٣ - وعذارى نواهد متماثلات فى السن.

٣٤ - وكأساً ممتلئة صافية.

٣٥ - لا يسمعون فى الجنة لغواً من القول ولا كذباً.

٣٦ - جزاء عظيماً من ربك، تفضلاً منه واحساناً كافياً.

٣٧ - رب السموات والأرض وما بينهما، الذى وسعت رحمته كل شىء، لا يملك أحد حق مخاطبته.

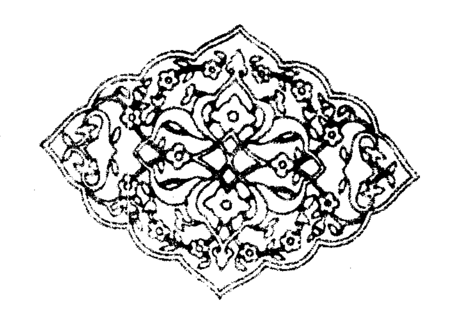
يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

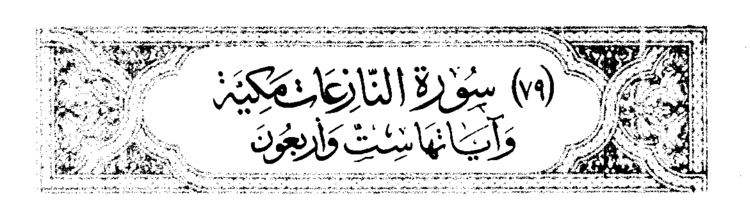
---

٣٨ - يوم يقوم جبريل والملائكة مصطفين خاشعين، لا يتكلم أحد منهم الا من اذن له الرحمن بالكلام. ونطق بالصواب.

٣٩ - ذلك اليوم الذى لا شك فيه، فمن شاء اتخذ الى ربه مرجعاً كريماً بالايمان والعمل الصالح.

٤٠ - انا حذرناكم عذاباً قريباً وقوعه، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه من عمل، ويقول الكافر متمنياً الخلاص: يا ليتنى بقيت تراباً بعد الموت، فلم أبعث ولم أحاسب.





بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ

بدئت هذه السورة بالقسم على إمكان البعث ووقوعه ، وعقبت ذلك بالحديث عن موسى وفرعون تسلية لرسول الله ﷺ ، وذكرت الانسان بسعيه ، وأبرزت ما ينتظر الطغاه وما ينتظر الخائنين ، وختمت السورة بتساؤل المشركين عن وقت الساعة ، وبيان أن وظيفة الرسول انذار من يخشاها لا علم وقتها .

١ ـ أقسم بكل ما أودعت فيه قوة نزع الأشياء من مقارها بشدة .

٢ ـ وبكل ما أودعت فيه قوة اخراج الأشياء فى خفة ولين .

٣ ـ وبكل ما أودعت فيه السرعة فى تأدية وظائفه بسهولة ويسر .

٤ ـ فالسابقات التى تسبق فى اداء ما وكل اليها سبقا عظيما .

٥ ، ٦ ، ٧ ـ فالمدبرات التى تدبر الأمور وتصرفها بما أودع فيها من خصائص ، لتقومن الساعة يوم تزلزل النفخة الأولى جميع الكائنات ، وتتبعها النفخة الثانية التى يكون معها البعث .

٨ ـ قلوب فى ذلك اليوم فزعة خائفة .

٩ ـ أبصار أصحابها حزينة ذليلة .

١٠ ـ يقول هؤلاء فى الدنيا منكرين للبعث : أنرد بعد الموت الى الخلقة الأولى كما كنا ؟ !

١١ ـ أئذا صرنا عظاما بالية نرد ونبعث من جديد ؟

١٢ ـ قالوا ـ منكرين ـ مستهزئين ـ تلك الرجعة ان وقعت رجعة خاسرة ، ولسنا أهل خسران .

وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾

١٣ ، ١٤ ـ لا تحسبوا الرجعة عسيرة ، فإنما هى صيحة واحدة ، فإذا الموتى حضور بأرض المحشر .

١٥ ، ١٦ ـ هل أتاك ـ يامحمد ـ حديث موسى ، حين ناداه ربه بالوادى المطهر ، المسمى « طوى » .

١٧ ـ اذهب الى فرعون ، الذى جاوز الحد فى الظلم .

١٨ ـ فقل هل لك ميل الى أن تتطهر ؟

١٩ ـ وارشدك الى معرفة ربك ، فتخشاه .

٢٠ ـ فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى .

٢١ ـ فكذب فرعون موسى فيما جاء به ، وعصاه فيما دعاه اليه .

٢٢ ـ ثم تولى عنه يجتهد فى معارضته .

٢٣ ، ٢٤ ـ فجمع السحرة ، ودعا الناس فقال : أنا ربكم الأعلى .

٢٥ ـ فعذبه الله عذاب المقالة الآخرة : وهى أنا ربكم الأعلى ، وعذاب المقالة الأولى : وهى تكذيبه لموسى عليه السلام .

٢٦ ـ إن فى ذلك الحديث لعظة لمن يخاف الله .

٢٧ ، ٢٨ ـ أخلقكم أيها المنكرون للبعث أشق أم خلق السماء ؟ ! ضم أجزاءها المتفرقة بعضها الى بعض ، رفع جرمها فوقنا ، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا خلل .

٢٩ ـ وأظلم ليلها وأظهر نهارها .

٣٠ ـ والأرض بعد ذلك بسطها ومهدها لسكنى أهلها .

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

---

٣١ - أخرج منها ماءها بتفجير عيونها واجراء أنهارها ونباتها ليقتات به الناس والدواب.

٣٢ - والجبال ثبتها.

٣٣ - متاعا لكم ولانعامكم.

٣٤ - فاذا جاءت القيامة التى تعم أهوالها.

٣٥ - يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير أو شر.

٣٦ - وأظهرت الجحيم اظهارا بينا، يراها كل ذى بصر وقع الجزاء.

٣٧، ٣٨، ٣٩ - فأما من تجاوز الحد بعصيانه، واختار لنفسه الحياة الفانية، فإن النار المتأججة فى مهواة هى المنزل لا غيرها.

٤٠، ٤١ - وأما من خاف عظمة ربه وجلاله، وكف نفسه عن الشهوات، فإن دار النعيم هى المنزل لا غيرها.

٤٢ - يسألونك - يامحمد - عن الساعة متى وقوعها ؟!

٤٣ - ليس علمها اليك حتى تذكرها لهم.

٤٤ - الى ربك منتهى علمها لا الى غيره.

٤٥ - إنما واجبك انذار من يخاف لا الاعلام بوقتها.

٤٦ - كأنهم يوم يشاهدونها لم يلبثوا فى الدنيا الا مقدار عشية أو ضحاها.

(٨٠) سورة عبس مكية
وآياتها ثنتان وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾

بدأت هذه السورة بعتاب النبي - ﷺ - على ما كان من اعراضه عن ابن أم مكتوم، حين جاءه راغبا فى العلم والهداية، وقد كان النبي ﷺ مشغولا بدعوة سادة قريش، رجاء أن يستجيبوا له، فيسلم باسلامهم خلق كثير. ثم ذكرت الانسان بنعم الله عليه منذ نشأته الى نشوره، وختمت بالحديث عن يوم القيامة، مبينة أن الناس فيه فرقتان: مؤمنة مستبشرة، وكافرة فاجرة.

١ - تغير وجهه كارها وأعرض.

٢ - لأن جاءه الأعمى يسأل عن أمر دينه.

٣ - وما يدريك لعل هذا الأعمى يتطهر بما يتلقاه عنك.

٤ - أو يتعظ فتنفعه العظة.

٥، ٦ - أما من استغنى بثروته وقوته، فأنت تقبل عليه، وتهتم بتبليغه دعوتك.

٧ - وأى شئ عليك إذا لم يتطهر بالايمان؟!

٨، ٩، ١٠ - وأما من جاءك يسرع لطلب العلم والهداية، وهو يخاف الله فأنت عنه تتشاغل.

١١ - حقا ان هذه الآيات عظة.

١٢ - فمن شاء اتعظ بالقرآن.

١٣ - هو فى صحف مكرمة عند الله.

١٤ - عالية القدر والمكانة، منزهة عن كل نقص.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

---

١٥ ـ بأيدى ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله .

١٦ ـ أخيار محسنين .

١٧ ـ هلاكا للانسان ، ما أكفره مع احسان الله اليه ! !

١٨ ـ أما يذكر من أى شئ خلقه ؟ !

١٩ ـ من ماء مهين ، بدأ خلقه فقدره أطوارا .

٢٠ ـ ثم الطريق الى الايمان يسره له ، وأعلمه به .

٢١ ـ ثم أماته ، فكرمه بأن يقبر .

٢٢ ـ ثم إذا شاء أحياه بعد الموت .

٢٣ ـ حقا لما يقض الانسان ـ مع امتداد حياته فى الدنيا ـ ما أمره الله به من الايمان والطاعة .

٢٤ ـ فليتأمل الانسان شأن طعامه ، كيف دبرناه ويسرناه ! !

٢٥ ـ إنا انزلنا الغيث من السماء انزالا .

٢٦ ـ ثم شققنا الأرض بالنبات شقا .

٢٧ ـ فأنبتنا فيها حبا يقتات به الناس ويدخرونه .

٢٨ ـ وعنبا ونباتا يؤكل رطبا .

٢٩ ـ وزيتونا طيبا ، ونخلا مثمرا .

٣٠ ـ وحدائق ملتفة الأغصان .

٣١ ـ وثمارا يتفكه بها ، وعشبا تأكله البهائم .

مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

---

٣٢ ـ أنبتنا ذلك متاعا لكم ولأنعامكم .

٣٣ ـ فإذا جاءت صيحة القيامة التى تصم الآذان .

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ـ يوم يهرب المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجته وبنيه .

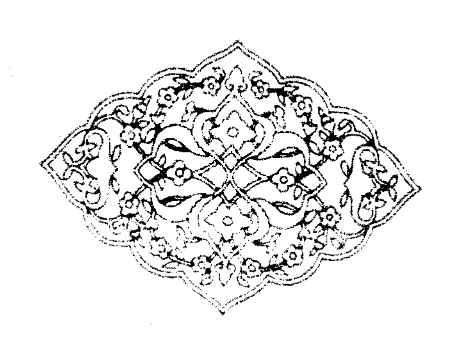
٣٧ ـ لكل امرئ من هؤلاء فى هذا اليوم شأن يشغله .

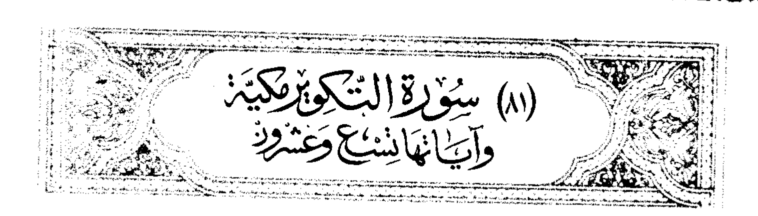
٣٨ ، ٣٩ ـ وجوه فى هذا اليوم مضيئة مشرقة مسرورة بنعيم الله .

٤٠ ـ ووجوه فى هذا اليوم عليها غبار وكدورة .

٤١ ـ تغشاها ظلمة وسواد .

٤٢ ـ أولئك أصحاب هذه الوجوه الكفرة الفجرة ، الذين لا يبالون ما ارتكبوا من المعاصى .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾

فى هذه السورة تصوير لما يقع من أحداث عند قيام الساعة وبعدقيامها ، وعرض لمظاهر القدرة ، وتأكيد لشأن القرآن الكريم ، ودفع الفرية عنه ، وتنزيه للرسول عن الجنون ، وتهديد للمتادين فى الضلال ، وتوجيه إلى ما فى القرآن من عبر ينتفع بها أهل الاستقامة ، ورد أمر الناس لمشيئة رب العالمين .

١ ـ إذا الشمس لفت ومحى ضوؤها .

٢ ـ وإذا النجوم انطمس نورها .

٣ ـ وإذا الجبال حركت من أماكنها .

٤ ـ وإذا من شأنه أن يحمل فقد خاصته .

٥ ـ وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأجحارها ، ذاهلة من شدة الفزع .

٦ ـ وإذا البحار تأججت نارا .

٧ ـ وإذا الأرواح قرنت بأجسادها .

٨ ، ٩ ـ وإذا المدفونة حية سئلت ـ ترضية لها ، وسخطا على من وأدها ـ بأى جريرة قتلت ، ولا ذنب لها .

١٠ ـ وإذا الصحف التى كتبت فيها أعمال أصحابها بسطت عند الحساب .

١١ ـ وإذا السماء أزيلت من مكانها .

١٢ ـ وإذا النار أوقدت أيقادا شديدا .

وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

---

١٣ - وإذا الجنة أدنيت وقربت.

١٤ - وإذا حدثت تلك الظواهر علمت كل نفس ما قدمته من خير أو شر.

١٥ - فأقسم قسما مؤكدا بالنجوم التى تنقبض عند طلوعها، فيكون ضوؤها خافتا.

١٦ - الجارية التى تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء فى مغاراتها.

١٧ - وبالليل اذا خف ظلامه عند إدباره.

١٨ - وبالصبح اذا بدأ ضوءه وهب نسيمه.

١٩ - إن القرآن لقول رسول من الله كريم عليه.

٢٠ - صاحب قوة فى اداء مهمته، صاحب مكانة ومنزلة عند الله ذى العرش.

٢١ - مطاع أمين على الوحى هناك فى الملأ الأعلى.

٢٢ - وما رسولكم الذى صاحبتموه وعرفتم رجاحة عقله بمجنون.

٢٣ - وأقسم: لقد رأى محمد - ﷺ - جبريل بالأفق المظهر لما يرى فيه.

٢٤ - وما محمد على الوحى ببخيل يقصر فى تبليغه وتعليمه.

٢٥ - وما الوحى المنزل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله.

٢٦ - فأى طريق أهدى من هذا الطريق تسلكون ؟ ؟ !

٢٧ - ما القرآن الا تذكير وموعظة للعالمين.

٢٨ - لمن أراد منكم الاستقامة لتحرى الحق والصواب.

٢٩ - وما تشاءون شيئا الا أن يشاء الله رب العالمين ذلك.

(٨٢) سورة الانفطار مكية وآياتها تسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠)

عرضت هذه السورة طائفة من أهوال الساعة بأسلوب مؤذن بتحقيق الوقوع فى يوم تعلم فيه كل نفس ما قدمت وما أخرت ، وانتقلت الآيات الى تحذير الانسان المغرور بربه الذى خلقه فسواه فركبه فى أبدع صورة وأحسن تقويم مقررة تكذيبه بيوم الدين ، مؤكدة وجود ملائكة عليه حافظين كراما كاتبين ، وعقبت ذلك بما يكون للابرار من نعيم ، وما يكون للفجار من جحيم . يصلونها يوم القيامة ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، ويكون الأمر كله لله .

١ - اذا السماء انشقت .

٢ - وإذا الكواكب تساقطت متبعثرة .

٣ - وإذا البحار فتح بعضها فى بعض بزوال الحواجز بينها .

٤ - وإذا القبور بعثرت فخرج من فيها من الموتى .

٥ - علمت نفس ما أسلفت من خير أو شر ، وما أخرت من ذلك .

٦ - يأيها الانسان : أى شئ خدعك بربك الكريم حتى تجرأت على معصيته ؟ !

٧ - الذى أوجدك من العدم ، فخلق لك أعضاء تنتفع بها ، يجعلك معتدلا تناسب الخلق .

٨ - فى أى صورة من الصور شاءها ركبك وأوجدك عليها .

٩ - ردعا لكم ، بل تكذبون بالجزاء يوم القيامة .

كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

---

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وإن عليكم لملائكة حافظين. كراما لدنيا ، مسجلين عليكم أعمالكم يعلمون الذى تفعلونه من خير وشر.

١٣ - إن الصادقين فى ايمانهم لفى نعيم عظيم.

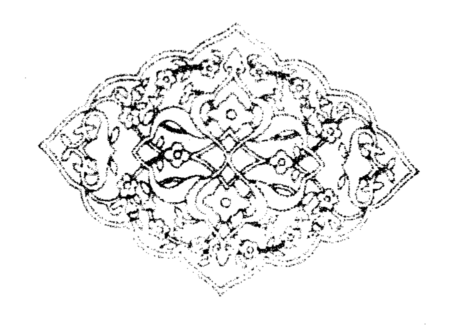
١٤ ، ١٥ - وإن الذين انشقوا عن أمر الله لفى نيران محرقة يدخلونها يوم الجزاء.

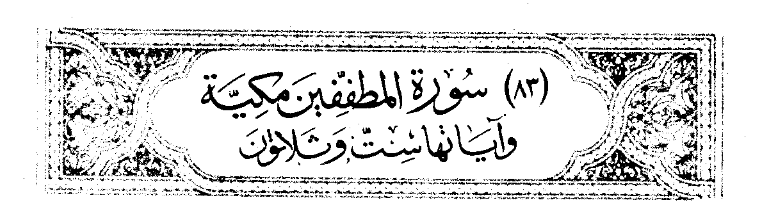
١٦ - وما هم عن جهنم بمخرجين.

١٧ - وأى شئ أعلمك ما يوم الجزاء ، وأمره خارج عن درايتك وتصورك ؟ !

١٨ - ثم أى شئ أعلمك ما يوم الجزاء فى الهول والشدة ؟ !

١٩ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من النفع أو الضرر والأمر يومئذ لله وحده.





بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ

بدأت هذه السورة بوعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وافيا . ويعطى غيره ناقصا . وصورت ذلك بما قامت عليه معاملات الناس فى استيفاء حقوقهم من الكيل والوزن ، وهددت هذا النوع بوقوع البعث والحساب ، وقررت أن أعمالهم مسجلة عليهم فى كتاب مرقوم ، لا يكذب به الا كل معتد أثيم محجوب عن ربه ، مصيره الى جهنم .

وانتقلت الآيات الى الأبرار فطمأنتهم على اعمالهم ، وذكرت نعيمهم وسماتهم ، مشيرة الى نوع من النعيم فيه يتنافس المتنافسون ، وصورت الآيات ما كان يفعله الكفار المجرمون مع المؤمنين حين يرونهم أو حين يمر بهم المؤمنون ، وختمت السورة بتطمين المؤمنين الى أن يوم القيامة سينصفهم ، فيكونون فى النعيم ، من الكفار يضحكون ، على الأرائك ينظرون ، فيثوب الكفار ما كانوا يفعلون .

١ ، ٢ ، ٣ - هلاك للمطففين الذين اذا أخذوا لأنفسهم الكيل من الناس يأخذونه وافيا زائدا ، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم حقهم الواجب لهم اعتداء عليهم .

٤ ، ٥ - ألا يخطر ببال هؤلاء المطففين أنهم سيبعثون ليوم عظيم الهول .

٦ - يوم يقوم الناس لأمر رب العالمين وقضائه .

٧ - ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن البعث . إن ما كتب على الفجار من عملهم السئ لفى سجين .

٨ - وما أعلمك ما سجين ؟ !

٩ - هو كتاب مسطور بين الكتابة .

١٠ - هلاك للمكذبين يوم إذ يكون البعث والجزاء .

يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣)
كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨)
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٣٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٣١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٣٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

١١ - الذين يكذبون بيوم الجزاء .

١٢ - وما يكذب بيوم الجزاء الا كل متجاوز الحد كبير الذنب .

١٣ - إذا تتلى عليه آيات الله الناطقة بحصول الجزاء قال : اباطيل السابقين .

١٤ - ارتدع - أيها المعتدى - عن هذا القول الباطل ، بل غطى على قلوب المعتدين ما اكتسبوه من الكفر والمعاصى .

١٥ - حقا ان المكذبين عن رحمة ربهم يومئذ لمحجوبون بسبب ما اكتسبوه من المعاصى .

١٦ - ثم انهم لداخلون الجحيم .

١٧ - ثم يقال تبكيتا لهم : هذا العذاب النازل بكم الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا .

١٨ - حقا إن ما يكتب من أعمال المحسنين لفى عليين .

١٩ - وما أعلمك ما عليون ؟ !

٢٠ ، ٢١ - هو كتاب مسطور بين الكتابة ، يحضره ويحفظه المقربون من الملائكة .

٢٢ ، ٢٣ - إن الأبرار لفى نعيم الجنة . على الأرائك ينظرون الى ماأولاهم الله من النعمة والكرامة .

٢٤ - تعرف فى وجوههم بهجة النعيم ونضارته .

٢٥ ، ٢٦ - يسقون من شراب خالص مصون لا تزيده الصيانة الا طيبا ، وفى نيل ذلك النعيم فليتسابق المتسابقون .

٢٧ - ٢٨ - ومزاج الرحيق من ماء تسنيم فى الجنة : عينا يشرب منها المقربون دون غيرهم من أهل الجنة .

أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

---

٢٩ ـ إن الذين ارتكبوا الجرم فى حق الدين كانوا يضحكون استهزاء فى الدنيا من الذين آمنوا.

٣٠ ـ وإذا مر المؤمنون بهم يغمز بعضهم بعضا استهزاء.

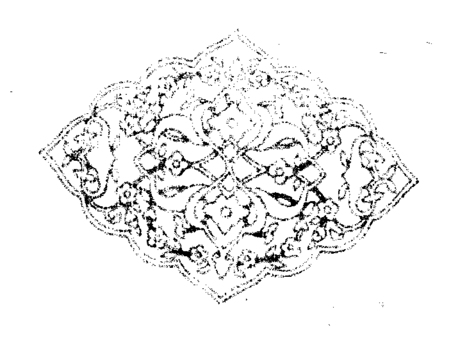
٣١ ـ وإذا رجع المجرمون الى أهلهم رجعوا متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين.

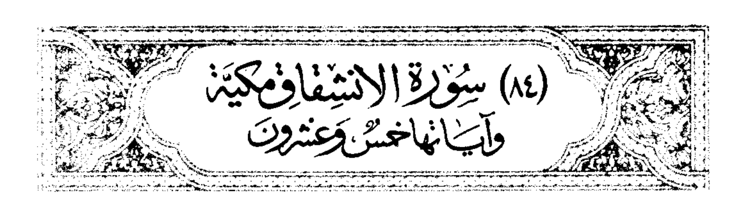
٣٢ ، ٣٣ ـ وإذا رأوا المؤمنين قالوا : ان هؤلاء لضالون لايمانهم بمحمد. وما أرسل هؤلاء المجرمون حاكمين عليهم بالرشد أو الضلال ، حافظين لأعمالهم.

٣٤ ـ فيوم الجزاء الذين آمنوا من الكفار يضحكون جزاء ما ضحكوا سخرية بهم فى الدنيا.

٣٥ ـ على الأسرة والمتكآت ينظر المؤمنون ما أولاهم الله من النعيم.

٣٦ ـ هل جوزى الكفار فى الآخرة ما كانوا يفعلون فى الدنيا ؟ !





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

ذكرت هذه السورة بعض أشراط الساعة ، وخضوع الأرض والسماء لتصريفه تعالى ، وأفادت أن الانسان مسوق الى لقاء ربه ، وأن عمله مسجل عليه فى كتاب سيلقاه ، فمن أخذه باليمين كان حسابه يسيرا ، ومن أخذه بالشمال استجار من لقاء العذاب واصطلى النيران ، ثم أقسم ـ سبحانه ـ بظواهر من آياته تشهد بقدرته وتدعو الى الايمان بالبعث ، ومع ذلك فالذين كفروا لا يؤمنون ولا يتدبرون القرآن ولا يخضعون لأحكامه . ثم ختمت بتهديدهم بأن الله يعلم ما يضمرون ، وأنه أعد لهم العذاب الأليم ، كما أعد للمؤمنين الأجر الدائم الذى لا ينقطع .

١ ـ إذا السماء انصدعت يؤذن بزوالها .

٢ ـ وسمعت لربها وأطاعت ، وجدير بها أن تسمع وتطيع .

٣ ـ وإذا الأرض زيدت سعة بدك جبالها وازالة آكامها . .

٤ ـ ورمت ما بجوفها من الموتى والكنوز ، وتخلت عنه .

٥ ـ وانقادت لربها فى زيادة سعتها والقاء ما فى جوفها وتخليها عنه وحقيق بها ذلك . إذا حدث كل ما تقدم لقى كل انسان جزاء عمله .

٦ ـ يأيها الانسان : انك مجد فى عملك جدا يوصلك الى غايتك ، فلاق ربك بعملك ، فيجازيك عليه .

٧ ، ٨ ، ٩ ـ فأما من أعطى كتاب عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، ويرجع الى عشيرته من المؤمنين مبتهجا .

وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ۩ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

---

١٠ ، ١١ ، ١٢ ـ وأما من أوتى كتابه بشماله من وراء ظهره تحقيرا لأمره ، فسوف يصبح متمنيا هلاك نفسه ، ويدخل جهنم يحترق بنارها .

١٣ ـ انه كان بين أهله فى الدنيا مسرورا بما أوتيه لاهيا عن العمل لعاقبته .

١٤ ـ انه ظن أنه لن يرجع إلى الله فيحاسبه .

١٥ ـ بلى سيرجع ويحاسب ، وان ربه كان به وبأعماله بصيرا .

١٦ ـ فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد الغروب .

١٧ ـ والليل وما جمع ولف فى ظلمته من الناس والدواب وغيرها .

١٨ ، ١٩ ـ والقمر إذا تكامل وتم نوره ، لتلاقن حالا بعد حال بعضها أشد من بعض من الموت والبعث وأهوال القيامة .

٢٠ ـ فأى شئ لهؤلاء الجاحدين يمنعهم من الايمان بالله والبعث بعد وضوح الدلائل على وجوبه .

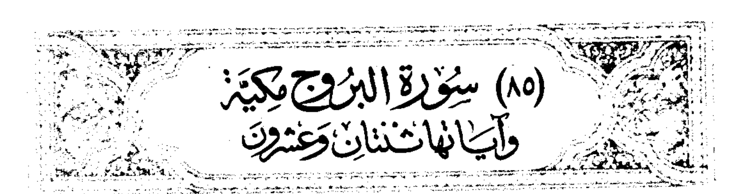
٢١ ـ وإذا سمعوا آيات القرآن لا يسجدون ولا يخضعون .

٢٢ ـ بل هؤلاء ـ لكفرهم ـ يكذبون عنادا وتعاليا عن الحق .

٢٣ ـ والله أعلم بما يضمرون فى قلوبهم .

٢٤ ـ فبشرهم بعذاب أليم مستهزئا بهم .

٢٥ ـ لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله أجر غير مقطوع عنهم ولا محسوب عليهم .



بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

فى هذه السورة تسلية وتذكير للمؤمنين، وتهديد ووعيد للمعاندين. بدأت بقسمه تعالى بمظاهر قدرته على أن المتعرضين لايذاء المؤمنين سيطردون من ساحة الرحمة كما طرد من سلك سبيلهم ممن سبقوهم من الأمم. وأخذت السورة تقص فعل الطغاة بالمؤمنين، وأتبعت ذلك بوعيد المؤمنين وتخويف الطاغين . وأن الحق فى كل العصور معرض لمناوأة المناوئين، وإن القرآن الذى هو دعامة الحق - وإن كذب به القوم - فهو فى منأى عن الشك، لأنه فى لوح محفوظ عند الله.

١ - أقسم بالسماء ذات المنازل التى تنزلها الكواكب أثناء سيرها[١].

٢ - وباليوم الموعود للحساب والجزاء.

٣ وبحاضر من الخلائق فى هذا اليوم وما يحضر فيه من الأهوال والعجائب.

٤ - لقد لعن الله أصحاب الشق المستطيل فى الأرض.

٥ - أصحاب النار ذات الوقود التى أضرموها لعذاب المؤمنين.

٦ - اذ هم على حافتها قعود يشهدون عذاب المؤمنين.

٧ - وهم على الذى يفعلون بالمؤمنين - من تعذيبهم - حضور.

---

(١) البروج هى هذه المجموعات من مواقع النجوم التى تظهر على أشكال مختلفة فى السماء مقسمة إلى اثنى عشر قسما تمر خلالها الأرض والكواكب فى أثناء دورتها حول الشمس. ولما كان مستوى مدار القمر خلال دورته حول الأرض وهى « التى تسمى بمنازل القمر » وهى أيضا مجموعة من النجوم على أشكال مختلفة فقد جمع الشاعر القديم أسماء هذه البروج الاثنى عشر فى هذين البيتين:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقربا وقوسا بجدى ومن الدلو مشرب الحيتان

إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

---

٨ - وما أنكروا من المؤمنين إلا ايمانهم بالله القوى الذى يخشى عقابه، الحميد الذى يرجى ثوابه.

٩ - الذى له - وحده - ملك السموات والأرض، والله على كل شىء مما يفعله المؤمنون والكافرون شهيد يشهد ذلك ويجزى عليه.

١٠ - ان الذين امتحنوا المؤمنين والمؤمنات فى دينهم بالأذى والتعذيب بالنار، ثم لم يرجعوا عن ذلك، فلهم فى الآخرة عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق باحراقهم المؤمنين.

١١ - ان الذين جمعوا إلى الايمان بالله العمل الصالح، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ذلك النعيم الذى جوزوا به هو الفوز الكبير.

١٢ - ان أخذ ربك للجبابرة والظلمة بالغ الغاية فى الشدة.

١٣ - انه وحده يبدأ الخلق ويعيدهم.

١٤ - وهو كثير المغفرة لمن تاب وأناب، كثير المحبة لمن أحبه وأطاعه.

١٥ - صاحب العرش ومالكه، العظيم فى ذاته وصفاته.

١٦ - فعال لما يريد لا يتخلف عن قدرته مراد.

١٧ - هل أتاك - يا محمد - حديث الجموع الطاغية من الأمم الخالية ؟!

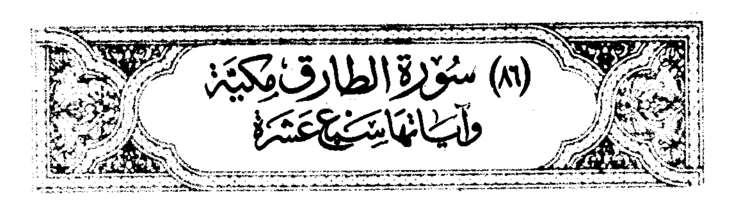
١٨ - قوم فرعون وثمود وما حل بهم من جزاء تماديهم فى الباطل.

١٩ - بل الكافرون من قومك أشد فى تكذيبهم لك من تكذيب هؤلاء لرسلهم.

٢٠ - والله متمكن منهم، عالم بهم.

٢١ - بل ما جئتهم به قرآن عظيم بين الدلالة على صدقك.

٢٢ - فى لوح محفوظ لا ترقى إليه قوة بتحريف أو تبديل.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ

افتتحت هذه السورة بقسم يشير إلى دلائل القدرة ، ويؤكد أن كل نفس عليها مهيمن ورقيب ، وطلبت أن يفكر الانسان فى نشأته ، وأنه خلق من ماء دافق ، ليستدل بذلك على أن الذى أنشأه هكذا قادر على اعادته بعد موته ، ثم ثنت بقسم آخر على أن القرآن قول فصل وما هو بالهزل ، ومع كونه كذلك فقد جد الكفار فى انكاره والكيد له ، وقد رد الله كيدهم بكيد أشد من كيدهم ، ثم ختمت السورة بطلب امهال الكافرين .

١ - أقسم بالسماء وبالنجم الذى يظهر ليلا .

٢ ، ٣ - وأى شىء أعلمك ما حقيقة هذا النجم ؟! هو الذى ينفذ ضوءه فى الظلام .

٤ - ما كل نفس الا عليها حافظ يرقبها ويحصى عليها أعمالها .

٥ - فليفكر الانسان من أى شىء خلق ؟ !

٦ - خلق الانسان من ماء متدفق .

٧ - يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظام الصدر من الرجل والمرأة[١] .

---

(١) الصلب هو منطقة العمود الفقرى ـ والترائب هى عظام الصدر .

وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقرى وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر .

وتبق الكلى فى مكانها وتنزل الخصية إلى مكانها الطبيعى فى الصفن عند الولادة . وعلى الرغم من انحدار الخصية إلى أسفل فإن الشريان الذى يغذيها بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بحذاء الشريان الكلوى .

كما أن العصب الذى ينقل الإحساس إليها ويساعدها على انتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدرى العاشر الذى يغادر النخاع الشوكى بين الضلعين العاشر والحادى عشر .

وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع فى الجسم بين الصلب والترائب « العمود الفقرى والقفص الصدرى » .

لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾

---

٨ ـ ان الله الذى خلقه هكذا ابتداء لقادر على اعادة خلقه بعد موته.

٩ ـ يوم تمتحن الضمائر ويميز بين ما طاب منها وما خبث.

١٠ ـ فما للانسان فى ذلك الوقت من قوة بنفسه يمتنع بها، ولا ناصر ينتصر به.

١١ ـ أقسم بالسماء ذات المطر الذى يعود ويتكرر.

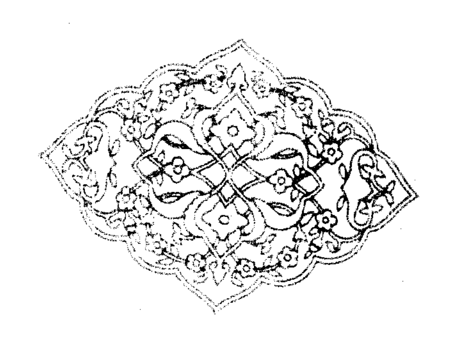
١٢ ـ وبالأرض ذات الانشقاق عن النبات الذى يخرج منها.

١٣، ١٤ ـ ان القرآن فاصل بين الحق والباطل، وليس فيه شائبة اللعب والباطل.

١٥ ـ ان المكذبين بالقرآن يمكرون فى ابطال أمره مكرا بالغ الغاية.

١٦ ـ وأجازيهم وأقابل كيدهم بكيد متين لا يدفعونه.

١٧ ـ فانظر الكافرين، أمهلهم أمهالا قريبا حتى آمرك فيهم بأمر حاسم.



(٨٧) سورة الأعلى مكية وآياتها تسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ

بدئت هذه السورة بتنزيه من خلق الأشياء فجعلها سواء فى الاتقان ، وقدر لكل شىء ما يصلحه ، فهداه إليه ، وأنبت المرعى فجعله غثاء أحوى ثم أخبرت الآيات أن الله سيقرىء رسوله القرآن ، فيحفظه ولا ينسى منه شيئا إلا ما شاء الله ، وييسره لليسرى ، ثم أمرت الرسول أن يذكر بالقرآن ليذكر من يخشى ، ويتجنب الذكرى الأشقى الذى يصلى النار الكبرى . وأكدت الآيات أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى . وختمت السورة ببيان أن ما جاء فيها ثابت فى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى .

١ - نزه اسم ربك الأعظم عما لا يليق به .

٢ - الذى خلق كل شىء فجعله مستوى الخلق فى أحكام واتساق .

٣ - والذى قدر لكل شىء ما يصلحه فهداه إليه .

٤ - والذى أخرج من الأرض ما ترعاه الدواب من صنوف النباتات .

٥ - فصيره بعد الخضرة يابسا مسودا .

٦ - سنجعلك - يا محمد - قارئا بإلهام منا ، فلا تنسى ما تحفظ .

٧ - الا ما شاء الله أن تنساه ، انه تعالى يعلم ما يجهر به عباده وما يخفونه من الأقوال والأفعال .

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

---

٨ ـ ونوفقك للطريقة البالغة اليسر فى كل أحوالك.

٩ ـ فذكر الناس ان نفعت الذكرى، فشأنها أن تنفع.

١٠ ـ سينتفع بتذكيرك من يخاف الله.

١١ ـ ويتجنب الذكرى الأشقى المصر على العناد والكفر.

١٢ ـ الذى يدخل النار الكبرى المعدة للجزاء.

١٣ ـ ثم لا يموت فى النار فيستريح بالموت، ولا يحيا حياة يهنأ بها.

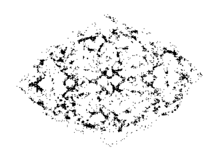
١٤ ـ قد فاز من تطهر من الكفر والمعاصى.

١٥ ـ وذكر اسم خالقه بقلبه ولسانه فصلى خاشعا ممتثلا.

١٦ ـ لم تفعلوا ما يؤدى إلى الفلاح، بل تقدمون فى اهتمامكم الحياة الدنيا على الآخرة.

١٧ ـ والآخرة خير من الدنيا بصفاء نعيمها، وأبقى بدوامه.

١٨، ١٩ ـ ان هذا المذكور فى هذه السورة لثابت فى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى فهو مما توافقت فيه الأديان وسجلته الكتب السماوية.



(٨٨) سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

بدأت السورة بأسلوب يشوق إلى سماع الحديث عن يوم القيامة وما يكون فيه ، مشيرة إلى أن الناس فيه قسمان : فمنهم من لا يرون فيه كرامة عند استقبالهم ويدخلون نارا حامية ، ومنهم من يستقبلونه فرحين بمظاهر الرحمة والرضوان المعدة لهم ، ثم ساقت الأدلة الواضحة على قدرته تعالى على البعث مما يشاهدونه بأعينهم وينتفعون به فى حياتهم ، وبعد ذكر هذه الأدلة انتقلت إلى أمر الرسول بالتذكير لأنه مهمته الأولى بالنسبة اليهم ، مبينة أنه ليس مسلطا عليهم فيجبرهم على الايمان ، وأن من تولى وكفر بعد هذا التذكير فسوف يأخذه الله بذنبه ويعذبه العذاب الأكبر ، حين يرجع إليه بعد الموت لأن رجوعهم جميعا إليه وحسابهم جميعا عليه .

١ - هل أتاك يا محمد حديث القيامة التى تغشى الناس بأهوالها .

٢ ، ٣ - وجوه يوم القيامة ذليلة ، دائبة العمل فيا يتعبها ويشقيها فى النار .

٤ - تدخل نارا شديدة الحرارة .

٥ - تسق من عين تناهى حرها .

٦ - ليس لهم طعام الا من نوع خبيث يعذب به آكله .

٧ - لا يؤثر سمنا فى الأجسام ولا يدفع شيئا من جوع .

٨ ، ٩ ، ١٠ - وجوه يوم القيامة ذات نضارة لجزاء عملها الذى عملته فى الدنيا ، راضية فى جنة مرتفعة مكانا وقدرا .

١١ ، ١٢ - لا تسمع فيها كلمة ذات لغو . فيها عين جارية بالماء لا تنقطع .

١٣ - فيها سرر مرتفعة مكانا وقدرا زيادة لهم فى النعيم .

وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ

١٤ ـ وأكواب حاضرة بين أيديهم .

١٥ ـ ووسائد صف بعضها إلى جانب بعض .

١٦ ـ وبسط كثيرة متفرقة فى المجالس .

١٧ ـ أيهملون التدبر فى الآيات ، فلا ينظرون إلى الابل ، كيف خلقت خلقا بديعا يدل على قدرة الله ؟ ![1] .

١٨ ـ وإلى السماء التى يشاهدونها دائما ، كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد ؟ !

١٩ ـ وإلى الجبال التى يتصعدون إلى قممها ، كيف أقيمت شامخة ، تمسك الأرض فلا تميل ولا تميد ؟ ![2] .

٢٠ ـ وإلى الأرض التى يتقلبون عليها ، كيف بسطت ومهدت ؟ !

---

(١) فى خلق الابل آيات معجزات دالة على قدرة الله ليتدبر فى ذلك المتدبرون . فمن المعروف أن من صفاتها الظاهرة ما يمكنها من أن تكون سفن الصحراء بحق . فالعينان ترتفعان فوق الرأس وترتدان إلى الخلف فضلا عن طبقتين من الأهداب تقيانها الرمال والقذى ، وكذلك المنخران والأذنان يكتنفها الشعر للغرض نفسه . فإذا ما هبت العواصف الرملية انقفل المنخران ، وانثنت الأذن ـ على صغرها وقلة بروزها ـ نحو الجسم ـ أما القوائم فطوال تساعد على سرعة الحركة ، مع ما يناسب ذلك من طول العنق ، وأما الأقدام فنبسطة فى صورة خفاف تمكن الابل من السير فوق الرمال الناعمة ، وللجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرنية على مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الأرض الخشنة الساخنة ، كما أن على جانبى ذيله الطويل شعرا يحمى الأجزاء الخلفية الرقيقة من الأذى .

أما مواهب الجمل الوظيفية فأبلغ وأبدع ، فهو فى الشتاء لا يطلب الماء ، بل قد يعرض عنه شهرين متتالين إذا كان الغذاء غضا رطبا أو أسبوعين إن كان جافا . كما أنه قد يتحمل العطش الكامل فى قيظ الصيف أسبوعا أو أسبوعين ، يفقد فى أثنائها أكثر من ثلث وزن جسمه ، فإذا ما وجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد فى دقائق معدودات . والجمل لا يختزن الماء فى كرشه كما كان يظن . بل أنه يحتفظ به فى أنسجة جسمه ويقتصد فى استهلاكه غاية الاقتصاد ، فمن ذلك أنه لا يلهث أبدا ولا يتنفس من فمه ولا يصدر من جلده إلا أدنى العرق ، وذلك لأن حرارة جسمه تكون شديدة الانخفاض فى الصباح المبكر ، ثم تأخذ فى الارتفاع التدريجى أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة إلى تلطيفها بالعرق والتبخر ، وعلى الرغم من كمية الماء الهائلة التى يفقدها الجسم بعد العطش الطويل فإن كثافة دمه لا تتأثر إلا فى الحدود ومن ثم لا يقضى العطش عليه . وقد ثبت أن دهن السنام مخزن للطاقة يكفيه غوائل الجوع ، ولكنه لا يفيد كثيرا فى تدبير الماء اللازم لجسمه .

وما زال العلماء يجدون فى الجمل كلما بحثوا مصداقا لحض الله تعالى لهم على النظر فى خلقه المعجز .

(٢) تردد فى القرآن الكريم وصف الأرض بأنها مسطحة وبأنها مبسوطة : والمراد بذلك أن الأرض وان كانت كروية الشكل تبدو للناظرين مسطحة مبسوطة ، وهذا لا يخالف ما قرره العلم فى شىء .

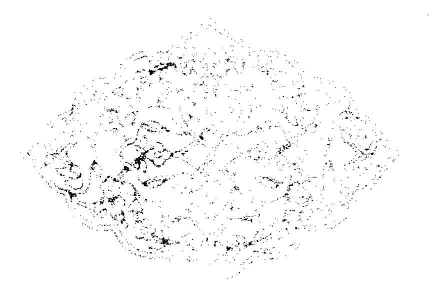
إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

٢١ ، ٢٢ - فذكر بدعوتك ، انما مهمتك التبليغ ، لست عليهم بمتسلط .

٢٣ ، ٢٤ - لكن من أعرض منهم وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر الذى لا عذاب فوقه .

٢٥ - ان الينا رجوعهم بالموت والبعث ، لا إلى غيرنا .

٢٦ - ثم ان علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم .



(٨٩) سورة الفجر مكية وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)

بدأت هذه السورة بأقسام تناولت ظواهر متعددة ، توجه النظر إلى آثار القدرة على أن المنكرين لله والبعث معذبون ، كما عذب الذين كذبوا من قبل ، وأخذت السورة تقرر سنن الله فى ابتلاء عباده بالخير والشر ، وأن أعطاءه وامساكه ليس دليل رضاه أو سخطه ، وتوجه الحديث للمخاطبين بأن أحوالهم تكشف عن شدة حرصهم وشحهم ، ثم تختم - بالاشارة إلى ما يكون من ندم المفرطين وتمنيهم أن لو قدموا من الصالحات ما ينجيهم ، مما يعاينونه من أهوال يوم القيامة ، وإلى ما يكون من ايناس النفس المطمئنة التى قدمت الصالحات ولم تفرط ، ودعوتها إلى الدخول مع المكرمين من عباد الله فى جنة الله .

١ - أقسم بضوء الصبح عند مطاردته الليل .

٢ - وبليال عشر مفضلة عند الله .

٣ - وبالزوج والفرد من كل شىء .

٤ - وبالليل إذا يتقضى بحركة الكون العجيبة .

٥ - هل فيما ذكر من الأشياء ما يراه العاقل قسما مقنعا ؟ !

٦ ، ٧ - ألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بعاد قوم هود ، أهل ارم ذات البناء الرفيع ؟ !

٨ - التى لم يخلق مثلها فى البلاد متانة وضخامة بناء .

٩ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بثمود قوم صالح ، الذين قطعوا الصخر من الجبال يبنون به القصور بالوادى ؟ !

١٠ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بفرعون ذى الجنود الذين يشدون ملكه كما تشد الأوتاد الخيام ؟

١١ - الذين تجاوزوا الحدود فى البلاد .

١٢ - فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم .

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

---

١٣ - فأنزل عليهم ربك ألوانا ملهبة من العذاب.

١٤ - ان ربك ليرقب عمل الناس، ويحصيه عليهم، ويجازيهم به.

١٥ - فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه فأكرمه، ونعمه بالمال والجاه والقوة، فيقول مغترا بذلك: ربى فضلنى لاستحقاق لهذا.

١٦ - وأما الانسان إذا ما اختبره ربه بضيق الرزق فيقول غافلا عن الحكمة فى ذلك: ربى أهاننى.

١٧ - ارتدعوا، فليس الأمر كما تقولون، بل أنتم لا تكرمون اليتيم.

١٨ - ولا يحث بعضكم بعضا على اطعام المساكين.

١٩ - وتأكلون المال الموروث أكلا لما، لا تميزون فيه بين ما يحمد وما يذم.

٢٠ - وتحبون المال حبا كثيرا، يدفعكم إلى الحرص على جمعه والبخل بانفاقه.

٢١ - ارتدعوا عن تلك الأفعال، لما ينتظركم من الوعيد إذا سويت الأرض تسوية بعد تسوية.

٢٢ - وجاء ربك مجيئا يليق به سبحانه، وجاءت الملائكة صفا صفا.

٢٣ - وجىء يومئذ بجهنم دار العذاب، يومئذ يحدث ذلك يتذكر الانسان ما فرط فيه، ومن أين له الذكرى النافعة، وقد فات أوانها؟!

٢٤ - يقول نادما: يا ليتنى قدمت فى الدنيا أعمالا صالحة تنفعنى لحياتى الآخرة.

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

---

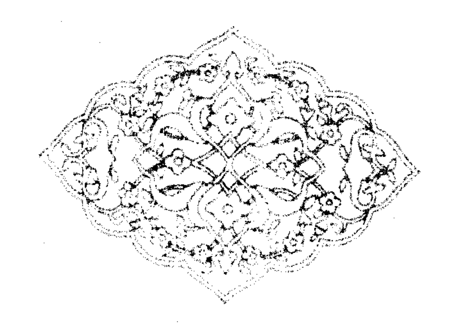
٢٥ ، ٢٦ ـ فيومئذ تكون هذه الأحوال ، لا يعذب أحد كعذاب الله ، ولا يقيد أحد كقيده .

٢٧ ـ يأيتها النفس المطمئنة بالحق .

٢٨ ـ ارجعى إلى رضوان ربك راضية بما أوتيت من النعم ، مرضية بما قدمت من عمل .

٢٩ ـ فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين .

٣٠ ـ وادخلى جنتى دار النعيم المقيم .



(٩٠) سورة البلد مكية وآياتها عشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾

أقسم الله بالبلد الحرام ، مكة ، موطن محمد ﷺ الذى نشأ فيه ، وأحبه وبوالد وما ولد ، لأن بهما حفظ النوع وبقاء العمر ، على أن الانسان خلق فى مشقة ومكابدة متاعب ، ثم بين أنه مغتر يحسب أن قدرته لا تغلب ، وأنه ذو مال كثير ينفقه ارضاء لشهواته وأهوائه ، ثم عدد سبحانه ما أنعم به عليه مما ييسر له سبل الهداية واقتحام العقبة ، ليكون من أهل الجنة أصحاب اليمين ويفر مما يجعله من أصحاب المشأمة الذين يرمى بهم فى النار وتغلق عليهم أبوابها .

١ - أقسم قسما مؤكدا بمكة البلد الحرام .

٢ - وأنت مقيم بهذا البلد تزيده شرفا وقدرا .

٣ - وبوالد وما ولد وبهما حفظ النوع وبقاء العمران .

٤ - لقد خلقنا الانسان فى مشقة وتعب منذ نشأته إلى منتهى أمره .

٥ - أيظن الانسان المخلوق فى هذه المشقة أن لن يقدر على اخضاعه أحد .

٦ - يقول أنفقت فى عداوة محمد ﷺ وصده عن دعوته مالا كثيرا تجمع بعضه إلى بعض .

٧ - أيظن أن أمره قد خفى فلم يطلع عليه أحد حتى من خلقه .

٨ ، ٩ - ألم نخلق له عينين ينظر بهما ولسانا وشفتين ليتمكن من النطق والابانة .

١٠ - وبينا له طريق الخير والشر وهيأناه للاختيار .

١١ - فلا انتفع بما هيأناه له ، ولا تخطى العقبة التى تحول بينه وبين النجاة ، وهى شح نفسه .

١٢ - وأى شىء أعلمك ما اقتحام العقبة ؟ !

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

---

١٣ ـ عتق النفس وتحريرها من العبودية.

١٤ ـ أو اطعام فى يوم ذى مجاعة.

١٥ ـ يتيما ذا قرابة يواسى لرحمه وفقره.

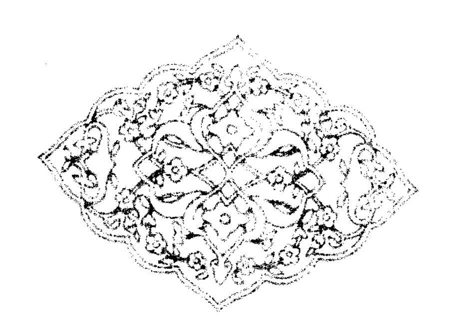
١٦ ـ أو مسكينا ذا حاجة وافتقار.

١٧ ـ ثم كان مع ذلك من أهل الايمان الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر وبالرحمة.

١٨ ـ أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم السعداء أصحاب اليمين.

١٩ ـ والذين كفروا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة هم الأشقياء أهل الشؤم والعذاب.

٢٠ ـ عليهم نار مطبقة مغلقة أبوابها.



(٩١) سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ

أقسم الله تعالى فى مفتتح هذه السورة بأشياء عدة من مخلوقاته العظيمة ، المنبئة عن كمال قدرته تعالى ووحدانيته ، على فوز من طهر نفسه بالايمان والطاعة ، وخسران من ضيعها بالكفر والمعاصى ، ثم ساق مثلا ثمود قوم صالح وما حل بهم ، ليعتبر بهم كل معاند مكذب ، فانهم لما كذبوا رسولهم ، وعقروا الناقة ، أهلكهم الله جميعا وهو لا يخاف عاقبة اهلاكهم وما أنزله بهم ، لأنه لا يسأل عما يفعل ، وقد أنزل بهم ما يستحقون .

١ ـ أقسم بالشمس وبضوئها واشراقها وحرارتها .

٢ ـ وبالقمر إذا تبعها وخلفها فى الإضاءة بعد غروبها .

٣ ـ وبالنهار إذا أظهر الشمس واضحة غير محجوبة .

٤ ـ وبالليل إذا يغشى الشمس ، فيغطى ضوءها .

٥ ـ وبالسماء وبالقادر العظيم الذى رفعها وأحكم بناءها .

٦ ـ وبالأرض وبالقادر العظيم الذى بسطها من كل جانب ، وهيأها للاستقرار ، وجعلها فراشا .

٧ ـ وبالنفس ومن أنشأها وعدلها ، بما أودع فيها من القوى .

٨ ـ فعرفها الحسن والقبيح ، ومنحها القدرة على فعل ما تريد منها .

٩ ـ قد فاز من طهر نفسه بالطاعات وعمل الخير . ؟

١٠ ـ وقد خسر من أخفى فضائلها ، وأمات استعدادها للخير .

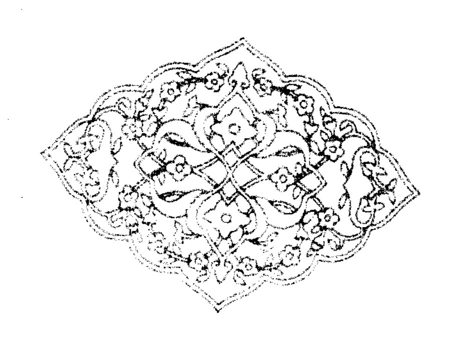
١١ ، ١٢ ـ كذبت ثمود نبيها بطغيانها وبغيها ، حين نهض أشقاها مريدا عقر الناقة .

رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾

١٣ ـ فقال لهم صالح رسول الله : اتركوا ناقة الله تأكل فى أرض الله ، واحذروا منعها الشرب فى يومها .

١٤ ـ فكذبوا رسولهم فى وعيده ، فعقروها ، فدمر عليهم ربهم ديارهم بذنبهم ، فسواها بالأرض !

١٥ ـ ولا يخاف تبعة هذه العقوبة ، لأنها الجزاء العادل لما صنعوا .



(٩٢) سورة الليل مكية
وآياتها إحدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة على أن أعمال الناس مختلفة بعضها هدى وبعضها ضلال ، فمن أنفق واتقى وصدق بالخصلة الجامعة للخير يسره الله لليسرى ، ومن بخل واستغنى وكذب بالخصلة الجامعة للخير يسره الله للعسرى ، ولا يغنى عنه ماله إذا وقع فى العذاب ، وقد بينت الآيات بعد ذلك أن الله تكفل ببيان طرق الهدى ، تفضلا منه وأن له أمر الحياتين الآخرة والأولى ، وقد أنذر بالنار يصلاها الأشقياء ويتجنبها الأتقياء .

١ - أقسم بالليل حين يعم ظلامه .

٢ - وبالنهار إذا سطع ضوؤه .

٣ - وبالعلم الذى خلق الصنفين الذكر والأنثى من كل ما يتوالد .

٤ - ان سعيكم لمختلف ، فمنه ما يسعد به الساعى ، ومنه ما يشق به .

٥ ، ٦ ، ٧ - فأما من أنفق فى سبيل الله وخاف ربه فاجتنب محارمه وايقن بالفضيلة الحسنى ، وهى الايمان بالله عن علم ، فسنهيئه للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة بتوجيهه إلى طريق الخير .

٨ ، ٩ ، ١٠ - وأما من بخل بماله فلم يؤد حق الله فيه ، واستغنى به عما عند الله وكذب بالخصلة الحسنى فسنهيئه للخصلة التى تؤدى إلى العسر والشقاء الأبدى .

١١ - وأى شىء من العذاب يدفعه عنه ماله الذى بخل به إذا هلك ؟ !

١٢ - ان علينا بمقتضى حكمتنا أن نبين للخلق طريق الهدى .

لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

١٣ ـ وان لنا وحدنا لأمر التصرف فى الدارين .

١٤ ـ فخوفتكم نارا تتوقد وتتلهب .

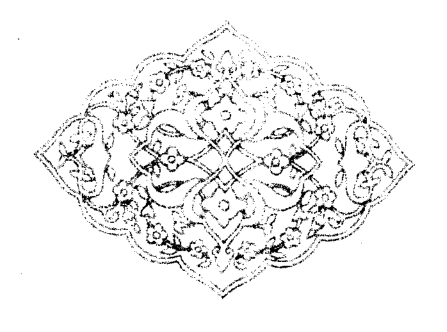
١٥ ، ١٦ ـ لايدخلها على جهة الدوام الا الكافر الذى كذب بالحق وأعرض عن آيات ربه .

١٧ ، ١٨ ـ وسيبعد عنها المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى ، الذى يعطى ماله فى وجوه اليسر يتطهر من رجس البخل ودنس الامساك .

١٩ ـ وليس لأحد عند هذا المنفق من نعمة أو يد يكافأ بها .

٢٠ ـ لكن يعطيه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

٢١ ـ ولسوف ينال من ربه ما يبتغيه على أكمل الوجوه حتى يتحقق له الرضا .



(٩٣) سورة الضحى مكية وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

افتتحت السورة بقسمين معبرين عن وقتى النشاط والسكون ، على أن الله ماترك رسوله ولاكرهه ومايعده له فى الآخرة من منازل الرفعة خير مما يكرمه به فى الأولى ، ثم أقسم سبحانه على أنه سيعطى حتى يرضى ، والسوابق شواهد على اللواحق ، فقد كان يتيما فآواه ، وضالا فأحسن هداه وفقيرا فأغناه ، ثم دعت الآيات الى اكرام اليتيم وعدم نهر السائل ، والى التحدث بنعمة الله .

١ ـ أقسم بوقت ارتفاع الشمس . والنشاط فى العمل .

٢ ـ وبالليل اذا سكن وامتد ظلامه .

٣ ـ ماتركك ربك يامحمد وماكرهك .

٤ ـ ولعاقبة أمرك ونهايته خير من بدايته .

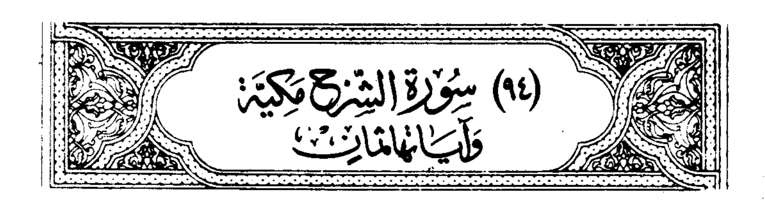
٥ ـ واقسم لسوف يعطيك ربك من خيرى الدنيا والآخرة حتى ترضى .

٦ ـ ألم يجدك يتيما تحتاج الى من يرعاك فأواك بضمك الى من يحسن القيام بأمرك .

٧ ـ ووجدك حائرا لاتقنعك المعتقدات حولك فهداك الى منهج الحق .

٨ ـ ووجدك فقيرا من المال فأغناك بماأعطاك من رزق .

٩ ، ١٠ ، ١١ ـ اذا كان هذا حالنا معك ، فأما اليتيم فلا تذله ، وأما السائل فلاترده بقسوة ، وأما بنعمة ربك فحدث شكرا لله واظهارا للنعمة .



بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

تقرر هذه السورة أن الله قد شرح صدر نبيه وجعله مهبط الأسرار والعلوم ، وحط عنه ماأثقل ظهره من أعباء الدعوة ، وقرن اسمه باسمه فى أصل العقيدة وشعائر الدين ، ثم ذكرت الآيات سنة الله فى أن يقرن اليسر بالعسر ، ودعت الرسول كلما فرغ من فعل خير أن يجتهد فى فعل خير آخر ، وان يجعل قصده الى ربه فهو القادر على عونه .

١ ـ قد شرحنا لك صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والايمان .

٢ ـ وخففنا عنك ماأثقل ظهرك من أعباء الدعوة بمساندتك وتيسير أمرك .

٣ ـ الذى أثقل ظهرك .

٤ ـ ونوهنا باسمك ، فجعلناه مذكورا على لسان كل مؤمن مقرونا باسمنا .

٥ ـ تلك بعض نعمتنا عليك ، فكن على ثقة من الطافه تعالى ، فان مع العسر يسرا كثيرا يقارنه .

٦ ـ ان مع العسر يسرا كثيرا كذلك .

٧ ـ فاذا فرغت من أمر الدعوة ومقتضيات الجهاد ، فاجتهد فى العبادة واتعب نفسك فيها .

٨ ـ والى ربك وحده فاتجه بمسألتك وحاجتك .





بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

يقسم الله فى هذه السورة بثمرتين مباركتين . ومكانين طيبين على أنه خلق الانسان فى أعدل صورة ، مكملا بالعقل والارادة الى غير ذلك من صفات الكمال ، ثم ذكرت الآيات ان الانسان لم يقم بمقتضى خلقته ، فنزلت درجته الى أسفل سافلين ، الا من آمن وعمل الصالحات فقد مد له فى العطاء . ثم اتجهت السورة منكرة على من كذب بالبعث بعد ظهور أدلة قدرته وأنباء حكمته .

١ ـ أقسم بالتين والزيتون لبركتها وعظيم منفعتها .

٢ ـ وبالجبل الذى كلم الله عليه موسى .

٣ ـ وهذا البلد مكة المعظمة . يشهد بعظمتها من زارها ، الآمن من دخلها .

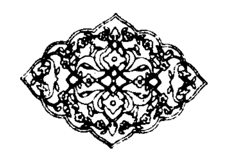
٤ ـ لقد خلقنا جنس الانسان مقوما فى أحسن مايكون من التعديل ، متصفا بأجمل ما يكون من الصفات .

٥ ـ ثم أنزلنا درجته الى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ماخلقناه عليه .

٦ ـ لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة ، فلهم أجر غير مقطوع عنهم ولا ممنون به عليهم .

٧ ـ فأى شىء يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء ، بعد أن وضحت قدرتنا على ذلك .

٨ ـ أليس الله الذى فعل ماأنبأناك به بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا .





بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا

فى هذه السورة دعوة الى القراءة والتعلم، وأن من قدر على خلق الانسان من أصل ضعيف قادر على ان يعلمه الكتابة يضبط بها العلوم ويتم بها التفاهم، ويعلمه مالم يعلم فهو سبحانه مفيض العلم على الانسان، وتنبه السورة الى أن الثراء والقوة قد يدفعان النفوس الى مجاوزة حدود الله، ولكن مصير الكل الى الله فى النهاية، وتوجه الحديث لكل من يصلح للخطاب منذرة الطغاة الصادين عن الخير مهددة لهم بأخذهم بالنواصى الى النار، فلاتنفعهم الأنصار، وتختم السورة بدعوة الممتثلين الى مخالفة المعاندين المكذبين والتقرب بالطاعة الى رب العالمين.

١ - اقرأ يامحمد مايوحى اليك مفتتحا باسم ربك الذى له وحده القدرة على الخلق.

٢ - أوجد الانسان الكامل الجسم والعلم من علق لا يظهر فيه مايدعو الى افخار.

٣ - امض فى القراءة وربك الاكرم، يقدرك ولا يخذلك.

٤ - الذى علم الانسان الكتابة بالقلم ولم يكن يعلمها.

٥ - علم الانسان مالم يكن يخطر بباله.

٦، ٧ - حقا ان الانسان ليجاوز الحد ويستكبر على ربه، من أجل أن رأى نفسه ذا غنى وثراء.

٨ - ان الى ربك وحده يامحمد رجوع الكل بالبعث والجزاء.

٩، ١٠ - أأبصرت هذا الطاغى الذى ينهى عبدا عن الصلاة اذا صلى؟!.

١١، ١٢ - أخبرنى عن حال هذا الطاغى ان كان على الهدى فى نهيه، أو أمر بالتقوى فيا أمر.

١٣ - أخبرنى عن حال هذا الناهى ان كذب بما جاء به الرسول، وأعرض عن الايمان والعمل الطيب.

١٤ - أجهل أن الله يطلع على أحواله فيجازيه بها؟!.

بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ۩

---

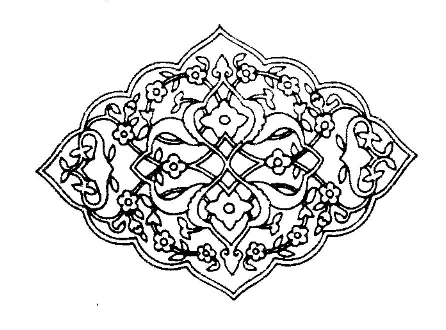
١٥ - ردعا لهذا الناهى، لئن لم ينزجرعما هو عليه، لنأخذن بناصيته الى النار بشدة.

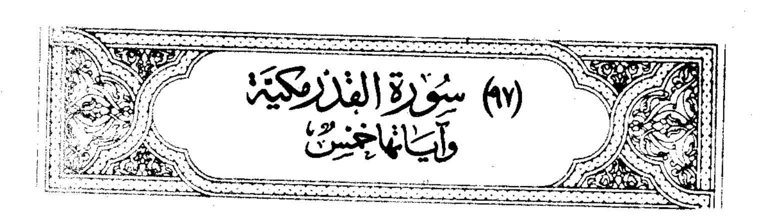
١٦ - ناصية يعلو وجه صاحبها الكذب وآثار الخطيئة.

١٧ - فيطلب عشيرته وأهل مجلسه ليكونوا نصراء فى الدنيا أو فى الآخرة.

١٨ - سندعو جنودنا لينصروا محمدا ومن معه، وليدفعوا هذا الناهى وأعوانه الى جهنم.

١٩ - ردعا لهذا الناهى، لاتطعه فيما نهاك عنه، ودم على صلاتك وواظب على سجودك، وتقرب بذلك الى ربك.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

فى هذه السورة تنويه بشأن القرآن وشأن الليلة التى أنزل فيها، واخبار أنها خير من ألف شهر، وأن الملائكة وجبريل تنزل فيها باذن ربهم من أجل كل أمر. سلام هى من الأذى والسوء حتى طلوع فجرها.

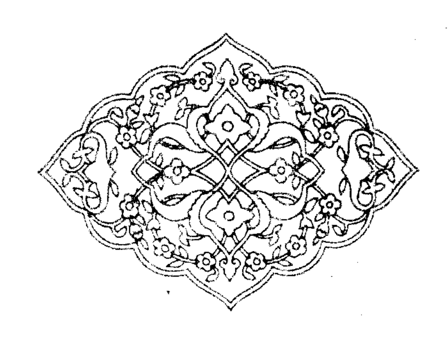
١ - انا أنزلنا القرآن فى ليلة القدر والشرف.

٢ - وأى شىء أعلمك ماليلة القدر والشرف ؟ !.

٣ - ليلة القدر والشرف خير من ألف شهر، بما اختصت به من تنزيل القرآن الكريم.

٤ - تنزل الملائكة وجبريل فيها الى الأرض باذن من أجل كل أمر.

٥ - أمان من الأذى والسوء هى كذلك حتى مطلع الفجر.





بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ

علم أهل الكتاب من كتبهم ، وعلم منهم مشركو مكة نعوت نبى آخر الزمان ، وكان مقتضى ذلك أن يؤمنوا به اذا بعث فلما بعث فيهم رسول الله مؤيدا بالقرآن اختلفوا وأخلفوا وعدهم ، وتبعة أهل الكتاب فى ذلك أشد من المشركين ، وأمر هؤلاء جميعا فى الآخرة أن يخلدوا فى النار ، والمؤمنون أصحاب المنازل العالية فى الفضل هم خير البرية ، جزاؤهم الخلود فى الجنة ، والرضى بما بلغوا من المطالب وأعطوا من المآرب . هذا النعيم لمن خاف ربه .

١ ـ لم يكن الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارى ، ومن المشركين منصرفين عن غفلتهم وجهلهم بالحق حتى تأتيهم الحجة القاطعة .

٢ ، ٣ ـ رسول مبعوث من عند الله يقرأ عليهم صحفا منزهة عن الباطل ، فيها أحكام مستقيمة ناطقة بالحق والصواب .

٤ ـ وماتفرق الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى . الا من بعد ماجاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن محمدا هو رسول الله الموعود به فى كتبهم .

٥ ـ وماكلفوا بما كلفوا به الالتكون عبادتهم لله مخلصين له الدين ، مائلين عن الباطل مستقيمين على الحق ، وأن يحافظوا على الصلاة ويؤدوا الزكاة ، وذلك دين الملة المستقيمة .

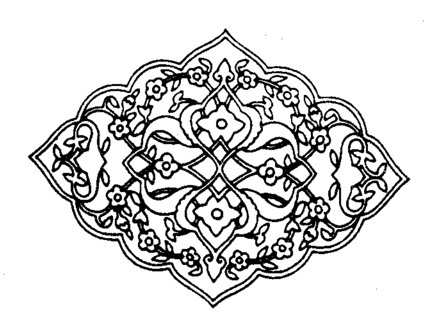
٦ ـ ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم يصلونها ، لايخرجون منها ، أولئك هم شر الخليقة عقيدة وعملا .

٧ ـ ان الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، أولئك هم خير الخليقة عقيدة وعملا .

عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

---

٨ ـ جزاؤهم فى الآخرة على ماقدموا من الايمان والأعمال الصالحة ، جنات اقامة تجرى من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبدا ، قبل الله اعمالهم ، وشكروا احسانه اليهم ذلك الجزاء لمن خاف عقاب ربه ، فآمن وعمل صالحا .





(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

آيات هذه السورة لاتجاوز أحوال القيامة :
زلزال الأرض ، وخروج الكنوز والموتى منها ، وعجب الانسان وتساؤله عما فاجأه ، وانصراف الناس من قبورهم متفرقين ليلاقوا جزاءهم .

١ ـ اذا حركت الأرض حركة شديدة ، واضطربت أقوى مايكون من التحريك والاضطراب الذى تطيقه وتحتمله .

٢ ـ وأخرجت الأرض مافى بطنها من الكنوز والموتى .

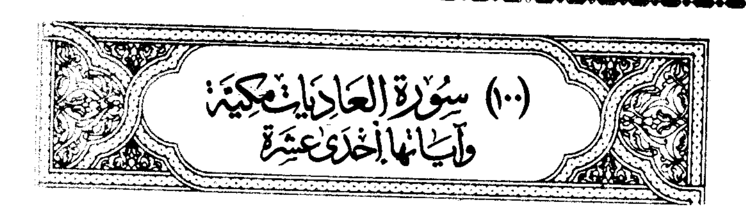
٣ ـ وقال الانسان فى دهشة وخوف ما الأرض تزلزل ، وتخرج مافى بطنها ، جاءت الساعة ؟ ! .

٤ ، ٥ ـ يومئذ تحدث الأرض الانسان أخبارها التى أفزعته بأن مربيه وخالقه أوحى لها : ان تتزلزل وتضطرب ، فسارعت الى امتثال أمره .

٦ ـ يومئذ ينصرف الناس من قبورهم سراعا متفرقين ، ليتبينوا حسابهم وجزاءهم الذى وعدهم الله به .

٧ ـ فمن يعمل زنة ذرة من التراب خيرا يره فى صحيفته ويلق جزاءه عليه .

٨ ـ ومن يعمل زنة ذرة من التراب شرا يره كذلك ، ويلق جزاءه عليه ولايظلم ربك أحدا .



بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

أقسم الله تعالى فى فاتحة هذه السورة بخيل الجهاد ان الانسان لنعمة ربه لشديد الكفران ، وانه على ذلك فى الآخرة لشهيد على نفسه بما كان منه ، وانه لحبه المال لبخيل به حريص عليه ، وذكر فى خاتمتها بالبعث ونبه الى الحساب والجزاء .

١ ـ أقسم بخيل الجهاد المسرعات يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح .

٢ ـ فالخيل التى تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها واندفاعها فى سيرها .

٣ ـ فالخيل التى تغير على العدو قبل طلوع الشمس .

٤ ـ فأثارت هذه الخيل فى مواقع العدو غبارا كثيفا لايشق .

٥ ـ فجعلن الغبار يتوسط جمع العدو حتى يصيبه الرعب والفزع .

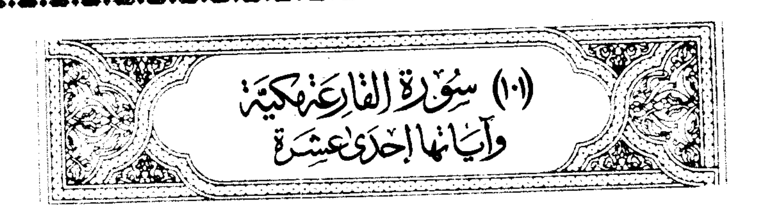
٦ ـ ان الانسان لنعم ربه التى لاتحصى لشديد الكفران .

٧ ـ وانه على ذلك فى الآخرة لشهيد على نفسه معترف بذنوبه .

٨ ـ وانه لحبه المال وحرصه عليه لبخيل به لايؤدى ماوجب فيه .

٩ ، ١٠ ـ أجهل عاقبة أمره فلايعلم اذا نشر مافى القبور من أجساد ، وجمع مافى الصدور وقد سجل فى صحفهم ـ من خير اكتسبوه وشر اقترفوه .

١١ ـ ان مربيهم وخالقهم ـ بأعمالهم وجزائهم يوم البعث والحساب ـ لخبير .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

هذه السورة الكريمة بدأت بالتهويل من شأن القارعة التى تصك أسماع الناس . وذكرت بعض أحوال القارعة الخاصة بالناس وبالجبال . وعنيت بالحديث عمن ثقلت موازينهم برجحان حسناتهم وعمن خفت موازينهم برجحان سيئاتهم .

١ - هى القيامة التى تبدأ بالنفخة الأولى ، وتنتهى بفصل القضاء بين الناس .

٢ - أى شىء عجيب هى فى فخامتها وخطرها وفظاعتها ؟ ! .

٣ - أى شىء أعلمك ماشأن القارعة فى هولها على النفوس ؟ ! .

٤ - هى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث كثرة وتدافعا يمينا وشمالا ضعيفا ذليلا .

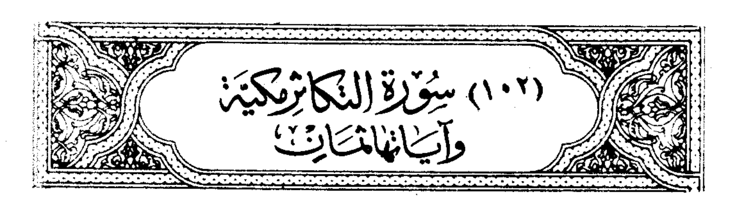
٥ - وتكون الجبال كالصوف الملون المنفوش فى تفرق الأجزاء والتطاير فى الجو هنا وهناك .

٦ ، ٧ - فأما من ثقلت موازينه فرجحت حسناته على سيئاته ، فهو فى عيشة يرضاها صاحبها تطيب نفسه بها .

٨ ، ٩ - وأما من خفت موازينه فرجحت سيئاته على حسناته فمأواه جهنم .

١٠ - وما اعلمك ما الهاوية ؟ ! .

١١ - نار حامية لا تبلغ حرارتها أية نار مهما سعرت وألقى فيها من وقود .



بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

عابت هذه السورة من شغلهم التكاثر عن أداء الواجبات ، وأنذرتهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة تقصيرهم ، وخوفت الناس بمعاينة النار وسؤالهم عما كانوا فيه من نعيم .

١ ، ٢ ـ شغلكم عن الواجبات والطاعات تباهيكم بالأولاد والأنصار ، وتفاخركم بالأموال والحساب والأنساب حتى أصابكم الموت .

٣ ـ حقا سوف تعلمون عاقبة سفهكم وتفريطكم .

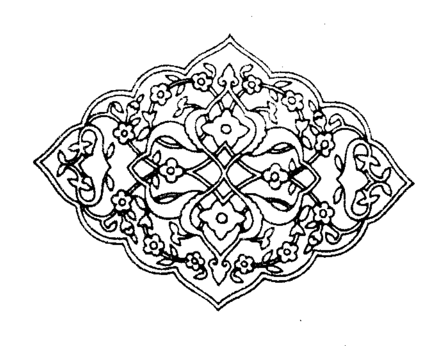
٤ ـ ثم حقا سوف تعلمون حتما تلك العاقبة .

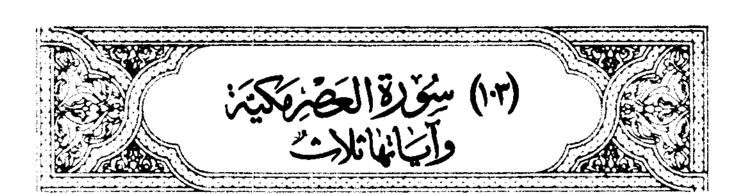
٥ ـ حقا لو تعلمون يقينا سوء مصيركم لفزعتم من تكاثركم وتزودتم لآخرتكم .

٦ ـ أقسم لكم وأؤكد أيها الناس أنكم ستشاهدون النار الموقدة .

٧ ـ ثم أقسم وأؤكد انكم ستشاهدونها عيانا ويقينا .

٨ ـ ثم أقسم وأؤكد أنكم ستحاسبون على الوان النعيم الذى اترفتم فيه واستمتعتم به .





بسم الله الرحمن الرحيم

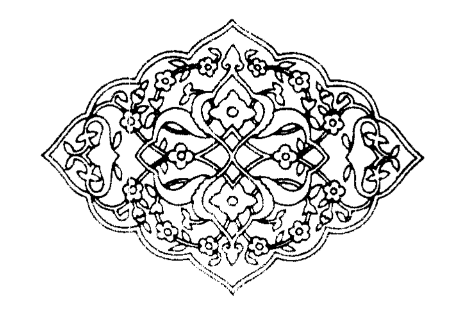
وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

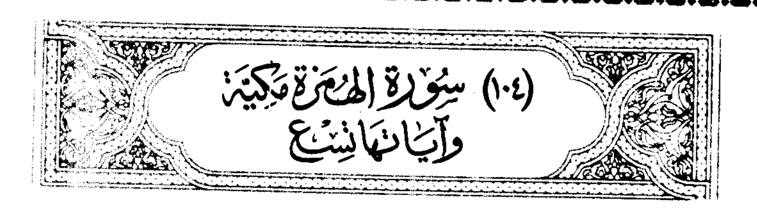
فى هذه السورة أقسم سبحانه بالزمان لانطوائه على العجائب ، والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته ، على أن الانسان لاينفك عن نقصان فى اعماله وأحواله الا المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق ، وهو الخير كله ، وتواصوا بالصبر على ما أمروا به ومانهوا عنه .

١ ـ أقسم بالزمان لكثرة ماانطوى عليه من عجائب وعبر .

٢ ـ ان كل انسان لفى نوع من الخسران لمايغلب عليه من الأهواء والشهوات .

٣ ـ الا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وأقاموا على الطاعات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق : اعتقادا وقولا وعملا ، وأوصى بعضهم بالصبر على المشاق التى تعترض من يعتصم بالدين ، فهؤلاء ناجون من الخسران ، مفلحون فى الدنيا والآخرة .





بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

فى هذه السورة وعيد شديد لمن اعتاد أن يعيب الناس بالاشارة أو بالعبارة الذى جمع مالا كثيرا وعدده افتخارا به، يظن أن ماله يبقيه فى الدنيا.

وفيها تهديد عظيم لهؤلاء بالقائهم فى نار موقدة تحطم اجسامهم وقلوبهم، وتغلق عليهم أبوابها. ويوثقون فيها مع ذلك فلا يستطيعون التحرك ولا الخلاص.

١ ـ عذاب شديد وهلاك لمن دأبه أن يعيب الناس بالقول أو بالاشارة أو يتكلم فى أعراضهم.

٢ ـ الذى جمع مالا كثيرا وأحصى عده مرة بعد أخرى حبا له وتلذذا باحصائه.

٣ ـ يظن أن ماله يخلده فى الدنيا ويدفع عنه مايكره.

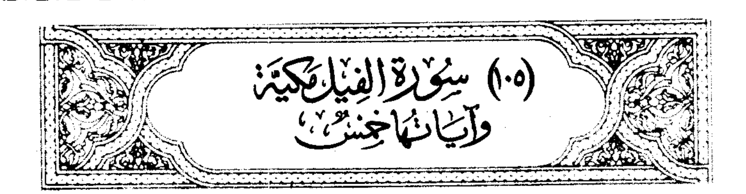
٤ ـ ليرتدع عن هذا الظن. والله ليطرحن لسوء عمله فى النار التى تحطم كل ما يلق فيها.

٥ ـ وأى شىء أعلمك ماحقيقة هذه النار الحطمة.

٦ ـ نار الله المسعرة بأمره الموقدة دائما.

٧ ـ التى تصل القلوب وتحيط بها.

٨ ، ٩ ـ انها عليهم مغلقة الأبواب وهم موثقون فيها مشدودون الى عمد ممدودة فلا حركة لهم فيها ولا خلاص لهم منها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

يخبر الله رسوله ﷺ بقصة أصحاب الفيل الذين قصدوا هدم بيت الله ، ويلفته الى ماحوته القصة من عبرة دالة على عظم قدرته تعالى وانتقامه من المعتدين على حرماته . فقد سلط الله عليهم من جنوده ماقطع أوصالهم وأذهب ألبابهم ، ولم يبق منهم غير أثر كأنه غلاف بر ذهب لبه .

١ - قد علمت يامحمد علما لايخالطه شك فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على البيت الحرام .

٢ - قد علمت ان الله قد جعل سعيهم لتخريب الكعبة فى تضييع وابطال ، فخيب مسعاهم ، ولم ينالوا قصدهم .

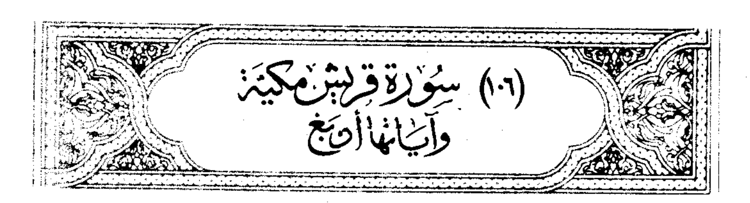
٣ - وسلط الله عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات متتابعة وأحاطت بهم من كل ناحية .

٤ - تقذفهم بحجارة من جهنم .

٥ - فجعلهم كورق زرع أصابته آفة فأتلفته .

تعليق الخبراء على السورة :

تشير هذه السورة الشريفة إلى حملة أبرهة الأشرم الحبشى التى وجهها من اليمن نحو مكة لهدم الكعبة ليصرف عنها حجاج العرب ، فقد جرد جيشا كبيرا مزودا ببعض الفيلة وسار به إلى الحجاز وعسكر بقرب مكة فى مكان يدعى المغمس « على ثلثى فرسخ من مكة فى طريق الطائف » وهناك دارت مناوشات بينه وبين العرب ولكن حملته باءت بالفشل ، وذلك بسبب المتاعب الكثيرة التى لاقاها من القبائل اليمنية والحجازية ولتفشى المرض فى جيشه كذلك على نحو ما تشير إليه السورة الشريفة ، فعاد إلى بلده بعد أن هلك معظم جيشه دون أن يحقق هدفه ، وقد دخلت هذه الغزوة التى تكون قد وقعت عام ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلادية ، فى تقويم عرب الحجاز قبل الاسلام ، وعرفت عندهم بعام الفيل وقيل : ان الرسول ولد فيه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

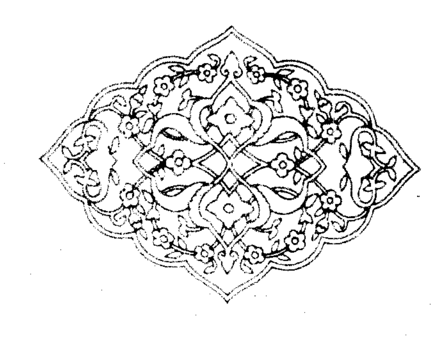
لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

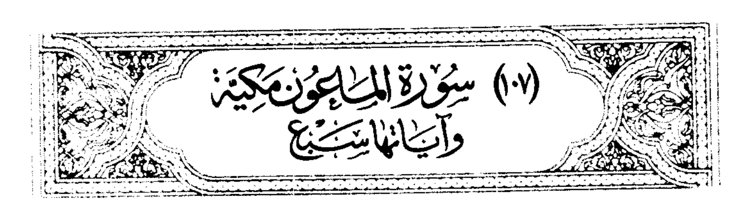
يمتن الله فى هذه السورة على قريش ببيته الحرام الذى دفع عنه اعداءه ، وأسكنهم بجواره فنالوا الشرف والأمن ، ورحلوا فى الشتاء الى اليمن ، وفى الصيف الى الشام ، يتاجرون لايتعرض لهم أحد بسوء ويتخطف الناس من حولهم وتلك نعمة توجب عليهم عبادة من أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

١ ، ٢ ـ أعجبوا لما التزمت رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى الشام فى اطمئنان وأمن للاتجار وابتغاء الرزق .

٣ ـ فليخلصوا العبادة لرب هذا البيت الذى مكنهم من هاتين الرحلتين .

٤ ـ الذى أطعمهم من جوع وهم بواد غير ذى زرع ، وآمنهم من خوف والناس يتخطفون من حولهم .





بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

تحدثت هذه السورة عن المكذب بالجزاء فى الآخرة ، فذكرت من أوصافه أنه يهين اليتيم ويزجره غلظة لاتأديبا ، وأنه لايحث أحداً بقول أو فعل على اطعام المساكين ، لأنه شحيح بماله ، بخيل بما فى يده . ثم ذكرت فريقا شبيها بهذا المكذب بالجزاء . وهم الغافلون عن صلاتهم الذين لايؤدونها كما طلبت ، والذين يقومون بها صورة لامعنى ، المراءون بأعمالهم ، المانعون معونتهم من المحتاجين اليها ، وتوعدت هؤلاء بالويل والهلاك ليرجعوا عن غيهم .

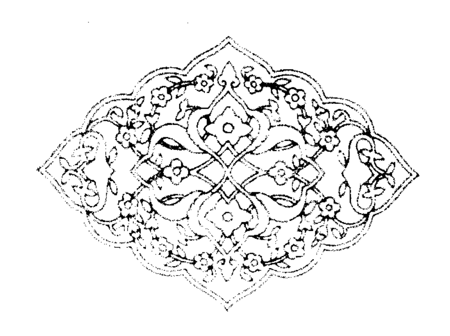
١ - أعرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة ؟ !

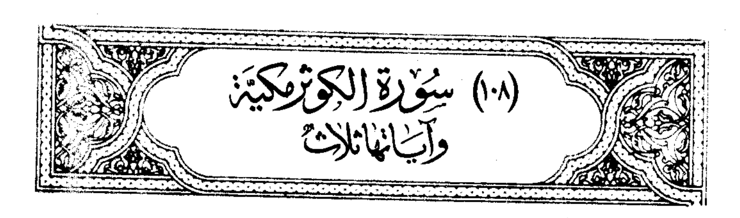
٢ ، ٣ - ان أردت أن تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا ، ويقهره ويظلمه ، ولا يحث على اطعام المسكين .

٤ ، ٥ - فهلاك للمصلين المتصفين بهذه الصفات الذين هم عن صلاتهم غافلون غير منتفعين بها .

٦ - الذين هم يظهرون للناس أعمالهم ، لينالوا المنزلة فى قلوبهم والثناء عليهم .

٧ - ويمنعون معروفهم ومعونتهم عن الناس .





(١٠٨) سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

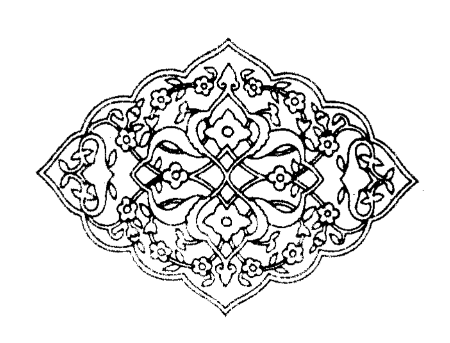
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

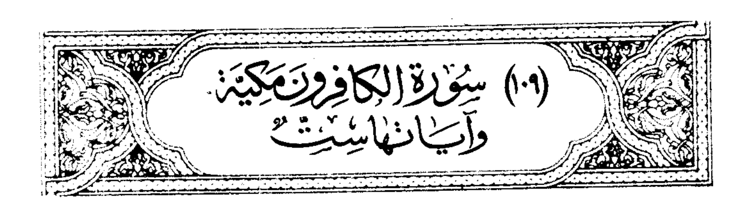
امتن الله فى هذه السورة على رسوله ﷺ باعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة فى الدنيا والآخرة ، وطلب منه أن يديم الصلاة خالصة لوجهه ، وأن ينحر خيار أمواله ضحية شكرا على ماأولاه من الكرامة . ثم ختمت السورة ببشارة النبى ﷺ بقطع مبغضه وشانئه .

١ ـ انا أوليناك الخير الكثير الدائم فى الدنيا والآخرة .

٢ ـ واذا أعطيت ذلك فدم على الصلاة لربك خالصة له ، وانحر ذبائحك شكرا لله على ماأولاك من كرامة وخصك من خير .

٣ ـ ان مبغضك هو المنقطع عن كل خير .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

فى هذه السورة أمر الله رسوله ﷺ أن يقطع أطماع الكافرين فى مساومتهم اياه فى دعوة الحق . فهو باق على عبادة الله الذى لا اله الا هو ، وهم باقون على عبادة آلهتهم التى لاتغنى من الحق شيئًا . لهم دينهم الذى قلدوا أباءهم فيه ، وله دينه الذى ارتضاه الله له .

١ ـ قل يامحمد : يأيها الكافرون المصرون على كفرهم .

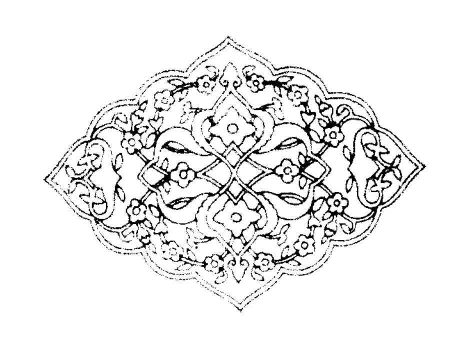
٢ ـ لا أعبد الذى تعبدون من دون الله .

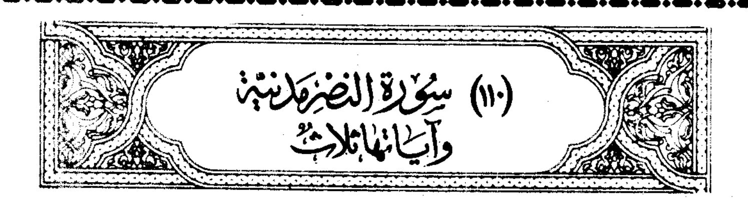
٣ ـ ولا أنتم عابدون الذى أعبد ، وهو الله وحده .

٤ ـ ولا أنا عابد مثل عبادتكم ، لأنكم مشركون .

٥ ـ ولا أنتم عابدون مثل عبادتى لأنها التوحيد .

٦ ـ لكم دينكم الذى اعتقدتموه ، ولى دينى الذى ارتضاه الله لى .





بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

طلبت هذه السورة من رسول الله ﷺ - اذا جاءه نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون فى دين الله جماعات لاستقرار أمره وعلو كلمته واكمال الله له - أن يسبح بحمد ربه ، وينزهه عما لايليق به ، ويستغفره لنفسه وللمؤمنين لانه التواب الذى يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات .

١ - اذا تحقق نصر الله والفتح لك وللمؤمنين .

٢ - ورأيت الناس يدخلون فى دين الله جماعات جماعات .

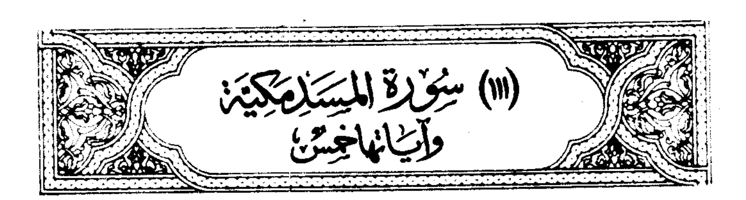
٣ - فاشكر ربك ، وسبح بحمده واطلب مغفرته لك ولأمتك . انه كان توابا كثير القبول لتوبة عباده .

تعليق الخبراء على سورة النصر .

تشير هذه السورة الشريفة إلى فتح مكة ، والسبب المباشر لفتح مكة هو نقض قريش لهدنة الحديبية بمهاجمتها خزاعة - وكانت قد دخلت فى عهد النبى ﷺ - ومظاهرتها بنى بكر عليها ، عند هذا رأى النبى أن ما قامت به قريش من نقض للعهد يحتم عليه فتح مكة فحشد جيشا قويا مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، وسار فى رمضان من العام الثامن للهجرة (فى ديسمبر سنة ٦٣٠ م) فأوصى رجاله بعدم القتال إلا إذا أكرهوا عليه . وقد شاء الله أن يدخل النبى وجيشه مكة من غير حرب . وهكذا استطاع أن يكسب أكبر نصر فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير حرب وبغير إراقة دماء .

وكان لفتح مكة آثار بعيدة المدى فى الناحيتين الدينية والسياسية ، فقد قضى على الوثنية فى معقلها الأكبر بتحطيم الأصنام المقامة بالكعبة وأزال ما بها من صور وتماثيل .

وبدخول مكة حظيرة الإسلام استطاع النبى صلوات الله عليه التغلب على بقية القبائل فى الحجاز ، التى غلبت عليها حمية الجاهلية مثل هوازن وثقيف ، وكتب الله له التوفيق فى إرساء دعامة دولة عربية تحت راية الإسلام .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

بدأت هذه السورة بالاخبار بهلاك أبى لهب عدو الله ورسوله . وعدم اغناء شىء عنه من ذلك ، مالا كان أو جاها أو غيرهما وتوعدته فى الآخرة بنار موقدة يصلاها ويشوى بها وقرنت زوجته به فى ذلك . واختصتها بلون من العذاب هو مايكون حول عنقها من حبل تجذب به الى النار زيادة فى التنكيل بها لما كانت عليه من ايذاء الرسول والاساءة الى دعوته .

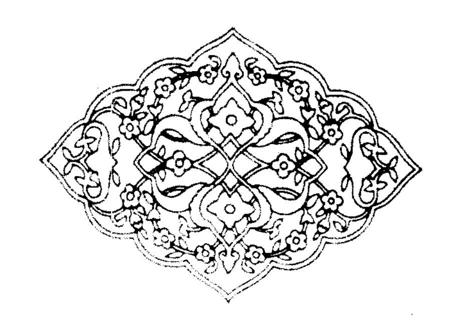
١ ـ هلكت يدا أبى لهب اللتان كان يؤذى بهما المسلمين . وهلك معهما .

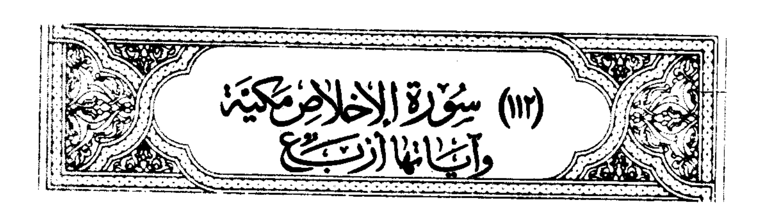
٢ ـ مادفع عنه عذاب الله ماله الذى كان له ولا جاهه الذى كسبه .

٣ ـ سيدخل نارا ذات اشتعال يحرق بها .

٤ ـ وستدخل امرأته حمالة النميمة بين الناس النار كما دخلها .

٥ ـ فى عنقها حبل من ليف للتنكيل بها .





بسم الله الرحمن الرحيم

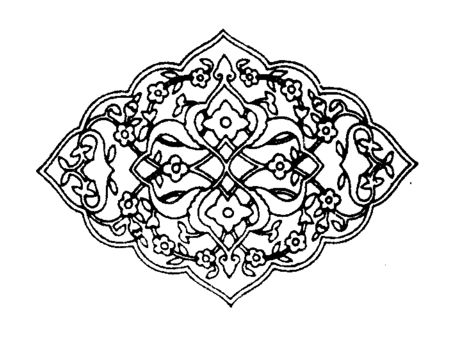
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

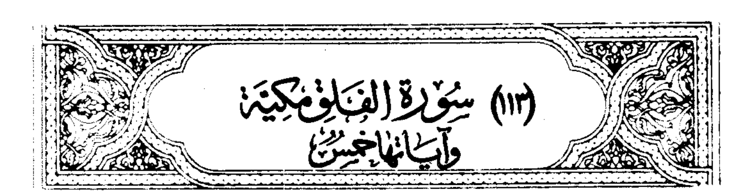
سئل النبى ﷺ عن ربه فأمر فى هذه السورة بالاجابة بأنه الجامع لصفات الكمال الواحد الأحد المقصود على الدوام فى الحوائج ، الغنى عن كل ما سواه المتنزه عن المجانسة والمماثلة لم يلد ولم يولد ولم يكن له من خلقه نظير ولا مشاكل .

١ ـ قل يامحمد لمن قالوا مستهزئين : صف لنا ربك : هو الله أحد لاسواه ، ولا شريك له .

٢ ـ الله المقصود وحده فى الحوائج والمطالب .

٣ ، ٤ ـ لم يتخذ ولدا ، ولم يولد من أب أو أم ولم يكن له أحد شبيها أو نظيرا ليس كمثله شىء .





بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

طلبت هذه السورة من النبى ﷺ ان يلجأ الى ربه ويعتصم به من شر كل ذى شر، من مخلوقاته، ومن شر الليل اذا دخل ظلامه، لما يصيب النفوس فيه، من الوحشة، ولما يتعذر من دفع ضرره، ومن شر المفسدات الساعيات فى حل مابين الناس من روابط وصلات، ومن شر حاسد يتمنى زوال مايسبغ الله على عباده من نعمة.

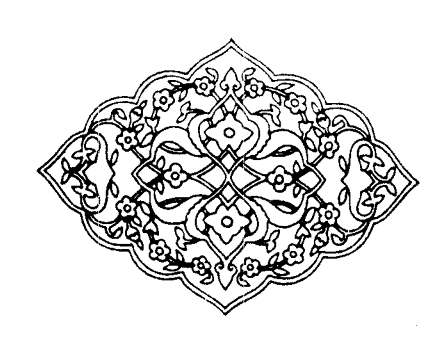
١ - قل أعتصم برب الصبح الذى ينجلى الليل عنه.

٢ - من شر كل ذى شر من المخلوقات التى لايدفع شرها الا مالك أمرها.

٣ - ومن شر الليل اذا اشتد ظلامه.

٤ - ومن شر من يسعى بين الناس بالافساد.

٥ - ومن شر حاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره.





بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ فى هذه السورة أن يلجأ اليه ويستعيذ به فى دفع شر عظيم يخفى على كثير من الناس ادراكه لانه يجيئهم من جهة شهواتهم واهوائهم فيوقعهم ذلك فيما نهوا عنه.

ذلك هو شر الوسواس الخناس مستترا عن العيون أو ظاهرا لها مخفيا وسوسته بالمكر أو الخديعة.

١ ـ قل أعتصم برب الناس ومدبر شئونهم.

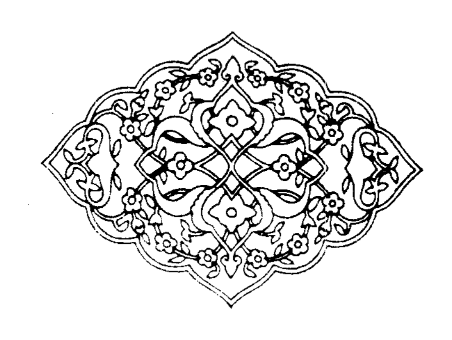
٢ ـ مالك الناس ملكا تاما حاكمين أو محكومين.

٣ ـ اله الناس القادر على التصرف الكامل فيهم.

٤ ـ من شر الموسوس للناس الذى يمتنع اذا استعنت عليه بالله.

٥ ـ الذى يلقى فى خفية ـ فى صدور الناس مايصرفها عن سبيل الرشاد.

٦ ـ من الجن والناس.



فهرست

المنتخب فى تفسير القرآن الكريم

تم بحمد الله وعونه